

حقائق قرآنية

من أحاديث رمضان لعامي 1415_1417



www.nabulsi.com info@nabulsi.com

الفصل الأول : قراءات قرآنية

الدرس (01 – 49) : الأمثلة والإيحاءات في القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

تدبر الآيات وفهم مضامينها عمل جليل لا يقل عن تلاوة القرآن :

أيها الأخوة الكرام ؛ ربنا ﷻ يقول :

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾

[سورة محمد:24]

فتلاوة القرآن في رمضان جزء من رمضان ، لكن تدبر الآيات ، وفهم مضامينها ، وإدراك الإشارات الدقيقة التي تشير إليها ، هذا عمل جليل ، لا يقل عن تلاوة القرآن .

أيها الأخوة ؛ أحياناً الإنسان يكون هناك نص بالقانون لصالحه ، يتمسك فيه ، ثم يفاجأ أن هذا النص لا يُعمل به ، وأن الأمور تجري على خلاف هذا النص ، فيصاب بخيبة أمل ، لكنك مع كلام الله الأمر مختلف؛ القرآن الكريم ، نص القرآن الكريم ، كلام خالق الكون، فإذا كان هذا النص لصالحك ، فاطمئن قلباً ولا تقلق ، لأن زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعده ووعيده .

الذي جاء في هذا القرآن الكريم من هذه الآيات التي قرئت اليوم ، الله سبحانه وتعالى يخاطب النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

﴿ إِنْ آَمَنُوا ﴾

أي أهل الكتاب :

﴿ فَإِنْ آَمَنُوا بِمِثْلِ مَا آَمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾

الإعجاز في الإيجاز :

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾

أي لم يؤمنوا :

﴿ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾

أي هناك عداوة ، من لوازم هذه العداوة أنهم يكيدون لك ، يكيدون لك و أنت لا تبالي بهم :

﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

[سورة البقرة:137]

إذاً : إذا الإنسان ما قَبِل الهدى سيكون عدواً للحق ، فإذا كان قوياً ، فسوف يتحرك لإيقاع الأذى بالمؤمن ، لكن المؤمن ينبغي ألا يساوم على دينه ، وألا يداهن ، فإذا بقي مصراً على إيمانه ودينه ، فالله سبحانه وتعالى سيكفيه، سيكفيه هذا العدو الذي يتربص به .

فهذه الآية تفيد أن الإنسان يجب ألا يساوم على دينه ، ولا يقبل بأنصاف الحلول ، لأن الله عز وجل مع الحق ، وحينما تتمسك بدينك ، وإسلامك ، ولو أغضبت من أغضبت ، فإن هؤلاء الذين غضبوا ، لو كانوا أقوياء ، ولو كانوا يحبون الأذى ، فالله سبحانه وتعالى سيكفيكهم :

﴿فَإِنْ آَمَنُوا بِمِثْلِ مَا آَمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

[سورة البقرة :137]

المداهنة والمداراة :

لذلك ننطلق من حكمين في هذا الموضوع ؛ المداهنة والمداراة .

النبي عليه الصلاة والسلام قال :

((بعثت بمداراة الناس))

[من المأثور عن جابر بن عبد الله]

المداراة : أن تبذل الدنيا من أجل الدين ، أما المداهنة فأن تبذل الدين من أجل الدنيا ، فالمداهنة من صفات المنافقين ، والمداراة من صفات المؤمنين ، فأنت كن مع الله ولا تبال .

كن مع الله تر الله معك ، أنت تريد وأنا أريد ، فإذا سلمت لي فيما أريد ، كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم لي فيما أريد ، أتعبتك فيما تريد ، ثم لا يكون إلا ما أريد .

الترابط بين آيات القرآن الكريم :

الآية الثانية : الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آَيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾

[سورة هود:1]

من معاني هذه الآية الإحكام ، الترابط ، فهناك ترابط بين آيات القرآن الكريم ، وهناك ترابط بين سوره ، وهناك ترابط بين كلمات الآية الواحدة ، لكن الذي يلفت النظر في القرآن الكريم أن هذا الترابط ربما لم يكن جلياً واضحاً، الترابط في كتاب الله لا يكون كما نفعل نحن عن طريق أدوات ربط ، بل يكون عن طريق المعنى ، وهذا مما يعطي الإنسان نشاطاً في فهم كلام الله ، الشيء الواضح جداً الإنسان ينصرف عنه ، لكن النص الموحي الذي يحتاج إلى كدِّ ذهن ، وإلى اجتهاد في فهمه ، هذا يولد فيك طاقات كبيرة جداً ، فمن الأسلوب التربوي أن يكون في النص شيء من الإيحاء ، الإيحاء يأتي من طريقة عجيبة في نظم النص.

فمثلاً : هذه الآية التي قرئت اليوم :

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾

[سورة البقرة: 148]

هذا أول قسم :

﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾

[سورة البقرة: 148]

ثاني قسم . الثالث :

﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً ﴾

[سورة البقرة: 148]

يبدو أن هناك علاقة بين قوله تعالى :

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً﴾

[سورة البقرة:148]

أيها الأخوة ؛

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ ﴾

[سورة البقرة: 148]

هو ربما أعدناها إلى الله عز وجل ، وربما أعدناها إلى الإنسان ، ماذا ينتج لو أعدنا هذا الضمير إلى الله ؟

معنى هذا أن الإنسان مسير ، وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يسيره ؛ إن في طريق الهدى ، أو في طريق الضلال ، وإذا اعتقدنا بالجبر ؛ أي أن الله سبحانه وتعالى مسير الإنسان في كل أفعاله ، وليس للإنسان كسب إطلاقاً ، ولا اختيار ، ولا مبادرة ؛ ألغينا التكليف ، وألغينا الأمانة ، وألغينا الثواب ، وألغينا العقاب ، وألغينا الجنة، وألغينا النار ، وألغينا التبعية ، وألغينا المسؤولية .

إذاً على من تعود (هو) ؟ ينبغي أن تعود على الإنسان ، هذا ما تمليه علينا العقيدة الصحيحة ، لكن هل في الآية قرينة مانعة من أن تعود (هو) على الله ؟ هناك قرينة مانعة ؟ القرينة المانعة أخ معتز :

﴿ فَاسْتَبِقُوا ﴾

[سورة البقرة: 148]

أنت ممكن أن تركب سيارة ، والمقود بيدك ، وجالس إنسان في المقعد الخلفي ، تعطي أمراً للذي يجلس في المقعد الخلفي ، ولا شيء بيده ، أن ينحرف نحو اليمين ، هذا كلام ليس له معنى ، يُعطى الأمر بالانحراف نحو اليمين أو نحو اليسار لمن بيده المقود ، فلما ربنا عز وجل قال :

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾

قال :

﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

معنى هذا أن المقود بيد الإنسان ، والإنسان مخير ، والإنسان مكلف ، والإنسان بيده أن يصلي أو لا يصلي، بيده أن يستقيم أو لا يستقيم ، وإلا الأمر ليس له معنى ، لا معنى للأمر إذا كان الضمير هو يعود على الله عز وجل ، حسناً .

تمتع الإنسان بحرية الاختيار مادام حياً :

لكن الآية الآن أي الكلمات التي بعد هذا الكلام :

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً﴾

[سورة البقرة:148]

في أي مكان كنت ، وفي أية مكانة كنت .

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس وإن تمنَّعت بالحجاب والحـــــرس

فمـــــا تزال سهـام الموت نافذة في جنب مدرع منــهــــــا ومترس

أراك لســـــت بوقــاف ولا حــــذر كالحاطب الخابط الأعواد في الغلـس

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينــــة لا تجـري على اليبس

***

ما علاقة :

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً﴾

[سورة البقرة:148]

أي انتبه أيها الإنسان ، أنت في الدنيا تتمتع بنعمة لا تقدر بثمن ، هو أنك مختار ، هو أنك مريد ، هو أنك تملك الكسب ، كسب الصالحات ، أو كسب السيئات ، وربما كان هذا الاختيار سبب دخولك الجنة ، وسبب السعادة الأبدية ، وهذا الاختيار ليس أبدياً ، خيار محدد بزمن :

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

[سورة البقرة:148]

لأنه إذا جاء الموت ألغي الاختيار ، أينما كنت ، في أي مكان كنت ، وفي أية مكانة كنت :

﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً﴾

[سورة البقرة :148]

معنى ذلك أنك الآن تتمتع بالاختيار ؛ بإمكانك أن تصلح ما سلف ، بإمكانك أن تتوب ، بإمكانك أن تستقيم، بإمكانك أن تحسن ، بإمكانك أن تصلي ، أن تقرأ القرآن ، أن تغض بصرك ، أن تصلح بيتك ، أن تصلح عملك، أن تتحرى الحلال في دخلك ، أن تتحرى الصواب في إنفاقك ، هذا كله الآن بيدك ، لأنك أنت مخير، أما إذا جاء الموت ، ألغي الاختيار ، وختم العمل ، ودخلت في دار الجزاء ، فلذلك : من حيث

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾

هو تعود على الإنسان ، والدليل :

﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾

[سورة البقرة: 148]

أما إذا جاء الموت فانتهى الاختيار ، والدليل :

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً﴾

[سورة البقرة: 148]

هذه الآية الثانية :

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[سورة البقرة: 148]

محبة الإنسان للجمال و الكمال و النوال :

الآية الثالثة : الإنسان يحب ماذا ؟ قال الإمام الغزالي : " الإنسان يحب الجمال ، ويحب الكمال ، ويحب النوال".

تحب من يعطيك شيئاً ثميناً ، وتحب الأخلاقي ، وتحب الشيء الجميل ، أما الآية الكريمة :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾

قال:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾

ظلموا ماذا ؟ أنفسهم:

﴿لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾

[سورة البقرة :165]

أي قوة هذه ؟ قوة الجمال ، وقوة الكمال ، وقوة النوال .

فالإنسان عندما يحب غير الله عز وجل ، يكون قد ارتكب خطأ فاحشاً ، يكون عديم الإدراك ، عديم الفهم ، عديم الذوق ، يكون مظلوماً ، ظلم نفسه ظلماً كبيراً .

مثلاً وإن كان المثل حاداً جداً : قطرميز ثمنه يقدر بعشرين ليرة ، كبير ، وكأس كريستال ثمنها ألف ليرة ، وألماسة ثمنها مئة ألف ، أو خمسمئة ألف ، هكذا مقدارها ، قلنا لك : اختر ، فأنت إذا اخترت القطرميز ، تكون قد ظلمت نفسك ، اخترت عشرين ليرة على خمسمئة ألف ، لكن مقياسك غلط ، أخذت الأكبر ، لو كنت عميقاً بالفهم والإدراك ، تختار الألماسة ، فلذلك :

﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾

[سورة البقرة:165]

هؤلاء ظلموا أنفسهم ، لأنهم أحبوا غير الله ، تعلقوا بالدنيا ، والدنيا زائلة ، تعلقوا بامرأة ، والمرأة فانية ، تعلقوا بالمال ، والمال لا يأخذونه معهم إلى القبر ، تعلقوا بمتع رخيصة ، وفاتتهم السعادة الكبرى ، لذلك :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾

[سورة البقرة:165]

هناك رجل من الدعاة كان في أمريكا ، يجلس بالحديقة وإلى جانبه رجل أمريكي ، فصار بينهما تعارف ، قال له: حدثني عن الإسلام ، حدثه بطلاقة وببلاغة ، ومضى على حديثه ساعة ، فما كان من هذا الرجل إلا أن أخرج من جيبه دولاراً ، وقال : أنا هذا أعبده ، هذا إلهي .

أحياناً يكون المال هو الإله ، أحياناً اللذة ، الشهوة ، المتعة ، الجاه ، السيطرة ، هذه كلها آلهة :

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾

[سورة الجاثية :23]

فلذلك :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾

انظر حينما أحب غير الله ظلم نفسه ، فلما رأى العذاب الأبدي

﴿ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾

أي الله عز وجل – من حيث النوال – عطاؤه أبدي سرمدي ، ومن حيث الكمال :

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾

[سورة الأعراف: 180]

ومن حيث الجمال الإقبال عليه يُدخل النفس في سعادة لا توصف :

﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾

[سورة البقرة:165]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (02- 49) : الأهلة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

العمل الصالح أثمن شيء في الحياة الدنيا يصلح للعرض على الله :

وبعد : لأن سرّ وجود الإنسان في الدنيا هو الإعداد للآخرة ، وإن أثمن شيء في الحياة الدنيا أن تعمل عملاً صالحاً يصلح للعرض على الله يوم القيامة ، والدليل أن الإنسان إذا جاءه الموت لا يندم إلا على عمل صالح لم يفعله ، وقوله تعالى :

﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾

[سورة المؤمنون:99]

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً﴾

[سورة المؤمنون:100]

ربنا في القرآن الكريم ، في أسلوب معجز وبليغ حببنا بالعمل الصالح .

هناك آية في هذا الجزء من يذكر هذه الآية ؟ بأسلوب محبب وبليغ :

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾

[سورة المزمل:20]

أيضاً :

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾

[سورة البقرة:245]

أي الله جلّ جلاله جعل خدمتك لأخيك المؤمن قرضاً حسناً له سبحانه ؛ كلما تحولت ، وكلما تحركت ، وكلما طُلب منك شيء من إنسان ، كائناً من كان ، لا ينبغي أن تعرف من هو هذا الإنسان ، خلقه الله عز وجل ، لجأ إليك ، استغاث بك ، طلب منك ، استعان بك ، ينبغي أن تعلم أن هذا الإنسان مخلوق لله عز وجل ، وأنت إذا أحسنت إليه فقد أقرضت الله قرضاً حسناً ، وسيضاعفه لك أضعافاً كثيرة ؛ فالإنسان قبل أن يعتذر عن عمل صالح ، قبل أن يتردد ، قبل أن ينسحب ، قبل أن يهرب من عمل صالح ، ليذكر هذا المعنى ، هذا المعنى يدفع الإنسان لخدمة الخلق :

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾

[سورة البقرة:245]

قد تقرض الله قرضاً حسناً لخدمة مخلوق غير الإنسان ، حيوان .

هذه المرأة التي سقت الكلب ، الذي يأكل الثرى من العطش ، غفر الله لها ، لأنها أقرضت الله قرضاً حسناً .

فهذا المعنى إذا كان ماثلاً في أذهان الأخوة المؤمنين ، ينطلقون إلى الأعمال الصالحة ، لأنها زادهم يوم القيامة، والغنى والفقر بعد العرض على الله ، والغنى غنى العمل الصالح ، والفقر فقر العمل الصالح ، وهناك آية تؤكد ذلك بقصة ، لما سيدنا موسى سقى للمرأتين ، ابنتي سيدنا شعيب ، ماذا قال ؟ قال :

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾

[سورة القصص:24]

هذه واحدة .

حقوق و واجبات من يتعرف إلى الله عزّ وجل :

هناك نقطة ثانية في هذا الجزء :

﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾

[سورة البقرة:241]

على غير المتقين ليس حقاً ، معنى ذلك أن المؤمن حينما يتعرف إلى الله ، له معاملة خاصة ، ينشأ من هذه المعرفة واجبات ، وعليه حقوق ، أما الضائع ، الجاهل ، الفاسق، فهذا لا يحاسب على هذه الحقوق .

دقة الآية أن :

﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾

[سورة البقرة:241]

ما قال : حقاً على الناس ، ما قال : حقاً على أزواجهن ، قال :

﴿حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾

[سورة البقرة:241]

فالذي يبتغي وجه الله عز وجل ، والذي يتقي أن يغضبه ، والذي يتقي أن يعصيه ، هذا الإنسان يجب عليه واجبات ، وتترتب عليه حقوق ، حينما عرف الله ، وسلك منهج الله عز وجل ، ينشأ عن هذه المعرفة ، وعن هذا السلوك حقوق ، عليه أن يؤديها ، لذلك : امرأة طلقت زوجها ، فلما أراد أن يعطيها هذا المتاع ، رفضت، قال :

((أنت ليس عليك متاع))

وتعني بهذا أنه ليس متقياً حتى يتوجب عليه هذا الحق .

أعلى فهم على الإطلاق لكلام الله عز وجل هو فهم النبي عليه الصلاة والسلام ، فقد استنبط عليه الصلاة والسلام أحكام العدة : أن المرأة المتوفى عنها زوجها ، عليها أن تعتد ، وفي العدة عليها أن تسلك سلوكاً معيناً ، ربما لا يتناسب مع أنوثتها ، ولا مع كونها امرأة .

النبي –عليه الصلاة والسلام– استنبط أحكام العدة من هذه الآية . قال :

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

[سورة البقرة:234]

معنى ذلك أن هذه المرأة قبل أن يبلغ الكتاب أجله ، إذا فعلت ما هو معروف عنها، وعن بني جنسها ، مؤاخذة في كتاب الله عز وجل ؛ لذلك : المعتدة لا تكلم أحداً ، ولا تخرج من البيت ، ولا ترتدي الفاقع من الثياب ، هذا من شأن الأنثى أن ترتدي ، أن تتزين ، أن تزور أهلها ، لكن المعتدة ، حداداً على أقدس عهد على الإطلاق ، قال : " الشيء المألوف عنها ، والمعروف عنها ينبغي أن تمتنع عنه حداداً على زوجها " .

أفعال الله تكوينية و أوامره تكليفية :

أيها الأخوة ؛ هذه الآية الكريمة إذا الإنسان جعلها ماثلة أمام عينيه :

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة:216]

الله عز وجل له أفعال تكوينية ، وله أوامر تكليفية ؛ كلفنا بالصلاة ، والصيام ، والحج ، والزكاة ، وكلفنا بالصدق، والأمانة ، والورع ، والعدل ، إلى آخره . . . . لكن له أفعالاً ، وأفعاله نراها كل يوم ، نراها على شكل أمطار سخية ، أو على شكل قحط ، أو على شكل زلازل ، أو على شكل اضطرابات ، كل ما يجري في العالم هو أفعال الله عز وجل ، هذه أفعاله التكوينية ، أما أوامره التكليفية فمعروفة في الكتاب والسنة .

سؤال ، السؤال أن الله سبحانه وتعالى في قصة سيدنا الخضر مع سيدنا موسى عليه السلام ، بيّن جانباً من أفعاله التكوينية ؛ هل من المعقول أن يعد خرق السفينة عملاً طيباً؟ لولا أنها خرقت لصودرت ، هل من المعقول أن تنشيء جداراً بلا ثمن ؟ بلا أجر؟ وأنت جائع تطلب الطعام فلا تُطعم ؟ تنشيء جداراً بلا مقابل؟ عمل غير منطقي ، لذلك : لو بدا لك أن فعل الله ليس واضحاً ، يجب أن تقيس على قصة سيدنا الخضر ، كل أفعال الله عز وجل – والله سبحانه وتعالى يمتحن عباده بهذه الأفعال – تبدو لك غير منطقية ، قد يبدو لك أن الكافر يتمتع بكل ما في الدنيا من متع ، بينما المؤمن قد يكون محروماً أحياناً ، لذلك قال ابن عطاء السكندري: " ربما كان المنع عين العطاء ، ربما كان العطاء عين المنع ".

الضرورات تبيح المحظورات :

لذلك : كل شيء إذا جاء الإنسان و لم يعرف حكمته فليقرأ هذه الآية :

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة:216]

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾

[سورة البقرة:173]

المشكلة عند عوام المسلمين أن هذه الآية توسعوا بها إلى درجة أن الحاجات الثانوية جعلوها من الضرورات، وفعلوا من أجلها المحظورات ، لذلك من حين لآخر يجب أن نذكر الأخوة الكرام أن الضرورات التي تبيح المحظورات محصورة في التعريف التالي : حينما يغلب على ظنك أنك هالك جوعاً ، أو عرياً ، أو تشرداً ، أنت وأهلك ، يمكنك أن تفعل بعض المحظورات ، حينما يغلب على ظنك – وغلبة الظن تقترب من اليقين – أنك هالك ؛ أي ميت جوعاً ، وعطشاً ، وعرياً ، وتشرداً ، أنت وأهلك ، فهذه الضرورات التي تبيح المحظورات ، لأنه كلما واجهت إنسان بمخالفة كبيرة في كسب المال ، يقول لك : مضطر ، هذا الموضوع ليس له نهاية ؛ كل إنسان مضطر ليوسع بيته ، كل إنسان مضطر ليكون في بيته أثاث فخم ، كل إنسان مضطر ليزوج أولاده ، كل إنسان مضطر ليعيش حياة مرفهة ، استعمال كلمة مضطر استعمال مخادع ، وفيه مغالطة ، أما الضرورات التي تبيح المحظورات فأن يغلب على ظنك أنك هالك أنت وأهلك ، جوعاً ، وعطشاً ، وعرياً ، وتشرداً ، عندئذ حياتك أثمن عند الله من كل شيء ، عندئذ تفعل المحظورات ، والضرورة تقدر بقدرها ، دون أن تزيد عليها .

الاستقامة على أمر الله عز وجل :

هناك نقطة دقيقة جداً :

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[سورة البقرة:189]

هناك نشاطات بالإسلام ممتعة ؛ طرح سؤال ، تلقي جواب ، أي الموازنة بين المذاهب ، نقل أخبار المسلمين، طرح أسئلة عويصة ، حالات نادرة جداً لا تقع إطلاقاً ، تطرحها أمام العلماء ، والعلماء يحارون في الإجابة عنها، يختلفون ؛ فلان قال كذا ، فلان قال كذا ، كل هذا النشاط ، النشاط العلمي المترف ، ليس هو البر ، البر أن تستقيم على أمر الله .

أحياناً شيء ممتع جداً ، طرح سؤال محرج ، يا ترى : ماذا قال الإمام الشافعي ؟ الإمام أبو حنيفة؟ الإمام مالك؟ الإمام ابن حنبل ؟ ما رأي العلماء في هذا الموضوع ؟

أي أنت لست جاداً بتطبيق شيء ، لكنك تريد أن تتسلى بطرح هذه الأسئلة . فربنا عز وجل يقول :

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾

[سورة البقرة:189]

ليس هذا هو البر؛ البر أن تعدل ، البر أن تستقيم ، البر أن تعمل صالحاً ، البر أن تتحرك إلى الله ، البر أن تعطي مما أعطاك الله ، البر أن تأمر بالمعروف ، أن تنهى عن المنكر ، أن تتحرك، أن يكون لك عمل، لا أن تبقى في حيز التساؤل ، والإجابة ، والموازنة ، وإلقاء الأسئلة والشبهات ، وامتحان العلماء ، وإجاباتهم، هذا النشاط كله ليس عند الله براً ، نشاط مترف ، لذلك ليس البر :

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾

[سورة البقرة:189]

أي هذا الدين له طرائق شرعها الله عز وجل ، أنت حينما تطبق منهج الله عز وجل الأمور تبدو لك رائعة جداً ، أولاً : تتصل بالله ، ثانياً : ترى نفسك قريباً من الحق ، ثالثاً: تشعر أن الأدلة معك قوية ، أما حينما تبتعد عن التطبيق ، وتبقى في حيز الفكر ، فالفكر ثقافة، فالإسلام ثقافة عند بعض الناس ، كما أن هناك مذاهب ثقافية أخرى ، فهذه نقطة يجب أن تكون بين أيدينا .

آيات في القرآن الكريم تُفهم على معنيين متعاكسين :

مرت آية في الإنفاق تُفهم على معنيين متعاكسين من إعجاز القرآن الكريم ، أي الله عز وجل لما قال :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

[سورة الرعد:11]

أي تُفهم على أن الإنسان إذا كان ببحبوحة ، ولم يغير ، الله لا يغير ، وتُفهم على معنى آخر : الإنسان إذا كان في ضائقة ، الله لا يغير حتى يغير .

مرت آية بالإنفاق لها معنيان متعاكسان في وقت واحد :

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾

[سورة البقرة:195]

إنكم تهلكون إن أنفقتم كل أموالكم ، وإنكم تهلكون إن لم تنفقوا ، إن لم تنفق فأنت هالك ، حرمت نفسك الخير، وإن أنفقت كل ما في يدك ، فأنت هالك ، ربما تندم على ذلك .

أي الله عز وجل لا يحبك أن تفور ثم تخمد ، يحبك أن تمشي بخطوات متأنية، متنامية ، الإنسان إذا أنفق من غير تعقل ، ثم يجد بين يديه شيئاً ، قد ينتكس . فالله عز وجل قال :

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾

[سورة البقرة:195]

وقال :

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾

[سورة البقرة:194]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (03- 49) : الإنفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

مقام الإنسان عند ربه بحجم عمله الصالح :

أيها الأخوة الكرام ؛ إذا كانت الشمس ساطعة في رابعة النهار ، ونظرت إليها نظرة تأمل ، وفكرت ملياً ، وقلت : إنها ساطعة ، فماذا فعلت ؟ ماذا قدمت ؟

أردت من هذه المقدمة أن أصل إلى أن الإنسان إذا قال : إن الله موجود ، وإن الدين حق ، ولم يتحرك لعمل صالح يُقربه إليه ، ما فعل شيئاً ، مقامك عند الله بحجم عملك الصالح :

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾

[سورة الأنعام:132]

في آيات الإنفاق أربعة معان دقيقة هي :

1 . الإخلاص :

آيات الإنفاق اليوم التي وردت في أواخر البقرة فيها أربعة معان دقيقة ؛ المعنى الأول :

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾

الإخلاص :

﴿وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾

أحياناً الإنسان في علاقاته المادية ، إن كان موظفاً بدائرة ، يثبت مركزه عند رئيسه بنشاط زائد ، بدوام منضبط ، بإنجاز كثيف ، بهدية يقدمها له أحياناً ، بخدمة خاصة يقدمها ، بإظهار التفاني في العمل ، هدفه يثبت مركزه عند رئيسه ، في تثبيت مركز ، وتقوية مركز ، وبالتعبير العامي : تركيز وضع ، يقول لك : ركز حاله ، أي عمل عملاً تجاه رئيسه ، يجعل مكانته قوية عنده ؛ إما بعمل زائد ، بإخلاص ، بتفان ، بدوام منضبط ، بإنجاز كثيف ، إذاً أليس الأولى أن يثبت الإنسان مركزه عند الله ؟ والآية واضحة جداً :

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآَتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

[سورة البقرة:265]

هذا المعنى الأول ، المعنى الأول أن الإنسان إذا أنفق بإخلاص يثبت مركزه عند الله ، يقوي مكانته ، والنبي الكريم يقول : " ابتغوا الرفعة عند الله " ، أي لا تبتغوها عند الناس ، الإنسان فان ، والإنسان قد لا ينتبه ، قد لا يكافىء ، أي الإنسان ليس أهلاً لذلك ، قد يكون ليس أهلاً لتمحضه كل إخلاصك ، قد يكون غافلاً عن أعمالك، قد تكون إمكانيته لا تستوعب أعمالك ، قد ينسى ، قد يتشاغل عنك ، تُصاب بخيبة أمل ، لكن اجعل كل إخلاصك لله عز وجل ، هذا أول معنى .

2 . أي شيء تنفقه يعلمه الله :

المعنى الثاني :

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾

[سورة البقرة:270]

إذا الإنسان قدم هدية ، طبعاً الشيء الأساسي أن يعلم المهدى إليه أنها من فلان ، يضعون بطاقة أحياناً ، يضعون شريطاً أحياناً ، باقة ورد ، تقدمة من فلان ، أي من لوازم الهدية أن يُعلم من تقدم إليه أنها من فلان.

فربنا عز وجل هذه حاجة عند الإنسان ، يا ربي أنا هذا العمل مني ، هذه الحاجة مضمونة :

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾

[سورة البقرة:270]

3 . خير الإنفاق يعود على الإنسان يوم القيامة :

المعنى الثالث :

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾

[سورة البقرة:272]

هذا الإنفاق في ظاهره لله ، أما في حقيقته فلك ، سيعود خيره عليك ، إذا الإنسان أطعم لقمة في سبيل الله يراها يوم القيامة كجبل أحد ، لقمة إذا أطعمتها في سبيل الله ، فكيف بما فوق هذه اللقمة؟

4 . الخير يعود على الإنسان في الدنيا قبل الآخرة :

الشيء الأخير ؛ المعنى الرابع :

﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾

في الدنيا .

المعنى الأول : ثبت مركزك بالإنفاق ، المعنى الثاني : أي شيء تنفقه الله يعلمه ، المعنى الثالث : خير الإنفاق يعود عليك يوم القيامة ، والمعنى الرابع : وفي الدنيا وقبل الآخرة ، كل شيء تنفقه يعوضه الله عليك بنص هذه الآية ، وسبع آيات أخر حصراً :

﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة:272]

الشيء الخامس :

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[سورة البقرة:274]

معنى ذلك : ضمنت سلامة الماضي والمستقبل ؛ لا خوف عليهم فيما هم قادمون عليه ، ولا هم يحزنون على شيء تركوه ، هذه أكبر مكافأة .

العمل الذي يتناقض مع الطبع هو الذي يرقى بالإنسان :

النقطة الدقيقة : لما ربنا عز وجل قال :

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾

[سورة آل عمران:133]

المتقون كم صفة لهم ؟ مئات الصفات ، آلاف الصفات ، لماذا أغفلها الله كلها وأبقى واحدة ؟ قال:

﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾

[سورة آل عمران:133]

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾

[سورة آل عمران:134]

الإنسان أحياناً يعمل عملاً متوافقاً مع السنة ، لكن هذا العمل يتوافق مع مصلحته ، يقول لك : الزواج سنة يا أخي ، إذاً شيء جميل أن يبحث عن زوجة ، لأن الزواج سنة ، لكن الزواج شيء جديد بالنسبة لك ، شيء ممتع، أي إذا كان الشيء قد توافق مع طبعك ، لا ترقى به ولو وافق السنة ، أخي لماذا العمل ليس عبادة ؟ العمل ممتع ، إذا أنت لك مكتب ، وتعمل ، وتربح ، وعندك محاسبون ، وأرباحك جيدة ، العمل بحدّ ذاته ممتع ، أخي العمل أليس عبادة ؟

أحياناً يتوافق عملك مع السنة ، لكن ما الذي يرقى بك ؟ العمل الذي يتناقض مع طبعك ، الإنسان طبعه أن يقبض الأموال ، الإنفاق عكس طبعه ، الآن يرقى ، فالإنسان لا يرقى إلا بالإنفاق ، بالأخذ لا يرقى ، فلذلك : الله عز وجل بدأ بصفات المتقين ، لأنهم ينفقون في السراء والضراء .

الخواطر الإيمانية من قبل الملائكة والخواطر الشيطانية من قبل الشياطين :

كتعقيب على هذه الآيات أحياناً الإنسان تأتيه خواطر تخيفه من الإنفاق ، هذه الخواطر ليعلم علم اليقين أنها من الشيطان ، الدليل :

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾

إذا أنفقتم ، يقول لك : لا تنفق مالك ، احرص عليه ، ولا تكن مجنوناً ، يأتي الإنسان خاطراً أن الإنفاق جنان ، ولا أحد ينفعك إلا قرشك ، وخبئ قرشك الأبيض ليومك الأسود، هذا كله خواطر شيطانية :

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾

[سورة البقرة:268]

كل الشهوات يدعوك الشيطان إليها ، وكل الأعمال الصالحة ينهاك الشيطان عنها ، فكل إنسان تأتيه خواطر من هذا النوع ؛ إما دعوة إلى شهوة ، أو كف عن عمل صالح ، فهذه خواطر شيطانية، الخواطر الإيمانية من قبل الملائكة ، والخواطر الشيطانية من قبل الشياطين ، ومن نوع هذه الخواطر التخويف من الفقر ، والأمر بالفحشاء والمنكر .

محاسبة الإنسان عن كل معصية تخلّ بتوازن المجتمع :

ما من معصية الله عز وجل توعد عليها بحرب من الله ورسوله إلا معصية الربا ، لأن الربا ، المال يلد المال، وإذا ولد المال المال من دون أعمال ، تجمعت الأموال في أيد قليلة، وحرمت منها الكثرة الكثيرة ، يختل توازن المجتمع ، يصبح إنسان يملك مليوناً ، ومليون لا يملكون واحداً ، إذا اختل توازن المجتمع ، عمت الفوضى ، والثورات ، وأعمال العنف ، ودخل المجتمع البشري في سلسلة من أعمال العنف لا تنتهي ، لأن الأموال ولدت الأموال ، فأصبحت الكتلة النقدية ليست موزعة بين كل الناس ، ليس المال متداولاً بين الناس ، بين فئة قليلة ، وحينما يتداول المال بين فئة قليلة ، وتحرم منه الكثرة الكثيرة ، ممكن أن تفسر كل أعمال العنف في العالم من وراء هذا السبب ، أن الكتلة النقدية – المال – محصورة بأيد قليلة ، والكثرة الكثيرة محرومة ، فلذلك المعصية التي تؤدي إلى اضطراب المجتمع ، واختلال التوازن ، وإلى خروج الإنسان عن فطرته ، كما يقول الإمام علي: كاد الفقر أن يكون كفراً .

فإذا إنسان أخلّ بتوازن المجتمع ، فهذه معصية كبيرة جداً ، لذلك الله عز وجل توعد المرابين بحرب من الله ورسوله .

المرأة والرجل متكاملان وكل طرف كامل فيما خلق له :

هناك نقطة يعدها بعض الناس مأخذاً على الدين ، هذا المأخذ أن :

﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾

[سورة البقرة:282]

أن المرأة ناقصة ؟ الجواب : لا ، الجواب الدقيق : أنه ما زاد من عقل الرجل ، وقوة إدراكه ، واهتمامه بالقضايا العامة ، وما نقص من انفعاله ، واهتمامه بالقضايا الجزئية ، كمال فيه ، وما زاد من عاطفة المرأة ، واهتمامها بالقضايا الجزئية ، وما نقص من قوة إدراكها ، واهتمامها بالقضايا العامة ، كمال فيها .

فأحياناً يكون النقص كمالاً ، كما نقول : السيارة التي أعدت لنقل البضائع ، إذا نقصت مساحة الركاب ، وزادت مساحة البضاعة ، فهذا كمال في هذه السيارة ، أما الأخرى التي هي معدة لنقل الركاب ، فما زاد في مساحة الركاب ، ونقص في مساحة البضاعة ، كمال فيها ، فالمرأة والرجل متكاملان ، وكل طرف كامل فيما خلق له ، لذلك المرأة أحياناً حياؤها يمنعها أن تدقق ، حياؤها يمنعها أن تدقق في بعض الجرائم ؛ جريمة قتل مثلاً ، جريمة جنسية ، شدة حيائها ، وخجلها – كما يقولون– تمنعها أن تدقق ، لذلك يجب أن تكون

شهادتان مقابل شهادة رجل ، ليس هذا انتقاصاً من مكانتها ، بل هي عند الله عز وجل كالرجل تماماً في التكليف ، والتشريف ، والمسؤولية .

لا يكلف الله نفساً إلا وسعها :

آخر شيء بالآيات :

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾

[سورة البقرة:286]

أحب من أخواننا الكرام أن ننتزع من ذهنهم نهائياً أن هذا التكليف فوق طاقتنا ، غض البصر صعب يا أخي، النساء ، الطرقات ملأى بالنساء ، أين أذهب بعيوني ؟

إله حينما يأمر ؛ هو الذي خلق الإنسان ، هو الذي يعرف قدراته ، هو الذي يعرف وسعه ، فإياك أن تقول : هذا الأمر فوق طاقتي ، لو أنه فوق طاقتك لما أمرك الله به ، أي أمر، أداء الصلوات الخمس ، يا أخي خمس صلوات المغرب وقته ضيق ، ما دام الله أمرك بهذا الأمر فهذا الأمر ضمن طاقتك ، فكل خاطر يأتي به الشيطان ، أي يا أخي الأمور معقدة بالإسلام ، الصلوات كثيرة ، وغض البصر صعب ، لا :

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾

[سورة البقرة:286]

الوسع لا تحدده أنت ، بل يحدده خالق الإنسان – الوسع– وما كلفك إلا ما أنت قادر عليه .

الفرق الكبير بين كسب واكتسب :

الشيء الأخير :

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾

[سورة البقرة:286]

الإنسان له الكسب ؟ نعم ، أما الاكتساب فغير الكسب ؛ اكتسب الشيء أي أصبح ملكه ، فأنت إذا أردت أن تعمل صالحاً ، الله يمدك بالقوة ، الله عز وجل يمدك بالقوة ، فلك الأجر والقوة منه ، وإذا أراد ربك إظهار فضله عليك ، خلق الفضل ونسبه إليك ، لكن :

﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾

[سورة البقرة:286]

لمجرد أن تعمل عملاً صالحاً ، سجل لك ، أما العمل السيئ فاكتسبته ؛ ينبغي أن تصر عليه ، وينبغي ألا تندم، إذا ندمت لا يسجل ، إن لم تصر عليه لا يسجل ، أما إذا لم تندم عليه ، وأصررت عليه ، واستخرت به ، وقلت: ماذا فعلت ؟ معنى هذا أنت مصر :

﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾

[سورة البقرة:286]

فالفرق بين كسب واكتسب فرق دقيق جداً .

محاسبة الله لعباده و رحمته بهم :

والنقطة الدقيقة والأخيرة في هذه السورة :

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾

هناك مرض ؛ إن ذكرته ، أو أخفيته ، لا بد من أن تحاسب عليه ، رحمة بك، فالطبيب الأب لا ينتظر أن يكون ابنه ذا لون أصفر ليقول : معه دود ، يأتيه بالدواء ، أي الأب الرحيم لا ينتظر أن يشكو ابنه مرضاً ، هو يلاحظ، فلذلك :

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[سورة البقرة:184]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (04- 49) : المحكم والمتشابه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

الفرق بين الآيات المحكمات والآيات المتشابهات :

أيها الأخوة الكرام ؛ ربنا سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾

[سورة البقرة :143]

فالإسلام من أولى خصائصه الوسطية ، والحق دائماً وسط بين طرفين ، هناك من يؤمن بالتغير المطلق ، وهناك من يؤمن بالثبات المطلق ، وكلا الاتجاهين منحرف عن الصواب.

فالله سبحانه وتعالى حينما قال :

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آَيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾

[سورة آل عمران :7]

فما الفرق بين المحكمات وبين المتشابهات ؟ في الأعم الأغلب أن الآية المحكمة آية لا تحتمل إلا معنى واحداً ، آية قطعية الدلالة ، آية لا يستطيع المجتهد أن يعمل فيها ، آية لا يختلف فيها اثنان ، فالأشياء الثابتة في حياة الإنسان ، القيم الثابتة ، الأشياء التي هي سبب سعادته ، والأشياء التي هي سبب هلاكه ، جاء الأمر بها ، والنهي عنها بآيات محكمة ؛ أصول الدين ، عقائد الدين ، الأوامر ، النواهي ، الحلال ، الحرام ، الحق ، الباطل، الخير ، الشر ، هذه كلها قيم ثابتة ، لذلك :

جاء التعبير عنها بآيات محكمة ، أما الأمور التي هي خاضعة للتطور والتبدل ، بحسب الظروف ، والمعطيات، والبيئات ، والتقدم العلمي ، والتخلف ، والازدهار الاقتصادي ، إذا كان هناك شيء في الإسلام متغيراً ففي الآيات المتشابهات ، ومعنى متشابهات أي أن هذه الآيات تحتمل عدة معان ، والله سبحانه وتعالى أراد كل المعاني ، أراد كل المعاني ، رحمة بالعباد ، وتمشياً مع التطور ، ومع التغير ، فالإسلام لا يؤمن بالثبات المطلق، والإسلام لا يؤمن بالتغير المطلق .

أخطر نظرية تهدم الأديان : نظرية التطور العلمي ، أي كل شيء نسبي ، ما هو حق هنا باطل هنا ، ما هو حلال هنا حرام هنا ، فالإسلام وسطي ، فكل من أخذ من الإسلام جانباً متطرفاً ، فقد حاد عن الصواب، وحاد عن سواء السبيل .

فالآيات المحكمات هي أم الكتاب ، آيات قطعية الدلالة ، لا تحتمل الاجتهاد ، هي الآيات المتعلقة بأصول العقائد ، ومتعلقة بأصول الأحكام ، وأصول الدين ، هي الآيات المتعلقة بالحلال والحرام ، بالأمر والنهي ، لذلك لا يختلف عالمان في آية محكمة ، لا يختلف مجتهدان في آية محكمة ، لكن الآيات الظنية الدلالة ، إذا اجتهد فيها المجتهدون ، واختلفوا ، اختلافهم اختلاف رحمة ، واختلاف تنوع وغنى ، وليس اختلاف تضاد وتناقض .

فمن رحمة الله بالأمة أن جعل بعض الآيات القرآنية ظنية الدلالة ، كي يجتهد المجتهدون ، فيرى كل مجتهد رأياً من زاوية ، فكل هذه الآراء أرادها الله عز وجل ، وقبل أن نعبده بها ، فلذلك أي عبادة ، أو أي سلوك ، أو أي موقف ، وافق أحد المذاهب الشرعية المعتمدة فهو مقبول ، هذه نقطة متعلقة بهذه الآية الكريمة .

النصر من عند الله و الله دائماً مع المؤمنين :

يوجد آية قرآنية ، لو قرأها الكفار ، لشلت قواهم ، لو صدقها المؤمنون تصديقاً كما أراد الله ، لارتفعت معنوياتهم، هذه الآية قرار إلهي أبدي . قال تعالى :

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾

[سورة آل عمران: 12]

كلام خالق الكون ، لذلك :

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[سورة آل عمران:139]

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾

[سورة آل عمران:12]

أي في الدنيا يغلبون ، وفي الآخرة يحشرون إلى جهنم ، لأن الله مع المؤمنين ، فنحن كل ما في وسعنا أن نكون كما أراد الله ، كي يكون الله معنا .

فكنت أدعو في بعض الخطب :

((اللهم انصرنا على أنفسنا ، حتى نستحق أن تنصرنا على أعدائنا))

لأن النصر من عند الله ، والله سبحانه وتعالى هو الذي ينصر .

الشهوات دوافع حياديّة :

الشيء الثاني ؛ قال تعالى :

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾

[سورة آل عمران:14]

إلى آخر الآية . . .

أيها الأخوة ؛ لا أحد يفكر هذا التفكير الذي يقوله معظم الناس : لو أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق فينا هذه الشهوات لما عصى أحد ربه ، لولا حواء لما عصى إنسان ربه ، هكذا، هذا كلام ليس له أصل ، لأن الشهوة محرك ، والعلم مقود ، لولا الشهوة لا يوجد سير إلى الله عز وجل ، أنت بالشهوة تتحرك ، فكيف تتقرب من الله ؟ لولا هذه الشهوات لما تقربت إلى الله ، إنك بهذه الشهوات تكفها عن الحرام ، وتتوجه نحو الحلال ، تتقرب مرتين؛ مرة بورعك وبخوفك، ومرة بشكرك ، إذاً : لا أحد يتهم الشهوات ، إنها دوافع حيادية ، يمكن أن ترقى بها ، ويمكن أن تهوي بها ، يمكن أن تكون درجات ترقى بها إلى أعلى عليين ، ويمكن أن تكون دركات يهوي بها الإنسان إلى أسفل سافلين :

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

[سورة التين:4]

فإذا ما عرف الإنسان ربه ، وما طبق منهجه ، وأساء إلى خلقه :

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾

[سورة التين:5]

فالإنسان يصعد ، أو يهوي ، والشهوات التي أودعها الله فيه قوى حيادية ، يمكن أن تتخذها وسائل للاتصال بالله عز وجل ، لذلك :

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾

[سورة آل عمران:14]

لولا الشهوات لما ارتقينا إلى رب الأرض والسموات .

الخصومات الداخلية أخطر ما يهدد المسلمين :

هناك نقطة مهمة جداً ، وهي تحل مشكلات المسلمين اليوم ؛ الاختلاف بين المسلمين قد يكون اختلاف وجهات نظر ، هذا اختلاف فكري ، مقبول على العين والرأس ، وهذا دليل حيوية المسلمين ، ودليل طموحهم نحو معرفة الحق المعرفة التامة ، فإن اختلف المسلمون فيما بينهم ، بسبب اختلاف وجهات نظرهم ، هذا شيء مقبول ، وهذا الخلاف أحياناً تجده بين التابعين ، وبين الصحابة الكرام ؛ أن تختلف معي في الرأي ، وأن أختلف معك في الرأي ، هذا لا يقدح لا فيك ولا في ، شيء طبيعي أن نتفق في الأصول ، وأن نختلف في الفروع ، لكن الخلاف الذي ذمه الله عز وجل ليس خلاف وجهات النظر ، ولكنه خلاف الحسد ، استمعوا إلى قوله تعالى :

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾

[سورة آل عمران:19]

اختلافهم بسبب البغي ؛ أي الحسد ، لذلك : نعوذ بالله أن نختلف مع مؤمن حسداً ، يمكن أن نختلف معه عقيدة، أما أن يختلف مسلم مع مسلم حسداً ، فهذا الخلاف من الشيطان. وقال تعالى:

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾

[سورة الأنفال:46]

تفشلوا ؛ أي تضعفوا ، وتذهب ريحكم ؛ أي تصبح سمعتكم في الحضيض ، فهؤلاء الذين حاربوا أكبر دولة في أقصى آسيا ، وانتصروا عليها ، وكنا نفتخر بهم ، لما تقاتلوا فيما بينهم سقطوا ، أصبحوا في الوحل :

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾

[سورة الأنفال:46]

أي أخطر ما يهدد المسلمين الخصومات الداخلية ، المحاور الداخلية ، هذا لا يرضي الله عز وجل، لذلك الإنسان قبل أن يقول : أنا ضد فلان ليتبصر ؛ هل خلافه معه خلاف حسد أم خلاف وجهة نظر ؟ إن كان خلاف وجهة نظر ، نحترم الاثنين ، كما قال الشافعي : " نتعاون فيما اتفقنا ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا".

اتفاق الأئمة حجة قاطعة ، واختلافهم رحمة واسعة . الذي أريد أن أحذر منه ألا تختلف مع أخيك بسبب الحسد، والحسد صفة ذميمة في الإنسان ، وألا نختلف بالأصول ، وألا نختلف بالأصول شيء بديهي طبعاً ، بارك الله بك .

تشابه الأديان بالتماس المقصر الحجج الواهية التي يغطي بها تقصيره :

اليهود قالوا :

﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ﴾

[سورة آل عمران:24]

والمسلمون المقصرون يقولون : النبي يشفع لنا ، أي الأديان كلها تتشابه بأن المقصر يلتمس حجة واهية يغطي بها تقصيره ، الشفاعة حق ، وفيها أحاديث صحيحة ، ولكن لا ينالها إلا من مات غير مشرك ، فلذلك الله عز وجل قال :

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾

[سورة آل عمران:24]

أما المفاجأة فإذا طالب توهم أن الأستاذ يعطي الأسئلة بهدية ثمينة ، ولم يدرس طوال السنة ، ثم فوجىء أن هذا الأستاذ نبيه جداً ، وأن هذا الطلب أبعد إليه من برج السماء ، متى عرف الحقيقة ؟ بعد فوات الأوان يصعق بهذه الحقيقة . ربنا عز وجل يقول :

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

[سورة آل عمران:25]

لا تتوهم أنه ممكن أن تعمل السيئات ، وغيرك لا ينام الليل في الصلاة ، والصيام ، وخدمة الخلق ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وغض البصر ، وتحرير الدخل ، وإنفاق المال في سبيل الله ، إياك أن تتوهم أن تكون معه في درجة واحدة يوم القيامة :

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

[سورة الجاثية:21]

من السذاجة ، والبلاهة ، والغباء ، والجهل الكبير أن تتوهم أنك إذا فعلت السيئات، والنبي شفع لك ، أصبحت مع الذي عمل الصالحات ، أين عدالة الله عز وجل ؟ انظر الآية ما أدقها! :

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

[سورة آل عمران:25]

الشر المطلق لا وجود له إطلاقاً :

هناك آية هنا في القرآن تثبت أن الشر المحض لا وجود له إطلاقاً :

﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾

[سورة آل عمران:26]

﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾

[سورة أل عمران:26]

كل هذا خير ، يوجد عندنا شر نسبي ، شر نسبي ، وشر مطلق ؛ المطلق هو الشر من أجل الشر ، هذا ما دام الله موجوداً لا وجود له ، الأمر كله بيد الله عز وجل ، لكن هناك شراً نسبياً علاجياً .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (05- 49) : الاعتصام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

سرّ الرقي عند الله وسرّ دخول الجنة أن ينفق الإنسان مما يحب :

أيها الأخوة ؛ في الآيات التي قرئت البارحة ، بعض الآيات ذات أهمية كبيرة جداً ، فالله سبحانه وتعالى يقول:

﴿لَنْ﴾

قبل أن نتابع الآية ؛ لن : تفيد تأبيد النفي ، لم : تفيد نفي الماضي ، ولما : تفيد نفي الحاضر ، ولن : تفيد نفي المستقبل ، أو تأبيد النفي . قال تعالى :

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾

[سورة آل عمران: 92]

أي من السذاجة ، والغباء ، والجهل الفاضح أن تتصور أن جنة عرضها السموات والأرض ، تنالها بثمن بخس :

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾

[سورة آل عمران: 92]

فإذا كان المال مما تحبه ، فلن تنال البر حتى تنفق المال ، وقتك ضيق جداً ، لن تنال البر حتى تنفق من وقتك وقتاً لمعرفة الله ، ووقتاً لطلب العلم ، ووقتاً لخدمة الخلق ، ووقتاً للدعوة إلى الله ، وإذا كانت مكانتك عالية جداً ، ورأيت مظلوماً ، وبإمكانك أن تنصفه ، لن تنال البر حتى تنفق من جاهك الذي متعك الله به .

فهذه الآية تبين أن سرّ الرقي عند الله عز وجل ، وسرّ دخول الجنة أن تنفق مما تحب ، الشيء الذي تحبه ينبغي أن تنفقه في سبيل الله ، كي ترقى ، والتكليف سمي تكليفاً لأنه ذو كلفة ، والتكليف يتناقض مع الطبع، ويتوافق مع الفطرة ، يتناقض مع الطبع ، الطبع أقرب إلى المادة ، الطبع يتجه نحو النوم ، والتكليف نحو الاستيقاظ ، الطبع نحو أخذ المال ، والتكليف نحو إنفاق المال ، الطبع إطلاق البصر ، والتكليف غض البصر :

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾

[سورة آل عمران: 92]

إذا لم توطن نفسك أن تضبط الشهوات ، وأن تضبط الميول ، وأن تفعل ما يرضي الله ، ولو خالفت هواك ، فلن تصل إلى شيء ، لن تنالوا البر من الله – العطاء – أي مطلق العطاء ، البر الجنة ، توفيق الله في الدنيا ، الاتصال بالله :

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾

[سورة آل عمران: 92]

هذه حقيقة ، حقيقة على شكل قانون ، لن : تفيد تأبيد النفي .

الله عز وجل يحبّ المؤمنين متعاونين و متفاهمين :

الحقيقة الثانية : أن أعداء الدين منذ أن ولد الإنسان حتى نهاية الدوران ، لهم سياسة ثابتة ، وهي إيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين ، ففي عهد النبي عليه الصلاة والسلام اليهود في المدينة ، حينما رأوا الأوس والخزرج قد توافقوا ، وتحاببوا ، وائتلفوا ، وتناسوا ما بينهم من عداوات سابقة ، وأصبحوا أخوة كراماً ، اعتصموا بحبل الله جميعاً ، هذا الوئام والوفاق آلمهم أشدّ الألم ، فأرسلوا أحد غلمانهم ، ليذكر الأوس بقصيدة قالها بعض الخزرج في ذمهم في الجاهلية ، هذه القصيدة تليت عليهم ، أخذت بعضهم الحمية ، وكانوا حديثي عهد بالإسلام ، فتلاسن القوم ، تماسك القوم ، سلوا سيوفهم ، كادت تقع فتنة بين الأوس والخزرج ، بسبب هذه القصيدة التي ألقيت على مسامعهم ، بدافع من أحد يهود المدينة ، فقام النبي عليه الصلاة والسلام وقال :

((أتفعلون هذا وأنا بين أظهركم؟))

وعنفهم أشدّ التعنيف ، لكن آيات كريمة نزلت في هذه الحادثة :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾

[سورة آل عمران:100]

دقة الآية أن الله وصف العداوة بين المؤمنين كفراً :

﴿يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾

[سورة آل عمران:100]

مرة ثانية :

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آَيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾

أي كيف تختصمون ؟ فالإنسان قبل أن يخاصم مؤمناً ، قبل أن يفرق المؤمنين ، قبل أن يجعل المؤمنين شيعاً وأحزاباً ، قبل أن ينتمي إلى مجموعة صغيرة ، ويكفر البقية ، قبل أن ينتقص من قيمة المؤمنين الآخرين ، قبل أن يطعن بإيمان المؤمنين ، قبل أن يفرق جماعة المؤمنين ، قبل أن يفعل هذا ، ليقرأ هذه الآية :

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آَيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

[سورة آل عمران:101]

الله ﷻ لا يرضيه إلا أن نكون متحدين ، متعاونين ، متفاهمين .

((وَجَبَتْ محبَّتي للمُتَحَابِّينَ فيَّ ، والمُتجالِسينَ فيَّ ، والمُتزاورينَ فيَّ ، والمتباذلينَ فيَّ ، المتحابُّون في جلالي لهم منابرُ من نُور ، يغبِطهم النبيُّون والشهداءُ))

[الترمذي ومالك عن معاذ بن جبل]

أي أنت كن أداة توفيق ، أداة جمع ، عليك أن تلم الشمل ، أن ترأب الصدع ، أن تقرب وجهات النظر ، أن تزيل هذا الجفاء بين المؤمنين ، أما إذا عمقت الخلاف ، وآثرت العداوة والبغضاء ، فأنت تفعل شيئاً سماه الله في القرآن الكريم كفراً :

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آَيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾

[سورة آل عمران:101]

التمسك بالأصول و البحث عن القواسم المشتركة دائماً :

إلا أن هذا اللقاء ؛ لقاء المؤمنين ، تعاون المؤمنين ، يحتاج إلى سبب ، أما بلا سبب فليس له معنى . قال تعالى :

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾

[سورة آل عمران:103]

القرآن واحد ، الدين واحد ، النبي واحد ، السنة واحدة ، الأهداف واحدة ، الوسائل واحدة ، ما دام هناك شيء يوحد بيننا ، هذا الذي ينبغي أن نتمسك به ، لذلك ينبغي أن نبحث عن القواسم المشتركة دائماً لا على الخلافيات.

أي أنت بإمكانك أن تدعو إلى الله خمسين عاماً ، وأنت في المتفق عليه لا في المختلف عليه ، أليس في هذا الدين جذع واحد جامع ؟ ابق في هذا الجذع الواحد الجامع الموحد ، هذا هو القاسم المشترك ، وإياك أن تصل إلى الخلافيات ، كما قال الشافعي : " نتعاون فيما اتفقنا ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا ".

أن تختلف وجهات النظر ، هذا شيء مقبول ، وشيء طبيعي ، وشيء صحي في الأمور الفرعية ، أما الأصول فهي واحدة :

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾

[سورة آل عمران:103]

الدعوة إلى الله ينبغي أن تكون على علم :

الآن : هناك أمر قطعي الدلالة . يقول الله عز وجل :

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾

[سورة آل عمران:104]

اللام : لام الأمر ، أما من فتفيد التبعيض ، أي الإنسان إذا دعا إلى الله ، ينبغي أن يدعو على علم ، لأن العوام – كما قال الغزالي – لأن ترتكب الكبائر ، أهون عند الله من أن تقول على الله ما لا تعلم .

الدعوة إلى الله من غير علم خطيرة جداً ، لأن الدعوة إلى الله بناء للنفوس ، فإذا بنيت النفوس بناء غير صحيح، شوهت النفوس ، فلذلك : الدعوة إلى الله ينبغي أن تكون على علم ، إذا الإنسان لا يحسن الدعوة إلى الله ، ليتقن عمله الذي أقامه الله به ، وليخلص أداء هذا العمل ، وليقصد به خدمة المسلمين ، وليدع الدعوة إلى الله لأهلها ، لأن هنا من للتبعيض ، لم يقل : وادع إلى الله جميعاً . قال :

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾

[سورة آل عمران:104]

قانون الخوف :

النقطة الدقيقة جداً : قانون الخوف ، الخوف شيء مدمر ، الإنسان عندما يخاف من شيء مدمر ، هذا الخوف هو الذي يدمر سعادة الإنسان ، أي قد يكون إنسان ينعم بأعلى درجة من المال ، والغنى ، والجاه ، لكن في قلبه خوفاً ، هذا الخوف يفسد عليه سعادته ، انتهى، أنت من خوف الفقر في فقر ، وأنت من خوف المرض في مرض ، وتوقع المصيبة مصيبة أكبر منها ، إذا أردت القانون ، قانون الخوف في القرآن الكريم، اسمع الآية :

﴿سَنُلْقِي﴾

الخوف : شيء يخلقه الله ، يخلق :

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾

السبب ، القانون :

﴿بِمَا أَشْرَكُوا﴾

[سورة آل عمران:151]

الباء : باء السببية ، أي كل إنسان أشرك بالله ، عقاب له على شركه يلقي الله في قلبه الخوف :

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً﴾

فالإنسان يطمئن بقدر توحيده ، ويخاف بقدر شركه ، يطمئن إذا وحد . الله عز وجل قال :

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾

[سورة الشعراء:213]

أنت مطمئن بقدر توحيدك ، وأنت خائف بقدر شركك ، قانون .

والحقيقة أدق الآيات في كتاب الله هي الآيات التي تأخذ شكل القانون .

قانون الانفضاض و الالتفاف :

هناك قانون ثالث ؛ الباء أحياناً لها أكثر من عشرة معان ، من أبرز معانيها : السببية ، أي بتأخرك عن الدوام ، خصمت لك هذا الراتب ، أي سبب خصمي هذا الراتب تأخرك عن هذا الدوام :

﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ﴾

[سورة النساء:160]

الباء : باء السبب . الله عز وجل يقول :

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾

لينك ، ولطفك ، ومودتك ، وتبشيرك لا تنفيرك ، التيسير لا التعسير ، التواضع ، كل صفات النبي الكاملة ترِد في هذه الآية ، إلى رحمة استقرت في قلب النبي :

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾

إذاً بعد أن لنت لهم ، أقبلوا عليك ، وهفت قلوبهم إليك ، وأحبوك ، واجتمعوا حولك ، ونفذوا أمرك، وفدوك بمهجهم ، لأنك لنت لهم ، لأن في قلبك رحمة استقرت في قلبك ، العكس :

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً ﴾

لو أن هذه الرحمة انعدمت في قلبك ، لكنت فظاً غليظ القلب ، وحينما تكون فظاً غليظ القلب ، ينفض الناس من حولك ، قانون ثان ، اتصال بالله ، رحمة ، لين ، اجتماع القلوب حولك ، انقطاع عن الله ، قسوة ، فظاظة ، نفور الناس منك ، فإذا أردت أن تهفو القلوب إليك فاتصل بالله ، كي تستقر الرحمة في قلبك ، كي تكون ليناً ، عندئذ يجتمع الناس حولك :

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾

[سورة آل عمران:159]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (06- 49) : خطوات الشيطان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

مخاطبة الناس بأصول الدين و مخاطبة المؤمنين بفروع الدين :

ربنا سبحانه وتعالى في القرآن الكريم كما قلت قبل يومين : يخاطب الناس بأصول الدين ، ويخاطب المؤمنين بفروع الدين ، فإذا قال الله عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾

[سورة البقرة:21]

أما إذا قال :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾

[سورة البقرة:183]

وفي هذا تعليم لنا ؛ أنك إذا خاطبت منكراً للدين ، عليك أن تخاطبه بالأصول لا بالفروع ، وهناك مغالطة دقيقة جداً ، تقع بين مسلم يتحاور مع غير مسلم ، يقول له مثلاً : أثبت لي أنه لا وجود الجن أو الملائكة ؟ ليس هناك دليل على وجود الجن والملائكة ، إلا الدليل النقلي الذي جاء في القرآن الكريم ، وهو ينكر أصل الدين ، فلذلك : ربنا سبحانه وتعالى خاطب الناس بأصول الدين ، وخاطب المؤمنين بفروع الدين ، هذه حقيقة ، وفي الوقت نفسه تعليم لنا ، ولكن حينما قال الله عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾

[سورة البقرة:168]

معنى ذلك أن هذا المنهج الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام ، أو جاء في القرآن الكريم ، هو العلاقة بين تطبيقه ونتائجه و هذه العلاقة علاقة علمية ، بمعنى أن أي إنسان لو أنكر أصل الدين ، لو طبق في حياته منهج الله عز وجل ، لقطف الثمار في الدنيا ، وهذا الذي نشاهده الآن .

التمسك بمنهج الوسطية :

العالم قبل عقد من الزمن ، كان منقسماً إلى فريقين ؛ فريق آمن بالفرد على حساب المجموع ، وفريق آمن بالمجموع على حساب الفرد ، وكلا الفريقين تفرق ، ثم إن كلا الفريقين عاد إلى الدين ، لا عن إيمان به ، ولا عن اعتقاد بالذي أنزله ، إلا أن معطيات العلم وحدها أكدت أن خير منهج للبشر هذا المنهج المتوسط في كل شيء ، ليس هناك إفراط ولا تفريط ، ليس هناك مبالغة ولا تسييب ، هذا المنهج الوسطي . قال تعالى :

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾

[سورة البقرة:143]

مثلاً النبي عليه الصلاة والسلام أمرنا بالختان ، الآن أكثر الجهات العلمية في أوروبا ، وأمريكا ، تختن المواليد ، السبب لأن نسب سرطان عنق الرحم في البلاد الإسلامية يكاد يكون معدوماً ، أو قليلاً جداً ، سرطان الأعضاء المذكرة ، وعنق الرحم في العالم الإسلامي ، يكاد يكون معدوماً .

الاتحاد السوفييتي قبل أن ينحل إلى دول عديدة ، أصدر قانوناً بتحريم الخمر ، لأنه آمن بالله ؟ لا والله ، لكن لأنه وجد أن هذا الشراب يضعف القدرة الإنتاجية في المجتمع ، ويسبب جرائم لا نهاية لها ، فأصدر قانوناً في تحريم الخمر قبل سنوات تقريباً ، حتى أن أي احتفال في سفارة تابعة للاتحاد السوفييتي سابقاً لم تقدم الخمر في احتفالها الرسمي ، لا لأنهم آمنوا بالله ، بل لأن العلاقة بين الأمر ونتيجته علاقة علمية ، أي كل أمر فيه بذور نتائجه ، وكل نهي فيه بذور مخاطره ، فلذلك هذا المنهج لو أن إنساناً عادياً ، ليس مؤمناً بالله عز وجل ، ولا باليوم الآخر ، طبقه ، لسعد في دنياه وأخراه .

أُرسلت لجنة من الأمم المتحدة إلى العالم الإسلامي ، منطلقين من أن المرأة المسلمة مظلومة ، ومقهورة ، ومضطهدة ، فأرادوا أن يستطلعوا ، خمس نساء ، لهم مشرفة ، وأربع نساء معها لجنة طافت العالم الإسلامي لفترة طويلة ، من أجل أن تقف على حقيقة وضع المرأة المسلمة ، النتيجة أن هذا الوفد المؤلف من خمس نساء كلهن أسلمن بالضبط .

الإحصاءات الدقيقة الآن أن العالم الإسلامي ، أو الجاليات المسلمة في أوروبا ، وأمريكا ، أقل نسب الجرائم فيها، تتمتع بأعلى دخول ، واستقرار أسري ، وأقل انحراف ، الدول الإسلامية تعد الحزام الأخضر لمرض الإيدز، الحزام الأخضر ، المنطقة العازلة . أي :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً﴾

[سورة البقرة:168]

العلاقة بين المنهج ونتائجه علاقة علميّة :

منهج الله عز وجل لو طبقه الملحد ، لو طبقه الكافر ، لو طبقه كافر بالله ، كافر باليوم الآخر ، لقطف ثماره، السبب لأن العلاقة بين هذا المنهج ونتائجه علاقة علمية ، علاقة سبب بنتيجة .

كتاب شهير جداً ، اسمه : " الإنسان ذلك المجهول " قد لا تصدقون أن في ثنيات هذا الكتاب ، كلمة تقول :

((إن خير نظام للبشرية أن يقصر الرجل طرفه على زوجة واحدة))

أي غض البصر الذي ورد في كتاب الله ، لماذا الإنسان يشعر بالسعادة في بيته ؟ لأنه ليس في عالمه إلا زوجته ، ليس له حق أن ينظر لغيرها ، إلا المحارم طبعاً .

مدير السجون بأمريكا ، حينما تقاعد من عمله ، كتب وصية لرؤسائه ، يقول : دعوا السجون للمسلمين ، إنهم أقدر على إدارتها ، وعلى تربية المساجين فيها ، وهو كسلوكي متعصب ، قال : دعوا السجون للمسلمين .

العالم الآن مما يلفت النظر رأى أن الحل في هذا الدين ، الخلاص في هذا الدين ، ما من نظام وضعي إلا ثبت إخفاقه المريع والشديد ، لذلك : في آية واحدة يبين الله عز وجل أن هذا المنهج ليس المقصود الحلال الطيب فقط، أراد الجزء ، وعنى بالكل ، هذا شيء من المجاز العقلي . مثلاً:

﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آَذَانِهِمْ﴾

[سورة البقرة:19]

الآذان لا تتسع إلا لإصبع واحدة ، هنا أراد الكل ، لفظ الكل ، وأراد الجزء .

أحياناً : يقول الأول للثاني : أريد نقطة ماء بالله عليك ، هل يعطيه قطارة ويقول له: خذ نقطة ماء، يأتيه بكأس من الماء ، هو ذكر الجزء ، وأراد الكل ، هذا مجاز عقلي ، فلذلك : الله عز وجل ذكر الحلال الطيب ، وأراد كل منهج الله عز وجل ، أي إنسان ، ولو كان كافراً بالله عز وجل ، لو طبق قواعد الإسلام ، لقطف ثمارها ، لكن الفرق بين إنسان بعقله ، وذكائه ، وخبرته ، وتجربته ، يطبق منهج الله عز وجل ، ويقطف ثماره ، هذا الإنسان ينتفع بهذا المنهج في الدنيا فقط :

﴿مَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾

[سورة البقرة:102]

وهذا شأن الأذكياء ، أحياناً يلتقون مع المؤمنين ؛ في تصرفاتهم ، في اعتدالهم ، في توازنهم ، في صفات يرونها أكمل لهم ، لكن البواعث مختلفة ، المؤمن لما يطبق منهج الله في دنياه ، باعثه طاعة الله عز وجل ، باعثه عبادة الله عز وجل ، باعثه التقرب إلى الله عز وجل ، هذا يكسب الدنيا والآخرة معاً ، أما الذي يطبق منهج الله من أجل مصلحته ، فهذا يكسب الدنيا :

﴿مَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾

[سورة البقرة:102]

من طبق منهج الله عز وجل قطف ثماره :

الآن : الأطباء إذا رأوا أن امرأة مصابة بمرض اسمه : انقلاب الرحم ، بماذا ينصحونها ؟ بحركات رياضية كالصلاة تماماً .

علماء الرياضة بالسويد ، أرادوا أن يضعوا تمرينات يقوم بها كل إنسان في كل عمر، وفي كل مكان ، وفي كل زمان ، تستوفي حركة العضلات كلها ، والمفاصل ، فصنعوا تدريبات أقرب إلى الصلاة من أن تكون تمرينات رياضية .

النبي –عليه الصلاة والسلام– عندما سنّ لنا هذه الصلاة ، كل المفاصل تتحرك في الصلاة ، فهذا منهج عظيم، منهج كريم ، إلا أنه ليت الإنسان يطبقه عن إيمان بخالقه ، يكسب الدنيا والآخرة .

من آثر دنياه على آخرته خسرهما معاً ، ومن آثر آخرته على دنياه ربحهما معاً .

فهذه الآية خرجت عن هذه القاعدة ، لتبين أن هذا المنهج موضوعي ، وأي إنسان لو كان ملحداً ، وطبق هذا المنهج ، يقطف ثماره .

أي إذا إنسان لا عن إيمان ، ولا عن أي اعتقاد بخالق الأكوان ، غض بصره عن غير زوجته ، من لوازم غض البصر أن يسعد بزوجته ؛ لو تحرى الصدق ، والأمانة ، ترتفع مكانته ، يعلو شأنه بين الناس ، لذلك مثلاً : الإنسان إذا أدى زكاة ماله ، لو أن أغنياء كل بلد أدوا زكاة مالهم ، هناك كتلة نقدية كبيرة جداً ، الرقم قد لا تصدقونه ، لو أن أغنياء المسلمين دفعوا زكاة أموالهم ، نحن أمام رقم فلكي ، رقم فلكي يحل كل مشكلات الفقراء، إذاً هذا الفقير إذا أعطيته مالاً ، ماذا يصنع به ؟ سيشتري به الملابس ، والطعام ، والحاجات ، والأجهزة، والأدوات ، عاد الخير على الذين دفعوا الزكاة ، هذا منهج ، أي إذا أدى الأغنياء زكاة أموالهم ، لم تكسد بضاعتهم .

والغربيون بذكائهم فقط ، ماذا يعملون ؟ يقدمون مساعدات للدول الفقيرة ، من أجل أن تشتري من بضاعتهم ، تتحرك مصانعهم ، وينشط اقتصادهم ، هذه المساعدات لا يقدمونها لوجه الله ، ولكن لوجه مصالحهم ، فلو تحرينا منهج الله عز وجل في كل الأمر والنهي ، لوجدنا أن هذا المنهج موضوعي ، بمعنى أن كل إنسان لو طبقه ، لقطف ثماره :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً﴾

[سورة البقرة:168]

وبعضهم قال : ربنا عز وجل رحيم ، حتى بالكافر ، فإذا خسر الآخرة ، فلا أقل من أن يكسب الدنيا ، طبق منهج الله في الدنيا ، من أجل أن تستريح ، هؤلاء الذين خرجوا عن منهج الله ، يدفعون الثمن باهظاً ؛ إن في سعادتهم البيتية ، وإن في عملهم ، وإن في مستقبل حياتهم ، والمعاصي – كما ترون أيها الأخوة – تقصف عمر الإنسان ، وتؤدي به إلى المهالك ، والله عز وجل قال :

﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى﴾

[سورة البقرة:5]

على تفيد الاستعلاء ، الهدى على أنه قيد فيما يبدو ، يرفع المهتدي إلى أعلى عليين ، والفسق والفجور على ما يبدو من تفلت وحرية ، يدخل الفاسد في ضيق ، في قيد :

﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

[سورة الزمر:22]

على تفيد العلو ، وفي تفيد دخول شيء بشيء .

هذه الآية التي شذت عن القاعدة ، بأن الله عز وجل يخاطب عامة الناس بأصول الدين ، بينما يخاطب الخاصة المؤمنين بفروع الدين ، هذه الآية خاطبت العامة بفروع الدين ، تنويهاً بهذه الحقيقة أن هذا منهج موضوعي ، لو طبقته لقطفت ثماره .

طرق للوصول إلى الله عز وجل :

هناك شيء أخير أنك إذا رأيت منهج الله يعطي كل هذه الثمار ، ربما عرفت الله من منهج الله عز وجل ، له ثلاث طرائق للوصول إليه ؛ خلقه يدل عليه . قال تعالى :

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

[سورة آل عمران:190]

الآية معروفة ، وأفعاله تدل عليه . قال :

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾

[سورة الأنعام:11]

هذا طريق ثان ، الطريق الثالث : كلامه ؛ لو أنك درست كلامه ، ومنهجه ، وتشريعه ، لرأيت أن هذا المنهج محكم و معجز.

الآن : ما من قانون يصدر أشهر قليلة إلا و يجرى تعديل عليه بعد شهر ثان ، تعديل ثان ، يصير حجم التعديلات أربعة أضعاف حجم القانون ، بعد ذلك يلغى القانون كله ، يوضع قانون جديد ، هذا شأن البشر ، إذاً هذا المنهج الإلهي المطبق من قرون عدة ، لم يظهر شيء يخالف أصوله .

الصين الشعبية أصدرت قانوناً أن كل أسرة ينبغي أن تكتفي بولد واحد ، ما الذي حصل ؟ أن كل أسرة تنجب بنتاً تخنقها ، إلى أن تنجب الذكر ، تسجله في الدوائر الرسمية ، الذي حصل الآن أن هناك عصابات تخطف البنات في سنّ الزواج ، لأن هناك قرى بأكملها ليس فيها ولا فتاة واحدة ، صار هناك خلل ، هذا تشريع البشر ، لذلك : هذا منهج موضوعي ، فالإنسان إذا كان يحب نفسه ، إذا كان عنده أنانية مفرطة ، إذا كان يحب ذاته ، عليه أن يطبق هذا المنهج .

أيّ تشريع خلاف منهج الله سوف يزول ولن يبقى :

أخواننا الكرام ؛ كلمة دقيقة : تصور بناء بني على علم هندسي رفيع ؛ نسب الإسمنت ، نسب الحديد ، ترتيب الحديد ، مكان الحديد ، أطوال الحديد ، سخانات الحديد كلها وفق الأصول ، هذا البناء بني ليبقى ، عوامل بقائه فيه ، عوامل الاستمرار فيه ، أما لو إنسان أنشأ بناء بلا مهندسين ، وضع نسب الإسمنت على مزاجه الشخصي، وضع الحديد على مزاجه، وما كال بكيل المهندسين إطلاقاً ، هذا البناء فيه عوامل انهدامه، هذا هو الباطل ، الباطل شيء لا بد من أن يقع :

﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾

[سورة الإسراء:81]

الحق هو المستمر ، فالمسلم له ميزة أنه مهما تطورت الأزمان ، ومهما جدت الأشياء الحديثة ، لن تهز عقيدته بدينه ، لأن هذا الدين حق من عند الحق ، والحق هو الباطل، الباطل زائل ؛ فأي مذهب ، أي تصور ، أي منهج ، أي تشريع خلاف منهج الله عز وجل ، هذا سوف يزول ، ولن يبقى ، آيل إلى السقوط.

والدليل ما نسمع ، وما نرى ممن حولنا أن كل المذاهب الوضعية ، ثبت فشلها الذريع ، وثبت أنها لا تسعد الإنسان ، ولا ترقى به ، ولا تسمو به ، ولا تحل مشكلاته ، ولم يبق في الساحة إلا الدين ، ولكن الذي أرجوه من الله عز وجل أن نفهم الدين كما أراد الله ، كما أراده تماماً ، أن هذه الصحوة الإسلامية لا ينبغي أن تفرغ في فهم خاطىء للدين ، أو في فهم منحرف، أو في تطرف ، أو استغلال ، ينبغي أن تُرشَّد هذه الصحوة إلى الفهم الصحيح ، والتصور الصحيح في هذا الدين .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (07- 49) : الميزان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

تشريع صلاة الجماعة في الحرب :

أيها الأخوة الكرام ؛ آية في سورة النساء ، لها دلالة كبيرة جداً :

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾

[سورة النساء:102]

هذه الآيات تشرع لنا الصلاة في الحرب ، أما السؤال الدقيق : هذه الآيات لا تشرع الصلاة الفردية في الحرب ، صلاة الجماعة في الحرب ، أي وفي أثناء التحام الجيشين ، وفي خط المواجهة الأول ، يجب أن نصلي جماعة، المغزى من هذه الآيات كم هي صلاة الجماعة ثمينة جداً ؟ حتى إن القرآن يشرع كيفيتها في أثناء الحرب ، وفي أثناء المواجهة ، وفي خط القتال الأول ، لو أن القضية قضية فردية ، لا يوجد مشكلة أبداً ، جيش فيه عشرة آلاف مقاتل ، كل واحد يصلي ثلاث دقائق ، وراء شجرة – مكان – هذه صلاة الجماعة في أثناء القتال ، في أثناء المواجهة ، في خط المواجهة الأول ، شرع لنا الله عز وجل في القرآن الكريم وفي آيات قطعية الدلالة صلاة الجماعة ، فإذا كان لا يوجد عذر لترك صلاة الجماعة والجيش يلتحم مع جيش العدو وجهاً لوجه فما القول في السلم؟

هنا الملاحظة ، إذا كنت في الحرب ، والعدو أمامك ، شرع الله لنا صلاة الجماعة على نحو دقيق خاص .

إذاً :

((عليكم بالجماعةِ ، وإيَّاكُم والفُرْقَةَ ، فَإِنَّ الشيطانَ مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعدُ ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاسية))

[الترمذي عن عبد الله بن عمر]

أندم إنسان من باع آخرته بدنيا غيره :

هذه نقطة . النقطة الثانية :

﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾

[سورة النساء:104]

الحياة لها طبيعة واحدة ، متاعب الحياة مشتركة بين الناس جميعاً ، متاعب العمل، متاعب الزواج ، متاعب الدعوة إلى الله ، إلا أن الفرق الكبير هو بين أن تكون في خندق المؤمنين ، وبين أن تكون في خندق الكافرين ، فرق كبير جداً ، ومسافة شاسعة جداً ، السبب : الكافر يتألم ، ويشعر بالتعب أحياناً ، وبالجهد أحياناً ، لكن ليس له أجر ، أما المؤمن فمأجور :

﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾

[سورة النساء:104]

أنا عجبت لأمر الكافرين ؛ يتعبون ، ويجهدون ، ويخططون ، وفي النهاية يغلبون ، ويخذلون ، أما المؤمن :

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾

[سورة التوبة:52]

﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾

[سورة النساء:104]

فالمؤمن تعبه محفوظ ، جهده محفوظ ، بذله محفوظ أضعاف مضاعفة ، أما الكافر فهذا أندم إنسان في الأرض، رجل باع آخرته بدنيا غيره .

المؤمن أجره محفوظ عند الله عز وجل :

المؤمن يجب ألا يشعر بالخسارة ؛ لو بذل ، لو ضحى ، كل هذا البذل ، وكل هذه التضحية ، أجرها محفوظ عند الله عز وجل :

﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾

[سورة النساء:104]

إلا أن أخطر شيء بالموضوع أن الإنسان يبتغي بعمله الصالح الدنيا ، ليس له شيء عند الله عز وجل .

((يا رب تعلمت العلم ، يقال له : تعلمت العلم ، ليقال عنك عالم وقد قيل))

أما إذا ابتغيت بعملك الصالح الدار الآخرة فالتعب كله محفوظ .

الأماني بضائع الحمقى :

أيها الأخوة ؛

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً﴾

[سورة النساء:123]

الإنسان إذا تعامل مع القرآن تعاملاً دقيقاً ، وعلمياً هناك آيات تنبئه أن الحساب يوم القيامة حساب عادل ، فكل إنسان يتمنى ، التمني لا قيمة له عند الله أبداً ، عند الله عز وجل الحساب بالأعمال :

﴿مَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً﴾

[سورة الإسراء:19]

﴿كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾

[سورة الإسراء:20]

فالأماني بضائع الحمقى ، و كل إنسان يتمنى أن يكون من أهل الجنة ، يتمنى أن يكون من الفائزين ، وهناك أدعية يرددها العامة ، لكن هذا الدعاء ، أو هذا التمني ، لا يقابله عمل يكافئه ، إذاً : تمني لا قيمة له ، متى يصبح التمني سعياً ؟ إذا رافقه العمل :

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً﴾

[سورة الإسراء:19]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (08- 49) : الهجرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

من آثر دنياه على آخرته خسرهما معاً :

أيها الأخوة الكرام ؛

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾

[سورة النساء: 97]

معنى هذه الآية : إنسان توفاه الله وهو ظالم لنفسه ، ارتكب الكثير من المعاصي، إذا سأله الله : لماذا ؟ يقول له: البيئة يا ربي ! والله كانت صعبة جداً ؛ فيها ضغط ، وإكراه على المعصية ، أي الجو كله موبوء ، لا أستطيع أن أفعل غير هذا . الله عز وجل يقول له :

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾

[سورة النساء : 97]

معنى هذا أيهما أغلى ؛ مكان إقامتك ، ومصالحك ، ومعملك ، وبيتك ، وسيارتك ، ومتجرك ، وأهلك ، أم دينك؟ بالآية دينك ، ليس لك عذر عند الله عز وجل :

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾

[سورة النساء : 97]

أي إذا رجحت مصالحك المادية ، وبيئتك ، وعملك ، وتجارتك ، وأهلك ، رجحت هذه المصالح المادية على دينك ، المصير :

﴿ فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾

[سورة النساء : 97]

لكن إذا رجحت دينك ، وفررت به ، فاسمع الجواب :

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً﴾

[سورة النساء:100]

وعد من الله ، لا يوجد إنسان يهاجر من أجل دينه إلا و سيجد سعة في الأرض .

أنواع الهجرة :

يقولون : أعلى هجرة أولاً : الهجرة في طلب العلم . أرقى هجرة إنسان ترك بلده ، ترك وطنه ، ترك أهله ، ترك عمله ، ترك مكان استقراره ، وانتقل لبلد آخر.

أرقى أنواع الهجرة هي الهجرة في طلب العلم ، ثم الهجرة فراراً بالدين ، أي هناك ظروف صعبة ، أخواننا الذين جاؤوا من الدول الإسلامية ، من القوقاز ، قديماً قبل مئة سنة تقريباً ، هؤلاء فروا بدينهم ، فروا بدينهم خوفاً على دينهم .

ثم الهجرة في طلب الرزق ، إذا انعدم الرزق في بلدك ، عندك هجرة في طلب العلم، وهجرة فراراً بالدين ، وهجرة في طلب الرزق .

و هناك هجرة معكوسة من أجل الشيطان ، يكون مستقراً في بلد ، تقام فيه شعائر الله ؛ فيه مساجد، فيه مجالس علم ، فيه روحانيات ، أموره مضبوطة ، فيه بقية حياء ، بقية خجل ، بقية أدب، بقية علاقات أسرية مضبوطة ، ينتقل من هذا البلد الذي تقام فيه شعائر الله عز وجل ، إلى بلد ترتكب فيه الفحشاء على قارعة الطريق .

أندم إنسان من حصّل مالاً كثيراً وضيّع شيئاً ثميناً :

الله عز وجل ما قبل عذر إنسان ، استجاب لنداء البيئة ، وتحمل ضغط البيئة ، وتحمل قهر البيئة، من أجل أن يبقى في بلده ، الله ما قبل هذا العذر ، وقال لك :

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً﴾

[سورة النساء:100]

وكل إنسان ترك بلداً مسلماً ، مؤمناً ؛ فيه مساجد ، فيه دروس علم ، ومن أجل الدرهم والدينار ، أو من أجل الدولار رحل إلى بلد ، فضيع دينه ، وضيع أهله ، وضيع أولاده ، تأتيه متاعب ، وتأتيه آلام ، ويأتيه شعور بالندم ، حينما يرى ابنته تقترن بيهودي ، مثلاً : حينما يرى ابنته لها رفيق ، حينما يرى أسرته قد انحلت ، حصّل مالاً كثيراً ، وضيّع شيئاً ثميناً . قال :

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً﴾

[سورة النساء:100]

والله التقيت من سنتين أو ثلاث إمام مسجد ، هو أساسه من تركيا ، قال لي : جئت مشياً على القدمين فراراً بديني ، من باب الموعظة قال لي : عندي خمسة وثلاثون بيتاً بالشام ، خمسة وثلاثون بيتاً ، الله رزقه ؛ أراض، وبيوت ، قال لي : جئت إلى دمشق مشياً على قدمي، ما معي قرش واحد، هذه تطبيق الآية :

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً﴾

[سورة النساء:100]

أي كل العقبات تذلل له :

﴿ مُرَاغَماً ﴾

[سورة النساء:100]

كل العقبات أمام الإنسان الغريب تذلل مكافأة له على الهجرة .

مراعاة كل إنسان الأولويات في حياته :

إذاً أول آية : آية صلاة الجماعة في الحرب ، إذا كان الله عز وجل شرع صلاة الجماعة في الحرب ، وفي أثناء القتال ، وفي خط المواجهة الأول ، فهل لنا من عذر إذا تركنا الجماعة ، ونحن في السلم ؟
أي هذا الذي ينزوي ، يعتزل الناس ، هذا يخالف نصوصاً قرآنية ثابتة .
والشيء الثاني : الله ما قبل عذر الإنسان ، لأن بيئته سيئة ، ضغوط اجتماعية ، صعب على الإنسان أن يستقيم، الجو العام فاسد ، ما قبل هذا العذر ، قال :

﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾

[سورة النساء:121]

عندك أولويات ، الدين رقم واحد ، فإذا نجوت بالدين فهذا شي عظيم ، لهذا سيدنا عمر كان إذا أصابته مصيبة، قال : الحمد لله ثلاثاً ؛ الحمد لله إذ لم تكن في ديني ، والحمد لله إذ لم تكن أكبر منها ، والحمد لله إذ ألهمت الصبر عليها " .

المبادئ فوق المكاسب :

هناك نقطة ثالثة في الدرس :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾

[سورة النساء:94]

أي في أثناء القتال ، إنسان قال لك : أنا أسلمت ، أشهد أن لا إله إلا الله ، لما أسلم ، صار أخوك، لم تعد تستطع أن تأخذ أمواله – كانت أمواله غنائم لك – لكن إذا أسلم ، وأعلن الشهادة ، انتهى الأمر ، هناك نفوس مريضة ، لا يعد هذا إسلاماً ، من أجل أن يأخذ الغنائم لا يقبل إسلامه. قال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

[سورة النساء:94]

نعم :

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ﴾

[سورة النساء:94]

يقول أحد الأمراء المؤمنين – أظنه عمر بن عبد العزيز– ، لما قال له أحد الولاة : إن هؤلاء الناس النصارى دخلوا في دين الله أفواجاً ، لذلك الواردات ضعفت ، كان عندنا جدية ، فلما أسلموا لم يعد هناك واردات ، قال له: أتمنى أن أكون وإياك راعيي غنم ، وأن يسلم الناس .

هذا كلام سيدنا عمر ، ما قيمة هذا المال ؟ أتمنى أن أكون وإياك راعيي غنم ، وأن يسلم الناس جميعاً .

فالمبادئ فوق المكاسب ، المسلم مبادئه فوق المكاسب ، وهناك إنسان آخر المكاسب عنده فوق المبادئ .

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمتابعة هذه الصلوات ، وسماع كتاب الله يتلى في الصلاة . مرة ثانية أقول لكم : في كتاب الإحياء للإمام الغزالي ، في باب تلاوة القرآن ، الإمام الغزالي مع غيره من العلماء يؤكد أن أعلى درجة في قراءة القرآن أن تقرأه في صلاة واقفاً في مسجد .

أرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بهذا القرآن الكريم .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (09- 49) : البشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

من آمن بالله و شكره حقق الهدف من وجوده :

أيها الأخوة الكرام ؛ في آية من أدق آيات هذه الليلة ، الله عز وجل خلق الكون ، وسخره لبني البشر تسخير تعريف وتكريم ؛ من جهة نتعرف إلى الله من خلال الكون ، ومن جهة كرمنا الله به ، كما قال عليه الصلاة والسلام :

((هلالُ خَيْرٍ ورُشْدٍ))

[أبو داود عن قتادة]

الآن الإنسان ماذا ينبغي أن يكون ردّ فعله تجاه تسخير التعريف ؟ الله عرفك بذاته من خلال الكون ، أنت كإنسان ماذا ينبغي أن يكون ردّ فعلك على هذا التسخير؟ أن تؤمن بالله ، والله أكرمك بهذا الكون ، ماذا ينبغي أن يكون ردّ فعلك على هذا التكريم ؟ أن تشكر ، إذاً إذا آمنت وشكرت ، حققت الهدف من وجودك ، وتوقفت المعالجة .

هذه الآية دقيقة جداً ، وآية – كما يقال- مفصلية إذا استوعبها الإنسان ، أنت في الدنيا هنا من أجل أن تعرفه ، ومن أجل أن تشكره ، لأنه منحك وعرفك ؛ منحك نعمة الوجود ، ومنحك نعمة الكون ، ونعمة الإمداد ، وهذا الكون تعريف لذاته ، فإذا عرفته من خلال كونه ، وشكرته من خلال نعمه ، توقفت المعالجة، ولك أن تجعل هذه الآية شعاراً لك دائماً :

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ﴾

[سورة النساء:147]

إذاً إن آمنتم ولم تشكروا هناك تأديب ، إن شكرتم ولم تؤمنوا ، شكرتم بعضكم ولم تؤمنوا هناك تأديب ، أصبح هناك شرك ، إما شرك أو معصية ، أما إذا حصل التوحيد ، وحصل الشكر ، انتهى التأديب ، فالذي يعاني من مشكلات ، عليه أن يؤمن ، وعليه أن يشكر.

على المسلم أن يعدل مع المسلمين و غير المسلمين :

الآية التي في المائدة :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

[سورة المائدة:8]

هذه الآية دقيقة جداً ، هذه الآية تؤكد الدافع الإنساني ، أي لا تحملنك عداوتك ، وبغضك لغير المؤمنين أن تظلمهم ، أو أن تأخذ ما في أيديهم ، أو أن تبخسهم حقهم ، أو أن تجور عليهم ، هذه العداوة لا ينبغي أن تحملك على ظلمهم ، لأن هذا لا يرضي الله عز وجل :

((اتقوا دعوة المظلوم –ولو كان كافراً– ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب))

[البخاري عن عبد الله بن عباس]

أخواننا الكرام ، دققوا :

((اتقوا دعوة المظلوم –ولو كان كافراً– ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب))

[البخاري عن عبد الله بن عباس]

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا ﴾

[سورة المائدة: 8]

أمر :

﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾

[سورة المائدة:8]

أي إن عدلتم كنتم أقرب إلى الله ، مما لو ظلمتموهم ، وإن عدلتم ، قربتموهم إلى الله ولم تبعدوهم ، هذا منهج، هذه الآية منهج :

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

[سورة المائدة:8]

وكم من إنسان غير مسلم ، لأن إنساناً مسلماً أنصفه ، أعطاه حقه بالتمام والكمال، ورحمه ، هذا يكون سبب إسلامه ، آلاف آلاف القصص ، سبب إيمان غير المسلم أحياناً موقف أخلاقي من مسلم .

مرور حياة المؤمن بأطوار ثلاثة :

هناك بشارة ، هذه البشارة استنبطها الإمام الشافعي من قوله تعالى :

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾

[سورة المائدة:18]

لو أن الله أقرهم على أنهم أحبابه وأبناؤه ، لما عذبهم ، لأن الله لا يعذب أحبابه ، الله ﷻ يعالج أحبابه ، ثم يمتحنهم ، ثم يكرمهم ، فحياة المؤمن تمر بأطوار ثلاثة ، متمايزة أو متداخلة ؛ طور فيه تأديب ، وطور فيه امتحان ، وطور فيه إكرام .

عدم جواز إصدار تشريع و تطبيقه بمفعول رجعي :

أكثر التفاسير العالمية هناك مادة ، لو لم تكن لكان في القانون ظلم شديد . مثلاً : هناك بعض المصالح مسموحة قانوناً ، مثلاً : تبيع فواكه فرضاً ، مسموح لك أن تبيع فواكه ، لو حُصر بيع الفواكه مثلاً بالدولة ، وظهر قانون يحرم هذا النشاط ، وسيطبق هذا القانون رجعياً ، ألا يكون هناك ظلم ؟ سيكون هناك ظلم شديد، لأن الإنسان عندما يفعل شيئاً غير ممنوع ، ليس مؤاخذاً ، يظهر قانون لاحق يحرم شيئاً ، ويطبق بشكل رجعي، هذا الشيء يسبب ظلماً شديداً ، لذلك : في كل الدساتير في العالم ، القوانين لا تطبق بمفعول رجعي ، هذه أبعدوها أن هناك شطحة كبيرة جداً بحقوق الإنسان .

هل في القرآن الكريم آية تشير لهذا الحق ؟ مرت معنا ، تؤكد أنه لا يمكن أن يطبق القانون بمفعول رجعي ، لأن هناك ظلم ، يقول لك : القرآن فيه كل شيء :

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾

[سورة المائدة:34]

لو أنهم تابوا قبل أن تقدروا عليهم ، لا تستطيعون أن تعاقبوهم ، أما إذا قدرتم عليهم قبل أن يتوبوا ، لكم أن تعاقبوهم ، هذه الآية الوحيدة في كتاب الله تبين أنه لا يجوز أن تصدر تشريعاً ، وأن تطبقه بمفعول رجعي ، هذا فيه ظلم شديد ، أي كل إنسان يتبجح أن له حقوقاً الآن، وتنص عليها الدساتير ، ؛ أن أي القانون لو طبق بمفعول رجعي لأوقع إجحافاً وظلماً شديدين بالإنسان .

الأخطار الناجمة عن تغيير خلق الله عز وجل :

هناك أخ سألني عن آية . الأخ :

﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾

[سورة النساء:119]

نعم ، أحياناً الصناعات الغذائية لا تعتمد على التشريع الإلهي ، تعتمد على المصالح المادية لشركات الغذاء العالمية ، فمثلاً : أحياناً هذه الدجاجة تبقى أربعين يوماً دون أن تنام ساعة واحدة ، يعطونها مواد هرمونية ، من أجل أن تنمو بسرعة ، من أجل مصالح معينة؛ لكن هذا الفروج غيّرنا في خلقه ، غيّرنا في طباعه ، غيّرنا في بنية نسيجه اللحمي ، فصار هناك خطر .

أحياناً نضع مواد حافظة للمواد الغذائية ، هذه المواد الحافظة نسبها إذا زادت سببت السرطان .

أحياناً : نستعمل دهوناً غير مشبعة ، هذه تؤدي إلى أمراض في الجسم ، فالإنسان عليه أن يعود إلى النموذج الذي صممه الله عز وجل .

الآن يقول لك : هناك فرن توضع فيه اللحمة خلال ثوان تصبح فحمة ، والفحم بارد، عن طريق أشعة تخرب خلايا اللحم ، هذا تغيير ، والآن تسمع أحياناً أن هذه الفريزرات كلها تؤذي ، تكّون بكتريات على الطعام ، أي لا بد من أن نكتشف أن كل شيء جديد جاءنا عن طريق المجانين ، لعل فيه أخطاراً كثيرة جداً ، وكل شيء طبيعي كما أراد الله عز وجل لا شيء عليه .

الآن مثلاً تجد التفاحة كبيرة ، لونها أصفر ، لها خد أحمر ، تأكلها ، لا يوجد طعم، الأسمدة الكيماوية تغير الصفات الفيزيائية للفاكهة على حساب الكيماوية ، طعم لا يوجد .

قال لي أخ كان في بلد أوروبي : التفاح صغير هكذا . . . . ثمن الكيلو عشرة دولارات ، التفاح الكبير ثمنه ثلاثة دولارات ، هذا السماد طبيعي ، والآن إذا أردنا أن نسمد بسماد طبيعي ، عشرة آلاف ليرة ثمن السيارة ، لأن السماد طبيعي ، أما الكيماوي فرخيص ، يبدو أن كل شيء في تطوير.

أحياناً شراب ، لا يوجد شيء طبيعي إطلاقاً ، كله كيماوي ، هذه الأنواع التي نستوردها كلها مواد كيماوية محضة ، فعندما تتجه حياتنا لمواد كيماوية ، والإنسان بطبيعته نباتي ، كل شيء مزور ، كل شيء ، المظهر لائق جداً ، وفخم جداً ، أما النوعية فسيئة جداً ، هذا من تغيير خلق الله عز وجل .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (10 - 49) : المصائب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

ابتغاء الوسيلة عند الله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام ؛ الآية الخامسة والثلاثون من سورة المائدة هي قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾

[سورة المائدة:35]

أي أطيعوه ، من أجل أن تطيعوه الوسيلة مطلقة ؛ العلم وسيلة ، والإنفاق وسيلة، وطلب العلم وسيلة ، والصلاة وسيلة ، أي شيء يقربك إلى الله فهو وسيلة ، أي شيء ينقلك إلى الله خطوة فهو وسيلة ؛ فالعلم وسيلة ، وأن تكون مع أهل الحق وسيلة ، وأن تعمل صالحاً وسيلة، وأن تذكر الله وسيلة ، وأن تتصل به وسيلة ؛ فأي شيء من قول ، أو عمل ، أو حال ، أو علاقة ، أو بذل ، أو عطاء ، إذا قربك إلى الله فهو وسيلة ، وأي شيء يبعدك عن الله بمخالفة ، أو تقصير ، أو معصية، هذا الشيء عكس الوسيلة مبعد ، فأنت بحاجة إلى ما يقرب، وعليك أن تبتعد عن كل شيء يبعد ، هذا هو المؤمن ، حقيقة كبرى يجب أن تصل إليها، أن تكون مع أهل الحق وسيلة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة:119]

أن تطلب العلم وسيلة ، أن تعبد الله كما أراد صلاة ، وصياماً ، وحجاً ، وزكاة وسيلة ، غض البصر وسيلة ، ضبط اللسان وسيلة ، ضبط الجوارح وسيلة ، ضبط الدخل وسيلة، تربية الأولاد وسيلة ، أي عمل إذا عرضته على الله عز وجل يبيض وجهك ، عمل إذا فعلته تزداد ثقتك بأن الله يحبك .

أحياناً الإنسان يتقرب إلى أستاذه بوردة ، طالب بالابتدائي يحمل معه وردة واحدة ، يعطيها لأستاذه فيتبسم الأستاذ له و يرحب به ؛ ممكن أن تتقرب إلى الله بخدمة حيوان ، قطة أحياناً يطعمها ، أحياناً يكون هناك كلب مدمى ، تعتني فيه ، نملة تبتعد عنها ، أي الطرائق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق ، أي إنسان أمامك تخدمه ، هذا وسيلة ، عبد لله عز وجل ، تخدمه لله، يا ربي هذا من عبيدك ، وأنت تحب عبيدك .

((الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله))

[أبو يعلى والحارث في مسنده عن أنس بن مالك]

هذه الآية واسعة ، ليس لنا حق نحن أن نقيدها ، نضيقها ، نحجر معناها الواسع :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾

[سورة المائدة:35]

الأحمق من لا يدخل بحساباته النار وعذابها والجنة ونعيمها :

الآية الثانية : أحياناً نفهم القرآن فهماً إجمالياً ، لكن لو أردنا أن نقف وقفة متأنية ، الإنسان أحياناً يكون بورطة ، تدفع هذا المبلغ ننقذك مثلاً ، يوازن بين الورطة وبين المبلغ ، أحياناً يجده كبيراً جداً ، يقول لك : لا، لا أريد ، يقول لك : هذا فوق طاقتي ، يجد هذه الورطة أقل من المبلغ ، أما إذا إنسان وقع بورطة كبيرة، يقول لك : خذ كل شيء أملكه لكن أنقذني ، معنى هذا تعرف أنت لما سخت نفسه بكل أملاكه ، فهو في ورطة كبيرة جداً ، قد تنتهي به إلى الإعدام ، يقول لك : أتخلى عن مالي كله .

الآن دقوا في هذه الآية :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ﴾

[سورة المائدة:36]

مرة قرأت خبراً صغيراً ، شركة سيارات بألمانيا ، عندها فائض نقدي ، لا مجال لاستثماره ، ألف مليون دولار – مليار – شركة واحدة ، شركة سيارات ، فائضها النقدي ، لو إنسان مالك هذه الشركة ، وشركة ثانية .

هذا زلزال اليابان ، قضى على أضخم ثلاث شركات باليابان ، كل شركة مبيعاتها بالعالم كله تساوي ميزانيات دول ، إذاً إذا الإنسان مالك هذه الشركات ، مالك كل الشركات في العالم ، وكل الأسواق ، وكل المحلات التجارية ، وكل المعامل ، هذا قال :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾

[سورة المائدة:36]

كلام خالق الكون ، يجب أن تفهمه بدقة الكلام ، تفهمه بالتفاصيل ، تفهمه بأبعاده الحقيقية .

قال لك : لو أنك تملك كل ما في الأرض ، إذا شركة واحدة ، أرباحها تساوي ميزانية دول ، إذا كنت تملك كل هذه الشركات ، وكل أسواق العالم ، وكل الموانئ ، وكل المطارات ، وكل شركات الطيران ، وكل شيء موجود بالأرض من خيرات ، كله ملكك ، ضرب اثنين . عندما ترى العذاب الأبدي ، تتخلى عن كل شيء لتسلم من سوء العذاب ؛ فكل إنسان لا يدخل بحساباته النار وعذابها ، والجنة ونعيمها ، وماذا بعد الموت ، يكون إنساناً أحمق ، معطلاً تفكيره :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

[سورة المائدة:36]

لا يكفي ذلك ، كل هذا الذي تملكه مضروباً باثنين ، لا يكفي ليكون فدية من هذا العذاب الأليم ، هذه آية من آيات الله عز وجل .

حقوق العباد مبنية على المشاحة وحقوق الله مبنية على المسامحة :

دائماً أخواننا الكرام ؛ نفهم القرآن فهماً غير كامل ، أن الله غفور رحيم ، هذه كلمة حق ، لكن متى يكون غفوراً رحيماً ؟ قال :

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[سورة المائدة:39]

سوى كل العلاقات ، أدى كل الحقوق ، رمم كل التقصيرات ، لا تطمع بمغفرة قبل الإصلاح ، بمغفرة قبل أداء الحقوق ، الوهم الكبير أن الحج يعيد الإنسان كيوم ولدته أمه ، صحيح ، إلا ما كان بينك وبين الخلق ، هذا لا يسقط إلا بالأداء أو المسامحة ، لا يسقط أبداً ، فلذلك النبي – عليه الصلاة والسلام– أحد أصحابه قتل في معركة شهيداً ، فلما دعي ليصلي عليه ، قال :

((أعليه دين ؟ قالوا : نعم ، قال : صلوا على صاحبكم ، – لم يصلِّ عليه–))

لذلك سئل عن الشهادة هل تكفر كل ذنب ؟ قال :

((الشهادة تكفر كل ذنب إلا الدين))

[الديلمي عن أنس]

إنسان بذل حياته في سبيل الله ، وأصبح شهيداً ، الدين لا يسقط ، حقوق العباد مبنية على المشاححة ، وحقوق الله مبنية على المسامحة ، لذلك :

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[سورة المائدة :39]

إذا عليك ذنب ، إذا عليك حقوق سابقاً ، يمكن أن تؤدى بشكل أو بآخر ، مثلاً فلان له معك مبلغ من ثلاثين سنة ، ليس شرطاً أن تقول له : أنا أخذت منك هذا المبلغ بزماني، أو أكلت مالك ولم أدفع لك هذا المبلغ ، يجب أن يصل له المبلغ بأي طريقة ، حتى الله عز وجل يمحيها عنك ، مات الرجل ، ولا أعرف أين أولاده ؟ ادفع عنه صدقة ، الذمة ادفعها صدقة، تسجل في صحيفته ، وأنت تكون قد نجوت ، الدنيا الآن فيها مال ، كله يصلح ، ماذا يوجد على الانسان من ذمم قديمة ، قبل أن يتوب إلى الله في الجاهلية ، ويتذكرها ، ينبغي أن يؤديها .

الخاسر من تركه الله هملاً خارج العناية المشددة :

هناك نقطة ، لكن هذه ليس لها معنى علمي ، لكنها شعور نفسي . قال تعالى :

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

[سورة المائدة:41]

أي إذا الله عز وجل أراد أن يطهر قلب مؤمن ، يكون هذا المؤمن محظوظاً جداً ، لما ربنا عز وجل يسوق مشكلة ، يضيق على إنسان ، يخوفه أحياناً ، يضعف له دخله أحياناً، يخلق له مشكلة في بيته ، وهذه المشكلة تقربه إلى الله عز وجل ، معنى ذلك أن الله أراد أن يطهر قلبه ، أما إذا إنسان لم يقبل الله أن يطهره، يعطيه الدنيا كما يشتهي ، يقول له : خذها ، إلى أن يأتيه الموت :

﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

[سورة المائدة:41]

بالتعبير العامي : جبران خاطر ، إذا أراد الله أن يطهر قلبك ، وتولاك بالعناية المشددة ، وضيق عليك أحياناً، خوفك أحياناً ، لاح لك شبح مصيبة أحياناً ، قضية بالجسم ، قضية بالدخل ، قضية بالأسرة ، قضية بالمكانة ، أي عمل لك مشكلة ، أنت على أثرها تبت ، وأصلحت ، معنى ذلك أنت من المحظوظين ، لأنك من الذين أراد الله أن يطهر قلوبهم ، من هو الخسران ؟ الذي تركه الله هملاً ، خارج العناية المشددة ، هذا الخسران ، أي شعور :

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

[سورة المائدة:41]

معنى ذلك إذا شخص كلما غلط بعث الله له مشكلة ، فهو شيء مهم جداً و هو غال على الله جداً ، وهو مطلوب للهداية ، مطلوب للتطهير ، مطلوب للسعادة ، فعلى الإنسان ألا يحزن من مصيبة ، عليه أن يحزن إذا كان مقيماً على معصية والله يمده ، هنا يخاف ، يخاف إذا كان غافلاً وتأتيه الدنيا وهي راغمة ، يخاف إذا كان غافلاً ويؤذي الناس ، يقول لك : انظر أنا لا أعاني شيئاً ، يخاف إذا كان غافلاً وكان دخله حراماً ، إذا كان غافلاً وبيته كله مخالفات ، هنا المشكلة ، المشكلة أن تكون أنت خارج المعالجة الإلهية ، تكون خارج العناية المشددة ، تكون خارج التطهير من الله عز وجل ، يجب على الإنسان أن يفرح إذا شعر أن الله عز وجل يحاسبه.

أخ دخل لعنده شخص ، ليشتري قطع ملابس ، هو يملك معمل ألبسة ، أي هذا الإنسان يبيع مئتي قطعة ، أربعمئة قطعة ، يبيع بالجملة ، قال له هذا الذي دخل عليه : أريد ثلاث قطع ، قال له : أنا لا أبيع بالمفرق، فقال له : لا تؤاخذني ، انسحب ، خرج ، قال لي : أول يوم ، ثاني يوم ، ثالث يوم ، أسبوع ، أقسم بالله ثلاثين يوماً لم يدخل لمحله زبون ، معنى هذا أن الله أحبّ أن يطهره من الكبر ، طهره بهذه الطريقة ، ثلاثون يوماً حرمه الزبائن ، قال لي: عرفت ذنبي ، لأنه تكبر عن بيع ثلاث قطع ، الآن : يبيع قطعة وحدة، طهره الله .

أحياناً الإنسان يتكلم كلمة واحدة ، قال : الدراهم مراهم ، هو حالته المادية جيدة جداً، كل شيء يحل عنده بالمال، أوقعه الله بمشكلة لا تحل بالمال ، خلال ستة أشهر ، الله يطهر الإنسان من كلمة فيها تجبر ، من كلمة فيها تطاول ، من اعتداد بالذات ، فإذا إنسان الله طهره ، وألهمه ، السبب :

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾

[سورة التغابن:11]

يا رب ، لماذا هكذا صار معك يا فلانة ؟ مقابل هذه الكلمة التي تكلمتها ، هذه مقابلها ، هذا التقصير هذا مقابله.

فالنقطة التي أريد أن تكون واضحة أن الإنسان عليه أن يحزن و لكن ليس من مصيبة أصابته ، بالعكس إذا كان مقيماً على معصية ، والله تاركه ، معنى هذا أنه خارج العناية، ميئوس منه .

الآن : إذا كان الإنسان يعاني من التهاب في المعدة ، وهو غال على الطبيب ، يقيم قيامته ، إذا أكل كوسا محشياً ، يقول له : هذا فيه دهن ، أما إذا كان معه سرطان ، يقول له : كُل ما شئت ، إن لم يكن هناك أمل بالشفاء يقول له : كُل ما شئت ، فأخطر شي بالإنسان أن يكون مقيماً على معصية ، والله تاركه ، لذلك تأتي المصائب المضيقة مبشرة ، أن هذا الإنسان له أمل ، هذا الإنسان غال على الله ، هذا الإنسان يريد الله أن يطهر قلبه :

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

[سورة المائدة:41]

من علامة الإيمان التواضع مع المؤمنين :

الآن : علامة المؤمنين ، هذه يجب على كل إنسان أن يحاسب نفسه عليها :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾

[سورة المائدة: 54]

هؤلاء القوم الذين يحبهم الله عز وجل ويحبونه .

اللؤماء بالعكس تجده متجبراً على إنسان مؤمن طيب ، أما أمام شخص كافر قوي فمثل القط ، بالعكس : ابق مع المؤمنين متواضعاً ، ومع المتجبرين قوي الشخصية ، لا تحن رأسك ، ابق مع أصغر مؤمن – حاجب عندك – متواضعاً ، هذا مؤمن غال على الله ، فعلامة الإيمان :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾

[سورة المائدة: 54]

الإنسان الكريم يتواضع للطبيب ، ويقف موقفاً فيه كرامة وعزة أمام غير الطبيب ، أما ضعاف النفوس فقوي على الضعيف ، ذليل أمام القوي .

أذلة ليس معناها من الذلّ ، من التواضع ، هنا ذلّ التواضع :

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

[سورة المائدة:54]

تبدل الرزق حسب الحالة النفسية للإنسان :

آخر آية :

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾

[سورة المائدة:66]

وقس عليه القرآن كمسلمين لو أنهم أقاموا القرآن ، لأكلوا من فوقهم ، ومن تحت أرجلهم .

معنى هذا أن الرزق ليس ثابتاً ، مضمون لكنه غير ثابت ، مضمون ، مضمون لتعيش ، أما الرزق فيتبدل بحسب حالك النفسي :

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾

[سورة المائدة:66]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (11- 49) : مصائب الكفار ومصائب المؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

تسخير الكون للإنسان تسخير تعريف و تكريم :

أيها الأخوة الكرام ، عطفاً على آية البارحة :

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ﴾

[سورة النساء:147]

أي أن الله سبحانه وتعالى سخر هذا الكون تسخيرين ؛ تسخير تعريف ، وتسخير تكريم ، ردُّ فعل التكريم عند المؤمن أن يؤمن ، ورد فعل التسخير أن يشكر ، تسخير التعريف أن يؤمن ، تسخير التكريم أن يشكر ؛ فإذا آمن وشكر ، توقفت المعالجة ، لأنه حقق الهدف من وجوده ، يؤكد هذا المعنى اليوم قول الله عز وجل :

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾

[سورة المائدة:66]

بالقياس : ولو أن أمة محمد – ﷺ– أقامت القرآن ، وسنة النبي العدنان في حياتها :

﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾

[سورة المائدة:66]

بالقياس ، الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾

[سورة الأنفال:33]

من طبق سنة النبي في حياته فهو في مأمن من عذاب الله :

النبي –عليه الصلاة والسلام– له عمر محدود ، سيموت عليه الصلاة والسلام ، وقد مات ، لكن الآية تتلى إلى يوم القيامة ؛ ما دامت سنة النبي – ﷺ– في حياتنا ، في أعمالنا ، في بيوتنا ، في حركاتنا ، في سكناتنا، في نشاطاتنا ، في علاقاتنا ، في احتفالاتنا ، في أحزاننا ، في أفراحنا ، في بيعنا ، في شرائنا ، في سفرنا ، في إقامتنا ، ما دامت في علاقاتنا الزوجية ، في تربية أولادنا ، ما دامت سنة النبي – ﷺ– قائمة

فينا، فنحن في بحبوحة من أن نعذب ، والتفسير واضح ؛ الله عز وجل خلقك لتعبده ، ورسم لك هذا المنهج ، فإذا سرت عليه انتهى الأمر :

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾

[سورة المائدة:66]

هذا كلام خالق الكون :

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾

[سورة المائدة:67]

أي الله عز وجل حينما يرسل النبي عليه الصلاة والسلام ، لا بد من أن يعصمه من أن يُقتل ، الأنبياء قتلوا، لكن الرسل معهم رسالات ، فإذا قتلوا قبل أدائها ، فهذا لا يتناسب مع شأن الخالق جل وعلا ، فالله سبحانه وتعالى طمأن النبي –عليه الصلاة والسلام– أن يعصمه من الناس ، يقاس على هذا المعنى بشكل مصغر إذا كنت أنت على الحق ، الله لا يتخلى عنك ، لا يسلمك إلى عدوك ، لا يخذلك ، لا يضعفك ، لا يقوي الكفر على الإيمان ، فالإنسان حينما يسلك طريق الحق ، هو في ظل الرحمن ، في ضمان خالق الأكوان ، إذا سار في طريق الحق ، الله ﷻ لا يتخلى عنه ، أي الإنسان بحاجة إلى معنويات مرتفعة :

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[سورة آل عمران:139]

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾

[سورة النساء:141]

هذه كلها آيات تؤكد أن الإنسان المؤمن الله جلّ جلاله لن يتخلى عنه .

من يتاجر بالدين لا شأن له عند الله :

هناك شيء ثان : الإسلام له نشاطات كثيرة ؛ بإمكانك أن تزين بيتك بآيات قرآنية ، بإمكانك أن تردد أذكاراً نبوية، بإمكانك أن تفعل كل شيء يؤكد انتماءك للدين ، جيد ، ولكن الله سبحانه وتعالى يقول – أيضاً بالقياس–:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾

[سورة المائدة:68]

أي هناك مشاعر إسلامية ، عواطف إسلامية ، فن إسلامي ، احتفالات إسلامية ، فكر إسلامي ، مكتبة فخمة إسلامية ، تقاليد إسلامية ، عادات إسلامية ، و لكنكم أيها المسلمون لستم على شيء حتى تقيموا القرآن ، ثلاث آيات وراء بعضهم :

﴿ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾

[سورة المائدة:68]

أي لست شيئاً يذكر ، لا وزن لك عند الله ، لا شأن لك عند الله ، لهذا الإنسان الذي يتاجر بالدين:

﴿صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾

[سورة الأنعام:124]

﴿لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

[سورة المائدة:68]

أيها الأخوة ؛ هذه الآية :

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآَيَاتِ﴾

[سورة الأنعام:65]

أي أن يخسف الله الأرض ، سماها الله آية ، أن يرسل صاعقة ، سماها الله آية ، أن يرسل فيضاناً ، سماها الله آية ، أن يرسل خسفاً ، سماها الله آية ، و هذا دليل على ماذا؟ على عدالة الله ، وعلى أن الانحراف عن منهج الله له عاقبة وخيمة .

بلاد تتمتع بأعلى دخل في العالم ، بضاعتهم غزت العالم كله ، وفي أرقى مدنهم الصناعية ، وفي أعلى مستويات إنتاجهم ، ثلاث شركات تعد أكبر شركات بالعالم ، بثوان معدودات ، بزلزال سبعة ريختر ، أصبحت هذه المدن كلها أنقاضاً :

﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ ﴾

[سورة الأنعام: 65]

صواعق ، الصواعق من الله مباشرة ، أو الصواريخ :

﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾

[سورة الأنعام: 65]

الزلازل أو الألغام :

﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾

[سورة الأنعام: 65]

الأمور لا تستقر إلا على الحق :

الإنسان عندما يُسلط على إنسان ، هذا التسليط من الله عز وجل :

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾

[سورة النساء:90]

هكذا الآية ، تسليط ؛ يوجد عندنا عذاب ، عذاب من الله مباشرة ، ويوجد عذاب عن طريق البشر هو التسليط ، لهذا من أدعية النبي – عليه الصلاة والسلام– ، أو من أدعية القرآن :

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة يونس:85]

وهذه الآية نراها كل يوم ، أمطار من مئة عام لم يشهدها الغرب ؛ أطاحت بمدن ، وبسواحل ، أناس مشردون، فهذه الآيات تقع ، أما الآية الجامعة المانعة لهذه الآيات :

﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً﴾

[سورة الإسراء:58]

أية قرية ، أو أي بلد ، أو أية قرية ، أو أي مجتمع انحرف عن طريق الحق، انحرف عن منهج الله ، اعتدى، أكل المال الحرام ، فسق وفجر ، الله عز وجل ولو كان في أعلى درجات الأمن والاستقرار ، يزلزل من تحته الأرض ، كما نرى ونسمع كل يوم :

﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾

[سورة الأنعام:67]

ائت بكرة ، ضع بها قطعة رصاص من الداخل ، ودحرجها ، تتدحرج ، تتحرك ، لكن لا تستقر إلا على حالة واحدة أن تكون هذه القطعة الرصاصية في الأسفل ، مركز ثقل ، مهما حركتها ، والباطل يتحرك ، الأمور لا تستقر إلا على الحق .

هناك تعبير آخر يقوله بعض الناس : (لا يصح إلا الصحيح) .

الأمور تضطرب ، تموج ، أناس يصعدون ، أناس يهبطون ، لكن في النهاية :

﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾

[سورة الأنعام:67]

الأمور لا تستقر ، ولا تستقيم ، ولا تستمر إلا على الحق ، فهنيئاً لمن كان مع الحق .

الابتعاد عن الجاهلين و عدم الخوض معهم في الأحاديث :

كلمة (يخوضون) أهل البلاغة يتذوقونها ، أحياناً إنسان يخوض بنهر بشكل أعمى، بشكل عشوائي ، فالجاهل إذا تكلم بموضوع ديني ، لا يتناول هذا الموضوع تناولاً ، لا يبحث فيه بحثاً ، لا يدرسه دراسة ، بل يخوض فيه خوضاً ، تعبير له ظلاله ، ربنا عز وجل قال :

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾

[سورة الأنعام:68]

أحياناً يتكلمون بالدين كلام الجهل والاستهزاء ، أحياناً يدلون بآراء مضحكة . .

شخص كان في الحج ، عاد بالطائرة ، يحتل منصباً رفيعاً في بلد عربي ، في شمال إفريقيا ، قال: والله هناك ازدحام شديد ، لو عملوا الحج على مدار العام لكان أسهل ، لا يعرف ربه ، أي هناك خوض أحياناً .

يقول لك : لماذا خلق الله الشيطان ؟ لماذا أودع فينا الشهوات ؟ هو السبب .

أحياناً يقول لك : إن الله جميل يحب الجمال ، فالإنسان إذا نظر إلى النساء هل يحاسب ؟ هذا جاهل ، هذا الخوض ، ما قال : يبحث ، يدرس ، يتناول قضية ، يتأمل ، يستنبط، يحاكم ، انظر لكلمات الفقه ؛ يحاكم ، يستنبط ، يتأمل ، يدرس ، يبحث ، يسأل ، يحاور ، يناقش . قال :

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾

[سورة الأنعام:68]

أنت أعظم ، وأكمل ، وأرقى من أن تخاطب هذا الإنسان الجاهل الأحمق .

كلمة (يخوضوا) لها ظلال خاصة :

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾

[سورة المدثر:45]

هذا يقول لك : أخي أنا مع المجموع . قال الله :

﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾

[سورة الأنعام:116]

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾

[سورة يونس:36]

فأنت كن مع القلة الواعية ، مع القلة الملتزمة ، مع القلة المؤمنة ، مع القلة الصافية .

كشف حقيقة الغرب و واقعهم الإجرامي :

إن الله يعطي الصحة والذكاء والمال والجمال للكثيرين من خلقه ، ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين.

الآية التي فيها جواب لتساؤلات الناس : أكثر الناس إذا ذهبوا لبلد غربي ، يعود ناقماً على بلده ، يقول لك : غير نظام ، غير حياة ، حدائق ، محلات بيع ، ميكرو مثلاً ، أدراج متحركة ، يا أخي كيف نعيش نحن ؟ لكن الله عز وجل قال لك : هؤلاء القوم ، هؤلاء لا خير فيهم :

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾

[سورة الأنعام: 44]

ما قال : فتحنا عليهم باباً ، وما قال : أبواباً ، لم يقل : باب كل شيء ، أو قال : أبواب شيء . قال :

﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾

[سورة الأنعام: 44]

لا أعتقد أنه يوجد في القرآن آية فيها شمول أوسع من هذا الشمول ، باب : أبواب ، وشيء كل شيء ؛ مال، على جمال ، على غنى ، على جبال خضراء ، على تكنولوجيا ، على كمبيوترات ، على خيرات ، أي :

﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾

[سورة الأنعام: 44]

لكن :

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾

[سورة النحل:21]

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآَخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾

[سورة الروم:7]

حياتهم كلها جنس ومخدرات فقط ، لا يفقهون شيئاً . قال : هؤلاء من جلس معهم، فقد برئت منهم ذمة الله . من أقام مع المشركين برئت منه ذمة الله.

يموت كما هم ميتون ، يضحي بأولاده ، يضحي بأسرته ، يضحي بمستقبل بناته ، الله عز وجل قال :

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾

[سورة الأنعام: 44]

تصور أنه ترك عشرة ملايين ، وترك ولدين ؛ الولد الأكبر اغتصب هذا المال كله، واشترى بيتاً ، وأسسه ، وزينه، وزخرفه ، دخل إنسان على هذا البيت ، يوجد عندنا عواطف سطحية ، وعواطف عميقة ؛ العواطف السطحية أن تؤخذ بهذا البيت ، وهذه الزينة ، وهذا الأثاث، أما العاطفة العميقة فأن تحتقر اغتصابه لهذا البيت ؛ فأنت عندما ترى شعوباً تعيش برفاه منقطع النظير ، على حساب شعوب أخرى تموت من الجوع ، مثلاً الشعب الأسترالي أعدم عشرين مليون غنمة قبل عامين ، أعدمهم بالرصاص ، ودفنهم في الأرض ، ليحافظ على سعر اللحم المرتفع ، وحوش ، وحوش ، كم شعب يموت من الجوع في العالم ؟

في أمريكا مزارع البرتقال توضع في مكان كي يتلف المحصول ، حفاظاً على سعره المرتفع ، فصار الزنوج يتسللون من تحت الأسوار ، ليأكلوا البرتقال مجاناً ، فلما فعلوا ذلك ، في العام القادم سمموا هذا المحصول ، وحوش ، لذلك : لن تؤمن بالله حتى تكفر بهم ، والآن وحشيتهم واضحة تماماً .

قبل خمسين سنة ، كان قلة من المثقفين ثقافة عالية ، يكشفون وحشية الغرب ، أما في الظاهر فالقيم ، والعلم ، والفهم ، والتقدم ، أما الآن والحمد لله فقد كُشفوا على حقيقتهم ، أي طفل الشارع ، الإنسان الجاهل ، كشف حقيقة الغرب :

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾

[سورة النحل:21]

((من هوي الكفرة حشر معهم ، ولا ينفعه عمله شيئا))

[الطبراني عن جابر بن عبد الله]

يروون قصة تمثل واقعهم الأسري ؛ هناك شاب أحب فتاة ، فسأل والده ليتزوجها : قال له : لا يا بني ، هذه أختك وأمك لا تدري ، –لا حول الله– ، ثم أحب فتاة أخرى ، فلما استشار والده ، قال له: لا يا بني ، هذه أختك وأمك لا تدري ، فلما أحبّ الثالثة ، قال له ذلك أيضاً ، عندئذ ضجر هذا الشاب ، وشكا إلى أمه هذا الذي جرى، قالت : تزوج أياً شئت ، إنك لست ابنه وهو لا يدري .

هذا الغرب ، هذا هو الغرب .

من نعم الله أن يكون الإنسان ضمن العناية الإلهية :

لذلك :

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾

[سورة الأنعام:44]

فإذا كان هناك شخص لا خير فيه ، يمده الله ، هذا في النهاية له ضربة ساطور واحدة وينتهي ، عذابه القصم ، أما عذاب المسلم فعلاج ؛ أي يكبو وينهض ، يكبو وينهض .

((وعزتي وجلالي لا أقبض عبدي المؤمن وأنا أحب أن أرحمه إلا ابتليته بكل سيئة كان عملها سقماً في جسده ، أو إقتاراً في رزقه ، أو مصيبة في ماله أو ولده ، حتى أبلغ منه مثل الذر ، فإذا بقي عليه شيء شددت عليه سكرات الموت حتى يلقاني كيوم ولدته أمه))

[ورد في الأثر]

فإذا الإنسان ضمن المعالجة ، ضمن العناية الإلهية ، ضمن التأديب الإلهي ، فهذا من نعم الله عز وجل .

من سمع الحق فليس أمامه إلا أن يسير في درب الإيمان :

ولكم بشارة ثانية ؛ الله عز وجل قال :

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ﴾

[سورة الأنفال:23]

كان ممكن لأحدنا أن يكون قد ولد بشيكاغو مثلاً ، ولد بقرية بجنوب إفريقيا بعيدة عن الحق ، لكن لأن الله عز وجل سمعنا الحق ، هذه بشارة :

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ﴾

[سورة الأنفال:23]

ما دام نحن سمعنا الحق ، ليس أمامنا إلا أن نسير في درب الإيمان ، والأمر ضمن إمكانياتنا :

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾

[سورة البقرة:286]

((عبدي كن لي كما أريد ، أكن لك كما تريد ، كن لي كما أريد ، ولا تعلمني بما يصلحك ، أنت تريد وأنا أريد ، فإذا سلمت لي فيما أريد ، كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم لي فيما أريد ، أتعبتك فيما تريد ، ثم لا يكون إلا ما أريد))

[ورد في الأثر]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (12- 49) : ما هو الاستعمال القرآني لكلمة التفكير؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

الفكر عطاء حيادي يرقى بالإنسان أو يهوي به :

أيها الأخوة الكرام ، ورد في القرآن الكريم :

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾

[سورة المدثر:18]

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾

[سورة المدثر:19]

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾

[سورة المدثر:20]

وورد أيضاً :

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

[سورة آل عمران:190]

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ﴾

[سورة آل عمران:191]

فكر وتفكر ، فالعقل البشري هذا الذي يعد أثمن شيء يملكه الإنسان على الإطلاق، الإنسان مكرم بالعقل ، مكرم بهذه القوة الإدراكية ، الفرق الوحيد ، الجماد شيء له حيز ، أي له أبعاد ثلاثة ؛ له طول ، وعرض ، وارتفاع ، وله وزن ، النبات شيء له حيز ، لكنه ينمو ، الحيوان شيء له حيز ، وينمو ، لكنه يتحرك ، أما الإنسان فشيء له حيز ، وينمو ، ويتحرك ، ويفكر ، فالفرق الوحيد بين الإنسان وبقية المخلوقات هو التفكر، إلا أن القرآن استعمل كلمة تفكير :

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾

[سورة المدثر:18]

واستعمل كلمة تفكر ، تقريباً للتوضيح : تصور آلة طابعة ، آلة ناسخة ملونة ، غالية جداً ، إذا استخدمتها بالعمل التجاري الشريف ، يمكن أن تربح منها آلاف الآلاف ، أما إذا استخدمتها بتزوير العملة ، فيضعونك في السجن ، نفس الآلة ، فالفكر نفسه ، الإنسان إذا أراد الهدى ، وفكر بملكوت السموات والأرض ، وصل إلى الله ، وإذا أراد الشهوة ، واستخدم فكره من أجل تحقيق شهواته ، هذا الفكر يصل به إلى النار ، هذا الفكر عطاء حيادي ؛ إما أنه يرقى بنا، أو أنه يهبط بنا .

المجرمون أذكياء أحياناً ، يستخدمون أساليب لا تخطر على بال ، والمؤمن أيضاً يستخدم هذا الفكر بطريقة عجيبة ، بحيث يصل إلى الله عز وجل ، فجهاز واحد يمكن أن يكون سبب سعادتك إلى أبد الآبدين ، ويمكن أن يكون سبب الشقاء إلى أبد الآبدين ، والفكر واحد .

ورد بالأثر : أن الله لما خلق العقل ، قال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر، قال : وعزتي وجلالي ، ما خلقت خلقاً أحب إليّ منك ، بك أعطي وبك آخذ .

سيدنا إبراهيم : الله عز وجل في نهاية قصته قال :

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾

[سورة الأنعام:90]

أي هذا هو السبيل إلى الله أن تستخدم هذا الفكر في معرفة الله عن طريق الكون .

التفكير أعلى أنواع العبادة على الإطلاق :

الله عز وجل قال :

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾

[سورة الأنعام:75]

الطريق :

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآَفِلِينَ﴾

[سورة الأنعام:76]

﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾

[سورة الأنعام:77]

﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾

[سورة الأنعام:78]

عملية تفكير ، الإنسان يمكن يفكر الشيء وأصله ، الشيء وخلاف ما هو عليه ، الشيء وعدمه :

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ﴾

[سورة القصص:71]

به . تصور الليل بخلاف ما هو عليه أبدي ، والنهار أبدي :

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾

[سورة الملك:30]

الله ﷻ ، ممكن أن تستنبط أنت من كتاب الله عز وجل مبادئ التفكير ، ممكن أن تعمل التفكير عبادة يومية، لأن التفكير أعلى أنواع العبادة على الإطلاق .

تفكر ساعة خير من أن تعبد الله ستين عاماً ، فهنا في هذه الآية الله عز وجل يرسم لنا الطريق ، تفكر في خلق السموات والأرض ، هذا الكون خلق من أجل أن تتفكر به ، وأن يصل بك إلى الله ، أما التفكير بدافع الشهوة :

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴾

[سورة المدثر:18-29]

إلى آخره . إذاً : الفكر إما أن يقودنا إلى الله ، أو إلى جهنم ، أبداً هو نفسه .

من أخطر التصرفات استخدام هذا الفكر العظيم لغير ما خُلق له :

الإنسان إذا أراد الهدى ، يجد أن معه أكبر جهاز على الإطلاق يصله إلى الله ، وإذا أراد الشهوة فهذا الجهاز يعينه على بلوغ شهوته ، فصار الفكر سلماً إلى الله ، أو دركات إلى النار .

سيدنا إبراهيم استخدم فكره في معرفة الله عز وجل . فالإنسان عليه ألا يمر على الآيات التي حوله مرور الجهلة، كلمة مرور الكرام غير صحيحة ، مرور الجهلة ؛ تأكل ، وتشرب ، وابنك أمامك ، كان من نقطة ماء .

اللقاء الزوجي فيه خمسمئة مليون حوين ، واحد يلقح البويضة ، الحوين والبويضة عليهما مورثات ، معلومات، هذه المعلومات عددها خمسة آلاف معلومة مبرمجة ، شكلت الإنسان ، علم الجنين وحده إذا الإنسان قرأه ، بنية أن يهتدي أو يخشع قلبه ، علم الجنين وحده إذا قرئ هذا العلم بنية أن يصل من خلاله إلى الله ، يرى العجب العجاب ، أما الإنسان إذا أراد الشهوة ، والشهرة ، والمال العريض ، والجاه ، فيكون درس علم الجنين لا فائدة منه ، لم يصل من خلاله إلى الله ، آلة التصوير بلا فيلم ، مهما كانت غالية ، لكن لا يوجد فيلم ، الفيلم هو الرغبة بالهدى ، إذا كان هناك رغبة بالهدى ، أقل آية تدلك على الله ، إذا لم يكن هناك رغبة بالهدى ، أكبر آية لا تنتبه إليها :

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آَيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾

[سورة يوسف:105]

فالقضية قضية قرار داخلي تتخذه أنت ، إذا اتخذت قراراً بالهدى ، أردت الحقيقة ، الآن فكرك أكبر مسرِّع ، أكبر منشط ، أكبر معين ، أكبر أداة ، أكبر وسيلة ، إذا الإنسان أراد الشهوة ، أيضاً فكره يسرعه نحو الشهوات ، ونحو الانغماس في الموبقات ، وقد يصل به فكره إلى النار ، فالعجيب أن الإنسان مخير ، وكل الحظوظ حيادية.

الآن : السكين في البيت ، يمكن أن يستخدمها خمس سنوات في تقطيع الخضار ، والفواكه ، وتقديم وجبات الطعام ، ويمكن أن يذبح بها إنساناً ، كأس الماء تشرب فيه ماء ، وليمون ، وشراب ، وتوت ، ويشرب فيه خمر، الكأس نفسه ، فالأمور كلها حيادية ، يمكن أن توظف في الحق أو في الباطل ، والفكر حيادي :

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾

[سورة المدثر:18]

قال تعالى :

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾

[سورة المدثر:20]

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾

[سورة المدثر:25]

قال تعالى :

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾

[سورة المدثر:26]

فكره أوصله إلى سقر ، والذي فكر بالكون ، كما فعل سيدنا إبراهيم فكره أوصله إلى الله ، لذلك من أخطر التصرفات أن تستخدم هذا الفكر العظيم لغير ما خُلق لك ، لغير ما خلق له :

﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾

[سورة الأنعام:78]

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

[سورة الأنعام:79]

الحنيف المائل .

العبادة طاعة مع المحبة :

أيها الأخوة ؛ القاعدة أن العبادة طاعة ، لكنها طاعة مع محبة ، الغ المحبة ، لا يوجد عبادة ، أي إنسان قوي ، بحكم قوته يلزمك أن تطيعه ، هل نسمي هذه الطاعة عبادة ؟ لا، أبداً ، يمكن أن تطيع قوياً وأنت مقهور ، وأنت لا تحبه ، وتتمنى موته ، هل نسمي هذه عبادة؟ لا ، العبادة طاعة مع المحبة . قال :

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

[سورة الأنعام:79]

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً﴾

[سورة الأنعام:80]

الآن أيها الأخوة إذا إنسان مثلاً نام بالبرية ، بخيمة ، والبرية فيها أفاع ، يسأل مؤمن : تخاف من أفعى ؟ يقول : لا أخاف ، إذا أراد الله أخاف منها ، إذا سمح الله لها أن تلدغني أخاف منها طبعاً ، إذا الله لم يرد لا أخاف منها، هذا كلام دقيق جداً : أي إنسان مخيف ، أي شبح مصيبة ، مرض ، فيروس ، أخاف ولا أخاف:

﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً﴾

[سورة الأنعام:80]

الشيء المخيف ؛ وحش ، حيوان ، مرض ، فيروس ، إنسان قوي ، شرير ، أخاف إذا سمح الله له أن يصل لي، ولا أخاف إذا الله عز وجل حفظني منه . مثل ما قال سيدنا هود:

﴿فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾

[سورة هود:55]

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آَخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾

[سورة هود:56]

ملخص الملخص : وحوش كاسرة ، مخيفة ، مفترسة ، طبعاً جاهلة ، لا يوجد عندها قيم ، تحتاج إلى ذوق ، لا يقول لك : تحتاج إلى ذوق ، يريد أن يأكل الوحش ، لا يهمه ماذا تحتاج .

لا يعرف الوحش الذوق ، لكن هذه الوحوش مربوطة بأزمة محكمة ، بيد شخص قوي ، وحكيم ، وعادل ، فأنت علاقتك ليس مع الوحوش ، مع الذي بيده أزمة الوحوش ، فإذا رخى الزمام أخاف ، أما إذا شدّ الزمام فأرتاح ، فعلاقتك ليس مع الوحش ، مع الذي بيده هذا الحيوان المخيف :

﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾

[سورة الأنعام:80]

قضاء الله و قدره لا يمنعه أحد إذا وقع :

أما التعليق الأخير :

﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ﴾

[سورة الأنعام:81]

أنا معقول أخاف من صنم !؟ لما سأل والي البصرة الإمام الحسن البصري الجليل ، لما جاءه توجيه من يزيد – التوجيه قد يكون مخالفاً للشرع – فقال له الحسن البصري : إن الله يمنعك من يزيد ، ولكن يزيد لا يمنعك من الله.

لما ربنا عز وجل يحفظ ، لا يوجد إنسان يستطيع أن يتجاوز حفظ الله عز وجل ، أما إذا الإنسان أعطاك ، طمأنك ، والله ما كان راضياً ، لا يمنعك هذا الإنسان من قضاء الله وقدره.

نعمة الأمن لا تعدلها نعمة على الإطلاق :

الآن : ثم يقول الله عز وجل :

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾

[سورة الأنعام:81]

أخواننا الكرام ؛ نعمة الأمن لا تعدلها نعمة على الإطلاق ، الله عز وجل رفعها إلى مستوى الهدى. قال :

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾

[سورة محمد:5]

إنسان ينام مطمئناً ، ينام مرتاح الضمير ، ينام مستسلماً لقضاء الله وقدره ، ينام وهو واثق أن الله لن يضيعه، لن يتخلى عنه ، ينام ويعرف لو جاءه الموت ، انتقل إلى جنة عرضها السموات والأرض ، ينام ويعرف أن الموت ستتصل به نعم الدنيا بنعم الآخرة ، هذا شعور لا يقدر بثمن .

الآن عند الناس قلق مخيف من الموت أن الموت نهاية كل شيء ، عند المؤمن بداية كل شيء ، مسافة كبيرة جداً ، تبدأ السعادة العظمى بعد الموت عند المؤمن ، أما الكافر فالموت ينهي في حياته كل شيء . قال :

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾

[سورة الأنعام:81]

هي نعمة الأمن ، صلاح البال ، الطمأنينة ، السكينة التي تتنزل على قلب المؤمن:

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾

[سورة الأنعام:81]

لنأت بمثل بسيط : لو شخص سافر لحمص بسيارته ، وهو يعلم أن العجلة الاحتياط غير صالحة ، على طول الطريق و هو خائف ، يقول لك : إذا عطبت العجلة بقينا في مكاننا ، حسناً لو إنسان أحياناً عنده العجلة الاحتياط لا يوجد فيها هواء ، لكن ليس عنده علم ، يسافر مرتاحاً ، الاثنان عجلات الاحتياط عندهم ليس فيهم هواء ، لكن عندما علم أنه لا يوجد هواء ، فقدت الأمن ، لما عرفت أنها صالحة ، سرت براحة نفسية .

موضوع الأمن مهم جداً ، هذه نعمة عظمى ، لا يتمتع بها إلا المؤمن ، الله عز وجل يعطي الصحة ، والذكاء ، والمال ، والجمال للكثيرين من خلقه ، لكنه يعطي نعمة السكينة بقدر لأتقيائه المؤمنين . الآية واضحة :

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة الأنعام:81]

قال :

﴿الَّذِينَ آَمَنُوا﴾

[سورة الأنعام:82]

كلام خالق الكون .

الخوف أساسه الشرك :

أخواننا الكرام ؛ هناك آية قرآنية هي قانون . الله عز وجل قال :

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا﴾

[سورة آل عمران:151]

إذا وجدت شخصاً بالأرض كلها مترفاً ومطمئناً ، يكون القرآن ليس كلام الله أبداً ، من لوازم الشرك الخوف ، فتجد البعيد عن الله عز وجل خائفاً ، ولو كان أقوى الناس ، الخوف الله يخلقه فيه ، فتجد عنده تصرفات تنم عن خوف منقطع النظير ، لأنه فقد الأمن :

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾

[سورة الأنعام:81-82]

لا يعرف طعم الأمن إلا المستقيم على أمر الله . قال :

﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾

[سورة التوبة:51]

﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

[سورة الطور:48]

إذا كان هناك جندي غر صغير ، بجيش طويل عريض ، فيه عشرون أو ثلاثون فرقة ، ووالده قائد الجيش ، هل يخيفه أحد بكل الجيش ؟ بكل الضباط ؟ لا ، لأن الله عز وجل إذا منح نعمة الأمن لإنسان ، لا يوجد جهة تخيفه ، وإذا سلب منه نعمة الطمأنينة ، يصبح يخاف من ظله ، يخاف من حشرة ، يخاف إذا صافح مريضاً أن يصاب بشيء .

يدخل الإنسان أحياناً المنحرف بوسواس أمراض نفسية ، سماها العلماء : وساوس متسلطة ، أساسها الخوف، والخوف أساسه الشرك ؛ فكما أن الله يخلق الأمن في قلب المؤمن ، يخلق الخوف في قلب الكافر :

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾

[سورة الأنعام:81-82]

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آَتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾

[سورة الأنعام:83]

التفكر باب واسع جداً للدخول على الله :

أخواننا الكرام ؛ لكل مؤمن من هذه الآية نصيب ، أي لا يوجد مؤمن ليس معه حجة ، دين ، هذا المؤمن عالم . ما اتخذ الله ولياً جاهلاً ، لو اتخذه لعلمه .

المؤمن عنده شيء ثمين ، طبعاً هو باتجاه الإيمان ؛ لكن معه مبررات ، معه أدلة، معه حجة قوية ، فهذه الصفحة بالأنعام ، من أبرز ما في هذه السورة ، هذا هو الطريق إلى الله؛ التفكر في خلق السموات والأرض، ثم الاستقامة على أمر الله ، ثم التمتع بنعمة الأمن . والله عز وجل قال :

﴿أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾

[سورة قريش:4]

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾

[سورة قريش:3]

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾

[سورة قريش:4]

أي ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد – ﷺ– نبياً ورسولاً .

ممكن أن تكون هذه الصفحة في الأنعام منهجاً لكل مؤمن ، أنت مؤمن ، بقدر تفكرك في خلق السموات والأرض ، ولا أبالغ إذا قلت – وهناك أدلة كثيرة في الكتب والسنة – إن عبادة التفكر هي أرقى العبادات على الإطلاق ، وأكثرها تقريباً إلى الله عز وجل ، والتفكر ما هو إلا باب واسع جداً للدخول على الله ، وطريق قصير للوصول إليه ، وهذا القرآن ثلثه آيات كونية لماذا؟ من أجل أن نقرأها فقط ، أم من أجل أن نتدبرها ؟

لذلك إذا الإنسان جلس بعد الفجر – الآن التفكر – ممكن أن يجلس عشر دقائق و هو يذكر الله ، وعشر دقائق أدعية ، وعشر تفكر ، فكر بآية واحدة؛ بالشعر ، بالعين ، بكأس الماء ، بابنك ، كيف تكوّن ؟ كيف صار طفلاً؟ كيف صار كائناً سوياً ؟

فإذا اختار الإنسان كل يوم موضوعاً مثلاً من الآيات الكونية ، وفكر فيه ، يكون قد سلك في هذا الطريق ، كما فعل سيدنا إبراهيم .

سيدنا إبراهيم : الله عز وجل بيّن لنا بالتفصيل ماذا فعل ، رأى النجم :

﴿رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ﴾

[سورة الأنعام:76]

الإله لا يأفل ، إلى أن وصل إلى أن :

﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾

[سورة الأنعام:79]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (13- 49) : ما أثر البيئة على اتجاه الإنسان؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

على الإنسان أن يحسن اختيار بيئته :

أيها الأخوة الكرام ؛ الله عز وجل يقول :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة:119]

الحقيقة أن للبيئة أثراً خطيراً جداً في اتجاه الإنسان ؛ مهما كنت نقياً ، طاهراً ، مؤمناً ، مخلصاً ، اجلس مع منحرفين ، مع عصاة ، مع فجار ، اسمع قصصهم ، اسمع مغامراتهم ، اسمع مجالسهم ، اسمع انغماسهم بالشهوات ، النفس أحياناً تشتهي ، أحياناً تتحول النفس ، وهناك إنسان لا يتأثر ، لذلك النبي قال :

((لا تُصَاحِبْ إلا مُؤْمِناً ، ولا يأكُلْ طَعَامَكَ إلا تَقِيّ))

[أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري]

لا تعمل علاقات حميمة مع غير المؤمنين ، يجروك ، تصغر أمامهم ، ترى نفسك أنت الغلطان ، أنت تحرم نفسك كل شيء ، هم جماعة يتمتعون بالسرور ، أنت هذه حرام ، وهذه حرام ، وهذه حرام ، يصغرونك ، لو جلست مع غير المؤمنين ، وكنت ضعيف الإيمان ، يصغرونك ، لذلك :

((لا تُصَاحِبْ إلا مُؤْمِناً ، ولا يأكُلْ طَعَامَكَ إلا تَقِيّ))

[أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري]

المؤمن يصاحب المؤمنين ، يرى عندهم مكانة ؛ يقدرون إيمانه ، يقدرون أخلاقه ، يقدرون اتجاهه ، يقدرون ورعه ، يقدرون علمه ، أي إذا أنت جلست مع إنسان يقدرك ، الجلسة ممتعة جداً ، لو جلست مع إنسان مادي ، دنيوي ، معبوده المال ، يقول لك : ما الراتب الذي تحصله ؟ يكون راتبك متواضعاً ، لكن أنت سعيد بالله عز وجل ، هو لا يعبأ بكل ميزاتك الأخرى، لكن يعبأ فقط بدخلك ، دخلك مثلاً خمسة آلاف ، يقول لك: خمسة !! لا يكفونك ، كيف تعيش !؟ تجده قد صغرك .

((لا تُصَاحِبْ إلا مؤمناً))

[أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري]

من دخل على الأغنياء ، خرج من عندهم وهو على الله ساخط ، والله أيها الأخوة ؛ أحياناً تزور أخاً فقيراً ، تشعر بسعادة لا توصف ، هو فرح بمجيئك ، وأكرمك ، وأنت جبرت خاطره ، ووجدت نفسك قد عملت عملاً طيباً ، أما إذا زرت إنساناً آخر ، يقرف ويقرف ، شيء صعب ، لذلك الإنسان يختار بيئته .

البيئة مسرّعة ومثبطة و الإنسان يملك حرية الاختيار :

أنا أرى أخواننا الكرام ؛ الذين تفوقوا ، محاطين بمجموعة مؤمنين طيبين ، هناك تنافس ، الله قال :

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾

[سورة المطففين:26]

أما لو أن الإنسان انساق لأهل الدنيا ، وخالطهم ، وسهر معهم ، ولبى دعواتهم ، وسمع حديثهم ، إذا كان ضعيف الإيمان ، يحس بالحرمان ، يحس نفسه لم يأخذ شيئاً من الله عز وجل ، وإذا كان قوي الإيمان يتمزق ، إلا إذا كان يستطيع أن يسيطر عليهم ، أناس دعوك وأنت لك مكانة عندهم ، وأنت استلمت الحديث، وأثرت فيهم .

إذا استطعت أن تشدهم فهذا شيء جيد ، أما إذا شدوك فاتركهم ، المقياس الدقيق لعبة شدّ الحبل ، تستطيع أن تشدهم ؟ جيد ، معنى هذا أنك قوي ، إذا إن شدوك لعندهم ، يأسوك ، ضعفوا معنوياتك ، لا ، اتركهم ، الضابط بهذا الموضوع ما إذا كان بالإمكان أن تؤثر فيهم ، أو أن تتأثر بهم ، إذا كان من الممكن أن تؤثر بهم ، لا يوجد مانع ، لك نيتك العالية ، بشرط ألا تكون هناك معصية و لا اختلاط ، أنا أريد أن أهديها ، يوجد إنسانة فيها خير كثير ، لا ، هذا كلام فارغ ، ما دام هناك معصية ، لن تستطيع أن تفعل شيئاً ، إذا كان المجلس لا معصية فيه فهذا ممكن ، لو كانوا من أهل الدنيا ، لذلك الله عز وجل قال :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة:119]

البيئة مهمة جداً ، و البيئة هي كل شيء ، لها تأثير كبير جداً ، أما الإنسان فهو المختار ، الإنسان ليس منفعلاً، بل فاعلاً ، ممكن أن نشبه الإنسان بكرة تتحرك نحو الأعلى ، لكن بصعوبة كبيرة جداً ، معنى هذا أن البيئة مسرعة ، البيئة الصالحة مسرعة ، والبيئة السيئة مثبطة ، أما الإنسان فما دام مختاراً ، وما دام عقله برأسه، مهما ساءت البيئة ، يستطيع أن ينتصر عليها ، والإنسان المنحرف ، مهما صلحت البيئة ، نفسه المنحرفة تلغي هذه البيئة ، فالبيئة لها أثر ، لكن ليس كل الأثر ، ليس تأثيرها مئة بالمئة ، أنت لك

اختيار ، إلا أن البيئة مسرعة ومثبطة ، فأنت لا تستطيع أن تعيش مع أناس منحرفين ، وأنت لوحدك صالح، إذاً يجب بعد التوبة ، بعد الصلح مع الله ، أن تغير طقمك كله .

على الإنسان أن يكون دائماً مع الصادقين :

الآن : هناك مجموعة من الناس ، هؤلاء سبعة أو ثمانية معاً ، هؤلاء عشرة أو خمسة عشر معاً ؛ عندهم دور كل ثلاثاء ، كل أربعاء ، كل خميس ، كل أحد ، هذا الطقم إذا كان طقم طاولة ، وشدّة ، وأنت بعد ما آمنت ، واستقمت ، وأقبلت على الله عز وجل ، عليك أن تغير هذا الطقم كله ، هذا الطقم كله عاطل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة:119]

تحتاج إلى طقم يقرؤون القرآن ، طقم تتذاكرون بالأحاديث ، طقم تتفكرون بخلق السموات والأرض ، طقم لا يوجد فيه مزاح رخيص ، طقم لا يوجد فيه اختلاط ، طقم لا يوجد فيه غيبة ، لا يوجد فيه نميمة .

فأنا أقول : أخواننا الكرام الذين تابوا مجدداً ، الذين اصطلحوا مع الله مجدداً ، هم في أمس الحاجة إلى أصدقاء مؤمنين من جنس آخر ، وإلا هناك أخ من أخواننا ، أكبرت فيه هذه الصفة ؛ له أربعة أو خمسة أصدقاء من أهل الدنيا ، فلما اصطلح مع الله ، هو اعتزلهم عامين أو ثلاثة ، إلى أن قوي ، ثم عاد إليهم ، وأخذ بيدهم واحداً واحداً إلى بيت الله ، بعد ما قوي ، أولاً : اعتزلهم حتى تقوى ، ثم عد إليهم ، وخذ بيدهم واحداً واحداً إلى بيوت الله ، وهذا كله في صحيفتك ، أنا أُكبر في الإنسان هذه الصفة ، لذلك :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة:119]

البيئة الصالحة مسرّعة ومريحة والبيئة السيئة مثبطة ومتعبة :

الأصدقاء ، أصدقاء الجاهلية يجب أن تنسحب بأدب منهم ، من دون قتال ، أن تنسحب منهم واحداً واحداً ، وأن تبني علاقات جديدة مع أناس مؤمنين ، صادقين ، البيئة الصالحة حياة أخرى ، البيئة الصالحة مسرِّعة، مسرعة مثل إنسان يسبح مع التيار ، إذا كان النهر جارياً ، وسبحت أنت فيه .

في بعض البحار تيارات دافئة ، تمشي خمسة كيلو مترات بالساعة ، أو ثمانية ، ثم ترتاح لأن التيار دافئ .

يقول لي أحدهم وقد عبر المانش : بعد ما دخلنا للتيار ، ارتحنا راحة كبيرة ، مياه دافئة .

أحياناً يضعون ببعض المحلات الضخمة شريطاً متحركاً ، ممشى متحركاً ببعض البلاد ، فإذا شخص مشى على هذا الشريط ، يكون قد مشى بسرعة مضاعفة ، وإذا شخص مشى بعكس الشريط ، بعكس البساط ، يكون قد بذل جهداً كبيراً ، وحركته بطيئة ، فهذه البيئة مثل بساط متحرك ، إذا كنت تمشي معه ، السرعة مضاعفة ، وإذا كنت تمشي بعكسه فالسرعة تصبح للنصف ؛ فالبيئة مسرِّعة ، البيئة الصالحة مسرّعة ومريحة ، والبيئة السيئة مثبطة ومتعبة، والله عز وجل قال لك :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة:119]

اختر أخوانك ، اختر أصدقاءك ، حتى إذا كنت تحب مثلاً أن تعمل سهرة ، لا تختر إنساناً ممكن أن يتحدث عن الدنيا .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (14- 49) : أعداء الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

طريق أعداء الإسلام تفجير الدين من داخله :

أيها الأخوة الكرام ؛ أعداء الإسلام أو أعداء المسلمين حينما يئسوا من أن يطفئوا نور الله عز وجل ، لجؤوا إلى طريق آخر ألا وهو تفجير الدين من داخله ، عن طريق إلقاء الشبه ، وتحويل النصوص الدينية عن وجهها الصحيح ، هذا الأسلوب الله جلّ جلاله أشار إليه في هذه الآية الكريمة ، الآية الثانية عشرة بعد المئة من سورة الأنعام ، وهي قوله تعالى :

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾

[سورة الأنعام:112]

كلام مزخرف ، كلام فيه شيء جديد ، كلام يلقي بعض الشبهات ، يأتي بالحق مع الباطل :

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾

[سورة الأنعام:112]

يقول الله عز وجل :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾

[سورة الأنعام:112]

لا يقع شيء في ملك الله إلا بعلم الله ، لا يقع شيء على الإطلاق في ملك الله إلا بعلم الله :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾

[سورة الأنعام:112]

أحياناً يأتي إنسان ، يلقي شبهة ، المؤمن يبحث عن حلها فيزداد إيماناً ، المنافق يتخذها حجة فيمارس هذه الشهوة ، فتخرج هذه الشهوة من نفسه ، يؤدبه الله عز وجل بعدها فيتوب ، لا يوجد إنسان تلقى عليه شبهة ، إلا وله موقف ، هذا الموقف ؛ إما أن ينقله إلى الحق عن طريق البحث والدرس ، وإما أن تكون هذه الشبهة سبباً لإخراج شهوة في نفسه مستحكمة .

معركة الحق والباطل معركة قديمة ومستمرة :

على كلٍّ :

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾

[سورة الأنعام:112]

معركة الحق والباطل معركة قديمة ، ومستمرة إلى أبد الآبدين ؛ لأنه ما دام هناك مؤمن وكافر ، مشرك وموحد ، منصف وظالم ، محسن ومسيء ، مستقيم ومنحرف ، رحيم وقاس ، مادام هناك صفات متقابلة ، إذاً المواجهة بين أهل الحق وأهل الباطل مواجهة مستمرة . قال :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ ﴾

[سورة الأنعام:112 –113]

الإنسان الذي كفر بالآخرة ، وآمن بالدنيا وحدها ، وانكب عليها ، وانغمس فيها إلى قمة رأسه ، أية شبهة حول الدين يتمسك بها ، لأنه يستفيد منها ، ويغطي بها انحرافه ، الحالة النفسية لهؤلاء الذين يتعلقون بالشبهات أنهم اختل توازنهم بالمعاصي ، هذه الشبهات يتوهمون أنها تعيد لهم توازنهم . قال:

﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴾

[سورة الأنعام:112 –113]

الآية الجامعة المانعة في هذه السورة هي أن القرآن الكريم كله لا يزيد عن خبر أو عن أمر ، أبداً ، اقرؤوه من البقرة إلى الناس ، لا يمكن أن تكون آيات القرآن الكريم إلا خبراً أو أمراً . قال تعالى :

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً﴾

[سورة الأنعام:115]

خبره صادق ، وأمره عادل ، بهاتين الكلمتين وُصف القرآن الكريم كله ، إما أن يكون خبراً أو أمراً .

من لم يكن مع الحق فهو مع الباطل :

الآن :

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

[سورة الأنعام:151]

الآية الواحدة والخمسون بعد المئة من الأنعام نفسها :

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

[سورة الأنعام: 152-153]

هذه الآيات ، أكبر حقيقة فيها أن الحق لا يتعدد أبداً ، الحق واحد ، لو التقيت مع ألف رجل على حق لا يختلفون ؛ لا في تفكيرهم ، ولا في معتقداتهم ، ولا في مبادئهم ، ولا في قيمهم ، ولا في حركاتهم ، ولا في سكناتهم ، الحق لا يتعدد ، الباطل يتعدد ، لذلك :

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾

[سورة الأنعام الآية :153]

فالإنسان إذا لم يكن مع الحق فهو مع الباطل ، إذا لم يكن مع الخير فهو مع الشر، هذه حقيقة . الشيطان قال له :

﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

[سورة الأعراف:16]

أكبر شبهات الشيطان أن يغري الإنسان أن يعيش عصره :

الآية دقيقة جداً ؛ الإنسان يكون ضالاً ، تائهاً ، شارداً ، منحرفاً ، مرتاحاً ، طبعاً هو مرتاح بحسب الظاهر ، أما حينما يتوب إلى الله عز وجل ، ويستقيم على أمره ، فيأتي الشيطان ليصرفه عن هذا الاتجاه الجديد . فقال له :

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

[سورة الأعراف الآية :16]

إذا الإنسان في بدايات طريق الإيمان ، وجد وساوس ، مشكلات ، شبهات لم تكن تأتي له على خاطر ، من أين جاءت هذه الشبهات ؟ هذه الشبهات تفسيرها سهل جداً ؛ إنه حينما اعتقد اعتقاداً صحيحاً ، وحينما تاب إلى الله توبة نصوحة ، وحينما سلك طريق الإيمان ، جاء الشيطان ليصرفه عن هذا الطريق ، فالإنسان لا يبالي ، معه الاستعاذة بالله ، هذه تنفي عنه كل خاطر سيئ . قال :

﴿ثُمَّ لَآَتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾

[سورة الأعراف:17]

من بين أيديهم أي من أمامهم ، الشيطان أحياناً يلقي على الإنسان شبهات متعلقة بالتقدم ، والعصرنة ، والعلم ، والروح ، المجتمع العالمي الموحد ، والأرض كلها قرية صغيرة ، والتقاليد والعادات أشياء بالية ، والقيم متبدلة ، فيأتيه من باب التجديد ، والتقدم ، والحداثة ، والعلم ، والعصرنة ، إلى آخره .

إذاً : أحد أكبر شبهات الشيطان أن يغري الإنسان أن يعيش عصره ؛ إن كان هناك انحلال أخلاقي ، أو اختلاط، أو أكل مال حرام ، أو علاقات ربوية ، أو فساد ، يقول لك : هكذا العصر ، يجب أن أعيش عصري ، يجب أن عيش بيئتي ، يجب أن ألبي حاجاتي ، هذا كله كلام الشيطان ، هذه الشبهات التي يلقيها الشيطان على الإنسان :

﴿ لَآَتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾

[سورة الأعراف:17]

الجهة الثانية ؛ إذا كان هناك تقاليد ، أو عادات خلاف الدين ، يتمسك فيها ؛ هكذا تربينا ، هكذا نشأنا ، هكذا علمنا أبي ، هكذا نحن ، هذه تقاليدنا ، هذا تراثنا ، هذا الفولكلور الخاص بنا خلاف الدين مثلاً ؛ فإما أن يأتيك من باب الحداثة ، والعصرنة ، والتجديد ، وإما أن يأتي الشيطان عن أيمانهم وعن شمائلهم .

أما عن شمائلهم فبالمعاصي والموبقات ؛ والانحراف ، والزنا ، وشرب الخمر ، والنوادي ، وما إلى ذلك . أما عن أيمانهم فيأتيك من الدين ، يقول لك : وضوءك غير صحيح ، معنى هذا أن صلاتك لم تصح ، تعبت بدون مقابل ، يلقي به الشبهات ؛ إما بالعبادات ، أو بالوساوس ، أو يضعف له ثقته بنفسه ، بعد ذلك : أنت لعلك مكتوب عليك الشقاء من الأزل ، انتهى الأمر ، لا تغلب نفسك ، من عقيدة جبرية ، أو عقيدة غير صحيحة ، أو يعلقه بالشفاعة:

((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي))

[أبو داود والترمذي عن أنس بن مالك]

ارتاح ، لم يبق هناك شيء أبداً ، فأحياناً الشيطان يأتي من باب الدين ؛ إما وسوسة بالعبادات ، أو إلقاء شبهات، أو يطمعه بشفاعة ، بمعنى ساذج فارغ ، أو يخوفه ؛ أنت مكتوب عليك الشقاء من الأزل ، انتهى أمرك، النتيجة : الشيطان إذا رأى طريق الأمام مغلقاً ، طريق الخلف مغلقاً ، وعن اليسار مغلق ، لا يوجد أمامه غير طريق واحد ، طريق اليمين ، يأتيه بخواطر إسلامية ، أي كلمة حق أريد بها باطل .

جهتان لا يستطيع الشيطان الوصول إليهما :

على كلٌ ؛ يوجد أربع جهات يتولاها الشيطان ؛ من بين أيديهم ، ومن خلفهم ، وعن أيمانهم ، وعن شمائلهم، إلا أن هناك جهتين أغفلتا في هذه الآية ؛ جهة الأعلى ، وجهة الأسفل .

قال : جهة الأعلى لا يستطيع الشيطان أن يصل إليها ؛ الاتصال بالله ، إذا اتصلت بالله ، واستعنت به ، وأقبلت عليه ، الجهة العلوية لا سبيل للشيطان إليها ، والجهة السفلية جهة التواضع ، والتذلل ، والعبودية لله، هذه الجهة أيضاً محمية ، فإذا أردت أن تصل إلى الله ، فعليك أن تتواضع ، وأن تتعبد ، وأن تفتقر إليه ، وأن تتصل به ، أما هذه الجهات الأربع ، هذه الجهات هي مجال عمل الشيطان ، فالآية أصبحت :

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

[سورة الأعراف:16]

﴿ثُمَّ لَآَتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾

[سورة الأعراف:17]

إطلاق إرادة الإنسان في الدنيا ليستحق الجزاء العادل :

مرت آية أخرى في السورة السابقة ، فاتني أن أذكرها لكم :

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾

[سورة الأنعام:147]

أي الآية فيما يبدو متناقضة :

﴿رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾

[سورة الأنعام:147]

تقتضي هذه الرحمة الواسعة ألا يرد بأسه عن القوم المجرمين ، ما معنى ذلك ؟

ثلاثة شباب في الطريق يدخنون ، مرّ الأب ، رأى ابنه بينهم ، ورأى ابن أخيه معهم، ورأى شاباً آخر لا يعرفه ، أنت لاحظ موقف الأب من ابنه ، موقفه شديد تجاه ابنه ، وموقفه أقل شدة تجاه ابن أخيه ، أما الثالث فلا يعبأ به ، ابني امش ، اذهب ، ربما أدّب ابنه تأديباً شديداً جداً ، ربما عنّف ابن أخيه تعنيفاً خفيفاً، أما الذي لا يعرفه فيتركه .

إذاً : دائماً هناك علاقة بين شدة القرب ، وشدة الحب ، وشدة الرحمة ، وبين التأديب الشديد :

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾

[سورة الأنعام:147]

والآية التي بعدها جاءت :

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾

[سورة الأنعام:149]

أيضاً هذه الآية عجيبة ، أي :

﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ﴾

[سورة الأنعام:149]

إذاً يا ربي أنت لم تهدنا أين الحجة ؟ أنا ليس لي ذنب ، أنت لم تشأ أن تهديني ، فما ذنبي إذاً ؟ المعنى ليس كذلك ، المعنى :

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾

[سورة الأنعام:149]

أي هذه الأعمال التي تعملونها ، هي من اختياركم ، ومن كسبكم ، وأنتم في الدنيا مخيرون ، وأنتم في الدنيا أطلقت إرادتكم ، كي تكتسبوا الحق أو الباطل ، فالجزاء تستحقونه عدلاً، لأن أعمالكم اختيارية :

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾

[سورة الأنعام:149]

أما لو أنكم تزعمون أن الله أجبركم ، لو أنه أجبركم كما تزعمون ، لما أجبركم إلا على الهدى ، لو كان من الممكن أن يغير نظام الكون ، ونظام الإنسان ، فتؤخذ منه حريته ، ويغدو مسيراً ، لو أن الله سبحانه وتعالى سلب الإنسان حريته ، وجعله مسيراً ، لما سيره إلا إلى الحق :

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾

[سورة الأنعام:149]

أي العقاب الذي سوف يترتب عليكم يوم القيامة عقاب عادل ، لأن أعمالكم اختيارية ، أما لو أنكم تزعمون أن الله أجبركم على هذه المعاصي :

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾

[سورة الأنعام:149]

لو أنه مجبركم على شيء ما ، لأجبركم على الهدى .

العاقل من يحتاط للأمور قبل وقوعها :

آخر آية :

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

[سورة الأعراف:52]

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾

[سورة الأعراف:53]

أخواننا الكرام ؛ من أجمل تأويلات هذه الآية أن تأويل الآيات وقوع الوعد والوعيد، الله وعد المرابي بتدمير ماله ، فحينما يدمر ماله ، يكون تدمير المال تأويلاً لآية الربا ، وعد المؤمن بحياة طيبة ، الحياة الطيبة تأويل للآية ، وعد المعرض عن ذكر الله بحياة ، بمعيشة ضنك ، المعيشة الضنك تأويل الآية ، فالعاقل يخاف بعقله ، والحيوان يخاف بعينه ، انتهيت ، إلى أن يرى الخطر يخاف ، أما العاقل فيصل إلى الخطر قبل وقوعه ، يحتاط بالأمور قبل وقوعها ، هذا العقل أساساً ، أما الحيوان نفسه فعندما لما يواجه حفرة يقف ، متى وقف ؟ حينما واجهها؛ فالفرق بين الإنسان والحيوان أن الإنسان يدرك الخطر قبل أن يصل إليه ، فيأخذ الحيطة ، بينما الحيوان لا يقف إلا عندما يصل للخطر ، فلذلك :

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾

[سورة الأعراف:53]

فالإنسان حينما يقع العقاب الإلهي ، وحينما تأتي تأويل الآيات :

﴿لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا﴾

[سورة الأنعام:158]

فالقضية قضية اختيار وقت ؛ إما أن تؤمن قبل فوات الأوان ، وأن تعرف ما ينبغي أن تعمله ، وإما أن تدفع الثمن باهظاً .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (15- 49) : السنن التي يعامل الله به عباده فيما لو انحرفوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

مراحل الدعوة الربانيّة للإنسان :

1 . الدعوة البيانية :

أيها الأخوة الكرام ؛ الإنسان أحياناً يُبلّغ من حوله سياسته في موضوع ما ، رحمة وحرصاً ، فربنا سبحانه وتعالى في هذه السورة ، في بضعة آيات دقيقة جداً يبين سننه ؛ السنن التي يعامل بها عباده فيما لو انحرفوا، وهذه الآيات مهمة جداً . يقول الله عز وجل :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾

[سورة الأعراف:94]

أولاً : الله سبحانه وتعالى يبدأ مع عبده بالدعوة البيانية ، يسمعك الحق ؛ من خطبة، أو درس ، أو مقالة ، أو كتاب ، أو شريط ، أول شيء تسمع الحق بياناً ، الإنسان إذا سمع الحق وأعرض ، ولم يؤمن ، ولم يبال ، ولم يكترث ، ولم يستجب ، أي هذه الدعوة البيانية لم تؤثر فيه ، الآن العلاج الثاني ؛ كيف أن الطبيب يقول له : خذ الحبتين الآن عيار خمسمئة ، إذا لم تستفد ، يوجد عندنا عيار أثقل ، لم تستفد يوجد عندنا إبر ، بعد ذلك يوجد عندنا عملية ، مجموعة معالجات ، كل مرحلة لها معالجة ، فربنا عز وجل من طرق تربيته لهذا الإنسان أنه أولاً يبدأ به بالدعوة البيانية - كلام - يسمعه الحق ، يجمعه عن قصد أو عن غير قصد مع أهل الحق ، يسوقه لمسجد تُلقى فيه خطبة تناسبه :

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ﴾

[سورة الأنفال:23]

أول شيء فيه بقية خير يسمعه الحق ، ما استجاب ، ما تأثر ، ما بالغ ، ما فكر ، ما عقل ، ما وعى ، حسناً يوجد عندنا الآن علاج ثان :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾

[سورة الأعراف:94]

2 . التأديب التربوي :

تأتي الشدائد ، وكل إنسان تناسبه شدة ، كل إنسان هناك شدة تهزه ؛ الغني تهزه كرامته أحياناً ، الفقير تهزه النواحي المادية ، الحريص على صحته تأتيه الشدة من صحته ، عنده ابن معلق فيه زيادة ، تأتيه من ابنه ، يعرف الله بالضبط المكان المؤثر تماماً ، فالإنسان عندما لا يستجيب ، لا يبالي ، يصم أذنيه عن سماع الحق ، لا يكترث لهذا الذي سمعه ، يؤدبه الله .

أما السعيد فهو الذي يستجيب في الدعوة البيانية ، لأن القضية مصيرية ، لم يستجب ، أيضاً يوجد حلّ عند الله عز وجل يسوق له من الشدائد البأساء والضراء ، شدة نفسية، فقر أحياناً ، ضغط ، شبح مصيبة ، لم يستجب ، أي هذه المصائب فسرها تفسيراً أرضياً ، قال: الحياة صعبة يا أخي ، الظروف معقدة جداً ، الدهر يومان : يوم لك ، ويوم عليك :" من لم تحدث المصيبة في نفسه موعظة فمصيبته في نفسه أكبر " أي أكبر مصيبة ألا تتعظ بالمصيبة أول مرحلة : الدعوة البيانية ؛ كلام ، تسمع ، المرحلة الثانية : الدعوة عن طريق الشدة ؛ لم يستجب ، لم يتأثر ، لم يبال ، فسرها تفسيراً أرضياً ، قال لك : هناك اضطراب بالدخول مثلاً ، كل مصيبة أعطاها تفسيراً أرضياً لا يمت للسماء بصلة ، هذا من الشك من ضعف الإيمان ، نعم .

3 . الإكرام الاستدراجي :

الآن : يوجد عندنا مرحلة ثالثة . قال :

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾

[سورة الأعراف:95]

ارتفع الضغط ، الشدة وقفت ، الأمور تيسرت ، الدخل ازداد ، المرض انتهى ، لم يكن ينجب ، رزقه الله بولد، كان في ضائقة انفرجت الضائقة ، كان في كساد فبيعت البضاعة، كل شيء الله عز وجل كان مضيقه ففتحه ، والإنسان مقيم على المعاصي .

لاحظ أحياناً الإنسان لا يصلي ، كان بشدة انفرجت ، لم ينصلح انتقل لمرحلة علاجية أخرى ، كنا بمرحلة انتقلنا إلى مرحلة . قال :

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا ﴾

[سورة الأعراف:95]

نسي المصيبة ، الرخاء ، واقع الرخاء أنساه المصيبة السابقة ، يقول لك : هكذا الحياة ، الحياة مد وجزر ، الدهر دولاب ، يومان ؛ يوم لك ، ويوم عليك ، فسر الرخاء تفسيراً أرضياً لا يمت للسماء بصلة ، فسر الشدة تفسيراً أرضياً ، وفسر الرخاء تفسيراً أرضياً ، صار هناك انفتاح ، صار كذا . . الله رفع الشدة ؟ لا ، فسرها أن الظروف الجديدة تقتضي ألا يكون هناك انفتاح ، إله عظيم سمح يسر الأمور ، فسر الشدة تفسيراً أرضياً، والرخاء تفسيراً أرضياً . قال :

﴿ حَتَّى عَفَوْا ﴾

[سورة الأعراف:95]

حتى عفوا : أي نسوا ؛ نسوا الماضي ، نسوا الضيق ، نسوا الشدة :

﴿ وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آَبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ ﴾

[سورة الأعراف:95]

مرة ثانية : إن هذه قضية عادية جداً ، هكذا الحياة . قال :

﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾

[سورة الأعراف:95]

4 . القصم :

المرحلة الرابعة : القصم ، القصم شيء مخيف ، القصم للآخرة رأساً .

أحياناً الإنسان تأتيه مصيبة ، والله يرفعها عنه قليلاً ، يعطيه فترة ، يعطيه مهلة للتدبر ، تأتي مصيبة وترتفع، ماذا تقول ؟ لكن المرحلة الرابعة مرحلة القصم ، هذه إن صح التعبير : سياسة الله مع عباده .

أيها الأخوة ؛ والله الذي لا إله إلا هو ، أعقل إنسان على وجه الأرض هو الذي يستجيب بالدعوة البيانية الأولى، وأنت في بحبوحة ، وأنت في رخاء ، من دون شدة ، من دون ضعف ، والأقل درجة الذي يستجيب عند الشدة ، ما استجاب عند الرخاء ، أما إن لم يستجب بالدعوة البيانية ، ولا بالتشديد ، ولا بالرخاء ، انتهى، هذا ميت .

الآن : كيف الطبيب يقول لك : كأن هذا الشخص فيه بقية روح ، ائتوني بمرايا ، وضعها ، لا يوجد بخار ماء ، هاتوا بيلاً ، يضعه في العين ، العدسة لم تصغر ، يقول له : عظم الله أجركم ، هذا منته ، لا يوجد استجابة إطلاقاً ؛ لا بالقزحية ، ولا بالتنفس ، و لا يوجد نبض ، والتخطيط خط مستقيم ، معنى هذا أن الأمر منته ؛ فلما أعرض عن الدعوة البيانية ، والدعوة العقابية ، والدعوة الإكرامية ، لم يعد إلا القصم ، فلذلك :

﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آَمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

[سورة هود:36]

فالله يجعلنا ممن يستجيب بياناً :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾

[سورة الأنفال:24]

سياسة ربنا في معاملة عباده :

انظر علاقة الآيات التالية بالأولى ، الآن نحن في شدة لا سمح الله ، ما الحل ؟ قال:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

[سورة الأعراف:96]

هذا أول حل ، أنت الآن بالمرحلة الثانية ، وأردت أن تستجيب ؛ أول رد إلهي رفع الشدة :

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

[سورة الأعراف:96]

معنى هذا أن الإنسان إذا كان بالشدة ، يذكر هذا الحديث الشريف :

((لا يخافن العبد إلا ذنبه ، ولا يرجون إلا ربه))

[ملء العيبة عن علي]

﴿ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

[سورة الأعراف:96]

الآن أناس في الرخاء ، هذا الرخاء لا يستمر ، هنا النقطة الدقيقة : الإنسان من ضعف تفكيره ، من سذاجته أحياناً ، إذا وصل لمرحلة ، يسمونها مكسباً مادياً ، يظن أن هذا الشيء سيستمر دائماً ، لا . قال :

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ﴾

[سورة الأعراف:97]

هناك بلاد فيها حروب أهلية ، بلاد فقيرة ، بلاد بأعلى درجات الرخاء ، أغنى بلاد بالعالم ، لا يوجد عندهم مشكلة أبداً ، غزوا العالم ، أي أمنوا مكر الله ؟ لا ، سبعة ريختر لم يبق هناك شي :

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾

[سورة الأعراف:99]

﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

[سورة الأعراف:97 –99]

هذه الآيات أخواننا الكرام بالتعبير الدقيق سياسة ربنا في معاملة عباده ، فكل إنسان يلاحظ نفسه بأي مرحلة، السعيد من كان في مرحلة الدعوة البيانية ، لا يوجد مشكلة ، أنت صحيح معافى ؛ أنت ، وأهلك ، وأولادك ، لك عمل ، لك مكانة ، الآن استجبت ، اسمع ، سمعت الحق ، الله عز وجل جمعك مع من يسمعك الحق ، بشكل أنت ظننته عفوياً ، لا ، هو مقصود .

كل إنسان له قصة هداية ، لا يوجد إنسان ليس له قصة ، هو من السذاجة يظن أن القصة عفوية ، هكذا صارت صدفة ، لا :

﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾

[سورة طه:40]

الله عز وجل يجمع زيداً مع عبيد لحكمة ، وبقدر ، وبمناسبة مدروسة ، أنت ظننتها عفوية ، فصار معنا دعوة بيانية ؛ معالجة بالبأساء والضراء ، معالجة بالرخاء ، وقصم ، أربع مراحل .

الآن : إذا كنت أنت بالدعوة البيانية استجب ، كنت بالدعوة التأديبية استجب ، كنت بالدعوة التكريمية استجب ؛ هناك دعوة بيانية ، ودعوة تأديبية ، ودعوة تكريمية ، فإذا لم يستجب عليه أن يكون علمياً ، أي يتوقع القصم ، أبداً :

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾

[سورة الأعراف الآية :99]

إنسان على كفر ، وانحراف ، وفسق ، وفجور ، ومال ، وغنى ، ووجاهة ، واستمتاع بالشهوات ، وهذا الوضع استمر إلى ما لا نهاية ، هذا الحمق بذاته ، هناك مفاجأة صاعقة ، مفاجأة يهتز لها القلب .

الإنسان الموفق هو مع الله في سلام :

إذاً : الإنسان الموفق هو مع الله في سلام . الله ماذا قال ؟ قال :

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾

[سورة المائدة:16]

سلام مع ماذا ؟ مع نفسك في راحة نفسية ، سلام مع من حولك ، سلام مع من فوقك ، سلام مع من دونك، لا يوجد مفاجآت بحياة المؤمن ، مفاجآت مزلزلة لا ، هناك إكرام .

عتاب الله لمن لا يرعى عهده :

الإنسان أحياناً يقرأ هذه الآية ، ماذا يشعر؟ قال :

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾

[سورة الأعراف:102]

تجد الشخص ذهب إلى بيت الله الحرام ، طاف حول الكعبة ، عاهد ربه ، يأتي إلى بلده ، ينسى ، كم من إنسان تاب بعد ما تاب نقض التوبة ؟ عاهد ربه على الصلاة ترك الصلاة، عاهد ربه على غض البصر ترك غض البصر ، أي كأن الله عز وجل يعتب على عباده :

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾

[سورة الأعراف:102]

يجب أن تستثير هذه الآية نخوة في الإنسان ، أي أنت عاهدت ربك ، انتهى الأمر، شيء جميل جداً الإنسان يكون مع الله صادقاً بالعهد ، عاهدت إلهاً ، خالق الكون ، عاهدته عهداً موثقاً ، يا رب لن أعصيك؛ لن آكل مالاً حراماً ، لن أنظر إلى امرأة لا تحل لي ، لن أفعل شيئاً لا يرضيك ، لن أغتاب أحداً :

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾

[سورة الأعراف:102]

جعلنا الله من القلة التي ترعى عهد الله عز وجل ، من القلة التي إذا قالت فعلت .

الابتعاد عن التعصب الأعمى :

أيضاً عتاب ثان :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

[سورة الصف: 2-3]

إذا الإنسان عاهد ربه عهداً موثقاً ، وعرضت له الشهوة ، أو صار عنده إغراء أو ضغط ، لا ينسى العهد ، أنت عاهدت ، نعم :

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾

[سورة الأعراف:102]

في القصتين اللتين وردتا قبل هذه الآيات يتضح أن الله سبحانه وتعالى حينما ساق الشدة لقوم سيدنا لوط ، امرأة لوط لم تفعل شيئاً يوجب أن تعاقب ، لأن المرأة ليس من صالحها هذا الانحراف ، ومع ذلك أهلكها الله عز وجل، لأنها انحازت إلى قومها ، فالانحياز إلى القوم خطير جداً ، هذا التعصب :

((ليس منا من مات على عصبية ، ليس منا من قاتل على عصبية ، ليس منا من قتل على عصبية))

[أحمد]

التعصب انحياز أعمى ، أنت مع الحق ، لست مع زيد ولا عبيد ، فامرأة ليس من صالحها هذا الانحراف في العلاقات ، ومع ذلك حينما انحازت إلى قومها ، وأقرت عملهم هلكت، لذلك ورد : " من غاب عن معصية فرضيها ، كان كمن شهدها ، ومن شهد معصية –منكراً– فأنكرها ، كان كمن غاب عنه ".

العبرة : ألا تقر المنكر ، ألا ترضى به ، ألا توافق عليه صاحبه ، والحديث المعروف : " الذنب شؤم على غير صاحبه ، إذا ذكره اغتابه ، وإذا رضي به شاركه في الإثم ، وإذا عيره به ابتلاه الله به ".

يقول لك : لا تعير ، ولا ترضى ، ولا تذكر ؛ الذكر غيبة ، والتعيير تبتلى به ، وأن ترضى به شركت معه في الإثم ، فنسأل الله أن يجعلنا من المهتدين .

هذه الآية الخاصة باليوم ، يجب أن تكون درساً بليغاً ، أي سياسة ربنا مع الإنسان في دعوته إلى ذاته ، إلى الجنة هي دعوة بيانية ، دعوة تأديبية ، دعوة إكرامية ، ثم القصم ، وكل إنسان عليه أن يحرص أن يكون في المرحلة الأولى .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (16– 49) : وصف المؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة الكرام:

ربنا سبحانه وتعالى في القرآن الكريم, والنبي عليه الصلاة والسلام في سنته المطهرة: يصف المؤمنين, والقصد من وصف المؤمنين في القرآن الكريم: أن يكون هذا الوصف معياراً, وأن يكون هدفاً؛ معياراً لإيماننا, وهدفاً نسعى إليه.

فالله سبحانه وتعالى وصف المؤمنين في أول الأنفال. قال:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

[سورة الأنفال الآية:2]

أدق ما في الآية: أن كلمة إنما: تفيد القصر, يعني: ما لم تشعر بالوجل إذا ذكر الله عز وجل, وما لم تزدد إيماناً إذا تُليت عليك آيات الله؛ إن آياته الكونية, أو آياته التكوينية, أو آياته القرآنية؛ آياته الكونية: ما بث الله في السموات والأرض من دلائل على وجوده, ووحدانيته, وكماله, وآياته التكوينية: أفعاله:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾

[سورة الأنعام الآية:11]

وآياته القرآنية: كلامه.

فما لم يوجل قلبك إذا ذكرت الله عز وجل, وما لم تزدد إيماناً إذا تليت عليك آياته القرآنية, والتكوينية, والكونية:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

[سورة الأنفال الآية:2]

الله سبحانه وتعالى يطمئن المؤمنين ويقول:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

[سورة النحل الآية:97]

وربنا سبحانه وتعالى يقول:

﴿إن الله مع المؤمنين﴾

﴿إن الله مع المتقين﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

[سورة البقرة الآية:153]

هذه المعية –أيها الأخوة–: معية خاصة, لأن المعية العامة:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾

[سورة الحديد الآية:4]

أي أن الله يعلم ما أنتم عليه, لكن المعية الخاصة: معية النصر , والتأييد, والحفظ, والتوفيق:

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

–لم يقل الله عز وجل: الذين يصلون. قال–:

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

–وإقامة الصلاة تعني: أن تمهد لها بالطاعة, أن تمهد لها بالاستقامة, أن تمهد لها بالعمل الصالح, أن تمهد لها بالإخلاص:

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾

[سورة الأنفال الآية:3]

ما من إنسان على وجه الأرض, إلا وقد آتاه الله حظاً من حظوظ الدنيا؛ هذا بقوته الجسمية, وهذا بعلمه, وهذا بخبرته, وهذا بقوة إقناعه, وهذا بماله, وهذا بجاهه.

ما من إنسان على وجه الأرض, إلا وآتاه الله حظاً من حظوظ الدنيا, أو أكثر من حظ من حظوظ الدنيا, هذه الحظوظ ينبغي أن تنفق في سبيل الحق, والدليل الآخر: الله سبحانه وتعالى يقول مخاطباً قارون:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ﴾

[سورة القصص الآية:77]

الحظوظ التي آتاك الله إياها, إنها درجات ترقى بها, أو دركات تهوي بها, والله سبحانه وتعالى يبين: أن الإيمان, أن النعمة التي تتوهمها نعمة, ليست نعمة, وليست نقمة, إنما هي ابتلاء موقوف على نوع استخدامه.

إياكم أن تظنوا أن المال نعمة, نعمة إذا أنفقته في طاعة الله, أما إذا أنفق في المعاصي, أصبح نقمة, إياكم أن تظنوا أن القوة التي يمنحها الله ﷻ لبعض الأشخاص إنما هي نعمة, نعمة إذا كانت عوناً للمظلوم, فأي حظ من حظوظ الدنيا, يكون نعمة إذا ابتغي به وجه الله, وأنفق في طاعة الله عز وجل.

إذاً: ما لم يوجل قلبك إذا ذكر الله, وإذا تليت عليك آياته, وما لم تقم الصلاة كما أراد الله, وما لم تنفق مما أعطاك فلست مؤمناً, هذا معنى إنما.

إنما تعني: أداة قصر وحصر, يعني المؤمن هكذا, فإن لم يكن كذلك, ليس مؤمناً, لذلك: الإنسان لا يتوهم, ويعطي نفسه حجماً أكبر من حجمه, عندئذ يصاب عند وقت ما بخيبة أمل مرة.

حسناً: أنا أسألكم سؤالاً: هلا تذكرون آية قرآنية أخرى تصف المؤمنين, لتكون هذه الآية معياراً, ومقياساً لنا, نقيس بها إيماننا, أو هدفاً نسعى إليه؟:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً﴾

[سورة الفرقان الآية:63]

يعني: في تأمل, في تبصر, في إدراك, في تفحص, في رجوع إلى كتاب الله, سؤال عن حكم الله في هذا الموضوع, هوناً. أيضاً:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:1]

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:2]

الخشوع في الصلاة من فرائض الصلاة, لا من فضائلها.

الأخ زياد:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

[سورة الحجرات الآية:15]

ما في شك, ما في تردد, كما قال الشاعر:

زعم المنجم والطبيب كلاهما لا تبعث الأموات قلت إليكما

إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولي فالخسار عليكما

هذا ليس إيماناً, الإيمان في قطع, في يقين:

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾

[سورة التكاثر الآية:5]

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾

[سورة التكاثر الآية:6]

في علم اليقين: أن ترى دخاناً وراء الجدار, تقول: لا دخان بلا نار, هذا علم اليقين, وأما حق اليقين: أن تأتي إلى وراء الجدار, فترى النار, هذه حق اليقين, وأما عين اليقين: أن تقترب من النار فتشعر بحرارتها؛ فلا ينجي الإنسان الظن, والتردد, والريب, لا ينجيه إلا عين اليقين, وعلم اليقين, وحق اليقين. أيضاً:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

[سورة الأحزاب الآية:36]

بارك الله بك:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

[سورة الأحزاب الآية:36]

تختار أنت هذا البيت, أو ذاك البيت, هذه الفتاة كي تقترن بها, أو هذه الفتاة, أن تسافر, أو ألا تسافر, أن تتوظف, أو أن تتاجر, أما أن يكون لك خيرة في موضوع حكم الله به, وقال: هو حرام!.

الإنسان إذا حكَّم عقله فيما أخبر الله به, فليس مؤمناً؛ يعني: إذا أراد أن يقبل أو لا يقبل, أن يعترض, أن يتردد في قبول حكم الله عز وجل, فليس مؤمناً.

أيضاً: أخ أحمد:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

[سورة الحجرات الآية:10]

ما لم تشعر بانتمائك إلى مجموع المؤمنين, فلست مؤمناً. أيضاً:

.... بالغيب

يعني: يؤمن بالله عز وجل من آثاره, آثاره تدل عليه, والذي لا يؤمن إلا بحواسه, هو في مستوى البهائم, أما الإنسان آتاه الله عقلاً استدلالياً, فيرى المؤثر من الأثر, والخالق من الخلق, والنظام من المنظم, يرى التسيير المسيرة من التسيير, نعم. هذا أيضاً:

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾

[سورة المعارج الآية:23]

الدعاء, والذكر, والتسبيح, وما إلى ذلك ....

حسناً: من السنة النبوية المطهرة: أحاديث تصف المؤمنين.

أخواننا الكرام: الملاحظة الدقيقة جداً: أن صفات المؤمنين في الكتاب والسنة, من أجل أن تتخذها معياراً لك, ألا تتوهم أنك مؤمن, وفي الحقيقة أقل من ذلك: أوصاف القرآن الكريم للمؤمنين في الكتاب, وأوصاف النبي لهم في السنة معيار, أو لو أن هذا المعيار استخدمته, طبقته على نفسك, وجدت نفسك لست بهذا المستوى, ماذا ينقلب هذا الوصف؟ إلى ماذا ينقلب؟

أولاً: وصف الله وصف المؤمنين بصفات كيت وكيت, جئت بهذا المقياس, طبقته على نفسك, فوجدت نفسك بعيداً عن هذا المستوى.

حسناً: هذا الوصف الآن ماذا يفيدك؟ يصبح هدفاً, هو معيار وهدف, فإذا طبقته كمعيار, ولم تكن في المستوى المطلوب, اجعله هدفاً واسع إليه, مرتبة الإيمان مرتبة عالية جداً جداً, أنها مرتبة علمية:

((ما اتخذ الله ولياً جاهلاً, لو اتخذه لعلمه)).

ومرتبة أخلاقية: **((الإيمان حسن الخلق)).**

ومرتبة جمالية: المؤمن من أسعد الناس, لأنه عرف الله عز وجل.

من السنة المطهرة: أخ مصطفى:

((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أنس بن مالك]

وفي رواية ثانية لها: ((وحتى يكره له ما يكره لنفسه)). نعم هذا معيار.

حسناً: ((ألا إيمان ....)).

يعني: الإيمان جزء منه: أن تحب الله ورسوله, جيد. أيضاً:

((والله ما آمن من بات شبعان, وجاره إلى جانبه جائع وهو يعلم)).

أخواننا الكريم: ((المؤمن للمؤمن ....)).

نعم, كالبنيان المرصوص؛ متعاونون, متكاتفون ......

((وجبت محبتي للمتحابين في, والمتجالسين في, والمتباذلين في, والمتزاورين في, والمتحابون في جلالي على منابر من نور, يغبطهم عليها النبيون يوم القيامة)).

أيضاً: أخ كمال:

((المؤمنون بعضهم لبعض نصحة متوادون, ولو ارتعدت منازلهم, والمنافقون بعضهم لبعض غششة متحاسدون, ولو اقتربت منازلهم)).

أخ أديب: ((المؤمن أخو المؤمن, لا يظلمه, ولا يخذله, ولا يسلمه, ولا يحقره))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ومالك في الموطأ عن أبي هريرة]

هذه علامة الإيمان, إذا الإنسان فرح بمصيبة أصابت مؤمناً؛ ما تكلم, ولا نطق, ولا شمت, إلا أنه فرح من أعماق نفسه لمصيبة أصابت مؤمناً, أين هو؟ في خندق من؟ في خندق المنافقين, لقوله تعالى:

﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾

[سورة التوبة الآية:50]

الإنسان إذا فرح بمصيبة أصابت مؤمناً, وضع نفسه مع المنافقين وهو لا يدري, من علامة إيمانك: أن تفرح لخير أصابت مؤمناً.

أيضاً: أخ أيمن:

((كان الله في عون العبد, مادام العبد في عون أخيه)).

نعم, يعني: إذا عان المؤمن أخاه دليل إيمانه, حسن إيمانه.

أخ ياسر: ((لا يؤمن أحدكم, حتى يكون قلبه ولسانه شركاء)).

ما في ازدواجية نعم, ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً.

((لا يؤمن أحدكم حتى يكون, يكون هواه تبعاً لما جئت به)) شيء جميل.

((لا يؤمن أحدكم من لا يأمن جاره بوائقه))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

شيء جميل.

إذاً: أخواننا الكرام, آية أظن أنها جامعة مانعة:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾

[سورة التوبة الآية:111]

المؤمن يعني باع نفسه, الجنة باعها, غير بايعها هذه, الإسلام بايعها غير, يعني باع نفسه لله عز وجل, وبذل المال مقدم على بذل النفس, في ثماني عشرة آية, إلا في آية واحدة, هي هذه الآية, قدمت فيها النفس على المال, لأن الموضوع بيع قطعي, وفي البيع القطعي يقدم الأهم على المهم, نعم.

الذي أرجوه منكم –أيها الأخوة-: كلما مررتم على آية فيها وصف للمؤمنين, هذا هو التدبر, اكتبوها على ورقة, أو على دفتر, واجمعوا الآيات التي تصف المؤمنين, وإذا قرأتم الحديث النبوي الشريف الصحيح, اجمعوا الأحاديث الصحيحة التي تصف المؤمنين, فإذا كان معكم دفتر في وصف للمؤمنين في الكتاب والسنة, هذه الأحاديث والآيات إنما هي معيار دقيق, وهدف بعيد, من أجل أن نصل إلى هذا المستوى.

نرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا الله, والحمد لله رب العالمين.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (17-49) : الهجرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة:

آيتان من البارحة من الأهمية بمكان؛ الآية الأولى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا

-الهجرة دليل صدق الإيمان, والهجرة بمعناها الواسع: هجر ما نهى الله عنه (بمعناها الواسع), فلو كنت في بلدك, ولم تغادرها إلى بلد آخر, هجرتك: أن تهجر ما نهى الله عنه-:

إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا

-إما الجهاد الأصغر, وإما الجهاد الأكبر: (جهاد النفس والهوى)-:

بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ

-إنفاق المال: قد يكون أسهل بكثير من ضبط الشهوات, الأغنياء ينفقون أموالهم بلا حرج, وفي الأعمال الطيبة, ولهم عند الله جزاء, لكن البطولة: أن تجاهد نفسك وهواك-:

إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

-الإخلاص-:

وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا

-تعاونوا, عاونوا بعضهم البعض-:

أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

-هؤلاء مجتمع كامل, مجتمع متعاون, متعاطف متناصر , متناصح, متحابب, متبادل-:

وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا

-يعني: افتقر الإيمان إلى الموقف العملي, إلى التطبيق-:

مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

[سورة الأنفال الآية:72]

الآية واضحة, آمن, وهاجر؛ أي هجر المنكر بالمعنى الواسع, وجاهد نفسه وهواه, وأنفق ماله مخلصاً, وآوى أخوانه, وعاونهم, وساعدهم, ونصحهم, وبذل لهم, ونصرهم, وهم على حق:

﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

[سورة الأنفال الآية:72]

يا ترى: مجتمع المؤمنين وحده متعاون؟ متكاتف؟ متباذل؟ متناصح؟ أم مجتمع الكفار أيضاً؟ اسمعوا الآية:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

-يتعاونون ولكن على الإثم والعدوان, يتناصرون ولكن عل الباطل يتناصحون, ولكن بالمعصية من نوع آخر, من تعاون, والتعاون واضح, الكفار يتعاونون كالشمس في رابعة النهار؛ يتعاونون على إفساد العالم الآخر, يتعاونون على نهب ثرواته, على إفقار شعوبه-:

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

-الآية كلها بضمير واحد-:

إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾

[سورة الأنفال الآية:73]

فهذه الهاء مغزى الآية كلها في هذه الهاء, هذه الهاء تعود على الآية السابقة, الآية السابقة يعني: إن لم تؤمنوا, وإن لم تهاجروا, وإن لم تجاهدوا, وإن لم تبذلوا أنفسهم, وإن لم تتعاونوا, وإن لم تتناصروا, وإن لم تتناصحوا, تكن فتنة في الأرض وفساد كبير؛ فالمؤمنون في أمس الحاجة إلى التعاون, وإلى التناصر, وإلى التناصح, وإلى أن يعذر بعضهم بعضها, وإلى أن يتعاونوا فيما اتفقوا, وإلى أن يسقطوا فيما بينهم الخلافات, وإلى أن يجتمعوا في الأصل الواحد الجامع المجمِّع, نعم:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

-لكن على المنكر, على الإفساد, على نهب الثروات, على إيقاع الأذى بالمسلمين-:

إِلَّا تَفْعَلُوهُ

-إلا تكونوا, بهذه الصفات: الكفار ينتصرون عليكم-:

تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾

[سورة الأنفال الآية:73]

إذا الكفار انتصروا, فرضوا فسقهم في المحطات الفضائية, فرضوا فجورهم, فرضوا علاقاتهم الربوية, فرضوا علينا الفروض:

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾

[سورة الأنفال الآية:73]

يعني: المؤمنون بأمس الحاجة إلى التعاون, إلى التناصر, إلى التناصح, إلى التوحد, إلى أن يسعوا إلى هدف واحد, وأن يسلكوا سبيلاً واحداً.

أيها الإخوة, الآية الثانية في هذه الليلة: الحقيقة كما قلت البارحة: لو فهمناها فهماً دقيقاً دقيقاً, الآية خطيرة جداً. يقول, يقول الله عز وجل:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا

-مساكن, وتجارات, وأزواج, وأخوان, وأبناء, وآباء, بدأ بالأصول, والفروع, والأخوان, والأزواج, والقوم, ثم المساكن, ثم الأموال (التجارة), هذه الدنيا كلها.

أيها الأخوة, إذا كانت هذه الفقرات أحب إليكم من الله ورسوله, المعنى الدقيق لهذه الآية, المعنى الدقيق: أي أنك إذا أرضيت هؤلاء, وعصيت الله عز وجل, إن أرضيت هؤلاء, وعصيت الله, فهذه الأشياء أو بعضها: أحب إليك من الله ورسوله.

الآن: لو إنسان أطاع زوجته, وعصى ربه, بالبرهان العملي: رأى غضب الزوجة, أشد عنده من غضب الله قولاً واحداً, لو من أجل تجارته؛ تساهل بعلاقات ربوية, رأى أن الربح الذي يأتيه من تجارته, أثمن عنده من طاعة الله, لو أنه بقي في مسكن ليس له واغتصبه, رأى أن هذا المسكن أغلى عليه من رضوان الله, فالمساكن ترضونها, تجارة تخشون كسادها.

أحياناً تكون فيها علاقات ربوية, يقول لك: ماذا أريد أن أفعل؟ رأى أن بقاءه في هذه الصفقة, وفي هذه التجارة, أغلى عنده من طاعة الله. فالآية دقيقة جداً-:

قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا

((مكانك تحمدي أو تستريحي)).

ابقوا في مكانكم, الطريق إلى الله غير سالك, الطريق إلى الله مسدود, ما دام الإنسان قد آثر شهوة في الدنيا على مرضاة الله عز وجل, آثر زوجة, أو أباً, أو ابناً, أو أخاً, أو عشيرة, أو قوماً, أو تجارة, أو مسكناً على مرضاة الله, وجهاداً في سبيله, فالطريق إلى الله ليس سالكاً.

ممكن الإنسان يؤاثر هذه الأشياء على طاعة الله, ويصلي, لكنه لا يتصل, في حجاب, ممكن يصوم لكنه لا يرقى بهذا الصيام. فالآية معناها-:

فَتَرَبَّصُوا

-أي الطريق إلى الله ليس سالكاً-:

حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ

-يعني إلى الموت-:

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

[سورة التوبة الآية:24]

الآن اتضحت الآية تماماً, يعني: إذا حملتك مؤاثرة هذه الأشياء على طاعة الله, أو على الفسق, إذا حملتك هذه الأشياء على الفسق, فالله سبحانه وتعالى لا يهدي هذه الإنسان أساساً.

أخواننا الكرام, في حرف سين يحل مشكلة كبيرة, كبيرة جداً, (سين):

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

-يتعاونون على الحق-:

يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

-قال-:

أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ

-معناها: إذا وجدت مؤمن معذب, متضايق, يعني في حياته خشونة, يعاني مشكلة في جسمه, في أولاده, في بيته, في دخله, ليس نشيطاً, ليس مرتاحاً. الله عز وجل قال-:

أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾

[سورة التوبة الآية:71]

معناها الآن بطور المعالجة, يعني المؤمن مقامه عند الله كبير جداً, وتنتظره سعادة كبيرة جداً, تنتظر, جنة عرضها السموات والأرض, فإذا كان بحياته الآن في مشكلات, في عقبات, في ضيق, في يعني شعور بالحرمان, أحياناً في مشكلة, عقبة كؤود أمامه, لا ينزعج:

﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾

[سورة التوبة الآية:71]

هذه السين تحل كل مشاكلنا؛ نحن في طور التأديب, نحن في طور الامتحان, نحن في طور الابتلاء, لكن الاستقرار لا يكون إلا في رحمة الله, هذه الآية مبشرة, مطمئنة, تجبر القلب الكثير, ترفع معنويات المؤمن, يعني أنت غال علي, طول بالك:

﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾

[سورة التوبة الآية:71]

ويوجد آية تشبهها:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة العنكبوت الآية:69]

أنا يهمني جداً أن يكون مؤمن معنوياته عالية, أن هذه معنويات بشكل محرك, إذا كان المحرك نشيط, المركبة منطلقة, أما إذا المحرك وقف برك الإنسان, أحياناً يبرك بضعف معنوياته, وربنا عز وجل أشار لهذه الناحية. قال:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[سورة آل عمران الآية:139]

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾

[سورة آل عمران الآية:139]

﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾

[سورة محمد الآية:35]

فالإنسان لما يستقيم على أمر الله, الله عز وجل يطمئن.

فأرجو الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الآية الأخيرة التي فيها سين, أن تشمل جميع المؤمنين:

﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾

[سورة التوبة الآية:71]

البطولة: لا أن تضحك أولاً, أن تضحك آخراً:

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾

[سورة المطففين الآية:34]

أما الكفار في الدنيا يضحكون من المؤمنين, يقول لك: جادبها, أما المؤمن يوم القيامة هو الأذكى, وهو الأعقل, وهو الفالح, وهو الفائز, وهو المتفوق.

الآية الثانية التي تقابل الأولى:

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾

[سورة التوبة الآية:67]

أيها الأخوة الكرام, هذه الآية والتي تليها فيها معنى دقيق: لو أن المؤمن تمثله لارتاحت نفسه من عناء الدنيا. الله ﷻ يقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ

–هذا شراء قطعي, والمؤمن باع بيعاً قطعياً, ومعنى أنه باع نفسه لله, أي استسلم لله, أنت بعت بيت بيع قطعي, الشاري أحب أن يعمل تعديلات, لك عليه اعتراض؟ معناها لم تبع, إذا بعت بيع قطعي, وقبضت الثمن الكامل المغري الكبير, فإذا أجرى تعديلات في البيت, ليس لك حق الاعتراض.

إذا الإنسان باع نفسه لله, يعني أراد أن يكون في خدمة الحق, الله اختار له دخل محدود, أو دخل مفتوح, اختار له زوجة في أعلى مستوى, أو في مستوى متوسط, اختار له عمل متعب, أو عمل مريح, اختار له قوام معين, صحة معينة, نمط حياتي معين, إذا الإنسان استسلم لله عز وجل, ترتاح نفسه, إذا أيقنت أن الله حكيم, وعليم, وأن كل شيء يقع بعلمه, ولحكمة مطلقة, وحكمته المطلقة بخير مطلق لك, هذه المعاني

هذه إذا تمثلتها, ارتاحت نفسك في الأخذ , والرد, واللوم, والشعور بالحرمان, والاعتراض, والنقد, النفس تحتاج إلى بينة, فأنت إذا بعت نفسك بيعاً قطعياً, على أن لك الجنة, انظر الثمن-:

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ

-موضوع البيع النفسي, أما الثمن-:

بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾

[سورة التوبة الآية:111]

الله عز وجل وعدك بجنة عرضها السموات والأرض, وعدك بجنة فيها ما لا عين رأت, ولا أذن سمعت, ولا خطر على قلب بشر, مقابل هذا الثمن الباهظ: بيتك يقدر بمليون, دفعوا لك سعره ألف مليون, اسكت, ما دام في بيع قطعي, والشاري أحب أن يعمل تعديلات في البيت, أحب أن يلغي غرفة, أحب أن يفتح جدار بين غرفتين, ليس لك حق تعتر ض, فإذا الإنسان باع بيع قطعي, يكون متوسل توسل حقيقي, ومستسلم استسلام حقيقي.

فالإنسان كلما شعر أنه في اعتراض, في عتب, في ضيق, في حرج, معناها البيع ما كان قطعي, نعم, (معناها البيع ما كان قطعي), فعلامة أن البيع قطعي, والثمن باهظ: أن تستسلم لتصرفات الله عز وجل:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾

[سورة التوبة الآية:111]

لكن هذا مستوى عالي بالإيمان, يعني الله عز وجل من حين لآخر: يريك نماذج من الإيمان عالية.

سيدنا إبراهيم باع بيع قطعي, قال له: اذبح ابنك, قال له: سمعاً وطاعة يا رب, هذا أمر فوق طاقة البشر, لكن لأنه باع بيع قطعي:

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[سورة البقرة الآية:131]

هذا المعنى, إذا الإنسان تمثله يرضى بقضائه وقدره, يرضى بتصرفات الله عز وجل, يرضى بما أعطاه الله, ولا يسخط بما حرمه الله, والنبي علمنا دعاء يحل كل مشاكلنا:

((اللَّهمَّ ما رَزَقْتَني مما أُحِبُّ فاجعَلْهُ عوناً لي فيما تُحِبُّ ، وما زَوَيْتَ عني مما أُحِبُّ فاجعَلْهُ فَرَاغا لي فيما تُحِبُّ))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري]

أنت بين أن تنال شيئاً أحببته, تدعو الله عز وجل أن يكون في خدمة الحق, وبين أنه قد زُوي عنك شيئاً تحبه, زوي عنك شيء تحبه, فادع الله عز وجل أن يجعل الفراغ الناشىء عن فقدان هذا الشيء في مرضاة الله عز وجل, هذه نقطة.

النقطة الثانية: يعني أحياناً بعض الدعاة بحسن نية: يصورون الأمر كما يلي:

يمكن أن تعبد الله كل حياتك, وقبل الممات تزحلق زحلقة واحدة, فإذا الإنسان في جهنم, هذا المعنى لا يليق بكمال الله. اسمع الآية:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ

–هذا شيء يتنافى مع كمال الله, يتنافى مع أسمائه الحسنى, يتنافى مع عظمته, يتنافى مع رحمته, يتنافى مع كماله–:

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ

–إذا الإنسان اهتدى إلى الله, ثم حدثته نفسه, الله عز وجل قبل أن يسمح له بالضلال, يبين له, يسوق له من ينصحه, من يبين له, يجمعه مع أهل الحق, يحذره, ينذره, يسوق له بعض الشدة.

يعني: قبل أن يسمح الله لإنسان اهتدى أن تذل قدمه, هناك تحذيرات شديدة؛ يريه منام مخيف أحياناً, يأتي صديق فيتكلم بالحق أمامه–:

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾

[سورة التوبة الآية:115]

لأنه في نقطة مهمة جداً, يعني نحتاجها في هذا المعنى. الله عز وجل قال:

﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي

-يا ترى لم هذا التفصيل؟ لم لم يقل الله عز وجل: رب اجعلني صادقاً؟ كلام موجز بليغ: ربي اجعلني صادقاً. الله عز وجل قال-:

رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾

[سورة الإسراء الآية:80]

معنى ذلك: أن الإنسان أحياناً: قد يدخل مدخل صدق, وهو في وسطِ المعمعة؛ قد تأتي الدنيا, قد تغريه الدنيا, قد يكون قوياً, قد يغتر بقوته, قد يشعر بنشوة الانتصار, هذه النشوة تنسيه طاعة الله عز وجل.

الإنسان لو دخل مدخل صدق, لو دخل في طريق الإيمان مدخل صدق في خطر, ألا يخرج منه مخرج صدق؟

وفي أشخاص كثر ....

ومات كافراً, القصة الشهيرة جداً.

ممكن تدخل مدخل صدق, لكن بطولتك: أن تطلع أيضاً, أن تخرج مخرج صدق.

فهذا التفصيل في الآية خطير جداً, ويعني: أن الإنسان لو بدأ حياته بصدق, لو دخل طريق الإيمان بصدق, لو أراد أن يفعل عملاً صالحاً بصدق.

أحياناً يقول لك: أريد أعمل مستشفى إنسانية, أريد جسد القيم الدينية, في هذه المستشفى تتسع أموره ليرتفع الدخل كثيراً, يصبح هذا الذي أنشأ هذا المشروع الإنساني, من أكثر الناس مادية, عندئذ تنعدم الرحمة من قلبه.

فآلاف آلاف القصص تؤكد: أنه في أشخاص دخلوا مدخل صدق, لكن لم يخرجوا مخرج صدق, دخلوا صادقين وخرجوا كاذبين, دخلوا موحدين وخرجوا مشركين, دخلوا طائعين وخرجوا عاصين, لذلك الإمام أحمد: جاءه -هكذا تروي القصة-, جاءه الشيطان قبل أن يموت بدقائق, يقول: ((كلا بعد, كلا بعد, ما فهم أصحابه ماذا يقول؟ إلى أن رآه أحد تلاميذه في المنام, قال: سيدي, لماذا قلت: كلا بعد -ما معنى هذا الكلام؟- قبل أن تفارق الدنيا؟ قال له: جاءني الشيطان, قال لي: نجوت يا إمام, قلت له: كلا بعد, كلا بعد)).

لا يزال في خطر.

يعني الإنسان يجب أن يكون دقيق في هذه الناحية, لكن الله عز وجل ليس من أخلاقه أن يضل قوماً بعد إذ هداهم, هذا موضوع الزحلقة أنه:

((إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة, حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع, فيسبق عليه القول, فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن مسعود]

هذا الحديث صحيح لكن يحتاج إلى تفسير: ((إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة -برواية مسلم فيما يبدو للناس منافق, لكن مصالحه متعلقة بالمسلمين, يعمل بعمل أهل الجنة, ليس فيه ذرة إيمان, مثل هذا المنافق الذي يضلل الناس, ويغش الناس, هذا الذي يفضحه الله عز وجل-.

إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة, حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع, فيسبق عليه القول, فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن مسعود]

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾

[سورة التوبة الآية:115]

وتعلمون -أيها الأخوة-: أن هذه الصيغة نفي الشأن, ما كان الله ليضل قوماً, هذا الشيء لا يكون, ولا يريده الله عز وجل, ولا يرضاه لعباده؛ أن إنساناً كل حياته يمشي بالطاعة, بعد ذلك: الله زحلقه, شربه خمراً, وأماته كافراً, لا, هذا الشيء مستحيل أن يقع:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ

-حسناً: الله هدى إنسان, أو سمح له أن يهتدي, هو اختار الهدى, سمح له أن يهتدي, ثم إن هذا الإنسان كادت أن تذل قدمه, الله ماذا يفعل؟ يبين له, يبين له بياناً, يبين له عن طريق مصيبة, عن طريق منام, عن طريق صدق, يعني يجمعه مع أهل الحق, قبل أن يسمح له أن يأخذ طريقاً آخر يبين له-:

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[سورة التوبة الآية:115]

في أدب, من آداب النبوة: الله عز وجل هؤلاء الثلاثة الذين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله, والله ﷺ أمر النبي عليه الصلاة والسلام أن يقاطعهم, وقد قاطعهم النبي وأصحابه خمسين ليلة, القصة معروفة عندكم, قصة ممتعة جداً, إذا يعني رجعتم إليها مؤثرة جداً:

﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾

[سورة المائدة الآية:71]

كله كلام صحيح, لكن لماذا قال الله عز وجل:

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ

-النبي ما فعل شيء-:

لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

[سورة التوبة الآية:117]

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾

[سورة التوبة الآية:118]

بعضهم قال: ((يعني الله عز وجل جبراً لخاطر هؤلاء الثلاثة الذين تخلفوا عن الجهاد, والذين قوطعوا خمسين ليلة من قبل النبي وأصحابه, فلما تاب الله عليهم, شمل النبي وأصحابه والأنصار في هذه التجربة ليستأنفوا)).

يعني أنت لا تترك واحداً لوحده يخجل.

أحياناً يقول لك شخص: أنا ابني يعذبني, لا تقل له: والله أنا ابني الحمد لله درجة أولى, لا يوجد أرقى من هكذا, عندي ابن ملائكة, صغرته.

دائماً أشعر الآخرين أنك أنت قريب منهم, مشكلتهم يعني ممكن تنحل, وأنت تعاني بعض هذه المشكلة, هذا من كمال الإنسان.

فالله عز وجل مع أن النبي لم يقترف ذنباً حتى يتوب الله عليه, لكن جعل هؤلاء الثلاثة, جعل توبتهم مع توبة الله على نبيه والأنصار والمهاجرين, جبراً لقلوبهم, وتطييباً لخواطرهم, ورحمة بهم, طبعاً هذه من معاني الآية, والحمد لله رب العالمين.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (18-49) : دعوة التبديل والتغيير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

قال:

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

-يعني: مخمصة الجوع-:

وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ

-يعني: أنت انظر. ..... إذا تعرفت إلى الله عز وجل معرفة صحيحة, وأخلصت له, الآن كل أعمالك أعمال صالحة؛ جلست مع أهلك, داعبت أولادك, أخذتهم إلى نزهة, اشتريت طقم على العيد, أمنت لأولادك ألبسة, طلبوا أكلة طيبة أمنتها لهم, كل نشاطك الأسري, كل نشاطك من العمل الاجتماعي أعمال صالحة.

يأتي الإنسان الجاهل, حتى لو قام بأعمال صالحة, هدفه شخصي, يقول لك: هذا يلزمني, أنا أخدمه, أنا يلزمني بوقت معين, ليس هدفه الله عز وجل, كما أن الأعمال المباحات تصبح من النوايا الطيبة عبادات, الآن: الأعمال الصالحة بالنوايا الخبيثة تصبح آثام.

يوجد أعمال صالحة كثيرة, ظهرها صالح, لكن إنسان من جهله ينوي نوايا لا ترضي الله عز وجل, فانظر الإيمان ما أعظمه؟ يجعل لك أعمالك المباحة كلها, النشاط العادي.

الآن: يوجد إنسان لا يأتي بطعام إلى بيته في الأرض كلها؟

((المؤمن يأتي بهذا العام, ويضع اللقمة في فم زوجته, هي له صدقة)).

السلوك العادي المألوف, الذي يفعله ملايين الآباء, إذا المؤمن فعله, له فيه عمل صالح, والسلوك الكامل إذا فعله الغافل, وفعله الجاهل, كان آثماً به.

أحياناً: يطعم طعام, بنيته ينم ويؤذي, أحياناً: يتصدق ليقول عنه محسن كبير, فالأعمال الصالحة مع ضعف الإيمان تغدو آثاماً, والأفعال الطبيعية المباحة, العادية, إذا فعلها المؤمن تغدو أعمالاً صالحة-:

لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة التوبة الآية:120]

﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾

[سورة يونس الآية:9]

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ

-في الكهف؛ آمنوا واهتدوا-:

وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾

[سورة الكهف الآية:13]

الهداية أربعة أنواع؛ هداية عامة: الله عز وجل أعطاك الحواس, تهتدي بها إلى الأخطاء, وإلى المنافع, أعطاك لكل شيء علامة. الله قال:

﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾

[سورة النحل الآية:16]

نضوج الفاكهة له علامة, المرض له علامة, لولا هذه العلاقات لهلك الناس, علامات لكل شيء, كل شيء له علامة, فوجود علامات لكل شيء, ولكل ظاهرة, ولكل تطور, وجود حواس تهتدي بها إلى المنافع, وتجتنب المضار, هذه هداية عامة, هداية لكل البشر؛ مؤمنهم وكافرهم, وأما الهداية الثانية: هداية الغريزة, فالحيوان الله سبحانه وتعالى هداه إلى ما ينفعه للغريزة, وهناك هداية الهدى, بمعنى: أنك

جاءك الهدى, فآمنت بالله عز وجل, وهناك هداية التوفيق: بعد أن تهتدي توفق إلى الأهداف التي خُلقت من أجلها, وهناك هداية إلى الجنة. ف:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾

[سورة يونس الآية:9]

هو ما دام آمن بالله؛ آمن بأنه المسير, بأنه الحكيم, الرحيم, العادل, القوي, القادر, بيده كل شيء, لذلك:

اتجه إليه, واطلب منه, فلذلك:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾

[سورة يونس الآية:9]

بعد أن قبل الهدى, وآمن بالله موجوداً, وواحداً, وكاملاً, وآمن برسوله, وآمن بكتابه, وسار على منهجه, الآن يعرف الطريق إليه, يعرف كيف يدعوه, وكيف يسأله, وكيف يستعيذ به, وكيف يستهلمه, وكيف يسترشده, وكيف يقبل عليه, وكيف يلتجىء إليه؟ صار في معرفة. ف:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾

[سورة يونس الآية:9]

أحياناً: الإنسان يحتار في قضية, يسأل الله عز وجل أن يكشفها له:

﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾

[سورة يونس الآية:9]

القاضي أحياناً: يقع في حيرة بين المتخاصمين, أيهما على حق, وأيهما على باطل؟ يسترشد الله عز وجل, فيلهمه الصواب.

أحياناً: الطبيب يقع في حالة صعبة, يعني حالة مرضية مستعصية, هو مؤمن بالله, يؤمن أن الله يعلم كل شيء, يعلم خبايا الأمور, يقول: يا رب ألهمني الصواب.

المحامي أحياناً: يأتيه موكل, يقنعه بأنه على حق, والمحامي ورع, يقول: يا رب إن كانت هذه القضية ترضيك, فألهمني ذلك.

فالمؤمن دائماً يستلهم الله عز وجل, لأنه يعرفه, يعرف أنه خالق كل شيء, وأنه عليم بكل شيء, وأنه رحيم بكل شيء. ف:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾

[سورة يونس الآية:9]

في هداية عامة؛ هداية الحواس, هداية ثبات خصائص الأشياء, هداية العلامات, هداية القوة الإدراكية, هذه هداية عامة لكل الخلق, وفي هداية الحيوانات: هداية غرائز, وفي هداية الإنسان: أن يصل إلى الله عز وجل, وهناك هداية التوفيق:

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آَمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾

[سورة الكهف الآية:13]

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾

[سورة فصلت الآية:17]

الإنسان مخير, معناها: أن الإيمان بداية الإيمان أول خطوة, بعد أن تؤمن تستلهمه, تسترشده, تستغيث به, تلجأ إليه, تستعيذ به, تقبل عليه, تتصل به, هذا كله ..... كل هذه النشاطات بعد أن عرفته.

أحياناً نسمع صيحات: أن هذا الحكم لا يتناسب مع هذا العصر, هذا الحكم في جمود غير مرن, العصر تطور, في دعوات إلى التبديل, والتغيير, والتطوير, والتعديل, والإضافة, والحذف, حتى في صيحات: يعني لو كان نعمل الجمعة يوم الأحد, لأنه في بعض بلاد الغرب عطلة رسمية, وأساساً في دولة عربية بشمال أفريقيا, تعطل الأحد (تعطل), ففي دعوة للتبديل والتغيير, حذف هذه العبادة, حذف هذه القضية, هذه لا تناسب العصر, هذه دعوات تريد أن تميع الدين, وأن تجعله يتقولب بكل قالب, وأن تلغي شخصية المسلم.

يعني: الإنسان جميلاً به أن يفتح نوافذه ليجدد هواء غرفته, أما أن تأتي الرياح الغربية فتقتلعه من جذوره, وتحطم بيته, ليست هذه مرونة, وليس هذا تجديداً, ولا تطويراً, ولا حداثة, ولا عصرنة, هذه عملية تدمير من الجذور, يعني بداعي العصرنة, والحداثة, والانفتاح, واقتباس ما عند الآخرين, هذه كلها كلمات رنانة, براقة, لكن هذه وراءها في الحقيقة تدمير الإسلام. اسمعوا الآية:

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا

-يعني: لماذا المال نجمده من دون فائدة؟ هذا مال إذا كان استثمرناه, بعد ذلك هذا القرض ما هو قرض, يعني يسمونه ليس قرض استهلاكي, قرض استثماري, الله عز وجل حرم القرض الاستهلاكي فقط, أما هذا استثماري, تجد في كلمات براقة, معسولة, تريد أن تذيب هذا الدينان, تجعله يتمشى مع انحراف العصر, ومع طغيان العصر-:

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآَنٍ غَيْرِ هَذَا

-يا أخي, يعني ماذا يعني لا تصافح المرأة؟ من أين أتيت بهذه الأشياء؟ المرأة نصف المجتمع يا أخي, نصف المجتمع بالتمام والكمال, قوة كبيرة جداً, لماذا تحبسها في البيت؟ هذه كلماتهم طبعاً, اسمعوا الجواب-:

ائْتِ بِقُرْآَنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

[سورة يونس الآية:15]

الله عز وجل قال:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾

[سورة المائدة الآية:3]

إله يقول:

﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾

[سورة المائدة الآية:3]

عدد القضايا التي عالجها الدين تامة, ولا تحتاج إلى قضية أخرى, وطريقة المعالجة كاملة:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾

[سورة المائدة الآية:3]

لذلك:

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي

-يعني: هذا مستحيل, ليس من اختصاصي, ولا من شأني, ولا من قدرتي, ولا من طبيعتي, ولا في رغبتي, ولا في إرادتي-:

قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

[سورة يونس الآية:15]

إذا كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يخاف إن عصى ربه عذاب يوم عظيم, فما بال بعض الناس, يقول لك: هذا الحكم لا يصلح لهذا العصر, أرى أن يلغى, من أنت؟ من أنت؟

يقولون هذا عندنا غير جائز فمن أنتم -من حضرتكم؟- **فمن أنتم حتى يكون لكم عندُ؟**

ماذا يعني عندنا؟ قناعتي يقول لك, هكذا أرى, رؤيتي شعوري, كله كلام فاض, في وحي, وحي من عند الله عز وجل, لا يتبدل, ولا يتغير, ولا يُطور, كامل كمال مطلق, الله خبرته ليست مستحدثة مثل البشر, الله عز وجل خبير, إلا أن خبرته قديمة قدم ذاته, إذا قلنا خبرته قديمة, يعني لا يبدو له شيء, لم يكن بادياً له من قبل, هذه معنى خبرته قديمة, فإذا قال: أمر بأمر, أو نهى عن نهي, أو حرم شيء, أو حل شيء, هذا الشيء يتوافق مع طبيعة البشر إلى يوم القيامة.

يعني: إذا إنسان أيقن إذا معه مسدس, وأطلق رصاصة, والجدار سيردها إليه بالضبط, هل يطلق هذه الرصاصة؟

يعني: إذا الآن افترضنا افتراض علمي أنه في جدار, يردِ الرصاصة بالزاوية نفسها إلى شرقها, ممكن إنسان يطلق رصاصة على نفسه؟ قال:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾

[سورة يونس الآية:23]

إذا الإنسان بغى, يحسب نفسه ذكي, وشاطر, وأكل مال الناس:

﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾

[سورة يونس الآية:23]

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾

[سورة النساء الآية:142]

البغي, والخداع, والمكر:

((ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله))

[أخرجه ابن أبي عمر في مسنده عن أبي زكريا الكوفي]

والنكث:

﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾

[سورة الفتح الآية:10]

هم خمسة, أنا أحفظ: النكث, والبغي, والخداع, والمكر, بقي الخامسة: الكيد. حسناً الآية:

لا تجد غير ...., الآن عليه أن يكون, هنا لا يعود ...... البخل:

((ومن يبخل فإنما يبخل على نفسه)).

فهذه الأشياء الخمسة: من كن فيه كن عليه؛ إذا إنسان مكر, أو خادع, أو بغى, أو ظلم:

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

[سورة البقرة الآية:57]

اجمعوا الآيات التي ترد على صاحبها, فالإنسان يخاف منها, يعني أطلقت هذه الرصاصة, لا بد من أن تعود إليك, إذاً: إياك أن تطلق, لم تفعل شيء أنت, دمرت نفسك, هذا معنى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾

[سورة يونس الآية:23]

يعني: القرآن في كل شيء, يعني الآن: الشيء الذي يشغل الناس كلها الزينة, يقول لك: بيتك ما فيه جبصين, لا والله ما فيه جبصين, كيف تعيش؟ لا يعاش, لا يوجد والله جبصين. قال:

﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا

–حسناً–:

أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

[سورة يونس الآية:24]

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

[سورة يونس الآية:25]

نحن في آخر الزمان, نحن في زمن الفجور, زمن الفساد, زمن أن يأمر الناس بالمنكر وينهون عن المعروف, زمن ضيعت فيه الأمانة, زمن يتهم فيه البريء, يبرأ فيه المتهم, يكذب الصادق, يصدق الكاذب, تكثر الأشجار, تقل الثمار, يكون المطر قيضاً, والولد غيظاً, ويفيض الوئام فيضاً, ويغيض الكرم غيضاً, تداعى علينا الأمم, كما تداعى الأكلة إلى قصعتها.

إذا الإنسان قرأ الأحاديث الشريفة الصحيحة, لكن التي تتحدث عن علامات قيام الساعة, لوجد أننا في آخر الزمان, لذلك:

((اشتقت لأحبابي, قالوا: أو لسنا أحبابك؟ فال: أنتم أصحابي, أحبابي أناس يأتون في آخر الزمان, القابض منهم على دينه كالقابض على الجمر)).

يعني: أنا أسمع من بعض أخواننا مشكلة: لما يستقيم, ليس مع الغريب, ليس مع الكافر , مع أهله, مع أبيه المسلم, لا يرضيه أن يغض بصره عن النساء اللاتي لا يحللن له, لا يرضيه إلا أن يختلط مع النساء, إلا أن يفعل فعلهم, لذلك:

((بدأ الدين غريباً, وسيعود غريباً, وطوبى للغرباء, أناس صالحون في قوم سوء كثير, من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم)).

نعم, الآن يوجد عندنا: كل إنسان كرامة غالية عليه, غالية جداً, وما في شيء يجرح النفس, أو بالتعبير الحديث: يرضها, كأن يسمع الإنسان كلمة قاسية, فيها إهانة من إنسان أقوى منه.

ومعنا بهذه الآيات قانون, قانون: إذا الإنسان طبقه, لا يستطيع أحد كائناً من كان أن يناله بكلمة, في قانون التيسير, ومعنا سابقاً قانون التوفيق, في قانون الكرامة, ومعنا شيء؟:

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

[سورة يونس الآية:26]

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾

[سورة يونس الآية:27]

يعني: إذا الإنسان قصر بعمله, لم يتقن عمله, أخلف موعده, لم يسدد ما عليه, يعني عاهد ونكث, وعد ولم يوف, يعني أساء, إذا الإنسان أساء, عليه أن يتحمل الكلمات القاسية, يتحمل الإهانة أحياناً, يتحمل الموقف الذي يرده:

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا

-أحسن بكل شيء مطلقة, أحسن بعمله, أتقن عمله, أتقن طبابته, أتقن دفاعه, إذا كان محامي أتقن بناؤه, إذا كان مهندس تجد وقع البناء, أين المهندس؟ هرب, حسناً: لماذا هرب المهندس؟ لأنه خاف على نفسه؛ ما أحسن, ما وقف على الصبة, ما تفقد الحديد, ما نظر الشمينتو انتهى مفعوله, لما لم ينته مفعوله, لما لم يأت ويحضر الصبة, طبعاً: يجوز أن يخففوا الإسمنت, يخففوا الحديد, يسحبوا الحديد بعد ما يراقبوا؛ فإذا الإنسان أساء: ترهقه ذلة, وإذا أحسن: له العزة والكرامة-:

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

[سورة يونس الآية:26]

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾

[سورة يونس الآية:27]

إلى آخر الآية ......

حسناً: الآن يوجد عندنا قانون ثان: أنت ليس عندك سؤال حول ما يلي, تناقش إنسان , تجد يتقبل الحق منك كأنه غذاء, تناقش إنسان آخر, وتلقي عليه الكلام أوضح من الشمس, مع الأدلة والبراهين, لا يقبل منك, ما العامل؟ ما الذي اختلف من هذا إلى هذا؟

يوجد عندنا قانون: إذا إنسان سمع الحق, ولم يؤمن, يكون في عنده مشكلة. سيد أحمد:

﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

[سورة يونس الآية:33]

بارك الله بك:

﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

[سورة يونس الآية:33]

إذا إنسان آكل مال حرام, يطلق بصره في الحرام, متفلت من منهج الله, لو كان ذكي, لو جئته بكلام كالشمس في رابعة النهار, يقول لك: لا غير معقول هذا الكلام, هو يرفض الكلام, لأنه إذا قبله, انكشف أمام نفسه, رفض الحق هو بسبب معاصيه.

يعني آكل الربا, لا يقنع أن الربا حرام, يقول لك: غير معقول هذا الكلام, الله عز وجل يتفلسف, يقول لك: الله عز وجل ما نهانا عن النسب القليلة, نهانا عن الأضعاف المضاعفة, اقرأ القرآن يقول لك:

﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً﴾

[سورة آل عمران الآية:130]

لا يقنع معك أن الربا حرام, لأنه هو يأكل ....

إذا الإنسان يشرب خمر, تعرف ماذا يقول لك؟ من حرم الخمر؟ الخمر ليس حرام, هات لي آية أنها حرمت عليكم, فقط اجتناب, يعني مكروهة فقط, كل إنسان متلبس بمعصية, يدافع عن نفسه, ويرفض الحق, فإذا وجدت شخصاً قبل الحق بسهولة, ولما يعترض, معناها هو مستقيم, استقامته أعانته على الحق, وإذا إنسان رفض الحق, معناها متلبس بمعاص كثيرة:

﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

[سورة يونس الآية:33]

حسناً: إذا كان سيدنا محمد –اللهم صل عليه–, الذي هو سيد الخلق وحبيب الحق, ربما لا سمح الله له أن يمتعه بمصير الظالمين, نحن من باب أولى, أنت اترك الأمر إلى الله, كفاك على عدوك نصراً, أنه في معصية الله:

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾

[سورة يونس الآية:46]

نعم, معناها: ممكن الله عز وجل يقبض النبي عليه الصلاة والسلام, دون أن يرى بأم عينه مصير الظالمين, فإذا النبي ربما لم يسمح له بذلك, فمن أنت حتى تشترط على الله أن ترى مصير الظالمين؟

بعد ذلك: سبحان الله! لما الإنسان يقرأ الآيات, لا يفهمها فهماً كما أراد الله, إذا كان نبي كريم, سيد الأنبياء والمرسلين, سيد ولد آدم, لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً, يقول لك: شيخنا نظر بإنسان يهتدي, هذه ولا للنبي الله صل عليه:

﴿لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً﴾

[سورة الأعراف الآية:188]

دائماً الإنسان:

﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾

[سورة النساء الآية:171]

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

[سورة التوبة الآية:31]

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

[سورة التوبة الآية:31]

الإنسان مخير, والنبي عليه الصلاة والسلام:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾

[سورة القصص الآية:56]

لا تستطيع أن تهتدي من تريد. عمه أبو لهب:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾

[سورة المسد الآية:1]

وليس عليك هداهم, ولست مسؤولاً عنهم:

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

[سورة الشورى الآية:52]

دعوتك حق, الإبلاغ حق, أما الاستجابة ليست بيدك, فإذا كان النبي –اللهم صل عليه– لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً, أيملك هذا شيخ من شيوخ الأرض؟ إطلاقاً.

مرة أخيرة: اسأل نفسك: ما الذي يفرحك؛ تفرح بالقبض لما بالدفع, بالنوم لما باليقظة , بخدمة الخلق أما الخلق يخدموك, بالعطاء أم بالأخذ؟:

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾

[سورة يونس الآية:58]

يعني: قل لي ما الذي يفرحك, أقل لك من أنت؟

متى قلبك يهتز بالسرور؟ إن وجدت نفسك في طاعة الله, إن وجدت نفسك في مرضاة الله, إن وجدت نفسك في الأمر والنهي, إن وجدت نفسك قد أطلق الله لسانك, إذا أجرى الله على يديك الخير, إذا اشتريت أرضاً فتضاعف ثمنها ألف ضعف, يقول لك: هذه ثمنها ثمانون مليون, ويرفع أنفه للأعلى, خير إن شاء الله, الإنسان يموت, ولا يستطيع أن يأخذ معه شيئاً, نعم.

والحقيقة: يوجد عندنا تصور غير صحيح: أن الأولياء فئة قليلة, نخبة, يجب أن يكون كله مؤمن, وليأكله, إذا في الجامع خمسة آلاف, يكون خمسة آلاف ولي, ليس فقط ولي واحد مدفون, لا, كل شخص منكم يجب أن يكون ولياً لله, لأن التعريف دقيق. قال:

﴿إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[سورة يونس الآية:62]

﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾

[سورة يونس الآية:63]

كل شخص آمن واستقام **ولي** والثمرة يافعة:

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[سورة يونس الآية:62]

لا يندم على ما فات, ولا يخشى مما هو آت, أبداً:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[سورة يونس الآية:62]

﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾

[سورة يونس الآية:63]

ما الذي يثبتهم؟ قال:

﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

–الله يتجلى على قلبهم, يسعدهم, يطمئنهم, يثبت قلوبهم, ينصرهم, يؤيدهم, يوفقهم, هذه تشجع المؤمن.

أحياناً الإنسان: يؤمن, ليس لأن الحق واضح, لأن الله عز وجل تجلى على قلبه, أمده بمدد منه, هذا معنى:

لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ

–تقول أنت: صدق الله العظيم, حسناً: قال–:

ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

[سورة يونس الآية:64]

يعني: إذا شخص لا يوجد في جيبه ليرة واحدة, وكان من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون, وله رفيق معه ألف مليون, لكن ما فيه دين, إن رأى نفسه, الله حرم المؤمن, هذا المؤمن, ويعطي رفيقه, يكون لا يفهم شيء بالدين إطلاقاً. الله يقول لك:

﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

[سورة يونس الآية:64]

هذا هو الفوز عندي؛ أن تعرفني, وأن تقبل علي, وأن تستقيم على أمري, أن تكون وفق المنهج الإلهي, نعم, والحمد لله رب العالمين. أطلنا عليكم اليوم, عدم المؤاخذة, والحمد لله رب العالمين.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم. الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (19–49) : وقفات تأملية عند قصتي نوح ويوسف عليهما الصلاة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

في قصة سيدنا نوح –عليه الصلاة والسلام– التي تليت البارحة:

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾

[سورة هود الآية:27]

هذه رؤية الكافر للمؤمن في كل العصور:

﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾

[سورة هود الآية:27]

طالب الحق لا يطلب الدنيا, يطلب الآخرة, لذلك لا يحفل بها كثيراً؛ ليست من طموحه, ليست محط رحاله, ليست منتهى آماله, يسعى فيها ليأخذ منها ما يكفيه, لذلك يبدو طالب الحق في دنياه أقل من طالب الدنيا.

شيء طبيعي جداً: إنسان ذهب إلى مكان ليدرس, طموحه الدكتوراه, يمكن لا يذهب إلى مقاصف المدينة, ولا إلى أنديتها, ولا إلى بساتينها, ولا إلى حدائقها, هدفه من هذه البلدة أن ينال هذه الشهادة, فهؤلاء المؤمنون, الدنيا ليست في طموحهم, وليست منتهى آمالهم, وليست محط رحالهم, إنهم يستعينون بها لبلوغ آخرتهم.

دخل رجل على سيدنا أبي عبيدة الجراح, وكان قائداً لجيوش المسلمين, رأى في بيته قدر ماء مغطى برغيف خبز, وجلداً يجلس عليه, وسيفاً معلقاً على الحائط, قال: ((ما هذا؟ قال: هو للدنيا وعلى الدنيا كثير, ألا يبلغنا المقيل؟)).

فإذاً: المؤمن هدفه الكبير الوصول إلى الله, وهو يسعى لجنة عرضها السموات والأرض, فإذا كانت دنياه متواضعة أو خشنة أحياناً, أو أن الله سبحانه وتعالى لحكمة بالغة, لئلا يشغله بها, كما قال عليه الصلاة والسلام:

((إن الله يحمي صفيه من الدنيا, كما يحمي أحدكم مريضه من الطعام, إن الله ليحمي المؤمن من الدنيا, كما يحمي الراعي الشفيق غنمه من مراتع الهلكة)).

فالكافر منظاره دنيوي, يقيم الشخص بمتاعه, بمساحة بيته, بماركة سيارته, بدخله, برصيده في البنك فقط, لا يعبأ إلا بهذه القيم المادية, فنظرة الكافر للمؤمن في كل العصور, هذه هي:

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾

[سورة هود الآية:27]

كلمة أراذل هنا: لا تعني الشعبي, العامي, الذي نعنيه الآن, الأراذل: الفقراء فقط, فلان رذيل بالقاموس: الفقير فقط, الكلمة لها معنى آخر الآن: سيء الأخلاق.

أحياناً: الكلمة لها معنى بحسب العصور, كلمة جرثومة تعني: أصل الشيء.

شاعر كبير وصف خليفة عظيماً, قال له: ((أنت جرثومة الدين, والإسلام, والحسب)).

يعني: أنت أصل الدين, إذاً: أما الآن جرثوم لها معنى آخر, تقول لشخص: أنت جرثومة الصف مثلاً, إذا أستاذ قال لطالب هذه الكلمة, هذه كلمة قبيحة, فكلمة أراذلنا لا تعني إلا أنهم فقراء فقط:

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾

[سورة هود الآية:27]

اسمعوا الجواب, الجواب مهم جداً:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾

[سورة هود الآية:28]

وضوح, الهدف واضح, الكون له تفسير, والحياة لها تفسير, والإنسان له تفسير, يعرف التكليف, يعرف حقيقة الملائكة, حقيقة الحيوانات, حقيقة الجمادات, لماذا أنا في الدنيا؟ أين كنت؟ ما مهمتي في هذه الدنيا؟ ماذا بعد الموت؟

يعني المؤمن على بينة, يعني عنده تصور للكون والحياة والإنسان, مطابق للواقع, يعني أعظم نعمة ينالها الإنسان: أن يكون على بينة من ربهم, يعني:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾

[سورة الكهف الآية:103]

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾

[سورة الكهف الآية:104]

إنسان يمشي في طريق خاطىء, وهو يظن أنه على حق, لذلك النبي من أدعيته الشريفة يقول:

((اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه, وأرنا الباطل باطلاً)).

معنى ذلك: هناك من يرى الحق باطلاً والباطل حقاً:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾

[سورة هود الآية:28]

والله لا أملك تفسير كلمة رحمة, لكن سأضرب أمثلة مقربة لكم:

بموجة البرد الشديدة الآن, دون الصفر أربع درجات, إذا الإنسان بالتعبير العامي: عظامه باردة, عظامه من الداخل, ودخل إلى غرفة دافئة, بماذا يشعر؟ دافئة جداً, إذا كان في درجة العطش الشديد الذي لا يحتمل بأيام الصيف, يوم كان رمضان في الصيف, وانطلقت مدافع الإفطار, وشرب كأس ماء بارد, بماذا يشعر؟

إذا الإنسان في حالة حرب لا يحتمل, دخل لغرفة مكيفة, بحالة جوع لا يحتمل, جلس إلى طعام نفيس؛ الطعام النفيس, والجو البارد في أيام الصيف, والجو الدافىء في أيام الشتاء, والماء الزلال عند العطش, هذه أمثلة, كيف أن الجسم يراها شيئاً لا يقدر بثمن؟

حسناً: الجسد يحتاج إلى الدفء في الشتاء, وإلى البرد في الصيف, والجسد يحتاج إلى الماء عند العطش, وإلى الطعام عند الجوع, هذه النفس التي هي ذات الإنسان ما غذاؤها؟ رحمة الله؛ تسميه سفينة سميه, تسميه تجلي سميه, تسميه طمأنينة سميه, لكن لا أملك إلا هذه الأمثلة فقط, المؤمن في رحمة الله:

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ

–خلقت من أجل رحمة الله–:

فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

[سورة آل عمران الآية:107]

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

[سورة هود الآية:119]

مثل ما الغذاء للجسم أساسي, والجو الدافىء بالشتاء أساسي, والجو البارد بالصيف أساسي, وكأس الماء البارد الفرات العذب الزلال أساسي, كذلك رحمة الله للمؤمن هي الغذاء, فلذلك المؤمن: إذا وجدته متمسكاً بدينه, حريصاً على مجالس العلم, حريصاً على الصلوات في المساجد, حريصاً على هذه العبادات؛ على الصوم, والصلاة, والحج, والزكاة, لأنه من خلال هذه العبادات تأتيه رحمة الله, رحمة الله تجلٍّ إلهي يُلقى في قلب المؤمن, يملؤه سكينة, يملؤه طمأنينة, يملؤه سعادة.

الآن في مفارقات: ممكن إنسان لا يملك من الدنيا شيئاً, لكن قلبه ممتلىء برحمة الله, بميزان السعادة الحقيقي, هذا الإنسان أسعد مليار مرة من إنسان جاءته الدنيا كلها, لكن حجبت عنه رحمة الله.

يعني: إنسان فقير, جائع, مريض, لكن قلبه مهبط لرحمة الله, هذا أسعد من إنسان يملك ألوف الملايين, يسكن أفخر البيوت, يركب أحدث المركبات, لكن الله سبحانه وتعالى حجب عنه رحمته:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ

–أنتم ماديون, تقيسون الإنسان بدخله, بأكله, ببيته, بزوجته, بأولاده, بمنصبه, بمتاعه.

سيدنا علي قال هذا الشيء, قال: ((في آخر الزمان, قيمة الرجل متاعه فقط)).

تسمد مكانتك من نوع الثياب, يقول لك: هذه أجنبية (يقول لك), إذا كان أنت سكت ينبهك, هذه أجنبية ليست وطنية, لأنه لا يوجد عنده شيء ثان, مكانته كلها من ثيابه, من بيته, من أثاث بيته, من مركبته, أما المؤمن حجمه عند الله بحجم عمله الصالح, وحجم عمله الصالح يتناسب مع رحمة الله في خلقه-:

قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ

-أنتم لا ترون شيء, المؤمن عنده يقين: أن هؤلاء الذين حوله من أهل الدنيا, الغارقون في متعها الرخيصة, المنهمكون في جمع درهمها ودينارها, صغار في نظره (صغار).

يعني: إنسان ذهب إلى مكان, وبإمكانه أن يجمع اللؤلؤ والألماس, فجمع الحصى, جمع الحصى والصدف, ولم يجمع اللؤلؤ والألماس, الألماس ثمنها نصف مليون, وكوم حصى بعشر ليرات, سيارة رمل بكاملها, يقول لك: ثمنها ألف ليرة كل السيارة, وحدة من حجم البحصات بالألماس, ثمنها ملايين (ثمنها)-:

قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾

[سورة هود الآية:28]

أنت مخير في الدنيا, هذا خيار هذا, المؤمن اختار طاعة الله, اختار رحمة الله, لذلك: انظر الآية ما أجملها:

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾

[سورة الزخرف الآية:32]

يقول لك: معمل مكلف أربعمئة مليون, كل طالع شمس مليون ربحه:

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾

[سورة الزخرف الآية:32]

عنده ألف دونم, تضاعف سعرها مئة ضعف:

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾

[سورة الزخرف الآية:32]

أهل الدنيا متعلقون بدنياهم, لذلك: إذا الإنسان الله عز وجل تجلى على قلبه, ورحمه, وأطلعه على سر ملكه, ومنحه طمأنينة, وسكينة, وسعادة, هذا هو الإنسان الفائز, وهذا هو الرابح, وهذا هو السعيد, علامة الإخلاص:

﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ

-إذا الإنسان طلب الدنيا من خلال الدين, يُشك في إخلاصه, إذا طلب الدنيا, هذا الدين:

((إن هذا الدين قد ارتضيته لنفسي -كما ورد بالأثر القدسي-, ولا يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق, فأكرموه بهما ما صحبتموه)).

الدين لله, يجب أن تبقى في العلياء, يجب أن يبقى صافياً, منزهاً عن كل قصد, وأقول لكم دائماً قول الإمام الشافعي:

((لأن ارتزق بالرقص, أهون من أن أرتزق بالدين)).

الدين دعه في عليائه, دعه مبدأ سامياً, دعه سلوكاً نظيفاً, دعه علاقة مع الله خالصة, لا تجعله في الوحل, لا تجعله من أجل الدنيا, لا تجعله من أجل عرض قريب-:

وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آَمَنُوا

-الداعية الصادق, المؤمنون ولو كانوا فقراء, ولو كانوا من أطراف البلاد, هؤلاء لهم شأن عند الله عز وجل, لذلك الإنسان: لما ينظر لإنسان نظرة أساسها مادي؛ أن هذا غني, هذا فقير, هذا مثقف, هذا غير مثقف, هذا من لب البلد, هذا بعيد عن البلد, هذه نظرة جاهلية, هذه نظرة عنصرية, ولا يمكن لإنسان يعرف الله عز وجل, أن يميز بين الناس, كلهم عباد الله-:

وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ

-أنتم قلتم عنهم: هؤلاء أراذل فقراء, هؤلاء لا أحد يعرفهم, دائماً: الإنسان المنافق يتعلق بالوجهاء, يعني إذا دعي لخمسين دعوة من أناس عاديين, لا يلبي, يقول لك: والله ما عندي وقت, أما إنسان ومن وجهاء القوم من الأغنياء, إذا دعاه يلبي سريعاً, أما المؤمن يلبي دعوة المؤمن ولو كان فقيراً.

النبي الكريم قال: ((لو دعيت إلى كراعٍ مؤدم -بالغنيم خارج المدينة- لأجبت)).

في أشخاص لا يلبون إلا دعوة الكبراء, والأغنياء, والوجهاء, والأقوياء, أما الفقراء المؤمنون خارج حساباتهم. موقف سيدنا نوح-:

وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ﴾

[سورة هود الآية:29]

﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

[سورة هود الآية:30]

بعد ذلك شيء آخر: كلما تعمقت معرفتك بالله, تتعمق عبوديتك له:

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ

-ليست عندي خزائن الله, ولا أعلم الغيب, ولست ملكاً, أنا بشر, أنا بشر مثلكم-:

وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة هود الآية:31]

يمكن إنسان ......

((رُبَّ أَشْعَثَ -أغبر ذي طمرين- مَدْفُوعٍ بالأبواب, لو أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

دخل صحابي فقير على النبي -عليه الصلاة والسلام-, قال له: ((أهلاً بمن خبرني جبريل بقدومه, قال: أو مثلي؟ قال: نعم يا أخي, خامل في الأرض علم في السماء)).

هذه قيم المادة, يجب أن تكون تحت أقدامنا جميعاً, الإنسان قيمته بمعرفته, واستقامته, وعمله الصالح, ولما أنت تحترم إنسان لماله, ذهب ثلثا دينك:

((من جلس إلى غني فتضعضع له, ذهب ثلثا دينه)).

تحترم قوي لأنه قوي, ذهب ثلثا دينك, يجب أن تحترمه لإيمانه, واستقامته, وعمله الصالح, ويجب أن تعامل أقل إنسان بمقاييس المجتمع إذا كان مؤمن, كما تعامل أعظم الناس عندك, يجوز تكون حاجب, حاجب بدائرة, يعني أقل وظيفة هذه, هذا قد يكون أقرب إلى الله عز وجل ممن يحجبه, والنبي قال –في حديث مر معنا من يومين يوم الأحد, أعتقد أنه–:

((رب مركوبة خير من راكبها)).

دابة أدت وظيفتها بإخلاص.

((رب مركوبة خير من راكبها)).

فالنظرة العنصرية: أن تقيس الناس بمقاييس مادية, أو مقاييس عرفية, أو مقاييس إقليمية, أو مقاييس سلطوية, يجب أن تقيس الناس بمقياس الإيمان وحده:

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ

–أنا مفتقر إلى الله مثلكم–:

وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ

–الله يعلم الغيب–:

وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة هود الآية:31]

﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة هود الآية:32]

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾

[سورة هود الآية:33]

يعني: أنت لا تستطيع أن تتفلت من قضاء الله عز وجل, أنت في قبضة الله.

كلمة: (ما أنتم بمعجزين)؛ أي لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً ما أراده الله, ولا تستطيعون أن تتفلتوا من عقاب الله, أنتم في قبضته:

﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾

[سورة هود الآية:34]

هذه الآية تحتاج إلى توضيح: بعضهم قال في تفسيرها: يعني إذا أنتم اعتقدتم أن الله مجبركم على هذه الغواية:

﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾

[سورة هود الآية:34]

يعني: إذا الإنسان اعتقد بالجبر, هذا لا يهتدي لله عز وجل, يعني: أنا مكتوب علي كذا من الأزل, خلص انتهى الأمر.

يعني: إذا الإنسان اعتقد أن الله يجبر عباده على المعصية, وأنه كتبها عليهم قبل أن يُخلقوا, وانتهى الأمر, ولن يبدل شيء, إن اعتقد الإنسان هذا الاعتقاد, هذا لا ينتصح, ولا ينتفع بالنصح.

والمعنى الثاني: إذا استحكمت الشهوات في أنفسكم, وكانت الحكمة البالغة أن تصبح عملاً, هو الإغواء: إخراج ما في النفس, عندئذ أنتم لا تستمعون إلى هذا المعنى الثاني:

﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾

[سورة هود الآية:42]

﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾

[سورة هود الآية:43]

وفي إشارة لطيفة هنا في الآية: أن الله سبحانه وتعالى رحمة بالأب, حجب عنه موت الابن, لأن كل أب في عنده محبة للابن قطعاً:

﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾

[سورة هود الآية:43]

لذلك: يُستنبط من هذه الإشارة القرآنية اللطيفة: أنه لا يجوز, ولا يمكن أن يقتل ابن أمام أبيه, ولو كان مجرماً, يعني إذا كان استحق إنسان الإعدام, ينبغي ألا يقتل أمام أبيه, لأنه شيء فوق طاقة البشر:

﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾

[سورة هود الآية:43]

نعم:

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ

-يروون: أنه يوجد امرأة جاءت سيدنا نوح, قالت له: ((متى الطوفان يا نوح؟ لا تنسني يا نوح, فوعدها, - قصة رمزية-, فلما جاء الطوفان, وركب نوح مع قومه في السفينة , تذكر هذه المرأة المسكينة, نسي أن يذكرها, فتأسف أشد الأسف, فلما انتهى الطوفان, وابتلعت الأرض ماءها, جاءته, قالت له: يا نوح متى الطوفان؟)).

يعني: إذا نسيها نوح, فرب نوح لم ينسها, يعني: أنت دائماً تعلق بالله عز وجل-:

وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة هود الآية:44]

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾

[سورة هود الآية:45]

﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ

-إياكم أن تفهموا من هذه الآية: أنه ليس ابنه, لأن نساء الأنبياء لا يخنه خيانة فراش, لكنهن يخونون أزواجهن خيانة دعوة-:

إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

[سورة هود الآية:46]

لذلك: ((لَوْ أنَّ فاطمةَ بنْتَ محمدٍ سَرَقَت لقطعتُ يَدَهَا))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن عائشة]

هكذا قال النبي.

أيها الأخوة الكرام, لا يتسع الوقت للوقوف عند أبرز آيات قصة يوسف عليه السلام, ولكن نكتفي بالخاتمة: ربنا سبحانه وتعالى يقول في آخر هذه السورة على لسان هذا النبي الكريم:

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ

-هو كان في البئر, وفي السجن, والبئر أشد خطراً, البئر في موت, أما السجن حياته مضمونة, وطعامه مضمون, ولكن خلق هذا النبي الكريم, استبعد البئر لئلا يذكر أخوته بفعلتهم, وهذا من أدب الأنبياء-:

وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾

[سورة يوسف الآية:100]

وهذا أدب آخر, لم يجعل نفسه مبرءاً وأخوته مذنبين, قال: الشيطان دخل بيننا:

﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾

[سورة يوسف الآية:100]

ويقول الله عز وجل:

﴿رَبِّ قَدْ آَتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾

[سورة يوسف الآية:101]

نبي كريم يقول:

﴿رَبِّ قَدْ آَتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾

[سورة يوسف الآية:101]

وقد نفهم: أن الملك أنه صار عزيز مصر, فإذا كانت هذه نعمة عظمى, فهناك ملوك كثيرون في الأرض يحكمون شعوبهم, فهل هذا هو الملك الذي أراد الله بهذه الآية؟

هناك من يقول: ((إن الملك؛ أن هذا النبي الكريم وصل إلى ما وصل إليه من رفعة عند الله عز وجل, لأنه ملك شهوته, (ملك شهوته)).

وقد قال العلماء: ((إن هناك عشرة أسباب تجعله يستجيب لإغراء امرأة العزيز, أولاً: هو شاب, وغير متزوج, وغريب, وسيدته التي دعته, ذات منصب وجمال, وليس من صالحها أن يفشو الأمر, وغلقت الأمر, وأمرته أن يأتيها, ومع ذلك:

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾

[سورة يوسف الآية:23]

فالملك أن تملك شهوتك, أن تملك هواك, بهذا ترقى عند الله, والدليل:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾

[سورة النازعات الآية:40]

﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾

[سورة النازعات الآية:41]

يعني: أساس الدين كله: أن تملك نفسك وشهوتك في سبيل مرضاة ربك, إذاً: تستحق جنة عرضها السموات والأرض.

أيها الأخوة, ويقول الله عز وجل:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾

[سورة يوسف الآية:106]

وهذا هو الشرك الخفي, نعوذ بالله من الشرك الخفي, ما علمنا منه وما لم نعلم.

ورد بالحديث الشريف:

((أن الشرك أخفى من دبيب النملة السوداء, على الصخرة الصماء, في الليلة الظلماء, وأدناه أن تحب على جور, وأن تغضب على العدل)).

يعني: واحد نصحك نصيحة بمنتهى الأدب, لكنك لم تقبلها, استكبرت أن تقبلها, فهذا الشرك, أو أحببت إنساناً وفيه معصية لمصلحة ما, وهذا شرك:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾

[سورة يوسف الآية:106]

﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

[سورة يوسف الآية:107]

الآن استمعوا:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ

-البصيرة الدليل, البصيرة التعليل, البصيرة الكتاب والسنة, البصيرة إن كنت ناقلاً فالصحة, إن كنت مدعياً فالدليل, البصيرة: أن تشف عن النص الصحيح, المؤول بالتأويل الصحيح, هذه البصيرة-:

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي

-فكل من يدعو إلى الله على بصيرة, فهذه بشارة له, لأنه متبع لرسول الله ﷺ-:

وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

[سورة يوسف الآية:108]

من يذكر لي: ما العلاقة بين نهاية الآية مع أولها؟ ما علاقة الشرك هنا بهذه الآية؟:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي

-لأن النبي عليه الصلاة والسلام: أرسل سرية, وأمَّر عليها أنصارياً ذات دعابة, فأمر بإضرام نار عظيمة, وقال: ((اقتحموها, فلما تردد أصحاب رسول الله, بعضهم قال: نقتحمها, لأن طاعة الأمير طاعة رسول الله, وبعضهم قال: كيف نقتحمها وقد آمنا بالله فراراً منها؟ فاختلفوا, فلما رفعوا أمرهم إلى النبي عليه الصلاة والسلام, قال عليه الصلاة والسلام: والله لو اقتحمتموها, لا زلتم فيها إلى يوم القيامة, إنما الطاعة في معروف)).

العقل لا يُعطَّل إطلاقاً مع أي إنسان, حتى إن النبي -عليه الصلاة والسلام- حينما يأمر, وحينما ينهى, ربنا عز وجل يقول:

﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾

[سورة الممتحنة الآية:12]

يعني: في شيء تشريعي في حياة النبي, وفي شيء خاص فيه, لو أنه ما أحب أكلة, أو أحب أكلة, الضب لم يأكله, هل هو محرم؟

قال: ((لا, ولكن تعافه نفسي, أحب اليقطين)).

فإذا إنسان لم يأكل يقطين, يعني محاسب عند الله؟ لا. ولا يعصينك في أوامرك التشريعية في معروف, نعم.

أيها الأخوة, ما العلاقة بين الشرك وبين أول الآية؟

يعني: إذا الإنسان أعطى أوامر, وأعطى نواهي, بلا دليل, وبلا أصل من كتاب أو سنة, صار نفسه مشرع, أشرك مع الله في التشريع, والأمر, والنهي, العالم لا يملك إلا أن ينقل, ناقل أمين فقط, ناقل آمن لأمر الله عز وجل, ولأمر النبي عليه الصلاة والسلام, لا يمكن أن يضيف شيئاً, ولا أن يحذف شيئاً, يعني ينقل بأسلوب محبب, هذا كل جهده:-

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

[سورة يوسف الآية:108]

أي لو دعوت على غير بصيرة, من غير كتاب أو سنة, لأشركن نفسي مع الله بالتشريع, وهذا منزه عنه النبي عليه الصلاة والسلام. حسناً:

﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾

[سورة يوسف الآية:110]

يبدو أن هذا شأن الله مع خلقه, لماذا يؤخر النصر؟ لماذا؟ الإنسان لمجرد أن يعمل صالحاً, يأتيه النصر, ويأتيه الجزاء, ولمجرد أن يعمل سيئاً يأتيه العقاب, هكذا أفضل, أما تجد الإنسان يعمل السوء سنوات طويلة, وهو صحيح, قوي البنية, متمكن, قوي المكانة, غني, وكل أجهزته بيد الله عز وجل, لماذا يمده الله؟ وقد يأتي إنسان آخر يعمل الصالحات, يتوب إلى الله, ينيب إليه, يستغفره, ومع ذلك قد يعاني من متاعب كثيرة في حياته, لماذا يتأخر عليه الفرج؟ ولماذا يتأخر العقاب؟

يعين, إذا كان العقاب جاء بعد الذنب مباشرة, الناس جميعاً يطيعون الله لا حباً به, ولا رغبة بمرضاته, ولا عبادة له, ولا طلباً للجنة, من أجل أن ينالوا الخير العاجل, ولو أن العاصي (العاصي) جاءه عقاب فوراً, رأساً يستقيم؛ لا حباً بالله, ولا طلباً للجنة, ولا خوفاً منه, ولكن هروباً من العقاب, الغِ الاختيار, لذلك: من شأن الله مع عباده: أن يرخي لهم الحبل, وهذه أخطر فكرة, إياك أن تطمئن, إذا كنت تملك الدنيا كما تريد, ولم تكن مستقيماً على أمر الله, هناك ضربة, لكن تأتي مفاجئة:

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾

[سورة هود الآية:113]

لا تركن إلى قوتك, ولا إلى مالك, ولا إلى علمك, ولا إلى مكانتك, فالإنسان إذا ركن إلى هذه, ولم يكن على منهج الله قائماً, يأتيه العقاب ولكن بعد حين:

﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ﴾

[سورة يوسف الآية:110]

تأخر الفرج, تأخر, تأخر, إلى أن استيأس الرسل, ليسوا أكثر الناس يأساً, حاشا لله, ولكنهم آخر الناس يأساً, الله فعلها مع أصحابه متى؟ مع أصحاب النبي في الخندق:

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾

[سورة الأحزاب الآية:11]

حتى قال أحدهم:

﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً﴾

[سورة الأحزاب الآية:12]

طلع كله خلط بخلط, لأنه قضية ساعات, وانتهى الإسلام كله, لم يبق في شيء إطلاقاً , الجزيرة كلها جاءت لتستأصلهم, واليهود نقضوا عهدهم, حتى قال أحد من كان مع النبي عليه الصلاة والسلام: ((أيعدنا صاحبكم أن تفتح علينا بلاد قيصر وكسرى, وأحدنا لا يأمن أن يقضي حاجته؟)).

حسناً سؤال: النبي في الهجرة مهدور دمه, ملاحق, مئتا ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً, يلحق به سراقة, –والقصة معروفة عندكم–, يقول له –دققوا؛ ملاحق, دمه مهدور, مئتا ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً, ومع ذلك يقول عليه الصلاة والسلام–: ((كيف بك يا سراقة إذا لبس سواري كسرى)).

كلام تعرفونه, لكن دققوا فيه, معنى ذلك: النبي مؤمن كإيمان بوجوده, أنه سيصل إلى المدينة, وأنه سينتصر على قريش, وأن الجزيرة ستدين له, وستفتح بلاد كسرى, وستأتي جيوش المسلمين بكنوز كسرى, وسيلبس هذا الصحابي سراقة سواري كسرى, هذا إيمان دليل النصر, ويجب كل مؤمن يثق: أن زوال الكون أهون على الله من أن يتخلى عن دينه, وعن عباده, وعن المؤمنين.

حسناً: لما وصل الكفار إلى غار ثور, ورأوا النبي مع صاحبه, قال له: ((لقد رأونا, فقال: يا أبا بكر, ألم تقرأ قوله تعالى:

﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾

[سورة الأعراف الآية:198]

لو كان النبي مكتفي على أخذه بالأسباب المادية, وصلوا لعنده, انتهى الأمر, وقتله صار محقق, لكن ثقة النبي بالنصر لا حدود لها.

بالطائف, قال له سيدنا زيد: ((كيف تعود إلى مكة وقد أخرجتك؟ –دمه مهدور النبي–, فقال: إن الله ناصر نبيه)).

هذه ثقة النبي, فلذلك الآية الأخيرة:

﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ﴾

[سورة يوسف الآية:110]

الله يؤخر, كلما أخر النصر يهر بعض الكاذبين بالتعبير العامي, يتساقطون, كلما أخر النصر, يقول لك: أين الله؟ لا يبقى إلا المؤمن الإيمان القوي, إذاً: عملية تأخير النصر, عملية ابتلاء, عملية زلزلة للمؤمنين:

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾

[سورة الأحزاب الآية:11]

يعني: الله عز وجل لا يقبل إلا أن يكون الإنسان قوي الإيمان:

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾

[سورة آل عمران الآية:179]

سؤال: يعني ما حكمة أن الله سبحانه وتعالى روى هذه القصة الكريمة للنبي ولنا؟

قال في آخر السورة:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

[سورة يوسف الآية:111]

أما في آية أدق. يقول الله عز وجل:

﴿وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾

[سورة هود الآية:120]

الآن وازنوا: إذا كان فؤاد النبي يثبت, ويزداد إيماناً إذا تليت عليه قصة نبي, دونه الأنبياء جميعاً (دونه), حسناً نحن إذاً: إذا تليت علينا قصة, ونحن لسنا أنبياء, ولسنا صديقين, ولسنا من كبار المؤمنين, نحن مؤمنون إن شاء الله عاديون, فإذا تليت علينا قصة نبي, فنحن من باب أولى, نزداد بهذه القصة إيماناً من باب أولى, لأن هذه قصص الشباب, هذه ....

يعني الآن الشاب: يعني أغلب الظن بعيد عن المعاصي الكبيرة, إلا موضوع النساء, فهذا النبي الكريم قدوة للشباب:

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾

[سورة يوسف الآية:23]

فبلغ أوج الرقي, الإنسان لما يعف عن الشهوة يرقى عند الله, وتأتيه بعدئذ وهي راغمة, كل شيء بحساب دقيق.

يعني: إذا الإنسان اكتفى بحلاله: ((اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك)).

في أول القراءة: الله عز وجل قال بموضوع سيدنا شعيب:

﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ﴾

[سورة هود الآية:86]

يعني: هذه المرأة زوجتك, هذا ما بقي لك من النساء, وكل النساء أجنبيات عنك:

﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾

[سورة هود الآية:86]

هذا الدخل حلال, هذا بقي لك من المال. يقول الله عز وجل:

﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ﴾

[سورة هود الآية:86]

في ألف دخل حرام, في دخل واحد حلال, في ألف علاقة مع أنثى محرمة, في علاقة واحدة محللة هي الزوجة, فالإنسان المؤمن يرضى بما سمح الله له, وينفر أشد النفور مما حرمه الله عليه.

على كلٍّ؛ هذه قصة سيدنا يوسف عليه السلام, تحتاج إلى وقفات متأنية جداً, لم نذكر إلا القوة الأخيرة منها, والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم. الفاتحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (20-49) : غذاء العقل وغذاء القلب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة الكرام:

آيات كونية كثيرة وردت في هذه السورة, لكن الله سبحانه وتعالى يقول تعقيباً على بعض هذه الآيات:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

[سورة الرعد الآية:3]

أي يتفكرون بها, صار في كل آية كونية بالقرآن الكريم عنوان لموضوع تفكري, يعني هذه الآية فكر فيها, الله ما أعطى الجواب, لكن لفت نظرنا إلى الآيات:

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

[سورة الرعد الآية:2]

يعني: هذه الأرض تدور حول الشمس, ما الذي جعلها تدور حول الشمس بمسار مغلق, تتحرك؟

الأجسام إذا تحركت في الفضاء, تأخذ سرعة ثابتة, مبدأ العطالة: أن جسم المتحرك يرفض أن يقف, وأن جسم الواقف يرفض أن يتحرك, هذا مبدأ في الفيزياء, فالأرض تدور حول الشمس, لكن ما الذي جعلها تدور حولها في مسار مغلق؟ قوة جذب الشمس لها.

لو أن هذه الأرض تفلتت من أثر الشمس, وانطلقت في الفضاء الخارجي, وأردنا أن نعيدها إلى الأرض, ماذا نحتاج؟

قال: ((نحتاج إلى مليون مليون كبل فولاذي, قطر كل شبر خمسة أمتار, نزرعها بين الأرض والشمس, بمسافة مئة وستة وخمسين مليون كيلو متر)).

يعني: نحتاج إلى مليون مليون كبل, كل كبل قطره خمسة أمتار, والكبل هذا يقاوم قوة شد قدرها مليوني طن.

يعني: حسب الرياضيون قوة جذب الشمس للأرض, اثنان مليون, ضرب مليون مليون طن, قال: كل هذه القوة من أجل أن تحرف الأرض في حركتها في الفضاء عن مسارها المستقيم, ثلاثة ميلي في الثانية, معناها: في قوة تجاذب كبيرة جداً, مليون مليون كبل, كل كبل قطره خمسة أمتار, من أجل أن تحرف الأرض عن مسارها المستقيم, وأن تبقى في مسار مغلق حول الشمس, ثلاثة ميلي في الثانية, (ثلاثة ميلي في الثانية), يشكلون مسار مغلق حول الشمس, حسناً: هذه القوة, الأرض تدور المسار إهدلجي, معنى في قطرين؛ قطر أعظم, وقطر أصغر, بالقطر الأصغر تزيد السرعة, لينشأ قوة نابذة تكافىء القوة الجاذبة, بالمسار الأطول تقل السرعة, تزيد السرعة لئلا تنجذب, وهناك تقل السرعة لئلا تتفلت, والزيادة والبطء بتدريج شديد, لو كان التسارع شديد, لانهدم كل ما على الأرض, يعني: نحن أمام آيات كونية. والله قال:

((تفكروا فيها)).

فلا يكفي أن: أقرأ الآية, أقول: سبحان الله, أنت ما فكرت, قرأت عنوان فصل, لكن يجب أن تقرأ ما في هذا الفصل من دقائق.

فأنا أجيب أمثلة أوضح من ذلك, نستطيع أنت نأتي بقطعتي مغناطيس متساويتين تماماً, وضع قطعة معدنية في الوسط, ولتكن كرة ثقيلة, والسطح أملس, وضع هذه الكرة في مكان متوسط بين الكتلتين, بحيث لا تنجذب لا إلى هنا ولا إلى هنا, يحتاج إلى حسابات بالغة في الدقة, لو زاحت عشر الميلي تنجذب, أما أن تبقى هذه الكرة بين الكتلتين, دون أن تتكافأ قوى الجذب هنا وهناك, والمحصلة استقرار, هذا الشيء فوق طاقة الإنسان, لو كان كتلتين متفاوتين في الحجم, أي في قوة الجذب, صار أصعب, تصبح حسابات أدق, لو كان أربع كتل, لو كان الكتل متحركة, كتل متحركة, ويجب أن تتجاذب تجاذباً يؤدي بها إلى الاستقرار المتحرك, ليس اضطراب, لأن أي خلل في الكون, يصبح الكون كتلة واحدة, في قوى جذب, الأكبر يجذب الأصغر, لو في خلل بالنظام, أصبح الكون كله كتلة واحدة, حتى يبقى الكون مجرات, وكواكب تدور حول بعضها بعضاً بمسارات مغلقة, معنى قضية في منتهى الإعجاز: أن تتصور

كيف أن الكون يتحرك, وهو مستقر استقرار حركي؟ التوازن الحركي أصعب من التوازن الساكن. فالله عز وجل قال:

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

[سورة الرعد الآية:2]

يعني: بعمد لا ترونها, في أعمدة, لكنها غير مرئية.

مرة كنت أراقب في كلية الطب, وجدت بالعضاضة يعني مترين بمترين, طبعاً: البناء عشرة طوابق في القبو, قلت: ممكن هذا البناء يقف على أعمدة هوائية؟ أنا من أين أخترقها؟ هذا فوق طاقة البشر, بناء شامخ عشرة طوابق, يصبح مستند على أعمدة ليس لها جسم, أنا من أين أمشي عبرها؟

هكذا الكون, في قوة جذب, لكن غير مرئية, لو أردنا أن نزرع هذه الحبال على الأرض حبال الفولاذ, من أجل أن نربطها بالشمس, المليون مليون كبل, إذا زرعناهم بالوجه المقابل للشمس, سيكون بين الكبلين فقط مسافة كبل واحد, نحن أمام غابة من حبال الفولاذ, هذه الغابة تعيق أشعة الشمس, تعيق الحركة, تعيق الزراعة, تعيق البناء, تعيق كل شيء, انتهت حياتنا, أما أرض مربوطة بالشمس بقوة كبيرة جداً, غير مرئية بالعين, يبدو أن الأرض لوحدها تمشي, أما أحياناً إنسان يأتي بمغناطيس تحت كرتونة, يضع فوقه مسمار, يحركه من الأسفل , يمشي المسمار كأنه مثل ألعاب السحر, في قوة جذب من أسفل إلى أعلى تحرك المسمار, فلذلك: هذه الآية دقيقة جداً, هذا الكون مترابط بقوى التجاذب, وقوى التجاذب لو كان الكون غير متحرك, لأصبح كتلة واحدة, حركته تمنع تجمعه, الحركة في معها قوة نابذة, القوة الجاذبة متكافئة مع القوة النابذة, فتجد أرض, وشمس, وأقمار, فأي خلل بالكون, يتجمع الكون في كتلة واحدة, وتنتهي الحياة من على سطح الأرض.

يوجد آية ثانية تؤكد هذه الآية:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾

[سورة فاطر الآية:41]

الزوال, يقول لك: أخي حكم الوقت الظهر؟ ما معنى الظهر؟ تكون الشمس في كبد السماء, حينما تزول عن كبد السماء درجة واحدة, يقع وقت الظهر, يقول لك: وقت الزوال زالت؛ أي انحرفت, انحرفت, فلو أن الكوكب انحرف في مساره انتهى, الأرض إذا انحرفت عن مسارها انتهت الحياة ما عليها, السبب:

ستمشي في طريق مستقيم, لم يبق في شمس, أصبح كوكب متجمد, تنتهي الحياة من عليها, لو خرجت عن مسارها, لأنه إذا انحرفت زالت, والأجسام إذا بلغت درجة حرارتها مئتان وسبعون تحت الصفر, تقف حركة الذرات, فمع البرودة الشديدة تتلاشى المادة نهائياً. ف:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾

[سورة فاطر الآية:41]

لو انحرفت لزالت, (لو انحرفت لزالت). ف:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

[سورة فاطر الآية:28]

هذه إنما: أداة قصر, يعني العلماء وحدهم, ولا أحد غيرهم يخشون الله, إذاً: إذا أردت أن تعرف الله, فعليك بطلب العلم, العلم وسيلة وحيدة, لا يوجد وسيلة أخرى, طريق آخر لا يوجد:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

[سورة فاطر الآية:28]

والإنسان مكرم بهذه القوة الإدراكية التي أودعها الله فيه, هذه القوة الإدراكية, فالذي لفت نظري: سورة النحل كلها آيات, ماذا نفعل بها؟ المطلوب منا: التفكر بها. قال:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾

[سورة التكوير الآية:1]

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾

[سورة الشمس الآية:1]

فأنت مكلف أن تفكر, لذلك: أحد أعلى أنواع العبادات التفكر, فإذا الإنسان جلس صباحاً ليذكر الله عز وجل, الأولى أن يأخذ وقتاً قصيراً من هذا الوقت في التفكر في آية من آيات الله, وما أكثرها في القرآن, والأولى أن تجعل الآيات الكونية موضوعات للتفكر, أن تسترشد بما ذكرك الله به, الله قال لك: فكر بهذه الآية:

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

[سورة الرعد الآية:2]

يعني: نحن لا نرى بعيننا قوة الجذب, فقط المد والجزر, ما هو المد والجزر؟ المد والجزر قوة جذب القمر للمياه, وفي أبحاث حديثة للقمر, يجذب القشرة الأرضية اليابسة, سنتيمترات يجذبها, في حركة, طبعاً الماء لأنه سائل, حركته أوضح, فالمد والجزر هي قوة جذب القمر للأرض, في تجاذب بينهما, موضوع التجاذب وحده من أكبر الآيات الدالة على عظمة الله, التجاذب وحده:

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

[سورة الرعد الآية:2]

هذه إعرابها ترونها: جملة فعلية في محل جر صفة لعمد, والصفة قيد, الصفة قيد, يعني إذا قلنا: عمد, عمد لا ترونها, يعني في أعمدة, لكنكم لا ترونها, ليس معناها: ما في أعمدة, هناك أعمدة لا ترونها, والإنسان ممكن يفكر بطعامه, بشرابه, بأصله, ما في داعي يكون عنده اطلاع واسع جداً على العلوم, لكن في آيات صارخة, صارخة جداً, فهذه إذا فكر بها, ازداد حجم معرفته بالله عز وجل, فالإنسان إذا عرف الله معرفة جيدة, يعد للمليون قبل أن يعصيه, يعني: تصبح المعصية كبيرة جداً, أنت تعصي خالق الكون.

((لا تنظر إلى صغر الذنب, ولكن انظر على من اجترأت)).

يوجد آية ثانية. قال:

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾

[سورة الرعد الآية:4]

ائت بتوت ضعها على الطاولة, وجانبها مشمش, ودراق, وإجاص, وتفاح, وتمر, ماذا يوجد من فواكه سكرية, وعنب, وتين, هل تستطيع أن توصف لي طعم كل واحد, لكن من دون أن تقول: هذا تين, بطعم التين؟ الغ التين, عندك عشرون قطعة فاكهة, كل هذا الطعم حلو, مذاق حلو, فيك توصف هذا الطعم هذا, من دون ما تقول: كلمة تين؟ لا تستطيع أن تصفه؛ التين له طعم الإجاص, له طعم الدراق, له طعم المشمش, له طعم التمر, له طعم. قال:

﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ

-حسناً: من صمم هذا النبات بهذا الطعم؟ بهذه الدرجة من السكر؟ بهذه النكهة الخاصة؟

النبات مادة, المادة عاقلة؟ كيف أن هذا الجذر يأخذ من التربة المعادن, والمواد الخاصة, وكيف أن الورقة محل معقد جداً, تأخذ من الهواء بعض الغازات, ومن الشمس الطاقة, وفي مادة خضراء يتصنع سيللوز نازل, يتصنع هذا النسغ النازل يشكل الفواكه, هذه آية ثانية.

يعني: هذه الفواكه تربة واحدة, ماء واحد, سماد واحد, البستان في مشمش, ودراق, وإجاص, وتفاح, كل شجرة لها طعم.

الآن التفاح: مئتا نوع تقريباً, تفاح, العنب ثلاثمئة نوع, القمح ثلاثة الاف وخمسمئة نوع, القمح وحده, يعني: لا يوجد فاكهة أو خضرة إلا لها أنواع, لا تقل عن مئة نوع, لا تقل عن مئة نوع, هذا يقول لك: نسيج اللحمي كثيف, هذه ماؤها كثيف, هذه للاستعمال السريع, هذه للعصير, هذه للسفرة, البرتقال أمامكم, في شيء خاص بالعصير, شيء حلو, شيء لونه أحمر, شيء أبو صرة؛ في يافوي, في شموطي, كم نوع برتقال يوجد أمامكم؟ التفاح كم نوع؟-:

وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

[سورة الرعد الآية:4]

فهذه النقطة أعلى عبادة على الإطلاق, التفكر أعلى عبادة على الإطلاق, فإذا الإنسان أحب أن يأكل, لا يعطل فكره, قعد على مائدة فيها ألوان منوعة من الطعام, هذا التمر ست وأربعون مادة غذائية, صيدلية قائمة بنفسها, لا يتلوث تركيز السكر في التمر, لدرجة أي جرثوم وقف على التمر, السكر الشديد يحل ماء الجرثوم, وينتهي, يعطي التمر أسرع مادة غذائية من الفم للدم بعشرين دقيقة.

شخص أكل ثلاث تمرات, وصلى المغرب, رجع مثل الإفطار, ما في جوع شديد, أكل بهدوء, ما في جوع شديد, يعني يأكل الإنسان أكل فوق طاقته؛ فكر بالتمر, بالفواكه, فكر بالحليب, فكر بالشمس, بالقمر, بالنجوم, تقول: من هو الله؟

يعني أحياناً الإنسان: يرى خمس غرف نوم, هذه من يفعلها؟ شيء فخم كثير, الصانع يعرف من صنعته, فإذا نحن ما عندنا إمكان نرى الله عز وجل, أما عندنا إمكان أن نرى خلقه, نعرفه من خلقه, فصار الكون طريق وحيد لمعرفة الله عز وجل, فالإنسان إما أن يعمل وقت خاص يتفكر فيه, أو يتفكر دائماً.

جلست للطعام, لاحظت ملاحظة, وجدت قوس قزح, هذا معناها: الضوء الابيض سبعة ألوان.

إذا الإنسان وضع المراية بوعاء في ماء بالشمس, جاءت على الحائط في سبعة ألوان, تحلل الضوء معنى في سبعة ألوان بأشعة الشمس, يعني في آيات لا تعد ولا تحصى في الفلك, في السماء, في الأرض, في النجوم, في الطعام, في الشراب, في خلق الإنسان, لذلك موضوع التفكر موضوع مهم جداً.

في نقطة أريد أن أذكرها البارحة, مرت معنا بدرس الجمعة: لما النبي –اللهم صل عليه– في بيعة الرضوان, الصحابة لما بايعوا تحت الشجرة, بعد أن بايعه الصحابة جميعا, وضع يده اليمنى على يده اليسرى, وقال: ((هذه عن عثمان, اللهم إنه في حاجتك وحاجة رسولك, (إنه في حاجتك)).

الله له حاجة؟ هذا كلام النبي اللهم صل عليه, ما احد يجرؤ أن يقول: الله له حاجة, لكن النبي قالها, ما دام قالها في معنى دقيق جدا, الله غني عن العالمين, له حاجة؟

أنا لي حاجة, أنا لي مليون حاجة, يقول لك: يا قاضي الحاجات, هل يوجد إنسان ليس له مليون حاجة؟ بحاجة يزوج ابنه, بحاجة يزوج ابنته, بحاجة يوسع بيته, بحاجة يكبر دخله, لا يوجد إنسان ليس له حاجات, لكن الله له حاجات؟

إذا شخص قال: هذه شطحة, لا, النبي قالها, قال له: ((إنه في حاجتك وحاجة رسولك)).

سيدنا عثمان, وهذه عن عثمان, تفسير الحاجة الوحيد: أن الله سبحانه وتعالى كماله مطلق, رحمته المطلقة, رأفته المطلقة بالعباد, فالعباد إذا عرفوه, وسعدوا بقربه, هذه حاجته, حاجته أن يسعد خلقه, حاجته أن يرحمهم, فكل إنسان يتحرك في الحياة حركة, تقرب الناس من ربهم, تعينهم على طاعة ربهم, تعينهم على الإقبال عليه, تيسر لهم طريق سعادتهم, فهذه الإنسان في حاجة الله, وفي حاجة رسوله,

فالإنسان لا يكون في حاجة ذاته, لا يكون يعني أناني, كل نشاطه ينصب على مصالحه الشخصية, مما يسمو بالإنسان: أن يكون في حاجة الله, وحاجة رسوله.

طبعاً: سيدنا عثمان في القمم, لكن الإنسان إذا الآن لم يصل للكل, عليه بالجزء.

((ما لا يُدرك جله لا يدرك كله)).

إذا كنت لم أستطع أن أصل لمستوى الصحابة الكرام, لكن أقل ما يكون في الحركة, حركة لوجه الله؛ تكون في حاجة الله, تكون عنصر مقرب إلى الله, عنصر محبب إلى الله, عنصر تعين على طاعة الله, تمسك بالكتاب.

((اللهم إنه في حاجة الله وحاجة رسوله)).

يوجد نقطة:

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾

[سورة الرعد الآية:26]

يجب أن تفرح بالآخرة, تفرح بالمعرفة, تفرح إذا الله عز وجل أجرى على يدك العمل الصالح, تفرح إذا فهمت كتاب الله, تفرح إذا أطلق لسانك بالحق, هذا الفرح الحقيقي, لأن هذا الفرح يبقى, وما سواه لا يبقى-:

﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ

-خالق الكون خالقنا, هو الخبير, يعني كأنه يقول: يا عبادي لن ترتاحوا, ولن تطمئنوا, ولن تستقروا, لن تسعدوا إلا بذكري-:

أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

[سورة الرعد الآية:28]

في قلق, قلق مبهم, خوف مبهم, ضياع مبهم, تشتت, تبعثر, شعور بالحرمان, شعور بالقهر, هذه كلها أمراض القلب. قال:

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

[سورة الرعد الآية:28]

لذلك: العلم غذاء العقل, لكن الذكر غذاء القلب, أنت بحاجة إلى الذكر كما أنت بحاجة إلى العلم, لا تعمل عرج, حصل العلم وأكثر من الذكر, فإذا الإنسان جلس في اليوم .....

سألني أخ سؤال: يعني هل يعقل إذا الإنسان جلس في اليوم, وذكر الله عز وجل حتى تطلع الشمس, تساوي هذه حجة؟ قلت له: معقول ونصف, لأن الحجة عشرون يوم, أما ثلاثمئة وخمسة وستون يوم تستيقظ على صلاة الفجر, وتذكر الله حتى الشمس, هذا عمل ليس سهلاً, معنى في عندك إرادة قوية جداً, وعندك شوق إلى الله كبير جداً, وعندك رغبة أن تكون مع الله دائماً, فإذا الإنسان وطن نفسه كل يوم يصلي الفجر في جماعة, وأن يذكر الله حتى تطلع الشمس, هذه كحجة تامة تامة تامة, الحجة كلها عشرون يوم, أما هذه ثلاثمئة وخمسة وستون, كل يوم جلسة ذكر, وأعلى أنواع الذكر التفكر, فإذا الإنسان يعني؛ إما بالمسجد, أو في بيته عمل الترتيب, هذا يذكر الله عز وجل؛ استغفار مئة مرة, تسبيح, تحميد, تهليل, تكبير, وذكر الله باسمه المفرد, وعشر دقائق تفكر, وخمس دقائق دعاء, وصلى الضحى, وانطلق إلى عمله. قال:

((فهو في ذمة الله)).

((من صلى الفجر في جماعة, فهو في ذمة الله))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن أبي بكرة]

يعني: أنت محمي اليوم, معك ضمانة, خالق الكون يرعاك, أنت في ظله. آخر آية:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ

-كيف الله يشهد للناس أن هذا الكتاب كلامه؟ سؤال دقيق جداً, أنا أجبت عنه كثيراً سابقاً, هل يعقل أن نسمع كلام الله نحن؟ هو يتكلم, الله من صفته التكلم, هذا الكتاب كلامه, حسناً: أنا كيف أريد أن يشهد الله لي أن هذا الكلام كلامه؟

الأحداث تأتي محققة لوعده ووعيده, معنى كلامه, الأحداث لأنها بيده, الأفعال بيده, لما تجد الفعل يتحرك لتأكيد ما في هذا القرآن. قال-:

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾

[سورة الرعد الآية:43]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (21 – 49) : الكلمة الطيبة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

الكلام من أكبر نشاطات الإنسان :

أيها الأخوة الكرام ؛ إن من أكبر نشاطات الإنسان الكلام ، والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

[سورة الرحمن :1-4]

فالأنبياء الذين اصطفاهم الله ، وأرسلهم إلى خلقه ، بماذا جاؤوا ؟ ما جاؤوا بمخترعات ، ولا بطائرات ، ولا بصواريخ ، ولا بأجهزة معقدة جداً ، إنما جاؤوا بالكلمة ، كلمة تفعل فعل السحر ، كلمة تهدي البشر إلى رب البشر .

ذكرت هذه المقدمة ، لأمهد لكم لهذه الآية :

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾

[سورة إبراهيم: 24]

الكلمة الطيبة هي الكلمة الصادقة ، والكلمة المخلصة ، والكلمة التي لها رصيد في الواقع ، كلمة تعبر عن واقع لها رصيد ، وكلمة صادقة مطابقة للواقع ، وكلمة مخلصة يبتغي معها صاحبها وجه الله ، هذه الكلمة الطيبة الإنسان إذا نطق بها ربما أصلحت نفوسنا . وربنا سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾

[سورة المائدة:32]

أحياناً ربنا عز وجل يكرمك بهداية إنسان ، هذا الإنسان يأتي بأخيه ، وأخيه ، وصهره ، وابنه ، وينتقي زوجة صالحة ، ويختار أصدقاء صالحين ، يختار مهنة شريفة ، هذا الرجل الذي منَّ الله عليك بهدايته ، صار أمة، صار مجموعة كبيرة ، فلذلك أنا أذكر هذا لئلا يزهد أحدكم بالكلمة ، لأن النبي – عليه الصلاة والسلام– يقول :

((وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

ما من صدقة أعظم من كلمة الحق ، أن تقول كلمة الحق ، وقد يسأل سائل : لماذا الكلمة الآن لا قيمة لها؟ يقول له : بلا فلسفة ، لماذا ؟ لأن الكلمة ليست صادقة ، والواقع لا يؤيدها ، وصاحبها لا يعني ما يقول ، فعندما كانت الكلمة صادقة ، وكانت مخلصة ، ولها رصيد من الواقع جاء بها الأنبياء ، هذا النبي العظيم بماذا جاء ؟ حياته خشنة جداً ، في صحراء ، حياة متواضعة ، بيوت صغيرة ، فرش خشنة ، طعام خشن ، لا يوجد شيء ، أما إنسان واحد في ربع قرن غير وجه الأرض بالكلمة .

الآن : الدول العظمى عندها أقمار صناعية ، وعندها صواريخ ، وعندها كمبيوتر ، يقرأ أربعمئة وخمسين مليون حرف بثانية ، أربعمئة وخمسون مليون حرف بثانية ، مراصد عملاقة ، وأقمار صناعية ، وأسلحة ، وصواريخ ، وبوارج ، وطائرات ، وقنابل ذرية ، وكل هذا الإنجاز العلمي لا يزيد البشرية إلا شقاء وانحطاطاً ، والأنبياء جاؤوا بالكلمة ، كلمة فقط ، وأنت أيها الأخ الكريم أنت إذا ملكت الكلمة الطيبة ملكت كل شيء .

أحياناً : تجد جموعاً كبيرة ، ما الذي جمعها ؟ كلمة طيبة ، الناس يأتون إلى بيوت الله ، ماذا يوجد ؟ لا يوجد كرسي ، ولا كأس شاي ، ولا ضيافة ، ولا رسم إكرامي ، لا يوجد شيء أبداً ، لا يوجد إلا كلمة طيبة .

تشبيه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة :

الآن : ربنا عز وجل يصف هذه الكلمة الطيبة ، يشبهها بالشجرة الطيبة :

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾

[سورة إبراهيم:24]

﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾

[سورة إبراهيم:25]

أنت تصور شجرة تين مثلاً ، خذ حبة تين ، وعد كم بذرة فيها ؟ وتصور أن كل بذرة تغدو شجرة ، وأن كل شجرة تحمل عشرات ألوف هذه الثمار ، وأن كل ثمرة فيها عشرات ألوف هذه البذور ، معنى هذا من بذرة واحدة يمكن أن تشكل غابة ، هذه تسمونها السلسلة الهندسية ، هناك تعبير أحدث منه (سلسلة انفجارية) ، فالكلمة الطيبة تعمل سلسلة انفجارية ، تجد مجتمعاً بأكمله يهتدي بالكلمة الطيبة ، فالمؤمن يجب أن يجهد ، أن يجعل سريرته كعلانيته، وواقعه ككلامه ، وظاهره كباطنه ، وخلوته كجلوته ، إذا عرف الإنسان أن هنا يوجد صدق ، لا يوجد كذب ، و لا مبالغة ، و لا تزوير للحقائق ، الكلمة الطيبة أكبر صدقة ، وأكبر قوة مؤثرة ، الإسلام قوي بلا أي سلاح ، قوي بالكلمة الطيبة ، قوي بالصدق :

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾

[سورة إبراهيم:24]

معنى هذا أن أصلها ثابت ، الإسلام دين الله ، والله خالق الكون ، فهذا الإسلام من عند خالق الكون ، والله عز وجل هو الذي قنن القوانين ، إذاً : هذا الدين يتوافق مع أدق القوانين التي قننها الله عز وجل ، البشرية مهما تحركت ، ومهما نشطت في البحث عن منهج ، لا تهتدي إلا إلى منهج ينطبق على منهج الله عز وجل :

﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾

[سورة إبراهيم:25]

أنت أحياناً تتكلم كلمة طيبة ، تجد من حين لآخر عطاءات ، هذا اهتدى ، وهذا تاب ، وهذا أصلح بيته ، وهذا أصلح زوجته ، وهذا تمكّن من إقامة الإسلام في بيته ، وأساس كل هذه الإنجازات كلمة طيبة واحدة :

﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾

[سورة إبراهيم:25]

بعالم التجارة ، يكون الإنسان أحياناً وكيل شركة ، فهذه الشركة المحترمة ترسل له عملاءها دورياً ، مبالغ طائلة ، فلان اشترى لك بالمئة ثلاثة عمولة ، مئة ألف أُيدت في حسابك، أي عطاء مستمر ، لذلك ربنا عز وجل يحبنا أن نتاجر معه ، وأن نربح عليه ، أما أصلها فثابت .

الحق هو علاقة قطعية تطابق الواقع :

كلكم يعلم أن الحق هو علاقة قطعية – أمر مقطوع به – تطابق الواقع ، عليها دليل مقطوع بها ، لا يوجد ظن ، يوجد عندنا وهم ، ويوجد عندنا شك ، ويوجد عندنا ظن ، أما القطع فمئة بالمئة ، فالحق قطع ، والحق يطابق الواقع .

من أدق تعريفات العلم : الوصف المطابق للواقع مع الدليل . الغ الدليل صار تقليداً ، الغ الواقع صار جهلاً، الغ القطع صار ظناً ، و شكاً ، و وهماً ، فالحق لا يحتمل ظناً، ولا شكاً ، ولا وهماً ، ولا بعداً عن الواقع ، ولا افتقاراً للدليل ، بل هو علاقة قطعية ، مطابقة للواقع ، عليها دليل ، هذا العلم ، فهذا الدين العظيم ينطبق على الواقع ، لأن الواقع خلق الله ، وهذا الدين دين الله ، والعقل مقياس أودعه الله فينا ، والفطرة مقياس نفسي ركبها الله في نفوسنا ، فالشيء الطبيعي ، والحتمي ، توافق هذه العناصر كلها ، فالحق شيء جاء به النقل ، وصدقه العقل ، وأقرّه الواقع ، وارتاحت له الفطرة ، هذا معنى أصلها ثابت .

الإنسان أحياناً يتعلق بمذهب يتوهمه صحيحاً ، ثم يفاجأ بعد حين أن هذا المذهب لا أصل له ، وليس منطقياً ، وليس واقعياً ، وغير علمي ، عبارة عن نظرية ، أي ليست مستندة إلى أساس واقعي ، يصاب بخيبة أمل :

﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾

[سورة إبراهيم:24]

أي هذا الحق ينتهي إلى الله عز وجل ، ينتهي إلى الجنة ، إلى السماء .

أحياناً الإنسان يؤسس شركة ضخمة جداً ، يموت ، توزع هذه الشركة بين أولاده ، أو تباع ، بقيت في الأرض الإنجازات الدنيوية ، قد يأتي فنان يرسم آلاف اللوحات ، تبقى في الأرض ، بنَّاء يشيد أعظم الأبنية، تبقى في الأرض ، مخترع يخترع أدق الأجهزة ، تبقى في الأرض ، أما الحق :

﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾

[سورة إبراهيم:24]

فهذه متصلة بالجنة ، أي الإنسان إذا سلك طريق الإيمان ، هذا الطريق ينتهي به إلى الجنة ، أساساً :

((مَن سَلَكَ طريقاً يَلْتَمِسُ فيه علماً ، سهَّلَ الله له طريقاً إلى الجنة))

[أبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

إذاً أصلها ثابت ، أي في الأساس صحيحة ، واقعية ، علمية ، وهذا الحق ينتهي إلى الجنة :

﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾

[سورة إبراهيم:25-26]

الحق ثابت و باق والباطل زائل وفان :

يوجد عندنا مشكلة الآن ، الكلمة الباطلة قال : تسري بسرعة بالغة ، يقول لك : الآن مثلاً : يوجد سبعمئة وخمسون مليون بوذي بالعالم ، أربعمئة وخمسون مليون هندوسي ، يقول لك : هناك شعوب تؤمن بالخزعبلات ، والأصنام ، والآلهة المتعددة بمئات الملايين .

أحياناً تجد ثلث العالم ملحداً ، إذاً كيف ورد هذا في القرآن ؟

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾

[سورة إبراهيم:26]

أيضاً تنتشر سريعاً إلى درجة التفجر ، لذلك إذا الإنسان ما دعا إلى الله ، الباطل يحاصره ، كما أن الحق ينتشر، والباطل ينتشر ، الحق يتوسع ، والباطل يتوسع ، فالله عز وجل قال :

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾

[سورة العصر : 1-3]

أحد أركان النجاة التواصي بالحق ، لأنك إذا أنت ما وسعت دائرة الحق ، الباطل سيتوسع ، وسيحاصر الحق:

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ﴾

[سورة إبراهيم:26]

ليس لها أصل ، نظرية غير صحيحة ، الواقع لا يؤيدها ، المنطق لا يؤيدها ، النقل يعاكسها ، الفطرة تنفر منها، هذا الباطل لا تقبله الفطرة ، ولا يطابق الواقع ، ولا يقره العقل ، ولم يأت به النقل ، لكن فكرة اتبعت ، وافتري بها من أجل مصلحة مادية محضة ، أيضاً الشجرة تتوسع ، لكن هذه الشجرة لا أصل لها ، فقد تُنشر نظرية ، وترسخ في قلوب الأجيال عشرات السنين ، بضع عشرات السنين ، ثم فجأة تنهار كبيت العنكبوت :

﴿اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾

[سورة إبراهيم:26]

فالباطل اسمه باطل ، والباطل هو الزائل :

﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾

[سورة الإسراء:81]

هنيئاً لمن كان مع الحق ؛ لأنه متنام ، والباطل متداع ، الحق ثابت ، والباطل زائل، الحق باق ، والباطل فان، كن مع الحق ، فالله هو الحق :

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾

[سورة إبراهيم:27]

ضرورة التمسك بالقول الثابت :

أخواننا الكرام ؛ مثلاً مؤمن شاب لا يملك من حطام الدنيا شيئاً ، يتلو قوله تعالى :

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

[سورة النحل:97]

هذا كلام خالق الكون ، المؤمن ، هذا القول الثابت الذي هو القرآن من عند خالق الأكوان ، هذا القول يملأ نفسه ثباتاً على الحق ، ورضى بما قسمه الله له .

الآن أحياناً إنسان يبقى معلقاً كل آماله على مادة بقانون ، يقول لك : يوجد اجتهاد لمحكمة النقض رقمه كذا، سنة كذا ، هذا لصالحي ، الدعوى أكسبها ، ما الذي جعل هذا المدعي يطمئن ، ويستبشر ، ويتفاءل ؟ لأن هناك مادة باجتهادات محكمة النقض لصالحه ، إذا كان هناك آيات من عند خالق الكون تطمئنك ، آيات تبشرك، آيات تعدك بإحدى الحسنيين ، آيات تعدك بالجنة ، فلذلك المؤمن الذي يخاف أكثر مما يجب، ويتشاءم مما يجب ، وسوداوي المزاج ، هذه الحالة القلقة التي يعيشها هي عقاب من الله على سوء ظنه بالله، الإنسان عليه أن يتثبت بالقول الثابت ، كلام الله .

تذكير الإنسان برحمة الله عز وجل :

يوجد نقطة ثانية بهذه السورة أخيرة . يقول الله عز وجل :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآَيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾

[سورة إبراهيم:5]

الإنسان أحياناً نفسه تقبل وتدبر ، يتألق ويخبو ، يقبل ويغفل ، في ساعة الغفلة ، ساعة الضعف ، يذكر نفسه بأيام الله ، الإنسان عليه أن يتحرك ، أي ليس له حق أن يستسلم لواقعه النفسي بل عليه أن يحرك نفسه ، فإذا مالت نفسه إلى التشاؤم ، إلى الخضوع ، شعرت أنها ضعيفة . الله قال :

﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾

[سورة إبراهيم:5]

أن الله عز وجل وضعك بأزمة اليوم الفلاني ، وخلصك منها ، وضعك بأزمة ثانية امتحنك فيها ، ونجاك ، إنسان هددك ، والله حماك منه ، كان هناك شبح مرض خطير ، الله نجاك منه ، كان هناك حادث خطير ، سيصيب ابنك ، الله خلصك منه ، فهذه كلها رحمة الله عز وجل التي تصيب الإنسان من حين لآخر ، هذه تحتاج إلى سجل :

ولذ بحمانا واحتـــم بجنابنـــــا لنحميــك مما فيه أشرار خلقنـــــا

وجدناك مضطراً فقلنا لك ادعنـــا نجبك فقل هل أنت حقا دعوتنـــا ؟

دعوناك بالخيرات أعرضتنــــا إذاً فهل تلقى من يحسن لمثلك مثلنا ؟

نناديك بالإحسان تأتي بضـــده مـ ع العلـــم والإقـــرار أنك عبدنـــا
أيا خجلتي منه إذا هو قال لـــــي أيا عـــــبد سوء ما قرأت كتابنـــا
أما تستحي منا ويكفيك ما جــرى أما تخجلن من عتبنا يوم جمعنـــا
أما آن أن تقلع عن الذنب راجعـاً وتنظـــــر ما بـــه جاء وعدنــا؟
فأحبابنـــا اختاروا المحبة مذهبـاً وما خالفوا في مذهب الحب شرعنا
فلو شاهدت عيناك من حسننا الذ ي رأوه لمـا وليت عنـــا لغيرنـــا
ولو سمعت أذناك حسن خطابنـــا خلعت عنك ثياب العجـــب وجئتنا
ولو ذقت من طـعم المحبـــة ذرة عذرت الذي أضـحى قتيـــلاً بحبنا
ولو نسمت من قربنا لك نسمـــة لمت غريباً واشـــتياقاً لقربنـــــا

***

محبة الله عز وجل بالنسبة إلى الدين كالروح بالنسبة إلى الجسد :

أخواننا الكرام ؛ محبة الله عز وجل بالنسبة إلى الدين كالروح بالنسبة إلى الجسد ، دين بلا حب ميت ، الدين ليس أحكاماً شرعية فقط ؛ الدين حبّ ، الدين اتصال بالله ، الدين سعادة بالقرب من الله عز وجل ، لذلك :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآَيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾

[سورة إبراهيم:5]

لا يوجد مانع أن يستعرض الإنسان حياته الماضية ، كان فقيراً ، اشترى بيتاً ، كان عازباً ، الله زوجه ، أنجب أولاداً ، الأولاد بعضهم صالح ، قرة عين له ، كان لا يحسن شيئاً ، الله ألهمه مصلحة معينة يرتزق منها ، هذه كلها إنجازات ، الله عز وجل سمح لك فيها ، فالإنسان بأمر الدنيا لينظر إلى من هو دونه ، وفي أمر الآخرة لينظر إلى من هو فوقه .

ضرورة مطابقة الكلمة للواقع :

نقطتان في الدرس : الكلمة الطيبة صدقة ، والكلمة الطيبة تعني أنها صادقة، وتعني أنها مخلصة ، وتعني أنها تطابق الواقع ، وهذه الكلمة جاء بها الأنبياء ، وأنت بإمكانك أن تكون أسعد الناس بالكلمة الطيبة ؛ إما بسماع الكلمة الطيبة ، وإما بلقاء الكلمة الطيبة ، لكن لأن الكلام صار فيه كذب كثير ، والعالم يقوم على الكذب ، والخداع ، والغش ، والدجل ، والكلام الذي لا يطابق الواقع ، والكلام في واد ، والواقع في واد ، فالناس كفروا بالكلمة ، لكن الأنبياء جاؤوا بالكلمة .

والمؤمن الصادق يبقى مستقيماً ، ويحاسب نفسه حساباً عسيراً ، يجعل بيته إسلامياً، يطبق كل الشرع ، حتى يأخذ شيئاً اسمه المصداقية ، فلان عنده مصداقية ، أي كلامه كواقعه ، هذا الإنسان ممكن أن يؤثر بالناس، ممكن أن يهدي الناس إلى الله ، ممكن أن يلتف الناس حوله ، ممكن أن يتأثروا بكلامه ، أما إذا كشف السامع تناقضاً بين القول والفعل فتسقط الدعوة .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (22- 49) : الآيات الكونية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

التفكر في خلق السموات والأرض عبادة من أرقى العبادات :

من أكثر السور في القرآن الكريم إشارة إلى آيات الكون هي سورة النحل ، وذكرت لكم سابقاً أنه من أرقى العبادات التفكر في خلق السموات والأرض ، ونحن بعد أن ننهي هذا الدرس القصير ؛ بعضنا يجلس في المسجد ، وبعضنا في البيت يجلس ويذكر الله عز وجل ، ومن أرقى أنواع الذكر التفكر في خلق السموات والأرض .

هناك موضوع فكرت فيه البارحة أن هذه التعييرات الدقيقة في الجسم من يعيرها ؟ يوجد عندنا دليل من أكبر الأدلة على وجود الله ، وعلمه ، وحكمته ، اسمه : دليل الترجيح ؛ فلا ترجيح بلا مرجح ، هذا الدليل ملخصه أن بإمكانك أن تضع مفتاح الكهرباء في أي مكان في الحائط ؛ ممكن أن تضعه في أعلى الحائط ، أو في أسفله ، أو في منتصفه ، أو في ارتفاع يساوي ارتفاع الإنسان ، ما دام كان من الممكن أن يوضع في أي مكان ، لماذا وضع في هذا المكان المناسب ؟ لو وضع في أعلى الحائط ، لاحتجنا إلى سلم لإغلاق المصباح ، ولو وضع في أسفل الحائط ، لاحتجنا إلى أن ننبطح كي نغلق هذا المصباح ، ولكن وضع المصباح في مكان مناسب ، هذا المكان يجب أن يكون مناسباً لطول الإنسان ، ويسهل استعماله ، إذاً : هذا المكان فيه ترجيح ، فيه عدة احتمالات ، فنختار ما يناسبنا .

انطلقت في هذه الفكرة من أن الإنسان أحياناً يأخذ دواء ، هذا الدواء يسبب له جفافاً في حلقه ، هو حينما كان هذا اللعاب ينطلق بنسب معيرة تعييراً دقيقاً يجد نفسه مرتاحاً تماماً ، أي إذا اختلف عيار كمية اللعاب بالفم ، الإنسان يشعر بضيق ، يقول لك : لساني مثل الحطبة، يكون اللعاب قد خف قليلاً .

فأردت أن أعمم هذه الفكرة : هذه التعييرات دقيقة ، اللعاب له تعيير ، بدليل أن بعض الأدوية تحدث في الفم جفافاً .

الآن العين ؛ كلكم يعلم أن فيها قرنية ، وقزحية ، وجسماً بلورياً ، وخلطاً مائياً ، هذا الخلط المائي يجب أن يتجدد، إذاً : توجد غدة تفرز هذا الخلط المائي ، فإذا جددناها ، وما صرفنا منه تنفجر العين أول شيء ، إذا وجد الطبيب في العين نفخة حمراء ، يفحص ضغط العين ، ضغط العين غير ضغط الدم .

يقول لي طبيب : أحياناً شاردة من البروتينات تغلق مصرف العين ، إذا أغلقته ، هذا الوارد الجديد على العين يجعلها تزداد ضغطاً ، يرتفع ضغط العين ، وهناك خطر على الرؤية ، فالإنسان من حين لآخر يفحص ضغط عينه ، من عيّر هذا الضغط بحيث أن هذه المادة التي تجدد الخلط المائي في العين يجب أن تصرف أو أن تخرج منها كمية بالقدر الذي دخل إليها ؟

تعيير الضغط ، إذا الضغط الأدنى نزل عن ست درجات لأربع ساعات ، تتوقف الكليتان عن العمل ، معنى هذا أن الضغط دقيق جداً ، و إذا ارتفع فوق خمس عشرة درجة أيضاً حالة صعبة ، يجوز أن ينتشر الشريان بالدماغ، أي ارتفاع الضغط أحياناً يسبب أمراضاً خطيرة جداً ، أقلها الشلل أحياناً ، من عيّر الضغط ؟

مرة طبيب قال لي : كنت في بلد أجنبي ، وأجريت عملية قلب إسعافية لمريض ، لكن هذا المريض يتناول الأسبرين فالعملية كادت أن تنجح و لكن بعد أن أغلقنا القلب لم يتوقف الدم ، ما السبب ؟ يأخذ حبة أسبرين في اليوم ، صار الدم عنده ميوعة فلم يلتئم الجرح ، والدم انحبس في القلب ، خرج من الجروح ، فمات المريض ، مات من حبة أسبرين ، من عيّر الدم هذا التعيير الدقيق ؟ هناك هرمون التجلط ، وهرمون التمييع، من التوازن بينهما يكون الدم في حالتين ؛ لا هو من الميوعة ليخرج من جرح بسيط ، ولا هو من التجمد ليصبح كالوحل في الطرقات ، من عيّر ذلك الدم ؟ نسبة الملح من سبعة إلى ثمانية بالألف بالدم ، لو زادت بالحالتين ؛ الزيادة والنقص تسبب الوفاة ؛ إما أن تنكمش الكريات ، وإما أن تنفجر ، تعيير الملح في الدم دقيق جداً .

الغدة النخامية هذه ملكة الغدد ، تفرز اثني عشر هرموناً ، أحد هذه الهرمونات لو اختل يختل بالإنسان نظام توازن السوائل ، يصبح يشرب حوالي عشر تنكات ماء ، ويطرحهم ، لم يعد عنده عمل إلا أن يجلس جانب المرحاض ، وجانب الحنفية ، انتهت حياته من هرمون واحد إذا اختل إفرازه .

أنا والله الآن لا يحضرني كل الموضوع ، لكن موضوع التعبير إذا الإنسان فكر بموضوع التعبير ، من عيّر لك سعة الشرايين ؟ أحياناً الإنسان يخاف ، يصفر فجأة ، ما القصة؟ لأن الشيء المخيف انطبع على شبكية العين ، وهذه الشبكية نقلته إلى المخ إدراكاً ، والمخ ملك الجهاز العصبي ، أعطى توجيهاً لملكة الجهاز الهرموني (الغدة النخامية) ، أنه يوجد خطر تصرفي ، الغدة النخامية أعطت توجيهاً إلى الكظر ، الكظر أعطى خمسة أوامر هرمونية؛ أول أمر إلى الشرايين كي تضيق لمعتها ، لأن الخائف لا يلزمه شكل جميل ، يلزمه أن يهرب ، يلزمه أن يتقي الخطر ، فالدم الذي يجول في الجلد ، ويجعل هذا اللون زهرياً لسنا الآن بحاجة إليه ، يأتي الأمر إلى كل الأوردة المحيطة ، تضيق لمعتها حتى يتوفر الدم للعضلات ، وأمر للقلب تزداد ضرباته ، حتى ينتقل الدم بسرعة إلى العضلات ، وأمر للرئتين يزداد وجيبهما ، وأمر للكبد بطرح كمية سكر إضافية ، وأمر للكبد أيضاً لرفع هرمون التجلط ، حتى لو جرح المريض لا ينزف دمه كله ، ما هذا الذي يجري بثوان ؟ الخائف أولاً يصفر لونه ، يدق قلبه ، يلهث ، لو فحصت قلبه ، تجد عنده سكراً زائداً ، وهرمون التجلط زائد ، تعيير هذه الأشياء بدقة بالغة .

هذه المفاصل تتلقى مادة زيتية ، من أجل أن تضعف الاحتكاك بشكل مستمر ، بعد ذلك أرقى أنواع السيارات مهما كان الشركة عالية المستوى ، يقول لك : بعد عشرة آلاف غير الزيت ، بعد ثلاثين ألفاً غير الكوليات ، هل من الممكن أن تستخدم السيارة من دون تبديل بعض السوائل فيها ، أو قطع الغيار ؟

أصل المرض خروج عن منهج الله :

طبعاً هناك أمراض ، الأمراض موجودة ، لكن الله عز وجل أشار إلى المرض بآية واحدة . يقول :

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾

[سورة الشعراء:78-80]

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾

المرض عزي إلى الإنسان ، لأن أصل المرض خروج عن منهج الله . وأحياناً الإنسان يعتني بصحته تماماً ، إلا أن هناك أمراضاً أسبابها خطأ عام في العصب.

أحياناً الإنسان يعتني بصحته تماماً ، إلا أن هناك أمراضاً أسبابها خطأ عام بالعصر ، تلوث مثلاً ؛ تلوث الجو، الضجيج ، المواد الكيماوية ، الأدوية الكيماوية ، هذه كلها خلاف منهج الله ، فهناك خطأ بالعصر ، كل أدويتنا مواد كيماوية ، والجسم نباتي ، عندما صمم ربنا هذا الجسم ، صممه على أساس يتعالج بالنباتات، أما شركات الأدوية فقد قال لي أخ : شركة أمريكية تبيع بأربعين مليار دولار كل سنة ، ليس لها

مصلحة أن تتكلم بالأعشاب إطلاقاً ، لو تكلمت تخسر ، لأن كل دواء كيماوي عندها له بديل عشب لطيف، ولا يؤذي ، لكن ليس لها مصلحة ، دواء معقد ، تركيب كيماوي .

نحن هكذا تعلمنا في الكليات أن أفضل شي الدواء الأجنبي ، مع أن هناك أدوية نباتية فاعليتها جيدة ، وتضمن سلامة المريض ، لا يوجد دواء كيماوي إلا معه مضاعفات خطيرة ؛ إذا أنت فكرت فقط موضوع التعبير ؛ تعبير ماء العين ، تعبير الدمع . الله عز وجل قال:

﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾

[سورة المائدة:83]

ليس معنى هذا أن الدمع عندما يسيل على الخدين أثناء البكاء أنه لم يكن هناك دمع وصار دمع ؟ لا ، الآن: فاض الدمع ، لأن هناك دمعاً يأتي بشكل مستمر ، وهناك قناة تصريف دقيقة جداً ، هذه القناة تستخدم لتصرف الدمع الذي استخدم في وقاية العين ، حتى لا يحدث احتكاك بين القرنية والجسم ، فهناك مادة تسهل الحركة ، وهذا الدم نفسه عمل لك بالأنف منطقة رطبة ، إذا دخل غبار للأنف يعلق بالطبقة المخاطية المحيطة بتجويفات الأنف ، أنت لو فقط فكرت بتعبير الدم ، مع تعبير ماء العين ، مع تعبير لعاب الفم ، مع تعبير هرمون التجلط والتمييع ، مع تعبير الملح في الدم ، مع تعبير زيت المفاصل ، ترى العجب العجاب .

الآن : كل التحاليل أساسها كشف التعبير ، أحياناً تجري خمسين تحليلاً ، الأسيد أوريك ، والشحوم الثلاثية ، والكوليسترول ، وسرعة التسفل ، كلها تعبيرات دقيقة ، فأي خلل بالدم تجد له مضاعفات في الصحة ، هذا الخلق هو خلق المولى سبحانه .

آيات أخرى متعلقة بعظمة الخالق :

كل سؤالنا : لا ترجيح بلا مرجح ، ما دام هناك احتمال أن تكون النسب عديدة ، وهناك نسبة نظامية ، طبيعية ، صحية ، من وضع هذه النسبة بالذات ؟ الله رب العالمين ، الله عز وجل هنا يقول :

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾

[سورة النحل:66]

هل تستطيع أن تنكر أن مشتقات الألبان أحد أكبر الأغذية في الحياة ؟ الحليب أساسي ، اللبن أساسي ، اللبن المصفى ، الجبنة ، السمنة ، الزبدة ، القشطة ، هذه كلها أشياء أساسية في الحياة ، من هذا اللبن الذي تنتجه البقرة ، وهي لا تعلم ، لا تعلم أن هناك أربعمئة ، أو ستمئة ليتر دم تجول في غدد البقرة الثديية ، كي تصنع كلها لتر حليب واحد .

والذي يلفت نظري أنه أحدث كتاب في هذا الموضوع ، يقول المؤلف : حتى هذا التاريخ لا يعلم أحد طريقة عمل هذه الخلايا الثديية ، إن الذي نعرفه أنها تأخذ حاجتها من الدم ، وترشح الحليب فقط .

خلية على شكل قبة ، في أعلاها أوعية دموية ، ومن أسفل القبة يرشح الحليب ، يوجد الآن بقر يعطي ستين كيلو في اليوم – بقر مهجن – :

﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾

[سورة النحل:66]

أنا لفت نظري ، وأنا أعطي الدرس بهذا الموضوع أن كل سورة النحل تقريباً معظمها آيات كونية ، هذه الآيات لنا، والله عز وجل ما أعطى التفصيلات ، أعطاك العناوين ، قال لك: هذا الموضوع فكر فيه ؛ فكر بالحليب ، فكر بالعين ، فكر بالدمع ، فكر بخلقك ، فكر بالطير ، هذا الطير الذي يطير سبعة عشر ألف كيلو متر ، أطول رحلة يقطعها طائر .

يوجد عندي موسوعة عن الطيور ، بالمقدمة يقول الكاتب : أعظم طائرة صنعها الإنسان سرعتها فوق سرعة الصوت ، إذا الإنسان قرأ عن الطير، شيء لا يصدق ، فالقضية لا يوجد معها مزح ، خمسمئة وخمسون راكباً ، هناك طائرة يوجد فيها ستمئة وخمسون راكباً ، على ارتفاع أربعين ألف قدم ، أي خلل ، يقول لك : قد مات جميع ركابها ، لا يوجد معها مزح ، فأعلى درجات الدقة والإتقان في الصناعة في الطيران ، ويقول لك: أعظم طائرة صنعها الإنسان لا ترقى إلى مستوى الطائر .

يقولون : أرقى أعضاء أعضاء الإنسان ، الطائر يرى ثمانية أضعاف الإنسان ، حسناً : ما الحكمة؟ لأنه يحلق على ارتفاع شاهق ، يريد أن يأكل ، وجد صحراء ، صعد ، ثم نزل ، وجد بحراً ، صعد ، ثم نزل ، فيجب أن يرى هو في أعلى ارتفاع غذاءه على الأرض ، فالله زوده بقدرة على الإبصار تفوق الإنسان بثمانية أضعاف ، الطائر عندما يتنفس ، الحركة المستمرة تعمل حرارة بجسمه ، فيجب أن يكون هناك تبريد .

الآن : كل آلة معقدة جداً فيها حركة دائمة ، ومعها تبريد دائم ؛ الكمبيوتر معه مروحة ، السيارة معها راديتير دائماً ، فهذا الطائر يطير في الجو بشكل مستمر ، أحياناً يطير سبع عشرة ساعة بلا توقف ، يقول لك : تعبنا ، ذهبنا لأمريكا تسع ساعات طيران ، الطائر يطير سبع عشرة ساعة بلا توقف ، فالهواء الذي يستنشقه يصل إلى كل خلايا جسمه ، القصبات الهوائية في الطائر موزعة في كل جسمه ، بحيث أن الهواء يمرن كل عضلاته ، ولو درسنا ريشة الطائر ، طيران الطائر ، تحديد جهة الطيران ، شيء لا يصدق ، لذلك الآية الوحيدة في القرآن التي عزي فيها العمل إلى الله مباشرة. قال :

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾

[سورة الملك:19]

فالطيران آية ، هذه سورة النحل مباركة يا أخوان ، بعد رمضان إذا الإنسان قرأها بعناية ، أمسك آية آية فكر فيها، اشترى كتاباً متعلقاً بهذا الموضوع وقرأه ، لا يوجد مانع ، ليعرف ما هذا الخلق المعجز ؟ إنك أنت على قدر معرفتك بالله تخشاه :

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

[سورة فاطر:28]

فالآيات اليوم كلها متعلقة بخلق الإنسان ، وبعظمة الخلق .

خطر في بالي خاطر لأخواننا الكرام الذين يجلسون للذكر والتفكر ؛ إذا فكرت في آيات الله ، و ظهر معك شيء لطيف من خلال هذا التفكر ، وسمعناه منك ، ستشجعنا .

أحياناً يكون مثلاً أخ طبيب أسنان ، عنده معلومات دقيقة عن الأسنان ، بحكم دراسته الجامعية أن هذا ميناء السن مثلاً يعد ثاني أقسى عنصر بالعالم ، الألماس رقم واحد ، و ميناء الأسنان رقم اثنين ، هذا كان ماء مهيناً، من أين جاءت القساوة ؟ إذاً هناك عملية معقدة هي الترسيب ، لولا عملية الترسيب الكيماوية لم يكن هناك سن قاسية من نقطة ماء مهين .

فلك هيكل عظمي متين ، هذا عظم عنق الفخذ من أجل أن يكون الإنسان شكله جميل ، حوضه يوجد له مكان، لكن عظم الفخذ ليس مستقيماً . لأن الضغط كله على عنق الفخذ ، هذا يتحمل ضغط يقدر بمئتين وخمسين كيلو، والآخر يتحمل ضغطاً يقدر بمئتين وخمسين ، إذا نزل فوق الإنسان خمسمئة كيلو أي نصف طن ، العظم يتحمل هذا الضغط ، هذا كان من نقطة ماء مهين ، كيف صار العظم يتحمل خمسمئة كيلو ضغط ؟ هناك حكمة بالغة .

ورد سؤال : كنت أقرأ بعض الأسئلة بالعلوم الطبيعية : لماذا هناك عصب حسي في نقي العظام ؟ هناك حكمة بالغة أن الإنسان عندما تكسر رجله -لا سمح الله- تسعة أعشار العلاج أن يبقيها على حالها ، ما الضمانة ؟ الألم ، فربنا عز وجل جعل في نقل العظام عصباً حسياً ، بحيث لو أن الإنسان كسرت رجله أو شعرت يتألم ألماً لا يحتمل ، فمن شدة ألمه يبقيها على حالها ، وهذا تسعة أعشار العلاج ، لو لم يكن هناك عصب حسي ، لمشى عليها ، وتعقد الأمر ، وتمزقت الشرايين ، وانقطعت الأعصاب ، إذاً هناك حكمة بالغة ، أما بالشعر فلا يوجد عصب ، بالشعر ، بالأظافر لا يوجد عصب ، لو كان للشعرة عصب لاحتجت إلى عملية كل أسبوعين في المستشفى ، من أجل أن تحلق تحتاج إلى تخدير، لا يوجد حل ثان ، في الشعر لا يوجد عصب ، أما بنقي العظام فهناك عصب ، شيء دقيق جداً ، فالموضوع واسع جداً .

الكون أوسع باب لمعرفة الله عز وجل :

لكن أنا الذي ألح عليه مرة ثانية أن هذه الآيات الكونية التي وردت في كتاب الله هي عنوانات وليست موضوعات، عليك أن تتقصى دقائقها ، وتفاصيلها، وحكمها ، وأحكامها ، من أجل أن تزداد معرفتك بالله عز وجل ، هذا الكون باب واسع ، أوسع باب لمعرفة الله ، وأقصر طريق لمعرفة الله ، والله جعله مظهراً لأسمائه الحسنى . أي لا يوجد أخ معه اختصاص إلا عنده آيات كونية رائعة ، الآن مثلاً أنت تحتاج إلى معالجة ربط حديد بحجر ، ما الطريقة ؟ تصور أنه لا يوجد رصاص ، يجب عليك أن تعمل حديقة ، وتعمل لها سوراً من حجر ، يكون لها قطعة حديد تجميلية ، أو للصيانة ، أو قطعة تمنع النظر ، تمنع الدخول ، تعامل الحديد مع الحجر كيف يتم ؟ ينصهر الحديد بدرجة ألف وخمسمئة فيزداد حجمه ، فأنا مرة لفت نظري لاحظت حديقة ، ألغوا حديقة ، يمكن رأوا أن تزويد الحديد بالأوكسجين أهون من قلعه بالحجر لأنه ثبت .
الآن هذا الرصاص من خلقه ؟ خلق للإنسان خصيصاً ، تعامله سهل ، ينصهر على نار خفيفة ، يصبح مائعاً، تصبه بمكان له شكل إجاصة ، يتمدد ، فلا نستطيع بعد ذلك أن نزيله أبداً ، إذاً : الرصاص دقيق .
لو أخذت موضوع الفيزياء والكيمياء ، هناك أدلة رائعة جداً ، أخذت موضوع الطب، أنت محاط بملايين الآيات الكونية ، وكلها تدل على الله ، وتشير إليه ، فأنت كلما كان معرفتك بالله كبيرة جداً تجد أمره و نهيه غالياً عليك.

أحد أسباب التفلت من منهج الله أن المعلومات عن الله ضعيفة جداً ، لأن خلق السموات والأرض هذه لا تكفي :

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾

[سورة الحديد:4]

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾

[سورة الزخرف:84]

أردت أن يكون هذا الدرس آيات كونية ، لأن السورة كلها آيات كونية ، وينبغي أن يتفكر الإنسان في خلقه ، وهذه أرقى أنواع العبادات .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (23- 49) : أهمية قراءة سورة الكهف يوم الجمعة؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

قواعد للتعامل مع البيئة :

أيها الأخوة الكرام ؛ سورة الكهف أمرنا النبي – ﷺ– أن نقرأها يوم الجمعة لأهميتها ، ففيها آيات كثيرة متعلقة بقواعد سير الإنسان إلى الله ، ومن هذه القواعد أن الإنسان إذا كان في مجتمع منحرف ، أو فاسد ، هذا المجتمع ينبغي أن يعتزله الإنسان ، ونحن في موضوع العزلة والخلطة على مقياس دقيق ، فحيثما أمكنك أن تؤثر في المجتمع عليك ألا تعتزله ، وحيث أمكن للمجتمع أن يجرك إلى فساده عليك أن تعتزله .

فهؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم ، وزادهم الله هدى ، حينما رأوا أن قومهم يدعون من دون الله ، وأن الفساد قد انتشر فيهم ، وأن آلهة كثيرة تعبد من دون الله عز وجل ، اعتزلوا قومهم، وحينما تكون قصة في قرآن يتلى إلى يوم القيامة ، ليست العبرة أن تأخذ علماً بهذه القصة ؛ العبرة أن تنير لك هذه القصة طريق حياتك ، العبرة أن تستنبط من هذه القصة قواعد تستعين بها على التعامل مع بيئتك ، فلذلك ربنا عز وجل يقول :

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾

[سورة الكهف: 16]

إن عبدوا الشيطان ، إن عبدوا الشهوات ، إن عبدوا الدرهم والدينار ، إذا كان في عبادة لغير الله .

رجل كان بأمريكا من أهل العلم ، جلس في حديقة عامة ، جلس إلى جانبه رجل أمريكي ، فيبدو أنه جرى حديث بينهما ، فطلب هذا الأمريكي من الجالس إلى جانبه أن يحدثه عن الإسلام ، حدثه ساعة كاملة حديثاً دقيقاً ، مدعماً بالأدلة والبراهين ، فما كان من هذا الذي إلى جانبه ، ما كان منه إلا أن أخرج قطعة نقد أمريكي – دولار– وقال له : أنا هذا أعبده ، هذا إلهي .

والحقيقة الإنسان لو ما قال بلسانه ، هناك من يعبد الدرهم والدينار ، هناك من يعبد بطنه ، هناك من يعبد فرجه، هناك من يعبد القميص ، هناك من يعبد زينة الدنيا ، فإذا كنت في مجتمع يعبد ما سوى الله ، إن عبد الشهوات ، فجعل إلهه هواه ، وإن عبد الأقوياء ، عبدهم من دون الله أي أطاعهم وعصى ربه ، قال :

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾

[سورة الكهف :16]

إذا مجتمع يعبد الله ، يحرم عليك أن تعتزله ، مجتمع يعبد الله ، إذا تركته فهذا انحراف خطير ، هذا شذوذ ، هذا مرض ، مجتمع يعبد الله ، يؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه، ورسله ، هذا المجتمع يقيم شعائر الله ، هذا المجتمع يقف عند الحلال ، ويقف عند الحرام، وقّاف عند كتاب الله ، اعتزال هذا المجتمع انحراف في الفرد، لهذا قال عليه الصلاة والسلام : " الجليس الصالح خير من العزلة ، ولكن العزلة خير من جليس السوء ".

هذا المقياس ، كل شخص منا له أقرباء ، وله أهل ، وله أصدقاء ، وأصحاب ، وجيران ، وزملاء من أصحاب قدامى ، وأصحاب محدثين ، وعلاقات عمل طارئة ، وعلاقات مستمرة ، وعلاقات نسب ، وعلاقات مصاهرة ، ويجب أن تفحص كل هذه الفئات ، فالجماعة التي تزيدك من الله قرباً عليك ألا تعتزلها ، واعتزالها خطأ كبير ، والجماعة التي تبعدك عن الله، وتقربك من الدنيا عليك أن تعتزلها .

المجتمع من أخطر عوامل الثبات في الإيمان أو الانتكاس :

يوجد نقطة مهمة جداً : تصور نقطتين ؛ الآخرة والدنيا ، أو العقل والشهوة ، أو ما عند الله وما عند الناس ، وأنت بينهما ، فكلما اقتربت من الله عز وجل ، ابتعدت عن أهل الضلال ، وكلما اقتربت من أهل الضلال ، ابتعدت عن الله عز وجل ، حركة ضمن نقطتين متباعدتين ؛ فأي اقتراب من إحدى هاتين النقطتين ابتعاد عن الأخرى ، فلذلك موضوع العزلة هذا موضوع مهم جداً ، ويُبحث في جلسات طويلة ، حينما تشعر أن هذه الجماعة ، أن هذه الفئة ؛ هؤلاء الجيران ، هؤلاء الأصحاب ، هؤلاء الأهل ، يمكن أن يبعدوك عن الله ، ويقربوك من الدنيا ، أو إذا قربوك من الدنيا ، أبعدوك عن الله حكماً ، إذا حببوك في الدنيا ، كرهوك في الآخرة حكماً ، إذا حملوك على عمل يخالف شرع الله ، أبعدوك عن طاعته حكماً ، أي أحد أكبر أسباب انزلاق الإنسان ، وانتكاسه البيئة ، صاحب شخصاً يفسد ما يبنيه ألف داعية ، صاحب شيئاً منحرفاً ، سيئ الأخلاق ، يفسد ما يبنيه الدعاة ، لذلك الآية دقيقة جداً :

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾

[سورة الكهف :16]

أما إذا عبدوا الله فينبغي أن تكون معهم ، والدليل :

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾

[سورة الكهف :28]

طبعاً هذه الآية لها تفسيرات عديدة ، لكن نحن سننزعها من سياقها ، ونتأمل فيها وحدها ، وهذا من إعجاز القرآن، يمكن أن تنتزع آية من سياقها ، وتنظر فيها وحدها ، فإذا هي قانون ، أما إذا أرجعتها إلى سياقها فلها معنى آخر . أوضح مثل على ذلك في سورة الطلاق آية:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾

[سورة الطلاق:2]

بسياق الآيات من يتق الله بتطليق زوجته ، يجعل الله له مخرجاً في الرجوع إليها، إنسان طلق طلقة واحدة ، ممكن أن يندم فيرجعها ، أما إذا طلقها طلاقاً بدعياً فسدَّ عليه باب الرجوع إليها ، انزع الآية من سياقها ، قانون، يُكتب حولها مجلدات . فهذه الآية :

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

[سورة الكهف:28]

معنى هذا أن مجتمع المؤمنين مجتمع الآخرة ، مجتمع المؤمنين مجتمع القرب من الله ، مجتمع المؤمنين مجتمع الخير ، مجتمع المؤمنين مجتمع السعادة ، لكن مجتمع الكافرين مجتمع الشهوات .

عدة نساء يعملن في الفن في مصر ، تُبن إلى الله عز وجل ، وتحجبن ، قرأت مقالة عن هؤلاء ، إحدى من تعمل في الفن ، بلغها أن زميلاتها قد اعتزلن الفن ، وابتعدن عن المجتمع ، ولهن مجتمع خاص ، فاقتحمن عليهن خلوتهن .

تقول هذه المرأة : وجدت في مجتمع زميلاتي السابقات الطهر ، والسعادة ، والإخلاص ، والوفاء ، والسمو ، بينما أعيش في مجتمع كله غدر ، وخيانة ، وانحطاط ، وسفاقة.

علاقات المجتمع كانت سبب هداية هذه الأخيرة ، فأنت إذا دخلت إلى مسجد ، وهذا المسجد مما يبتغي رواده وجه الله عز وجل ، مخلصون في مجيئهم إليه ، ترى علاقات راقية جداً ؛ علاقات المودة ، والمحبة ، والإخلاص ، علاقات التعاون ، لا يوجد كذب إطلاقاً ، لا يوجد غش ، لا يوجد خداع ، لا يوجد غدر ، تدخل إلى مجتمع آخر مثل الذئاب .

الذئاب ينامون بعين واحدة ، يخاف أن ينام بالعينين فيقتله زملاؤه ، فدائماً يكون يقظاً ، متوتراً ، بمجتمع المنحرفين أنت بحاجة إلى يقظة دائمة ، لأن كل شيء لغم ، لو عقدت صفقة ، قد يكون فيها لغم ، سهرت سهرة، ذهبت رحلة ، تجد أن المشاكل كلها تتفجر ، تجلس مع المؤمنين ثلاثين سنة ، لا يوجد ولا مشكلة ، مطمئن ، لا ترتاح إلا مع المؤمنين ، لأن المؤمن يخاف الله .

قال له : يا موسى ، خف نفسك ، وخفني ، وخف من لا يخافني .

فالذي يخاف الله مريح جداً ، فالإنسان عندما يعتزل مجتمعاً مؤمناً ، وقع في انحراف شديد ، وحينما يقتحم مجتمعاً غير مؤمن ، أي يقتحم النار وهو لا يشعر ، لذلك : من أخطر عوامل الثبات في الإيمان ، أو الانتكاس هو المجتمع ، البيئة :

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

[سورة الكهف:28]

بصراحة أخواننا الكرام ؛ إذا إنسان اصطلح مع الله ، وله طقم أصدقاء سابق ، كلام أقوله واضح كالشمس ، إذا لم تغير هذا الطقم ، يجرونك إلى ما هم عليه ، هذا الطقم يجب أن يتغير كله ، هذا الطقم القديم ، طقم الشّدة ؛ ليس الطرنيب ، والطاولة ، والسهر ، والأفلام ، والحديث عن النساء ، هذا الطقم إذا بقيت معه تنتكس سريعاً ، يجب أن تعتزله ، بعد ذلك إذا أصبحت قوياً تعود عليهم واحداً واحداً ، من حق الوفاء أن تأخذهم إلى الله عز وجل واحداً واحداً دون أن تتأثر باتجاههم .

الابتعاد عن الجزئيات و الاهتمام بالأشياء الجوهرية :

النقطة الثانية :

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾

[سورة الكهف:22]

سؤال : أي الله عز وجل يعلم كم هم ؟ لم لم يحسم الأمر ويقول لنا هؤلاء كانوا سبعة ؟ قال : يقولون : سبعة، خمسة :

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾

[سورة الكهف:22]

حسناً : يا ربي ، قل لنا كم هم ؟ الله عز وجل ما أجابنا ، وأبقى القضية معلقة ، لأن كل هذا الموضوع لا ينبغي أن ننشغل به ، لأن كل هذا الموضوع خارج مغزى القصة ، المغزى أنهم اعتزلوا قومهم فأووا إلى الكهف ، فنشر لهم ربهم من رحمته ؛ أما ثلاثة أم أربعة أم خمسة ، فهذه تفصيلات ليست في خدمة القصة، بل هي عبء عليها .

في فن القصة هناك تفصيلات تغني ، القصة تتصل بمغزاها ، وهناك تفصيلات هي عبء على القصة .

فالله عز وجل ما أرادنا أن ننشغل بالسفاسف ، والقشور ، والجزئيات ، والتفاصيل ، وكأن الله أيضاً حينما يتلو علينا قصة ، لا يريدنا أن نجعلها قصة نبحث عن دقائقها ، وتفاصيلها ، وبيئتها المكانية والزمانية ، وأشخاصها، وأسماء أشخاصها ، وأسماء الأمكنة والأزمنة ، لا ، أرادنا أن نقف عند مغزاها ، وأن نجعل أبطالها نماذج متكررة؛ فكل من يبحث عن دقائق قصص القرآن الكريم ، ولا يكتفي بما ذكره الله عز وجل ، يريد أن يفسد على الله حكمته ، يريد أن يخرج القصة عن القصد الإلهي التي ذكرها الله من أجله وهو أن تأخذ مغزاها . فهذه الفقرة في القصة مهمة جداً ، أي :

﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾

[سورة الكهف:22]

إعجاز القرآن العلمي :

وفي هذه الآية أيضاً آية تدل على إعجاز القرآن العلمي ، أو كما سماه بعضهم : السبق العلمي . قال :

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً﴾

[سورة الكهف:25]

أي ثلاثمئة سنة ميلادية ، وعلى حساب السنوات الهجرية ثلاثمئة وتسع سنوات .

كلكم يعلم أن السنة الشمسية حقيقية ، والشهر حكمي ، بينما السنة القمرية الشهر حقيقي ، والسنة حكمية الحقيقة، لأن الشهر القمري دورة القمر حول الشمس ، فالشيء الحقيقي للسنة الشمسية السنة ، والأشهر حكمية ، لذلك تقول : شباط 28 ، 29 لأن الأرض تدور حول الشمس بثلاثمئة و خمسة و ستين يوماً وربع بالضبط ، فالأصل في السنة الشمسية السنة ، والشهر حكمي ، أما في السنة القمرية فالأصل الشهر ، والسنة القمرية حكمية ، فيوجد عندنا نظام شمسي ، ونظام قمري ، الفرق بينهما تسع سنوات ، وهذا من سبق القرآن العلمي .

بطولة الإنسان أن ينصاع لقوانين الله لا أن يخضعها له :

ثم إن في هذه القصة :

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً﴾

[سورة الكهف:27]

كلمات القرآن الكريم أي قوانين الله ، سنن الله في خلقه ، هذه القوانين لا تتبدل ولا تتغير ، فبطولتك أن تنصاع لها ، لا أن تخضعها لك ، القانون الإلهي لا يتبدل ، فأنت عليك أن تتأدب معه .

الآن مثلاً قانون السقوط ؛ لماذا الذي ينزلون من الطائرات في الجو يستخدمون المظلة ؟ لأن المظلة تتوافق مع قانون السقوط بمقاومة الهواء ، فلو لم نعبأ بهذا القانون ، إذا شخص قال : أنا أحتقر هذا القانون ، لماذا هذا القانون ؟ هذا كله تفسير قديم ، وذهب و رمى بنفسه من الطائرة من دون مظلة ، ينزل ميتاً ، فالقانون أقوى من كل اختيارك ، فالإنسان العاقل ينصاع للقانون ، أما إذا أراد أن يُخضع القانون له فالقانون يحطمه، فقوانين ربنا لا تتغير أبداً ، مهما حاولت تشد ، وتمط ، وتبدل ، وتقول ، وتحول ، هذا قانون ربنا :

﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

[سورة يونس:33]

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآَيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾

[سورة النحل:104]

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

[سورة البقرة:57]

إذاً تستطيع وأنت تقرأ القرآن أن تستنبط القوانين :

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾

[سورة يوسف:52]

لا يمكن لخيانة على وجه الأرض أن تنجح لأن الله سيفضحها ، إذا أنت أيقنت بهذا القانون ، تنصاع :

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾

[سورة يوسف:52]

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً﴾

[سورة الأنعام:115]

كل أوامره عدل ، وكل أخباره صدق ، إذا كنت تستطيع أن تقرأ القرآن قراءة كشف القوانين فهذه آيات الله سماها:

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً﴾

[سورة الكهف:27]

وتذكّر موضوع السقوط بالطائرة ، في قانون السقوط نراعي مقاومة الهواء ، ووزن الإنسان ، نفتح مظلة قطرها يتناسب مع وزن المظلي ، فإذا لم يفتحها كان الموت محققاً ؛ فنحن إذا أردنا أن نسلم نتأدب مع قانون السقوط ، وإذا الإنسان قدس قوانين الله عز وجل يتأدب معها، بدلاً من أن يشط ، ويمط ، ويؤول ، ويبدل ، ويحول ، يخضع لها بدل أن يخضعها ، هذا معنى الآية الأخيرة .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (24- 49) : صفات الإنسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

حرص الإنسان على ما في يديه :

أيها الأخوة ؛ في سورة الإسراء آيات كثيرة يمكن أن نقف عندها طويلاً ، ولكن الوقت لا يسمح ، نكتفي بهاتين الآيتين . يقول الله عز وجل :

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ﴾

[سورة الإسراء :11]

الشر العاجل يقبل عليه كما لو كان خيراً . السبب :

﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً﴾

[سورة الإسراء :11]

هناك سؤال : يا رب أنت خلقته كذلك ، هذا ضعف خلقي ، وليس ضعفاً كسبياً ، كقوله تعالى :

﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً﴾

[سورة النساء :28]

وهذا الضعف خلقي وليس كسبياً ، وكقوله تعالى :

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾

[سورة المعارج :19]

والهلوع كما قال الله عز وجل :

﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً﴾

[سورة المعارج :20]

أي كثير الجزع ، إذا لاح له شبح مصيبة :

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً﴾

[سورة المعارج :21]

حريص على ما في يديه ، يخاف أن يفقده ، ويخاف أية مصيبة ، وهو خوار شديد الخوف من المصائب .

ضعف الإنسان أكبر باعث له للصلح مع الله :

حسناً إنه خلق ضعيفاً ، وخلق هلوعاً ، وخلق عجولاً ، وهذا ضعف في خلقه ، لا علاقة له به إطلاقاً ، إلا أن الحكمة البالغة أن هذا الضعف ، وتلك العجلة ، وهذا الهلع ، هذه صفات ركبت في أصل فطرته وطبعه، إلا أنها لصالحه ، لصالح إيمانه ، كما أن الآلة المعقدة الغالية الثمن فيها مقطع بالتيار الكهربائي ضعيف جداً ، فعلى أي ارتفاع بالتوتر ، يذوب هذا المقطع ، ويقطع التيار عن الآلة ، نقطة الضعف في هذه الآلة ليس ضعفاً حقيقياً ، بل هي لصالح الآلة ؛ فالإنسان خلق ضعيفاً ، لو أنه خلق قوياً ، وجاءته المصائب ، لا يلتجيء إلى الله، ولا يتوب إليه ، ولا يقف على بابه ، ولا ينطلق إلى طاعته ، ولا يرجو ما عنده ، لكنه خلق ضعيفاً ، فضعفه يسوقه إلى باب الله ، ضعفه يحمله على الاستعاذة بالله ، ضعفه يدفعه إلى التوبة ، ضعفه يدفعه إلى أن يلتجيء إلى الله ، إذاً : الضعف في الظاهر ضعف ، أما في الحقيقة فالضعف أكبر باعث لهذا الإنسان ، ليقبل على الله، وليصطلح معه ، وليتقرب إليه ، فهذا ضعف خلقي ، ركبه الله في أصل طبعه وفطرته ، إلا أن هذا الضعف لصالحه ، لأن الله عز وجل أفعاله كلها حكيمة :

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾

[سورة الأعراف:180]

خلقه هلوعاً ، شديد الخوف ، فربنا عز وجل خلقه هلوعاً ، وعالجه عن طريق الأخطار .

أحياناً خطر على صحته يحمله على الصلاة ، خطر على أولاده يحمله على طاعة الله ، خطر على ماله يزكي، فالذي يدفعه إلى طاعة الله ، في الأعم الأغلب هو الخوف الشديد من الأخطار المحدقة به ، إذاً : هذا الهلع لصالحه ، وهذا الحرص على ما في يديه ، ذكر فيه حب المال ، وما قيمة الصدقة لو أن الإنسان لا يحب المال؟

لو أن النبي أمسك بقبضة من رمل ، أو بحص ، وأعطاها للفقير ، هل يرقى عند الله ؟ لا قيمة لها عنده ، أما الخمسمئات فلهم قيمة عنده ، فإذا دفعها لفقير محتاج ، وهذا المال محبب إليه فسيرقى .

إذاً : هذه النقاط الثلاث التي هي في ظاهرها ضعف خلقي مركب في فطرته ، هذا الضعف لصالح إيمانه ، أما أنه عجول فلو أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان مهولاً ، لا عجولاً ، أي خلقه مفطوراً على حبّ الأشياء البعيدة لأقبل على الآخرة ، وترك الدنيا ، لا حباً بالله ، ولا طاعة له ، ولا عبودية له ، إنما من أجل شيء واحد انسجاماً مع فطرتهم ، إذاً : لا يرقون بها إلى الله عز وجل ؛ ضعفنا لمصلحتنا ، وهلعنا لمصلحتنا ، وعجلتنا لمصلحتنا ، والإنسان لا يرقى إلا إذا خالف طبعه .

أحياناً : إنسان آتاه الله قدرات عالية جداً ، تُعرض له مغريات كثيرة ، تعال معنا ، لكنكم لستم على حق ، يؤثر حياة وعده الله بها بعد الموت ، ويعيش عيشة خشنة جداً ، على مكاسب جاهزة أمامه ، بين يديه ، الآن يرقى ، لأنه خالف طبعه ، طبعه يحب العاجلة ، لكنه أعمل عقله فصدق ربه ، وانتظر ما سيعده الله به من نعيم مقيم .

الضعف والهلع والعجلة مركبة في طبع الإنسان ولكن لصالحه :

إذاً : ثلاث آيات حصراً تصف أن الإنسان ضعيف ، وهلوع ، وعجول ، وضعفه، وهلعه ، وعجلته ، لصالح إيمانه ، فشيء طبيعي جداً أن المؤمن يركل بقدمه آلاف المكاسب المادية ، الآنية ، السريعة ، العاجلة ، الجاهزة، لأنها لا ترضي الله عز وجل ، وينتظر وعد الله في الجنة ، بإمكانه أن يكون من أغنى الأغنياء لو أراد العاجلة ، بإمكانه أن يكون في أعلى مكانة في الدنيا لو أراد العاجلة ، وهؤلاء الذين يريدون العاجلة ، انسجموا مع طبعهم ، ولم يعملوا عقولهم ، فضيعوا آخرتهم:

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً﴾

[سورة الإنسان:27]

هذه إشارة احتقار ، بعد هذه العاجلة التي ترقص أمامهم آجلة ثقيلة :

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً﴾

[سورة الإنسان:28]

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾

[سورة القيامة:20]

﴿وَتَذَرُونَ الْآَخِرَةَ﴾

[سورة القيامة:21]

آيات كثيرة جداً تبين أن الإنسان إذا عطل عقله ، طبعه يدعوه إلى أن يأخذ الشيء الذي أمامه ، الشيء العاجل.

الآن إنسان أحياناً قد تعرض له امرأة ، تبرز مفاتنها في الطريق ، الإنسان بحسب طبعه يحب العاجلة ، يمتع عينيه ، أما المؤمن فيحكم عقله ، ويغض بصر ، هو ينتظر هذه الحلاوة التي وعدها الله للمؤمن إذا غض بصره عن محارم الله .

أبسط عملية امرأة في الطريق ، وأنت في الطريق ، غض البصر ، معنى ذلك أنك طمعت بما وعدك الله به من الحور العين في الجنة ، وزهدت بهذه التي إذا نظرت إليها شعرت بالحجاب بينك وبين الله .

صحابي جليل طلبت منه زوجته مطالب كثيرة ، قال لها : اعلمي يا فلانة أن في الجنة من الحور العين ما لو أطلت إحداهن على الأرض ، لغلب نور وجهها ضوء الشمس والقمر ، فلأن أضحي بك من أجلهن ، أهون من أضحي بهن من أجلك .

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾

[سورة القيامة:20]

﴿وَتَذَرُونَ الْآَخِرَةَ﴾

[سورة القيامة:21]

بشكل مبسط جداً أحياناً إنسان يركب مركبة ، على اليمين يوجد شمس ، أما المركبة بعد دقيقة ستعمل دورة كاملة حول ساحة فسيتمتع بالظل إلى آخر الخط ، إذا الإنسان فكر أن يجلس بالشمس ، بعد حين سيتمتع بالظل ، إذا الإنسان عطل فكره ، يجلس بالظل لدقيقة أو دقيقتين ، ثم يتحمل لسع الشمس ثلث ساعة تقريباً، فالقضية قضية إعمال عقل ، أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً .

إذاً : هذه النقاط الثلاث ؛ الضعف ، والهلع ، والعجلة ، هذه مركبة في طبع الإنسان ، ضعف خلقي ، وليس ضعفاً كسبياً ، ولكن لصالح الإنسان .

مراتب الدنيا لا قيمة لها إطلاقاً :

النقطة الثانية : ربنا عز وجل في هذه السورة يقول :

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾

[سورة الإسراء:21]

تقيس – طبعاً مع احترامنا البالغ لكل مؤمن ، ولكل إنسان – بائعاً متجولاً مع تاجر كبير مستورد ، حجم مبيعاته ألف مليون مثلاً ، لا يستوون ، تقيس جندياً غرّاً مع رئيس أركان ، تقيس ممرض مع جراح قلب ، تقيس معلم بقرية مع أستاذ جامعة ، تقيس إنساناً يتمتع بالصحة التامة مع إنسان فيه خمسون علة ، تقيس إنساناً له دخل كبير ، يأكل ما يشتهي ، ويذهب إلى حيث يشاء ، ويرتدي أجمل الثياب ، ويسكن أفخر البيوت ، مع إنسان لا يكفيه راتبه ثلاثة أيام ، أي هذا الشيء واقع :

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾

[سورة الإسراء:21]

لكن الدقة البالغة أيها الأخوة ؛

﴿ وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾

[سورة الإسراء:21]

العبرة أن مراتب الدنيا لا قيمة لها إطلاقاً لشيئين ؛ أولاً : لأنها مؤقتة ، الموت ينهي غنى الغني .

أي هل هناك قبر خمس نجوم ؟ لا ، كل القبور مثل بعض ؛ ينهي غنى الغني ، ينهي فقر الفقير ، ينهي قوة القوي ، ينهي ضعف الضعيف ، ينهي صحة الصحيح ، ينهي مرض المريض ، ينهي عزة العزيز ، ينهي ذلّ الذليل ، إذاً الموت ينهي كل شيء . إذاً : هذه المراتب لا قيمة لها ، لأنها مؤقتة .

النقطة الثانية : المرتبة في الدنيا لا تعني أنك قريب من الله أبداً، بما كان العكس :

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾

[سورة الأنعام:44]

ربما كان العكس .

((رُبَّ أَشْعَثَ –أغبر ذي طمرين– مَدْفُوعٍ بالأبواب لو أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

النبي –عليه الصلاة والسلام– كان إذا أراد أن يصلي الليل ، لا تتسع غرفته لصلاته ونوم زوجته .

هل يوجد إنسان منا جميعاً إذا أحبّ أن يصلي قيام الليل ، يجب أن يوقظ زوجته لتزيح له من مكانها ليصلي؟ هكذا كانت غرفة النبي ، لا تعني شيئاً ، أولاً مؤقتة ، ولا تعني شيئاً ، إن لم تعن عكس ما هي عليه .

كلما الإنسان ابتعد :

﴿كَفَرُوا وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

[سورة المؤمنون:33]

من لوازم الكفر الترف ؛ فالترف ، والبذخ ، والتبذير ، والاستعلاء ، هذه تعني عكس الواقع .

مرتبة الآخرة أبدية متوافقة مع مكانة الإنسان عند الله :

حسناً ننتقل لمراتب الآخرة . قال تعالى :

﴿وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾

[سورة الإسراء:21]

مرتبة الآخرة أبدية إلى الأبد ، هنا الموت يحل كل مشكلة . سبحان من قهر عباده بالموت ، لكن مرتبة الآخرة إلى أبد الآبدين ، مرتبة الدنيا لا تعني شيئاً ، بينما مرتبة الآخرة تعني كل شيء ، مرتبة الآخرة متوافقة مع مكانتك عند الله ، الدليل :

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾

[سورة الأنعام:132]

أبداً ، درجتك في الآخرة بحسب عملك الصالح :

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾

[سورة القمر:54]

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾

[سورة القمر:55]

لذلك : من هو العاقل ؟ لا الذي يسعى إلى مرتبة في الدنيا ، لا والله .

ألم يقل ملك لوزيره : من الملك ؟ والملك كان جباراً ، خاف ، قال له : أنت الملك ، قال له : لا ، الملك رجل لا نعرفه ولا يعرفنا ، له بيت يؤويه ، وزوجة ترضيه ، ورزق يكفيه ، إنه إن عرفنا جهد في استرضائنا ، وإن عرفناه جهدنا في إذلاله .

فالذي لا يعرفنا ولا نعرفه هو الملك ، فإذا الإنسان في الدنيا سكن في بيت ، لا يهم؛ كبير أو صغير ، أرضي أو عال ، ملك أو أجرة ، لا يهم ، معه مفتاح بيت ، معه مأوى ، يلبس ثياباً تستر عورته ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ، وليشمر ، وليطلب الآخرة ، ابحث عن مرتبة في الآخرة ، ابحث عن مرتبة علية في الآخرة ، ابحث عن مقعد صدق عند الله عز وجل . انظر الآية ما أدقها :

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾

[سورة الإسراء:21]

توزيع الحظوظ في الدنيا توزيع ابتلاء :

لذلك المؤمن بعين نفسه صغير ، لكنه عند الله كبير ، والكافر عند نفسه كبير ، لكنه عند الله وعند الناس صغير ؛ فابتغوا الرفعة عند الله .

وهذه الآية دقيقة جداً ، قال لك : فكر ، لذلك : الحظوظ موزعة في الدنيا توزيع ابتلاء ، وسوف توزع في الآخرة توزيع جزاء ، الحظ في الآخرة متعلق بعملك الصالح ، أما الحظ في الدنيا فقد لا يعني أنك طيب :

﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾

[سورة الفجر 15-16]

﴿كَلَّا﴾

[سورة الفجر:17]

الردع جاء كلا ، ليس عطائي إكراماً ، ولا منعي حرماناً ، عطائي ابتلاء ، وحرماني دواء ، ليس عطائي إكراماً ، ولا حرماني منعاً ، لكن عطائي ابتلاء ، ومنعي دواء .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (25- 49) : قصة الخضر مع سيدنا موسى وقصة صاحبي الجنة والتودد من الله عز وجل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

تعلق أفعال الله بصالح المؤمن في الآخرة :

أيها الأخوة ؛ أمر الله التكليفي واضح وضوح الشمس وهو الأمر والنهي في الكتاب والسنة ، لكن لله أفعالاً ؛ يعطي ويمنع ، ويرفع ويخفض ، ويعز ويذل ، وتأتي جائحة ، ويهلك الزرع ، وتزلزل الأرض ، وتطوف الأنهار، وتأتي الصواعق ، وتنشب الحروب الأهلية ، وتجتاح بلاداً أخرى ، وهناك المشردون ، والمفقودون ، والقتلى ، وما إلى ذلك ، وهناك سنوات مطيرة ، وسنوات عجفاء ، وهناك رزق وفير ، ورزق قليل ، وهناك ثمار يانعة ، وطائف يطوف على المزروعات ، فيصيبها بالصقيع ، وينهي الغلال كلها ، هذه أفعال الله .

النقطة الدقيقة جداً أن أفعال الله متعلقة بصالح المؤمن في الآخرة . والإنسان لقصر نظره يرى دنياه فقط ؛ فيرى الفقر مصيبة ، ويرى احتراق محله مصيبة ، ويرى عدم إنجابه الأولاد مصيبة ، فالإنسان إذا عرف أن لله حكماً ، لو كشفت لذاب الإنسان كالشمعة محبة لله ، هذا يكون يوم القيامة ، لكن ربنا عز وجل علمنا بقصة قصيرة حكماً كثيرة ؛ فحينما جاء الخضر -عليه السلام- وقتل الغلام ، وخرق السفينة ، والحقيقة بالمنطق غير مقبول ذلك .

إنسان يركب إنساناً مجاناً ، ويأتي هذا الراكب الذي أُحسن إليه فيخرق السفينة ، شيء غير مقبول ؛ لا عقلاً، ولا منطقاً ، ولا ذوقاً ، ولا شرعاً أساساً .

فربنا عز وجل ذكر لك قصة الخضر مع سيدنا موسى ، لتكون هذه القصة دليلاً لك على كل أفعال الله .

والآية التي تتمم هذه الآية :

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة:216]

العقل البشري قاصر عن أن يفهم حكمة الله ، المخلوق الحادث لا يستطيع أن يستوعب حكمة الله الأزلية ، الأبدية ، القديمة ، هذا الشيء فوق طاقة البشر ، لكن إذا رأيت أن لهذا الكون إلهاً عظيماً ، وأن هذا الكون أكبر شهادة على عظمة الله ، وأن هذه الأفعال أفعاله ، هذا خلقه ، فينبغي أن تكون أفعاله مشابهة لخلقه في الحكمة ، والرحمة ، والعدالة ، فإذا أيقنت أن هذا الكون عظيم ، وأن وراءه خالق عظيم ، هذا الذي تراه عينك أفعال الله عز وجل ، وهذه الأفعال : وعسى أن تكرهوا منها شيئاً وهو خير لكم .

قصة الخضر مع سيدنا موسى ينبغي أن تبقى للإنسان على مدى الأيام دليلاً :

قصة الخضر عليه السلام ، سيدنا موسى آتاه الله الأمر التكليفي ؛ افعل ولا تفعل، وسيدنا الخضر آتاه الله الأمر التكويني ، فهذا الخلاف الذي ظهر بين سيدنا الخضر وسيدنا موسى خلاف بين أمر الله وفعله . سنأتي بمثل بسيط يوضح القصة : في أي مدرسة ، يوجد نظام داخلي ، الطالب ينجح للخامس ، أحياناً المعلم إذا وجد طالباً مهملاً ينزله إلى الصف الرابع بإجراء مؤقت ، حتى يهزه ، أما هذا فخلاف النظام الداخلي ، لكن هذا المعلم بحكمة بالغة أراد أن يدفع هذا الطالب للدراسة ، فأنزله لصف أدنى ، وخلاف النظام ، لكن الإجراء آتى ثماره يانعة ، الطالب رُضّ رضاً نفسياً شديداً ، فانطلق للدراسة .

فأحياناً أفعال الله قد لا تستطيع أن تفهمها من خلال أمره ، تجد إنساناً ملتزماً فقيراً ، وإنساناً هاجر وشقي والمال يحار فيه . يا ربي ما هذه الحكمة ؟ هو أساساً لا بد من أن تستسلم.

إذاً : أول درس بليغ من قصة سيدنا موسى والخضر أن الخضر –عليه السلام– آتاه الله حكمة الأمر التكويني ، وسيدنا موسى آتاه الله الأمر التكليفي ، فبعد أن وضح الأمر لسيدنا موسى ، اتفقوا ، وحلت المشكلة ، هذه قصة ينبغي أن تبقى لنا على مدى الأيام دليلاً؛ كلما انزعجت من شيء ، قل : كخرق السفينة، خرقت فنجت من المصادرة :

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً﴾

[سورة البقرة:216]

والنبي قال :

((عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن . إن أصابته سراء شكر وكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وليس ذلك لغير المؤمن))

[أحمد في مسنده عن صهيب]

رجل كل حياته مريض ، قال لي : مرة عاتبت ربي : يا ربي ، أنا طوال عمري مريض ، لا يوجد يوم سررت فيه، قال : فوقع في قلبه أن يا عبدي لولا هذا المرض لما كنت بهذا الحال ، لأن الله عليم ، يعرف كل إنسان من أين يأتيه ؟ هذا يأتيه من مرض ، هذا يأتيه من ابن ، هذا يأتيه من زوجة ، هذا يأتيه من فقر ، هذا من غنى ، أي ليس في الإمكان أبدع مما كان .

هذه قصة بليغة جداً ، يجب أن تقيس عليها آلاف القصص ، وكل شيء أزعجك في حياتك ، تذكر قصة سيدنا الخضر ، خرق السفينة فنجت من المصادرة ، أما سيدنا علي رضي الله عنه فيقول : " والله لو كشف الغطاء ، ما ازددت يقيناً برحمة الله ، وعدالته ، وحكمته قبل كشف الغطاء " ليقيني بعد كشف الغطاء .

صحابي ثان قال : " والله لو علمت أن غداً أجلي ، ما قدرت أن أزيد في عملي " العدَّاد مغلق على الآخر ، يركض سريعاً . لو علمت أن غداً أجلي ، ما قدرت أن أزيد في عملي. هكذا كان الصحابة .

الاعتراف لله بالفضل و رفض الكبر و الاستعلاء :

النقطة الثانية : قصة صاحبي الجنة ، الذي قال :

﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾

[سورة الكهف:34]

أنا ألح دائماً على أن قصص القرآن الكريم ليست قصصاً ، إنما هي قوانين وقواعد، وهذه القصة لولا أنها تمثل نماذج متكررة إلى نهاية الحياة لما أصبحت قرآناً يتلى .

كلما كنت أنت بنعمة أخطأت ، وقلت : أنا لولا حكمتي البالغة ، لولا خبراتي المتراكمة ، لولا أنني يقظ ، لولا أنني كذا و كذا لما كنت بهذا الحال ، أشركت ولم تدر :

﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾

[سورة الكهف:34]

فلذلك ممكن أن يقلب الله عز وجل الموازين . أنا أذكر قصة قريبة لي ، امرأة عندها ولد في بطنها ، وولد على يديها ، وولد يمشي على الأرض ، ثلاثة أولاد ذكور ، لها ضرة عقيم ، ففي ساعة من ساعات الكبر والاستعلاء، أرادت أن تقول لها : هذا طفل في بطني ، وطفل على يدي ، وطفل أمامي ، وأنت محرومة من الأولاد ، بكلام قاس ، واستعلاء ، لم يمض أشهر حتى مات أولادها الثلاثة ، وأنجبت ضرتها خمسة أولاد ذكور . هذه تتكرر كثيراً .

صاحب أكبر محل حلويات بلبنان ، كان يصدر يومياً للسعودية طائرة حلويات ، يومياً طائرة شحن ، أي له في لبنان سبعون فرعاً ، دخل إلى معمله ، عجن المعمول لم يعجبه ، أمسك العجينة ، وضعها على الأرض، وعركها برجليه بحذائه ، قال له العامل : سيدي هذا لا يجوز!؟ قال له : الناس تأكل من تحت قدمي ، مضى أربعون يوماً ، قطعت رجلاه من ركبتيه ، والآن مقيم في لندن.

هذه قصص تتكرر؛ لا تقل : أنا ، لا تقل : بيتي ، لا تقل : اختصاصي .

إنسان يحمل دكتوراه بالفيزياء والكيمياء ، وصل إلى منصب معاون وزير ، في أعلى درجة من درجات القوة ، والمنعة ، والجاه ، والعظمة ، والغنى ، فقد بصره ، زاره صديق لي ، قال له : والله يا دكتور فلان أتمنى أن أجلس على الرصيف أتكفف الناس ، وليس على كتفي إلا هذا المعطف ، وأن يرد لي بصري .

ابق متواضعاً ، تكلم بأدب ، إذا كنت بنعمة : يا ربي لك الحمد ، عندك ولد صالح: يا رب هذا فضل منك ، أنا أب مثالي ، أنا تربيتي حازمة ، لولا ما كنت منتبهاً له ما كان هكذا؛ هناك أذكى منك ، وأشطر منك ، وهناك علماء كبار ، أولادهم أشقياء ، لا تقل ابنك جيد ، لأنك أنت ربيته ، قل: يا ربي هذه هبة منك ، فكلما كنت عبداً لله متواضعاً ، اعترفت لله بالفضل ، الله يرفعك ، وكلما قلت : أنا ؛ مرة تقول : ذكائي ، مرة علمي، مرة اختصاصي ، مرة أنا ابن فلان ، مرة أنا جدي فلان ، الله عز وجل يؤدبك . إذاً : صاحبا الجنتين هذه قصتهما .

المؤمن في الدنيا بطور المعالجة و التشجيع :

الشيء الثالث :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

[سورة مريم:96]

من أيام قليلة فرحنا بحرف السين :

﴿سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾

[سورة التوبة:71]

والآية اليوم :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾

[سورة مريم:96]

المودة بالتعريف الدقيق : سلوك أساسه الحب .

أحياناً يتودد الله لك ، وهو الغني ، وهو الإله العظيم ، ومع ذلك يتودد إليك ، أحياناً يرزقك ، أحياناً يرفع شأنك ، أحياناً الناس يحبونك ، أحياناً يلقي محبتك في قلوب الناس ، لكن أحياناً أنت تجد نفسك متضايقاً ، محروماً ، دخلك قليل ، الله قال : الآن أنت في طور المعالجة، تحملنا قليلاً :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾

[سورة مريم:96]

أحياناً الإنسان إذا أُعطي أكثر ما يستحق يبرك ، لا يعمل ، كلنا الآن والصديقون وكبار المؤمنين ، عندنا اندفاع إلى الله عجيب ، لكن إذا وجدنا دلالاً زائداً نرتاح ، فربنا عز وجل لحكمة بالغة لا يطمعنا ، فأنت الآن في طور المعالجة ونشجعك ، لكن المستقبل لك :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾

[سورة مريم:96]

ورود جهنم غير دخولها :

موضوع جهنم :

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾

[سورة مريم: 71]

في سورة مريم هذه من أجل أن يكون هناك طمأنينة ، الورود غير الدخول ، دخول النار شيء وورودها شيء آخر .

مرة كنا بمعرض حيوانات بطهران ، وهناك جناح خاص للأفاعي والثعابين ، أي غرفة فيها أكبر ثعبان ، لكن لها جداراً من البلور سميكاً ، والثعبان حي يتحرك ، هل تستطيع أن تقترب منه أكثر من عشرة سنتمترات ؟ هو أمامك يتحرك ، ويتمطى ، ويتخطى ، ويلتف في أغصان ، فأنت مطمئن ، هذا البلور السميك حجاب بينك وبينه، أنت لم تدخل إلى عنده ، فقط اطلعت عليه ؛ فورود النار غير دخولها .

يستطيع المؤمن يوم القيامة أن ينظر إلى أهل النار دون أن يدخلها ، ودون أن يتأثر بوهجها إطلاقاً ، إلا أنه لماذا يرى هذه الرؤية ؟ لتتضاعف سعادته ، أي انظر يا عبدي لولا أنك عرفتني في الدنيا ، لولا أنك أطعتني، لولا أنك اتصلت بي ، لولا أنك التزمت ما أمرت به و ابتعدت عما نهيت عنه ، لما كان هنا مكانك.

أي إذا اتفق شريكان ، اقترح الأول على الثاني صفقة تهريب ، قال له الثاني : لا ، أنا لا أدخل معك ، فعندما لم يرض الثاني فكا الشركة ، المقترح اشترى الصفقة ، وضبط ، وأخذ إلى السجن ، ذهب صديقه ليزوره ، هو من الخارج ، تتضاعف سعادته بهذا القرار الحكيم ، لو وافق معه لجلس في الداخل معه .

فأنت ورود النار غير دخولها ، أولاً : لترى عدالة الله ؛ أن الإنسان بالدنيا كل أسماء الله الحسنى ظاهرة في الكون ، إلا اسم العدل ، لأن هناك ظلماً ظاهرياً ؛ هناك فقير و غني ، مقهور و ظالم ، والإنسان قد يموت ويبقى الظالم ظالماً ، والمقهور مقهوراً ، فمن أجل أن يتحقق لك اسم العدل يوم القيامة ، لك أن تطل على النار دون أن تدخلها ، فترى مصير الظالمين ، وترى المكان الذي كان من الممكن أن تكون فيه لو لم تكن مع الله ، هذا معنى واردها:

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً﴾

[سورة مريم:71]

الأدب مع الله عز وجل :

أما في سورة طه فهناك نقطة دقيقة جداً ، هذه النقطة :

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾

[سورة طه:16]

أي إياك ، ثم إياك ، ثم إياك أن تصغي إلى من يتبع هواه ، هذا إنسان جاهل ، وأعمى ، وشقي ، فأنت ليس لك حق أن تستنصح إنساناً يتبع هواه :

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾

[سورة طه:16]

معه ، هناك آيات تشابهها :

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾

[سورة الكهف:28]

هناك آية ثالثة :

﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾

[سورة لقمان:15]

إذاً : هذا الدين قضية خطيرة جداً .

((دينك دينك إنه لحمك ودمك ، خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا ، إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم))

[العلل لابن أبي حاتم]

في الدين لا يوجد مجاملة ، أحياناً الإنسان يتملق الآخرين ، يطمئن عليهم ، أحد الشيوخ قال : إن أحد تلاميذنا توفي ، فدفناه ، جاء الملكان فسألوه : من ربك ؟ جاءتهم رفسة أطاحت بهم خمسمئة متر ، فسمع : أمثل هذا يُسأل ؟ هذا لأنه كان تلميذنا ، هذا كله خلط بخلط .

سيدنا رسول الله قال :

((استغفروا لأخيكم فإنه الآن يسأل))

[أبو داود عن عثمان بن عفان]

فالإنسان عليه أن يكون أديباً مع الله عز وجل .

((دينك دينك إنه لحمك ودمك ، خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا ، إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم))

[العلل لابن أبي حاتم]

على الإنسان أن يكون بخدمة الحق لا بخدمة مصالحه فقط :

آخر نقطة : لا أعتقد أن شخصاً يقرأ الآية لا يحس برعشة ، الله خاطب سيدنا موسى ، قال له :

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾

[سورة طه:41]

أي أنت لك عمل لله ؟ أحياناً يكون كل عملك في النهار لمصالحك ؛ تجارة ، وصناعة ، وزراعة ، ومشاريع، وسفر ، وعقد صفقة ، وقبض ، ودفع ، ومطالبة ، وحسابات ، ليس لك عمل لوجه الله خالص لا تبتغي منه شيئاً؟ أي هل أنت في حاجة الله ؟

سيدنا عثمان ، النبي قال له : اللهم إنه في حاجتك وحاجة رسوله . هذه عن عثمان، إذا الواحد من أخواننا الكرام المؤمنين ، الصادقين ، ليس له عمل خالص لله ، يا ترى أنت لك دعوة لله عز وجل ؟ بذهنك أن تهدي أناساً إلى الله عز وجل ؟ هل لك صديق تأنس منه الخير ؟ تدله على الله ؟ تزوره ؟ تواده ؟ تخدمه ؟ تعطيه شريطاً أحياناً ؟ تقرضه أحياناً حتى تؤلف قلبه ؟ ليس لك مسعى أبداً لخدمة الخلق ؟ ليس لك مسعى أبداً لإرشادهم إلى الله عز وجل؟ سيدنا موسى طبعاً :

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾

[سورة طه:41]

أي أنت ملك لي ، فالمؤمن الصادق ، قال له : يا سيدي كم الزكاة ؟ –شخص سأل أحد العارفين بالله – قال له: يا بني عندنا أم عندكم ؟ قال له : وما عندنا و ما عندكم ؟ قال له : يا بني عندكم اثنان ونصف بالمئة ، أما عندنا فالعبد وماله لسيده .

العبد ليس له شيء أبداً ، كله لله ، فهؤلاء الصادقون ، السابقون ، أولئك المقربون؛ وقته كله ، طاقته كلها ، ملكاته ، طلاقة لسانه ، قراءاته ، مطالعاته ، أوقاته كلها لله ، يأكل، ويشرب ، ويتزوج ، ويعمل ، لكن كله لله ، فهذا الإنسان لما يصل لهذه الدرجة ، لم يعد له حظ نفس إطلاقاً ، لذلك مهما لقي من الناس ضغطاً ، أو لؤماً ، أو جحوداً ، لا يبالي ، هو يرضي الله عز وجل :

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾

[سورة طه:41]

إذا أحد أخواننا الكرام ليس له عمل خالص لله بالدار الآخرة ، لا يبتغي منه لا مالاً، ولا سمعة ، ولا جاهاً ، إلا أن يقول : يا ربي هل أنت راض عني ؟ هذا المؤمن الصادق . قال له :

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾

[سورة طه:41]

والإنسان عندما يكون عمله لله عز وجل ، الله يسعده سعادة العقل لا يتصورها ، في الدنيا قبل الآخرة ، حتى إنه قيل : لما سيدنا رسول الله قال : " أبو بكر في الجنة " هناك من فسرها تفسيراً عميقاً : هو الآن في الجنة، في جنة في الدنيا ، جنة القرب .

ماذا قال أحد العارفين بالله ؟ قال : في الدنيا جنة ، من لم يدخلها لن يدخل جنة الآخرة .

ماذا قال هذا العارف بالله ؟ قال : ماذا يفعل أعدائي بي ؟ بستاني في صدري ؛ إن أبعدوني فإبعادي سياحة، وإن قتلوني فقتلي شهادة ، وإن حبسوني فحبسي خلوة ، فماذا يستطيع أن يفعل أعدائي بي ؟

قال أحد العارفين أيضاً : مساكين أهل الدنيا ، جاؤوا إلى الدنيا وخرجوا منها ، ولم يذوقوا أطيب ما فيها ؛ إنه القرب من الله عز وجل .

فعلى الإنسان ألا يسعى لمصالحه فقط ؛ عليه أن يكون في مصلحة الحق ، يكون جندياً للحق ، يكون بخدمة الخلق ، يكون بالدعوة إلى الله ، يربي أولاده ، يربي أخواته ، يعمل درساً لأخواته البنات ، يعاون الناس ، يخوفهم، ما من إنسان له عمل صالح إلا و يرقى به عند الله .

مرة شخص توفي رحمه الله هو خادم مسجد ، لكن عجيب هذا المسجد مستحيل أن يكون هناك أي بيت أنظف منه ، تدخل إلى دورات المياه ، الرخام نظيف ، المنظفات ، ومات –مسكين– بالروماتيزم . مرة قلت له : أنت ترهق نفسك أكثر مما يجب .

أحياناً شخص يرتدي بدلة كحلي ، يصلي ، يصبح عليها بقعاً بيضاء من الغبرة ، أما هذا الجامع فكالبيت تماماً، كله بالمكانس الكهربائية نظيف ، البلور يلمع ، المغاسل نظيفة ، أرقى من بيت ، هو يعمل لوحده ، قال لي : ألم يقل الله : أن طهرا بيتي ؟

كل هذه الأعمال التي عملها انطلق فيها من أن هذا بيت الله ، أنا أطهره حتى يقبلني الله ، وأنا أظن به ظناً حسناً ، مات صالحاً ، مات ميتة طيبة جداً ، فالإنسان يحتاج إلى عمل ؛ يخدم مسجداً ، يدل على الله ، ينشر الحق ، يخدم إنساناً ، يعاون يتيماً ، يبر أرملة ، لابد لك من عمل صالح ترقى به ، وأرقى عمل صالح أن تدعو إلى الله ، وأن تكون قدوة لغيرك:

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾

[سورة طه:41]

فعلى الإنسان ألا يدور كثيراً حول مصالحه .

قال : هم في مساجدهم والله في حوائجهم ، وعبدي كن لي كما أريد ، أكن لك كما تريد ، كن لي كما أريد ولا تعلمني بما يصلحك ، أنت تريد وأنا أريد ، فإذا سلمت لي فيما أريد ، كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ، ثم لا يكون إلا ما أريد .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (26- 49) : أنواع الحقائق في القرآن الكريم - مباشرة وتقريرية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

تنوع الأساليب في القرآن الكريم :

أيها الأخوة الكرام ؛ هذه القصة ؛ قصة سيدنا موسى مع فرعون من أطول القصص في القرآن ، مِن : للتبعيض، لأن يوسف أطولها ، ومن أكثرها تكراراً في القرآن ، وفي كل مرة جاءت هذه القصة من زاوية خاصة .

الذي يعنينا أن الله سبحانه وتعالى يذكر الحقائق في القرآن بطريقتين ؛ بطريقة مباشرة ، طريقة تقريرية ، كقوله تعالى :

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾

[سورة محمد :19]

وبطريقة قصصية تمثيلية ، الطريقة القصصية التمثيلية أطول ، لكن تأثيرها يتغلغل في أعماق النفس ، الطريقة التقريرية أقصر ، لكن قد لا تُستوعب ، فربنا عز وجل ينوع الأساليب في القرآن الكريم .

اختلاف الناس في الإيمان بألوهية الله عز وجل :

الذي أريد أن أقوله لكم في هذه القصة : إن إيمان الناس جميعاً بأن لهذا الكون إلهاً خالقاً ، هذه قضية مسلم بها، لا يختلف فيها اثنان ، إلا من ركب رأسه ، وإلا من جحد الواقع :

﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾

[سورة الأنعام:23]

قال :

﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾

[سورة الأنعام:24]

فقضية أن تقول : إن لهذا الكون خالقاً ، هذه قضية لا تقدم ولا تؤخر ، إلا أن إبليس قال له :

﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

[سورة ص:82]

لكن أين يختلف الناس ؟ يختلف الناس في الإيمان بألوهية الله عز وجل ، أنه معنا، والأمر كله بيده ، وحركاتنا ، وسكناتنا بعلمه ، ولا يقع شيء في ملكه إلا بإرادته ، إذا آمنت هذا الإيمان ، هذا هو التوحيد ، أما الآن فأنت مخلص بقدر ما أنت موحد ، أنت مستقيم بقدر ما أنت موحد ، ترقى عند الله بقدر ما أنت موحد ، أنت ثابت بقدر ما أنت موحد ، قلبك ممتلئ طمأنينة بقدر ما أنت موحد ، أي كل خيرات الدين لا يجنيها إلا الموحد ، وهذه القصة من ألفها إلى يائها تؤكد لكم : أنه لا إله إلا الله .

مثلاً : صندوق في نهر النيل ، كيف يتحرك هذا الصندوق ؟ يتحرك ، ثم يقف أمام قصر فرعون ، من ألهم امرأة فرعون أن تنزل إلى الشط في الوقت المناسب ؟ الله عز وجل ، من ألقى حبه في قلبها ؟ الله عز وجل ، من جعل فرعون يتساهل في هذا المولود ؟ لم لم يأمر بذبحه كما هي العادة؟ الله عز وجل ، من حرم المراضع تحريم منع لا تحريم تشريع ؟ :

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾

[سورة القصص:12]

الله عز وجل ، من ألهم أمه أن ترسل أخته كي تتقصى الخبر وكيف تقول ؟ :

﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ﴾

[سورة طه:40]

معنى هذا أن الأمر بيد الله ، و أن الله عز وجل أمره نافذ بدقائق الأمور ، ليس الأمر بمعنى أن الأمور الكبرى بيد الله بل أيضاً أدق الدقائق ، لذلك قالوا :

كـن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو

***

سيدنا موسى قال :

﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾

[سورة طه:10]

هناك نجاه الله عز وجل .

لذلك : اجتماع الناس ، أحياناً هذه اللقاءات ، لا يوجد لقاء عفوي ، نحن نظنه لقاء عفوياً ، أي لقاء صدفة ، كل شيء يقع في ملك الله عز وجل وفق تصميم دقيق .

أنا مرة أخ حكى لي قصة ، أم أمرت ابنها المصاب بمرض السرطان أن يسجل البيت ، والسيارة لأخيه ، وهذا الرجل عنده زوجة ، وعنده أولاد ، طبعاً الأم جاهلة ، لأنه توقعت أن يموت هذا الابن ، و تتزوج امرأته زوجاً آخر ، فيأخذ هذا البيت ، وهذه السيارة ، أعطت أمراً لابنها المصاب بمرض الخبيث ، فسجل هذا البيت وتلك السيارة لأخيه ، الابن أيضاً جاهل ، لأنه انصاع إلى أمر لا يرضي الله عز وجل ، بعد شهرين توفي الابن المصاب بهذا المرض ، وبعد شهر آخر توفيت أمه ، فجاء الأخ الذي كتب له البيت والسيارة ، فاغتصب البيت، وطرد امرأة أخيه وأولادها ، وأخذ السيارة ، ولم يعطهم شيئاً أبداً ، ظلم كالشمس في رابعة النهار .

حسناً : السيارة تعطل فرامها من مكان مرتفع ، ومنحدر شديد ، وانحدرت إلى ساحة عامة ، وفيها مئات السيارات ، فقتلت كل من فيها ، هم هؤلاء الذين اغتصبوا هذا البيت ، هناك حكمة مطلقة ، لكن نحن لا نعلم.

أحياناً : نعلم قصة على سبيل المثال ، فلذلك : يجب أن تعلم أنه لا يوجد حركة ، ولا يوجد سكنة ، لا يوجد مرض يقع ، ولا يوجد حادث يقع ، ولا يوجد شيء يقع ، إلا بعلم الله .

هذه القصة هدفها : أن تؤمن أن الأمر كله بيد الله ؛ جليله وصغيره ، عظيمه وحقيره ، قريبه وبعيده ، إن الأمر لله .

فانظر إلى هذا الطفل في الصندوق ، حركة الصندوق ، حركة امرأة فرعون ، قلب امرأة فرعون ، تساهل فرعون ، المراضع امتنعت عن إرضاع هذا الغلام ، أخته تقصته و هكذا .

حسناً : الآن فرعون – فرعون اسم على مسمى – لم لم يقتل موسى ؟ الموقف غير منطقي ، قال له : نحن نعمل موعداً متناظراً ، هذا ليس سلوك فرعون ، اقتلوه ، كلمة واحدة ينهي الأمر ، لا يوجد حاجة للعي ، معنى ذلك : أن فرعون مسير أيضاً ، أوهمه ، أخذ موقفاً أن يعمل مناظراً أمامه ، لماذا المناظرة ؟ هكذا عبد الطغاة ، لا يوجد داع أن تتناظروا ، إذاً لماذا استخدم هؤلاء السحرة ؟ هذا الساحر متفوق بالسحر ، وجد أن هذا الشيء الذي أمامه ليس سحراً، هو أتى بأفعى ولونها ، أي أتى بجلد أفعى ، وركبه على أنبوب مطاطي، وضع فيه زئبق ، –هكذا يقولون– ، ووضعه على أرض ساخنة الحرارة ، الزئبق تمدد ، هو رجراج ، فهذه الأفاعي تحركت، جاء الثعبان الذي كان عصا قبل قليل ، فالتقم كل هذه الأفاعي ، لأن المعجزة إذا لم يكن

الإنسان متفوقاً بها فلا يؤمن بها ، لو جئنا بهذا الشيء لإنسان غير ساحر لا يؤمن ، أما هذا ساحر فيعرف كل شيء ، فلما رأوا أن هذه العصا أصبحت ثعباناً مبيناً ، وأكلت كل هذه الأفاعي المصطنعة- لذلك سحرة فرعون حرقوا المراحل – الله عز وجل أراهم رؤية فأصبحوا من كبار المؤمنين بثوان .

هذا الصحابي الجليل الذي جاء زيد الخيل ، جاء إلى المدينة ليستطلع أمر النبي ، دخل عليه المسجد ، والنبي يخطب ، فاستمع إلى الخطبة ، والنبي قال له : " من أنت ؟ قال له: أنا زيد الخيل ، فقال عليه الصلاة والسلام: بل أنت زيد الخير ، النتيجة : كان مشهوراً بالجاهلية ، رجل شهم ، وجميل الصورة ، وكان إذا ركب الفرس ، لامست رجلاه الأرض لطوله، ولجماله ، ولبهائه ، فهذا النبي الكريم قال له : يا زيد ، ما وصف لي رجل فرأيته إلا رأيته دون ما وصف إلا أنت يا زيد ".

النبي كرمه ، وأخذه لبيته ، أعطاه وسادة ، قال له : اتكئ عليها ، قال له : والله لا أتكئ في حضرتك . متى صار عنده هذا الأدب ؟ أحياناً الإنسان يحرق المراحل ، لذلك الشيوخ يقولون : القضية لا لمن سبق ، ولكن لمن صدق .

أي المدة الزمنية ليس لها قيمة ، يكون شخص مثلاً بجامع مدة ثلاثين سنة ، يأتي إنسان من ثلاثة أيام يسبقه ، فكلما ازداد الصدق المرحلة تصغر ، أما بنظام تعليمنا نحن فيوجد اثنتا عشرة سنة ، اثنتا عشرة سنة بكالوريا ، و إن كنت ذكياً جداً عليك أن تجتاز هذه السنوات ، بعض البلاد متقدمة بالنواحي المادية ، من أجل أن يرعوا العباقرة ، اثنتا عشرة سنة يصبحون عشر سنوات ، أربع سنوات لسانس يصبحون ثلاث ، إذا كان الإنسان متفوقاً، أما عند الله عز وجل فإذا إنسان تفوق زيادة ، الخمسون سنة يصبحون خمس دقائق .

فهؤلاء السحرة فجأة لما رأوا أن هذا ليس بسحر ، إنما هي معجزة ، وأن هذا رسول الله ، آمنوا .

يبقى الموضوع ؛ ما الذي جعل فرعون يصغر أمام موسى ، ويناظره ، ويسأله ، ويجيبه ، ويقيم موعد يوم الزينة، يوم الجمعة مثلاً يوم العيد ، وأن يأتي بالناس جميعاً من كل أمصارهم ، لتكون مناظرة بين سحرة فرعون وبين سيدنا موسى ؟ وكيف أن هذا السحر ينتصر؟ هذا فعل الله عز وجل.

قلوب العباد بيد الله :

الآن نستنتج أيضاً من قصة يوسف أن الأمر بيد الله عز وجل ، اثنا عشر أخاً أرادوا أن يضعوا أخاهم في غيابت الجب ليموت ، فكان عزيز مصر . قال :

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾

[سورة يوسف:21]

حسناً الآن : حتى الأحداث التي نسمعها كل يوم تؤكد هذه الحقيقة ، تجد دولة عظمى مثل الاتحاد السوفييتي ، لا يمكن أن تنهار بالعقل أبداً ، قلعة من قلاع الكفر ، ومع ذلك تهاوت كبيت العنكبوت ، هذه من آيات الله ، والآن الناس يعظمون أمريكا كثيراً ، والخبراء يتنبؤون لها بالسقوط بعد ثلاثين عاماً ، أو بعد عشر سنوات من الداخل ، لأن الله كبير ، فلذلك موضوع أن تنسى أن الله موجود ، والأمر كله بيده ، موضوع كبير جداً .

كل ما أريد أن أقوله لكم : يجب أن تعلم أن الأمر كله بيد الله ، عندما أنت تخلص، عندما أنت توحد ، تجد نفسك أخلصت بشكل لا شعوري ، عندما توحد استقمت ، عندما توحد لم تعد تنافق ، عندما توحد تتجه إلى الله وحده ، عندما توحد تنطلق إلى العمل الصالح .

القصة كلها عوضاً عن أن تكون موزعاً بين مئة جهة ، قال لك : ليس لك إلا إله واحد ، هذه القصص كلها، لا يوجد قوي مع الله عز وجل ، ولا يوجد ذكي مع الله ، ولا يوجد إنسان مع الله ، أبداً ، مع الله لا شيء ، لكن أحياناً تتوافق خطة الكافر مع خطة الله عز وجل، والتعبير الأدق أن خطة الله تستوعب خطة الكافر ، تجد الكافر فيما يبدو لك أنه أمر ونفذ ، هو أمر ونفذ ، لكن هذا الأمر والتنفيذ ورد بخطة الله عز وجل ، لأن الكافر لا يمكن أن يفعل شيئاً ما أراده الله ، لا يمكن ، هذا معنى :

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا﴾

[سورة العنكبوت:4]

الكافر لا يفعل شيئاً ما أراده الله ، ولا يستطيع التفلت من قبضة الله ، الأمر كله بيد الله ، لذلك :

﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾

[سورة طه:45]

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾

[سورة طه:46]

هناك نقطة أدق من ذلك ؛ حتى قلب فرعون بيد الله عز وجل ؛ أحياناً يخوفه ، أحياناً يلينه ، أحياناً يجعله قاسياً.

الآن : أنت موظف بيد الله ، تجد تساهلاً معك ، لا تفهم ما السبب ؟ وأحياناً يؤدبك الله ، لأن قلوب العباد بيد الله عز وجل ، الذي يوافق ، يكون الله قد ألهمه أن يوافق ، والذي يرفض ألهمه الله أن يرفض ، فقلوب العباد بيد الله، وأنت بيد الله عز وجل .

وتجد أحياناً الأحداث تجري على خلاف المنطق المادي ، وهذا الشيء ثابت ، كل يوم يوجد ألف قصة تؤكد ذلك، أحياناً الله ينصر بالرعب ، أحياناً القوي يجعل قلبه هواء فينهار، أحياناً الضعيف يقوي له قلبه فيقوى ، لا يوجد قاعدة ، القاعدة : أن الأمر بيد الله ، و أن نهاية العلم التوحيد .

ثمرات الدين كلها تحتاج إلى التوحيد :

الحقيقة : لا يوجد في القرآن غير التوحيد ، لما ربنا يريد أن يلخص القرآن كله بكلمة ، يقول لك :

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾

[سورة الكهف:110]

لما الله يريد أن يلخص دعوة الأنبياء كلها :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾

[سورة الأنبياء:25]

ولما الله يريد أن يلخص الدين كله ، يقول لك :

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾

[سورة محمد:19]

﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾

[سورة المؤمنون:32]

الإخلاص أهم شيء ، أنت مخلص بقدر ما أنت موحد ، الاستقامة أهم شي ، أنت مستقيم بقدر ما أنت موحد ، السعادة النفسية أنت سعيد نفسياً بقدر ما أنت موحد ، كل ثمرات الدين تحتاج إلى التوحيد ، وهذه القصة كلها توحيد ، تجده يتحرك حركة غير معقولة ، على خلاف منطقه ، فرعون جبار ، أي الطغاة لا يهمهم ، القتل سهل جداً ، بكلمة ينهيه .

قلت لكم مرة : الحسن البصري لما دخل على الحجاج ، الحجاج طلبه ليقطع رأسه، والنطع مُد ، والسياف جاهز، أعطى أمراً بأن يأتوا به ، فلما دخل ، وجد الحجاج نفسه يرحب به و يقول له : أهلاً ، أهلاً بأبي سعيد ، تفضل، قربه ، قربه ، حتى أجلسه على سريره .

حسناً : أنت أتيت به لتقتله ، ما الذي حدث معك في الداخل ؟ أجلسه على سريره ، وسأله سؤالاً ، وعطره ، وطلب منه الدعاء ، وشيعه إلى باب القصر ، هذا الحاجب اختل توازنه، الحاجب والسياف لحقوا به : يا أبا سعيد ، لقد جيء بك لغير ما فعل بك !! قال له : والله قلت: يا رب ، يا ملاذي عند كربتي ، ويا مؤنسي عند وحشتي ، اجعل نقمته عليّ برداً وسلاماً ، كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم .

انقلب الوضع كله ، عملك مع الله ، مع الله وحده ، لا يوجد أحد قوي ، ولا يوجد أحد جبار ، ولا يوجد أحد طاغية .

ورد في الحديث القدسي : " أنا ملك الملوك ، ومالك الملوك ، قلوب الملوك بيدي ، فإن العباد أطاعوني ، حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة ، وإن هم عصوني حولتها عليهم بالسخط والنقمة ، فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك ، وادعوا لهم بالصلاح ، فإن صلاحهم بصلاحكم " .

إن الأمر كله لله .

التوحيد هو نهاية العلم :

وأدق آية في هذا الموضوع : الله أمرك أن تعبده ، ما أمرك أن تعبده إلا بعد أن طمأنك أن الأمر كله بيده . قال لك :

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾

[سورة هود:123]

هذا القرآن بين يديك ، يقول لك : لا يوجد غيري يا عبدي ، لا تغلب نفسك ، إذا رضيت عليك عدوك يخدمك ، وإن غضبت عليك أقرب الناس إليك يتخلى عنك ، وهذا الشيء ثابت .

من أقرب الناس له ؟ ابنه أحياناً يتخلى عنه ، زوجته تتخلى عنه ، وإذا الإنسان استقام ، وأرضى الله عز وجل ، أشدّ أعدائه خصومة تجده يخدمه و ينصحه .

أنا أريد أن أقول لكم : إن المسلم يجب ألا يكون ضعيف المعنويات ، إذا وجد الطرف الآخر قوياً جداً ، هو ضعيف جداً ، الطرف الثاني قوي بالله ، وأنت أيضاً قوي بالله ، أي الأمر بيد الله عز وجل ، أنت لست مكلفاً أن تأتي بالمعجزات ، مكلف أن تجتهد بإعداد ما هو متاح ، وعلى الله الباقي .

أنتم الآن بالوضع العام ، هناك دول عظمى ، دول صغيرة ، متخلفة ، متنامية ، بطرف إفريقيا ، هذه تستطيع أن تحارب أمريكا وتغلبها ؟ هذا الشيء خلاف منطق التاريخ ، الذي حدث في مطلع الإسلام هكذا ، بداة ، عرب ، حفاة ، متخلفون ، في أعماق الصحراء ، يغلبون دولتين عظيمتين ، حضاريتين ، هذا نفس الترتيب ، نفس النسبة إطلاقاً ، فلذلك القصة هنا : أحياناً تتحرك الأحداث على خلاف المنطق المادي ، على خلاف منطق توازن القوى ، هذا هو الدين ، الدين أن توحد ؛ ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد .

والتوحيد نهاية العلم ، والدين كله توحيد ، وأنت بالتوحيد تستقيم ، وتسعد ، وتقوى نفسك ، وترتفع معنوياتك ، وتخلص ، وترقى ، و لكن قبل أن تتحرك ، قل : لا يوجد إلا الله عز وجل ، الله يعطي ويمنع .

سمعت البارحة قصة ، إنسان طلب من مئة حاج أن يعاونهم معاونة بإجراء بعض المعاملات ، قال لهم : أريد من كل واحد منكم مئة ليرة ، قالوا له : حسناً ، لما أخذ الجوازات ، صار معه مئة جواز ، قل لهم : أريد ألفاً ، لا أعطيكم الجواز إلا بألف ليرة ، أرغموا على ذلك، ورفعوا دعوى عليه ، هذا اشترى فيهم سيارة ، عمل فيها حادثاً ، نجا بأعجوبة و أصبحت السيارة كلها ملقاة على قارعة الطريق .

تلاحظ أن الأمر كله بيد الله عز وجل ، تستقيم ، تجد الطريق إلى الله سالكاً ، هذه كل القصة ، إذا أنت لم تؤذ أحداً ، تجد الله راضياً عنك ، إذا شعرت أن الله راض عنك ، حققت كل شيء ، أما إذا كنت تشعر أنه من الممكن أن تعمل شيئاً الله لا يعلم به ، أو من الممكن ألا يحاسبك الله عليه ، طبعاً لا تستقيم ، التوحيد هو نهاية العلم .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (27- 49) : مرض الغفلة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

مرض الغفلة من أخطر الأمراض التي تصيب النفس :

أيها الأخوة الكرام ؛ من أخطر الأمراض التي تصيب النفس ، والتي يمكن أن تكون سبب هلاك الإنسان ، مرض قد لا ننتبه إليه : مرض الغفلة ، الغفلة ؛ أن يغفل الإنسان عما سيأتي إليه ، أن يغفل الإنسان عن يوم الحساب، أن يغفل الإنسان عن ساعة نزول القبر ، أن يغفل الإنسان عن ساعة يقف فيها بين يدي الله عز وجل ، لذلك : الإنسان إذا كان في صحوة ، فهذه أكبر نعمة ، إذا كان في صحوة ، فكل شيء سيفاجأ به لا يفاجأ به ، مستعد له .

ما من أحد على وجه الأرض ينكر الموت ، لكن الناس يتفاوتون في الاستعداد له؛ الصاحي يستعد له ، أما الغافل فلا يستعد ، لذلك :

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾

[سورة الأنبياء :1]

طبعاً من لوازم الغفلة الإعراض ، من لوازم الصحوة الإقبال ، أنت صاح إذاً أنت مقبل ، أنت غافل إذاً أنت معرض ، فالإنسان ما الذي جعله يغفل ؟ أن تستهلكه الدنيا ، إذا ما اقتطع من وقته وقتاً يتأمل فيه .

النبي عليه الصلاة والسلام كان يختلي في غار حراء الليالي ذوات العدد .

نحن ينبغي أن نخلو مع الله كل يوم جزءاً من الساعة ، بعد صلاة الفجر بعيداً عن متاعب الحياة ، عن هموم العيش ، عن هموم الرزق ، عن هموم الزوجة والولد ، عن تزويج البنات ، عن تزويج الذكور ، عن تأمين البيوت ، عن دفع النفقات ، عن وفاء الديون ، عن معالجة الأمراض ، كل هذه الهموم المتراكمة دعها في ساعة من النهار ، وتأمل فيما تكون إليه، في الذي تصير إليه ، فيما بعد الموت ، ماذا تفعل بعد الموت؟ لذلك أخطر مرض أن يكون الإنسان غافلاً ، إذا غفل عن ربه أعرض عنه ، وإذا كان صاحياً أقبل عليه .

مرة سألوا طالباً نجح و كان الأول على القطر : ما أسباب هذا التفوق ؟ أجاب إجابة لا تزال عالقة في ذهني سنوات طويلة ، قال : لأن ساعة الامتحان لم تغادر مخيلتي ولا لحظة في العام .

الدراسة من شهر أيلول ، الامتحان بذهنه ، بدأ يستعد له ؛ فالإنسان إذا صحا يُقبل وإذا غفل يعرض .

الإنسان بدافع من حرصه على سعادته عليه أن يعرف أين هو من كتاب الله :

شيء ثان : الإنسان بدافع من حرصه على سعادته ، بدافع من حبه لذاته ، بدافع من خوفه ألا يكون من الناجحين الفائزين ، إذا قرأ القرآن ، ألا ينبغي أن يعلم أين هو من كتاب الله ؟

سؤال كبير ؛ فرضاً إذا ظهر قرار بترفيع موظفي كلّ درجة ، ويوجد مبلغ يترفع فيه، فإذا الإنسان سمع بهذا القرار ، ألا يسأل سؤالاً دقيقاً : أنا مرتبتي أولى أو ثانية كم سيزداد راتبي؟ هذا القرار يطبقه على ذاته . ربنا عز وجل قال :

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾

[سورة الأنبياء :10]

اقرأ القرآن :

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾

[سورة الأنفال :2]

هل أنت من هؤلاء ؟ :

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾

[سورة البقرة :3]

هل أنت من هؤلاء ؟ لو استعرضت الآيات التي تصف المؤمنين ، اسأل نفسك هذا السؤال ، لو استعرضت الآيات التي تصف المنافقين ، لعل الإنسان تنطبق عليه بعض الصفات.

إذاً :

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

[سورة الأنبياء :10]

وأنت تقرأ القرآن ، حدد أين أنت من هذا الوصف ؟ هل أنت مع المؤمنين ؟ هل مع السابقين ؟ هل مع المقتصدين ؟ هل مع المقصرين ؟ هل مع الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ؟ هل مع المنافقين ؟ هل مع المعرضين ؟ هل مع الفجار ؟ هل مع العصاة ؟ أين أنا في هذا القرآن الكريم ؟ أين ذكري في هذا القرآن الكريم؟

الإعجاز في القرآن الكريم :

الآن معنا آية كونية فيها ما يسميه علماء القرآن : السبق العلمي :

﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾

[سورة الحج :27]

الفج العميق في الكرة هو البعيد ، لكن كلما ابتعدت عن نقطة في الكرة ، ظهر الخط منحنياً ، كرة ، هذه نقطة ، هذه مكة ، كلما جئت من مكان بعيد ، المكان كان بشكل منخفض ، أو بشكل منحن ، إذاً : هذا من إعجاز القرآن العلمي .

يوجد إعجاز آخر :

﴿كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾

[سورة الأنبياء :30]

نعم ، أي السماء فتقت بالأمطار ، والأرض فتقت بالنبات ، السماء في الصيف لا ماء فيها ، والأرض جافة، في الشتاء السماء تمطر ، والأرض تنبت :

﴿كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾

[سورة الأنبياء :30]

أيضاً هذا من السبق العلمي .

هناك آية كونية ثالثة ؛ الآن تسمعون عن طبقة الأوزون المخلخلة عن ارتفاع الحرارة بالأرض ، أو بفعل ازدياد غاز الفحم في جو السماء ، ارتفاع الحرارة ، ذوبان الثلوج ، هذه الأمطار التي جرت غير المتوقعة ، تبدل خطوط المطر ، هذه كلها من خلخلة طبقة الأوزون ، هل هناك إشارة إلى طبقة الأوزون في القرآن الكريم ؟ تفضل :

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً﴾

[سورة الأنبياء:32]

﴿سَقْفاً مَحْفُوظاً﴾

[سورة الأنبياء:32]

السماء ، هناك طبقة تمنع عنا أشعة الشمس القاتلة ، سرطانات الجلد في بعض البلاد التي تقابل ثقب الأوزون ارتفعت إلى سبعين بالمئة ، كانت النسبة قليلة جداً ، أصبحت نسبة المصابين بالأمراض في بعض المناطق سبعين بالمئة ، بسبب خلخلة طبقة الأوزون التي كانت بسبب تغيير خلق الله عز وجل :

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً﴾

[سورة الأنبياء:32]

الدنيا دار ابتلاء لا دار جزاء :

أي ممكن أن يكون الغنى بلاء ؟ فلان ابتلاه الله بالغنى ، هذا كلام غير مألوف؛ ابتلاه بالغنى ، ابتلاه بالجمال ، ابتلاه بالوسامة ، ابتلاه بقوة الإقناع ، ابتلاه بأولاد ممتازين ، هذا الكلام مقبول ؟ نعم :

﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾

[سورة الأنبياء:35]

أتصبرون ؟ الإنسان يبتلى بالعطاء ، ويبتلى بالمنع ، يجب أن تؤمن أن كل شيء نلته منه مادة امتحانك معه ، هاتان مادتان خاصتان ، وهناك مواد عامة ؛ تمشي في الطريق ، امرأة سافرة هي امتحان عام لكل الرجال ، الأشياء المبذولة بالطريق هذا امتحان عام .

أحياناً ببعض الكليات ؛ هناك مادة مشتركة بين كل الكليات ، إذاً كل كلية مادة خاصة ، فكل إنسان عنده مواد امتحان خاصة به ، المواد نوعان ؛ إيجابية وسلبية ، الشيء الذي ناله من الله هذا مادة امتحانه مع الله، الشيء الذي زوي عنه مادة امتحانه مع الله ، والشيء المبذول في الطرقات هذا مادة عامة لكل الناس ، فأنت ممتحن كمواد عامة ، ومواد خاصة ، المواد الخاصة الحظوظ التي نلتها ، والحظوظ التي حرمتها ، هذه مواد خاصة ، وأنت في الدنيا التي هي دار ابتلاء ، وليس دار جزاء . إن هذه الدنيا دار التواء ، لا دار استواء .

إنقاذ الله للإنسان في الوقت المناسب :

موضوع سيدنا إبراهيم يلفت النظر ، رسول الله ، ومن أولي العزم ، فكيف مكنهم الله عز وجل أن يلقوا القبض عليه ؟ لماذا ؟ ألا يستطيع الله عز وجل وهو على كل شيء قدير أن يخفيه ؟ ألقي القبض عليه ، جاؤوا بنار عظيمة ، وأشعلوها ، الله جلّ جلاله ألا يستطيع أن يطفئها ؟ نعم ، لكن ربنا عز وجل ليرينا آياته ، مكنهم أن يقبضوا عليه ، ومكنهم أن يشعلوا هذه النار ، ومكنهم أن يلقوه بها ، هم فعلوا كل شيء بإمكانهم ، ومع ذلك:

﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾

[سورة الأنبياء:69]

لو قال : برداً ، مات من البرد ، قال : برداً وسلاماً ، لو لم يقل : على إبراهيم ، ما انتفعنا بالنار إلى يوم القيامة:

﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾

[سورة الأنبياء:69]

إذاً أحياناً يبدو لك أن الله تخلى عنك ، أي الأشياء الأولى تقع عليك ، لكن في النهاية الله ينقذك بآية ، بكرامة ، لو أنقذك بوقت قبل ذلك ما بدت هذه الكرامة .

أفضل كسب الرجل أن يأكل من عمل يده :

كلكم تعرفون أن لكل إنسان صنعة ، إنسان يعمل بفكره ؛ محام مثلاً أو طبيب أو مدرس ، و آخر يعمل بعضلاته ، و الثالث موظف ، و هناك إنسان صاحب حرفة ، الله عز وجل هل كرَّم أصحاب الحرف ؟ هل كرم في آية في هذا القرآن الكريم أصحاب الحرف ؟

تفضل نبي عظيم ، له صنعة ، يصنع الدروع ، ويأكل من صنعة يده . و إن أفضل كسب الرجل أن يأكل من عمل يده ، وإن أخي داود كان يأكل من عمل يده .

إذا إنسان صاحب صنعة – نجار ، حداد ، دهان – هذا أشرف عمل ، لأنك تبذل جهداً حقيقياً ، وتأخذ الثمن والأجرة حلالاً مئة بالمئة ؛ فربنا عز وجل كرّم أصحاب الحرف ، حينما جعل أحد الأنبياء العظام يقتات من عمل يده ، وكانت صنعته صنعة لبوس لكم ، يصنع الدروع ، ويقتات منها .

فضائل الاجتماع مع المؤمنين :

إذا الواحد الله عز وجل سمح له أن يكون مع المؤمنين ، أي قبلوه ، وتفاعل معهم ، وأحبهم وأحبوه ، واندمج معهم ، وشعر بالأنس ، وشعر بالرضا والقبول ، إذا دخل المسجد ، يشعر بذاته ، أخوانه يحبونه ، هذا المعنى ، المعنى الاجتماعي ورد اليوم في القرآن الكريم .

الإنسان و لو كان له صلة بالله ، إذا كان يعيش لوحده ، يشعر بوحشة ، ومن تكريم الله للنبي –عليه الصلاة والسلام– أن الله اختاره ، واختار له أصحابه .

أي أنت لا يكفي أن تكون لوحدك صالحاً ، تريد أخواناً حولك ، تريد مؤمنين ، تريد أصدقاء تتبادل معهم المشاعر المقدسة ، الأفكار الرائعة ، إذا لم يوجد إنسان يشعر بشعورك ، يقدر أفكارك ، يتجاوب معك ، يتعاطف معك ، يحس بإحساسك ، يتألم بألمك ، يفرح بفرحك ، يقدر علمك ، يقدر مكانتك ، يقدر ورعك ، الحياة صعبة جداً ، هذا المعنى ورد في القرآن الكريم؟ :

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً﴾

[سورة الأنبياء:89]

﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾

[سورة يوسف:101]

كن مع الصالحين . فالإنسان إذا كان يعيش لوحده ، يستوحش ، وينحرف ، ويتوهم، ويبالغ ، الآن كل إنسان يعيش لوحده يصاب بأمراض ، أمراض نفسية ، لكن إذا عاشر الناس المؤمنين طبعاً ؛ يتسع أفقه ، تصحح مسيرته ، يسدد عمله ، يندفع إلى الله ، يغار ، يتنافس ، في الجماعة المؤمنة فضائل لا تعد ولا تحصى ، أما الانعزال ، والفردية ، فأفضل مليون مرة من مجتمع منحرف ساقط ، المجتمع الساقط اركله بقدمك ، ولا تعبأ به ، ولا تندمج معه ؛ أما المجتمع المؤمن ، الطيب ، الطاهر ، الورع ، فهذا المجتمع إذا اندمجت معه يسعدك وتسعده ، تأخذ منه وتعطي .

فضائل الاجتماع : النبي قال :

((عليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية))

[أحمد في مسنده والترمذي والحاكم عن عمر]

أي إذا الله عز وجل سمح لك أن تكون مع المؤمنين الصادقين ، هذه نعمة كبيرة ، قد لا تعرف قيمتها ، أما إن ارتكبت خطأ لا سمح الله ، والخطأ فضح وانتشر ، وأخوانك علموا به ، ووجدتهم مزورين عنك ، معرضين عنك ، شيء لا يحتمل ؛ الانزواء ، والانعزال ، والحجاب ، شيء مؤلم جداً ، لذلك :

﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً﴾

[سورة الأنبياء:89]

﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾

[سورة يوسف:101]

و :

((الجماعة رحمة والفرقة عذاب))

[الطبراني عن النعمان بن بشير]

أهوال الساعة تذهل المرضعة عن ابنها :

آخر نقطة هنا لغوية :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾

[سورة الآية :1]

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾

[سورة الحج:2]

أنت تقول : امرأةٌ مرضع ، لا تقول : مرضعة بل مرضع ، وامرأة ثيِّب ، وامرأة بكر ، وامرأة طالق ، وامرأة حامل ، إذا قلت : امرأة حاملة ، ما معنى ذلك ؟ على ظهرها ، إن الصفة التي يشترك فيها الذكر والأنثى تذكر وتؤنث ، حاملة ؛ أي على ظهرها .

هناك إنسان يحمل على ظهره ، التفريق بين التي تحمل على ظهرها ، وبين الذي يحمل على ظهره بتاء التأنيث، أما إذا قلت : امرأة حامل ، أي في بطنها ، إن ذكرتها : في بطنها ، إن أنثتها : على ظهرها .

حسناً : امرأة مرضع ، أي لها وليد ، وفي أثدائها حليب ، ليس الشرط أن ترضعه أمامك ، إنها في طور الإرضاع ، أما إذا قلت : امرأة مرضعة ، أي طفلها على ثدييها ، هل من الممكن أن يضع الرجل طفله على ثديه ؟ وضع الابن على الصدر يذكر ويؤنث .

فتصور امرأة ابنها ترضعه ، ليست هي في طور الإرضاع ، ابنها ترضعه ، فلما رأت زلزلة الساعة ، ألقت رضيعها وولت هاربة ، أي لا يوجد أدق من هذا الوضع .

أحياناً المرأة تنسى كل شيء إلا ابنها ، تستغني عن كل شيء إلا ابنها ، أما أن تستغني عن ابنها الرضيع وهو على صدرها . قال :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾

[سورة الحج:1]

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾

[سورة الحج:2]

أحياناً : تنشر الصحف هكذا ؛ بحريق هائل ، بزلزال فزع الناس ، صراخٌ ، عويلٌ ، اضطرابٌ ، أخطاءٌ ، أي هناك صور قريبة من هذا الوصف .

تسخير الله من يدافع عن المؤمن الصّادق :

آخر آية :

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

[سورة الحج:38]

الله عز وجل لا يدافع مباشرة ، لكن إذا أحبّ المؤمن ، يسخر له من يدافع عنه ، ولا يوجد مؤمن صادق مع الله، إلا وهذه الآية يتمثلها ، تجد شخصاً من أين وجد فجأة وانبرى في الدفاع عنك في غيبتك وأنت لا تدري ؟! فإذا رأيت مثل هذه الحالات ، فهذا دفاع الله عنك ، لا دفاع فلان عنك ، هذا دفاع الله عنك .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (28- 49) : قانون النصر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

الانتصار لدين الله سبب انتصار الإنسان على خصمه :

أيها الأخوة الكرام ؛ النصر على إطلاقه ؛ قد تنتصر على عقبة في طريق الحياة ، وقد تنتصر على عدو ، وقد تنتصر على خصم ، وقد تنتصر نصراً فردياً ، وقد تنتصر نصراً جماعياً ، النصر على إطلاقه محبب إلى الإنسان . وربنا عز وجل يقول :

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ﴾

[سورة العنكبوت: 4-5]

أي شعور المنتصر شعور لا يوصف . ربنا عز وجل في هذه الآيات يقول :

﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

[سورة الحج : 40]

قانون ، أي حتى على المستوى الفردي دعك من الأمور العامة ، أنت لك منافس ، لك خصم ، لك عدو ؛ في عملك ، في حيّك ، في بيتك ، إذا أنت نصرت دين الله بإقامة أمره ، وترك نهيه ، هذا الانتصار لدين الله سبب انتصارك على خصمك ، فكلّ إنسان أراد أن ينتصر ، أراد أن يوفقه الله ، أن يؤيده الله ، أن يرفعه الله، عليه أن ينتصر لدين الله .

من الأدعية التي يقشعر لها الجلد : " اللهم إنا نعوذ بك من عضال الداء ، وشماتة الأعداء" .

نظام الحياة مبني على الخصومات :

بالمقابل : كما أن النصر مسعد للإنسان ، أن يشمت العدو من أكبر المصائب ، العدو اللدود يشمت بمصيبة وقعت بك ، فربنا عز وجل يبين ، و هذا الإله العظيم التعامل معه مقنن بقوانين .

يوجد شخص مزاجي ، لا تستطيع أن تتعامل معه ، يرضى بلا سبب ، ويغضب بلا سبب ، هذا الإنسان المزاجي التعامل معه صعب ، إلا أن الخالق العظيم أعطاك قوانين ، قال لك : أنا أنصرك إذا نصرت ديني، وأخذلك إذا خذلت ديني ؛ فكل أمة ترجو النصر من الله، ولا تقيم أمر الله في حياتها ، هذا الرجاء ساذج ،

وكل أمة ترجو نصر الله عز وجل ، وتقيم أمر الله في حياتها ، هذا رجاء حقيقي ، على مستوى أمة ، وعلى مستوى فرد ، فلا يوجد إنسان ليس له خصوم على الإطلاق ، هكذا شاءت حكمة الله عز وجل ، وكذلك في الأنبياء ، أعظم الأنبياء ، الأنبياء كمل ، معصومون . قال :

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾

[سورة الفرقان:31]

أي كان من الممكن أن يأتي النبي –عليه الصلاة والسلام– إلى مكة دون أي خصم، هؤلاء أبو جهل ، وأبو لهب، هؤلاء الأعداء الألداء ، لو أن الله أخّر ولادتهم لبعد حوالي مئة سنة ، نشأ مع أصحابه فقط ، لا يوجد أي مشكلة ؛ لكان ليس هناك حرب بدر ، ولا أحد ، ولا الخندق ، ولا الهجرة ، إذا ألغيت الخصم ألغيت وجودك ، لأن الخصم يبرز فضائلك ؛ الخصم يبرز ثباتك على الإيمان ، الخصم يبرز صبرك ، الخصم يبرز محبتك لله عز وجل ، الخصم يبرز صدقك بطلب الحق ، فالخصم له فائدة كبيرة جداً ، هو الذي يدفعك في طريق الإيمان، لكن حياة بلا خصوم ، حياة بلا حركة ، تُلغى الحركة ، لو ألغيت الخصم ، ألغيت الحركة ، لم يبق هناك حركة.

الآن حتى في التجارة ، إذا كان هناك تنافس ، تجد أن هناك إتقاناً ، الغ التنافس ، لم يبق هناك إتقان ، تهمل الصناعة ، تهمل التجارة ، أما وجود خصم لك في التجارة ، في الصناعة ، فهذا الخصم يدفعك إلى مزيد من الإتقان ، فليس كل شيء أنت تنزعج منه هو سيئ:

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾

[سورة البقرة:216]

نظام الحياة مبني على الخصومات ، فإذا أردت أن تنتصر على خصمك ، فانصر دين الله ، ثمن النصر أن تنصر دين الله . قال :

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

[سورة الحج:40]

الله هو القوي ، أنت حينما تنصر دين الله ، قوة الله عز وجل معك ، أي هذه القوة الكبرى ، القوة المطلقة ؛ إما أنها معك ، وإما أنها عليك ، فإذا كان الله معك ، لا تستطيع جهة في الأرض أن تقهرك ، وإذا كانت هذه القوة المطلقة عليك لا تستطيع أي جهة أخرى أن تنصرك.

كيفية الانتصار لدين الله :

كيف ينتصر الإنسان لدين الله ؟ قال :

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾

[سورة الحج:41]

من خلال هذه القوة التي مكنهم الله منها ، يقيمون الصلاة ، يدعون إلى إقامة الصلاة ، يسهلون إقامة الصلاة .

الآن أحياناً يكون الشخص ناجحاً في عمله ، عنده صانع ، لا يسمح له أن يصلي أبداً ، ومسلم ، وناشئ في بيئة مسلمة ، يقول له : لا أسمح لك أن تصلي ، هذا مكنه الله في الأرض ، لكن لم يسمح أن تقام الصلاة على مستوى فردي ، فمن علامة أن تنتصر لدين الله إذا مكنك الله في الأرض أن تمكن لدينه ، أن تقيم شعائره :

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآَتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾

[سورة الحج:41]

والحقيقة هناك معنى آخر هو أن الله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى أن تنصره ، هذا معنى غير مقبول ، معنى فاسد ، لكن الآية تشير إلى أنّ عليك أن تنصر دين الله ، ونصر دين الله أن تقيم أنت شعائر الله ، أو أن تسمح بإقامتها ، أو أن تشجع عليها ، إذا شجعت على الاستقامة ، وعلى أداء الصلوات ، وعلى دفع الزكاة ، وعلى الأمر بالمعروف ، فأن تفعل أنت هذا الشيء نوع ، وأن تسمح له نوع ثان ، أو الأصل أن تسمح له أولاً ، هذه أقل مرتبة ، ثم أن تفعله أنت ، ثم أن تشجع عليه ، أن تسمح له ، ثم تفعله ، ثم تشجع عليه ، فالذي يريد أن ينتصر على خصمه ، ويذوق طعم النصر عليه بنصر دين الله عز وجل ؛ إما بإقامة شعائره ، أو بالدعوة إليه .

الظلم الاجتماعي سبب هلاك الأمم :

يوجد سورة رائعة جداً . يقول الله عز وجل :

﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾

[سورة الحج :45]

طبعاً من معاني هذه الآية ، أو أحد أسباب هلاك هذه القرية ما كان فيها من ظلم اجتماعي كبير ، أي فئة ، أو طبقة تتمتع بأعلى درجات الغنى ، طبعاً الغنى غير مشروع ، وفئة محرومة من أبسط مرافق الحياة :

﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾

[سورة الحج:45]

فئة في المجتمع بأعلى درجات الرفاه ، وفئة أخرى محرومة من أدنى مرفق من مرافق الحياة وهو البئر :

﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾

[سورة الحج:45]

هذا الظلم الاجتماعي يسبب هلاك الأمم .

آيات الله عزّ وجل امتحان لكلّ إنسان :

أحياناً الإنسان يفهم القرآن فهماً ما أراده الله أبداً ، لكن ربنا عز وجل لحكمة بالغة يصوغ الآيات صياغة ، إذا الإنسان نفسه خبيثة ، يفهم المعنى الذي ما أراده الله ، وكأن في آيات القرآن الكريم امتحاناً لهذا الإنسان.
انظر هذه الآية :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾

[سورة الحج:52]

أي إذا الشيطان تمكّن أن يلقي في أمنية النبي شيئاً ، النبي إذاً غير معصوم، والنبي إذا تكلم كلاماً فلعله مسحور، أما هذه الهاء ؛ إما أن ترجعها إلى النبي ، وإما أن ترجعها إلى الشيطان ، أي :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾

[سورة الحج:52]

هذا النبي هداية قومه ، إضلالهم ، الهاء تعود على الشيطان ، النبي تمنى هداية الخلق ، والشيطان تمنى إضلالهم ، هو شيء صحيح ، وثابت ، أما أن يصل الشيطان إلى النبي فيلقي في أمنيته شيئاً فالنبي لم يعد معصوماً :

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾

[سورة الشعراء:153]

إذا كان المؤمن بسيطاً جداً ، إذا قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فالشيطان يحترق ، قل : أعوذ بالله ، قل أعوذ برب الفلق :

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾

[سورة الأعراف:200]

إذا كان المؤمن بسيطاً ، إذا استعاذ يطرد الشيطان ، ويحرقه ، فكيف بالنبي العظيم؟ إذاً: هذه الهاء لا تعود على النبي ، إنما تعود على الشيطان ، وفرق كبير جداً بين المعنيين :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾

[سورة الحج:52]

الله عزّ وجل لا يتخلى عن المؤمنين :

أحياناً الناس ييئسون ، يقول لك : أخي هكذا خطط اليهود ، والصهيونية العالمية ، والماسونية ، والاستعمار، صحيح ، هذا كله صحيح :

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾

[سورة إبراهيم:46]

لكن أين الله ؟ الله عز وجل موجود ، ينسخ تخطيطهم ، انظر ؛ ينسخ ، يلغي خططهم ، يلغي مكرهم ، يلغي تدبيرهم ، يلغي أعمالهم السيئة :

﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

[سورة الحج:52]

إذا الإنسان قرأ الآيات بتدبر ، لم يعد عنده أمراض نفسية ، لأن هذا القرآن شفاء ، ما هذا المرض النفسي ؟ اليأس أحياناً ، الشعور بالحرمان ، القهر ، هناك مشاعر إنسانية تحكم الإنسان ، إذا قرأت القرآن الكريم ما عندك شعور باليأس ، لا يوجد عندك شعور بالقهر ، لأن الله عز وجل لا يتخلى عن المؤمنين :

﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آَيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

[سورة الحج:52]

تسخير السموات و الأرض للإنسان :

الشيء الآخر ؛ أن الله عز وجل سخر لك أيها الإنسان ما في السموات وما في الأرض ، أي أنت عند الله أعلى مخلوق ، تجد شعوباً تعبد بقرة ، شعوباً تعبد نجماً ، شعوباً تعبد الشيطان ، شعوباً تعبد الأصنام ، فهل من المعقول الإنسان هو سيد المخلوقات ، والكون كله مسخر له ، يصبح هذا الإنسان بعقله وفهمه وذكائه يعبد هذه الأشياء ؟

هناك أناس ذهبوا إلى بلاد آسيا ، واليابان ، يستغربون دكتور ، إنسان يحمل أعلى شهادة ، يدخل إلى معبد بوذا، ويقيم الطقوس التي لا معنى لها إطلاقاً ، والصنم أمامه .

أنا حدثني أخ ، زار معبداً من معابد بوذا ، وجد فاكهة من أعلى مستوى في حضرة هذا الصنم ، أو هذا الإله المزعوم عندهم ، فسأل : لماذا هذه الفواكه هنا ؟ قالوا : يأتي بها الناس من الليل ليأكلها هذا الصنم ، سبحان الله! بعد ذلك فهم أن رجال الكهنة هم الذين يأكلونها في الليل ، أي من يقوم على هذا المعبد اخترع هذه الفكرة ، حتى تأتيه الفواكه ، تأتيه الأشياء الطيبة ، فيأكلها بدل الآلهة في الليل ، فالإنسان مسخر له الكون ، هو ينقلب إلى أداة بيد حجر ! يعبد حجراً ؟ يعبد قمراً ؟ يعبد شمساً ؟ هناك عباد الشمس ، وعباد القمر ، وعباد الحجر ، فالإنسان عندما يعبد غير الله يضع نفسه في أحط مرتبة في المخلوقات ، أنت مكرم.

تحرك الكون بانتظام متوازن :

عندما تقول فكرة ، أخي من أين جاءت الفكرة ؟ هذه ليست فكرة ، هذه من عندنا ، القرآن يقولها :

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

[سورة الحج:65]

بعد ذلك أنت تلاحظ أن هذا الكون يتحرك بانتظام متوازن ، وأي خلل فيه يجتمع بعضه على بعض ، وتنتهي الحياة .

أحياناً الناس يقلقون من الأمطار ، يوجد شيء مقلق أكبر ، لكن ربنا عز وجل رحمة بنا ثبت الأشياء ، الدوران لو وقف ، انتهت الحياة ، ممكن نجم كبير يتجه نحو بالأرض فينهيها نهائياً .

دائماً يوجد في الكون نظام دقيق ، لكنه ثابت ، ثبت الله هذا النظام رحمة بنا ، نحن ما عندنا أن تشرق الشمس اليوم و لا تشرق في اليوم الثاني ، لا حول الله ، هذه غير واردة إطلاقاً ؛ شروق الشمس ثابت ، الليل والنهار ثابت ، السنة الشمسية ثابتة ، لكن هناك قلقاً من جهة الأمطار ، الله حرك الأمطار ، أيضاً حركها رحمة بنا ، الذي ثبته رحمة بنا ، الذي حركه رحمة بنا ، الذي ثبته من أجل أن تنتظم حياتنا ، والذي حركه من أجل أن نلتجئ إليه ، الثبات له حكمة ، والحركة لها حكمة .

الحقيقة الإنسان يجد نفسه إذا عرف الله ، ومشاعر الحرمان ، ومشاعر الإحباط ، تنتهي من حياة المؤمن ، والإنسان بمعنوياته العالية ينتصر على العقبات التي أمامه ، وبمعنوياته العالية يؤيده الله عز وجل ، لذلك :

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[سورة آل عمران:139]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (29- 49): قانون النجاح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

النّجاح الحقيقي أن تصل إلى دار السلام بسلام :

أيها الأخوة الكرام ؛ لا يوجد شعور يسعد النفس كأن يشعر الإنسان أنه نجح في موضوع ما ؛ النجاح في الدراسة مسعد ، والنجاح في الوظيفة مسعد ، والنجاح في التجارة مسعد، والنجاح في الزراعة مسعد ، يشعر الناجح في عمله بنشوة ، لكن هذه النجاحات كلها نجاحات مؤقتة ، تنتهي عند الموت ، النجاح المطلق ، الحقيقي ، الأوحد هو أن تنجح في الوصول إلى دار السلام بسلام ، أن تتجاوز الدنيا إلى الآخرة ، وأن يكون لك في الآخرة مقعد صدق عند مليك مقتدر .

حسناً : ما هو النجاح ؟ يوجد آيتان في القرآن الكريم :

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة المؤمنون :1]

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى* وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾

[سورة الأعلى : 14-15]

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة المؤمنون :1]

أي إذا آمنت بالله فقد أفلحت ، أفلحت الفلاح المطلق ، نجحت النجاح المطلق ، تفوقت ، اجتزت المخاطر ، وصلت إلى الأهداف :

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة المؤمنون :1]

الشيء كلما وصف ضاقت دائرته :

إلا أن في القرآن الكريم وفي هذه الآية بالذات حقيقة منطقية ، هذه الحقيقة المنطقية أن الشيء كلما وصف ، كان الوصف قيداً ، وضاقت دائرته .

الآن إذا قلنا : إنسان ، خمسة آلاف مليون ، قل : إنسان مسلم ، ألف و مئتا مليون، قل : إنسان مسلم عربي ، مئة و خمسون مليوناً ، قل : إنسان مسلم عربي مثقف ، عشرة ملايين ، إلى آخره . كلما أضفت صفة ، تضيق الدائرة :

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة المؤمنون :1]

أي مؤمن؟ لا :

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

[سورة المؤمنون :2]

هذا أول قيد :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾

[سورة المؤمنون :3]

هذا قيد ثان :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُون﴾

[سورة المؤمنون :4]

قيد ثالث :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾

[سورة المؤمنون :5]

قيد رابع :

﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾

[سورة المؤمنون :6]

قيد خامس :

﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾

[سورة المؤمنون :7]

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾

[سورة المؤمنون :8]

هذا قيد سادس :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾

[سورة المؤمنون :9]

بالطاعة والاستقامة ، هذا قيد سابع :

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾

[سورة المؤمنون :10]

﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

[سورة المؤمنون :11]

فالفلاح ليس لمطلق المؤمنين ، للمؤمنين وهذه صفاتهم ، وكل صفة قيد .

أحياناً الإنسان يجد إعلاناً في الجريدة ، يقول لك : وظيفة راتبها يقدر بعشرين ألف ليرة، يسيل لعابه لها ، فإذا قرأ الشروط يجد أنهم يريدون أن يكون معه دكتوراه ، وخادم عسكرية، ومجتاز الفحوص الفلانية ، أي يضعون شروطاً لا تتواجد في كل القطر إلا في سبعة أو ثمانية أشخاص ، فالصفات قيد ، كل صفة قيد . فالله عز وجل لما قال :

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة المؤمنون :1]

هذه صفاتهم ، فإذا توافرت كل هذه الصفات كنت ممن أفلح .

العلم الصحيح هو العلم الذي توافقت حقائقه مع القرآن الكريم :

لي صديق طبيب عظمي ، درس في بريطانيا ، عندهم أستاذ يعد من أعلى الأساتذة في اختصاصه ، وله كتاب يسمى هناك في بريطانيا الإنجيل – علم الأجنة – لأنه كتاب مشهور جداً ، مطبوع طبعات كثيرة جداً ، يُدرّس في أكثر من جامعة ، وهذا الكتاب يؤكد أن تشكل اللحم قبل تشكل العظم ، وهذا الشيء بديهي ، ومقطوع به ، ولا يتناقش به اثنان على الإطلاق .

يقول لي هذا الصديق : فجأة دخل علينا هذا الأستاذ الكبير – أستاذ علم الجنين– وقال : لقد اكتشفت حقيقة خلاف ما تعلمون في كتابي ، هذه الحقيقة هي أن تشكل العظام قبل تشكل النسيج اللحمي ، فقام طالب باكستاني ، قال له : هذه الحقيقة موجودة في كتابنا ، الأستاذ لم يصدق ، في اليوم التالي جاء بالقرآن الكريم مترجماً إلى اللغة الأجنبية وقرأ عليه هذه الآية :

﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً﴾

[سورة المؤمنون :14]

معنى هذا أن العظم مشكل قبل اللحم ، يُستنبط أنه كلما تقدم العلم اقترب من القرآن الكريم .

هناك أشخاص إن جاء في العلم آية تؤكد كلام الله يفرح ، لا ، على العلم أن يفرح إذا توافقت حقائقه مع القرآن الكريم ، كلام الله هو الأصل ، لأنه كلام خالق الكون .

يوجد مسلمون كثر يعكسون الآية ، يجعل العربة أمام الحصان ! العلم الحديث إذا اقترب من القرآن يكون علماً صحيحاً ، أما إذا ابتعد فهو علم ساقط لا قيمة لها ، الأصل هو القرآن الكريم .

العاقل لا يندم أبداً :

الحقيقة كنت أقول لكم دائماً : إن العاقل لا يندم ، والندم معناه ضعف في العقل . فربنا عز وجل قال :

﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾

[سورة المؤمنون :99-101]

ورد في الحديث أن السيدة عائشة –رضي الله عنها – سألت النبي – ﷺ– قالت : يا رسول الله ، أيعرف بعضنا بعضاً يوم القيامة ؟ قال : نعم يا أم المؤمنين إلا في ثلاثة مواطن – وذكر هذه المواطن الثلاثة – عند الصراط ، وإذا الصحف نشرت ، وعند الميزان ، قال : وفيما سوى هذه المواقف الثلاثة ، قد تقع عين الابن على أمه ، وقد تقع عين الأم على ابنها في الآخرة ، تقول له : يا بني ، لقد جعلت لك بطني وعاء ، وصدري سقاء، وحجري غطاء ، فهل من حسنة يعود عليّ خيرها اليوم ؟ يقول : ليتني أستطيع ذلك يا أماه ، إنني أشكو مما أنت منه تشكين .

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾

[سورة المؤمنون :101]

يأتون فرادى ، الإنسان في الدنيا له جماعة ، له عزوة ، له أهل ، له أقرباء ، يتحرك أحياناً الكل لإنقاذه ، أما في الآخرة فكل إنسان يأتي وحده ، ويسأل عن عمله ، ولا تزر وازرة وزر أخرى .

أحياناً أهل الدنيا يسخرون من المؤمنين ، يرونهم ضيقي الأفق ، حرموا أنفسهم مباهج الدنيا ، عكفوا في بيوتهم يذكرون الله ، يرونهم ضعاف التفكير ، أما هؤلاء الكفار الفجرة ، فهم عرفوا كيف يعيشون ؟ كيف ينغمسون في الملذات إلى قمم رؤوسهم ؟ لكن البطولة في الموقف الأخير . قال :

﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ * إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آَمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾

[سورة المؤمنون: 107-111]

وفي آية أخرى :

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾

[سورة المطففين: 34]

أي أنت يجب أن تطمئن أنك إذا عرفت الله ، واستقمت على أمره ؛ أنت السعيد، وأنت الفالح ، وأنت الناجح، وأنت المتفوق ، وأنت الفائز ، والشعور بالفوز ، والنجاح ، والتفوق شعور لا يوصف.

تسوية الحقوق يوم القيامة :

ثم يقول الله عز وجل :

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً﴾

[سورة المؤمنون: 115]

هذا الإله العظيم ، وهذا الكون يشهد له بالكمال ، أيعقل أن يُخلق إنسان بلا هدف ؟

الآن نحن في حياتنا المعاصرة جامعة ضخمة ، كلفت ألف مليون ؛ مخابر، قاعات تدريس ، مدرجات ، مكتبة ضخمة ، حدائق ، بيوت للطلبة ، خمسمئة ، ستمئة بروفيسور ، بأعلى الدرجات ، ميزانية ضخمة ، ولا يوجد امتحان آخر السنة ؟ غير معقول ، معنى هذا أن هذه الجامعة عبث :

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً﴾

[سورة المؤمنون: 115]

إنسان يكسب مالاً حراماً ، يلعب على الناس ، يحتال عليهم ، وتنتهي الحياة هكذا ؟

إذا شخص دخل لمسرحية ، وفي أول فصل الأمور تعقدت ، إنسان قتل ، أو إنسان خان ، ثم أرخي الستار، لا أحد يقوم من مكانه ، يقول لك : لم تنته بعد ، تفضلوا ، المسرحية انتهت ، يقول لك : لا لم تنته ، هذا أول فصل فقط ؛ لأن هناك أشياء لم تحل بعد ، حسابات لم تسوَّ ، حقوق لم تؤدَّ ، مصير لم يظهر ، إذا كنت أنت بمسرحية ، ووجدت الأمر تعقدت ، وصار هناك جريمة ، أو صار خيانة ، ينبغي ألا تنتهي المسرحية ، حتى تظهر نتيجة المجرم أو الخائن ؛ فكيف كون خالقه عظيم وفيه ظلم ظاهري ؟ طبعاً وفيه غني وفقير ، وقوي وضعيف، وحاكم ومحكوم ، وظالم ومظلوم ، ويأتي الموت وتنتهي الحياة هكذا بهذه البساطة ؟ مستحيل ، لا بد من يوم تسوى فيه الحقوق ، لا بد من يوم الدين ، بالفاتحة :

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

[سورة الفاتحة:4]

يوم الجزاء ، يوم الدينونة ، يوم الحكم بين الخلائق :

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾

[سورة المؤمنون :115]

في آية أخرى :

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾

[سورة القيامة:36]

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾

[سورة القيامة:37]

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾

[سورة القيامة:38-40]

فعل الله كلّه خير :

أخواننا الكرام ؛ تعقيب على درسين سابقين ، لما قلنا :

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة:216]

قلت لكم : إن فعل الله خير كله ، ولو بدا في ظاهره شراً ، لأنه من أركان الإيمان أن تؤمن بأن القدر خيره وشره من الله تعالى ، أما الشر فنسبي ، الشر بالنسبة للإنسان في حياته الدنيا المحدودة ، أما لو نسبت هذا الفعل للآخرة لانقلب إلى خير :

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾

[سورة النور:11]

حادث الإفك ؛ السيدة عائشة تأخرت عن القافلة ، واتهمت في عفتها ، وفي شرفها، وهي زوجة رسول الله ، والألسنة لاكت هذا الموضوع ، والمنافقون روجوا هذا الخبر ، والمدينة ضجت بهذا النبأ ، وبقي هذا النبأ شهراً بأكمله ، ولم يأت وحي ينفي عنها هذه التهمة ، والله هذا شيء صعب ، ومع ذلك يقول الله عز وجل :

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾

[سورة النور:11]

أحياناً يكون هناك حادث معين ، يمتحن الجميع ، المؤمن ظهر حسن ظنه برسوله وبزوجته ، والمنافق ظهر سوء ظنه .

يقولون طرفة ؛ حينما ألقي سيدنا إبراهيم في النار ، جاء أبو بريص ، بدأ ينفخ حتى يزيد النار اشتعالاً ، جاءت ضفدعة ، تملأ فمها ماء ، من أجل أن تطفئها ، لم يستطع أبو بريص أن يزيدها ، ولا الضفدعة أن تطفئها ، لكن كل واحد عمله .

أي الذي روّج الخبر جاءت التبرئة حاسمة ، والذي قال : غير معقول ، هذه أم المؤمنين ، أيضاً ظهر معدنه، فحادث واحد كشف الكل ، والله أحياناً الإنسان يكون موهوماً بحاله ، وقد ينكشف الإنسان فيغير سلوكه ، يتوب مثلاً ، المؤمن يزداد إيماناً ، والمقصر يتلافى تقصيره ، والمنافق ينكشف لعله يتوب ، فهذا الذي وقع هو خير مطلق ، لا تحسبوه شراً لكم؛ لكن بالمناسبة إنسان له دعوة إلى الله ، له قياس ، عد للمليون قبل أن تقول : فلان سيئ ، لأنه يوجد أناس استفادوا منه كثيراً ، تأكد ؟

دائماً المنحرفون ، والفاسقون ، والفجار ، يتلذذون بالطعن بأهل الدين ، هم عندهم اختلال توازن ، ما دام عندهم معصية ، وانحراف ، وانغماس في الملذات ، بحسب فطرتهم السليمة اختل توازنهم ، ما الذي يعيد لهم هذا التوازن ؟ أن يطعنوا بالصالحين .

تسمع قصصاً ليس لها أصل ، إطلاقاً ليس لها أصل ، تجد قصة كلها افتراء ، فهذا الذي يروج قصصاً تطعن بأهل الدين ، بالدعاة إلى الله ، عليه أن يتوب .

أي إذا كان هذا الإنسان داعية – لا أحد معصوم – ويستفاد منه ؛ لا تحطمه ، لا تشكك الناس فيه ، لا تطعن به ، هذا عمل شيطاني .

توعّد الله من أحبّ أن تشيع الفاحشة بين المؤمنين بالعذاب الأليم :

اسمع الآية الكريمة :

﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾

[سورة النور:15]

نعم ، أما الشيء الذي لا يصدق في هذه الآية ، وأنا قلتها كثيراً :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

[سورة النور:19]

ما فعلوا شيئاً ؛ ما تكلم ولا كلمة ، ولا لفظ لفظة ، ولا أشار إشارة ، ولا تصرف تصرفاً ، إلا أنه فرح بفاحشة سرت بين المؤمنين ، فرح بفضيحة مؤمن ، ارتاح ، معنى ذلك أن هذا الإنسان ليس مؤمناً ، إنه مع المنافقين .

أي هل هناك أم على وجه الأرض من دون استثناء تتمنى فضيحة ابنتها ؟ لا ، فإذا وجدت أماً تتمنى ذلك فهذه ليست ابنتها ، وهذه ليست أماً قطعاً ، بحسب الفطرة لا يوجد أم بالأرض تتمنى فضيحة ابنتها ، فإن وجدت مثل هذه الحالة ، فالدليل أن هذه الفتاة ليست ابنتها، وأن هذه الأم ليست أمها .

الآن الشيء الخطير أن الإنسان إذا سمع خبراً من مؤمن ، قد يكون غضِباً :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾

[سورة الحجرات:6]

أخواننا الكرام ؛ هذا سلوك شريف جداً ، سمعت قصة لم ترتح لها أنت ، اسأل يا أخي ، تأكد ؛ هذا قد يكون فاسقاً ، قد يكون جاهلاً ، قد يكون غير عدل ، غير ضابط ، قد يكون بسذاجة روّج خبراً ، ليس له أساس من الصحة ، والله الذي لا اله إلا هو آلاف الأخبار التي سمعتها عن أناس صالحين ليست صحيحة ، أما الآن فالشيء الشائع كلما رأوا شخصاً دعا لله يتهمونه ؛ إما بأمانته ، أو باستقامته ، أو بمطامع معينة ، هذا عمل شيطاني لا يرضي الله أبداً ، فالذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم .

أنت موقفك إذا استمعت إلى قصة ألا تطعن بإنسان تظنه صالحاً ، اذهب إليه ، واسأله ، قل : يا أخي أنت مؤمن ، وأنت أخي حقاً ، وهذه القصة آلمتني جداً ، ما حقيقتها ؟ فإن كانت وقعت ، تعرف حجمها الحقيقي، و قد تكون غير واقعة أصلاً ، تطمئن أنت ، وترد عنه ، فإذا شخص سمع قصة فهو مؤاخذ إن لم يتحقق ، لعل ليس لها أصل :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ﴾

[سورة النور:19]

نعم الطيبون للطيبات ، الطيبات للطيبين ، والطيبون للطيبات ، هذا ليس حكماً تكوينياً ، هذا حكم تكليفي ، أن آلاف الأسر ؛ الزوج طيب جداً ، وزوجته غير طيبة ، ويوجد آلاف الأسر الزوجة طيبة ، والزوج غير طيب ، معنى ذلك أيها المؤمنون اجهدوا ، وينبغي أن تزوجوا الطيبات للطيبين ، يقع أحياناً إشكال : يأتي إنسان غني ، يحل كل مشاكل الأسرة ، لكن دينه قليل ، وابنتك تربت تربية عالية ، إياك أن تطمع بماله ، ابحث لها عن مؤمن، فإن أحبها أكرمها ، وإن لم يحبها لم يظلمها .

الابتعاد عن الازدواجية في الحياة :

أحياناً الإنسان يدرك بالفطرة ، أو بالحاسة السادسة ، أن قضيته تحل بالمحاكم ، لم يعد يريد أهل الدين ، أخي هناك قانون ، نحن نعيش في بلد فيه قوانين ، وفيه قضاء .

أحياناً يشعر أنه لا تحل مشكلته مع خصمه بالقانون ، تحل عند رجال الدين ، أخي أنا أريد شرع الله ، يتلبس ، أنا أريد حكم الله في الموضوع . انظر الآية ما أجملها :

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾

[سورة النور:48]

﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾

[سورة النور:49]

على هواه ، إذا القضية تحل بالقانون يريد القانون ، تحل بالشرع يريد الشريعة ، هو يريد مصلحته ، هذا بعيد عن الورع ، هذا النموذج موجود ، وكثير جداً ، يحيرك ؛ هذا الانسان ساعة يريد القانون ، يريد المحاماة والقضاء ، ساعة يريد أهل الدين ، أخي أنا أريد فقط حكم الشرع في الموضوع ، يكون يعرف أن القانون ضده ، بقي الشرع معه ، هذه الازدواجية هذه لا تخفى على أحد ، أنت تختار الشرع ولو كان ضدك أو تختار القانون .

من تاب إلى الله واستقام على أمره يقطف الثمار التي أرادها الله :

يوجد في الآية الأخيرة :

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة النور:31]

يوجد بكلمة جميعاً لفتة لطيفة جداً ؛ لو فرضنا أن الناس كلهم تابوا إلى الله ، واستقاموا على أمره ، والكل حجبوا نساءهم ، والكل غضوا أبصارهم ، تقطف عندئذ ثمار هذا الدين ، أما أربعة أخماس الناس فسقة ، ونساء كاسيات عاريات ، المؤمنون يعيشون بوضع صعب جداً ، طبعاً مكلفون أن يغضوا من أبصارهم ، لكن لو تصورت مجتمعاً لا يوجد فيه انحراف فهذا من تمام هذا التشريع .

أي لو فرضنا عشرة أصدقاء ، أو خمسين صديقاً ، يوجد عند شخص واحد منهم هاتف فقط ، فهذا الهاتف ليس له قيمة ، ليس له قيمة أبداً ، متى يكون للهاتف قيمة ؟ إذا كان عند الخمسين هواتف ، صار له قيمة ، عندك هاتف لوحدك ، والكل لا يوجد عندهم هواتف ، لم تستفد شيئاً ، فلما الجميع يطبق الدين نقطف الثمار التي أرادها الله عز وجل .

أي نحن هذه لفت نظر ، مع أن أخواننا مؤمنين ، ومستقيمين ، ويغضوا أبصارهم ، وأمورهم دقيقة ، لكن لأنهم يعيشون في مجتمع فيه تقصير ، لا يقطف الإنسان الثمار اليانعة للدين ، لأنه كيفما تحرك يوجد فسق وفجور ، أما لو تخيلنا مجتمعاً مؤمناً كاملاً فالحياة في جنة، لهذا ورد في بعض الأحاديث :

((إذا كان أمراؤكم خياركم ، وأغنياؤكم سمحاءكم ، وأمركم شورى بينكم ، فظهر الأرض خير لكم من بطنها، وإذا كان أمراؤكم شراركم ، وأغنياؤكم بخلاءكم ، وأمركم إلى نسائكم، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها))

[الترمذي عن أبي هريرة]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (30- 49) : مقاييس أهل الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

اختلاف مقاييس أهل الدنيا عن أهل الآخرة :

أيها الأخوة الكرام ؛ ربنا سبحانه وتعالى في سورة الفرقان يبين لنا أن أهل الدنيا لهم مقاييسهم ، وأن هذه المقاييس ليست بشيء إذا قيست بما عند الله عز وجل . يقول الله عز وجل:

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾

[سورة الفرقان:7]

والحقيقة أن هذا الكلام ورد مرات عديدة في القرآن الكريم ؛ يأكل الطعام ؛ أي أنه مفتقر في وجوده إلى شيء خارج عنه ، إذاً : هو عبد لله ، أي إنسان الآن بلا طعام ولا شراب يموت ، فكل شيء يأكل يستمد وجوده من شيء خارج عنه ؛ هذا ليس إلهاً ، هذا عبد لله ، هذا حادث ، هذا مفتقر .

ويمشي في الأسواق ؛ مفتقر مرتين ؛ مرة إلى طعام يقيم أوده ، ومرة إلى ثمن الطعام ، يجب أن يسعى ، فالإنسان مفتقر مرة إلى أن يأكل ، ومرة إلى أن يكسب رزقه أو :

﴿ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾

[سورة الفرقان: 7-8]

بمقياس أهل الدنيا هذا الإنسان لا يكون نبياً ، إلا إذا كان غنياً ، عنده جنات ، عنده قصور ، عنده ملك كبير ، حتى يكون بنظر أهل الدنيا نبياً دقق في قوله تعالى :

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً﴾

[سورة الفرقان:10]

إذاً الإنسان عندما يثق بما عند الله ، الله عز وجل اختار لك الآخرة ، خلقك لها ، أعدك لها ، فالذين يحبون الاستمتاع في الدنيا خالفوا خطة الله عز وجل .

لما سيدنا عمر يأكل أكلاً طيباً يقول – يخشى أن تنطبق عليه هذه الآية– :

﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾

[سورة الأحقاف:20]

أي أنت مخلوق لسعادة أبدية ، وجئت إلى الدنيا كي تهيئ نفسك لهذه السعادة ، معظم الناس جاؤوا إلى الدنيا ، وأسقطوا من حسابهم الآخرة ، وجعلوا همهم الاستمتاع في الدنيا :

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً﴾

[سورة الفرقان:10]

التلازم بين الاستمتاع البالغ في الدنيا وبين نسيان الذكر :

يوجد حقيقة دقيقة ؛ أحياناً الإنسان الغنى الفاحش يحجبه عن الله عز وجل ، وأحياناً المشكلة تسوقه إلى باب الله. قال تعالى :

﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً﴾

[سورة الفرقان:18]

انظر التلازم بين الاستمتاع البالغ في الدنيا وبين نسيان الذكر ، يا ترى أيهما أولى أن يذكر الإنسان الله عزّ وجل أم أن يأتيه النعيم في الدنيا فيحجبه عن الله عز وجل ؟

جاء سيدنا جبريل إلى النبي عليه الصلاة والسلام قال :

((يا محمد إن الله يخيرك بين أن تكون نبياً عبداً أو نبياً ملكاً ؟ فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبريل عليه السلام كالمستشير، فأومأ إليه : أن تواضع . فقال رسول الله ﷺ : بل نبياً عبداً))

[الطبراني عن عبد الله بن عباس]

معنى هذا أن الحاجة إلى الشيء ، والمشكلات في الدنيا ، هذه تسوق العبد إلى الله و هذا أفضل في مصيره الأخروي ، من أن يكون غارقاً في النعيم ، ويكون هذا النعيم حجاباً بينه وبين الله .

أخواننا الذين زاروا مثلاً بلاداً نفطية ، غارقة في الترف والنعيم ، تشعر أن الغنى الفاحش حجاباً بينهم وبين ربهم، لا تسمع كلمة الله ، والذين عاشوا في حياة خشنة ، وأقبلوا على الله عز وجل ، ربما كانت هذه الحياة بحقّ هؤلاء أفضل من ذلك الغنى في حقّ هؤلاء ، فالإنسان يترك أمره إلى الله عز وجل ، وليستسلم لنصيبه من الله عز وجل، فهو خير له :

﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً﴾

[سورة الفرقان:18]

هذه الآية :

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾

[سورة الفرقان:23]

أنت قيمتك بإنجازك ، بعملك ، هذا العمل إذا كان مبنياً على منهج الله مع إخلاص، هذا العمل يتنامى يوم القيامة ، يتنامى ، يتنامى إلى ما لا نهاية ، أي كلما نظر إلى عمله ، أقبل على ربه ، فازداد سعادة .

حياة الإنسان حياة مديدة وأخطر مرحلة فيها الحياة الدنيا :

أنت الآن بأخطر مرحلة ، أنت حياتك تبدأ منذ أن كنت في عالم الذر ، يوجد عندنا عالم الصور ، هذا العالم، وفي عالم الذر ، بدأت حياتك منذ أن كنت في عالم الذر، وإلى أبد الآبدين ، هذه حياة مديدة لا نهائية ، أخطر مرحلة فيها الحياة الدنيا ، لماذا ؟ لأن نصيبك الأبدي متعلق بعملك في الدنيا ، المصير الأبدي متعلق بهذه السنوات التي تعيشها ؛ فبين أن يكون لك عمل ترقى به إلى أبد الآبدين ، وبين أن يكون عملك عند الله لا قيمة له ، فإذا جئت الآخرة :

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾

[سورة الفرقان:23]

فالأعمال التي يعملها الإنسان من أجل الدنيا تنتهي في الدنيا .

يوجد عندنا مقياس دقيق كل عمل الآن ، أنت خرجت من البيت صباحاً ، أنت الآن كائن متحرك ، هناك نشاط؛ نشاط قولي ، نشاط عضلي ، حركة ، مشي ، جلسة ، اجتماع ، صفقة ، بيع ، شراء ، مجموع نشاطك اليومي ، إذا كان هدفه شيئاً ينتهي عند الموت ، فهذا من الدنيا ، وإذا كان نشاطك اليومي يهدف إلى عمل تنتفع به بعد الموت فهذا من الآخرة ، فحبذا لو الإنسان كل دقيقة يراقب نفسه ، أنا الآن في عمل من أجل كسب المال ، وهذا المال ينتهي عند الموت ، هذا في الدنيا ، أما الآن أنا في مجلس علم ، الآن

في خدمة إنسان ، الآن في الدعوة إلى الله ، الآن في الأمر بالمعروف ، في النهي عن المنكر ، في تلاوة كتاب الله ، في طلب معرفة السنة النبوية، في زيارة أخ ، في عيادة مريض ، ما دام عملك متعلقاً بالآخرة ، هذا العمل الناجح ، والرابح ، ما دام تنتهي مكاسبه في الدنيا فهذا هو العمل الخاسر .

فدائماً راقب نفسك ؛ هذه الحركة ، هذا الكلام ، هذا اللقاء ، هذه الوليمة ، هذا السفر ، هذه الإقامة ، هذه السهرة، هذه الصفقة ، هذا الشيء ، ما نوع هذا العمل ؟ للدنيا أم للآخرة ؟ للدنيا ينتهي عند الموت ، وللآخرة يبدأ بعد الموت ، يبدأ بعد الموت ، فهذا مقياس دقيق لئلا يفاجأ الإنسان أن كل إنجازه في الدنيا لا قيمة له عند الله عز وجل .

إذا الإنسان عمل تجارة ، ربح منها مبلغاً ضخماً ، و كان هذا المبلغ مزوراً ، كان في بلد أجنبي ، وأخذ المبلغ ، وجاء ، وكان مزوراً ، ليس له قيمة ، بالعكس معه مسؤولية ، ألا يندم أشدّ الندم ؟

ضرورة طلب العلم من عالم موثوق بعلمه وإخلاصه :

الآن يقول الله عز وجل :

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾

[سورة الفرقان:27-29]

يبدو من هذه الآية أنه لا بد لك من قرين ؛ إما قرين مؤمن يأخذ بيدك إلى الله عز وجل ، وإما قرين كافر ، أو فاسق ، أو فاجر ، يرديك إلى النار لا سمح الله ، إذاً يوجد شخصان: الظالم يعض على يديه :

﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾

[سورة الفرقان:27]

لم لم يقل الله عز وجل : يا ليتني اتخذت سبيلاً مع الرسول ؟ ماذا نستفيد من تقديم الرسول ؟

نستفيد أنه لا بد في طريق الإيمان من أن تكون مع المؤمنين :

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾

[سورة الكهف:28]

لا بد من أن تتلقى العلم من إنسان حيّ .

الإمام الشاطبي في الموافقات يقول : "لا بد في طلب العلم من عالم تثق بعلمه وإخلاصه ".

لأنه من دون تلقي العلم عن إنسان ، الإنسان أحياناً يضيع بمتاهات كثيرةِ ، فربنا قدم الرسول على طريق الإيمان، لأنه أصل في طريق الإيمان :

﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾

[سورة الفرقان:27]

والندم دائماً يفيد إذا الإنسان مخير ، آيات الندم تفيد قطعاً لأن الإنسان مخير ، ولولا أنه مخير لما ندم :

﴿ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾

[سورة الفرقان:28]

فلذلك أخطر شيء بالإيمان أن تفحص أصدقاءك ؛ هناك أصدقاء يرقون بك إلى الله ، وأصدقاء يقربون صديقهم من النار ، أو من العذاب ، أو من غضب الله عز وجل ، فأخطر شيء في حياتك من تصاحب ؟ إلى من تجلس ؟ مع من تسهر ؟ من الذي توده ؟ من الذي تمحضه حبك ؟ هذا الإنسان خطير جداً ؛ فإما أن تختاره مؤمناً أرقى منك ، يرقى بك إلى الله ، وإما أن يكون هذا من أهل الدنيا ، فيقربك من الشقاء والعذاب :

﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا * وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾

[سورة الفرقان:29-30]

هجر القرآن الكريم بعدم تنفيذ أحكامه :

الحقيقة :

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾

[سورة مريم:59]

اتخاذ القرآن مهجوراً لا يعني أننا لا نقرؤه ، أو أننا لا نستمع إليه ، أو أنه ليس في مكان راق من بيوتنا ، لا يوجد بيت إلا و فيه آيات قرآنية ، في صدر البيت مصحف ، موضوع بعلبة فخمة جداً ؛ أحياناً مذهبة ، أحياناً مخمل ، فالقرآن موجود عندنا في بيوتنا ، وفي أماكن عملنا ، وفي مركباتنا ، ونقرؤه ، ونستمع إليه ، وفي التعزية نقرأ القرآن ، وفي كل مناسبة نقرأ القرآن ، أما اتخاذ القرآن مهجوراً فأن تهجر أحكامه ، ألا يكون

بيتك إسلامياً ، ألا تكون تجارتك إسلامية ، ألا يكون نشاطك الاجتماعي إسلامياً ، هجران القرآن يعني أن تدع تطبيق أمره ونهيه.

فأحياناً تجد شخصاً مسلماً ؛ حياته ، تجارته ، نشاطه ، حتى قضاء إجازاته بعيدة عن الدين ، بعيدة عن أحكام القرآن الكريم ، فهذا هو الهجران ، الهجران أن تهجر تنفيذ أحكامه، تجد ليس له قيمة ، لأنه :

((مَا آمَنَ بالقرآنِ مَن استحلَّ مَحَارِمَهُ))

[الطبراني في المعجم الكبير عن صهيب]

ورب تال للقرآن والقرآن يلعنه ، أنا مرة استوقفني شخص في أحد أسواق دمشق ، كنت أمشي في الطريق ، فلمحني ، فدعاني إلى محله التجاري ، عرض عليّ سؤالاً أنه خطب ابنته شاب من أهل الغنى واليسار ، إلا أنه في دينه رقة ، قلت له : اسمع الآية الكريمة :

﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾

[سورة البقرة:221]

قال لي : جزاك الله خيراً ، ثم علمت أنه زوّج ابنته لهذا الشاب الغني غير المستقيم، وبعد حين طلقها .

فقلت : الإنسان عندما يقرأ القرآن الكريم ، ولا ينفذ أحكامه ، يقول : صدق الله العظيم ، لسان حاله لا يصدق كلام الله عز وجل ، إذا الإنسان ما طبق أحكامه ، لسان حاله لا يصدق القرآن ، الدليل فعل عكس ما جاء في القرآن الكريم ، لو لم يفعل عكس ما جاء في القرآن الكريم لربح ، طبعاً : بعد فترة بسيطة – أعتقد أقل من شهر – كان الطلاق لا يحتمل ، الإنسان الفاسق لا يحتمل . إذاً ربنا قال :

﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾

[سورة البقرة:221]

أنت إذا قلت : صدق الله العظيم ، أي هذا الحكم صحيح ، فإذا خالفته ، معنى هذا أنك ما صدقت ربك عز وجل ، حينما تفعل عكس القرآن معنى هذا أنك ما صدقت الواحد الديان:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً﴾

[سورة الفرقان:31]

أحياناً إنسان يدلك على شيء ، لكن لا يملك أن يدعمك بالأدلة ، أما ربنا عز وجل إذا هداك ، إذا هداك إلى بابه ، فهو إله يحميك من خصومك :

﴿هَادِياً وَنَصِيراً﴾

[سورة الفرقان:31]

أحياناً يوجد دلالة ، ومعها مؤيد قانوني ، أحياناً يظهر قانون معه عقوبات ، الذي أصدر القانون يتمتع بالقوة، فإذا شخص خالفه ، يعاقب ، فأنت ترتاح إذا كان الله هو الهادي ، وهو القوي .

أحياناً شخص ضعيف يدلك على شيء تنفذه ، تقع بورطة ، يقول لك : أنا لا أستطيع أن أساعدك ، لكن عندما الإله تكون معه ، وأنت تمشي بدلالته ، وبهدايته ، هو يحميك، لا يتخلى عنك ، هذا الازدواج بالاسمين (هادياً ونصيراً) .

يقول لك شخص أحياناً : إذا فعلت هكذا يصبح معي كذا ، أي إذا نفذ حكم الله عز وجل يخسر ، أقول له : هكذا ظنك بالله ؟ ألأنك أطعته عاقبك ؟ هل هذه أخلاق الله عز وجل؟:

﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً﴾

[سورة الفرقان:31]

آيات الله الدالة على عظمته :

الآية قبل الأخيرة :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾

[سورة الفرقان:45]

إذا الإنسان جلس في بستان ، والشمس ساطعة ، يرى ظلّ الشجرة ، لكن لو تأمل هذا الظل ، الظل يتحرك ، حركة الظل دليل حركة الأرض في دورتها حول نفسها ، طبعاً حتى لا ندخل في التفاصيل هناك حركة إما من الشمس ، أو من الأرض ، العين الظاهرة ترى الشمس تتحرك ، تنتقل في قبة السماء من مكان إلى مكان، أما الحقيقة فالأرض تدور حول نفسها ، لكن هذا دليل قطعي على أنك على كوكب يتحرك :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾

[سورة الفرقان:45]

إن لم يكن هناك حركة من الأرض كان الظل ساكناً ، هناك حركة من الشمس ، أو في الأرض ، بعد ذلك :

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً﴾

[سورة الفرقان:46]

إذا الإنسان فكر ، أي شكل هندسي – مكعب ، متوازي مستطيلات ، موشور ، أسطوانة – له حروف ، فلو كانت الأرض أحد هذه الأشكال الهندسية ، لها حروف ، لجاء الضياء فجأة ، إذا كنا نحن على مكعب ، والمكعب يدور ، نكون بالظل و بعد ثانية واحدة نكون في الشمس ، لأنه يوجد له حرف ، أما الأرض فهي شكل هندسي وحيد يتداخل فيه الظل مع الضوء، هذا معنى :

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً﴾

[سورة الفرقان:46]

الآن : يؤذن المغرب ، الدنيا ما زالت مضيئة ، أنا ألاحظ أحياناً ثلث ساعة ، أو نصف ساعة إلا خمس دقائق ، حتى يصير الليل ، واضح أن هناك تدرجاً لطيفاً ، لولا أن الأرض كرة لما كان هذا التدرج ، أي شكل هندسي آخر ، يأتي الضوء فجأة ، والظلام فجأة ، و هذا شيء يؤذي الإنسان ، أما طلوع الفجر إلى شروق الشمس ، هذا :

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً﴾

[سورة الفرقان:46]

غياب الشمس إلى غياب الشفق الأحمر :

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً﴾

[سورة الفرقان:46]

هذه أيضاً آية من آيات الله الدالة على عظمته :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾

[سورة الفرقان:45]

بعد ذلك الله لطيف ، انظر إلى الظل تجده ساكناً ، ضع حجرة عند الظل ، وتحدث مع أخيك خمس كلمات، تجد الظل مشى مثل عقرب الساعة ، طبعاً عقرب الساعات ليس الدقائق يبدو ساكناً ، وهو في الحقيقة متحرك ، هذا من لطف الله عز وجل ، تجد الظل وأنت واقف ، لكن ضع علامة ، والتفت لعمل ، تجد أن الظل مشى :

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً﴾

[سورة الفرقان:46]

من قرأ القرآن وفهم معانيه وتدبر آياته فقد جاهد جهاداً كبيراً :

آخر آية :

﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾

[سورة الفرقان:52]

على من تعود هذه الهاء ؟ على القرآن الكريم أي إذا الإنسان قرأ القرآن ؛ قرأه مجوداً، وفهم معانيه ، وتدبر آياته، وشرحه للناس ، وطبقه ، هذا جهاد :

﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾

[سورة الفرقان:52]

بالقرآن ، والنبي الكريم يقول :

((خيرُكمْ من تعلّمَ القُرآنَ وعَلَّمَهُ))

[البخاري عن عثمان بن عفان]

فهذا من الجهاد ؛ أن تطلب علم القرآن ، وأن تفهم آيات القرآن ، وأن تتدبر آيات القرآن ، وأن تعلم القرآن ، وأن تطبق القرآن ، فهذا من الجهاد :

﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾

[سورة الفرقان:52]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (31 - 49) : لفتات في سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

النبي الكريم أرحم الخلق بالخلق :

أيها الأخوة الكرام ؛ كلكم يعرف خيط المسبحة أنه موجود ، ولكنه لا يُرى ، ودليل وجوده انتظام حبات المسبحة ، وفي سورة الشعراء محور كخيط المسبحة ، لا يُرى ظاهراً ، ولكنه موجود . من يستطيع أن يذكر هذا المحور ؟ من أول السورة إلى آخرها هناك محور واحد، وكل قصة كحبة من حبات هذه المسبحة .

هل هناك أوضح من الشمس في رابعة النهار ؟ أحد الأيام المشرقة ، والوقت ضحى، وبيتك باتجاه الجنوب ، والشمس في قبة السماء ساطعة منيرة ، وهذا مثل عربي ، يقول لك : هذه القضية كالشمس في رابعة النهار، ومع ذلك الأعمى لا يراها ، الإنسان إذا فتح عينيه، وكانت عيناه سليمتين ، ماذا يرى ؟ لو درجنا اللون الأخضر ثمانمئة ألف درجة ، العين السليمة ترى الفرق بين درجتين متجاورتين .

أنا مرة وصيت أخاً نجاراً على مكتبة ، وضع المكتبة أفقية ، قلت له : مائلة ، قال: لا ، أبداً ، أتى بالمتر ، وقاس البعدين ، فإذا هما متطابقان ، قلت : المسكة مائلة ، جاء بفرجار، وضعه في المكان الأول وقفله ، وضعه في المكان الثاني ، فرق ربع ميلي ، معنى هذا أن العين السليمة تدرك ربع ميلي فما دون ، فالمشكلة ليست مشكلة حجم الآية ، مشكلة ما إذا كانت العين مبصرة أم عمياء ، هذا محور السورة كلها . مثلاً :

﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة الشعراء :3]

لعلك تهلك نفسك من شدة رحمتك ، ومن شدة حرصك ، ومن شدة حلمك على ألا يكونوا مؤمنين ، لأنه هو أرحم الخلق بالخلق ، أولى الناس من أنفسهم .

((لو علمتم ما أعلم لبكيتم كثيراً ، ولضحكتم قليلاً))

[الحاكم في مستدركه عن أبي الدرداء]

تصور أماً لها أولاد ، وهم بعيدون عنها ، ولا تدري عن أخبارهم شيئاً ؛ مهماأكرمتها، مهما أطعمتها الطعام الطيب ، تقول لك : لست مشتهية ، نفسها مع أولادها ، فهذه رحمة الأم ليست بشيء أمام رحمة رسول الله ؛ فربنا عز وجل يواسيه ، ويسليه ، ويخفف عنه :

﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آَيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾

[سورة الشعراء :3-4]

الإيمان القسري سهل لكنه لا يسعد :

الإيمان القسري سهل ، لكنه لا يسعد ، لو أن الله أراد من عباده أن يقروا له ، لسلط عليهم مرضاً ، أو مصيبة ، لا يرفعها إلا إذا آمنوا ، لكن هذا الإيمان لا قيمة له إطلاقاً ، لا يرقى بهم ، ولا يسعدهم :

﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الشعراء :5-8]

هذا الكون بظاهرة النبات ، ظاهرة المطر ، ظاهرة الرياح ، ظاهرة الحرارة ، البرودة، إنبات النبات ، الطيور في السماء ، الأسماك في البحار ، إنجاب الأولاد ، خلق الإنسان ، تسلية كل شيء ، هذه آيات كافية ، وكل ما في الكون يدل على الله ، أما إذا الإنسان أعمى فلا يرى شيئاً .

الآن بحر ، الآن : طريق يبس ، ضربه هذا النبي العظيم بعصاه ، بحر خضم ضربه النبي بعصاه ، فإذا هو طريق بالبحر ، هذه آية صارخة جداً . قال :

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

[سورة الشعراء :8-9]

وهكذا تمشي السورة كلها . إذا الإنسان كانت عيناه مغمضتين ، مهما تكن الآية كبيرة لا يراها ، أما إذا فتح عينيه ، فسيرى أدق الأشياء ، فالمشكلة لا في كبر الشيء وصغره ، لا في دقة الآية وكبرها ، لا في قرب الآية وبعدها ، المشكلة فيما إذا كنت مبصراً أو غير مبصر ، هنا المشكلة ، فلذلك : ربنا عز وجل يذكر هذه القصص واحدة واحدة ، ويسلي النبي؛ أي يا محمد ، قوم موسى رأوا هذه الآيات ، قوم فرعون رأوا هذه

الآيات ولم يؤمنوا ، قوم صالح كذلك ، قوم إبراهيم ، وُضع إبراهيم في النار ولم يؤمنوا ، فالقضية قضية متعلقة بالإنسان ، إن لم يختر الإنسان الهدى ، لا يرى شيئاً .

آلة غالية ، غالية ، يوجد آلات تصوير ثمنها حوالي خمسمئة ألف ليرة الآن ، فيها ميزات كبيرة ، هذه الآلة الضخمة بلا فيلم لا قيمة لها ، لا ترى شيئاً ، ائت بآلة متواضعة جداً ، ضع فيها فيلم ، تجد أن هناك صورة، فالقضية ليست في كبر الآلة وصغرها ، فيما إذا كان في هذه الآلة شيء يستقبل اختيارك للهدى ، الاستقبال اختيارك ، إعراضك عن الهدى هو الرفض؛ فالقضية قضية اختيار شخصي ، قضية إرادة ذاتية ، قضية انطلاق إلى الله من ذات الإنسان ، إن لم يكن هذا لا ينفعه شيء .

على الإنسان أن يكون مع القلة المؤمنة لا مع الكثرة التائهة الشاردة :

هل في سورة الشعراء لفتات تلفت النظر عندكم خلال سماعكم لهذه الآيات هذه الليلة ؟ أول قصة : قصة سيدنا موسى مع فرعون ، القصة الثانية : قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، القصة الثالثة : قصة عاد ، قصة ثمود، هل هناك آيات تلفت النظر في هذه القصص ؟

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

[سورة البقرة :100]

أنت يجب أن تكون مع الأقل لا مع الأكثر ، هذا يستفاد من هذا الكلام ؛ كن مع القلة المؤمنة لا مع الكثرة الكاثرة ، كن مع القلة الملتزمة لا مع الكثرة المتفلتة ، كن مع القلة الهادفة لا مع الكثرة الضائعة ، هذا المعنى .

إذاً : إذا الإنسان قال : إن الناس كلهم هكذا ، هذا ليس دليلاً ، هذا دليل ضدك؛ كن مع المؤمنين ، كن مع الصادقين ، كن مع النخبة ، لا مع الكثرة التائهة والشاردة ، أيضاً :

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

[سورة الشعراء :9]

العزيز أي أن العزيز يحتاجه كل شيء في كل شيء ، هذا العزيز ، والرحيم أي ليست رحمة النبي بأشدّ من رحمة الله عز وجل ، والدليل قال تعالى :

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

[سورة آل عمران :159]

عمل كبير جداً أن يعبأ الله بالمؤمنين و يتجلى عليهم بأنواره :

إذاً من أواخر الفرقان ماذا تفهمون من قوله تعالى ؟

﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً﴾

[سورة الفرقان :77]

أنتم بخير ، والله يعبأ بكم ، عمل كبير جداً أن الله يعبأ بك ، أن الله مهتم بك ، أنه يطلبك إلى رحمته ، يدعوك إلى جنته ، يتجلى عليك بأنواره ، أراد أن يسعدك ، خلقك ليسعدك ، إذاً الله يعبأ بنا على علو جلاله، علو قدره ، وعظيم جلاله ، يعبأ بنا ، ومن نحن ؟ نحن عبيد عنده :

((لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص في ملكي شيئا))

[مسلم والترمذي عن أبي إدريس الخولاني]

﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾

[سورة الزمر : 7]

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ * رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾

[سورة الشعراء :78-83]

هذا دعاء سيدنا إبراهيم :

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾

[سورة الشعراء :83]

الحكم أن تكون ذا حكمة ، وأن تكون ذا علم ، وهذا أثمن شيء تناله من الله عز وجل .

أحد أكبر أبواب العذاب أن تدعو مع الله إلهاً آخر :

الآن : كان سيدنا عمر بن عبد العزيز – رحمه الله تعالى– كلما دخل إلى مجلس الخلافة ، يتلو هذه الآية ، وقد جعلها شعاراً له :

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ *مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾

[سورة الشعراء:205-207]

الإنسان لو تمتع ، لو غرق في النعيم ، لو أكل أطيب الطعام ، لو ارتدى أفخر الثياب ، لو ركب أغلى المركبات، لو سكن في أجمل البيوت ، لو اقتنى أجمل البساتين :

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ *مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾

[سورة الشعراء:205-207]

ثم يقول الله عز وجل في نهاية هذه السورة الكريمة :

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾

[سورة الشعراء:213]

أحد أكبر أبواب العذاب أن تدعو مع الله إلهاً آخر :

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة الشعراء:214-215]

مع الآية الثانية :

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الحجر:88]

يبدو أن الإنسان ينبغي أن ينتمي لمجموع المؤمنين ، يجب أن تحب كل مؤمن ، ولو لم يكن في جامعك ، هذه نظرة ضيقة تفتت قوة المسلمين :

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

[سورة الشعراء:214-220]

من آتاه الله قدرات في الإقناع ينبغي أن يسخرها في معرفته سبحانه :

ثم تأتي الآيات ، هناك آية أخيرة :

﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾

[سورة الشعراء:224-226]

إذا الإنسان اتخذ القدرات اللغوية هدفاً بلا مضمون ، هذا إنسان لاه ، وساه ، ولاغ:

﴿ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾

[سورة الشعراء:225-226]

أما إذا الإنسان آتاه الله قدرات في الإقناع فينبغي أن يسخرها في معرفة الله ، وفي الدعوة إليه .

دخل شاعر إلى عند ملك ، قال له الملك : وَ ؟ قال له الشاعر : إنَّ ، فقط ، قال له الملك : وَ ؟ لم يفهموا شيئاً ، الشاعر قال : إنّ وانتهى المجلس ، قالوا له : ماذا قال لك ؟ قال لهم : قال لي : إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ، قلت له : والشعراء يتبعهم الغاوون .

النمل من أرقى الجماعات في النظام و المعرفة :

إذاً من قصة سيدنا سليمان هل هناك من لفتة تذكرونها ؟ :

﴿ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾

[سورة النمل:18]

الآن البحوث الحديثة تؤكد أن النمل من أرقى الجماعات ، يضاف إلى دقة نظامها، وانضباطها ، واختصاصاتها، والتنسيق فيما بينها ، وتعاونها ، أنها تملك قدرة على التخاطب عن طريق روائح كيماوية ، وفيها معلومات عن مجتمع النمل لا تصدق ، ولا يستطيع مجتمع بشري أن يصل إلى مستواه ، لكن هذا بأمر لا تكليفي ولكن تكويني ، إلا أن الله أثبت للنمل فضلاً عن كل ذلك المعرفة ، النحل أثبت الله له النظام، لكن النمل يتميز عن النحل بالمعرفة ، والدليل :

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

[سورة النمل:18]

أي لا يعقل النبي أن يدوس نملة وهو يشعر ؛ فأضيف إلى التخاطب ، والنظام ، والتجمع ، والتنسيق ، والتعاون، وما إلى ذلك أضيفت المعرفة ، وهذا من السبق العلمي .

عوامل الهدى هي العقل الراجح والخضوع للعلم :

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾

[سورة النمل:42]

القرآن يعلمنا أشياء دقيقة ، أحياناً يكون الشخص في موقف حرج ، يُسأل سؤال ، لاختبار ذكائه ، هناك إجابة يسمونها : الدبلوماسية ، لا تؤخذ منها إطلاقاً ، تحتمل كل المعاني، فكأنه هو ، فإن كان هو ، قالت : كأنه هو، كأنه تعطي معنى ، وهذه إجابة دقيقة جداً ، فالإنسان يتبدى ذكاؤه .

مرة سيدنا الصديق سئل في الطريق : " من هذا الذي معك ؟ سيدنا النبي ، وكان ملاحقاً ، وكان دمه مهدوراً، وقد وضعت مئتا ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً ، ماذا يقول ؟ لا يكذب ، الصديق لا يكذب ، قال له: هو رجل يهديني السبيل ، فتوهم السائل أنه دليل طريق ، وأراد الصديق أنه يدله على الله عز وجل" .

فأحياناً الجواب الدقيق :

﴿قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾

[سورة النمل:42]

لماذا فعل هذا سيدنا سليمان ؟ لأن سيدنا سليمان نبي ، وهو يعلم علم اليقين أن عوامل الهدى هي العقل الراجح، والخضوع للعلم ، فبتنكير العرش امتحن عقلها ، وباللذة حجَّمها .

ملكة وجدت ماء بالقصر ، فكشفت عن طرف ثوبها لئلا يبتل :

﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ﴾

[سورة النمل:44]

هذا بلور ، أي صغرت ، حجَّمها ، وامتحن عقلها ، والإنسان إذا أراد أن يعلم عليه أن يمتحن عقل الآخرين، والعاقل يستفيد أكثر من غير العاقل ، فهذه نستفيد منها .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (32- 49) : لطائف من سورة السجدة والإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

التّعلم هو الطريق الوحيد إلى المعرفة :

أيها الأخوة الكرام ؛ ربنا سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾

[سورة النحل :78]

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((إنما العلم بالتعلم))

[الطبراني في المعجم الكبير عن معاوية]

فالإنسان حينما خرج من بطن أمه ، لا يعلم شيئاً إطلاقاً ، والنبي -عليه الصلاة والسلام- يقول :

((إنما العلم بالتعلم))

[الطبراني في المعجم الكبير عن معاوية]

فالتعلم هو الطريق الوحيد إلى المعرفة ، والتعلم طلب العلم . والله عز وجل يقول :

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة النحل:43]

وفي آية أخرى :

﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾

[سورة الفرقان:59]

في شؤون الدنيا يجب أن تستشير أهل الخبرة من المؤمنين ، وفي شؤون الدين والآخرة يجب أن تسأل به خبيراً ، وربنا عز وجل صاغ بعض الآيات القرآنية صياغة فيها امتحان .

أنا أقول لإنسان : أعطه ألفاً وخمسمئة درهم ، نص واضح كالشمس ، لا يحتمل أن أكشف خبايا هذا الإنسان، أما إذا قلت : أعطه ألف درهم ونصفه ، فالإنسان الكريم يفهمها ألفاً وخمسمئة ، والإنسان الحريص يفهمها ألفاً ونصف درهم ، يرجع الضمير على الدرهم ، والأول يرجعه على الألف ، فهذا النص فيه امتحان.

وربنا عز وجل لحكمة بالغة بعض الآيات الكريمة سماها العلماء (متشابهات) ، أي ممكن أن تفهمها فهماً سيئاً ، لا يليق بكمال الله ، ولا يليق بأسمائه الحسنى ، ولا بصفاته الفضلى ، ولك أن تفهمها فهماً يعبر عن حسن ظنك بالله عز وجل .

حجم معرفة الإنسان بالله يعينه على فهم كلامه سبحانه :

هناك نقطة دقيقة باللغة أن الكلمة كل إنسان يُحمّلها ما في نفسه .

مرة ضرب لنا أستاذ في الجامعة مثلاً : أن إنساناً يمشي في الطريق ، سمع كلمة كرسي ، لو أن هذا الإنسان حلاق ، عنده كرسيان في محله ، وهو بحاجة إلى كرسي ثالث ، مساحة خواطره ساعة أو أكثر ، وهو في حيرة من أمره ؛ أيأتي بكرسي ثالث ؟ يحتاج إلى موظف ، وهناك ضريبة تزيد عليه في المالية ، يمشي ساعة و هو يفكر أن يأتي بكرسي ، يبقى على كرسيين ، يريد موظفاً ثالثاً ، هناك ضرائب ، و تأمينات ، و ازدياد بحجم العمل ، الكلمة نفسها يسمعها أستاذ في الجامعة ، لم يتح له أن يكون أستاذاً ذا كرسي ، بينما أقل منه خبرة وعلماً ، يحتل هذا المنصب ، يمضي ساعة أو أكثر ، وهو يتألم أشدّ الألم ، لأنه لم يأخذ حقه في عمله ، هذا الذي يحتل هذا المنصب ، أقل منه علماً ، وخبرة ، وشهادة ، فماذا يفعل ؟ إلى من يشتكي ؟ ماذا يقول ؟ ماذا يعمل ؟ أيترك الجامعة ؟ أيبقى فيها ؟ أيبحث عن جامعة أخرى ينتقل إليها ؟ إلى آخره .

الكلمة واحدة ، أيضاً سمع هذه الكلمة إنسان متعب ، تمنى كرسياً يجلس عليه ، ويرتاح ، فالإنسان يحمل كل ما في نفسه ، كل إنسان له معرفة بالله ، حجم معرفته بالله يعينه على فهم كلام الله . مثلاً الآية :

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

[سورة السجدة:13]

يبدو من الآية أن الله لم يشأ أن يهدي عباده ، لو أراد لفعل :

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

[سورة السجدة:13]

هذا المعنى الذي يتبدى ، أول ما يتبدى من الآية لا يليق بحضرة الله إطلاقاً ، ولا بكماله ، خلقنا ليهدينا ، لكن معنى الآية أن العباد أحياناً يعْزون أخطاءهم ، وانحرافهم ، ومعاصيهم إلى الله :

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾

[سورة الأنعام:148]

كل إنسان يخطىء ، يميل أن ينسب الخطأ إلى غير ذاته ، وكل إنسان يصيب ، يميل أن ينسب إلى ذاته ، لا أحد قال لك إطلاقاً : الله قدر عليّ الهدى ، ماذا أفعل ؟ لا ، يقول لك : أنا ، أنا اهتديت ، أما إذا شرب ، وانحرف ، و لم يصلّ ، يقول لك : هكذا كتب لي الله ؛ انظر إلى أخطائه ، وتقصيراته ، وانحرافه ، ومعاصيه ، وفجوره ، يعزو هذا كله إلى الله عز وجل ، فالإنسان يميل إلى أن يتنصل من المسؤولية ، يلقي التبعة على غيره دائماً ، فالله عز وجل ردّ على هؤلاء .

إذا أنتم زعمتم يا عبادي ، أنني أجبرتكم على المعاصي ، وقدرتها عليكم من غير إرادة منكم ، فأنتم واهمون، لأنني لو أردت أن أجبركم على شيء ما لأجبرتكم على الطاعة لا على المعصية ، على الهدى لا على الضلال، على الاستقامة لا على الانحراف ، ولو شئنا أن نسلبكم اختياركم ، وأن نلغي تكليفكم ، وأن نلغي امتحانكم ، وأن تكونوا أنتم مسيرين لا مخيرين :

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾

[سورة السجدة:13]

لكن هذه الأفعال التي تفعلونها هي محض اختياركم ، هي من كسبكم ، وسوف تحاسبون عليها :

﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

[سورة السجدة:13]

ففرق كبير بين أن تعزو الظلم إلى الله عز وجل وأنت لا تشعر ، وبين أن تفهم أن الإنسان خلق مخيراً ، وخلق مكتسباً ، وأعطي منهج الحق ومنهج الباطل ، فله أن يمشي هكذا :

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾

[سورة الإنسان:3]

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾

[سورة البقرة:148]

فشتان بين المعنيين ؛ معنى يقربك من الله عز وجل ، ومعنى يطلقك إلى العمل الصالح ، ومعنى يلغي كل حجة تحتاج بها ، ومعنى آخر يثبط عزيمتك ، ويشل قواك ، ويجعلك كالخرقة التائهة :

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

[سورة السجدة:13]

يستنبط من هذه الآية : أن الإنسان ليس له حق أن يفهم القرآن فهماً سقيماً ، أو فهماً منحرفاً ، أو فهماً ساذجاً ، أو فهماً سطحياً ، وله أن يسأل .

والله عز وجل قال :

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآَنَ لِلذِّكْرِ﴾

[سورة القمر:17]

الجماعة رحمة :

وهناك آيات الله عز وجل قال :

﴿مِنْهُ آَيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾

[سورة آل عمران:7]

آيات العقائد لا تحتمل التأويل ، آيات العقائد قطعية الدلالة ، آيات الأحكام الحرام والحلال قطعية الدلالة ، لا تحتمل التأويل أبداً ، لكن الله سبحانه وتعالى لحكمة بالغة ، ولعل من هذه الحكمة أنه أراد أن نجتمع . قال :

((عليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية))

[أحمد في مسنده والترمذي والحاكم عن عمر]

كيف نجتمع ؟ لو أن القرآن جعله الله كله قطعي الدلالة ، لا ظني الدلالة ، ما احتاج إنسان إلى إنسان ، تفرقنا ، لكن هذا الاجتماع بسبب أن هناك آيات تحتاج إلى تفسير ، أنت بحاجة مثلاً لهذا التفسير ، هذا القصد : الاجتماع .

أنا مرة ذكرت لكم من أسبوعين فيما أعتقد أن صلاة الجماعة شرعت في القرآن ، وأنت تواجه العدو، في خط المواجهة الأول ، فلو كانت الصلاة فردية لما احتاجت إلى تشريع .

جيش مؤلف من خمسين ألفاً ، وكل شخص يصلي لوحده وراء شجرة خمس دقائق ، تنتهي العملية، لكن الله عز وجل في القرآن الكريم شرع لنا صلاة الجماعة ، ونحن في خط القتال الأول ، لماذا ؟ لأن اجتماعنا يريده الله عز وجل .

((عليكم بالجماعة))

[الترمذي عن عبد الله بن عمر]

((يَدُ اللهِ مع الجماعةِ))

[الترمذي عن عبد الله بن عباس]

((ومن شذّ شذّ في النار))

[الترمذي عن عبد الله بن عمر]

أنا أضرب لكم مثلاً ؛ ذكر لي أخ مرة ، أنه كان يعمل رياضة مع جماعة – ركض، وألعاب قوى ، وما شاكل ذلك – مرة قال : أنا سأجري لوحدي ، يقول : مضى خمس سنوات أو ست ولا مرة خرج لوحده ، فالجماعة رحمة.

الآن لو كان لوحده في البيت جالساً ينام ، أغلب الظن ينام ، يصلي ركعتين بسرعة و ينتهي ، هنا نصلي ركعتين نقرأ حوالي أربع صفحات . الله قال :

﴿وَقُرْآَنَ الْفَجْرِ﴾

[سورة الإسراء:78]

من التفسيرات اللطيفة لقرآن الفجر ، بالبلاغة أحياناً نعبر عن الشيء ببعض أجزائه، أو نعبر عن الجزء بالكل . مثلاً الله عز وجل قال :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[سورة الحج:77]

اركعوا واسجدوا ما معناها ؟ أي صلوا ، الله لم لم يقل صلوا ؟ قال : اركعوا واسجدوا، عبر عن الصلاة بجزأيها ، لماذا ؟ إبرازاً لقيمة الركوع والسجود ، لأن أبرز ما في الصلاة أن تخضع لله ، أن تحملك على طاعة الله ، وأن تحملك على الافتقار إليه ، الطاعة ، والافتقار ، فأغفل اسم الصلاة ، وقال : اركعوا واسجدوا ، ومن ألطف التفسيرات في قوله تعالى:

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآَنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآَنَ الْفَجْرِ ﴾

[سورة الإسراء: 78]

دلوك الشمس : زوالها عن قبة السماء ، دخل فيها الظهر والعصر :

﴿ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾

[سورة الإسراء: 78]

غسق الليل : اجتماع الظلمة ؛ أي غياب الشفق الأحمر ، دخلت فيها صلاة المغرب والعشاء :

﴿ وَقُرْآَنَ الْفَجْرِ ﴾

[سورة الإسراء: 78]

أبرز ما في صلاة الفجر الآيات ، لذلك النبي الكريم كان يقرأ في صلاة الفجر ستين آية ، أو تزيد.

أي الإنسان يستيقظ مرتاحاً فأهم شيء أن يسمع القرآن مرتلاً كي تستوعبه نفسه ، فربنا عز وجل عبّر عن صلاة الفجر بقرآن الفجر ، وقد قال ﷺ :

((مَنْ صَلَّى الفجر في جماعة))

[الترمذي عن أنس بن مالك]

إذاً : الله عز وجل أرادنا أن نجتمع ، أرادنا أن نتعاون ، لأن الإنسان بالجماعة ، ينشأ في الجماعة ما يسمى بروح الجماعة ، هذه الروح فيها تنافس أحياناً ، فيها انضباط ، فيها تصحيح مسار .

أحياناً تجد أخاً ، إقباله على الله زائد ، هذا الأخ يشيع من حوله مثلاً شيء من الزخم الروحي ، الإنسان يشتهي أن يكون مثله ، لولا أن لك أخاً تبعك في هذا المجال ، لا تشتهي أن تكون مثله أنت ، فالإنسان لوحده لا يوجد عنده مقياس ، لوحده يشتهي المقياس ، لكن مع أخوانه هناك إنسان سبقه ، و آخر تفوق بفكره، و الثالث تفوق بإخلاصه ، و الرابع باتصاله بالله ، و الخامس بعبادته ، أنت أمام نماذج متفوقة ، فهذا مما يؤكد أن صلاة الجماعة – كما قال عليه الصلاة والسلام– تعدل صلاة الفرد أو المفرد بسبعة وعشرين ضعفاً .

الله قال :

﴿ وَقُرْآَنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآَنَ الْفَجْرِ ﴾

[سورة الإسراء: 78]

من حوالي عشرين سنة ألفت كتاباً للثالث الثانوي ، خطر في بالي أن أطرح بكل صفحة سؤالاً ، لا أجيب عليه ؛ سؤال في اللغة ، أو في البلاغة ، أو في القواعد ، حكمة هذا السؤال أن هذا الطالب سيسأل أستاذه ، صار هناك نشاط علمي ، لم يعد درساً تقليدياً ، هناك سؤال : أن حتى لها ثلاثة إعرابات ، هل تعرفها مثلاً؟ اسأل عنها أستاذك الكريم ، بآخر الصفحة ، بالحاشية ، كل صفحة يوجد سؤال ، أداة من الأدوات ، قضية ، فالطالب عندما يجد مشكلة يسأل عن حلها ، لا يوجد حل.

أنا قصدت ألا يكون هناك جواب ، حتى أجعل للطالب علاقة مع المدرس ، علاقة علمية .

الجليس الصالح خير من الوحدة و الوحدة خير من جليس السوء :

ربنا عز وجل كان من الممكن أن تكون آيات القرآن الكريم كلها قطعية الدلالة ، لا تحتاج إلى تفسير ، ولا إلى درس علم إطلاقاً ، إذاً : التغت الجماعة ، أما عندما يكون الإنسان بحاجة إلى أن يفهم كلام الله فهماً عميقاً ، فيرتاد مسجداً ، يأنس بدرس ، يتحمس ، يتنافس مع أخوانه ، يستأنس ، يندفع ، يكون هناك باعث ، هذا من حكمة ربنا ﷻ في حثنا على صلاة الجماعة ، وفي حثنا على أن نكون مجتمعين ، لذلك الحكمة الثابتة : الجليس الصالح خير من الوحدة ، ولكن الوحدة خير من جليس السوء .

الوحدة ، والانعزال ، والتفرد ، أفضل مليون مرة من أن تجلس في مجلس فيه غيبة، ونميمة ، ونساء ، وفسق، وفجور ، إلى آخره . لكن مجلس ذكر إن انضممت إليه أفضل ألف مرة من أن تبقى وحدك ، لأن الشخص إذا صلى الفجر في جماعة ، صار هذا الشيء ثابتاً في حياته ، صار له مكانة بالمسجد ، إذا غاب ؛ هناك من يسأل عنه ، هناك من يفتقده ، هناك من يتصل به هاتفياً ، شعر بكيانه ، صار يفهم ، لكن صلاة الجماعة لها لوازم ، أنت دائماً توازن نفسك مع الآخرين ، فهذا كله ببركة أن هناك آيات متشابهات ظنية الدلالة .

الحكمة من العذاب في الدنيا :

الآية الثانية في سورة السجدة تفسر كل ما في الأرض من مشاكل ، الأرض يقول لك : ممتلئة بالمشكلات ؛ و الأمراض ، مع إتلاف محاصيل ، و حروب أهلية ، و اجتياحات ، على مشكلات لا يعلمها إلا الله ، كل ما في الأرض من أشياء مزعجة ، مخلوقة في آية واحدة :

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[سورة السجدة:21]

هذه الآية ممكن أن تفسر كل شيء فيها في الأرض ؛ أمراض ، فقر ، قهر، حرمان ،حروب أهلية، فيضانات، زلازل ، براكين :

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[سورة السجدة:21]

وهناك آية قرآنية توضح ذلك ، في سورة القلم لما ربنا عز وجل ذكر أصحاب الجنة الذين أرادوا أن يجنوا الثمار، دون أن يعطوا الفقير حقه . قال :

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾

[سورة القلم:19]

موجة صقيع قضت على كل المحصول في اليوم الثاني . قال :

﴿إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾

[سورة القلم:26-29]

هذا ليس بستاننا ، الله عز وجل قال :

﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة القلم:33]

كل العذابات في الدنيا من أجل هذا ؛ من أجل أن تُسبّح ، من أجل أن تتوب ، من أجل أن تعود إلى الله عز وجل :

﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة القلم:33]

فربنا عز وجل يريد أن يتفادى لك العذاب الأشد للعذاب الأقل :

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[سورة السجدة:21]

فهذه الآية تجعلك تحسن الظن بالله عز وجل ، كل ما في الأرض من مآس ، من نكبات ، من مشكلات ، إنما هي عذاب أدنى ، لعل الإنسان يتلافى به العذاب الأكبر .

الحكمة من أن الاغتراب بالزواج أفضل من الاقتراب :

بقي في سورة الدهر :

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾

[سورة الإنسان:2]

الحوين عندما يدخل إلى البويضة ، ويتم التلقيح ، ويبدأ الانقسام ، قد يغيب عن الذهن أن على الحوين من المورثات ، ومن المعلومات المبرمجة التي تشكل الجنين ما يزيد عن خمسة آلاف مليون معلومة ، وكذلك في البويضة ، فحوالي عشرة آلاف مليون معلومة هذه تندمج ، وتتحد ، وتشكل الصيغة المتحدة ، لهذا النبي الكريم قال :

((اغتربوا ولا تضووا))

[ورد في الأثر]

إذا كان هناك صفتا ضعف بالبويضة والحوين ، الضعف يزداد ، أما إذا كانت الصفتان متناقضتين فالضعف يتلاشى ، لذلك :

((اغتربوا ولا تضووا))

[ورد في الأثر]

الاغتراب بالزواج أفضل من الاقتراب ، أي إذا كان الزوجان من أسرة واحدة أولاد عم مثلاً، ممكن أن يكون هناك ضعف خلقي ، يتكرس الضعف الخلقي ، والآن : عرفوا ثمانمئة معلومة من الخمسة آلاف مليون ، وأكبر موضوع الآن يشغل العالم (الهندسة الوراثية)، أي يستطيعون أن يغيروا بالمورثات ، حتى يكون الجنين كما يريدون ، هذا حلم ، يمكن أن يسمح الله لهم بتحقيق بعضه ، أو عدم تحقيقه .

الإنسان مخير لا مسير :

آخر الآيات التي نريد أن نقف عندها وقفة قصيرة :

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آَثِمًا أَوْ كَفُورًا * وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا * إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾

[سورة الإنسان:24-27]

انظر الوصف ما أدقه! :

﴿ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾

[سورة الإنسان:27]

يلحقون الدنيا :

﴿ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾

[سورة الإنسان:27]

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً﴾

[سورة الإنسان:28]

قال : أتوا بنصفي كرة وطابقوهما على بعضهما ، حصانان من أشد الأحصنة ، ما تمكنا أن يفتحا هذه الكرة التي فرغت من الهواء ، وثبت أن بعض المفاصل في الجسم أيضاً مفرغة من الهواء ، أي هذه الكرة ضمن مجالها ، فتفريغ الهواء يجعل الشد من أمتن أنواع الشد .

الآن أحياناً إذا كان السطحان أملسين مئة في المئة ، تطابقا على بعضهما ، من الصعب نزعهما إذا التغى الهواء ، فإذا ألغي الهواء صار هناك قوة شدّ كبيرة جداً :

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴾

[سورة الإنسان:28]

الإنسان متين ، الأب يحمل ابنه من يده ، ولا تخرج من مكانها ، لأنها مدروسة ؛ مفاصل الكتف وعظم الكتف مترابطان ترابطاً شديداً جداً :

﴿ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً* إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾

[سورة الإنسان:28-29]

أنت مخير :

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

[سورة الإنسان:30]

لولا أن الله شاء لك أن تشاء لما شئت ، هذا المعنى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

[سورة الإنسان:30-31]

هو حسب الظاهر : من يشاء ، لكن قال لك :

﴿ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

[سورة الإنسان:31]

لا أدخلهم في رحمتي ، أي أدخل غير الظالمين في رحمتي ، معنى هذا أن مشيئة الله عز وجل واضحة و ليست مشيئة اعتباطية أو مزاجية :

﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

[سورة الإنسان:31]

لا يدخلهم في رحمته ، معنى يدخل غير الظالمين أصبحت رحمته مقننة :

﴿ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

[سورة الإنسان:31]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (33- 49) : القوانين والأحكام الكونية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم :

أيها الأخوة الكرام ؛ في سورة النمل آية من آيات السبق العلمي ، هل تذكرونها ؟

في أواخر النمل آية من آيات السبق العلمي ، أو الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾

[سورة النمل:88]

جيد ، آية أخرى ؛ لكن دقيقة ، هذه الآية التي تفضل بها الأخ ، قبلها آية :

﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ * وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾

[سورة النمل:87-88]

هذا الإنسان الأعرابي الذي يعيش في البداية إذا قرأ هذه الآية من قوله تعالى :

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾

[سورة النمل:88]

كيف يفهم هذه الآية ؟ الجبل راسخ ، أمامه معطيات العلم الآن واضحة ، أما في عهد النبي ، في عهد أصحابه الكرام الأمور لم تكن واضحة ، فكيف نفهم هذه الآية ؟

أي حكمة الله عز وجل أن جاء بهذه الآية بعد آية يوم القيامة ، فإذا عجب أن الجبال تتحرك ، فهذا يوم القيامة ، أما نحن فنعلم علم اليقين أن الأرض تدور حول نفسها ، وسرعتها ألف وستمئة كيلو متر بالساعة ، طبعاً أسرع طائرة نفاثة ، أكبر الطائرات العادية سرعتها تقدر بثمانمئة وخمسين ، سبعمئة وخمسين ، والطائرات التي تتجاوز سرعتها سرعة الصوت تزيد عن هذا العدد ، معنى هذا أن الأرض مع الجبال تدور بسرعات مذهلة ، هذه حول نفسها ، أما حول الشمس فثلاثون كيلو متراً في الثانية ، فروعة نظم القرآن أن هذه الآية جاءت قبل آية يوم القيامة ، فإذا استعظمها إنسان معطيات العلم عنده ضعيفة ، فيفهمها أنها يوم القيامة ، أما نحن فنفهمها أنها في الدنيا .

من حكمة الخالق عدم تفسير النبي الكريم الآيات الكونية :

بالمناسبة : كأن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى نبيه ألا يفسر الآيات الكونية في القرآن الكريم ، بينما تجد مئات الأحاديث الشريفة تتحدث عن أحكام الفقه ، مئتا حديث في البيوع ، ما من حكم شرعي تكليفي إلا وفيه فيض كبير من أحاديث رسول الله ، إلا أنك إذا ذهبت لتبحث في حديث رسول الله عن بيان وتفصيل لآيات القران الكونية ، تجدها إما معدومة، أو قليلة جداً ، وهذا من حكمة الشارع العظيم ، لأن النبي –عليه الصلاة والسلام– لو فسرها تفسيراً بسيطاً ، يتناسب مع من حوله ، مع معطيات العلم ، لأنكرنا عليه هذا التفسير نحن ، ولو فسرها تفسيراً يتناسب مع التقدم العلمي ، لأنكرها عليه أصحابه ، لذلك : كأن الله سبحانه وتعالى أوحى إليه أن هذه الآيات الكونية دعها للتطور العلمي في كل عصر ، ومعنى أن القرآن الكريم معجزة مستمرة أنه كلما تقدم العلم كشف جانباً من جوانب هذه الآيات .

أضرب لكم مثلاً بسيطاً :

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾

[سورة الطارق:11]

فهمها العلماء سابقاً أن هذا البخار يتصاعد إلى السماء ، والسماء ترجعه مطراً ، كلام سليم ، ثم حينما وجدنا أن في الأجواء العليا طبقة ، سماها العلماء الأثير ، إن جاءت الكهرباء الكهرطيسية إليها ردتها إلى الأرض ، ولولا هذه الطبقة لما كان هناك إذاعة تصدح أصواتها في الآفاق ، هذا تفسير آخر ، ثم تبين أن كل كوكب في الكون، يدور حول كوكب آخر في مسار مغلق ، إذاً : حركة الكواكب كلها في مسارات مغلقة ، إذاً : الكوكب ينطلق ويرجع إلى ما كان عليه ، إذاً : كلما تقدم العلم كشف جانباً من عظمة هذه الآيات الكريمة .

لما ربنا عز وجل قال :

﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

[سورة ياسين:40]

كلٌّ : تفيد التنكير الشديد ؛ أي شيء خلق في هذا الكون يدور ، وهذا أحدث ما قاله علماء الذرة : نظام الكون نظام موحد ، بدءاً من الذرة وانتهاء بالمجرة .

آيات أخرى من آيات الإعجاز العلمي :

حسناً : يوجد آية أخرى من السبق العلمي ، في أواخر سورة النمل :

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً﴾

[سورة النمل:61]

طبعاً الذي ثبت أن مياه البحرين لا تختلطان ؛ لكل بحر مكوناته ، وكثافته، وملوحته ، وخصائصه ، ومياه البحرين لا تختلطان ، هذه الآيات لم يُعرف تفسيرها ، إلا حينما اكتشفت المراكب الفضائية خطوطاً متحركة في اتصال البحرين ، كباب المندب مثلاً ، وكخليج البوسفور مثلاً ، وكجبل طارق مثلاً ، كل بحر له مكوناته الخاصة ، ولا تختلط بمياه البحر الأخرى .

يوجد آية ثالثة في آخر النحل :

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ﴾

[سورة النمل:59]

هذه عامة ، من الثابت أن الإنسان إذا فقد بعض الحواس ، تنمو حواسه الأخرى ، هذا شيء ثابت ، فالأصم بإمكانه أن يفهم معظم كلامك ، وهو لا يسمع صوتك ، من حركة الشفاه ينشأ عند الأصم قدرات بالفهم عالية جداً .

أنا مرة زرت إنساناً يعمل في بخ غرف النوم ، وهذا الإنسان لا يتكلم ، أخرس ، عنده طفل صغير ، سألته عن جامع ، فأشار إليّ أن أفهم هذا الطفل الصغير ، أفهمته ، فإذا بهذا الصغير يخاطب صاحب المحل خطاباً بالحركات ، أنا أعجز عن محاكاتها ، وعن فهم دقائقها ، قلت : سبحان الله ! لا يوجد حاسة يفقدها الإنسان إلا وتنمو الحواس الأخرى . الآية :

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾

[سورة النمل:80]

الأصم من حركة الشفاه يعلم . أما إذا حجب الأصم عن أن يرى فعندئذ لا يسمع :

﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾

[سورة النمل:80]

هذه حقيقة من حقائق خلق الإنسان .

الآية التالية تملأ قلوب الضعفاء ثقة بالله عز وجل وحباً له :

ممكن أن تستنبط من أوائل آيات سورة القصص قانوناً ، الله ﷻ يطبقه على عباده في كل الأزمنة والأمكنة :

﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾

[سورة القصص:5]

والله أيها الأخوة ؛ ما من آية تملأ قلوب الضعفاء ثقة بالله عز وجل وحباً له كهذه الآية ، أي إذا الإنسان الله شاء له أن يكون مستضعفاً ، الإنسان إما أن يكون قوياً ، وجباراً ، كلامه ينفذ ، وإما أن يكون مستضعفاً ، فلو أن الله عز وجل شاء لك أن تكون مستضعفاً ، لا تملك قوة ، كل الآخرين أمرهم نافذ فيك ، أما أمرك فلا ينفذ في أحد ، هذا معنى كلمة مستضعف ، لو أن الله عز وجل شاء لك أن تكون مستضعفاً ، لا تنس أن الله سبحانه وتعالى خصك بهذه الآية :

﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾

[سورة القصص: 5-6]

إذا الإنسان كان مستضعفاً ، ودخل الجنة ، أليس هذا أفضل مليون مرة من أن يكون قوياً ومصيره لا إلى الجنة؟ هذا شيء ثابت .

هل مرّ معنا في سورة القصص آية تفيد أن الحظوظ التي أعطاك الله إياها يجب أن توظفها للدار الآخرة وللحق؟:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾

[سورة القصص:77]

من أجل أن نفهم هذه الآية ، نصيبنا من الدنيا أن نتعرف إلى الله ، وأن نطيعه ، فأن نأتي إلى الدنيا ، وأن نخرج منها ، مع نسيان مهمتنا ، هذا من الخسارة الكبيرة في حق الإنسان .

العبر المستنبطة من قصة سيدنا شعيب مع سيدنا موسى :

قصة سيدنا شعيب مع سيدنا موسى :

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾

[سورة القصص:23]

ما معنى وأبونا شيخ كبير ؟ أيضاً المرأة إذا خرجت ، ينبغي أن تخرج لضرورة ، هذا أول حكم مستنبط .

الحكم الثاني : إذا كنت أنت بموقف كأنه مشبوه ، ماذا عليك أن تفعل ؟ عليك أن توضح .

ورد في الأثر : " البيان يطرد الشيطان" . فتاتان تسقيان ، والرجال كثيرون على النبع ، أو على البئر ، ما مكان هاتين الفتاتين هنا ؟ :

﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾

[سورة القصص:23]

أي نحن مضطرات أن نخرج لسقي الغنم .

شيء آخر : استنباط اجتماعي ؛ لا ينبغي للمرأة أن تزاحم الرجال :

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾

[سورة القصص:24]

ما هو الفقر الحقيقي وما هو الغنى الحقيقي من هذه الآية ؟ العمل الصالح ، أنت غني عند الله إذا أجرى الله على يديك الأعمال الصالحة ، وأنت فقير عنده لو كان معك ألف مليون ، إذا حرمت من الأعمال الصالحة:

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾

[سورة القصص:24]

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾

[سورة القصص:25]

ما الذي أعجب سيدنا موسى في هاتين الفتاتين ؟ حياؤهما ، أجمل ما في المرأة حياؤها ، وما أقبح منها إذا ذهب من وجهها الحياء ، واسترجلت ، ونظرت بحدة نظر ، وتكلمت كلاماً قبيحاً ، ورفعت صوتها ، عندئذ تفقد أنوثتها، وحينما تفقد المرأة أنوثتها ، تفقد كل جمالها.

ما الذي أعجب هاتان الفتاتان في سيدنا موسى ؟ قوته وأمانته :

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾

[سورة القصص:26]

سيدنا شعيب هل فهم من ابنتيه شيئاً غير أن :

﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾

[سورة القصص:26]

بعد أن قالتا هذا الكلام :

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾

[سورة القصص:27]

كما أنه أعجب بحيائهما ، أعجبتا بقوته ، وأمانته ، وعفته ، ولم ينظر إليهما فيما تروي الكتب ، وحينما سارا سار أمامهما ، وقال لهما : دلاني على الطريق ، إذاً : أعجب بحيائهما ، وأعجبتا بقوته ، وأمانته ، وعفته .

حسناً ما الذي يؤكد لكم أن سيدنا موسى حينما وكز هذا القبطي فقتله لم يكن مذنباً إطلاقاً ؟ لما قصّ على سيدنا شعيب قصته :

﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة القصص:25]

معنى هذا أن سيدنا موسى ما فعل شيئاً ، هذا قضاء الله وقدره ، هو دفعه دفعاً لطيفاً ، وقع ميتاً ؛ لا يوجد نية بالقتل ، لا يوجد نية ارتكاب جريمة ، إذاً ما معنى ؟ :

﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾

[سورة القصص:28]

هذه نصيحة لكل أخ يريد أن يتزوج ، إذا كان هناك قضايا اجعلها بينك وبين والد الفتاة ، أما إذا وصل الشيء للنساء ، انتهت العملية ؛ نقل كلام ، والأمر توسع ، ومبالغات ، وافتخار ، وطعن ، قال له : اجعلها بيني وبينك:

﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾

[سورة القصص:28]

العاقل يرجو ما عند الله لا ما عند الشيطان :

الحقيقة الآية التالية أنا حينما أقرؤها والله أتأثر تأثراً بالغاً :

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾

[سورة القصص:60]

فيلا ثمنها خمسون مليوناً ، سيارة ثمنها أربعة و عشرون مليوناً ، لم يعد هناك شيء رخيص أساساً. الآن :

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

[سورة القصص:60]

معنى هذا أن العقل يأمرك أن ترجو ما عند الله ، لا أن ترجو الدنيا ، لأن الدنيا كلها تنتهي بحركة في القلب.

يقول لك : سكتة دماغية انتهى ، الأموال كلها صارت لغيره ؛ الفيلا ، والسيارة ، والمكانة ، والمنصب ، هذا كله ينتهي ، إذا توقف القلب عن النبض انتهى الأمر ، إذاً : مغامرة ومقامرة :

﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ * أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾

[سورة القصص:60-61]

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

[سورة القصص: 83]

لا ، لا يريدون علواً في الأرض ولا فسادًا ، لا يحب الاستعلاء ، ولا أن يفسد حياة الآخرين ، إذا نجوت من هذين المرضين لك في الآخرة نصيب :

﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً﴾

[سورة القصص: 83]

لذلك الإنسان عندما يريد أن يستعلي ، يريد أن يفتخر بما عنده ، يريد أن يبين حجمه المالي ، يريد أن يبين استمتاعه بالشهوات ، ممتلكاته ، هذا الموقف ، موقف يتنافى مع كمال الإيمان ، المؤمن يشكر الله على ما أعطاه ، من دون أن يستطيل على أحد في ذلك .

الثقة بالله عز وجل :

كلكم يعلم أن بعض الناس لو أخافهم إنسان ما ، يدعون ما هو عليهم من الخير ، استجابة لهذا التخويف ، معنى ذلك أن وعيد هذا الإنسان أشد عندهم من وعيد الله ، هل يوجد أكبر من هذا ؟ :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾

[سورة العنكبوت:10]

أي إنسان لو أنه هددك ؛ أخي أخذنا اسمك ، خير إن شاء الله ! خالق الكون أمرني أن أصلي ، خالق الكون أمرني أن أتعرف عليه ، خالق الكون أمرني أن أعمل صالحاً ، أن أطلب العلم ، أن أكون مع الجماعة في مسجدهم ، إنسان يتكلم كلمة تغير خطتي أنا ، هذا الشيء مستحيل ، هذا الشيء لا يتناسب مع عظمة الله عز وجل ، الله عز وجل بيده كل شيء، والله عز وجل هو الذي يدافع عن المؤمنين ، فيجب أن يكون لك ثقة بالله لا حدود لها ؛ أي الله عز وجل لا يُوازى أمره بأمر إنسان آخر ، لا يوازى وعيده بوعيد إنسان آخر ، لا يوازى ما عنده بما عند إنسان ، فهذا مرض خطير :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾

[سورة العنكبوت:10]

لأن الإمام الغزالي لما يخاطب نفسه يقول : " يا نفس ، لو أن طبيباً منعك من أكلة تحبينها ، لا شك أنك تمتنعين ، يا نفس ، أيكون الطبيب أصدق عندك من الله ؟ إذاً ما أكفرك، أيكون وعيد الطبيب أشدّ عندك من وعيد الله ؟ إذاً ما أجهلك " .

فالإنسان حينما يعصي يكون مدموغاً بالجهل والكفر .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (34- 49) : الإعجاز العلمي في بيت العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

ذكر الله أكبر شيء في الصلاة :

يقول الله عز وجل :

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

[سورة العنكبوت:45]

وقف العلماء عند قوله تعالى :

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

[سورة العنكبوت:45]

وقفة متأنية فقال بعضهم : إن أكبر شيء في الصلاة أن تذكر الله ، فمن كان غافلاً أو ساهياً ، هذا في حكم السكران ، لقوله تعالى :

﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾

[سورة النساء الآية :43]

فإن لم تعلم ما تقول ، فهذا المصلي في حكم السكران ؛ أول معنى : إن أكبر شيء في الصلاة ذكر الله ، ولذكر الله أكبر ما فيها .

المعنى الثاني : أنك حينما تصلي تذكر الله ، والله حينما يراك تذكره يذكرك ، وذكر الله لك أكبر من ذكرك له؛ ذكر الله لك بالتوفيق ، وبالطمأنينة ، وبالسكينة ، وبجنة عرضها السموات والأرض ، شتان بين أن تذكره، وبين أن يذكرك .

ابن مفتقر ، وأب كريم ، وقوي ، الابن يسأل ، أما الأب فيعطي ، إذا صار هناك ذكر من الابن للأب فهو السؤال ، أما الأب فيعطي ، يعطي بغير حساب :

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

[سورة العنكبوت:45]

المعنى الثالث :

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾

[سورة العنكبوت:45]

هل تعتقدون أن الثمرة الوحيدة من الصلاة أن تكف أذاك عن الناس ؟ هذا هدف سلبي ، هذا حد أدنى فيها ، أما أكبر من ذلك فأن تسعد بقربك من الله ، الحد الأدنى أن تنتهي بصلاتك عن الفحشاء والمنكر ، لكنها لم تشرع لهذا .

مثلاً : طالب كل ميزاته لا يؤذي رفاقه ، لكن لا يريد أن يدرس ، هذا عمل سلبي ؛ أين الدراسة ؟ أين التفوق؟ أين العلم ؟ أين التبحر في العلوم ؟

إذاً : إذا كانت الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، هذا ليس أكبر ما فيها ، أكبر ما فيها أن تسعد بذكر الله عز وجل .

المعنى الأول : أكبر ما فيها ذكر الله ، المعنى الثاني : ذكر الله لك أكبر من ذكرك له .

من يعتمد على غير الله كمن يتمسك وهو يسقط ببيت العنكبوت :

هناك نقطة دقيقة في موضوع :

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾

[سورة العنكبوت : 41]

الإنسان أحياناً يضع ثقته ، وأمله ، ورجاءه بإنسان ، مهما كان الإنسان قوياً في نظرك ، أو في نظر الناس، مهما كان يحتل مرتبة عالية ، مهما كان غنياً ، حينما تضع ثقتك به ، كمن يتمسك وهو يسقط من شاهق ببيت العنكبوت ، هذا البيت لا يمكن أن يمنعه من السقوط :

﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾

[سورة العنكبوت : 41]

لكن العلماء قالوا : لو أردنا أن نسحب الفولاذ بقطر خيط العنكبوت ، لكان أمتن من الفولاذ .

أي المتانة نسبية ، لو أردنا أن نسحب الفولاذ بخيط في قطر خيط العنكبوت ، لكان بيت العنكبوت أمتن من الفولاذ ، ومع ذلك بيت العنكبوت عند الناس لا شيء ، فربنا عز وجل قرب هذه الحقيقة .

ويوجد في الآية إعجاز علمي أنه لا أحد يعرف إلا لفترة قريبة أن التي تنسج هذا البيت أنثى ، فتاء التأنيث من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام :

﴿اتَّخَذَتْ بَيْتاً﴾

[سورة العنكبوت:41]

ذكر العنكبوت لا يتخذ البيت ، التي تنسج هي الأنثى ، ولو درسنا آلية النسيج ، شيء لا يصدق ، أي هذا الخيط المستمر الذي يخرج من العنكبوت ، أولاً : هو سائل ، بعد أن يلامس الهواء يصبح متيناً ، وهناك خيوط منوعة ، و خيوط نسيجية ، و خيوط شبكية في بيت العنكبوت ، ومدروس دراسة دقيقة جداً ، ومع ذلك من يعتمد على غير الله كمن يتمسك وهو يسقط ببيت العنكبوت .

من عرف سرّ وجوده و غاية وجوده فهو في نعمة عظمى :

قال تعالى :

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

[سورة العنكبوت:51]

أخ كريم ذكر لي : ببعض بلاد شرق آسيا – اليابان– بالذات يوجد معابد يعبد فيها أشياء ، لا يمكن لعقل أن يقبلها ، مهما الإنسان أعمل عقله هناك شيء سخيف ، قذر، بعيد عن أن يكون شيئاً مقدساً ، هؤلاء يعبدون هذه الأشياء . الله عز وجل يقول لك :

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾

[سورة العنكبوت:51]

نحن مع هذا الكتاب الذي يبين لنا أصل العالم ، مصير العالم ، قيمة الحياة الدنيا ، قيمة الإنسان ، كيف أن الإنسان سخر له الكون ، تجد شخصاً يعبد بقرة ، بقرة تقطع السير ساعات طويلة ، واقفة في منتصف الطريق ، والكل سعداء ، ازدحام سير لا يحتمل ، لأنه إله واقف بالطريق مثلاً ، من يضع روث البقر بغرفة الضيوف عنده بالأعياد ؟

أي شيء ثمين جداً أن تضع روث البقر في غرفة الاستقبال ، من يتعطر ببول البقر؟ هكذا ، وأي دين إذا الإنسان مات يحرقون معه زوجته ؟

أخ من الأخوان قال لي : والله رأيتها بعيني من زمن ليس بالبعيد ، أخ معاصر ، نزل بفندق ، أمامه ساحة عامة، في اليوم الثاني رأى حشداً كبيراً ، موضوع تابوتان ، سألهم لمن هذا التابوت الثاني ؟ قالوا : لزوجته ، هي حية ، سوف تحرق معه ، هذه أديان !!

غاندي ؛ هذا يعد مفكراً كبيراً ، أحد أخواننا قرأ لنا مرة في درس الدعاة مقالة من كتاباته ، كيف أنه يفضل البقرة على أمه ، أمه ليست بشيء أمام البقرة ، إنسان يعد مفكراً عالمياً، وهذه أفكاره ، فإذا الله عز وجل أكرم إنساناً بهذا الكتاب ، الكتاب فيه غذاء للعقل ، وفيه تكريم للإنسان ، أنت سيد المخلوقات ، إذا إنسان عبد بقرة ، أو عبد حجراً ، أو عبد صنماً ، أو عبد عضواً تناسلياً ، هكذا يعبدون في بعض البلاد :

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾

[سورة العنكبوت:51]

ألا تكفي هذه النعمة ! عرفت سرّ هذا الكون ، خالق الكون ، معنى الربوبية ، معنى الألوهية ، معنى الخلق، سرّ وجودك ، وغاية وجودك ، أين كنت ؟ أين المصير ؟ بالصلاة تتصل ، بالحج تذهب إلى بيت الله الحرام، بالزكاة تزكو نفسك ، بالصيام ترتقي ، هذه أكبر نعمة .

التخويف مهمة أساسية للشيطان :

أحياناً الإنسان يقلق ، لكن الله عز وجل يعاتب هؤلاء : يا عبادي يوم كنتم كفاراً ، يا أهل مكة يوم كنتم كفاراً تعبدون الأصنام ، كنتم في بلد حرام :

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آَمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾

[سورة العنكبوت:67]

بعد أن آمنتم تخافون ، يوم كنتم تعبدون أصناماً كنتم مطمئنين !!؟ لأن تفسيرها سهل ، الإنسان يكون وفق هوى نفسه ، الشيطان مرتاح منه ، هذا الإنسان ضال مضل ؛ لكن دققوا : الإنسان بعدما استقام ، الشيطان تيقظ :

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

[سورة الأعراف:16]

الشيطان مهمته أن يخوف ، يخوفك ؛ إن أنفقت يخوفك ، وإن حضرت مجلس علم يخوفك ، وإذا أردت أن تصلي ، أن تقرأ القرآن بمكان عام يخوفك ، دائماً يخوفك ، مهمته أن يخوفك :

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾

[سورة آل عمران:175]

إذا الإنسان خاف من الشيطان ، معنى هذا أنه وضع نفسه حكماً معه .

ممكن جندي يكون والده قائد الجيش ، يخوفه عريف ؟ أنت ماشي مع خالق الكون، الذي خلق الكون ، الذي بيده الناس كلهم ، القوى كلها ، أنت ماشي معه ، معقول تخاف ! قال:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آَمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾

[سورة العنكبوت:67]

يكون الشخص لا يصلي ، الله يسر له أموره ، وعالجه ، وأكرمه ، وأنقذه من مصائب كثيرة ، ولم يكن يصلي، بعدما التزم ، وصلى ، ومشى بالصحيح ، الآن خائف !؟ هذا الخوف خوف غير طبيعي ، هذا الخوف ليس منك، هذا الخوف هجين عليك ، هذا الخوف من الشيطان ، لأننا نحن بصراحة موضوع الشيطان لا أحد يقبضه، كلام بكلام ، الشيطان يعمل ليلاً نهاراً لإضعاف ثقتك بالله ، ويأتي وأنت لا تشعر بالوسوسة .

الإنسان أحياناً يريد أن ينفق ؛ كبر عقلك ، احفظ قرشك ، اتركه معك ، هذا شيطان، إله الكون يقول لك : إذا أنفقت أنا سأخلف عليك ، ويقول لك الشيطان : لا تنفق ، أنت بأمس الحاجة لهذا المال ، ويقول لك أيضاً بتعبير لطيف : لا يكفي العباد إلا رب العباد ، هذا كلام الشيطان .

طبعاً : كلمة حق ، لكن أريد بها باطل ، حتى يمنعك من الإنفاق .

على الإنسان المؤمن ألا يصغي لشياطين الإنس و الجن :

النقطة الدقيقة الآن : إذا الإنسان استقام ، وشعر بقلق ، أي هو يصغي إلى الشيطان ، الشيطان أحياناً يأتي المؤمن ، يوسوس له ، يخوفه :

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آَمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾

[سورة العنكبوت:67]

الإنسان كله معاص ، يروون أن سيدنا موسى دعا الله بالسقيا ، فلم يستجب الله له، ثم ألح في الدعاء ، فقال الله له : " يا موسى ، إن فيكم عاصياً – فيكم شخص عاص– ، فقال موسى عليه السلام : من كان فينا عاصياً لله فليغادرنا ، – فليفارقنا– ، ثم إن الأمطار هطلت غزيرة ، و لو يفارقهم أحد ، قال موسى : يا رب، من هذا العاصي ؟ – هكذا تروي الكتب– ، قال له : عجبت لك يا موسى أستره وهو عاص وأفضحه وهو تائب !!؟" .

أنت انظر قبل أن تتوب لله ، قبل أن تستقيم ، قبل الصلح مع الله ، خمسون خطأ كان لك ، والله ساترك ، وحافظك ، ورافع شأنك ، وهناك عناية ، بعدما التزمت ، واستقمت ، وغضضت بصرك ، وحررت دخلك ، وكنت ورعاً ، الآن تريد أن تخاف ؟ هذا وضع غير طبيعي، لكن ما الذي يحصل؟

الإنسان عندما كان غير مستقيم ، كان الشيطان مبتعداً عنه ، هذا من حزب الشيطان ، فلما استقام ، واصطلح مع الله ، الآن بدأ الشيطان عمله :

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

[سورة الأعراف:16]

الإنسان عليه ألا يصغي ، أي عندك شياطين الإنس والجن . الله قال :

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾

[سورة الكهف:28]

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾

[سورة الكهف:28]

قد يكون هذا الإنسان من شياطين الإنس ، وقد يكون من شياطين الجن .

من جاهد نفسه و هواه هداه الله لصالح الأعمال :

هناك بشارة . قال :

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة العنكبوت:69]

الله عز وجل بعكس ما يفهم بعض الناس ، أي إذا الإنسان فيه ذرة خير ، الله ينميها له ، إذا الإنسان قرَّب من الله شبراً ، الله عز وجل يتقرب من عبده ذراعاً ، وإذا الإنسان تقرب ذراعاً ، الله يتقرب باعاً ، الإنسان إذا

قدِم إلى الله مشياً ، أتاه الله هرولة . ما معنى هذا الحديث ؟ أنت فقط تحرك ، فقط اعقد توبة مع الله ، فقط قل : أريد أن أصلي الصبح حاضر، الله يوقظك ، ولو كنت نائماً الساعة الثانية .

هذه ساعة الرأس شيء محير ، جربوها ، اربط المنبه ، واطلب من الله أن يوقظك ، تستيقظ قبل الصبح بدقيقة ، لا يوجد شيء ، لا يوجد إنسان طلب أن يستيقظ إلا أيقظه الله عن طريق ملك ، لا نريد ساعة .

قالوا : ساعة الرأس ، والآن تفسيرها معقد جداً ، ولأن النبي الكريم قال : " اللهم أذهب عنه النوم إذا أراد " .

إذا أراد أن يستيقظ ، لكنه لا يريد ، يريد أن ينام نوماً عميقاً ، نوى ألا يستيقظ ليصلي الفجر ، طبعاً لن يستيقظ ، أما إذا نام ، وقبل أن ينام ، طلب من الله أن يوقظه ، تجده فتح عينيه قبل الوقت بدقيقة ، كأنه على ميعاد :

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة العنكبوت:69]

إذا الإنسان جاهد هواه ، جاهد بإنفاق ماله ، جاهد بقراءة كتاب الله ، حاول أن يفهم آياته ، الله يكشف له المعاني، أنت قرب خطوة ، تحرك حركة واحدة .

هذه نكتة ، اعتزل إنسان في المسجد ، وقال : الله سيرزقني ، جاء شخص معه صفيحة ، لم ينتبه له ، مشى، الثاني مشى ، فمرة سعل ، عندما سعل ، انتبهوا له ، أعطوه صفيحة ، تحرك ، اسعل فقط ، تحتاج إلى حركة ، قل : يا رب ، اذكر الله عز وجل ، أخي ما وجدت شيئاً أول يوم ، انتظر لليوم الثاني ، بعد ذلك تجد أمورك أصبحت جيدة ، صار الذكر محبباً لك ، بعد ذلك تجد نفسك طوال النهار في سعادة ، في توفيق، تجد قوتك على مقاومتك للمعاصي كبيرة جداً .

أحياناً تجد الشخص مقاومته هشة ، أول شيء لا يقاومه ، وتجد شخصاً عنده مقاومة كبيرة جداً ، سر المقاومة أنه كان معتصماً بالله صباحاً ، جلسة الصباح ؛ الصلاة في مسجد مع جماعة ، تلاوة القرآن ، ذكر الله ، الاستغفار ، الدعاء ، هذا كله لله يستجيبه .

القصة أنت فقط قرب خطوة ، تحرك حركة ، قرب خطوة إلى الله ، الله عز وجل خالق الكون ، قال: " إذا أتيتني مشياً أتيتك هرولة ".

شيء لا يصدق ، خالق الكون يتقرب منك ! فما قولك بالذي يقول : الله ضله ؟ الله يضل إنساناً!؟ معنى الله يضل هذه تحتاج إلى جلسة طويلة ، هو خلقك ليعرفك بذاته ، خلقك ليسعدك، خلقك ليهديك إليه ، ما خلقك ليضلك ، وإذا كان ضلك فضلك عن شركائه ، لا عن ذاته ، تكون أنت معلقاً بإنسان ، يخيب لك ظنك فيه ، يضلك عن شركائه , لا عن ذاته , تكون أنت معلقاً بإنسان يخيب لك ظنك فيه , يضلك عن شركائه , إذاً :

من ترك شيئاً لله عوضه الله أفضل منه :

إذاً :

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ﴾

[سورة العنكبوت:69]

انظر في اللغة العربية ، اللام : لام التوكيد :

﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمْ ﴾

[سورة العنكبوت:69]

النون : نون التوكيد الثقيلة ، ثلاثة أنواع توكيد يوجد في هذه الآية :

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة العنكبوت:69]

أيضاً : اللام لام التوكيد هذه اسمها اللام المزحلقة ، كانت في اسم إن ، صارت في خبر إن ، أي (لله مع المحسنين) . حتى إنّ : حرف توكيد ، حرف مشبه بالفعل ، يفيد التوكيد ، فلما اجتمع توكيدان زحلقت اللام إلى خبر إن :

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة العنكبوت:69]

فالآية فيها خمسة توكيدات :

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ﴾

[سورة العنكبوت:69]

وكلمة جاهدوا ، أي هناك جهد ، فالله عز وجل سلعته غالية ، لا تتصور أن يعطيك الله جنة للأبد بعمل شكلي ، عمل صوري ، وأنت مقيم على كل رغباتك ، وشهواتك ، ومصالحك ، وهذه فيها فتوى ، وهذا يجوز، وهذه بلوى عامة ، وهذه ماذا نريد أن نفعل ؟ نحن لا نستطيع ، ضحِّ ، ضحّ بمصالحك واطلب رضاء الله عز وجل ، وانظر كيف أن الله . . . .

((ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه))

[الجامع الصغير عن ابن عمر]

والله كنت أقول عن هذا الحديث زوال الكون أهون على الله من أن تدع شيئاً لله ، ثم لا يعوضك أضعافاً كثيرة .

((ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه))

[الجامع الصغير عن ابن عمر]

هذه الآية إذا الإنسان قرأها يجب أن يشعر بثقة كبيرة :

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة العنكبوت:69]

وإذا الله معك فمن ضدك ؟ تصور أن خالق الكون معك ، تخاف ممن ؟ من إنسان ممكن بجلطة يصير جثة هامدة ؟ ممكن نقطة دم بدماغه يصير مفلوجاً فوراً ؟

يوجد حالات كثيرة من هذا النوع ؛ إنسان يكون ملء السمع والبصر ، بعد ثانية صار خبراً على الجدران ، البارحة كان شخصاً فصار خبراً . والله قال :

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾

[سورة سبا الآية :19]

فالله بيده كل شيء :

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة العنكبوت:69]

هذه الآية ، الإنسان أحياناً تكفيه آية واحدة ، والله هذه الآية وحدها تكفي :

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ﴾

[سورة العنكبوت:69]

له دخل كبير ، لكن فيه شبهة ، فتركه ، وقبل بدخل قليل ، هذا عمل ليس بالقليل عند الله ، كبير جداً ، أنت الآن كسبت رضاء الله ، وسيأتيك الدخل الكبير مكافأة لك ، لا تخف، الحرام اركله برجلك ، لا تخف ، عمل فيه معصية اركله برجلك ، لا تبال به أبداً .

((ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه))

[الجامع الصغير عن ابن عمر]

الابتعاد عن مصادر المعاصي :

يوجد عندنا مصدران للمعاصي ؛ كسب المال والنساء ، إذا استطعت أن تتحصن من النساء بغض البصر ، وعدم الاختلاط ، وعدم اقتناء أجهزة اللهو ، وتتحصن بكسب المال بالورع ، أنت أغلقت على الشيطان أبوابه، أكبر بابين للشيطان ؛ كسب المال والنساء ، فإذا شخص تفلت إذاً لم يعد هناك شيء يضبطه أبداً ، كل ثقافته ، وعواطفه الإسلامية ، وعنده اهتمام بأخبار المسلمين ، ويتابع الأخبار دقيقة بدقيقة ، قل له : يا أخي أنت لست على شيء ، ما دام باب النساء لم تغلقه ، وباب كسب المال الحرام لم تحكمه ، لا أنت ، ولا مشاعرك الإسلامية، ولا تفكيرك الإسلامي ، ولا مطالعاتك تفيدك . .

هذه المحاضرة قرأتها ؟ رائعة ، نريد أن نرى استقامتك ، أما تقول : رائعة ، فانظر استقامتك :

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة العنكبوت:69]

هذه الآية تكفينا . كيف كان الصحابة ؟ هذا الذي جاء النبي ، قال له : عظني ولا تطل ، – قال له آية واحدة ، القرآن ستمئة صفحة – ، قال له :

﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾

– بدوي لا يحمل شهادة ؛ لا كفاءة ، ولا بكالوريا ، ولا لسانس ، ولا دكتوراه ، ولا مثقف إطلاقاً – ، قال له : " كفيت ، فقال النبي : فقه الرجل " . بدوي يسمع آية واحدة تكفيه طوال حياته !! ما دام

﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره﴾

قال له : " كفيت ، فالنبي قال : فقه الرجل " صار فقيهاً ، والله الذي لا إله إلا هو كل آية بالقرآن تكفي الإنسان طوال حياته .

الدين استقامة و ورع :

الآن آية :

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾

[سورة النساء:1]

ألا تكفي هذه ؟ أنت تحت المراقبة ، تحرك لنرى ، تصرف ، اكذب على الناس ، غشهم ، قل لهم : بالأمانة لا أربح ، وأنت ربحك فيها مئة بالمئة ، يقول لك : ألا ترى أن الله يراقبك ، يأتيك إنسان ساذج ، تبيعه سلعة

كلها غش ، يقول لك : هذه ألبسناه إياها ، تظن نفسك مؤدباً ، وأول صف تصلي ! ليس هذا الدين ، الدين استقامة .

((ترْكُ دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد الإسلام))

[ورد في الأثر]

الدين استقامة ، الدين ورع .

((ركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخلط))

[الجامع الصغير عن أنس]

هذه الآية اجعلها شعاراً لك :

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة العنكبوت:69]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (35- 49) : أدنى الأرض

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

القرآن الكريم معجزة دائماً :

أيها الأخوة الكرام ؛ في سورة الروم آية ينبغي أن نقف عندها قليلاً . يقول الله عز وجل :

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾

[سورة الروم: 2-3]

أدنى الأرض ؛ هذه المعركة تمت في غور فلسطين ، وغور فلسطين أخفض نقطة في الأرض على الإطلاق، هذا عُرف عن طريق أشعة الليزر ، أما حينما أُنزل هذا القرآن لم يكن أحد يعرف أن هذه البقعة من الأرض هي أخفض نقطة في الأرض على الإطلاق ، وهذا من السبق العلمي للقرآن الكريم ، كيف أن هذا الكتاب معجزة دائمة ، هذه آية :

﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾

[سورة الروم:3-4]

في سبق علمي أول ، وفي إعجاز إخباري ، هذه الآية نزلت قبل أن تقع المعركة ، وقعت ، وانتصر الروم في المعركة :

﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾

[سورة الروم:3-4]

دون عشر سنوات ، وهذا قد وقع ، فالقرآن فيه غيب الماضي ، وغيب الحاضر ، وغيب المستقبل ، وهذا من غيب المستقبل ، ولا يملك الغيب إلا الله .

ولاء المؤمن يكون لمن يقوم ببعض واجباته الدينية :

لكن :

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾

[سورة الروم:4-5]

ما علاقة المؤمنين حينما ينتصر الروم على الفرس ؟ لأنهم أهل كتاب ، والفرس يعبدون النار ، معنى ذلك أن المؤمن ولاؤه لمن يؤمن بالله إطلاقاً ، ولاؤه لمن يعتقد بالآخرة ، ولاؤه لمن يقوم ببعض واجباته الدينية .

نحن كما يقول بعضهم : بين الأبيض والأسود هناك مليون لون رمادي ، من ضعف الإنسان ألا يكون في ذهنه إلا الأبيض والأسود ؛ إما أبيض أو أسود ، لكن بينهما ألواناً كثيرة ، أي يجب أن يكون الحكم موضوعياً معتدلاً.

فالناس أحياناً يكفرون الإنسان أو يكون عندهم ولياً ، هو ليس كذلك ، ولا ذلك ، هو بينهما ، فربنا عز وجل أثبت في كتابه الكريم أن المؤمن يفرح إذا انتصر الروم وهم أهل كتاب على الفرس وهم عباد النار ، معنى ذلك أن هناك ولاء من المؤمنين لهؤلاء ، فلو كان بينك وبين إنسان بضع نقاط مشتركة ، هذه ينبغي أن تنميها ، لا أن ترفضها ، إذا كان هناك نقاط مختلفة بينك وبينهم ، ما الذي ينمي جماعة المؤمنين ؟ إذا كان هناك نقاط مشتركة ؟ هذه متنها، ونمِّها.

من أمراض الجماعات الإسلامية الآن أن أي غلطة يرتكبها إنسان بالطرف الآخر يكون عندهم قد أشرك ، وأي غلطة يرتكبها إنسان فقيه يقولون : من تفقه ولم يتحقق فقد تفسق ، ويأتي الفقهاء ، أي خطأ يرتكبه إنسان صوفي ، يقول لك : ومن تحقق ولم يتفقه فقد تزندق .

تراشق التهم ، والطعن ، والإنكار ، والتعصب ، هذا مرض في الجماعات الإسلامية، الله عز وجل يقول لك: هؤلاء الروم ، هناك مليون نقطة خلاف بيننا وبينهم ، ومع ذلك يوجد نقاط لقاء . قال :

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾

[سورة الروم:4-5]

أنت كن معتدلاً ، كل إنسان انظر ما له وما عليه ، أما أن ترفضه كله ، لخلاف بينك وبينه ، فهذا الموقف ليس موقفاً معتدلاً ، ولا موقفاً يرضي الله عز وجل :

﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾

[سورة الروم:31-32]

سماهم الله من المشركين لماذا ؟ الإنسان إذا أراد أن يجعل من وحدة هذا الدين شيعاً ، وأحزاباً ، وفرقاً ، وطوائف، حينما تتفرق الأمة تضعف ، فإذا كان للإنسان مصالح شخصية فمن صالحه أن يفرق ، أما إذا كان مخلصاً لله ، من صالحه أن يجمع ، لا أن يفرق ، فمن أشرك نفسه مع الله ، من كان له حظ من الدنيا، عندئذ يحاول أن يفرق ، أن يجعل هذا الدين شيعاً ، وأحزاباً ، وفرقاً ، وطوائف :

﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾

[سورة الروم:31-32]

تطابق الدين مع الفطرة الإنسانيّة :

هناك نقطة مهمة جداً : أن هذا الدين بأوامره ونواهيه ، متطابق مع الفطرة الإنسانية تطابقاً تاماً :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة الروم:30]

أنت مهما فعلت ، مهما درست ، مهما قرأت ، مهما سافرت ، مهما حصنت نفسك، لا تستريح ، ولا تستقر ، ولا تسكن ، ولا تطمئن ، ولا تقنع ، ولا تشعر بالغنى ، إلا إذا عادت إلى ربها ، يوجد فراغ بنفسك ، لا تملؤه الدنيا ، لا تملؤه المناصب ، لا يملؤه المال ، لا تملؤه الزوجة ، لا يملؤه الأولاد ، لا يملؤه عظم الذكر ، له ذكر عظيم ، وفي نفسه منهار ، هذا الفراغ النفسي لا يملؤه إلا أن تستقر في نفسك محبة الله ، وأن تقيم على أمره :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة الروم:30]

بصراحة إذا الإنسان ليس له صلة بالله ، ليس له إنابة ، ليس له إقبال ، لا يوجد مناجاة بينه وبين الله ، لا يوجد عهد ؛ لا بد من عهد ، من مناجاة ، من دماء ، من إقبال ، من اتصال ، من ورع ، من مراقبة ، من استغفار ، من ترقب ، من تطلع ، من رجاء ، هذه أحوال القلب ، لا ينبغي أن نهمل قلوبنا ، لا ينبغي أن تنمو عقولنا على حساب قلوبنا .

((الدُّعاءُ مُخُّ العبادةِ))

[الترمذي عن أنس بن مالك]

الاتصال بالله ، الإقبال عليه ، الإنابة إليه ، الصلح معه ، التوبة إليه . قال الله :

﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة الروم:30]

أحياناً الإنسان يجلس مع أناس من أهل الدنيا ، بعيدين عن الحق ، غير ملتزمين ، همهم الدنيا ، الدنيا أكبر همهم ، ومبلغ علمهم ، إن جلست مع هؤلاء ، قاسوك بمقاييسهم ، فاستخفوا بك ، إن استخفوا بك تتألم أنت ، يقول لك : والله لم أسر .

أحياناً تسهر ، لم أسر في هذه السهرة ، لأنه يوجد في الحاضرين أناس من أهل الدنيا قيموك بدخلك فقط ، أو قيموك بمتاعك ، وقد لا تكون أنت مثلهم ، عندئذ تنطوي على نفسك ، وتشعر بضيق ، وأحياناً يستخفون بك بشكل صريح . فربنا عز وجل قال :

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾

[سورة الروم:60]

أثر البيئة في سلوك كل إنسان :

أخواننا الكرام ، إذا ناقشت إنساناً ، لا تغفل الآخرة ، يجوز بمنطق الدنيا يكون هو أذكى منك ، وأشطر منك، ودخله أكثر منك ، لأنه لا يوجد عنده قواعد ، لا يوجد قيود ، كل شيء حلال عنده ، فإذا ناقشته بالدنيا فقط، قد يزيد عليك ، أما أدخل الآخرة مع الدنيا ، فتكون أنت أذكى منه ، وأنت أسعد منه ، وأنت أقوى منه، وأنت أشدّ فلاحاً منه ، فلما أنت تناقش إنساناً ، لا تهمل الآخرة ، إذا أهملتها ، تقع في إشكال كبير ، لأن الله عز وجل يعطي كل إنسان سؤله ، هؤلاء الذين طلبوا الدنيا بإصرار ، الله عز وجل يعطيهم إياها ، فإذا أعطاهم إياها جعلوا أنفسهم هم الأصل ، وناقشوا من حولهم بهذا الأصل الدنيوي الذي عندهم ، فهناك نهي ، لذلك :

((لا تُصَاحِبْ إلا مُؤْمِناً ، ولا يأكُلْ طَعَامَكَ إلا تَقِيّ))

[أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري]

وهؤلاء الذين أعرضوا عن الله لا تتولاهم :

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾

[سورة المائدة:51]

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ﴾

[سورة آل عمران:28]

﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾

[سورة الممتحنة:13]

يجب ألا تنسى أن البيئة لها أثر كبير كبير في سيرك ، فالبذرة لو أنها جيدة ، ضعها في تربة سيئة ، فيها حموضة شديدة ، فيها جراثيم ملوثة ، تموت البذرة ، فالبذرة مهما تكن جيدة ، تحتاج إلى تربة جيدة ، تربة نقية ، سماد جيد ، فأنت دائماً بنشاطاتك ، بعلاقاتك ، بسهراتك ، باحتفالاتك ، بأفراحك ، لا سمح الله بالأتراح ، بالزيارات ، بالسفر ، بالاستجمام ، لا تقيم علاقات مع أناس بعيدين ، عندئذ يستخفون بك ، لذلك ورد بالأثر : " لا تصاحب من لا يرى لك من الفضل مثل ما ترى له " إن لم ير لك من الفضل مثل ما ترى له ، مثل هذا الإنسان لا يصاحب .

كن عزيزاً ، أعطاك جنبه ، أعطه ظهره ، أعطاك وجهه ، أعطه روحه ، لا تهتم بالمظاهر ، ربما تصاحب إنساناً بسيطاً مسكيناً في نظر الناس ، لكنه مؤمن ؛ إن جلست إليه يسعدك وتسعده .

وجوب ثبات المؤمن و صموده أمام أهل الدنيا :

دققوا في الآية الكريمة :

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾

[سورة الكهف:28]

انظر :

﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾

[سورة الكهف:28]

إذا جالست الأغنياء :

﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

[سورة الكهف:28]

فأنت حينما تلتقي مع الناس ؛ إما أن تريد زينة الحياة ، أو أن تريد وجه الله عز وجل :

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾

[سورة الروم:60]

إذا الإنسان يقينه بالآخرة ضعيف ، يستخف بأهل الدين :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾

[سورة لقمان:6]

قال العلماء : هذا هو الغناء ، الغناء ينبت النفاق . لا يجتمع في نفس المؤمن غناء ونفاق . أحدهما لا يسمح للثاني أن يستقر معه ، فيجب أن نبتعد ، وهذه الآية لها بحث طويل ، وارجعوا إلى التفاسير :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾

[سورة لقمان:6]

((ليس منا مَنْ لم يتَغَنَّ بالقُرآنِ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

وكنت أقول دائماً : والله لو اجتمع ذواقو الغناء في العالم لا يستمتعون بأغانيهم المفضلة كما يستمتع المؤمن بكتاب الله حينما يتلوه ، أو يُتلى عليه .

من الآيات التي تنبه المؤمنين إلى أن يثبتوا ، ويصمدوا أمام أهل الدنيا . قال تعالى:

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ﴾

[سورة لقمان:23]

دقق الآن :

﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾

[سورة لقمان:24]

إذا شخص ركبناه في أفخر سيارة ، وأخذناه لنشنقه ، نقول : هنيئاً له على هذه السيارة ؟! لا ، الإنسان يحتاج إلى تفسير ، أفخر شيء أنه راكب ، أما المصير فالإعدام ، هل تقول : هنيئاً له ؟ يا له من ركوب فاخر !؟ لا :

﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾

[سورة لقمان:24]

أنت كن مع الذين وعدهم الله وعداً حسناً ، ليكن نصيبك من الله أنه وعدك وعداً حسناً :

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾

[سورة القصص:61]

التغرير من الشيطان :

إذاً :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾

[سورة لقمان:33]

من هو الغرور ؟ الشيطان ، كيف يغر بالله ؟ اليهود قالوا :

﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾

[سورة البقرة:80]

هذا تغرير من الشيطان ، والمسلمون قالوا : نحن أمة محمد ، أمة الشفاعة ، ويفهم الناس الشفاعة فهماً مغلوطاً، ساذجاً ، ما أراده النبي عليه الصلاة والسلام ، يفهمونه أن افعل ما تشاء ، والنبي يشفع لك ، هذا من الغرور ، أما أن تُغر بالحياة الدنيا فأن تظنها بحجم فوق حجمها الحقيقي .

النبي أسوة حسنة لمن ذكر الله كثيراً :

الآية قبل الأخيرة :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾

[سورة الأحزاب:21]

بحياة كل إنسان شخص يتمنى أن يكون مثله ، انظر من هو هذا الشخص ؟ المؤمن هذا الشخص هو رسول الله، أي كل طموحه أن يطبق سنته ، كل طموحه أن يتخلق بأخلاقه ، كل طموحه أن يعامل الناس كما يعامل النبي الناس ، كل طموحه أن يتخلق بخلق هذا النبي العظيم . قال :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾

[سورة الأحزاب:21]

فلا يكون النبي أسوة لك حسنة إلا إذا ذكرت الله كثيراً ، وذكرت الله كثيراً ، وطلبت اليوم الآخر .

أهل بيت النبي جزء من الدعوة الإسلامية :

أواخر آيات الأحزاب :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾

[سورة الأحزاب:28]

الآيات مفادها أن أهل بيت النبي جزء من الدعوة ، بمعنى إذا شخص الآن رأى شخصاً له دعوة إلى الله ، لكن ما وجد ببيته انضباطاً ، هناك سؤالان محرجان جداً ؛ أول سؤال: ما دمت مؤمناً بهذا المنهج فلم لا تطبقه في بيتك ؟ إذا قال لك : والله لا أستطيع ، إذاً : هذا المنهج ليس واقعياً ، إذا كان واقعياً ، فأنت مقصر ، إذاً لا تستطيع ، المنهج غير واقعي ، في الحالتين الدعوة تسقط ، لذلك : أهل بيت النبي ، ونساء النبي ، وبنات النبي جزء من الدعوة لا ينفصلون عن بعضهم ، لذلك الله عز وجل قال :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾

[سورة الأحزاب:28]

الرفاه الزائد ، الترف عند الدعاة إلى الله ، يشكك في إخلاصهم للدعوة :

﴿ فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآَخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

[سورة الأحزاب:28-29]

أنا قد لا أتهم إنساناً كان على الحق ، لكن الناس لا يصدقونه عندئذ ، إذا الإنسان غرق بالنعيم والترف ، عندئذ لا يصدق ، والدليل : لما جاء جبريل للنبي الكريم ، قال له : يا محمد ، أتحب أن تكون نبياً ملكاً أم نبياً عبداً ؟ قال : بل نبياً عبداً ، لماذا ؟ أقرب للعبودية ، أقرب لإقناع الناس ، فلذلك : السخاء حسن ، لكن في الأغنياء أحسن ، والورع حسن ، لكن في العلماء أحسن ، والحياء حسن ، لكن في النساء أحسن ، والصبر

حسن ، لكن في الشباب أحسن، والتوبة حسن ، لكن في الشباب أحسن ، والصبر حسن ، لكن في الفقراء أحسن ، والعدل حسن ، لكن في الأمراء أحسن .

أمير أفضل صفة العدل ، عالم أفضل صفة الورع ، امرأة أفضل صفة الحياء ؛ غني أفضل صفة السخاء ، فقير أفضل صفة الصبر ، شاب أفضل صفة التوبة ، فالشاب عليه أن يتوب ، والفقير عليه أن يصبر ، والغني عليه أن يصفو ، والحاكم عليه أن يعدل ، والعالم عليه أن يكون ورعاً :

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾

[سورة الأحزاب:30]

المبادئ لا تحيا إلا بالتطبيق :

هل يخطر في بال مؤمن على الإطلاق أن تأتي امرأة النبي بفاحشة ؟ لكن رحم الله المفسرين ، قالوا : هذه الفاحشة هي طلب الدنيا فقط . لأن النبي الكريم بعلو مقامه ، لو أن امرأة أزعجته ، وألحت عليه بطلب شيء مباح ، شوشت عليه الدعوة إلى الله ، فحينما تحرجه ، وتضيق عليه ، فكأنما أتت في حقه بفاحشة ، طلب الدنيا سماه الله في حقهن فاحشة ، لذلك أهل بيت النبي ؛ نساؤه ، وبناته ، جزء من الدعوة .

الآن : العالم كله ، لماذا لا يصدق المؤمن أحياناً ؟ هناك سبب ؛ كتب ، ودعوة ، وفكر عميق ، وأدلة ، بقعة واحدة في الأرض لو أنها طبقت الإسلام تماماً ، وكل النتائج الإيجابية ظهرت في هذه البقعة ، لكانت هذه البقعة أقوى في الدعوة إلى الإسلام ، من آلاف الدعاة إلى الله ، الواقع أقوى من الكلام ، بقعة صغيرة ، بلد صغير ، لو طبق الإسلام ، وقطفت ثماره يانعة ، لكان هذا البلد بالنسبة للدعوة إلى هذا الدين أقوى من كل الكتب ، والمؤلفين، والدعاة ، فالإنسان يتعامل مع الواقع ، والواقع يؤكد الفكر .

مثلاً : شخص اخترع نظرية ، ممكن أن نعمر بناء بدون حديد ، هذا عمل كبير جداً ، معنى هذا ممكن أن نوفر ألوف الملايين من القطع الأجنبي ، تعال و ابن لنا بناء دون حديد ، أنشأ بناء فسقط ، ليس البناء سقط، النظرية سقطت ، والمبدأ سقط ، فلذلك : المبادئ لا تحيا إلا بالتطبيق .

نبي واحد ؛ بخلقه ، وجهاده ، أهدى للبشرية من آلاف الكتَّاب ، الذين ملؤوا بطون الكتب بالنصائح والفكر .

الآن : لو أن إنساناً يكون عند قوله صادقاً ، إذا كان صادقاً ، أميناً ، متواضعاً ، زاهداً ، هذا أقوى في الدعوة من ألف إنسان ، أي له طلاقة لسان ما بعدها طلاقة ، وفكر عميق، ومؤلفات . الناس يتعلمون بعيونهم لا بآذانهم .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (36- 49) : المحرمات من النساء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

الفرق الكبير بين الزواج الشرعي و زواج المتعة :

في سورة النساء الآية الثالثة والعشرون ، وهي قوله تعالى :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾

[سورة النساء:23]

وحُرم عليكم أيضاً

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾

- امرأة متزوجة-

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾

-هذه المحرمات- :

﴿ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾

[سورة النساء:24]

أي الأم ، والبنت ، والأخت ، والعمة ، والخالة ، وبنت الأخ ، وبنت الأخت ، ومن كان مثلهن من الرضاعة، والربيبة بنت الزوجة :

﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾

[سورة النساء:23]

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ﴾

تتزوج امرأة بالمهر

﴿ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآَتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾

هذه الآية التي يُعتمد عليها في موضوع زواج المتعة :

﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآَتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾

سياق الآيات يبين أن هذا هو الزواج ، لكن كلمة أجورهن تثير التساؤل :

﴿ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ ﴾

[سورة النساء:24-25]

ماذا تعني كلمة الأجور بالدليل القطعي؟ المهر ، الدليل القطعي سورة الأحزاب :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آَتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾

[سورة الأحزاب:50]

أي هذه الآية الوحيدة التي يُعتمد عليها في تحليل زواج المتعة ، من كلمة أجورهن ، الأجر في الآية :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آَتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾

[سورة الأحزاب:50]

لذلك هناك فرق كبير بين الزواج الشرعي ، وبين زواج المتعة ، وحينما تُجر الآية جراً إلى هذا الحكم ، هناك آيات تنثني عليها ، فتبين مدلولها .

من صفات القرآن الكريم أنه مثاني ؛ أي أن كل آية تنثني على أختها ، لتبين مدلولها .

طبعاً هناك أربعة أدلة في القرآن ، أربع آيات تبين أن الأجر هو المهر حصراً ، لا يوجد عندنا زواج مؤقت ، تُعطى فيه المرأة أجراً ؛ لا إيجاب ، ولا قبول ، ولا موافقة الولي ، ولا نفقة .

المؤمن يستحيل أن يتردد في قضية قطع بها القرآن :

الآية الأولى اليوم :

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

[سورة الأحزاب:36]

أي أنت تعرف إيمانك من هذه الآية ، عندك قضايا غير قابلة للنقاش إطلاقاً ، الإنسان عقله يزول بأشياء كثيرة، لكن هل عندك إمكانية أن تناقش أمراً إلهياً وتقول : لست مقتنعاً به ، أو أنا مقتنع به ، هذا الأمر ليس لهذا الزمان ، أو لهذا الزمان ، يا أخي هذا الأمر فوق طاقتنا ، هذا غير معقول ، غير واقعي ، إذا كان عندك هذه الإمكانية أن تأتي بأمر إلهي قطعي الدلالة ، أن تضعه على بساط البحث ، وأن تفنده ، وأن تبدي رأياً إيجابياً أو سلبياً فيه ، إذاً بينك وبين الإيمان مراحل فسيحة :

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾

[سورة الأحزاب:36]

هذه الصيغة أشدّ أنواع النفي على الإطلاق ، الكون المنفي ، لأن الكون المنفي ينفي الشأن ، ولا ينفي الحدث .

أي يستحيل في حق المؤمن أن يتردد في قضية قطع بها القرآن ، والحقيقة أعلى درجات العبادة عندما يكون عندك يقين أن الله سبحانه وتعالى هو خالق السموات والأرض ، وخالق البشر ، وأن أية مخالفة لأمره تحجبك عنه ، صار الأمر الإلهي مقدساً جداً .

أنا لست مضطراً أن أقول لك ما الحكمة من تحريم لحم الخنزير ، حتى لا تأكله ، عندما نبحث عن الحكمة هناك ألف دليل ؛ لكن بالأصل الله جلّ جلاله حينما حرمه انتهى الأمر ، الخالق حرمه ، ألست واثقاً من عظمة الله عز وجل ؟ ومن خبرته القديمة ؟ ومن علمه ؟ ومن رحمته ؟ ومن عدالته ؟ ومن حرصه ؟

الإنسان مخير في المباحات :

لذلك أخواننا الكرام : أنت مخير ، لكنك مخير بالمباحات ، لكن لست مخيراً بالأوامر والنواهي ، إذا كنت مؤمناً ، التغى هنا اختيارك :

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

[سورة الأحزاب:36]

أي قضى ، حكم . قال :

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾

[سورة البقرة:276]

نحن يوجد عندنا ربا استهلاكي ، وربا استثماري ، وهذا القرض لإنشاء مشروع ، وهو راض ، والمال لا يتجمد ، عندما ندخل عقولنا في تفنيد الأمر الإلهي ، معنى ذلك أننا نحن عندنا قاعدة ؛ أنت عندك أمر ، الأمر في شيئين ؛ مضمونه ، والآمر ، كلما كان مضمونه واضحاً جداً ، ولمصلحتك ، تنطلق لتطبيقه بدافع مصلحتك ، هنا تقل نسبة العبودية لله ، وكلما كان الأمر غير واضح ، فقط لأن الآمر عظيم ، وأنت اندفعت إلى تطبيقه ، هنا تقل نسبة المصلحة الشخصية ، وترتفع نسبة العبودية لله عز وجل ، والله عز وجل شاءت حكمته أن تكون هناك أوامر واضحة وضوح الشمس ، فاندفاعنا إليها لدافع مصالحنا . الله قال :

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾

[سورة النور:32]

هناك أمر بالزواج ، كل إنسان ليس له زوجة ، أو كل فتاة ليس لها زوج ، هناك أمر إلهي أن نزوجها ، أو أن نزوجه ، لكن هذا الأمر واضح جداً ؛ لأن الأسرة قوام المجتمع ، والأسرة حالة صحية في المجتمع ، والزنا حالة مرضية ، فإذا الإنسان انطلق لتطبيق هذا الأمر ، ترتفع هنا مصلحته الشخصية ، وتنخفض عبوديته لله عز وجل ، والدليل : الناس كلهم ؛ مؤمنهم وكافرهم ينطلق إلى الزواج ، أما حينما يأتيك أمر فعليك أن تنطلق لتنفيذه.

أي أنت ترى أن هذا المال يجب ألا يتجمد ، لكن من هو الآمر ؟ هو الله ، فكلما انخفضت معقولية الأمر ، ارتفعت العبودية لله عز وجل ، وكلما ارتفعت مصلحة المنفذ للأمر ، انخفضت العبودية لله عز وجل .

الآن : أحياناً الدول عندما يتحاورون ، يعملون مؤتمرات ، يقول لك : هذه القضايا غير قابلة للبحث ، انتهى، والمؤمن عنده مجموعة قضايا هي : الأوامر والنواهي ، هذه الأوامر والنواهي ليست قابلة للبحث إطلاقاً ، تختار المباحات ؛ سفر أو عدم سفر ، زواج أو عدم زواج، الزواج من فلانة أو من فلانة ، الإقامة أو السفر ، شراء هذا البيت أو هذا البيت ، هذه خياراتك أنت ، أما الغيبة فحرام ، هذه حرام ؛ الصلاة فرض، الصيام فرض ، فراقب نفسك ، ممكن أن تدخل في قضية قضى فيها الشرع ، تدخلها إلى حيز المناقشة ، حيز التردد ، حيز الترجيح ، إن دخلتها إلى الترجيح ، والمناقشة ، والتردد ، معنى ذلك لا يوجد إيمان ، لأنه:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

[سورة الأحزاب:36]

وأنت مخير ، لاشك أنك مخير ، لكنك إذا عرفت الله ، فقدت اختيارك ، صار اختيارك أمره ، كنت مخيراً قبل أن تعرفه ، بعد أن عرفت عظمته ، وعرفت أمره ونهيه ، ورأيت ما عنده من إكرام ، وما عنده من عقاب، خيارك انتهى ، أصبح خيارك شرعه ، أصبح خيارك أمره ونهيه ، لكن يبقى الاختيار بالمباحات ؛ يوجد عندنا فرض ، وعندنا حرام ، وعندنا مندوب ، وعندنا مكروه ، وعندنا مباح ، المباح لك أن تفعله ولا شيء عليك ، ولك أن تمتنع عن فعله ولا شيء عليك ، هذا معنى المباح ، شيء إن فعلته لست آثماً ، وإن تركته لست آثماً ، صار مباحاً.

فأنت كإنسان مخير في المباحات ، أما في الأوامر والنواهي فلست مخيراً إذا كنت مؤمناً ، أما الآن أنت اجلس مع إنسان غير مؤمن ، كل قضية فيها حكم شرعي ، فيها أمر غاب عن البحث ؛ اقتنعنا ، ولم نقتنع، ورأيي ، وموقفي ، قال : يقولون هذا عندنا غير جائز ، قال لهم الشاعر : فمن أنتم حتى يكون لكم عندُ !؟ المؤمن الصادق ما عنده عندنا ، يريد ما عند الله ، أما غير المؤمن فصار له رأي شخصي ، صار له عيد، أما المؤمن فليس له رأي شخصي يدلي به في موضوع أدلى به الشرع .

مرة عملوا ندوة عن تعدد الزوجات ، فسألوا بالهاتف امرأة مثقفة : ما رأيك في التعدد؟ أما أنا سمعت إجابة أعجبتني ، قالت : ليس لي رأي بالموضوع ، وقد أدلى الشرع برأيه.

أنا ليس لي رأي ، ما دام الله أباحه ، أنا ليس لي رأي ، هذا كلام فيه علم ، على أن الجواب مختصر ، لكنه عميق ، أنا أدلي برأيي في موضوع سمح الله به !؟ مع أنها أنثى، فلذلك : هذا الموقف الكامل ، كلما ازداد إيمانك بالله عز وجل يتقلص اختيارك في الأمر والنهي.

الحكمة من زواج النبي الكريم من زوجة متبناه :

هناك نقطة ثانية أن النبي الكريم يمشي في الطريق ، هناك باب مفتوح ، نظر إلى امرأة تغتسل ، شعرها طويل ، وقعت في نفسه ، قال : سبحان الله ! فالله سبحانه وتعالى أمر زوجها أن يطلقها ليزوجها للنبي عليه الصلاة والسلام .

هذه القصة أيها الأخوة والله لا أصل لها ، باطلة بطلاناً واضحاً كالشمس ، مقام النبوة فوق هذا المقام ، بألوف ملايين المرات ، هذه نبوة ، إلا أنه جرت العادة في الجاهلية على أن يتبنى الإنسان ابناً . وكان سيدنا زيد – اسمه زيد بن محمد – وله زوجة اسمها زينب بنت عم النبي ، فالله ﷺ أمر النبي – وفي هذا الأمر حرج شديد– أن يتزوج زوجة متبناه لينسف الله سبحانه وتعالى هذه العادة الجاهلية .

الآن يقول لك : سنتبنى هذا الولد ، أو هذه البنت ، هذه الفتاة أجنبية ، هذه تُشتهى من قبل من تبناها ، تشتهى من أولاد من تبناها ، تقع مشكلات ، اختلاط أنساب ، تقع فتن ، فهذه عادة سيئة جداً ، العوام يقولون: مثل أخي إن شاء الله ، لا ليس مثل أخيك ، أخوك غير هذا ؛ مثل أخي لا يوجد ، مثل أمي لا يوجد ، مثل أختي لا يوجد ، هذا كله كلام فيه دجل ، وفيه كذب ، الزوجة زوجة ، والأم أم ، والبنت بنت ، والقضية علمية أن الإنسان لا يشتهي محارمه بفطرته ، ولا يتصور الإنسان لو نظر لأخته .

الآن بأوروبا صار هناك أناس غير أسوياء ، صار زنا المحارم ، والآن منتشر انتشاراً كبيراً جداً ، ومن خمس سنوات كان بالمئة ثلاثون ، إذا أخذنا مئة حالة زنا بأمريكا ، ثلاثون حالة زنا محارم ، والأمر يتوسع ، هؤلاء الآن أصبحوا كالوحوش بكل شيء ، والله وحوش أما نحن فنتحدث عن الإنسان السوي ، الإنسان العادي ، لا يمكن أن يخطر في باله إذا نظر إلى أخته النظرة الأخرى التي تخطر في بال إنسان نظر إلى امرأة أجنبية ، هذا الإنسان السوي ، فأما إذا كان هناك متبناة بالبيت ، أو متبنى ، وله أخت ، بنت من تبنى هذه تشتهى ؛ بيت واحد، غرفة واحدة أحياناً ، مرافق واحدة ، يقع فساد كبير ، فالله سبحانه وتعالى هذه عادة في الجاهلية راسخة ، وقوية جداً ، ومبعث فساد كبير ، فلكي تستأصل هذه العادة الجاهلية أمر النبي –عليه الصلاة والسلام– أن يتزوج امرأة متبناه ، فالله عز وجل قال له :

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾

[سورة الأحزاب:37]

قضية فيها حرج كبير أمام البيئة والمجتمع ، ومع ذلك قال له :

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ﴾

[سورة الأحزاب:37]

انظر التعليل ما أوضحه ! :

﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾

[سورة الأحزاب:37]

أي ليست قضية نظر إليها فأحبها ، التعليل ينفي هذه القصة ، وأكثر التفاسير تقول: هذه القصة لا أصل لها.

هذه القصة كذب على النبي عليه الصلاة والسلام . وكلكم يعلم أن الشعوبيين أعداء الدين في العصور السالفة وصلوا إلى إرواء غيظهم بالدس ، فكلما وجدوا كتاباً دسوا فيه ، الآن الكتاب مطبوع أما كله سابقاً فمخطوط ، كتاب مخطوط ، يضاف له قصة بفراغ من الصفحة .

إنسان استأجر بيتاً ، وكتب وصلاً فوق ، ووقع تحت ، و لم يعد يدفع ، المستأجر أقام دعوى عليه ، فأثبت أنه يدفع كل الأجرة ، وهناك توقيع تحت السطر الثاني ، القسط الثاني، القسط الثالث ، الرابع ، الخامس ، أنا دافع ، وهذا توقيعه ، التوقيع صحيح ، أما إذا كان الإنسان عنده إلمام بالقضاء فيضع خطاً مائلاً ، أو يجعل التوقيع تحت الرقم تماماً ، حتى لا يضاف شيء .

لو فرضنا بكتاب مخطوط هناك نصف صفحة فارغة ، يوضع قصة فيها ، وإذا كان الناقل جاهلاً أصبحت القصة هذه داخلة بالتفاسير ، يأتي الناس في آخر الزمان ، لا يدققون ، أخي هذه واردة بالكتب ، والكتب فيها أشياء غير مقبولة ، وغير معقولة أساساً .

أنا مرة قلت لكم ببعض التفاسير – طبعاً هذه مدسوسة– أن امرأة حسناء صلت مع الصحابة ، بعضهم صلى أمامها ، وبعضهم صلى خلفها ، ليرى محاسنها أثناء ركوعها وسجودها . هؤلاء صحابة هؤلاء !؟ :

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾

[سورة الحجر:24]

هذه أسباب نزول الآية ، هذه غير معقولة ، هذا الشيء مستحيل ، أساساً لو أن امرأة كانت تقف بمحاذاة الرجال كانت صلاتهم باطلة ؛ لو كانت أختك ، لو كانت زوجتك ، محاذاة المرأة في صف الصلاة تبطل صلاة الرجال ، هذا شيء بديهي بالشرع ، فكيف تدخل امرأة حسناء وضيئة إلى صفوف الصحابة تصلي بالوسط !؟ أين بقي الحكم الشرعي !؟

فهناك أشياء غير مقبولة .

إذاً :

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾

[سورة الأحزاب:37]

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا ﴾

[سورة الأحزاب:58]

الإنسان يعد للمليون قبل أن يؤذي مؤمناً بريئاً .

أحياناً هناك شخص رئيس دائرة ، رئيس مخفر ، مدير مستشفى ، قبل أن تؤذي مؤمناً بريئاً ، تحط عليه ، الله كبير ، المؤمن غال على الله إذا كان بريئاً :

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾

[سورة الأحزاب:58]

الأمر الإلهي للمؤمن بكثرة ذكر الله :

الآية الأخيرة :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾

[سورة الأحزاب:41]

الأمر لا على الذكر ، بل على الذكر الكثير ، لأنه برئ من النفاق من أكثر من ذكر الله . والمنافق يذكر الله؛ لكن :

﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً﴾

[سورة النساء:142]

المنافق إذا قام إلى الصلاة قام كسولاً :

﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

[سورة النساء:142]

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾

[سورة التوبة:54]

فلذلك الأمر الإلهي للمؤمن بكثرة ذكر الله . برئ من النفاق من أكثر من ذكر الله ، وبرئ من الشح من أدى زكاة ماله ، وبرئ من الكبر من حمل حاجته بيده .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (37- 49) : إنما أعظكم بواحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

الإشراقات و الاختراعات كلها بيد الله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام ؛ هل في سورة ياسين آية تشير إلى أن الاختراعات ، والإشراقات، والحدث العلمي – كما يقولون– إنما هو من الله عز وجل ؟

توجد آية واضحة تماماً ، أي لا يوجد عبقري اخترع شيئاً ، ولا إنسان لمعت في ذهنه فكرة رائعة ، ولا إنسان أتى بنظرية ، ولا إنسان اكتشف شيئاً ، إلا بتوفيق الله . هذا إعجاز آخر :

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾

[سورة يس:69]

المعنى المخالف أن الشاعر من يعلمه ؟ الله عز وجل ، الشعر تفوُّق ، الشعر ليس شيئاً كسبياً ، إنما هو موهبة فطرية . الله قال :

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾

[سورة يس:69]

هو ليس بشاعر ، المعنى المخالف أن الشاعر من الذي يلقي عليه هذه الملكة ؟ الله عز وجل ، إذاً هذه يقاس عليها كل شيء ، المخترعون جميعاً ، علماء الفيزياء ؛ الذين جاؤوا بالنسبية ، الذين اكتشفوا الكهرباء ، ما من مخترع إلا والله سبحانه وتعالى هو الذي علمه ، وهو الذي ألهمه ، لذلك قال أديسون : العبقرية تسع وتسعون بالمئة عرق – أي جهد– ، وواحد بالمئة إلهام .

هناك آية أخرى بالنحل ، أيضاً الشيء الذي يخترعه الإنسان عزاه الله إلى ذاته . من يذكرها ؟ :

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾

[سورة النحل:8]

لم يقل : وتخترعون ما لا تعلمون ، لا . قال :

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة النحل:8]

فربنا عزا خلق الطائرة كفكرة ، وكتصميم ، وكمواد أولية ، وكطاقة إليه ، إلى ذاته ، إذاً : الله بيده كل شيء ، أي حتى المخترع ، حتى إذا ألقي في ذهنك فكرة رائعة ، هذه من الله ، إلا أن الله سبحانه وتعالى لا يلقي هذه الإشراقات إلا بعد صدق في الطلب .

الآن أرخميدس قال : وجدتها . معنى وجدتها أي لمعت في ذهنه هذه الفكرة .

ضرورة تدارس القرآن الكريم و السنة النبوية مع الجماعة :

هناك آية أخرى في فاطر أن الإنسان لا بد له من جلسة يجلس بها مع نفسه ، أو مع أخيه ، ليدرس ما جاء به هذا القرآن ، هذه جلسة أمر إلهي . أخ معتز :

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾

[سورة سبأ:46]

أنت مكلف أن تدرس هذا القرآن ، أن تدرس ما فيه من أوامر ونواه ، أن تدرس مضمونه ، أن تفكر فيه ، أن تتبناه في النهاية ، أما إنسان لا يبالي بهذه الحقائق التي ينطوي عليها القرآن فهذا إنسان على هامش الحياة.

هذا القرآن يجب أن يكون لك موقف واضح ؛ يجب أن تقرأه ، وأن تفهمه ، وأن تتخذ موقفاً منه ، طبعاً الموقف الكامل أن تعتقد اعتقاداً قطعياً أنه كلام الله ، وبالتالي تأتمر بما أمر ، وتنتهي عما نهى عنه وزجر ، هذه يجب أن نفعلها كل يوم .

الإنسان لا بد له من جلسة يفكر فيها ؛ إما في كلام الله عز وجل – هذه آياته القرآنية – أو في الكون – آياته الكونية– أو في أفعاله – آياته التكوينية– والآيات أدلة ، الآية علامة ، علامة على عظمة الله عز وجل . ربنا عز وجل قال :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ﴾

[سورة سبأ: 46]

إذا كنت لوحدك لا تستطيع ، اجلس مع أخيك ، هناك شخص عنده قوة تفكير وحده، أي يلهمه الله أشياء دقيقة جداً ، إذا قرأ يفهم ، وإذا تفكر يتوصل إلى شيء ، وإذا سمع يتأثر ، وهناك إنسان ضعيف ، يصبح قوياً بأخيه :

﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ﴾

[سورة سبأ: 46]

إذا جلستم اثنين اثنين ، وتدارستم القرآن ، شيء جميل جداً ؛ تدارستم السنة ، تدارستم السيرة ، هذه أعلى جلسة ، أي لا يوجد جلسة أرقى من مذاكرة العلم . ما من قوم يجلسون مجلساً لم يذكروا الله فيه ، إلا قاموا عن أنتن من جيفة حمار . أما إذا جلسوا وتدارسوا كلام الله عز وجل :

((حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده))

[مسلم والترمذي عن الأغر أبي مسلم]

أبرك مجلس ، أطهر مجلس ، أعظم مجلس أن تجلس مع أخيك المؤمن ، تتذاكر وإياه كلام الله ، أو سنة رسول الله :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ﴾

[سورة سبأ: 46]

تعريف النذير :

الآية التي أصاب بها المفسرون :

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾

[سورة فاطر:37]

الله عز وجل يخاطب الناس يوم القيامة أنه قد جاءكم النذير ، فلماذا لم تؤمنوا ؟ فلو أن أحداً سأل: أين هو النذير ؟ من يجيب عن هذا السؤال ؟

النذير ما هو يا رب ؟ القرآن ، القرآن الكريم هو النذير ، أو النبي –عليه الصلاة والتسليم– هو النذير ، الشيب : كبرت سنك ، وانحنى ظهرك ، وضعف بصرك ، وشاب شعرك فاستح مني ، فأنا أستحي منك .

إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسؤول ؟

* * *

أيضاً : الموت ، الموت هو النذير ، سن الأربعين ، الأربعون هو النذير ، أصاب المفسرون في النذير؛ الأربعون نذير ، الستون نذير ، الشيب نذير ، المصائب نذير ، موت الأقارب نذير ، القرآن نذير ، النبي – عليه الصلاة والسلام– هو النذير :

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ﴾

[سورة فاطر:37]

نعمة الاستقرار بنظام الكون :

إذا كان هناك قطار ضخم خرج عن السكة ، هل يستطيع إنسان أن يعيده إليها ؟ لابد من رافعات ضخمة ترفع هذه القاطرة ، وتعيدها إلى السكة . ربنا عز وجل قال :

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾

[سورة فاطر:41]

لها مسار ، لو أن الأرض خرجت عن مسارها ، أية قوة في الكون تستطيع أن تعيدها إلى مسارها ؟ الأرض إذا خرجت عن مسارها فهو الموت المحقق ، لأنها ابتعدت عن الشمس ، دخلت في الظلام ، ومع الظلام البرودة ، والبرودة إذا ارتفع إلى مئتين وسبعين تحت الصفر ، هذا هو الصفر المطلق ، الذي تتوقف فيه حركة الذرات ، وإذا توقفت حركة الذرات ، تلاشت المادة ، فإذا زالت زالت . انظر البلاغة : إذا زالت انحرفت ، زالت تلاشت ، معنيان دقيقان في كلمة واحدة : إذا زالت زالت ، لو أن الأرض زالت عن مسارها ، أية قوة في الكون تستطيع أن تعيدها إلى مسارها؟ هناك نعم كبيرة جداً ؛ نعمة الاستقرار بنظام الكون ، أي إذا خرجت انتهينا ، ليس قرية أصابها زلزال ، الأرض بأكملها ؛ بقاراتها الخمس ، بملياراتها الخمسة إلى فناء:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾

[سورة فاطر:41]

العاقل من حاسب نفسه عن كل كلمة أو فعل قبل يوم القيامة :

أخواننا الكرام ، كلمة في سورة ياسين ، يجب أن ينخلع لها القلب ، كلمة واحدة بأول صفحة :

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ﴾

[سورة يس :12]

أنت –لا سمح الله ولا قدر – كنت سبب مشكلة ، وامتدت ، أي قد يتكلم الإنسان كلمة يسبب انفصام أسرة ، طلقها ، كلمة ، أحياناً كلمة تسبب مشكلة كبيرة جداً ، أحياناً يجمع بين شخصين ، فتقع بينهما الفاحشة ، أنت السبب ، أحياناً إنسان يطلق زوجته طلاقاً تعسفياً ، فحينما طلقت كسرت المرأة ، فإذا كسرت ربما فجرت نكاية بزوجها السابق ، فجورها في صحيفة زوجها الأول ، فالإنسان قبل أن يتصرف كله مسجل :

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ﴾

[سورة يس :12]

أنت اخترت لابنتك –لا سمح الله– صهراً غنياً ، هذا الصهر أفسدها ، أخرجها عن دينها ، جمعها مع الرجال، دلها على طريق الفجور ، فكل فسق البنت في صحيفة الأب الذي اختار لها هذا الزوج ، فانتبهوا يا أخوان ، والله هذه الكلمة وحدها ينخلع لها القلب :

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾

[سورة يس :12]

لو فرضنا شخصاً أفسد فتاة فرضاً ، لما فسدت سقطت ، لما سقطت امتهنت الزنا ، فلما تقدمت بها السن ، ألقيت على قارعة الطريق ، أنجبت أولاداً بالحرام ، دلتهم على طريق الفاحشة ، لو أنه جاء من هذه البنت تسعمئة ألف فتاة فاسقة إلى نهاية العالم ، كلهن في صحيفة هذا الذي أفسد الأولى :

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ﴾

[سورة يس :12]

لست مهتماً ، أي مادة وضعتها بالصناعات الغذائية ، كثرت قليلاً بنزوات الصوديوم بالمعلبات ، لكيلا تفسد، سببت سرطانات ، يحاسب الإنسان على كل جرائمه ، لم ينتبه أحد ، أنت تغش ، لكن هذا الغش سبب قرحة في المعدة .

تضع سبيداج بالطحينة من أجل أن تصبح بيضاء اللون ، تأخذ فيها سعراً عالياً ، لكن خربت معدة المسلمين، انتبه لهذه النقطة .

تبيع مثلاً مواد سكرية للصغار ؛ فيها أصبغة صناعية ، فيها مواد رخيصة ، فيها مواد مسرطنة ، طفل بريء أخذ من أبيه خمس ليرات ، تبيعه قطعة مغشوشة، تؤذي صحته ! ؟ الصناعات الغذائية ؛ البيع ، والشراء ، العلاقات، والله عملنا غضروفاً سياحياً ، أنت تعرف ماذا صار بالغضروف من معاص ؟ أخي أربح شيء مكتب سياحي . أنت تعرف ماذا صار بالغضروف السياحي ؟ :

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ﴾

[سورة يس: 12]

رحلة ، اجتماع ، سهرة ، نزهة مختلطة ، صار هناك غمز ، ولمز ، وهذا كره زوجته ، وهذا أحب زوجة فلان ، أنت صاحب المشروع عندك فكر منفتح ، تحمل :

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ﴾

[سورة يس: 12]

فالإنسان عليه أن يحسب حساب كل شيء ، هذه الكلمة لوحدها تكفي ، هذه ينخلع لها القلب ، قبل أن تجمع الناس على معصية ، تعمل اختلاطاً ، قبل أن تخطط لرحلة ، قبل أن تقول : فلان يريد ، والله فلانة تحتاج أستاذاً خاصاً ، أو والله فلان ممتاز ، أنت تجمع رجلاً وامرأة بخلوة ، مثل أخته ، لا ليست مثل أخته ، هذا كلام لا تصدقوه ، الأجنبية أجنبية ، والأجنبي أجنبي ، فكل شيء يفعله الإنسان محاسب عنه ، هكذا القرآن الكريم ، وآيات أخرى : نضع الآية ، هناك آيات كثيرة . من يأت بآية مشابهة ؟

﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾

[سورة البقرة:191]

أيضاً :

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

[سورة النحل:25]

بارك الله :

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾

[سورة النساء:85]

سيدفع الثمن ، هو كفيل .

الإنسان بيد الله عز وجل :

ما معنى هذه الآية ؟

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾

[سورة يس:29]

لماذا صيحة واحدة ؟ إذا شخص أحبّ أن يقتل بعوضة ، هذه تحتاج كم ضربة ؟ واحدة ، أي أقوى شيء تراه في الأرض عند الله يحتاج ضربة واحدة :

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾

[سورة يس:29]

ما دام الإنسان واقفاً على رجليه ، يكون الله قد سمح له أن يقف ، لو أن الله أنهاه على أتفه سبب ، ينتهي على أتفه سبب ، شخص بأعلى درجات نشاطه ، وقوته ، وماله ، وجماله ، ووسامته ، وعلاقاته ، وحفلاته ؛ غناء ، ومشاريع ، ومعامل ، دخل للحمام ، وجد هذا الديجانتور عاطلاً ، أتى بإنسان يعمل في الكهرباء ، قال له : بدل لي هذه القطعة ، قال له : سيدي سأرفعه لفوق ، قال له : كما تريد ، بعد ذلك اضطر أن يحركه ، لم يعد يكفي طوله ليحركه ، أخذ كرسي حمام ، وقف عليه ، فوقع ودخل هذا الكرسي بمقعده ، أخذوه إلى المستشفى ، ثمانية عشر يوماً كان منتهياً . كل هذه العظمة انتهت بهذه الحادثة .

فربنا عز وجل صيحة واحدة ، تجد الإنسان مثل الحصان ، ماذا ؟ سكتة دماغية ، انتهى ، من دقيقتين كان واقفاً معنا لا يوجد به شيء :

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾

[سورة يس:29]

مع الله لا يوجد قوي ، إن وجدت شخصاً قوياً ، الله سمح له أن يبقى قوياً أما إذا سحب القوة منه فينتهي .

إذا إنسان خرج من معمله ، ونسي بيته ، الآن : من ضيع ذاكرته انتهى . قال:

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيّاً وَلَا يَرْجِعُونَ﴾

[سورة يس :67]

كان هناك شخص بالعهد العثماني من أعلام البلد ، بآخر حياته يخرج ولا يرجع ، تخبر امرأته الشرطة خرج فلان، يبحثون عنه ، يجدونه بالقنوات ، بالميدان ، هو بيته بالمهاجرين ، يخرج ولا يرجع ، نحن يقظتنا من الذاكرة ، لو سحبها الله منا ، انتهى الإنسان .

إنسان صيدلي في بعض الأحياء الدمشقية ، جاء ابنه من أمريكا ، قال له : من أنت ؟ لم يعرفه . شخص – أيضاً أعرفه جيداً– خرج من محله ، لم يجد بيته ، ثلاثة أرباع الساعة يدور في الشام : أين بيتي ؟ إذا الإنسان فقد ذاكرته ، أو فقد جزءاً من ذاكرته ، انتهى ، أنت كل يقظتك بذاكرتك :

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيّاً وَلَا يَرْجِعُونَ﴾

[سورة يس:67]

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾

[سورة يس :68]

إذا لم يكن قد نشأ على الإيمان .

إعجاز القرآن العلمي :

آخر آية :

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾

[سورة يس :80]

ما تفسير هذه الآية ؟ أي لولا الورقة الخضراء التي هي أعظم معمل في الأرض – حتى الآن – لما كانت هذه الشجرة ، فوصفت بسببها ، لولا أن هناك ورقاً أخضر ، وعمليات معقدة جداً ، لما كانت هذه الشجرة .

قرأت مرة أن أعظم معمل صنعه الإنسان لا يرقى إلى مستوى الورقة ، النسغ النازل مثلاً يصنع منه الجذع ، و تنمو منه الأوراق ، وتنمو منه الأزهار ، وتنمو منه الثمار ، وهو سائل واحد نازل ، و أساس هذا السائل صنع في الورقة ، والورقة أخذت من الشمس فوتوناً ، وفيها آزوت و يخضور ، وثمانية عشر معدناً خرجوا مع الماء من الجذور ، وتمت العملية بالورقة ، والورقة لها مسام ، تغلق في الشتاء ، تفتح في الصيف ، من صنع هذا ؟ :

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾

[سورة يس :80]

وهناك تفسير آخر : البترول ، هذا البترول ، أحد نظريات البترول أن أشجاراً عملاقة بالعصور القديمة دفنت تحت الأرض فكان البترول :

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾

[سورة يس :80]

هذا من إعجاز القرآن العلمي .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (38–49) : الإضلال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

في سورة الصافات: الآيات الأولى:

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفّاً﴾

[سورة الصافات الآية:1]

﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً﴾

[سورة الصافات الآية:2]

﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً﴾

[سورة الصافات الآية:3]

﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾

[سورة الصافات الآية:4]

سواء أفسرنا الصافات؛ النجوم في السماء, أم فسرناه الجياد مصفوفة لخوض معركة.

على كلٍ؛ هناك شيء اسمه: لسان الحال, ولسان القال. يقول لك رجل: أسقني شربة ماء, تكلم؛ لكن أحياناً الإنسان: كلما أوتي فهماً عميقاً, يشعر على الجهات بأحوالها قبل أن تفور, فالصنعة المتقنة تنطق ببراعة صانعها, النظام المحكم ينطق بالمنظم, فالإنسان حينما ترتقي ملكاته, يدرك على الأشياء لسان حالها, (لسان حالها), يعني شيء متقن جداً, كأنه يقول لك: انظر إلى الذي صنعني ما أبرع صنعته!.

فربنا سبحانه وتعالى يبين: أن هذه النجوم في السماء, أو على القول الآخر: كأنها تنطق:

﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً﴾

[سورة الصافات الآية:3]

﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾

[سورة الصافات الآية:4]

فزهرة جميلة جداً, إذا رأيتها تقول: سبحان الله! يعني سبحان من صنعني, سبحان من نسق هذه الألوان, سبحان من أودع هذه الرائحة العطرة, سبحان من جعلها بهذا الشكل, فالإنسان عليه أن يصل إلى مستوى: أن يدرك لسان الحال.

فربنا عز وجل: ذكر أن هذه الآيات تنطق, لا تنطق بلسان القال, لكنها تنطق بلسان الحال.

الشيء الآخر: أن الإنسان حينما يتعامل مع أخيه الإنسان, على أساس أن هذا الإنسان الآخر مثلاً: أصدر قانون, وهو قوي, بإمكانه أن ينفذ ما يقول, تجد الإنسان طبق, لماذا أنت تنصاع للأمر؟ لأنه غلب على يقينك: أن هذا الذي أمر يفعل ما يقول, طيب: ربنا عز وجل يقول:

﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾

[سورة الصافات الآية:22]

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾

[سورة الصافات الآية:23]

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾

[سورة الصافات الآية:24]

إذا كان في بحياتك شخص قوي, قبل أن تقترف مخالفة لتعليماته, تعد للمليون, لو أنه ضبطني وأنا مخالف, ماذا سأقول له؟ لو أنني سئلت, ماذا سأقول؟

فإذا أنت تحسب حساب دائم, لمن يسألك وهو قوي, فكيف لا تحسب حساباً لخالق السموات والأرض؟ يقول:

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾

[سورة الصافات الآية:24]

والحقيقة: النقطة الدقيقة: أن الإنسان العاقل قبل أن يفعل شيئاً, قبل أن يتصرف, قبل أن يصل, قبل أن يقطع, قبل أن يتزوج, قبل أن يطلق, قبل أن يذهب إلى هذا المكان, قبل أن يشتري ثياب للنزهة, قبل أن يفعل, عليه أن يضع نفسه أمام الله عز وجل يوم القيامة, وعليه أن يجيب عن هذا السؤال, لماذا فعلت كذا؟:

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤولُونَ﴾

[سورة الصافات الآية:24]

معنى ذلك: أن الإنسان حينما يحاسب نفسه في الدنيا حساباً عسيراً, يكون حسابه يوم القيامة يسيرا.

((حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا, وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم)).

ويوجد عندنا مقياس دقيق دقيق: ((عامل الناس كما تحب أن يعاملوك)).

إذا كان القضية أشكلت عليك, ضع نفسك مكان الطرف الآخر, فهل ترضى أن يُفعل بك ما تفعل أنت به؟ أبداً.

عندك في البيت كنة, لو أنها ابنتك, هل ترضى أن تعامل هذه المعاملة؟ لا ترضى, لا يوجد أروع من هذا المقياس, لا يحتاج إلى تعمق, مقياس حساس وسهل المأخذ؛ أحياناً في مقاييس معقدة, أحياناً تكون أجهزة قياسية, تحتاج إلى دكاترة ليفهموا عليها, أحياناً في أجهزة بالغة الدقة, لكن استعمالها سهل, فهذا المقياس بالغ الدقة, واستعماله سهل, لا يحتاج إلى قدرات عالية.

((عامل الناس كما تحب أن يعاملوك)).

أنت جار, هل ترضى أن يفعل بك جارك ما تفعل أنت به؟ انتهى الأمر, أنت أب, لو أنك ابن, هل ترضى أن تُعامل هذه المعاملة؟ لا ترضى, أنت شريك, لو كنت الطرف الآخر, هل ترضى بهذه المعاملة التي تعامل بها أنت شريك؟ انتهى الأمر, فهذا المقياس: ((عامل الناس كما تحب أن يعاملوك)).

مقياس بالغ الدقة, سهل الاستعمال, نعم:

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤولُونَ﴾

[سورة الصافات الآية:24]

يوجد في الآية, في السورة آية, أو عدة آيات تؤكد: أن أحداً لا يمكن أن يضل أحد, الذي يبدو أنه قد أُضل, هو في الأساس ضال:

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾

[سورة الصافات الآية:27]

﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾

[سورة الصافات الآية:28]

﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الصافات الآية:29]

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طَاغِينَ﴾

[سورة الصافات الآية:30]

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾

[سورة الصافات الآية:31]

﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾

[سورة الصافات الآية:32]

﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾

[سورة الصافات الآية:33]

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾

[سورة الصافات الآية:34]

يعني الحقيقة: أن كل إنسان يبدو لك أنه أضل إنسان آخر, في الحقيقة ما أضله, هو في الأساس ضال, يعني عنده استعداد ....

تجد طالب في الصف, الصف فيه خمسون طالباً, استطاع يفسد فلان, طيب: لماذا لم يستطع أن يفسد فلان الآخر؟ معنى الذي أفسده عنده استعداد, وهو راغب, وقد تمنى, أما الثاني: ما استطاع أن يفسده.

إذاً: لا يستطيع أحد أن يضل أحد, وفي عدة آيات, يعني: أعتقد في خمسة, ستة مواضع في القرآن الكريم, تؤكد هذا المعنى: إن أحداً لا يستطيع أن يضل أحدا:

﴿بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الصافات الآية:29]

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طَاغِينَ﴾

[سورة الصافات الآية:30]

نعم:

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾

[سورة الصافات الآية:31]

﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾

[سورة الصافات الآية:32]

﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾

[سورة الصافات الآية:33]

معنى ذلك: الإنسان ليس له حق يوهم نفسه: أن فلان أفسدني, فلان أغواني, فلان أضلني, لا؛ لو ما كنت راغباً في الضلال لما أضلك فلان, لولا لم تكن راغباً في الغواية لما أغواك فلان, لو لم تكن تحب هذه المعصية لما حملك فلان عليها.

في سؤال: أن هؤلاء الكفار قالوا عن النبي ما قالوا؛ قالوا عنه مجنون, وقالوا شاعر , وقالوا كاهن, طيب: الحكمة التي تُستشف من أن الله ثبت هذه التهم في القرآن الكريم, ثبتها.

يعني: إذا شخص قال عنك كلمة سيئة, يجب أن تكتب بكتاب, وينطبع الكتاب, ويتوزع ..... يعني: لو أن الله لم يذكرها, **مرئت**, قالوا عنه مجنون وانتهى الأمر, الآن: نحن بعد ألف وكذا سنة, فلماذا أراد الله عز وجل أن يثبت هذه التهم, أو هذه الافتراءات التي اتهم بها النبي, وهو بريء منها في قرآن يتلى إلى يوم القيامة؟ تفضل:

لأن النبي قدوة.

يعني: أنت إذا إنسان تحركت حركة صحيحة في سبيل الله, لك خصوم, واتهموك, ولو لم يردك عن النبي أنه اتهم بهذه التهم, لضاق بك الأمر, لكن أنت لك بالنبي أسوة حسنة, من أنت أمام النبي؟ قالوا عنه مجنون, وأثبتت في القرآن الكريم, هذه تطييباً لقلب المؤمنين من بعده, دائماً الأنبياء: الله عز وجل يجعلهم قدوة وأسوة لمن معهم, فأنت .....

امرأة اتهمت في شرفها, وهي بريئة, لها في السيدة عائشة أسوة, إنسان عنده ابن سيء, له في سيدنا نوح أسوة, إنسان في عنده أب, له بسيدنا إبراهيم أسوة, إنسان في عنده زوجة سيئة , له بسيدنا لوط أسوة, امرأة صالحة عندها زوج فاجر, لها بامرأة فرعون أسوة, سبحان الله! لا يوجد نموذج إلا يقابله بالأنبياء والمرسلين نموذج, أنت فقير, سيدنا النبي كان فقير, كان راعي غنم, طيب: واحد غني, مؤمن, محسن ...... عال.

سيدنا ابن عوف كان غنياً, وفي أنبياء كانوا أغنياء, لا يوجد حالة تنزعج منها في الدنيا, إلا ولها مثل أعلى في الأنبياء والمرسلين, هذا تطييب لقلب المؤمنين.

النبي ضرب في الطائف, -يعني إذا شخص هكذا في سبيل الله, ضُرب, له في النبي الكريم أسوة حسنة.

بتفاصيل السيرة: ضربوه في الطائف, وهو يمشي بينهم, -هم كانوا صنفان-, حتى الدماء سالت من قدمه, وهو يقول: ((اللهم اهد قومي إنهم لا يعلمون)).

فما في حالة من حالات, شخص مرض ......

في سيدنا أيوب: الله عز وجل ابتلاه, نعم:

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾

[سورة الصافات الآية:75]

نعم, نظام الآخرة -كما تعلمون- نظام غير نظام الدنيا, يعني في الدنيا كل شيء له ثمن باهظ, أما في الآخرة اطلب تعطى, أي خاطر في ذهنك تراه رأي العين فوراً, فهذا الذي كان في الجنة:

﴿ ◌َالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾

[سورة الصافات الآية:51]

﴿يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾

[سورة الصافات الآية:52]

﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾

[سورة الصافات الآية:53]

﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾

[سورة الصافات الآية:54]

﴿فَاطَّلَعَ فَرَآَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾

[سورة الصافات الآية:55]

يعني: أي خاطر يخطر في بالك تجده أمامك, هذا نظام الآخرة, نظام العطاء بلا سبب, أما الدنيا: العطاء يحتاج إلى سعي.

ثم يقول الله عز وجل بعد أن قال:

﴿فَاطَّلَعَ فَرَآَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾

[سورة الصافات الآية:55]

﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾

[سورة الصافات الآية:56]

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾

[سورة الصافات الآية:57]

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾

[سورة الصافات الآية:58]

استفهام إنكاري:

﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾

[سورة الصافات الآية:59]

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

[سورة الصافات الآية:30]

﴿إِنَّ هَذَا﴾

[سورة الصافات الآية:30]

وهذا الكلام دقيق, يعني هذا الفوز الحقيقي: أن تصل للجنة, الفوز الحقيقي: أن تكون طائعاً لله.

((ليس الولي الذي يطير في الهواء, ولا الذي يمشي على وجه الماء, لكن الولي كل الولي: الذي تجده عند الحلال والحرام)).

الفوز العظيم أن تكون مطيعاً لله عز وجل, لأن هي الطاعة مصيرها إلى الجنة, والجنة هي العطاء الأبدي السرمدي.

وقلت لكم من يومين: أن الأمر دائماً له مضمون وله آمر؛ في مضمون وفي آمر, أحياناً: يأمرك شخص عدو, لكن لأن الأمر ضروري جداً لك, تنفذه.

شخص يركب سيارة, قال له شخص: انتبه, في صورة أمامك, يجب أن يكون الشخص محب؟ لا, لو كان عدوك, توقف حرصاً على سلامتك, تستجيب لهذا الأمر, فكلما كان الأمر لصالحك, ضعفت العبودية فيك, وكلما التبست عليك حكمة الأمر, أما الآمر عظيم, الآن ارتفعت مستوى العبودية, فممن تأخذ أمر بالقرآن أو السنة, ينطبق مع مصلحتك مئة بالمئة, فأنت الآن تنطلق إلى تطبيقه, بدافع من صالحك, ضعفت في هذا الأمر مرتبة العبودية, أما حينما تنطلق لتنفيذ أمر لم يكشف لك حكمته, هنا ارتفعت مستوى العبودية ارتفاع عالي؛ فربنا عز وجل جعل أعلى أمر: أن ابناً مثل الشمعة بالتعبير العامي, مثل الوردة, نبي, يقول الله عز وجل لأبيه: اذبحه:

﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾

[سورة الصافات الآية:102]

قال:

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾

[سورة الصافات الآية:101]

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾

[سورة الصافات الآية:102]

هذا اسمه: أمر تعبدي, أنا لم أفهم الحكمة, والشيء غير واضح أبداً, طيب: لا يوجد بحياتنا كلنا أشياء ليست واضحة, كإنسان مستقيم مريض أحياناً, إنسان محق, لم يدخل إليه قرش حرام, دخله أقل من مصروفه, وإنسان فاجر فجور مخيف, والمال بين يديه كالرمل, طيب: هذه ما تفسيرها؟

الله عز وجل يمتحنك بالأشياء الواضحة, ويمتحنك بالأشياء غير الواضحة, بالواضحة ليس لك فضل, لأنها واضحة, أما أين بطولتك؟ أين تبدو معرفتك لله عز وجل؟ بالأشياء الثانية, هديك بدها استسلام, فكل إنسان جاءه شيء يعني لم يفهم تفسيره, له في هذا النبي الكريم أسوة حسنة.

طبعاً: هذا الخاص بسيدنا ......

أحياناً: أنا أجيب مثل: يعني أنت تعاني من مشكلة, يعني في مشكلة أصعب من أن تجد نفسك فجأة في بطن حوت بالبحر بالليل؟

يعني الآن: أي قضية نعاني منها كلنا ما ...... أمام هذه لا شيء, ومع ذلك: دعا ربه وهو في بطن الحوت, فاستجاب له ونجاه إلى البر:

﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة الأنبياء الآية:87]

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الأنبياء الآية:88]

أيضاً: سيدنا إبراهيم يعني أمره غير معقول, ومع ذلك مباشرة:

﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾

[سورة الصافات الآية:102]

هو نفذ الأمر. وقال:

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾

[سورة الصافات الآية:106]

إذاً: وطن نفسك أنه في أشياء غير واضحة, ولأنه غير واضحة, تُمتحن بها عبوديتك لله عز وجل, لا تمتحن العبودية بالأشياء الواضحة, الواضحة تقبل عليها أنت.

الآن: قال له الطبيب: في إبرة بنج, طبيب قال: مريض, فيها ألم بسيط, خلص واضحة الأمور, العملية لصالحه, والألم لا يطاق, الآن يستأصل الضرس, أما لما الإنسان يكون شيء واضح تمام ينفذه, تضعف فيه العبودية, ليس واضح تقول له فيه العبودية لله عز وجل.

والنقطة: أننا نحن عرفنا أن الله عز وجل فداه بذبح عظيم, نحن كقراء للقرآن الكريم: لا نعرف حقيقة هذا الابتلاء, أما سيدنا إبراهيم: لما أمروا بالأمر, ما كان في فداء. فالله قال:

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾

[سورة الصافات الآية:106]

والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

الدرس (39- 49) : القصة في القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

القصة في القرآن الكريم ذات هدف توجيهي :

أيها الأخوة ؛ نقطة متعلقة بالقصة في القرآن الكريم ، القصة في القرآن الكريم ليست هدفاً تسجيلياً ، بل ذات هدف توجيهي .

أحياناً نسجل وقائع ، الهدف تسجيلها ، أحياناً الهدف التعبير؛ لكن هناك هدفاً أسمى من هذا وذاك هو الهدف التوجيهي ، فالله سبحانه وتعالى ما أورد في القرآن الكريم هذه القصص - وهذه قصص أنبياء كرام - إلا لهدف توجيهي فيه ، نحن كمؤمنين نقرأ هذا الكتاب الكريم ، ماذا يعنينا من قصة سيدنا داود ومن قصة سيدنا سليمان إلا أن نأخذ منها قاعدة تنير لنا الطريق في حياتنا ؟

فدائماً وأبداً : إذا قرأت القصة في القرآن ، لا ينبغي أن تفهمها فهماً تسجيلياً أو فهماً تعبيرياً ، يجب أن تفهمها فهماً توجيهياً ، هذه النقطة الأولى ؛ أية قصة في القرآن ، ما دامت قرآناً يتلى إلى يوم القيامة ، فليس الهدف التسجيل ، وليس الهدف هو التعبير ، إنما الهدف هو التوجيه .

في قصتي سيدنا داود وسليمان ؛ سيدنا داود كما تذكر الآيات قال الله له :

﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

[سورة ص : 26]

سيدنا سليمان أحب حب الخير عن ذكر ربه ، وفي القصتين مجتمعتين ينبغي أن نفهم الحقيقة التالية :

أولاً : في الإنسان جانب عقلي ، وفيه جانب نفسي ، وفيه جانب سلوكي ، فكل من نما فيه جانب على حساب جانب ، فقد غالى بالتعبير القرآني ، أو تصرف بالتعبير المعاصر؛ مغال أو متصرف ، وكل من حقق التوازن بين هذه الكليات الثلاث فقد تفوق ، فحينما تنشغل بصلواتك وعباداتك عن الأعمال الصالحة ، فأنت قد قصرت .

التوازن الدقيق المستمر بين العبادة والعمل :

بالمناسبة : التطرف سهل دائماً ، أما التوازن فصعب ، الموقف الحاد يمنة أو يسرة، إيجاباً أو سلباً ، سهل على الإنسان ، سهل أن تكون قاسياً جداً ، وسهل أن تكون ليناً جداً ، أما أن يحتار الناس الذين معك ، يحتارون بين شدتك وبين رحمتك ، فهذه البطولة هنا ، فالإنسان يرجح جانباً يتطرف ، يغذيه على حساب جوانب أخرى ، هذه قضية سهلة ، أما أن يجمع بين العبادة والعمل الصالح . يوجد أشخاص وقتهم كله في العبادة ، هؤلاء أغفلوا مهمة كبيرة جداً في الحياة الدنيا، وهناك أشخاص كل همهم في العمل الصالح على حساب عبادتهم ، فالذي يرجح جانب العبادة على جانب العمل الصالح ، صحيح أنه يشعر بالصفاء ، لكنه في الآخرة ليس من المتفوقين، لأن حجم الإنسان بحجم عمله ، والذي يرجح العمل الصالح على العبادة ، صحيح له أعمال كثيرة ، لكن الشحنة الروحية ضعفت ، وحينما تضعف الشحنة الروحية ، يشعر بالسأم أحياناً ، والملل ، فمن القصتين يجب أن نستنبط أنه لا بد من التوازن الدقيق المستمر بين العبادة والعمل ، إذاً : العقل غذاؤه العلم ، والقلب غذاؤه الذكر ، والجوارح يجب أن تنضبط بالمنهج الشرعي ، هذا هو التفوق.

القصص في القرآن أدلة تطبيقية إيجابية تارة وسلبية تارة أخرى :

النقطة الثالثة : هناك أحياناً أدلة على الفكر ، أدلة تطبيقية ، وقد يسأل سائل : لماذا كل هذه القصص في القرآن الكريم التي تبين أخبار الشعوب ؟ ماذا يعنيني من عاد ، وثمود ، وتبع ، وقوم شعيب ؟

يعنيك أن هذا المنهج أحد أدلته الكبرى أن هؤلاء طبقوه فسعدوا ، وهؤلاء خالفوه فكانوا من الهالكين، هذا دليل تطبيقي ، إنسان جاء بنظرية ، حينما يطبقها ، والتطبيق يثبت صحتها ، هذا أقوى دليل ، وحينما يترك تطبيقها ، فيدفع الثمن باهظاً ، هذا أكبر دليل .

إذاً : كلما قرأنا عن قصص الأنبياء ، يجب أن نقف عند هذه النقطة ؛ أن هذه القصص أدلة تطبيقية إيجابية تارة، وسلبية تارة أخرى .

ارتباط رقي الإنسان باجتماع الجانبين الأرضي و السماوي فيه :

هناك نقطة مهمة في سورة الزمر ؛ هل هناك إشارة في هذه السورة إلى عبادة القلب؟

الآن : العين تعبد الله بغض البصر ، واللسان بترك الغيبة ، والنميمة ، والسخرية ، والاستهزاء ، والإفك ، وما إلى ذلك ، اليد لخدمة الخلق ، والبعد عن البطش ، إلى آخره . . ما من جارحة إلا ولها عبادة خاصة ، القلب كيف يعبد الله عز وجل ؟ بالإخلاص ، في كلمتين جُمعت عبادة الجوارح ، وعبادة القلب . الآية الأولى :

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾

[سورة الزمر:2]

اعبد الله ، أي أنت الزم أمر الله ونهيه :

﴿ لَهُ الدِّينَ﴾

[سورة الزمر:2]

هناك نقطة ثالثة في قصة سيدنا داود ، نسيت أن أذكرها لكم ؛ هناك غريزة في الإنسان ، وله عقل ، أما الملائكة فمرتاحون من الجهاد ، عقل مطلق ، والحيوانات شهوة فقط ، فالحيوان ليس مكلفاً ، لا يوجد عنده قيم ومبادئ يطبقها ، وليس هناك نزاع بينه وبين نفسه ، والملك لا يوجد عنده شهوات تنازعه تجاه الله عز وجل ، فالملك مرتاح من الجهاد ، والحيوان مرتاح من السمو ، لكن الإنسان ركبت فيه نزعة أرضية ، وهذه الغرائز ، ونفخة من روح الله عز وجل ، إذاً هناك جانب أرضي ، وجانب روحي سماوي ، فمن اجتماع الجانبين يرقى ، لأنه هو دائماً في صراع ، لذلك : أعرض عن الهوى .

تحرك الإنسان وفق باعثين ؛ العقل أو الهوى :

أخواننا الكرام ؛ الإنسان دائماً يتحرك وفق باعثين ؛ باعث العقل الذي يقودك إلى الله حكماً ، وباعث الهوى الذي يقود الإنسان إلى المعصية والفسق والفجور ، ممكن أن تمتحن نفسك بكل لحظة ، هذه الحركة باعثها الغريزة أم العقل ؟

العقل يأمرك بطاعة الله ، يأمرك بالبحث عن الحياة الأبدية ، والشهوة تأمرك أن ترويها عاجلاً لا آجلاً ، فأنت في صراع ، لذلك : المؤمن ملك نفسه ولم تملكه نفسه ، وانقاد له هواه ولم ينقد لهواه ، أي مسيطر ، حتى فكره فكر المؤمن يقوده ، فكر الكافر يبرر له ؛ بين أن يقود ، وبين أن يبرر ، إذاً : لا تعجب من

وجود نوازع أرضية في الإنسان ، لولا هذه النوازع الأرضية لما كان هناك معنى لاستقامتك ، أو لرقيك عند الله عز وجل .

ارتباط الرجاء بالإنابة و المغفرة بالتوبة :

الحقيقة في سورة الزمر – كما يقول السلف الصالح– أرجى آية في القرآن على الإطلاق :

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾

[سورة الزمر:53]

الله عز وجل ما ذكر المعصية ، بل ذكر الإسراف ، المسرف في المعصية باب التوبة مفتوح ، لكن إن لم يُنِب الإنسان إلى الله عز وجل :

﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾

[سورة الزمر:54-55]

لو تتبعت آيات الرجاء في القرآن الكريم ، لوجدت أن كل آية رجاء وراءها آية عقاب:

﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾

[سورة الحجر : 49-50]

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾

[سورة الزمر:54]

فكل رجاء معه ردع وعقاب ، فالرجاء إذا نُظر إليه من زاوية واحدة ، هذا غلط ، الرجاء مرتبط بالإنابة ، المغفرة مرتبطة بالتوبة ، لكن الإنسان عندما يحار يعم الفساد ، الباطل مسيطر ، قوى الشر قوية جداً ، قوى الخير ضعيفة ، لا يقوى على إصلاح المجتمع ، هل هناك آية تريحه ؟

إصلاح المجتمع أولى ، أن تكون إيجابياً أولى ، أن تسهم بنشر الحق أولى ، لكن أحياناً هناك حالات خاصة بآخر الزمان ، بظروف صعبة جداً ، تشعر أنك لا تملك شيئاً ، لا تملك أولادك ، والفساد عمّ ، وخمسون حاجز فساد ، قبل أن يصل أحدهم إليك ، في مثل هذا الظرف الصعب هل هناك آية تريح الإنسان؟

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾

[سورة الزمر:7]

هذه الإسراء .

أما في الزمر :

﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾

[سورة الزمر:66]

تنتهي مهمتك في عبادة الله ، وحينما تعبده سوف تأتيك الخيرات من كل جانب ، إذاً : اشكر ، أنت اسع في هداية الخلق ، لكن لا تكلف نفسك فوق طاقتها ، لا تحمل هموم البشر .

لزوم طاعة الله عز وجل :

أحياناً يكون هناك حكمة إلهية لا تعرفها أنت ، فأنا عليّ أن أعبد الله ، لذلك :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾

[سورة المائدة:105]

من معاني هذه الآية أن الزموا أنفسكم ، طهروا أنفسكم ، فأنت كعبد ، جعلك الله مستضعفاً ، ماذا تفعل بنفسك ؟ حكمة بالغة ما بعدها حكمة .

أحياناً : تكون مستضعفاً ، لا تقوى على تحريك ساكن ، في مثل هذه الحالة الزم طاعة الله عز وجل ، وعلى الله الباقي ، وأدق عبارة ، أدق آية قرآنية بهذا المعنى :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

[سورة الرعد:11]

غير ليغير ، الكبيرة التي حولك لا تملكها ، لكن الله يملكها ، فإذا غيرت ما هو في حوزتك ، وما هو بإمكانك ، تولى الله عنك ما ليس بإمكانك ، هذا معنى :

﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾

[سورة الزمر:66]

التوكل على الله لأن الأمر كله بيده :

شيء آخر : آية من آيات التوحيد التي إذا قرأتها آلاف المرات لا تشبع منها ، تحل كل مشاكلنا ، من آيات التوحيد إذا كان الإنسان مستضعفاً وسط قوى شريرة مخيفة ماذا يفعل ؟

هناك آية واحدة توحيدية :

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾

[سورة الزمر:62]

انتهى الأمر ، مهما رأيت جهة قوية ، مخيفة ، يجب أن تؤمن أنها بيد الله ، وأن الله لم يطلقها إلا لحكمة بالغة .

والدليل الآخر : ما أمرك أن تعبده إلا بعد أن طمأنك أن الأمر كله إليك :

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾

[سورة هود:123]

لماذا سمى الله القرآن شفاء للصدور ؟ يكون هناك شيء مقلق ، مخيف ، تكون في حيرة ، تكون في تساؤل، تقرأ القرآن تحل المشكلة .

أي الله عز وجل أعظم وأكرم من أن يخلق جهة قوية ، ويفلتها على الخلق ، يا رب كيف أعبدك و هذا مصيري بيده ؟ يقول لك : لا ، أمره بيدي ، علاقتك معي فقط ، عليك أن تطيعني وأنا أحميك منه :

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾

[سورة هود:123]

التوحيد علاج كلّ الأمراض التي يعاني منها الإنسان :

أخواننا الكرام ؛ في العالم كله لا أحد ينكر – إلا الشواذ – أن لهذا الكون إلهاً خالقاً، أما المشكلة فليست في الخلق ، في التسيير :

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾

[سورة الزخرف:84]

هنا المشكلة ، يتفاوت الناس بالإيمان ، لا بإيمانهم بأن لهذا الكون خالقاً ، لا يتفاوتون بإيمانهم بأن هذا الخالق بيده كل شيء ، مهما كان الشيء دقيقاً :

﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾

[سورة الأنعام:59]

الصندوق الذي فيه سيدنا موسى ، من سيّره إلى شاطىء قصر فرعون ؟ من ألهم امرأة فرعون أن تأتي في الوقت المناسب ؟ من ألقى حبه في قلبها ؟ من الذي منعه أن يرضع من أية مرضعة ؟

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾

[سورة القصص:12]

كيف نجحت أمه في إرسال أخته تتقصى الخبر ؟ وكيف طلب فرعون من أمه أن ترضعه وهو لا يعلم ؟

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾

[سورة القصص:13]

معنى هذا أن فرعون ، وأدنى من فرعون ، والأمهات ، والإرضاع ، وحركة الصناديق بالمياه ، كل ذلك بيد الله عز وجل ، هذه القصص مؤداها أن تؤمن أنه لا إله إلا الله، لذلك نحن الآن علاجنا التوحيد ، بالتوحيد ترتاح أعصابنا . اسمعوا الآية :

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾

[سورة الشعراء:213]

إذاً عذاب الإنسان يأتيه من عدم التوحيد ، وعدم التوحيد يرتبط بالشدة النفسية ، وهناك قائمة أمراض طويلة عريضة كلها بسبب الشدة النفسية ، والشدة أساسها الشرك ، أن تخاف من جهة ، هي في الحقيقة بيد الله عز وجل .

الجنة محض فضل وجهنم محض عدل :

آخر آية في سورة الزمر :

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾

[سورة الزمر:74]

بعضهم قال في هذه الآية : إن الجنة وما فيها من نعيم مقيم ، بسبب أنك في الأرض عرفت الله ، وعملت الأعمال الصالحة .

أحياناً الإنسان يتمتع بمكانة اجتماعية عالية جداً ، بسبب شهادة عالية نالها ، كل هذه المكانة وهذا الخير بسبب سنوات الدراسة العصيبة في الجامعة ؛ السهر الطويل ، وتأدية الامتحانات ، هذه سبب هذه المكانة ، لذلك الجنة سببها ، لا أقول ثمنها بل سببها ، الثمن هو فضل الله عز وجل ، مثل بيت ثمنه أربعون مليوناً ، أنت دفعت ثمن المفتاح فقط مئة ليرة ، هو ثمنه يقدر بأربعين مليوناً ، أنت ما دفعت ثمن البيت ، دفعت ثمن السبب ، المفتاح فقط ، فكل أعمالك الصالحة في الدنيا هي سبب وليست ثمناً .

الجنة محض فضل ، وجهنم محض عدل .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (40-49) : الخلل في العقيدة يقابله خلل في السلوك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة الكرام:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آَيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾

[سورة غافر الآية:69]

الإنسان له فكر, وله سلوك, لكن هناك تلازم ضروري, تلازم ضروري بين صحة العقيدة وبين استقامة السلوك, فكل خلل في العقيدة, يقابله خلل في السلوك, فهذا الذي يرفض الحق, يأبى أن ينصاع لله عز وجل, يجادل, يريد أن يكون الدين على هواه, يريد أن يحل بعض ما حرم الله, هذا الإنسان الذي يرد الحق ولا يقبله, ويناقش, ويجادل, دعك من كلامه, ودعك من حججه, ودعك من تفكيره, وانظر إلى سلوكه, (سلوكه):

﴿أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾

[سورة غافر الآية:69]

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾

[سورة الماعون الآية:1]

﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾

[سورة الماعون الآية:2]

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾

[سورة القصص الآية:50]

يعني: أنت أريح لك تترك مناقشته, وتراقب سلوكه, انظر تعامله المادي, انظر علاقاته الاجتماعية؛ أين يسهر؟ مع من يخالط؟ كيف ذمته؟ فانحراف سلوكه دليل انحراف عقيدته:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آَيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾

[سورة غافر الآية:69]

معنى المجادلة هنا: الإنسان إذا أوتي الفكر, أو هذا الذكاء, أصر على شهواته, يستخدم هذا الفكر, لا ليدله على الحق, بل ليبرر سلوكه, فالنقاش نوعان؛ نوع تبريري: كل إنسان الله آتاه فكر, وكان عنده ذكاء عال, هذا الذكاء يستخدمه لتبرير سلوكه, دعك من أفكاره, ومن حججه, ومن آرائه, وانظر إلى أعماله, أعماله الدنيئة تدل على فكره السقيم. في آية أخرى:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾

[سورة العلق الآية:9]

﴿عَبْداً إِذَا صَلَّى﴾

[سورة العلق الآية:10]

انتهت الآية, يعني انظر إلى علاقاته المالية لا يوجد ذمة, انظر إلى علاقاته الاجتماعية لا يوجد عنده وفاء, لا يوجد عنده عفة, مستعد يفعل كل شيء, فهذه الآية تبين التلازم الضروري بين صحة الفكر وصحة العقيدة, وبين صحة السلوك, فإذا التبس عليك الأمر, أعطاك حجة قوية, أو طعن, طعن, ما تمكنت ترد عليه, دعك من فكره, وانظر إلى عمله, عمله السيء دليل فكره السقيم:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾

[سورة الماعون الآية:1]

﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾

[سورة الماعون الآية:2]

هذه الآية, وعدة آيات في كتاب الله تبين هذا التلازم الضروري: بين صحة الفكر وسلامة العقيدة, وبين سلامة الأسلوب أو انحراف الأسلوب, يوجد آية وحيدة في كتاب الله, لأن كتاب الله –كما تعلمون– مثاني, الآية تنثني على أختها فتفسرها, في آيات كثيرة جداً يُعزى فيها الإضلال إلى الله:

﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

[سورة النحل الآية:93]

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

[سورة الرعد الآية:33]

هذه الآية, هذه تبين ما هو الضلال الذي يضله الله عز وجل. يقول الله عز وجل:

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾

[سورة غافر الآية:70]

هذه الآية اثنان وسبعون:

﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾

[سورة غافر الآية:71]

﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾

[سورة غافر الآية:72]

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾

[سورة غافر الآية:73]

أين الأصنام التي عبدتموها من دون الله؟ أين فلان وعلان الذي ألهتموه في الدنيا؟ أين زيد أو عبيد الذي عصيتم الله من أجل إرضائه؟:

﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾

[سورة غافر الآية:73]

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا

-أين هم هؤلاء الذين عبدتموهم؟ أين هم الآن؟ دعوهم كي ينجوكم من هذا العذاب-:

قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئاً

-هذا الذي عبدوه طوال حياتهم, إن كان صنماً, أو شخصاً, أو رجلاً. قال-:

بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئاً

-طلع لا شيء, ولم يطلع أقل مما يتصورون.

أحياناً الإنسان: يكون هذا الشيء عنده كبير, ثم يبدو له أصغر مما يتصور, لا شيء إطلاقاً, لا شيء, يعني إنسان معه مليون, أنت تظن معه مئة مليون, طلع معه مليون, ما معه ولا قرش, نعم-:

قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئاً

-الآن-:

كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾

[سورة غافر الآية:74]

يعني: الله ﷻ يضل عن شركائه, لا عن ذاته, يضل عن شركائه, وهذا الشيء ثابت في أي لحظة, تتوهم: أن فلان أو علان, زيد أو عبيد, يقدر يخلصك, أو ينجيك, الله عز وجل يخيب أملك فيه حتى تتركه, وهذا هو الشرك الذي ربنا عز وجل يعالجه, كلما ارتكيت على إنسان, واعتمدت على إنسان, وقلت: فلان صاحبي, وفلان يده طايلة, الله عز وجل يلهمه يتخلى عنك, يسيره, لا أقول: يلهمه, يسيره, يتخلى عنك:

﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا

-الله قال-:

كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾

[سورة غافر الآية:74]

فإذا عزي الإضلال إلى الله, فهو الإضلال عن شركائه, لا عن ذاته, أو إذا عزي الإضلال إلى الله, فهو الإضلال الجزائي المبني على الضلال الاختياري.

يعني: دائماً الإنسان حسن الظن بالله ثمن الجنة, ولا تستقيم العقيدة, إلا إذا جاء القرآن متناسق. الله قال:

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾

[سورة الأعراف الآية:180]

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾

[سورة الأعراف الآية:180]

أسماؤه كلها حسنى, فإذا قلنا: إنه مضل, يعني يضل عن شركائه, لا عن ذاته, يعني الخير كله عند الله, والسعادة كلها عنده, والجنة عنده, والحياة بيده, والممات بيده, فلما الإنسان يتجه لغيره, رحمة الله به تقتضي أن يصرفه عن هذا الشريك إلى ذاته, فغيره يخيب له ظنه, يكون لئيم معه.

يعني أحياناً الإنسان: إذا كان عبد غير الله عز وجل, أو علق آماله بغير الله, هذا الإنسان يا ضعيف, يا لئيم, إما أن يمتنع عن خدمتك لضعفه, أو يكون قوي, لكن للؤمه, بالحالتين ما استفدت منه, فهذا الشرك الذي ربنا عز وجل يعالجه بهذه الطريقة, كلما الإنسان اتجه لغير الله:

﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئاً﴾

[سورة غافر الآية:74]

النقطة الدقيقة: أنه ما كان يظنه بحجم, وبدا له أقل, طلع لا شيء.

يعني لما النبي الكريم قال:

((الدُّعاءُ مُخُّ العبادةِ))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

ممكن نحن وهذا علم نادر جداً, وأشار له ابن القيم: أن أعلى أنواع العلم: أن تكتشف هذه الأحاديث الشريفة, أين أصلها في القرآن الكريم؟ لما النبي قال: ((الدعاء مخ العبادة)).

يعني أعظم شيء في العبادة: أن تدعو الله, والإنسان بالصلاة يدعو الله, الصلاة دعاء, وفي الصيام له دعوة عند إفطاره مستجابة, قبل أن يأكل: ادع الله, إذا الإنسان ذهب للحج, أول ما تقع عينه على الكعبة, له دعوة مستجابة, والطواف في دعاء, كله دعاء, والسعي دعاء, والوقوف بعرفة دعاء, ومن دعاء الحج كله دعاء, والصيام دعاء, والصلاة دعاء, وإذا الإنسان زكى في دعاء خاص, وفي أدعية للنبي مأثورة, فمن أين جاب النبي: ((الدعاء مخ العبادة))؟:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ

-انظر-:

إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾

[سورة غافر الآية:60]

هذه أساساً: ادعوني, والذي يتكبر عن دعائي. قال لك:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾

[سورة غافر الآية:60]

فنحن الكلمة المناسبة حسب السياق هو الدعاء, فربنا حذفها, حل محلها العبادة, معناها: الدعاء هو العبادة, أو الدعاء مخ العبادة, والدعاء أعلى مستوى في العبادة.

انظر: لما الإنسان يكون واقع تحت ضيق, له عند الله حاجة, يكون اتصاله بالله مكثف؛ في حرارة, في ضرورة, في التجاء, لذلك: ربنا عز وجل لما يضعف, يضعف الصدق في الدعاء, تأتي مشكلة, هذه تسوقك إلى باب الله, فالإنسان البطل الذي يدعو بحرارة, دائماً هو في أمن: يعني يا رب عفوك ورضاك مثلاً, يا رب استرنا بسترك الجميل, يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث, فالإنسان وهو في بحبوحة: عليه أن يدعو بحرارة, وإلا تأتي الحرارة من مشكلة, لذلك:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾

[سورة غافر الآية:60]

وفي كلمة لطيفة: أن الله سبحانه وتعالى ما أمرك أن تدعوه, إلا ليستجيب لك, يعني يوجد أناس عنده يأس من الدعاء, أن الله عز وجل لا يستجيب, لكن الله عز وجل له قوانين في الدعاء. قال لك:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

[سورة الأعراف الآية:55]

يعني: أنا لا أستجيب لمن يعتدي على خلقي, إذا كان يوجد لك عدوان, آكل مال حرام, معتدي , في تطاول, أد ما دعيت بفصاحة وبلاغة, وأتيت بأدعية مأثورة, الله لا يستجيب لها:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

[سورة الأعراف الآية:55]

هذا المعتدي لا يستجيب له, من آيات الله الدالة على عظمته:

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً

-انظر البناء, صار له أربعمئة, خمسئة هذا البناء, ما فيه شق, لو في اهتزاز بسيط جداً, لظهرت الشقوق على .... الأرض تدور حول نفسها, وتدور حول الشمس, وتنطلق بسرعات هائلة, استقرار تام, والذي يؤكد هذا الاستقرار: الزلزال, كيف الزلزال يخرب مدن بأكملها؟ طيب: استقرار الأرض, هذه من نعم الله الكبرى-:

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً

-يعني: رغم الحركة في استقرار, في سكون متحرك, أو حركة ساكنة, الآن: السيارة تهتز, الطائرة تهتز, لكن أحياناً الطائرة: يكون الجو لطيف, والطائرة جيدة جداً, تجد كأنها واقفة, لولا أنه في صوت, أو في سحب تحت, تكون تشعر بالحركة, تشعر كأنها واقفة, فالحركة مع السكون, هذا شيء راق جداً, الله جعل الأرض قرار, يعني كان تهتز, لا يصبح في بناء, لو اهتزاز دائم, ما دام في حركة, في اهتزاز, لو في اهتزاز, ما في بناء, كل شيء يتصدع.

المعنى الثاني: أن كل شيء تمسكه يقع, معنى في جاذبية, لولا الجاذبية: ما استقر عليها شيء, الجو ثقيل, لأنه في جاذبية, لو ألغيت الجاذبية, ما استقر حجر على حجر, ضع الحجر يطير, أما في أشياء لها وزن, ما هو الوزن؟ هو قوة جذب الأرض للأشياء؛ فأولاً: الجذب يعمل استقرار, ثانياً: الحركة مستقرة-:

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾

[سورة غافر الآية:64]

يعني: الإنسان لو دقق, أن أي مركبة تُصنع كل عام في تطوير, تطوير, من أجل أن تعرف كيف تم التطوير؟

انظر مركبة عمرها مئة سنة, صنع ألف وتسعمئة مثلاً, وراقبها مع مركبة حديثة جداً, تجد الشيء لا يصدق, التطوير الذي صار, لكن خلق الإنسان ما أصابه تطوير أبداً.

هذه النقطة الدقيقة: أن الله خبرته قديمة, لأن خبرته قديمة, ليست مستحدثة, لذلك: لا يطرأ على خلقه تعديل إطلاقاً:

﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾

[سورة الملك الآية:3]

يعني: دقة ما بعدها دقة, والإنسان يلاحظ نفسه, يلاحظ, هذه العين قاعدة بمجر, لو كان قاعدة بالجن, عطبها صار بالمئة تسع وتسعون, لها محجر؛ الحواجب وقاية, الجفن وقاية, الدمع وقاية, الرموش وقاية.

امسك الأذن, هذا الصيوان, فتحة الأذن أقل من خنصرك, لو كان أوسع, طفل يمكن يثقب طبلة أذنه وهو لا يشعر, يعمل هكذا ..... ثقبها, لكن الإصبع لا تدخل للداخل, في مادة صملاخية تمنع وصول الحشرات, هذا الصيوان, ممكن يجيب الأصوات كلها, أذنين, من أجل أن تعرف جهة الصوت, يصل الصوت إلى هنا قبل هنا.

واحد يمشي في الطريق, وراءه سيارة, زمرت, يصل الصوت من هنا قبل هنا, بفارق واحد على ألف وستمئة وعشرين جزء بالثانية.

بالدماغ في جهاز, يكشف تفاضل وصول الصوتين, تعرف جهة الصوت, في شخص يمشي بالطريق, يسمع زمور, يأتي على اليمين, طيب: لماذا لم يأت على اليسار؟ لأنه عرف الجهة.

أنا والله مرة كنت مسافر, وجدت في قطيع غنم, زمرت, ذهبوا على اليسار, قلت: ليس فقط نحن معنا هذه الميزة, يعني أيضاً الحيوان معه نفس الميزة, يعرف جهة الصوت الحيوان, هذا خلق كامل, طيب: هذا الطفل بالحليب لا يوجد حديد, الله أودع بالطحال كمية حديد, تكفيه سنتين, تصميم من هذا؟

حسناً: كل شيء يكون غضروف, يصير عظم, إلا الأنف بالعكس, أثناء الطفل يولد غضروف شديد جداً هذا, بعد ذلك: يصبح لحم, لأنه أثناء الرضاعة ممكن يختنق الطفل, بضمان وصول الهواء إلى الرئتين, تجد أنفه غضروفي أكثر مما يجب, مع تقدم السن, يرجع لين فتحة الأنف, الأنف فوق الفم, لو كان بالعكس, لو كان الأنف نحو الأعلى:

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾

[سورة الانفطار الآية:8]

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾

[سورة غافر الآية:64]

هذا المفصل, لولا المفصل, الإنسان يأكل مثل القطة, عليه أن ينبطح, ويأكل من فمه رأساً, أما هذا المفصل يوصل الطعام للفم, هذه المفاصل؛ مفصل داخلي, الرجل خارجي, الرسغ حركة كاملة, الأصابع متفاوتة بالطول, تضمها, تصبح واحد, في أشياء دقيقة بالجسم:

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾

[سورة الانفطار الآية:8]

الشعر –مثلاً– ما فيه أعصاب حس, العظم فيه أعصاب حس, الأسنان فيه أعصاب حس, لولاها كان الواحد أسنانه كلها تعطلت, وتسوست, وانتخرت, وسقطت, وهو لا يشعر, أما أول ما يصبح النخر بالسن, لا تنام الليل, اذهب يعني صلح أسنانك, ضع حشوة, كسبته لأسنانك, في عصب, هذا جهاز إنذار مبكر, إذا الإنسان فكر بأسنانه, فكر بسمعه, ببصره, هذه العين هذه انظر الصورة, تعطيك الصورة بنفس الحجم, الآن صورة صغيرة, أنت ترى الجبل جبل , بحجمه الطبيعي تراه.

طيب: ماذا يوجد في الشبكية؟ مئة وثلاثون مليون عصية ومخروط للشبكية, عشر طبقات, يعني وشيء معقد جداً, في بالشبكية مواد كيماوية, تتأثر بالضوء, وإذا تأثرت بالضوء, ينشأ تيار متفاوت الشدة, هذا هو الصورة, تنتقل للدماغ, طيب: ما مركز الذاكرة بالدماغ؟

الإنسان يعيش سبعين سنة, يوجد بذاكرته سبعون مليار صورة, (سبعون مليار).

أحياناً: تلمح شخص, يغيب عنك ثلاثين سنة, تقول: فلان, تسمع صوت, عندك ذاكرة, أصوات ذاكرة, مشمومات ذاكرة, صور, إذا الإنسان إذا اعتقد بجسمه وحده, أكبر دليل على عظمة الله عز وجل:

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾

[سورة الانفطار الآية:8]

يعني الإنسان أحياناً: يقولون: أن عنق الفخذ العظم, هذا العنق الفخذ صار عظم, له انعكاف, وفي الهشاشة, طيب: هذا المكان هذا عليه كل الضغط, كل الجزع يحمله هذا العنق, الفخذ هذا يتحرك مئتين وخمسين كيلو ضغط, ومئتين وخمسين كيلو, الإنسان يلقى عظمة ونصف طن, من أين جاءت القساوة؟ هذا أساسه ماء مهين, أساس الإنسان ماء, هذه القساوة من أين جاءت؟:

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾

[سورة الانفطار الآية:8]

ينكسر العظم, الخلية العظمية تنام أربعين سنة, يصير في كسر, تستيقظ, تعمل, العظم يلحم, العظم ينمو, من أوقفه عند حده؟ القابض والباسط, طيب: قبضه؟ لو كان النمو مستمر, مرض اسمه: العملقة, لو أن الأسنان تنمو باستمرار, لو أن العظم ينمو باستمرار, كأن العظم تجده ينمو, كأنه في خط الهواء واقف, هنا يقف, من أوقفه هنا؟ لكن النقطة: من أمره أن يقف؟

وطفل وزنه ثلاثة كيلو, كبر, يأكل, بعد ذلك: وصل للثمانية عشر, عشرين, أخذ طول معين, ثبت, من ثبته؟ الثبات نعمة كبيرة, فالنتيجة: أن الإنسان ممكن يصل من خلال أجهزته إلى الله, من خلال خلقه, وخلقه أقرب شيء له.

الإنسان أحياناً يتقيأ, التقيؤ حركة معكوسة, شيء عظيم إذا كان في تسمم, في طعام فاسد, هذا الشيء ينبه آلية معينة, حتى الواحد يتقيأ, التقيؤ عملية صيانة للإنسان, نعم:

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾

[سورة غافر الآية:64]

أنا أرى: لما الإنسان يغفل عن عظمة الله, أكلت تفاحة, والله شيء يلفت النظر؛ حجم, على لون, على رائحة, على طعم, على مواد مرممة لها, يقول لك: فيتامينات, ومعادن, وكالسيوم, وفوسفور, وحديد, ومواد سكرية, وماء, ولها غلاف, لها قشرة تمنع وصول الجراثيم لها, طيب: من صمم هذا التصميم؟ انظر:

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾

[سورة غافر الآية:64]

يعني أحياناً: غرام البندورة, يعطي مليون ضعف, مليون ضعف, أكبر بيت نصف دونم مساحته, هذا يحتاج إلى خمسة غرامات بندورة, بذر خمسة غرامات, تغيبه حوالي شهرين, تجد مجموع خضري بالأطنان وزنه, طيب: هذا المجموع الخضري: من أين جاء كله؟ من الخمسة غرامات, كيف يعني الله عز وجل يرزقنا خمسة غرامات؟ يعطوا تقريباً اثني عشر طن, عشرين طن أحياناً, ثمانية طن, ستة طن, حسب الأنواع لكن بالأطنان, لو أعطوك خمسة طن, مليون ضعف, معناها الغرام طن أعطاك, مليون أعطاك أو أكثر, فالرزق هذا, نظام البندورة, هذا النظام, لو الله خلق كميات ضخمة من الفاكهة, **بيخلصوا هدول**, أما هذه الفاكهة فيها عوامل, تجديدها كل فاكهة فيها بذرة, تزرعها, تطلع فاكهة عوضاً عنها, وهكذا ......:

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾

[سورة غافر الآية:43]

يقول –هذا مؤمن فرعون–:

﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾

[سورة غافر الآية:41]

﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾

[سورة غافر الآية:42]

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ

-انظر-:

لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ﴾

[سورة غافر الآية:43]

ما معنى هذه الكلمة؟:

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾

[سورة غافر الآية:43]

صنم مثلاً, أو شخص ليس له دعوة, يعني ليس له منهج, ليس له منهج أسير عليه, يعني إذا واحد دعاك إلى تشريع أرضي, لا يوجد منهج, لكن في ولاء فقط, واليت زيد أو عبيد, خلص, لكن يا ترى في أمر, في نهي, في منظومة قيم, ما في شيء, والشيء الثاني: إذا دعوت لا يستجيب لك, ليس له دعوة, هذا الإله هذا منهجه, كتاب فيه: افعل ولا تفعل, في أوامر, وفي نواهي, في تفسير للكون, للحياة, للإنسان.

وشيء آخر: في إذا كان دعوته يستجيب لك, فهذا ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة, يعني: لا له منهج يأمرك كيف ينهاك, وإذا دعوته لا يستجيب, يعني في فرق صارخ؛ بين أن تعبد إلهاً خالقاً, وبين أن تعبد مخلوقاً ضعيفاً, والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

الدرس (41-49) : خصائص الكفار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة, من قوله تعالى:

﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾

[سورة الدخان الآية:15]

يتضح: أن من سنن الله عز وجل في معاملة عباده: أنه إذا ساق لهم الشدة, يرفعها عنهم قليلاً, وهذا الرفع موقت, فإن لم يرجعوا, عادت الشدة القاصمة:

﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾

[سورة الدخان الآية:15]

يعني كقصة نموذجية لهذه الآية: رجل راكب سيارته, هو مغتصب مال حرام, أصابته أزمة قلبية, وهو يقود السيارة, أُخذ إلى المستشفى للعناية المشددة, لما أدرك الخطر, فطلب كاسيت مسجلة, واعترف أن هذا المحل الفلاني لفلان, هذا المحل لأخوته, خاف, بعد يومين: شعر أن هذه الأزمة قد ولت, ما عاد في شيء, فطلب كاسيت وكسره, وعاد إلى ما كان عليه, بعد ثمانية أشهر: جاءت الأزمة القاصمة وانتهى, هذه من سنن الله عز وجل, تجد شدة ترتفع, يعني يعطى فرصة للتوبة.

أحياناً الإنسان: أثناء الضغط, يكون لا يوجد عنده قدرة يستوعب, فربنا عز وجل الضغط صار في دافع, رفع الضغط الله عز وجل, حتى يفكر تفكير سليم, ويعمل معادلات جديدة, فإذا أصر:

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾

[سورة الدخان الآية:16]

فالملاحظ: أنا أشعر هناك يعني أمثلة كثيرة جدا, شدة شديدة ترتفع, والشدة رفع, الشدة إعطاء فرصة للإصلاح, فإذا الإنسان لم يستفد منها, تأتي الضربة القاصمة, هذا من سنن الله في عباده. النقطة الثانية:

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾

[سورة الدخان الآية:9]

الله عز وجل حينما يصف الكفار وصف جامع مانع:

﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾

[سورة إبراهيم الآية:3]

﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾

[سورة إبراهيم الآية:3]

كل الأساليب التي يستخدمونها أساليب ملتوية, أساليب غير صحيحة, وهمهم الوحيد: الصد عن سبيل الله, ذلك وصف جامع مانع, هذا وصف ثان:

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾

[سورة الدخان الآية:9]

أما كلمة لعب, يعني من خصائص اللعب: أنه ليس له آثار مستقبلية, واحد لعب بالطاولة للساعة الواحدة, وانتهت العملية, يا ترى اللعب له أثر؟ شاهد مباراة, بعد أن شاهدها, فلان انتصر, أنت ماذا جاءك؟

لاحظ: أن كل أنواع اللعب أولاً: ليس لها أثر لاحق إطلاقاً, تنتهي مع انتهائه, في شيء آخر باللعب: حينما تنتقل منه تراه حقيراً وصغيراً, وأكبر دليل:

لما كان الطفل يُمسك علبة كبريت, يمشيها سيارة, وكل ذهنه أن هذه سيارة, ويعطيها أصوات معينة, إذا كان رآه أبوه, يراه طبعاً بسنه ماشي الحال, أما عمل ليس له معنى, أما حينما يكبر, ويرى كيف كان يمضي الأوقات في هذه اللعبة, يحتقر نفسه أيضاً, اللعب له ميزتين, ليس له أثر مستقبلي أبداً.

الآن: واحد لو قرأ كتاب, يعني كتاب صحي, هذا الكتاب خلف قناعات, جعله يتحرك حركة صحيحة في طعامه وشرابه, هذه القراءة لها اثر مستقبلي نافع, فكل شيء ينتهي مع انتهائه, لاحظ: كل شيء ينتهي مع انتهائه, ليس له اثر مستقبلي, هذا لعب, وكل شيء إذا خرجت منه يأتيه صغيراً, أيضاً لعب. الله قال:

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾

[سورة الدخان الآية:9]

أحياناً الإنسان: ينتهي بالدنيا بأشياء, هي عند الناس ذات قيمة, لكن حينما يأتيه ملك الموت, يراها محتقرة خفيفة:

يا ضيعة العمر الذي أمضاه فينا

فبقيت النقطة: أن الإنسان بين يعرف الحقيقة بوقت مناسب كي لا يندم, بين يعرفها بوقت غير مناسب, القضية قضية وقت, ليست قضية أؤمن أو لا أؤمن, قضية متى ينبغي أن أؤمن؟ الله قال:

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾

[سورة الدخان الآية:9]

أما الشك: يعني تجد شخص لا يوجد عنده يقينيات بحياته أبداً, هذه يقول لك: الله أعلم, لا أعرف, فكل ما عرضت عليه فكرة مدعمة بآية, يقول لك: بجوز لا يوجد عنده, لا يوجد عنده موقف يقيني, إذا كان كل الأمور عنده معلقة, كل الأمور قابلة للإيجاب والنفي, ممكن وغير ممكن, يا ترى كيف يعيش؟

ويجب على الإنسان أن يكون عنده أشياء يقينية, يتحرك على أساسها, فتجد مسلم يقرأ القرآن, يقول لك: لا, هذا كلام الله عز وجل, هو يمشي عكسه, والله يعد من يعصيه بعذاب في الدنيا وفي الآخرة, كيف متوازن؟ يعني: كيف أنت مساء تستقر نفسك؟ أنه في نهي إلهي وتقترفه, وفي وعيد على هذا النهي ومرتاح, معناها: أنت عملياً لست مصدق هذا الكلام, أو لم تضعه موضع الجد, أو لم تدخله في حساباتك الحقيقية, يقول لك: الله يتوب علينا.

فالنقطة الدقيقة: أن الكافر في عنده صفتين؛ بفكره في شك, بحركته في لعب, والإنسان فكر وسلوك؛ بفكره في شك, بحركته في لعب:

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾

[سورة الدخان الآية:9]

فالمؤمن عكسه, في عنده يقينيات, يأخذ موقف حقيقي من أي قضية دينية, في يوم آخر, في حساب شديد, حسناً, الآن: كل حركة؛ ببيعه, بشرائه, بسهرته, بسفره, بتربية أولاده, بمظهر نسائه في الطريق, بكسب ماله, ما دام في آخرة, ما دام في حساب دقيق, يُدخل الآخرة بالحسابات اليومية, فلذلك: الكافر في شك يلعب, فكره في شك, حركته فيها لعب, المؤمن فكره يقيني, حركته هادفة, يجوز يزور شخص, بنية أن يصله, والوصل من السنة, يجوز يقدم هدية لشخص, هذه الهدية بنية أن يستميل قلبه, فلعله يصغي إليه, يجوز يقدم ابنه, لأنه يريد أن ينشأ نشأة طيبة, فكل حركات المؤمن حركات هادفة, ما في عنده لعب.

النقطة الثانية: لما الإنسان يكون له دخل معين, صغره بهذا الحجم, وأنت حاجتك الأساسية بين مأوى, بين طعام, بين شراب, بين لباس, بين طبابة, بين ...... يعني الحاجات الأساسية إلى هنا, هذا الفائض, هذا ممكن تبني فيه مستقبلك الأخروي, ممكن يكون سبب سعادتك الأبدية, لو أنفقته في سبيل الله, يأتي إنسان يكون دخله قليل, يستهلكه كله في الدنيا, وقسم منه مشروع استخدامه, القسم الثاني غير مشروع, فوت عليك فرحته كبيرة جدا للسعادة الأبدية, بالدخل هذا الزائد, فلذلك: المؤمن هادف؛ في إنفاقه هادف. نقطتين دقيقتين:

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾

[سورة الدخان الآية:9]

تفكيره كله موقت, موقوف, لا نعرف, الله يتوب علينا, بجوز تكون هذه حرام, ومقيم على سلوك معين, وقالوا له: حرام, لكن ليس متأكد, ولم يبحث, لم يتابع الأمر.

طيب: قال لك شخص: هذه حرام, وهذه الآية, لا يصدق, ولا عنده رغبة يبحث, يتابع الأمر, اسأل – أيضاً– شخص ثان.

مرة قال لي شخص كلمة, قال لي: يعني إذا الواحد له سلوك معين ببث المال, وفي واحد قتّاله, مسؤول هو؟ قلت له: طبعاً, قال: كيف؟ قلت له: أنت عندك بيت تريد أن تبيعه, خرجت من البيت, فوجدت بوجهك دلال, يقدر بثلاثة ملايين, تبيعه إياه رأساً؟

لماذا من أجل شقفة بيت, تسال عشرة دلالة, ولو قال لك: هكذا سعره, يقول لك: حتى أسأل واحد آخر, لماذا من أجل شراء سيارة, تأتي بخمسة ستة خبراء؛ واحد للميكانيك, واحد ليكون قالبة, واحد ليكون مفتولة, واحد ليكون نصفين الثاني الحموها, لماذا بأمور شراء السيارة, تبقى مهتم, بأمور بيع البيت مهتم, **يقول لك: اهك, قال لك واحد: حرام أو حلال, أنت أخذت حلال وارتحت, لماذا لم تتابع الأمر:**

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾

[سورة الدخان الآية:9]

الكافر فكره في شك, حركته فيها لعب, اللعب يعني ينتهي مع انتهائه, ليس له اي اثر, وأوضح مثل: اقرأ كتاب معين, يكون مفيد, والعب طاولة, هذا اللعب, بعد ما انتهينا, ما في شيء, ما استفدت ولا شعرة, أمضيت الوقت, لكن بعد ما انتهى اللعب, انتهى كل شيء, شاهد مباراة, انتهى كل شيء, أما قرأت كتاب, افرضه كتاب صحي, وجدت في .... أنت عندك عادات غذائية سيئة جداً, هذه لها مضاعفات, اقتنعت: أن القلب يعني كلما مرنته على الجهد, يكون أعون له على أن يخدمك إلى أطول فترة, تصبح تعمل رياضة, فأنت هذا الكتاب قرأته, عودك على المشي, أو على الجري, أو على عادات غذائية معينة, هذا الكتاب قرأته في هذه الساعة, لكن له اثر لآخر عمرك, في بعض العادات: هذا أبسط مثل؛ ما معنى اللعب؟ ما معنى الشيء الهادف؟ ف:

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾

[سورة الدخان الآية:9]

الشيء الثاني: وربنا عز وجل, هذه كَمْ التكثيرية. قال:

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾

[سورة الدخان الآية:25]

﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾

[سورة الدخان الآية:26]

﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾

[سورة الدخان الآية:27]

﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آَخَرِينَ﴾

[سورة الدخان الآية:28]

يعني: الإنسان, لما كنا مرة ضربنا مثل: شخص يسكن ببيت أجرة, ببلد نظام الآجار فيه: أن مالك البيت بأي لحظة يجعلك خارج البيت, من دون أي إنذار, من دون أي سبب, وما في هروب, طيب: إذا أنت ساكن ببيت أجرة بهذا البلد, الذي فيه هذا النظام, أن المستأجر ليس له أي حق بالبقاء بعد رغبة المؤجر, ممكن تضع كل دخلك بتزيين هذا البيت, وعندك بيت آخر ملكك بس مهدم؛ لا في سقف, لا في حيطان متداعي؟ دخلك الزائد تضعه بتزيين هذا البيت الموقت, الذي لا تملك منه شيئاً, وأنت مهدد بأي لحظة يضعك مالكه بالطريق, وهامل بيتك الأساسي؟ فلذلك:

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾

[سورة الدخان الآية:25]

تجد: يأتي الشخص كل دخله يضعه للدنيا, لرفاهه في الدنيا, يأتي ملك الموت, يأخذ منه كل ما جمعه في كل حياته بثانية واحدة, أبداً, ثانية واحدة:

﴿كَمْ

-كم تكثيرية-:

كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾

[سورة الدخان الآية:25]

﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾

[سورة الدخان الآية:26]

﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾

[سورة الدخان الآية:27]

﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آَخَرِينَ﴾

[سورة الدخان الآية:28]

يا ترى من هو الطموح؟ الذي يسعى إلى مجد في الدنيا, أم الذي يسعى إلى مجد في الآخرة؟ الزاهد هو الطموح, زهد في دنيا فانية, وطمع في الباقية, أما الأحمق: هو الذي طمع في الفانية, وزهد بالباقية.

في نقطة مهمة جداً: النبي الكريم قال: ((شاهد جنازة, قال: هذا مستريح, قال: مستريح أو مستراح منه.

الآن الصحابة الكرام ما فهموا, قالوا: ما مستريح وما مستراح منه؟ قال: أما العبد المؤمن إذا مات, استراح من عناء الدنيا, أما العبد الفاجر إذا مات, استراح منه العباد)).

العباد كلهم يستريحون منه, نعم, طيب المؤمن: يا ترى إذا كان هكذا أغمض عينه, يا ترى يوجد أناس يبكون عليه بكاء حقيقي؟ إذا كان محسن, أولاده يعني يتمنون حياته, أما إذا كان بخيل, يتمنون موته, إذا كان له أعمال طيبة, له دعوة, له خدمة, يعني بقلوب الآخرين .....

انظر ربنا هذه الإشارة:

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾

[سورة الدخان الآية:29]

بالمقابل: معناها المؤمن تبكي عليه السماء والأرض, كل مكان جلس فيه يبكي عليه, كل إنسان عامله يبكي عليه, فالإنسان يجهد أن يكون له مكانة عند الله, أساسها الإحسان للخلق, بحيث أنه إذا غادر الدنيا, تبكي عليه السماء والأرض, والحقيقة: هذا الشيء, هذا رأس مال حقيقي, الإنسان يكون موضع ثقة, يكون محبوب, إما إذا إنسان غير محبوب, والله مشكلة كبيرة.

أحياناً: يسمع هكذا فلتات لسان بحياته, يعني إذا كان مرض, وقال الطبيب: لا بسيطة, الحمد لله, يتألموا كثيراً, ماذا يعني بسيطة!؟ هم لا يريدونها أن تكون بسيطة, قال لهم: ما فيها شيء, بسيطة, عرضية, لا ما في شيء, ما في خطر أبداً, يكون أعطاهم عكس رغبتهم, أما إذا كان إنسان محسن, وقال لهم: بسيطة, يرقصون من الفرح:

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾

[سورة الدخان الآية:29]

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾

[سورة الدخان الآية:51]

ما علاقة المقام بالأمين؟

أحياناً الإنسان: في الدنيا يصل إلى مقام معين, لكن في قلق دائماً؛ في منافسين, في حساد, في وشاة, في إنسان ...... من تحته, في إنسان يقدم فيه كتاب, في إنسان يلبسه التهمة باطلة, وفي ناس ينافسون على المنصب, فمقام الدنيا مقام قلق, ليس مقام أمين, مقام وقت, في معه متاعب, تجد الشخص أربعة أخماس جهده, بذله لتثبيت مركزه, ليس عنده وقت يقوم بالمهمة, يصل, لو فرضنا وضعوه مدير مستشفى, في أطباء ينافسوه, مدير ثانوية ينافسوه كثيراً, فأكثر جهد يبذله من أجل تثبيت وضعه, لم يعد معه وقت لإصلاح الأمر للإدارة الحقيقية, أما ربنا قال:

﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾

[سورة الدخان الآية:51]

إذا كان وصل للجنة الإنسان, هذا مقام أمين:

﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾

[سورة الحجر الآية:48]

خروج منها لا يوجد, هبوط لا يوجد, نكشات لا يوجد, في دعاء نبوي:

((اللهم إنا نعوذ بك من فجأة نقمتك, وتحول عافيتك, وجميع سخطك))

[أخرجه مسلم وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

أحياناً: تجد إنسان, فجأة أصيب بمرض عضال فجأة, ثانية, أنا ماشي وقعت, خلص, خثرة بالدماغ مثلاً, تحتاج إلى معالجة فيزيائية, ويظل الإنسان معطوب؛ ففي فجأة نقمتك, وتحول عافيتك, وجميع سخطك, أما بالآخرة في مقام أمين, فالبطولة: أن تسعى لهذا المقام الأمين. وآخر آية:

﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

[سورة الحديد الآية:12]

يجب أن يطابق تصورك للفوز, الفوز الحقيقي الذي أشار الله إليه, بجوز أنا أرى أن الفوز هو المال, لم يتطابق فوزي مع فوز القرآن الكريم, الله عنده الفوز هو الإيمان, الفوز هو الاستقامة, الفوز هو العمل الصالح, الفوز ......, هذه مقاييس القرآن للفوز, فمن هو المؤمن؟ التي تطابقت عنده مقاييس الفوز الإلهي مع تصوره للفوز.

الآن إذا قلت لشخص: أن فلان اشترى أرضاً, تضاعفت مئة مرة السعر, يقول لك, هذا يقول لك: فوق الريح, هذا تعبير العوام: بيته بالجنة, شاف القدر؛ لا هيت القدر, ولا بيته بالجنة, ولا بالريح, هذه كلها كلمات ليس لها معنى.

((إن الدنيا عرض حاضر, يأكل منها البر والفاجر, والآخرة وعد صادق, يحكم فيه ملك عادل)).

فيجب أن ترى الفوز العظيم الذي سماه الله فوزاً عظيماً, هي الرؤيا, تطابق رؤيتك مع مقياس الفوز في القرآن الكريم.

يعني أنا مرة ضربت مثل: لو فرضنا طالبين على مقعد واحد, صار تاجر كبير, ودخله خيالي, والثاني دخله محدود جداً, لا يكفي دخله نصف الشهر, لكن الذي دخله محدود؛ مؤمن, وملتزم, وقاف عند كتاب الله, وعلى شيء من المعرفة بالله, وله أعمال صالحة طيبة, والثاني متفلت من الدين, إذا يقول الأولاني (المؤمن): أن الله حرمني, وأعطاه, يكون ما فيه جنس الإيمان, يكون لا يعرف شيء إطلاقاً.

فأنا أرى: أن أخواننا الكرام, لا تقل: الله أعطى فلان, لا لم يعطه, العطاء الحقيقي: هو أن تتعرف إليه.

انظر: الله أعطى الملك لمن لا يحب, ولمن يحب, ولذلك مقياساً, أعطاه لسيدنا سليمان, وأعطاه الملك لفرعون, أعطى المال, في صحابة كرام كانوا أغنياء, وأعطاه لقارون, ما دام أعطاه لقارون, لمن يحب, ولمن لا يحب, إذاً: ليس مقياساً.

هذه القصة: أعطى الملك لمن يحب, ولمن لا يحب, ليس مقياساً, لكن الذي يحبه ماذا أعطاه؟ الحكمة؛ العلم والحكمة:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آَتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾

[سورة يوسف الآية:22]

فإذاً:

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

[سورة الصافات الآية:60]

فالإنسان يسعى إلى فوز متطابق مع مقياس القرآن الكريم, والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم, الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا, أكرمنا ولا تهنا, آثرنا ولا تؤثر علينا, أرضنا وارض عنا. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

الدرس (42-49) : الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة:

في العقيدة حقيقة, أو مقولة هي: أن الحسنة ما حسنه الشرع, وأن القبيح ما قبحه الشرع, وعقل الإنسان قاصر عن أن يعرف صالحه, لكن الله سبحانه وتعالى الخبير به, الذي خلقه هو الذي يعرف صالحه, فمهما أراك عقلك: أن هذا العمل فيه خير, ما لم يكن متوافقاً مع الشرع, لا بد من أن تكتشف بعد حين: أنك كنت مخطئاً, وأن الشرع هو المصيب, فلذلك ربنا عز وجل في سورة الأحقاف قال:

﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ﴾

[سورة النمل الآية:19]

فالعمل الصالح لا كما يتراءى لي, لا كما أتخيل أنا, أستمع من أناس كثيرين: أنا أحب مثلاً الإنسان يطلع, بجوز يمشِّي أولاده بطريق غلط, رأى ذلك, رأيك لا قيمة له أمام الشرع, فلذلك: مهما بدا لك, مهما دلك عقلك على عمل تظنه صواباً, ارجع إلى الشرع, فإن أقره الشرع فافعله, وإن لم يقره فأنت المخطىء, والشرع هو الصواب, فلذلك: الأعمال الصالحة في تربية الأولاد, في كسب المال, في إنفاق المال, يقول لك: مشروع خيري مثلاً, حفلة, حفلة غنائية يرصد ريعها للعمل الخيري, للأيتام, لكذا .... لا يتراءى لك العمل الصالح, إلا كما قيده الله.

هو في الإعراب الصفة قيد:

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ﴾

[سورة النمل الآية:19]

الجملة في محل نصب صفة, والصفة قيد, فالعمل الصالح لا يُقبل عند الله, إلا إذا كان وفق منهج الله, أنا أقول في الأعمال الصالحة؛ دعك من السيئات, دعك من المعاصي, إذا أردت أن تعمل صالحاً وفق ما يتراءى لك, وكان هذا العمل مخالفاً للشرع, فأنت مخطىء, والشرع مصيب, ولا بد من أن يتبين لك

بعد حين: كيف أنك مخطىء, وكيف أن الشرع مصيب, فالحسن ما حسنه الشرع, والقبيح ما قبحه الشرع, وعقلك قد يكون قاصراً عن إدراك الحسن, لأن ربنا عز وجل قال:

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة الآية:216]

يعني مثلاً: إنسان يحب يهدي إنسانة, إنسان ملتزم, وفي بعمله إنسانة, يعني يقول لك: أريد أن أهديها, فلو أنه صار في اختلاط, صار في اخذ وعطاء, وسؤال وجواب, وحديث, أنت يتراءى لك أن هذا عمل صالح, عملية هدى, لكن هذه في نهي عنها, الهدى له أسلوب آخر, يكون وفق منهج الله عز وجل, ربما زلت القدم, فدفعت الثمن باهظا, يعني أي عمل صالح أقول: صالح, يتراءى لك انه صالح, ولم يقره الشرع, فهو غير صالح, والصالح هو الشرع, نعم.

لما قال الله عز وجل, أمر النبي أن يقول:

﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾

[سورة الأحقاف الآية:9]

يعني: معقول الله عز وجل أن يحبط عمل النبي عليه الصلاة والسلام؟ لا غير معقول, الله عز وجل كامل, وربنا عز وجل قال:

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

[سورة هود الآية:56]

لكن ليس معقولاً أن يتألى الإنسان على الله, أن يقول فلان إلى الجنة, من أنت؟ فلان إلى النار, من أنت أن تقول ذلك؟

فمن لوازم العبودية: أن تتأدب مع الله عز وجل؛ فالنبي عليه الصلاة والسلام: مع أنه سيد الخلق, ومع أنه عرج إلى الله, وبلغ سدرة المنتهى, ومع أن الله أخبره: أنه سيد الأنبياء والمرسلين, ومع أن الله جعله خاتم النبيين, ومع أن الله أوحى إليه, ورفعه إلى أعلى عليين, مع ذلك: لما قالت امرأة لأبي السائب, الذي توفاه الله:

((هنيئاً لك أبا السائب, لقد أكرمك الله, قال: لا, من أدراك أن الله أكرمه؟ قولي: أرجو الله أن يكرمه, وأنا نبي مرسل, لا ادري ما يفعل بي ولا بكم)).

من لوازم العبودية: ألا تتالى على الله, ألا تحكم على إنسان؛ لا بالإيمان, ولا بالكفر, العمل الآن سيء, هذا العمل في معصية, أما لعله يتوب, ولعله يسبقك, هذا العمل معصية لا شك به , أما أن تقول: هذا مصيره إلى النار, وهذا كافر, وهذا مشرك, وهذا .... توزع الألقاب والتهم هكذا جزافاً من غير علم.

يعني: إذا كان إنسان دخل بامتحان, ينجح أو ما ينجح, والله أعلم, أما لو نجح إلى الجنة, لم ينجح إلى النار, بارك الله بك.

طيب نقطة دقيقة:

﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾

[سورة الأحقاف الآية:35]

ماذا يُفهم من صياغتها؟:

﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ﴾

[سورة الأحقاف الآية:35]

إذا في استفهام, وفي استثناء, ماذا ينتج من الاستفهام والاستثناء؟ هذا استفهام إنكاري, أساساً بمنزلة الماء: يعني لا يهلك إلا القوم الفاسقون, حصر, في آية مشابهة لها؟ أما مشابهة: في أن الفاسقين وحدهم يهلكون:

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾

[سورة الزخرف الآية:54]

يوجد أوضح؟:

﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾

[سورة سبا الآية:17]

﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾

[سورة سبا الآية:17]

﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾

[سورة الأحقاف الآية:35]

معنى: في نظام عند الله عز وجل, أخي البلاء يعم, لا البلاء يعم, إذا أنت رضيت فيه, ولم تصله, إذا سكت عن الخطأ, إن لم تأمر بالمعروف ولم تنه عن المنكر, البلاء يعم فعلاً, أما إذا أنت كنت وقاف عند حدود الله, وأديت واجبك, الله عز وجل لك معاملة خاصة:

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[سورة الزمر الآية:61]

إذاً:

﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾

[سورة الأحقاف الآية:35]

هذه تشير إلى عدالة الله عز وجل, وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى. طيب:

﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾

[سورة الأحقاف الآية:32]

واحد رفض الدين, قال لك: هذا أفيون الشعوب, قال لك: الدين سبب تخلفنا, قال لك: الدين دليل ضعف الإنسان أمام قوى الطبيعة, قال لك: الدين سلوك بدائي, قال لك: الدين ما فيه شيء علمي.

قال لي شخص يحمل دكتوراه والله, قبل أشهر, قال لي: القرآن غير علمي, طرح غير علمي, يعني هو فوق ذلك هو, طيب: إذا إنسان رفض الدين. قال:

﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ

-ما استجاب-:

فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ

-يعني: ثم مصيره إلى الله عز وجل, قرأت هكذا مقالة, يعني إنسان أنا أعرفه بعيد عن الإيمان بالقيم الدينية طبعاً, كما تقدمت به السن, ورأى انه على مشارف الموت, بدأ يبحث في الموت, الإنسان في بداياته متحرك حركة عشوائية, أما حينما يقترب من أجله, يدرك الحقيقة , لكن المؤمن وهو في شبابه: أدرك هذه الحقيقة. قال-:

وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَولِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

[سورة الأحقاف الآية:32]

حيثما وردت كلمة معجز للكافر, يعني لا يستطيع أن يتفلت من قبضة الله, ولا يستطيع أن يفعل شيئاً ما أراده الله, لذلك اعتقدوا جميعاً: أن كل ما يفعله الكفار في العالم, خططهم استوعبتها خطة الله عز وجل, (خططهم استوعبتها خطة الله), ولا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً إلا أراده, أو سمح به:

((ما شاء الله كان, وما لم يشأ الله لم يكن, كل شيء أراده الله وقع, وكل شيء وقع أراده الله, وإرادته متعلقة بالحكمة المطلقة, وحكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق)).

هذا الشيء يقين, طيب: لو أن الكافر حكيم, وخبير , وفهيم, وفي بقلبه رحمة, وتصرفاته مضبوطة, ومتوازن, ومنصف, تجد الدين ليس له طعمة صار , لكن إذا الإنسان ترك الدين, يجب إن يرتكب حماقات مئة بالمئة على ذكائه الرفيع, على شهاداته العليا, على خبرته المتراكمة, يجب أن يرتكب حماقة, هذا شيء ملاحظ, هل هناك آية تؤكد هذا المعنى؟

لكافر يجب أن يرتكب حماقة, يجب أن يفكر , يفكر , يفكر , فإذا تدميره في تدبيره, يفكر كثيراً, ثم يجعل الله تدميره في تدبيره, يجعل الدائرة تدور عليه, هذا الشيء ملاحظ, تعجب أنت على ذكائه, وعلى خبرته, وعلى..... عنده معلومات دقيقة, لماذا ارتكب هذه الحماقة؟ لأنه لو لم يرتكب حماقة, الإيمان يصبح ليس له فائدة, لكن الإيمان شيء مصيري, وأساسي بحياتك؛ الإيمان يعصمك من الزلل, الإيمان يهبك الحكمة, الإيمان يعطيك رؤية صحيحة, الإيمان يعطيك عزيمة قوية, إذا لا يوجد إيمان؛ لا في رؤية صحيحة, ولا في عزيمة قوية, ولا في إدراك صحيح. الآية:

﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾

[سورة آل عمران الآية:54]

﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾

[سورة آل عمران الآية:54]

شيء جميل. في آية أوضح:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾

[سورة محمد الآية:1]

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾

[سورة محمد الآية:1]

يعني: عمله ضال, أولاً: لأنه أعمى, حركته عشوائية, أو أن عمله ما أوصله إلى السعادة, هو هدفه السعادة, لكن لم يسعد, كما ورد في الأثر القدسي:

((عبدي –نعم– خلقت لك السموات والأرض, ولم أعي بخلقهن, أفيعنيني رغيف أسوقه لك كل حين؟ لي عليك فريضة, ولك علي رزق, فإذا خالفتني في فريضتي, لم أخالفك في رزقك, وعزتي وجلالي, إن لم ترض بما قسمته لك, فلأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية, ثم لا ينالك فيها إلا ما قسمته لك ولا أبالي, وكنت عندي مذموما)).

يعني: اعتقد اعتقاد جازم: أن الكافر أعمى, الكافر لا يوجد نور في قلبه, الكافر لو كان ذكي, ربما كان تدميره في تدبيره:

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾

[سورة المدثر الآية:18]

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾

[سورة المدثر الآية:19]

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾

[سورة المدثر الآية:20]

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾

[سورة المدثر الآية:21]

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾

[سورة المدثر الآية:22]

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾

[سورة المدثر الآية:23]

﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾

[سورة المدثر الآية:24]

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾

[سورة المدثر الآية:25]

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾

[سورة المدثر الآية:26]

فنحن بحاجة إلى الهدى, فضلاً عن العقل الذي أكرمنا الله به.

طيب: لما النبي قال: ((أبو بكر في الجنة)), بعضهم قال: ((هو الآن في الجنة)).

في آية تؤكد هذا المعنى؟

يعني: ممكن إنسان يكون في الدنيا في جنة, فإذا كان في هذه الجنة, استحق جنة الآخرة؟

هذا قال أحد العارفين: ((في الدنيا جنة, من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة)).

هذه قالها أحد العلماء , فالمعنى موجود:

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾

[سورة فصلت الآية:30]

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾

[سورة فصلت الآية:30]

أوضح من هكذا؟:

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾

[سورة محمد الآية:6]

عرفوها في الدنيا, الجنة هي القرب أحيانا, إذا الإنسان ذاق طعم القرب, ذابت نفسه سعادة, الجنة من هذا النوع:

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾

[سورة محمد الآية:6]

في الدنيا, لذلك قالوا: ((في الدنيا جنة, من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة)).

هذه:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾

[سورة الرحمن الآية:46]

جنة الدنيا, وجنة الآخرة, أنا لا اعني بالجنة المال, ولا الغنى, ولا الصحة, هذا قاسم مشترك بين المؤمن والكافر, أعني بالجنة: جنة القرب, نعم. تفضل سيد معتز:

.... من قبل متشابها

نعم, هذه الآية دقيقة:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾

[سورة محمد الآية:11]

أنت أحياناً: تجد طفلين؛ طفل له أب مربي, مقتدر, غني, حكيم, حريص على مصلحته دائماً؛ بالتوجيه, والعناية, والإكرام, والملاحظة, والمتابعة, تجد الابن أخلاقه عالية جداً, علمه عال, لان الأب يعتني به عناية بالغة, أحياناً: تجد طفل ليس له أب, ما أحد رباه, يعيش في الأزقة, كلامه بذيء, انحرافه أخلاقي, يسرق, فهذا؛ هل يستوي هذا مع هذا؟ المؤمن يربيه الله.

يعني: إذا شخص شعر أن الله عز وجل يتولاه بالتربية, هذا عطاء كبير, يعني الله سمح لك يربيك, سمح لك تكون خاضع للتربية, شيء عظيم جداً:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آَمَنُوا

-يعني: بذكر الله عز وجل؛ يعاقب, يهدد, يخوفك بمنام, يلوح لك شبح مصيبة, أحياناً يسعدك, ينزل على قلبك السكينة, يطورك من حال إلى حال, من سرور إلى قلق, إلى خوف, إلى رجاء, إلى عقاب, إلى........ ما دام دخل بالتربية, معناها: الله مولاك-:

وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾

[سورة محمد الآية:11]

يعني كأبناء الأزقة: لا أحد يربيه, إلى أن يلقى مصيره.

آخر نقطة: يعني لما الإنسان يحضر مجلس علم, وفي أفكار دقيقة جداً, ومترابطة: لما يقول لك: والله ما تذكرت شيئاً, والله هذه مشكلة, دليل انصرافه عن هذا المجلس نفسياً: دليل عدم تركيزه, دليل عدم اهتمامه.

يعني أحياناً: أنت تستمع إلى تفسير آية, تحل مشكلتك نهائياً, يكون عندك مشكلة, تجد هذه الآية حلت مشكلة, وأحياناً: تجد لست مهتماً, ماذا تكلم؟ والله لا أعرف, لكن كنا مسرورين بالدرس, ماذا تكلم؟ والله لا أتذكر شيئاً, هذه النقطة خطيرة جداً, يعني من علامة صدق الإنسان: استيعابه لما يقال. قال:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آَنِفاً أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾

[سورة محمد الآية:16]

يعني: الإنسان جاء وجاء على الدرس, حضر وحضر, وتكبد مشقة وتكبد مشقة, لا أقل من أن يستوعب ما قيل, والأكمل يراجع ما قيل.

إذا شخص ذهب إلى البيت, أربع صفحات, يوجد كم نقطة شرحهم, إذا حاول يقراهم مرة ثانية الآيات, يتذكر ما قيل, رسخ المعلومات هذه, ملكها.

يعني مشكلة أخواننا طلاب العلم, يسمع كثير, لكن هذا الذي سمعه لا يملكه, الدليل: لما يتمنى يتحدث عنه لا يعرفه, لم يتذكره, أما إذا الإنسان استوعب, يعني انتبه جيداً, واخذ نقاط, وراجع الأمر, ملك الحقائق, إذا ملكها أفادته.

يعني: أنت يجب أن تنتقل من التلقي إلى الإلقاء, من التعلم إلى التعليم, لأن النبي قال:

((خيرُكمْ من تعلّمَ القُرآنَ وعَلَّمَهُ))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن عثمان بن عفان]

لا ليس يجب أن تبقى طوال عمرك تتعلم, يكون في طور, تنتقل إلى التعليم, التعليم يحتاج إلى تركيز, إلى مراجعة, إلى مذاكرة, فالإنسان يكفي أن يعود إلى البيت, ويراجع البيت, ويكتب بعض المعاني, ثبتها الآن, إذا الآية لزمته حفظها, وحفظ معناها, والحمد لله رب العالمين.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (43-49) : التكذيب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

في سورة ق علاقة دقيقة جداً بين آيتين:

﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾

[سورة ق الآية:3]

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾

[سورة ق الآية:4]

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾

[سورة ق الآية:5]

﴿كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾

[سورة ق الآية:5]

ربنا سبحانه وتعالى كيف رد عليهم تكذيبهم؟ قال:

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾

[سورة ق الآية:6]

يعني: التكذيب بالحق سببه: عدم النظر في ملكوت السموات والأرض. في سورة:

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾

[سورة النبأ الآية:1]

الحقيقة نفسها:

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾

[سورة النبأ الآية:1]

﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾

[سورة النبأ الآية:2]

﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾

[سورة النبأ الآية:3]

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾

[سورة النبأ الآية:4]

﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾

[سورة النبأ الآية:5]

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً﴾

[سورة النبأ الآية:6]

﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾

[سورة النبأ الآية:7]

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً﴾

[سورة النبأ الآية:8]

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً﴾

[سورة النبأ الآية:9]

معناها: لما الإنسان يكذب بالحق, بسبب ضعف تفكيره في خلق السموات والأرض, طيب: ما هو الشيء الثابت؛ لو أردت أن تناقش إنسان ينكر هذا القرآن؟ لأن الله قال:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾

[سورة إبراهيم الآية:83]

يعني: إذا كان النبي معه حجة, المؤمن على شيء من هذه الحجة, يعني: إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين, كل صفة تخص النبي عليه الصلاة والسلام, للمؤمن منها نصيب, بقدر إيمانه وإخلاصه, فإذا كان سيدنا إبراهيم آتاه الله الحجة.

وبالمناسبة: مستحيل مؤمن عرف الحقيقة المطلقة, لا يوجد معه حجة, لو أردت أن تناقش إنسان ينكر هذا القرآن بالأصل, كيف تناقشه؟ ما هو الشيء الثابت الذي لا يستطيع أحد أن ينكره؟ الكون, هذا الكون في إعجاز, في عظمة, في روعة, يمكن أن تستنبط من هذا الكون: أن له خالقاً عظيماً, رباً حكيماً, إلهاً مسيراً, موجوداً, واحداً, كاملاً, فبأي حوار, أو بأي مناقشة, الضمانة الأولى, الشيء الثابت الذي يقر به جميع الخلق: هو الكون.

طيب: الكون في كمال بالخلق عجيب, في كمال مطلق بالخلق:

﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾

[سورة الملك الآية:3]

هذا الكمال في الخلق من لوازمه: الكمال في التصرف, لأن الكمال لا يتجزأ, الكمال في الخلق من لوازمه: الكمال في التصرف.

حسناً: ممكن إله عظيم يخلق مخلوقاً لا يوجهه, لا يبين له؟

شركة تصنع جهاز, في معها نشرة ....

أنا يعني حينما أقرأ نشرات الاستعمال لأي آلة, ألاحظ في دقة بالغة, بقدر ما الآلة دقيقة, متقنة, بقدر ما التعليمات دقيقة وواضحة, وكلما كانت دقيقة وواضحة أكثر, تكون الشركة راقية أكثر, معناها: أحياناً بلدية تشق طريق, تضع إشارات؛ الخلق والتوجيه, الصناعة والتعليم, فمن لوازم كمال الخلق: البيان, إذاً: وجود خطاب من السماء إلى الأرض, هذا من لوازم كمال الله عز وجل. العجب: لا أن يرسل الله رسولاً, العجب: ألا يرسل.

الآن: هذا الإله العظيم الذي خلق فأتقن, من لوازم عظمته, وكماله, وإتقانه: أن يبين لعباده لماذا خلقهم؟ وماذا طلب منهم؟ وما المنهج الذي ينبغي أن يسيروا عليه؟ لذلك: الضمانة الثانية: أنه عقلاً لا يُقبل أن يدع الله عباده بلا بيان, بلا توجيه, بلا خطاب.

الآن: جاءنا خطاب, جاءنا من يقول: هذا خطاب الله النذير, طيب: نريد دليل عقلي, عقلي محض, الدليل العقلي المحض: إعجاز هذا الكلام, دليل أنه من الله عز وجل, إذا أيقنا أن هذا الكتاب يستحيل على إنسان أن يأتي بمثله, هذا الإعجاز, لكن هذه كلمة, يمكن أن تقرأ القرآن عشر سنوات, تقف عند آياته, عند نظمه, عند تشريعه, عند سبقه العلمي, إعجازه العلمي, التشريعي, البياني, البلاغي, التاريخي, حينما تقرأ القرآن وتقف, أو تضع يدك على مواطن إعجازه المتنوعة, كل خلية بجسمك, وكل كرية بدمك تقول: هذا كلام الله عن طريق الإعجاز, فإذا أيقنت أنه كلام الله عز وجل عن طريق الإعجاز الذي جاء به, هو رسول الله حكماً, إذاً: أنت مكلف بعقلك فقط عن طريق الدليل العقلي فقط وحده؛ أن تؤمن بوجود الله, وإنزال كتابه , وإرسال رسوله, هذا دور العقل, بعد ذلك: يقف دور العقل, ليأتي دور النقل.

الآن: الله أخبرك أنه في ملائكة, هذا شيء العقل ليس في إمكانه أن يثبت ذلك, هذا دليل بالملائكة: دليل نقلي فقط, دليل سماعي, قال لك: في جن, قال لك: في يوم آخر, قال لك: في حساب, قال لك: في أزل في خلق الذر قبل خلق الصور.

دائماً وأبداً فرق بين حقيقتين؛ حقيقة خاضعة للمناقشة, وأنت مأمور أن تناقشها, وأن تتبناها, وحقيقة خاضعة للقبول فقط, لعلة أن الذي أنبأك بها, أنت آمنت بوجوده, وآمنت بكلامه, ومصداقيته, فالأمر يتضح؛ لو حاورت إنسان, إياك أن تطرق موضوع الجن, والملائكة, والإنس, واليوم .... هذه موضوعات كلها إخبارية, تؤمن بها متى؟ إذا آمنت بالخالق, وأسمائه الحسنى, وكمالاته, وإرساله الأنبياء, وإنزاله الكتب, هذا الشيء المنطقي, فلذلك: الآن الله أخبرنا عن الملائكة, لكن هذا الشيء غير خاضع للمناقشة, خاضع للتسليم, وإذا الإنسان فكر أن يكون لا يوجد ملائكة, في ملائكة, معناها: إيمانه بمصداقية القائد ضعيفة, ارجع جدد إيمانك بالله عز وجل, يعني لا يوجد إنسان مؤمن لا توجد معه حجة قوية, وحجة بالغة, وقطعية:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آَتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾

[سورة إبراهيم الآية:83]

إذاً:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾

[سورة قاف الآية:5]

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾

[سورة قاف الآية:6]

أنا أتمنى على أخواننا إذا قرؤوا القرآن: أن يكشفوا هذه العلاقة؛ كلما جاء تكذيب, جاء تذكير بالكون, معناها: علاج التكذيب الإيمان بالآيات. اسمعوا الآية:

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآَيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾

[سورة النحل الآية:104]

يكذبون, إذا الإنسان لم يعرف الله من خلال خلقه, سيكذب الوحي الذي جاء به الأنبياء. ف:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾

[سورة قاف الآية:5]

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾

[سورة قاف الآية:6]

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾

[سورة النبأ الآية:1]

﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾

[سورة النبأ الآية:2]

﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾

[سورة النبأ الآية:3]

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً﴾

[سورة النبأ الآية:6]

﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾

[سورة النبأ الآية:7]

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً﴾

[سورة النبأ الآية:8]

طبعاً: هذين مثلين, أنا أعتقد في مئات الأمثلة, مئات في كتاب الله, حيثما جاء التكذيب جاء التذكير للكون, صار الطريق لله أوله: أن تطلق عقله في آيات الله التي بثها في السموات والأرض, نعم.

طبعاً الآيات:

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾

[سورة قاف الآية:6]

التجاذب الحركي, قوى التجاذب, نظام الحركة المغلقة, نظام:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾

[سورة الطارق الآية:11]

هذه الكواكب المتفاوتة في حجومها, وفي أبعادها, وفي مساراتها: من بناها؟ من نظمها؟:

﴿وَزَيَّنَّاهَا

–السماء في الليل جميلة جداً, يعني في أحياناً هدف موضوعي, في هدف تزييني, الإنسان لما يستطيع يجمع بين هدفين, يكون ذكي, يقول لك: ضرب عصفورين بحجر, أما ربنا عز وجل: مليون هدف يتحققوا بعمل واحد؛ ففي بناء عظيم, وفي بناء جميل–:

وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾

[سورة قاف الآية:6]

يعني: توجد هذه النقطة دقيقة: يعني ثبات نظام الكون, يعني في مرة الناس شكوا من عدم شروق الشمس؟ موضوع مفروغ منه.

يعني: الآن ساعة بكدن: هذه أدق ساعة في الأرض, كيف تُضبط؟ تضبط على مرور نجم, يعني قد تكون في السنة فارقة حوالي ثانيتين, ثانية, ثانيتين, ما الشيء الذي لا يخطىء؟ مرور النجم.

الآن يقول لك: في قطار بين طوكيو وأوساكا, بفارق ثلاث دقائق يصل, بستمئة كيلو متر, ثلاث دقائق الفارق, وإذا كان أكثر, يدفعه غرامة للركاب, لأن مواعيدهم تخربطت, هذا الكوكب الذي سار مليارات الكيلو مترات, نضبط عليه ساعة بكدن, معنى في نظام بالكون عجيب, دقة ما بعدها دقة.

الان: أنت في شيء لست منتبهاً له كلنا, خذ التقويم, هكذا قلبه, 13حزيران تطلع الشمس خمسة ودقيقة, طيب: هذا متى هذا؟ هذا التقويم من خمسين سنة, ليس لمليون سنة قادمة, ولمليار سنة قادمة, ولمليار سنة سابقة, بتطلع ب13 أيار خمسة ودقيقة, معنى في حركة منتظمة بالغة الدقة, هذا الكون:

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا

–يعني: الله عز وجل اختار الأرض شكل كروي, لو كان مكعب وتدور, يأتي النور فجأة, وتغيب الشمس فجأة, لا يوجد عندنا ساعة تداخل. انظر: الله قال:

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾

[سورة الحج الآية:61]

تداخل الليل مع النهار لا يكون إلا بالكرة, بالكرة, تجد غابت الشمس, الدنيا ضاوية, يبقى ثلث ساعة, نصف ساعة, الدنيا ضاوية, بعد ذلك: يغمق الجو, العشاء: غاب الشفق الأحمر, صار في ظلام, حكم وقت الفجر, خط أبيض بالأفق, هذا الخط يتعاظم, يتعاظم , تطلع الشمس, تداخل الليل مع النهار, هذا بفضل: أن الله جعل الأرض كرة, ومن لوازم الكرة: أن الخط عليها لا يقف–:

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا

-مثلاً: ذهبت إلى حلب, كمل على أنقرة, على موسكو, على القطب فرضاً, قلبت على المحيط الهادي, على القطب الجنوبي, ذهبن إلى أفريقيا, وصلت لعمان, تبوك, دمشق, بالعكس: امش باتجاه الغرب, وصلت لغرب أوروبا, إلى أمريكا, إلى غرب أمريكا, إلى طوكيو, إلى آسيا, رجعت-:

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا

-الخطوط كلها متصلة-:

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾

[سورة قاف الآية:7]

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾

[سورة قاف الآية:8]

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾

[سورة قاف الآية:9]

لو أن أخ من أخواننا يناقش إنسان, وقال له آيات كونية, يقول له: مختص بالجغرافيا؟ لا والله, مختص بالتشريع؟ لا والله, لأنه عند الناس وهم: أن هذه الموضوعات فقط خاصة بالمختصين, هذه موضوعات خاصة بالمؤمنين, آيات مبذولة بين أيدينا جميعاً, يجب كل مؤمن أن يكون له جولة بفكره بهذه الآيات. هو يقول لك:

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾

[سورة قاف الآية:8]

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾

[سورة قاف الآية:9]

أنت انظر لبستان في الشتاء, حطب, حطب؛ أرض بنية اللون, وشجر كالحطب اليابس تماماً, انظر لهذا البستان في الربيع: من أين جاءته هذه الأوراق الخضراء, والأزهار, والحشيش الأخضر, والورود؟ صار جنة, كان في موت, أصبح في حياة. قال:

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾

[سورة قاف الآية:9]

امش بسهل من سهول حوران بالربيع, عد أنواع الأزهار, لا تحصى معك أنواع الأزهار, ولا سيما على الطرقات, هذا سؤال يلفت النظر, الإنبات طبيعي, لم يزرع أحد, لماذا الأزهار على الطرقات؟

ادخل للحقول, يوجد فقط شقائق النعمان, أما على الطرقات: تجد ألف نوع, ألفي نوع لا يحصوا, كل وردة لها تصميم, ولها ألوان, وتناسق: يا رب, هذه الوردة تصميم من؟ هذه الزهرة الصغيرة هذه. قال:

﴿جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾

[سورة قاف الآية:9]

﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾

[سورة قاف الآية:10]

هذه التمرة فيها صيدلية, 46 مادة غذائية معقمة في أصلها, لو وقف عليها جرثوم, تركيز السكر في التمر, يمتص ماء الجرثوم, يموت فوراً التمر, لا يتلوث بالمناسبة, بعد ذلك: ملين, أسرع, أسرع مادة سكرية من الفم للدم: هو التمر, مهدىء, إذا الإنسان عنده عصبية؛ التمر مهدىء, والتمر ملين, والتمر قابض للأوعية, لذلك:

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ﴾

[سورة مريم الآية:25]

لأن المرأة حينما تلد, ينفتح حوالي مئة ألف شريان صغير برحمها, ما الذي يجعل هذه الشرايين تتقبض وتلتئم؟ التمر, فالتمر هو الغذاء الأمثل للتي على وشك الولادة, نعم:

﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾

[سورة قاف الآية:10]

وهذا النخل مع, يعني: يعمر آلاف السنين النخل, وأقرب نبات للإنسان هو التمر, إذا قُطع رأسها تموت, النخيل وحده: إذا قطع رأسه النامي يموت فوراً, نعم:

﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾

[سورة قاف الآية:11]

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾

[سورة قاف الآية:12]

إلى آخره ....

ثم يقول الله عز وجل, الآن هو الآن الثمر. قال:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾

[سورة قاف الآية:16]

يعني: إذا كان الواحد مسك من باب التعريب, مسك جهاز تسجيل, وهو يفضح بالصوت, مسكه, وضمه له, ولامسه, وضمه ضم شديد, يا ترى هو أقرب إليه, أم الكهرباء التي تشغله؟ الكهرباء.

قال: الله عز وجل: أقرب إلينا من روحنا؛ يعني كل خواطرك, كل مشاعرك الداخلية, كل تطلعاتك, كل صراعاتك النفسية, خطر ببالك خاطر:

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾

[سورة قاف الآية:16]

إذا الإنسان آمن بهذه الآية, يستقيم, جاء خاطر: فلان أريد الان أن أعمل معه عقد فقط هاتين السنتين, حتى أتمكن, بعد ذلك: وضعوه في الخارج, أريد أن أوهمه: أنه يجب أن يكون العقد باسمي, من أجل هكذا قضية, الخاطر عند الله مكشوف, إذا أيقنت: كل خواطرك التي لا ترضي الله, واضحة عند الله كالشمس:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾

[سورة قاف الآية:16]

ومع ذلك: في ملكين, فأحياناً إنسان يقول لك: آمنت بالملائكة, الحقيقة: المعني بالملائكة: هذين الملكين اللذين على كتفيك, تقول: السلام عليكم ورحمة الله بالصلاة, أحياناً الإنسان شيء, وإذا كان كرره كثيراً يفقد معناه الداخلي.

اسأل إنسان مصلي: على من تسلم؟ يقول لك: السلام عليكم, السلام عليكم, هو عنده السلام انتهى بالصلاة, فقط هذه هي الشغلة, أما السلام: تسلم على كائن, وكله الله بكتابة الأعمال:

﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾

[سورة قاف الآية:17]

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾

[سورة قاف الآية:18]

أبداً:

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾

[سورة قاف الآية:19]

تجد الإنسان في الدنيا, يعني كل شيء محبب له إلا الموت.

لفت نظري البارحة: كنت في بيروت في إلقاء محاضرة, وأنا قادم في الطريق, مكتوب: محل مركز بيع لوازم الموتى, لوازم دفن الموتى, هذه شغلة جديدة, محل تجاري في لوازم ..... قلت: لو عملوا صالة, لا أحد يدخل إليها أبداً, أما مفروشات: يدخل الناس, صاغات يدخلون, أي بضاعة, إلا موضوع دفن الموتى, لا أحد يدخل, لأن هذه قضية ليس له علاقة فيها أبداً:

﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾

[سورة قاف الآية:19]

يعني: الإنسان يحب أن يعيش, لا يحب أن يموت, أما الموت حقيقة, حقيقة صارخة, ولا توجد حقيقة أشد واقعية من الموت:

﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾

[سورة قاف الآية:19]

طبعاً: لما الإنسان يكون غير متوازن, أموره غير واضحة, عقيدته غير سليمة, يتبع شهوته, هذا الموت عنده مصيبة, الموت ينهي كل شيء, وإلى عذاب شديد, أما إذا الإنسان صحت عقيدته, واستقام عمله, وكان عمله طيب, صار الموت لا أقول لك: أنه محبب, لكن لأن الموت متوقع, متوقع, ومهيىء نفسه له, حتى المؤمن يتمنى يعيش أطول فترة ممكنة, حتى تزداد أعماله الصالحة, لقول النبي:

((خيركم من طال عمره وحسن عمله)).

إلا أن المؤمن يستعد للموت, أدخله بحساباته اليومية, اليومية؛ قبل ما يقول كلمة, قبل ما يأخذ.

أسمع أنا قصص أحياناً, والله أعجب: أن شخصاً استغل مبلغاً, هكذا ظلماً, لم يدخل الموت بحساباته إطلاقاً, لأنه رأى نفسه بأعلى درجة من الذكاء, لما اغتصب خمسة ملايين واحد, وكل شخص يقبض مبلغ, بعد ما قبضه, تعرف الشخص, قال: المبلغ لي صار, حسناً: بأي حق؟

مثقف يحمل شهادة عليا, قبض خمسة ملايين, لما عرف أن صاحب المبلغ مات, قال لي: المبلغ صار لي, طيب: بأي مبدأ؟ لأنه الآن سيتمتع بهذا المبلغ, موت, لا يوجد عنده موت.

تشعر لما الإنسان يغتصب مال, يغتصب أشياء, يأكل ما ليس له, موضوع الموت لم يدخله بحساباته إطلاقاً, موضوع لقاء الله, موضوع السؤال, والحساب, والعذاب, أبداً, كأنه سيعيش إلى أبد الآبدين:

﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾

[سورة قاف الآية:19]

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾

[سورة قاف الآية:20]

﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾

[سورة قاف الآية:21]

ملك يسوقها, وشهيد يشهد عليها.

يعني أحياناً الإنسان يقول لك: هات, لا يوجد شهود, سائقٌ يقودها قصراً, وشاهدٌ يشهد عليها كل أعمالها:

﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾

[سورة قاف الآية:22]

الحقيقة: أخطر مرض يصيب الناس: الغفلة؛ غافل عن هذه الساعة, وأعظم شيء يرفع الإنسان عند الله عز وجل: هذه الصحوة, الغفلة يقابلها صحوة, الصحوة: أن تنظر إلى المستقبل البعيد:

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾

[سورة قاف الآية:24]

﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ﴾

[سورة قاف الآية:25]

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾

[سورة قاف الآية:26]

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾

[سورة قاف الآية:27]

هذا تأكيد لدرس من يومين ثلاثة: أنه لا أحد يضل أحداً:

﴿مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾

[سورة قاف الآية:27]

هو مهيىء نفسه للضلال, رغب بالضلال, اختار الضلال, اختار الشهوة:

﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾

[سورة قاف الآية:28]

﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾

[سورة قاف الآية:29]

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾

[سورة قاف الآية:30]

﴿وَأُزْلِفَتِ

-من حكمة ربنا عز وجل: كلما جاء وصف للنار وعذاب النار, جاء المقابل الجنة-:

وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾

[سورة قاف الآية:31]

﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾

[سورة قاف الآية:32]

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾

[سورة قاف الآية:33]

﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾

[سورة قاف الآية:34]

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾

[سورة قاف الآية:33]

إذا الإنسان رأى الخطر, لم يعد له فضل, إذا الإنسان رأى الخطر رأي العين, صار حيوان, لأن الحيوان يتعظ إن رأى الخطر, أما الإنسان فضله على الحيوان: أنه بعقله يدرك الخطر البعيد, إذا كان .....

الآن: كل إنسان لما تأتي المشكلة, يقرب من الموت, تجد صار ملك صار, لكن هذه الملائكية هذه ليس لها قيمة عند الله عز وجل, ملائكية قهر, لأن الخطر صار قاب قوسين, أما وأنت في شبابك, في أول حياتك, بالخامسة والثلاثين, موضوع الموت بعيد عنك الآن, تخاف من الموت, تخاف من لقاء الله عز وجل, لذلك:

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ

-يعني بعقله-:

وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾

[سورة قاف الآية:33]

﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾

[سورة قاف الآية:34]

﴿لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾

[سورة قاف الآية:35]

بعضهم قال: ((المزيد رؤية وجه الله عز وجل)).

((المؤمن يرى وجه الله يوم القيامة, كما ترى البدر في تمامه, يغيب من نشوة النظرة خمسين ألف عام)):

﴿لَهُمْ مَا يَشَاؤونَ فِيهَا

-من طعام, وشراب, وحور عين, وجنات, وأنهار من عسل, وأنهار من لبن لم يتغير طعمه-:

وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾

[سورة قاف الآية:35]

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾

[سورة قاف الآية:36]

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾

[سورة قاف الآية:37]

القلب هنا العقل, يعني أنه:

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾

[سورة الأعراف الآية:179]

يعني: إما أن تتأمل بالحقيقة, وتكشفها بصدقك الشديد, أو تسمعها جاهزة, وإما أن تطبخ, أو تأكل أكل مطبوخ خالص:

﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾

[سورة قاف الآية:37]

إذا ألقيت السمع, تأخذ شيء جاهز, إذا عندك رغبة جامحة, وكنت في حيرة, لو أنك فكرت تفكير مخلص, هادف, لوصلت إلى الحقيقة:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾

[سورة العنكبوت الآية:69]

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾

[سورة قاف الآية:37]

والحمد لله رب العالمين.

الدرس (44-49) : ثمن الإحسان ونتائجه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾.

[سورة الذاريات].

المتقين وصلوا إلى الجنة، الآن هذه الجنة دار إكرام، لهم فيها ما يشاءون.

﴿ آَخِذِينَ مَا آَتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾.

[سورة الذاريات الآية: 16].

ما الثمن؟

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾.

[سورة الذاريات].

إذا كنت محسناً في الدنيا فلك الجنة، آيات دقيقة جداً:﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آَخِذِينَ مَا آَتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾.

مطلق الإحسان، إتقان العمل إحسان، والكلمة الطيبة إحسان، والتصدق إحسان والنصيحة إحسان، والحلم إحسان، يعني عمل حسن، عمل ينتزع به إعجاب الآخرين، قاعدة الكمال تدركه بالفطرة، لو لم تذكره، إطلاقاً عامل الناس بالكمال واسكت، الكمال ينطق، لا تحتاج إلى أن تذكر الناس بأن هذا العمل كمال، لا، هو كمال، الفطرة السليمة تدركه، وعامل الناس بالإساءة، ومهما فلسفة الإساءة النفس تنفر منها بالفطرة.

فكلمة محسنين هذه الكلمة مطلقة، في كل شيء محسن، في تربية أولاده، في علاقاته في خصومته، في رضاه، في سخطه، في أخذه، في كسبه، في عطاءه، في سفره، في إقامته، في إتقان عمله، في معالجة مشكلة، محسن، ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾، إن كنت محسناً فالجزاء هو الجنة، ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آَخِذِينَ مَا آَتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾.

أيام الإنسان يكون ضيف، وفي مستوى رفيع جداً، وقدم له ألوان الأطعمة، ألوان الفواكه، ألوان الحلويات، التبجيل، الاحترام، الاستقبال الحافل، التوديع، الهدية، أنت الآن في دار إكرام، هناك ألوان ملونة من الإكرام، أنواع منوعة، وفي رأسها النظر إلى وجه الله الكريم.

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾.

[سورة يونس الآية: 26].

هذه هي الزيادة، ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾، كيف كانوا محسنين؟ هذا الإحسان ما ثمنه؟ لماذا فلان محسن، وفلان مسيء؟ فلان مستقيم، وفلان منحرف؟ فلان حليم وفلان غير حليم؟ فلان منصف، وفلان مجحد؟ فلان رحيم، وفلان قاسي؟ لماذا؟ اتصالهم بالله عز وجل سبب كمالهم، سبب إحسانهم ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾:

﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾.

[سورة الذاريات].

وصلاة التراويح قيام لليل، إن الله فرض علينا صيامه، وسن النبي لنا قيامه، فمن صامه وقيامه احتساباً لله عز وجل غفر الله له ما تقدم من ذنبه، ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾:

﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾.

[سورة الذاريات].

هذه الصلة التي انعقدت بينه وبين الله، كيف السبيل إليها؟ قال:

﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾.

[سورة الذاريات].

يعني إنفاقهم جعل ثقتهم بالله عالية هذه الثقة حملتهم على الاتصال بالله عز وجل هذا الاتصال جعل في قلبهم الرحمة والإحسان، إحسانهم كان ثمن الجنة.

وكيف توصلوا أن ينفقوا أموالهم في سبيل الله؟ قال:

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آَيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾.

[سورة الذاريات].

إن هذه الأرض كلها آيات دالة على عظمة الله، فكروا في الكون، توصلوا إلى أن له خالقاً عظيماً، تقربوا إليه بالإنفاق، انعقدت الصلة معه، تسرب الكمال إلى قلوبهم، أحسنوا دخلوا الجنة، سلسلة، ولماذا أناس كثيرون غارقون في الدنيا، قال:

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آَيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾.

[سورة الذاريات].

الإنسان ماله حق لعلة كسب المال أن يهمل عبادته، لعلة كسب المال أن يهمل طلب العلم.

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾.

[سورة الذاريات].

هذه الآية دقيقة جداً، هؤلاء في الجنة، في أعلى درجات الإكرام، الجنة كلها إكرام لهم ما يشاءون فيها، ثمنها أنهم أحسنوا في الدنيا، الإحسان ثمنه أنه اتصل بالله، هذا الاتصال ثمنه العمل الصالح، هذا العمل ثمنه معرفة الله، المعرفة عن طريق الكون، ورزقه ما شغله عن معرفة الله.

إخوانا الكرام، الحرفة التي تحترفها، أو المهنة التي تمتهنها، أو العمل الذي تعمل به أو الرزق الذي ترتزق منه، إذا شغل كل وقتك فأنت أكبر خاسر، إذا شغلك عن معرفة الله، وعن طلب العلم، وعن معرفة سر وجودك فأنت أكبر خاسر، لو دخلك بالشهر مليون، لا تسمح لعملك أن يأخذ كل وقتك، إياك، انتهيت معناها أنت.

إخوانا الكرام، الذي ما عنده وقت فراغ يطلب فيه العلم هذا ليس من بني البشر تنطبق عليه هذه المقولة وهي في الأثر القدسي:

((عبدي خلقت لك السماوات والأرض ولم أعيَ بخلقهن، أفيعيني رغيف أسوقه لك كل حين؟ لي عليك فريضة، ولك علي رزق، فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك وعزتي وجلالي إن لم ترضَ بما قسمته لك . الآن في مصيبة، ما هي هذه المصيبة؟ . **فلأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك أنا ولا أبالي، وكنت عندي مذموماً، أنت تريد وأنا أريد، فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد)).**

أيها الإخوة الكرام، هذه الآيات في سورة الذاريات، أما في الرحمن، الرحمن الله عز وجل يقول:

﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآَنَ ﴾.

[سورة الرحمن].

هل بإمكانك أن تعلم هذه الطاولة؟ أجيبوني، هل بإمكانك أن تعلم هذه الطاولة   القرآن؟ لا، لماذا؟ لأن هذه الطاولة حينما صممت ليس فيها قوة إدراكية، أما الإنسان حينما خُلق خُلق قابلاً للتعلم، ﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآَنَ ﴾، معناها الإنسان قابل للتعلم، أعظم شيء يملكه الإنسان، أنه أودع فيه هذه القابلية، تسميها قوة إدراكية، تسميها عقل، تسميها فكر، تسميها تعلم قدرة على معرفة الحقائق.

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾.

[سورة الرحمن].

يتحدثوا الآن على الكمبيوتر إنه في جهاز إدخال هذا الكيبورد، في جهاز معالجة، في جهاز إخراج الشاشة، الإنسان في عنده جهاز إدخال، استماع اللغة جهاز إدخال، القدرة على فهم النص، القدرة على فهم الكلام، هذا إدخال، أو القدرة على قراءة النص إدخال، إما أن تسمع وإما أن تقرأ، المحاكمة والمعالجة، التفكر، والمحاكمة، والتصور، والتذكر، والقياس، والاستنباط والاستدلال، والمقايسة، والمفارقة، هذا كله نشاط فكري، هذه المعالجة.

الآن عرفت النتيجة، تكلمت، أو كتبت، البيان قدرة على النص المكتوب، وقدرة على فهم الكلام المسموع، والقدرة على التعبير شفهياً بالكلام، وكتابياً بالكتابة، أما هذه الكتابة لها دور خطير جداً، لو ألغينا الكتابة ماذا يبقى؟ كل جيل يتعلم من بعضه بعضاً بالمشافهة، أما إذا هذا العالم مات وما في كتابة علمه دُفن معه، وانتهى الأمر، أما بالكتابة:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾.

[سورة العلق].

ما معنى الكتابة؟ كتاب إحياء علوم الدين ألفه الإمام الغزالي يقرأه مئات الملايين في العالم الإسلامي بعده، بالكتابة، كتب هو، ونحن قرأنا له، المفسرون، العلماء، المحدثون الفقهاء، يعني تراث أمة ينتقل من جيل إلى جيل بالكتابة، لذلك العلم يتراكم في حياة الأمم عن طريق الكتابة، تجد علم التاريخ نشأ فتي نما، ثم نما صار علم، أيام تجد المراجع 150 كتاب حول كتاب حول موضوع جزئي يقال مراجع 150 كتاب، أيام 200 مراجع، المراجع بحث واحد، إذاً هذا العلم يتنامى بالكتابة، يتراكم بالكتابة.

﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآَنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾.

أما التقديم والتأخير بالقرآن الكريم بحث رائع جداً، التقديم والتأخير بحث قائم بذاته يمكن أن تكتب حوله مجلدات.

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي ﴾ .

[سورة النور الآية: 2].

الزانية.

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾.

[سورة المائدة الآية: 38].

السارق.

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ ﴾.

[سورة الرحمن الآية: 33].

﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ﴾.

[سورة الإسراء الآية: 88].

انعكست الآية.

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً ﴾.

[سورة الجمعة الآية: 11].

التجارة ثم اللهو.

﴿ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ﴾.

[سورة الجمعة الآية: 11].

انعكست.

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾.

[سورة النور الآية: 30].

الغض قبل الحفظ.

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ ﴾.

[سورة التوبة الآية: 24].

الأب أول.

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾.

[سورة آل عمران الآية: 14].

المرأة أول.

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴾.

[سورة عبس].

الأخ أول.

﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴾.

[سورة المعارج].

الابن أول، هنا الابن أول، هنا الأب، هنا الزوجة، هنا الأخ، هنا الزانية، هنا السارق هنا الإنس، هنا الجن، التقديم والتأخير علم قائم بذاته لو أن هذا الكلام كلام بشر هكذا جاءت معه الآن نحن لما نكتب المدرسة والمسجد، لماذا قلت المدرسة؟ والله ما قلت هكذا طلعت معي، أو المسجد والمدرسة، يعكسها لك إذا بدك، هذا كلام بشر، أما إذا كان كلام خالق البشر التقديم له معنى، والتأخير له معنى، طبعاً أنا لا أذكر استقصاءاً، أمثلة، هنا ﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾، يا رب أتعلمه القرآن قبل أن تخلقه؟ هذا الترتيب غير مقبول، لكن الجواب ليس هذا الترتيب زمني، إنما هذا ترتيب رتبي، يعني وجود الإنسان لا معنى له من دون منهج يسير عليه، المنهج مقدم على وجودك، إنسان بلا منهج هالك، آلة صغير إن كنت حريصاً على سلامتها لا تستعملها قبل تقرأ تعليمات الصانع، ﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾، التعليم إدخال، معالجة، الآن إخراج إنسان تعلم، وعرف الله عز وجل لكن ما عنده إمكان أن يحكي أو يكتب ما استفدنا شيء، العلم دُفن معه، ففي قدرة على التعلم، وقدرة على المعالجة، وقدرة على الإخراج، الإخراج كلاماً أو كتابةً، هذا من فضل الله على الإنسان.

على كلٍ موضوع الفكر موضوع عظيم جداً.

مرة لاحظوا أول ما الطفل يفكر، وضعوه بغرفة، وفي دواوين على شكل نعل فرس أو مستطيل ناقص ضلع، أيام غرفنا يكون فيها ديوان ، اثنين، ثلاثة، أوقفوه على طرف الديوان هنا، وضعوا هنا قطعة حلوة، هو لا يقوى على السير منفرداً، هو بحاجة لهذه القطة، يحبها ترك الاتجاه نحوها مباشرة، واتجه عكس الحلوة، على طرف الديوان إلى أن وصل إليها، هذه أول بوادر التفكير، فصل الغاية عن الوسيلة، الغاية هنا المشي بهذا الطريق، مشى هكذا، هكذا حتى وصل إلى الحلوة.

في دراسات مطولة حول تشكل الفكر عند الطفل، كيف تنشأ المفاهيم، مرة طفل في عنده بحياته حنفية قوية، مفتوحة بقوة، شاف البحر هائج قال: من قوى البحر؟ هذا مفهوم الماء الشديد تقوية، قاسها على البحر، لو تتبعت طريقة نمط تفكير الطفل لوجدت العجب العجاب، كيف تنمو المفاهيم شيئاً فشيئاً.

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً ﴾.

[سورة النحل الآية 78].

كل هذه القدرات نمت شيئاً فشيئاً.

بقي في سورة الواقعة:

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴾.

[سورة الواقعة].

﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾.

[سورة الإسراء الآية: 21].

تابع الأمر بين غني وفقير، بين غني وضعيف، بين إنسان بمنصب رفيع، بين إنسان بمنصب صغير.

﴿ وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾.

[سورة الإسراء].

مشكلة الواقعة أنها تقلب كل الموازين، موازين الأرض لا قيمة لها، الغنى، والوسامة والذكاء، والمال، والعزوة، والجماعة، هذه كلها تسقط، يبقى مقياس واحد مدى معرفتك بالله والعمل وفق منهجه، لذلك: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴾.

بآخر السورة في عنا:

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾.

[سورة الواقعة].

وفي عنا:

﴿ أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾.

[سورة الواقعة الآية: 27].

وفي عنا:

﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾.

[سورة الواقعة الآية 41].

السابقون هؤلاء باعوا أنفسهم لله، أما المقتصدون أصحاب اليمين هؤلاء طبقوا منهج الله، ونالوا حظوظهم من الدنيا كاملة، إلا أن السابقين كانوا في أعلى الدرجات، والإنسان عليه أن يكون طموحاً إلى أعلى درجة، لأن إذا الإنسان قبل المرتبة الدنيا قد لا يصل إليها، أما لو طلب العليا لعله يصل إلى الدنيا أو الوسطى.

والحمد لله رب العالمين.

الدرس (45-49) : امتلاك الرؤية لصحيحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام، معناً كثُر تكراره في القرآن الكريم، وما هذه الكثرة إلا كي يترسخ في نفسنا أنه لا إله إلا الله، مثلاً:

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾.

[سورة الزمر].

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾.

[سورة هود الآية: 123].

هنا الآية:

﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾.

[سورة الزخرف الآية: 85].

ملك، ملك الله عز وجل غير ملكنا، أنت مالك بيت لا تملك مصيره، قد يأتي قرار تنظيم يذهب البيت، قد يستملك، أو قد تملك الرقبة ولا تملك المنفعة، أو تملك المنفعة مستأجر، ولا تملك الرقبة، لكن الله عز وجل إذا قال: ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾، خلقاً، وتصرفاً ومصيراً، ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾:

﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾.

[سورة البقرة].

أيام يكون في دائرة ألف موظف، في مدير عام معاملة عليها خمسين توقيع، أما البت النهائي بالموافقة أو عدمها بيد واحد، كل هذه براءات الذمة والموافقات لا تقدم ولا تؤخر، إما أن تطوى الضريبة أو تحقق، هم يقدموا آراء، يقدموا دراسات، مطالعات.

فلما الإنسان يوقن أن أمره كله، ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾، مطلقة يدخل بها كل شيء، يا ترى اتساع شريان القلب داخل فيها، أيام يسطم، يحتاج إلى 800 ألف حتى يتوسع، أيام عمل الكلية أيام توقف لوحدها إلى الآن ما عرف سببها، فشل كلوي، تشمع كبد، أحياناً خثرة بالدماغ، صار إنسان آخر، انتهى.

فلذلك: ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾، ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾، شغلتك مع الله، علاقتك مع الله، علاقتك مع الله، لو استطعت بذكاء، بطلاقة لسان، بقوة إقناع، بقوة حجة، أن تنتزع من فم النبي المعصوم، الموحى إليه، الذي لا يخطئ، صاحب المعجزات، سيد الأنبياء والمرسلين، انتزعت منه حكم لصالحك، بطلاقة لسانك فأنت لست محقاً، ولا تنجو من عذب الله لأنه ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾، ليس للنبي، النبي مبلغ بلغك، هو بشر، أنت عندك طلاقة لسان أقنعته، قام حكم لك، هكذا النبي قال:

((ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فإنما أقطع له قطعة من النار)).

[أخرجه ابن ماجه وأبو يعلى والإمام أحمد وابن حبان عن أبو هريرة].

إذا كان فتوى النبي لا تنجيك من الله، الأمر إذاً بيد من؟ ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾.

كل إنسان بيده مال، في وهم أنه هذا المال مالي، أنا حصلته بكدي وعرق جبيني غلط هذا المال مال الله، وأنت مستخلف فيه، ويدك عليه يد الأمانة، وينبغي أن تنفقه وفق توجيه الله عز وجل.

﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ ﴾.

[سورة الحديد الآية: 7].

هذا كلام خالق الكون، الله عز وجل في قصص كثيرة جداً الإنسان يكون في أعلى درجات الغنى يجعله يشحد، يجعله ينقب بالقمامة، أنا رأيت بعيني والله، شخص ينقب بالقمامة أكلة منزوعة، خسة معسقلة يأخذها ويأكلها، إذا ربنا عز وجل أعطى أدهش، وإذا كان سلب أدهش، فجأة من غنى فاحش إلى فقر متقع، لذلك:

((يا عائشة أكرمي جوار نعم الله فإن النعمة إن نفرت قلما تعود)).

بالشكر تدوم النعم، إنك إن شكرت النعمة قيدتها، ما عاد تفلت من يدك، إن شكرتها قيدتها، النبي عليه الصلاة والسلام كانت تعظم عنده النعمة مهما دقت، أيام الإنسان يشرب كأس ماء: الحمد لله الطريق سالك، إذا انسطم الطريق لا ينام الليل يولول، إذا صار في انسداد والبروستات شدت لا ينام الليل، الطريق سالك، قام ومشى، والله نعمة، في أناس يحملونهم، قضى حاجته بنفسه، ما قاموا من تحته، نعمة هذه، واحد يدفع بالشهر يجوز لا تصدقوا من فوق العشرة آلاف ليرة لإنسان ينزل الوسخ من مقعده، لأن المستقيم مشلول، يحتاج واحد ينزل له، شيء لا يحتمل، لا منظره، إذا الإنسان وقف ووجد نفسه سليم معافى هذه النعم إذا شطرتها قيدتها، النبي إذا دخل الخلاء:

((الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني، وأبقى لي ما ينفعني)).

أكل:

((الحمد لله الذي أذاقني لذته، وأبقى فيّ قوته، وأذهب عني أذاه)).

في أناس سيروم، ما في غير سيروم أمامه، أنت تأكل تفاحة، تأكل صحن حمص تأكل جبنة، شاي، الثاني سيروم، فلذلك: وبالشكر تدوم النعم.

في نقطة مهمة: أيام هي الحياة لحكمة أرادها الله مرة الله عز وجل يقوي المؤمنين مرة يقوي غير المؤمنين، فإذا كان الأقوياء غير المؤمنين صار المؤمن قد يكون في خوف، قد يكون مضطهد، قد يكون مستضعف، إذا الإنسان آمن بهذا الزمان زمان استضعاف المؤمنين هذا له أجر كبير كثير ما في مكاسب لأنه، بالعكس عبء، إيمانه، واستقامته عبء عليه، ومأخذ يؤخذ به، مأخذ كبير أنه أنت هذا اتجاهك، الله عز وجل طمئنا، أيام واحد اعتنق فكرة، ودخل من أجلها السجون، وتعذب بعدها وصل للحكم، الدخول للحزب بعد الحكم شغلة سهلة كثير، كلها مكاسب أما قبل مغارم، كمثل، إذا كان الإنسان مؤمن ملتزم بالزمن الصعب، بزمن الفتن، بزمن اضطهاد المؤمنين، استضعاف المؤمنين، له أجر كبير، لأنه ما في مكاسب أبداً، بالعكس في أعباء كثيرة جداً، فلذلك الله قل:

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾.

[سورة آل عمران الآية: 113].

﴿ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾.

[سورة الحديد الآية: 10].

هذا ليس المقياس، هل إيمانك واستقامتك، وانتماؤك لهذا الدين العظيم، ووقوفك على حدود الله عبء عليك أم مكسب لك؟ في عصور يكون مكسب كبير، مغنم، لذلك في مثل هذه العصور يكثر المنافقون، عادة، في عصور أخرى الإيمان ضعيف، وغير الإيمان قوي، هذا العصر الإيمان مغرم، هذا الأجر حدث ولا حرج، لذلك النبي قال:

((اشتقت لأحبابي، قالوا: أولسنا أحبابك، قال: لا أنتم أصحابي، أحبابي أناس يأتون في آخر الزمان، القابض منهم على دينه كالقابض على الجمر، أجرهم كأجر سبعين، قالوا: منا أم منهم؟ قال: بل منكم، قالوا: ولِمَ؟ قال: لأنكم تجدون على الخير معوان ولا يجدون)).

إذا الإنسان استقام يجوز أهله يحاربوا، زوجته، تقول له: أريد هذا الجهاز وإلا طلقني، أقرب الناس له تحاربه، أيام أبوه يحاربه، أخوه يحاربه، شريكه يحاربه، يقول له: ما هذا التزمت؟ حلها برمة، لا تستقيم يعني.

فلذلك ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾، ﴿ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾.

الحقيقة في آية في سورة الحديد من أدق الآيات في وصف المنافق:

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾.

[سورة الحديد الآية: 12].

أعمالهم الصالحة، طلبهم للعلم، وقوفهم عند حدود الله، محبتهم لله، إنفاقهم في سبيل الله.

﴿ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾.

[سورة الحديد].

طالب درس ما نام الليل، وطالب ما درس أبداً يقول له نقلني بالله، نقلني، كيف أنقلك؟ يجوز ينقل غلط، يجوز الكلمة غير واضحة، يكون السؤال لا يكتب نعم، يأخذ صفر، فقال:

﴿ انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً ﴾.

[سورة الحديد].

هذا الشيء مضى وقته، هذه الحياة الدنيا الثمينة أضعتموها أنتم، ضيعتموها في القيل والقال، في الشهوات، في الملذات، في متع رخيصة، إكراماً لشهر رمضان المبارك طاولة زهر وأركيلة، يكتبوها، ألا تريد أن تصوم صيام صحيح لكن تلعب طاولة بالليل، وتشرب أركيلة إكراماً لشهر رمضان المبارك إعلانان وضعوها، طاولة زهر وأركيلة.

﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ ﴾، أمضوا حياتهم في المعاصي، والآثام، والفجور، والملذات وكان لهم مشاعر إسلامية، يحب الإسلام إذا انتصر، هذه لا تقدم ولا تؤخر، ﴿ انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً ﴾.

طبيب درس 33 سنة حتى صار طبيب، وكتب الدكتور فلان، وكتب وصفات، قال له واحد: أنا أريد منك شغلة صغيرة، قال له: ما هي؟ قال له: علمني أكتب وصفة، قال له: هذه ملخص 33 سنة دراسة، كيف بدي علمك إياها؟ كل ملخص العلم بالوصفة.

﴿ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ ﴾، هذه شغلة بالدنيا فاتت بتاريخكم هذه وقتها بالدنيا ﴿ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾:

﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾.

[سورة الحديد].

لما سيدنا عمر اشتكوا من شدته، قال: والله يا أبا ذر لو يعلم الناس ما في قلبي من الرحمة لأخذوا عباءتي هذه، ولكن هذا الأمر لا يناسبه إلا كما ترى.

أيام يكون الموقف قاسي جداً والقلب رحيم جداً، الموقف يحتاج حزم، هنا النقاش:

﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ﴾.

[سورة الحديد الآية: 14].

ألم نكن معكم سواء؟ الواحد الجار للجار، زميلين بعمل، اثنين من رواد المساجد واحد مؤمن وواحد غير مؤمن، قالوا: ﴿ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ﴾، نحن بحي واحد، بحارة واحدة، كنا بشركة واحدة، كنا بقطاع واحد، بالوظيفة، نحن تخرجنا سواء بالجامعة، كنا سواء بالعسكرية ﴿ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ﴾:

﴿ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾.

[سورة الحديد الآية: 14].

في الدنيا، أنتم أحببتم الدنيا.

﴿ وَتَرَبَّصْتُمْ ﴾.

[سورة الحديد الآية: 14].

توقعتم أن المؤمن يتحطم، فأنت ابتعدت عن المؤمن وعمل معاصي حتى ينفي عن نفسه هذه التهمة.

﴿ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ ﴾.

[سورة الحديد الآية: 14].

ما لك متيقن من الحقائق، والله أعلم.

زعم المنجم والطبيب كلاهما لا تبعث الأموات قلت إليكما

إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولي فالخسار عليكما

* * *

إن شاء الله يكون في آخرة يقول لك، إن شاء الله يكون هكذا، لكن لا نعرف، في مفاجاءات يقول لك، في شك ما عنده يقينيات، كل حياته مبنية على ﴿ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ ﴾:

﴿ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾.

[سورة الحديد].

الشيطان:

﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

[سورة الحديد].

أيام الإنسان يتواجد بصف لكن ما درس، أما المظهر واحد، لابس بذلة فتوة، أو لابس لباس جامعي، وعلى يده في رداء أبيض، لم يدرس إطلاقاً، فهذا الإنسان لا يقم بمظهره، ولا بمكان تواجده، يقيم بمضمونه وبناءه الداخلي، يجوز ما تجد محلات.

أنا مرة كنت قبل أن أخطب في هذا المسجد كنت أصلي الجمعة في مسجد في أحد المصايف خرجت مع المصلين، واحد وصل لسيارته زوجته بسيارته بشكل غير معقول إطلاقاً هذا ماذا كان يفعل بالداخل؟ ممكن يتواجد إنسان بمكان، ممكن يشاركك بالمشاعر، لكن إذا ما في التزام، ليس هذا الإيمان، ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

﴿ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾، الدنيا أعجبتكم، ﴿ وَتَرَبَّصْتُمْ ﴾، قلتم المؤمنين في وضعهم مشكلة، بعد، وارتكب معاصي حتى ينفي عنه التهمة، ارتكب معاصي جهاراً حتى ينفي عنه التهمة.

واحد كان ببلد أجنبي مع مجموعة طلب لحم خنزير خصوصي حتى لا يقولوا عنه صاحب دين، هو مسلم، والمشرف على الرحلة قدم لهم لحم ضأن، قال له: أريد خنزير، طلب الخنزير حتى لا يقال عنه أنه مؤمن، هو تربص، خاف يقول أنه مع المؤمنين فيأكلها.

﴿ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾.

في عتاب من الله:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾.

[سورة الحديد الآية: 16].

ألم يأن الأوان يا عبدي؟.

إلى أنت باللذات مشغول	وأنت عن كل ما قدمت مسئول
تعصي الإله وأنت تظهر حبه	ذاك لعمري في المقال شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته	إن المحب لمن يحب يطيع

* * *

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾.

[سورة الحديد الآية: 16].

هذا عتاب من الله، كان يسمع هذه الآية قاطع طريق يبكي ويتوب، حتى العصاة قديماً من السلف الصالح، العصاة، قطاع الطرق كانوا تهز مشاعرهم، ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ﴾، نحن ننتظرك يا عبدي، ما آن الأوان؟ ألم يلين قلبك؟ ألم تندم على عملك؟ ألم تخاف من المجيء إلي يا عبدي؟ إلى متى؟.

أيا عبادنا أما قرأت كتابنا	أما تختشي منا ويكفيك ما جرى
أما تختشي من عتبنا يوم جمعنا	أما آن أن تقلع عن الذنب راجعاً

وتنظر ما به جاء وعدنا

* * *

إلى متى؟ بالخامسة والخمسين لا يصلي، إلى متى؟ بالستين بالقهوة، بالخامسة والستين للساعة الثانية عشرة بالطاولة، إلى متى ماشي؟ ما تخبي لآخرتك؟.

((ما ينتظر أحدكم إلا غنى مطغيا، أو فقرا منسيا، أو مرضا مفسدا، أو هرما مفندا أو موتا مجهزا، أو الدجال)).

[أخرجه الحاكم عن أبو هريرة].

﴿ أَلَمْ يَأْنِ ﴾، ما آن الأوان؟ أربعين أصبحت، الأربعين سن النضج والكمال، الشعب كله شائب.

((عبدي كبر سنك، وانحى ظهرك، وشاب شعرك فاتستحي مني فإنا أستحي منك)).

لفها بقى شوي، بلا هذا الاختلاط، وبلا هذه المعاصي، وبلا هذه الأفلام حتى زبط هذا الهوائي فات، البرندة لها باب بلور لكن ملمع تمام ما شافه، فات بسرعة كسر البلور ستة ميلي برأسه فنزل الدم، عما يزبطه، يريد المحطات كلها، إلى متى؟ برمضان، برمضان بدو يجيب مئتين محطة بدو يقيم الليل لكن مو بالصلاة وراء فلم، هذا قيام ليل لكن من نوع ثاني، إلى متى؟.

الثاني عما يزبط الصورة مشوشة، طلع في عرق شجرة أمام هذا الصحن نزل وجاب سلم طلع وقص هذا العرق، فقس السلم، مسك العرق العرق مقطوع، ثلاثين كسر نزل لحت غريب هذا الشهر سمعت خمس ستة قصص، ضربة قاسمة برمضان بدو يشوف المحطات كلها.

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾، الإنسان ما له حق بعد أن بلغ النضج ، من دخل في الأربعين دخل في أسواق الآخرة، النقطة الدقيقة في هذه الآية:

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ ﴾.

[سورة الحديد الآية: 20].

اللعب تحدثت عنه سابقا بالتفصيل أن كل شيء ما له أثر مستقبلي، جبنا مثل واحد لعب طاولة واحد قرأ كتاب، في بهذا الكتاب حقائق غذائية، اترك الدين، أمور غذائية، قام أخذ قاعدة بأكله وشربه طوال حياته، معناها هذا الكتاب الذي قرأه كان له أثر مستقبلي، هذا ليس لعب أما كل شيء ينتهي مع نهايته هذا لعب، أما هذا أخطر، اللهو تشغل بالخسيس عن النفيس، هذا لهو صار.

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾.

[سورة الحديد الآية:22].

هذه الهاء إذا أعدناها على المصيبة المعنى رائع، المصيبة هذه جاءت لحكمة بالغة جاءت بعد النظر في صحيفة الإنسان، الطبيب أيام يعطوه الطبلة تبع المريض يجد الضغط عالي أوقفوا الملح، متى قال أوقفوا الملح، مع الضغط وجد الضغط مرتفع، وجد الشحوم زيادة أوقفوا المواد الدسمة، فالطبيب الرحيم أخذ قرار بعد اللوحة، فهذه المصيبة ما جاءت اعتباطاً مكتوبة مسبقاً، لا، هذا الإنسان هذه المصيبة استحقها بناء على معطيات، على انحرافه، على استقامته عن إقباله، عن إعراضه، كانت هذه المصيبة، ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾، المعنى يختلف اختلاف كبير بين أن تعيدها على النفس من قبل أن تخلق هذه النفس هذه المصيبة مكتوبة عليها، أو من قبل أن نبرأ المصيبة، قبل أن تقرر هذه المصيبة كان في نظر لحال الإنسان، لأنه:

﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾.

[سورة الرحمن].

الملاحظ في آيتين:

﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾.

[سورة الرحمن].

هنا:

﴿ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ ﴾.

[سورة الحديد الآية: 25].

معناها العقل يكمل الكون، والعقل أداة فهم القرآن، فالله عز وجل له آيات تكوينية وله آيات قرآنية، أعطاك قوة تعلم، قوة التعلم هذه القوة الإدراكية إذا سلطتها على الكون عرفت الله، وإذا أعملتها في القرآن عرفت الله، فجاء الميزان وهو العقل مع القرآن ومع الكون، الكون بلا ميزان لا قيمة له، والكتاب من دون قيمة تعلمية لا قيمة له.

لذلك الله عز وجل أورد كلمة الميزان الذي هو العقل مع الكون تارة مع السماء ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾، ومع القرآن.

أما هؤلاء الذي يصفونهم بأنهم أهل الكتاب ليسوا عند الله أهل كتاب، الدليل، قال:

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آَثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ﴾.

[سورة الحديد].

حدثني أخ من إخواننا الكرام جاب لي قصاصة جريدة من شيكاغو، أنه اثنين بليون دولار نفقات الحفاظ على سعر اللحوم بأمريكا، كيف؟ يعطوا مربي البقر مبالغ طائلة لقتل أبقارهم ودفنها، حتى السعر يبقى مرتفع، في أستراليا عشرين مليون غنمة قتلوها بالرصاص ودفنوها بالأرض، في أمريكا يتلفون محاصيل الفواكه ويسممونها للحفاظ على سعرها، هذه رحمة هذه؟ شعوب تموت من الجوع، انظروا إلى صور بإفريقيا بالصومال جلدة وعظمة، مئات الألوف تموت جوعاً هم يدفعوا اثنين بليون دولار ثمن أبقار مقتولة ومدفونة للحفاظ على سعر اللحوم المرتفع.

قال لي أخ كان بهولندا رأي العين، قال لي: رأيت نهر أبيض، شيء ما شافه بحياته ما هذا؟ قال هذا من الحليب، يصبوا الحليب بهذه القناة حتى يبقى السعر مرتفع، نهر ماشي من حليب، إنتاج كبير جداً، قال فائض الزبدة بأوربا تعادل أهرمات مصر بحجمها، يتلفوها كلها وشعوب تموت من الجوع، يبيعوها أسلحة فقط من أجل أن تتحارب مع بعضها، أي رحمة هذه؟ هؤلاء ليسوا أهل كتاب، لو كانوا أهل كتاب لكان في قلبهم رحمة على الشعوب هذه

﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ﴾:

﴿ مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾.

[سورة الحديد الآية: 27].

غير واقعية لأنه، لذلك:

﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ﴾.

[سورة الحديد الآية: 27].

هم حينما كتبوها على أنفسهم ادعوا ذلك لكن:

﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآَتَيْنَا الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾.

[سورة الحديد].

وهم في هذه الرهبانية، قصص الزنا والانحراف حدث ولا حرج في صفوف هؤلاء الذين تركوا الزواج ادعاء أنهم يبتغون مرضاة الله عز وجل.

آخر آية، هذه آية مطمئنة جداً يا إخوان:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾.

[سورة الحديد الآية: 28].

كفالتين كفالة في الدنيا وكفالة في الآخرة، كفالة من الكفيل؟ الله عز وجل، أنت مع الله لن تضام، لن تؤذى، لن تُظلم، لن تضيع، لن يحجد حقك، لن تهدم حقوقك، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾:

﴿ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ ﴾.

[سورة الحديد الآية: 28].

تملك رؤية صحيحة، الذي يسرق ماذا يرى؟ أن عمله عظيم، في ذكاء، بجهد قليل أخذ مال كثير، بعدها يشنقوه، الذي يقتل قتيل ماذا يرى؟ أن بهذا القتل ينفذ، أُعدم بعد حين، المجرم صنفوه غبي، وصل لهدفه بطريق غبي جداً، فربنا عز وجل قال:

﴿ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً ﴾.

[سورة الأنفال الآية: 29].

﴿ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ ﴾.

[سورة الحديد الآية: 28].

أنت إذا آمنت بالله واتصلت فيه تملك شيء لا يقدر بثمن، الرؤية الصحيحة.

﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.

[سورة الحديد].

والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا أرضنا وارضَ عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصبحه وسلم .

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الدرس (46-49) : العيش بمرضاة الله يحقق الفوز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ﴾.

[سورة الجمعة الآية: 2].

الآيات الدالة على وجود الله، ووحدانيته، وكماله.

﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾.

[سورة الجمعة الآية: 2].

الإيمان نفس ذكية، وفكر جوال في ملكوت السماوات والأرض.

﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾.

[سورة الجمعة الآية: 2].

القرآن والسنة.

﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾.

[سورة الجمعة].

إذاً في جولة في الكون من أجل أن تعرفه، وفي اتصال به من أجل أن تزكو نفسك وفي معرفة بالمنهج من أجل أن تستقيم على، هذا الإيمان المتكامل، في جانب معرفي في الكون وفي جنب نقلي القرآن والسنة، وفي جنب نفسي، الطهارة النفسية، فهذه الآية جمعت أركان الإيمان تفكر في خلق السماوات والأرض من أجل أن وجوده، ووحدانيته، وكماله، واتصال به من أجل أن تزكو النفس وتطمأن، والشيء الثالث: معرفة بالحلال والحرام من أجل أن تستقيم على أمره، هذا هو الدين، وأية دعوة إلى الله تخلو من هذه العناصر فهي دعوة عرجاء، وما من دعوة أخفقت إلى الله عز وجل إلا بسبب أنها ركزت على جانب دون جانب، واعتنت بجانب وأهملت الجوانب الأخرى.

﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ ﴾، أرقى عبادة هي التفكر، ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾، باتصالهم به تزكو نفوسهم، ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾، الكتاب القرآن والسنة، ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾.

الحقيقة الإنسان أحياناً يحتار بتقييم نفسه، أحد التقييمات التي ذكرها الله لنا في هذه السورة سورة الجمعة من يذكرها؟ يقول الواحد: يا ترى أنا مؤمن، أنا لي أمل بالآخرة.

﴿ إِنْ زَعَمْتُمْ ﴾.

[سورة الجمعة الآية: 6].

إذا الإنسان ينخلع قلبه من رؤية الآس، إن كان ينخلع قلبه من سماع القرآن الكريم وكأن القرآن الكريم لم ينزل إلا ليقرأ في المناسبات الحزينة، إذا الإنسان لا يحب ذكر الموت أبداً بل يخاف منه هذه علامة غير طيبة، لكن من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾.

[سورة آل عمران].

﴿ وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾.

[سورة الزخرف].

﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة يس].

هكذا الآيات.

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾.

[سورة الجمعة].

طبعاً حتى أكون واقعي ما من مؤمن إلا ويتمنى أن يعيش أطول عمر ممكن، لأن النبي الكريم يقول:

((خيركم من طال عمره، وحسن عمله)).

شيء طبيعي هذا، لكن المنافق، والمنحرف، والعاصي يخاف من الموت خوفاً شديداً ولا يحب أن يدخله في حساباته إطلاقاً، ويأتيه بغتةً.

مرة ثانية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

[سورة المنافقون: 9].

الحقيقة العلب شيء واللهو شيء، اللهو أن تلهو بالخسيس عن النفيس، أن تلهو بجمع الصدف عن جمع اللؤلؤ، أن تلهو بعد العملة النقدية البخسة عن عدة العملة الذهبية، أن تختار شيئاً آنياً، عاجلاً، سخياً، عن دار آخرة لا نهاية لها، هذا هو اللهو، التهيت بشيء خسيس عن شيء نفيس، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ ﴾، تجارة، ومبيع، وشراء، وصفقات، ووكالات وشحن، وتوزيع، ولم جمعية، ليل ونهار، وبالليل حسابات، وبالنهار صفقات، وكل يوم عنده اجتماع، ولقاء، وصفقة، وعقد، ومحامي، طول بالك، ﴿ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ﴾، يهمه أولاده أعلى مستوى، أما الدين لا يهمه، يهمه دخلهم، تجارتهم، شهادات فقط، وقد يعصي ربه من أجلهم، في آية ثانية دقيقة جداً:

﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾.

[سورة المنافقون].

سورة التغابن سميت تغابن لأن هذا اليوم يوم القيامة يوم التغابن، الإنسان في هذا اليوم يعرف مدى غبنه، أيام إنسان يبيع بيت يسوى ثماني ملايين يبيعه بخمسة، لا يكون يعرف الأسعار، وجاءه دلال وبلفه، وقام قال له: وافقت، ووقع، يقول لك: محروق قلبي على هذه البيعة انغبنت فيها، راح نهيب، هذه دنيا، أما إذا كان الآخرة راحت كلها وللأبد، قال:

﴿ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُ ُ ﴾.

[سورة التغابن الآية: 9].

لا يعرف الإنسان مدى خسارته إلا بعد الموت، الآن عايش مثل الناس أكلنا، وشربنا ونمنا، وتسرنا، ولعبنا طاولة، وإكرام لرمضان في أركلية وطاولة للساعة الواحدة بالليل وضحكنا، وجبنا دش وشفنا أفلام، شو صار؟ بقلك هذه حضارة، أنا عايش عصري، ماشي الحال أما يوم القيامة لما يضيع الآخرة بأكملها من أجل سنوات معدودة، معدودة وكلها متاعب، قال: ﴿ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾.

لما الإنسان يبيع أرض، أو يبيع بيت، أو يبيع مؤسسة، أو يبيع وكالة بمبالغ يسيرة بيطلعوا المبالغ مزورة، في واحد صارت معه، باع بيته، وسيارته، ومعمله، وفيلة بالمصيف وقرر يذهب لبلد أجنبي ويضعهم بالبنك ويعيش من الفائدة، عمل حساباته مبالغه بالملايين، قال أعيش ملك، القصة طويلة، كيف أودع المال باسم مستعار فقط لثاني يوم لإجراءات معينة، ثاني يوم قال له: مالك عندي شيء، إنسان فقد ثروته كلها بلحظة، بقي شحاد، هذا خبر صاعق بالآخرة أصعب، يرجع ويشحد أجرة طائرة يرجع إلى بلده، ويبدأ من الصفر ويبقى عايش، لكن ما في عذاب، ﴿ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾.

لذلك من هو العاقل؟ هو الذي عرف ما سيكون قبل أن يكون، عرف النهاية من البداية حسب حساب الامتحان من أول العام الدراسي، ﴿ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾.

كل إنسان يعرف أنه مغبون حتى المؤمن، ما من ساعة تمر إلا ويتمنى المؤمن أنه يكون قد ذكر الله، لا يندم المؤمن على سعة مرت لم يذكر الله فيها، قد ما ركضنا لمصلحتنا، قد ما أسرعنا هنا بالإيمان ما في إسراف.

﴿ وَسَارِعُوا ﴾.

[سورة آل عمران الآية: 133].

وسارعوا.

﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾.

[سورة المطففين].

﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾.

[سورة الحديد].

﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾.

[سورة الصافات].

لا خير في الإسراف، ولا إسراف في الخير، قد ما ركضت لمصلحتك، الآن دققوا في هذه الآية:

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ ﴾.

[سورة التغابن الآية: 11].

إذا آمنت أن الله عز وجل كل شيء بيده، وأسماءه كلها حسنى، وما ماله مصلحة يعذبنا، ورحيم وعادل وحكيم، إذاً هذه المصيبة لها سبب، في وراءها حكمة، قال:

﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾.

[سورة التغابن الآية: 11].

إلى حكمتها، أخ من إخواننا، سمح لي أروي القصة، جاءه زبون يريد قطعتين ثلاثة عنده معمل، قال له أنا لا أبيع مفرق، هو يبيع خمس مئة دزينة، كيف خمس قطع؟ قال لي: والله ثلاثين يوم ما دخل لمعملي زبون، قال لي: حتى نشف دمي، الآن أبيع قطعة واحدة تأدباً مع الله عز وجل، ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ ﴾، يؤمن، الفعل فعله، هو حكيم، ورحيم، وعادل، وما في عنده أعمال عشوائية الله عز وجل، كل بحسابه، وما عنده ظلم أبداً ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾، إلى علتها.

والله يا أخوان إنسان جاهل متجبر، جالسة زوجته وأخته، عنده أخت عانس، وفي خلاف بين زوجته وأخته، حب يرضي زوجته بإهانة أخته، نكشها برجله، قومي هاتي لي كاسة ماء، ثاني يوم سافر لحلب صار حادث قطعت رجله من أعلى الفخذ، هذه التي أهان بها أخته أمام زوجته.

ما في شيء عشوائي أبداً.

((ما من عثرة، ولا اختلاج عرق، ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم، وما يعفو الله أكبر)).

﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾، إلى حكمتها، وإلى علتها، يكون يقظ، هذه الآية بالطلاق:

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ ﴾.

[سورة الطلاق الآية: 1].

نصيحة لكل زوج ولكل زوجة، مهما كان الخلاف كبير، خليها ببيتك، ويا أُختنا الكريمة خليكِ ببيت زوجك، الخلاف يتضاءل، ويتلاشى، يجوز يومين فقط، يجوز ثلاثة، يجوز خمسة وصارت جمعة، أما إذا قلعتها لبيت أهلها أو هي حردت، يكون هالقد الخلاف بعدين هالقد في تغذية، عمتها، والله لا يليق فيكِ، اتركيه، ربيه، أخوها ينفخ برأسها، وعمتها ينفخ برأسها وأمها تنفخ برأسها، وأبوها لك صدر البيت، كبروا لها راسها، والثاني كبر راسه، تطلقوا بعدين أكبر مشكلة تضاءل وهي في بيت زوجها، وأصغر مشكلة تتفجر وهي في بيت أهلها.

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ ﴾، هذه قاعدة أساسية في الزواج، دققوا فيها لا تطمع ابنتك إذا كان زعلت تحردها عندك، ولا إذا غضبت تضع زوجتك ببيت أهلها، كل شيء يحل بعد يومين ثلاثة كله يتضاءل، يصغر، يلمم وهي عندك، لك عندك حاجة، ولك عندها حاجة، والإنسان ينسى، أما هي هناك صار في قطيعة، صار في تغذية معاكسة، صار في حقد تتفاقم الأمور، انزع من ذهنك نهائياً أن تسلك هذا السلوك، تخانق معها، وناقشها، وحاورها وحاربها وهي ببيتك معلش، لكن لا تحطها ببيت أهلها، طبعاً بالحق مو بالباطل تحاربها.

هذه الآية دقيقة جداً:

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾.

[سورة الطلاق الآية: 3].

أيام تجد واسطة لكن لا تكفي هذه الواسطة، لا يستطيع يخلصك، تحتاج واسطة أكبر هذا يمون على هذا، هذا لا يمون عليه، الله يبلغك: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾، قد ما كان خصمك قوي الله أقوى، قد ما كان خصمك ذكي الله أعلم، قد ما كان خصمك محتال.

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾.

[سورة إبراهيم].

قد ما كنت ضعيف، أنت بالله قوي، قد ما كنت جاهل بالله عالم، قد ما كنت فقير أنت بالله غني، ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ لكن:

﴿ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ﴾.

[سورة الطلاق الآية: 3].

نحن يكون ببالنا مليون قضية لا تصير معنا، والله ما قدرت، ما تحققت، ما نجحت ما قدرت أعمل مثل ما خططت لحالي، ما ربحت، هذه الصفة ما ربحت، التجارة ما مشى حالها هذه السفرة ما زبطة، أما الله عز وجل ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ﴾، إذا شيء أراده يجب أن يقع قطعاً انظر إلى هذه الآية ما أدقها: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾، ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ﴾، لكن مو أنت تفرض عليه الوقت.

﴿ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ﴾.

[سورة الطلاق].

كل شيء له وقت مناسب، ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾، ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ﴾.

انظر هذه القاعد بالزواج لست مكلف أهلك أكثر مما تأكل، ولا أن تلبسهم أكثر مما تلبس، لماذا؟ حتى لا يحملونك على معصية، تستطيع أن تأكل فقط حمص الظهر لشهر لا تستطيع أن تدعي أمام القاضي أنه لا يطعمني، ما دمت تطعمها مما تأكل، وتلبسها مما تلبس انتهى الأمر حتى ما الواحد لا يفكر بمعصية لكسب مال حرام، برشوة من أجل إرضاء زوجته، الله ما كلفك إلا تطعمها مما تأكل، تمكنت أن تطعمها فقط معكرونة، ما غير هذه الأكلة لأسبوعين فقط، الله ما كلفك، ويرفع قدرك ويغنيك بعدها، لا تبحث عن دخل حرام لإرضاء زوجة.

"يا فلان اتقِ الله بنا فنحن بك، نصبر على الجوع ولا نصبر على الحرام".

هكذا الصحابة كانوا، تعرفون من هي أفضل امرأة؟ التي تعين زوجها على الطاعة لا تضغط عليه ضغط ضغط حتى يأكل مال حرام حتى يرضيها ويرتاح من النق، هذه زوجة غير صالحة، الزوجة الصالحة لا تكلف زوجها مالا يطيق.

((أعظم النساء بركة أيسرهن مؤنة)).

[أخرجه البزار والإمام أهمد عن عائشة أم المؤمنين].

أعظم النساء بركة أقلهن مهراً.

﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً ﴾.

[سورة الطلاق].

وطن نفسك هذا دخلي ما في غيره، أنت اسعَ، وارفع مستوى معيشتك، وابحث عن عمل إضافي، بالمشروع، أما تحملك على معصية؟ على قبض مال حرام، على احتيال، حتى ترضيها، هذا ليس إنسان، لا يطعمها إلا، أما يأكل هو بالمطاعم أفخر أكل وهو تمضاية عندهم هذا ظلم أيضاً، يجب أن تطعمها مما تأكل، وأن تلبسها مما تلبس، ولا عليك بعد هذا شيئاً لا أمام الله، ولا أمام الناس، لماذا قال النبي:

((اخشوشنوا)).

[أخرجه الطبراني عن أبو أمامة الباهلي].

لأنه إذا قل دخلك، وطن نفسك على الخشونة، حتى لا تعصي الله من أجل الرزق امتحان، قال:

((اخشوشنوا، فإن النعم لا تدوم، اخشوشنوا وتمعددو)).

كل مرة تمضاية، وكل مرة بلا فواكه، ويوم على كاسة شاي، ويوم كل الظهر حواضر ما في مانع.

((اخشوشنوا وتمعددو فإن النعم لا تدوم)).

حتى إذا الدخل خف بسبب طارئ لا تعصي الله أنت، تكون معودهم.

آخر آية:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾.

[سورة الطلاق].

راقب نفسك، أنت لست مع الله بل مع عبد من عباد الله، العاديين، بل الذين تحتقرهم أحياناً، إذا عبد أقوى منك، إذا كن خالفت أمره ضابطك، وكاشف وبدو يعاقبك، استقيم على أمره ألا تستحي من الله مع عبد مثلك ما دام كاشفك وبدو يعاقبك، تستقيم على أمره، هذا الإله العظيم الذي أنت بقبضته، بعلمه وبقبضته، ومصيرك عنده وسيحاسبك، لذلك إذا آمنت أن الله يعلم وسيحاسب، إذا آمنت أن علمه يطولك، وقدرته تطولك، انتهى الأمر، هات لي واحد بكل البلد يجد الإشارة حمراء والشرطي واقف، ومتورين، وسيارة، ويقطع الإشارة الحمراء، سيسحبوا منه الإجازة فوراً، ويلحقوا، لماذا أنت مع شرطي تستقيم على أمره، شرطي عادي، وقد تكون إنسان كبير، فكيف مع خالق الكون؟.

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾.

والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا أرضنا وارضَ عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الدرس (47-49) : إصغاء القلب لاستماع الحقائق ، العناية بالأولاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة، كما أنه من الكبائر أن تحلل ما حرم الله عليك، أن تقول هذا الشيء حلال وهو حرام، ليس أقل من ذلك أن تحرم ما أحله الله لك، حينما تحرم ما أحله الله لك أنت تقول أنا اشد ورعاً من رسول الله، أنا أفهم الذي ينفعني، والذي يضرني أكثر من الذي خلقني، فالقاعدة أنه لا يجوز أن تحرم ما أحله الله لك، وأن لا تحلل ما حرمه الله عليك.

إلا أن النبي عليه الصلاة والسلام بكماله الرفيع حفاظاً على خاطر زوجاتك حرم على نفسه ما أحله الله له، حينما أعرض، أو امتنع من الزواج من مارية القبطية، فربنا عز وجل عتب له ولم يعتب عليه.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾.

[سورة التحريم الآية: 1].

وبالمناسبة ليس في القرآن الكريم كله خطاب للنبي بشكل مباشر، الله عز وجل قال:

﴿ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾.

[سورة آل عمران الآية: 55].

قال:

﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾.

[سورة مريم الآية: 12].

قال:

﴿ يَا زَكَرِيَّا ﴾.

[سورة مريم الآية: 7].

لكن ما قال يا محمد في القرآن الكريم كله، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾.

[سورة المائدة الآية: 67].

هذا لعلو مقامه النبي عليه الصلاة والسلام، هذه أول نقطة، ما خاطب الله النبي ﷺ باسمه إطلاقاً، ورد اسمه:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾.

[سورة الفتح الآية: 29].

هذا خبر، أما ما خاطبه باسمه إطلاقاً ورد اسمه، ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾، هذا خبر لكن ما خاطبه باسمه قال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾، ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ﴾.

[سورة التحريم الآية1].

هذا عتب في قوله تعالى:

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾.

[سورة عبس].

فرق كبير بين أن يعتب عليه، وبين أن يعتب له، قد يرى أب ابنه لا ينام الليل وهو يدرس لا ينام إطلاقاً، يعاتبه، هذا العتاب ليس عن تقصيره، بل عن إفراطه في الدراسة، عن إفراطه، يسمي العلماء هذا عتباً له، وليس عتباً عليه.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.

[سورة التحريم].

الآن في عنا قاعدة أنت مخلوق في الدنيا للعمل الصالح، فلو أنك حلفت يميناً مؤدى هذا اليمين أن تمتنع عن فعل الخير يجب أن تكفر عن يمينك وأن تفعل الخير، واحد انزعج من أخته حلف بالله ما يفوت بيتها، الشرع يأمره أن يزورها وأن يكفر عن يمينه، لأنه إذا حلف يميناً بساعة غضب وحرم نفسه الخير، الله لا يرضاه له هذا الحرمان، فالتوجيه النبوي أن يستحل هذا اليمين بالكفارة.

بالمناسب: واحد حلف يمين ألا يزور أخته، فإذا زارها فقد يحنث بيمينه وعليه أن يكفر وإذا أراد أن يدفع الكفارة قبل أن يزورها هذا هو التحليل، التحلة أن تكفر قبل أن تحنث، والكفارة أن تكفر بعد أن تحنث، والأكمل إذا الإنسان حلف يمين قبل أن يحنث من يمينه أن يتحلل من هذا اليمين بالكفارة.

﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ﴾.

[سورة التحريم].

هنا في نقطة دقيقة، أن النبي عليه الصلاة والسلام مئات المرات بل ألوف المرات جاءه جبريل وأخبره بما غاب عنه.

عمير بن وهب بعد أن أجمع على أن يقتل النبي، وجاء المدينة ومعه سيف مسموم قال له: يا عمير ألم تقل لصفوان كذا وكذا؟ هذا ليس من عند النبي، إنما هو أعلام من الله له النبي بذاته لا يعلم الغيب، والدليل:

أنه جاءه وفد من إحدى القبائل وطلب منه قراء ليعلموا الناس القرآن، فالنبي أعطاهم سبعين قارئ وفي الطريق قتلوهم، لِمَ لم يكشف النبي هذا؟ لا يعلم الغيب النبي، إلا أن يعلمه الله، انظر إلى دقة التعبير، لا يعلم الغيب بذاته.

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾.

[سورة الكهف الآية: 110].

إلا أن يعلمه الله، فلذلك أي إنسان لا يعلم الغيب إلا الله، أم إذا ادعى الإنسان علم الغيب، أو أن يعلم ما في النفوس.

إذا أنت شخص لعب عليك أنت لست مؤاخذ لا تعلم الغيب لك الظاهر، في أشخاص عندهم تمثيل بارع، تمثيل بارع جداً، هذا انطلى على النبي، هذا من شأن البشر، هذا هو البشر.

﴿ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾.

[سورة التحريم].

الآن:

﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾.

[سورة التحريم].

إذا إصغاء الإنسان إلى الحق علامته التوبة، فإذا ما تاب زعبرة وتلبسة، إذا ما تاب، ما أصغى، ما سمع شيء معناها.

أنا مرة كنت أضرب مثل، قلت لواحد: على كتفك في عقرب بهدوء تام، ولا انزعج، ولا تحرك، والتفت نحوك وابتسم وقال لك: أنا شاكر لهذه الملاحظة، الله يقدرني على مكافأتك، هذا ما سمع ماذا قلت له، لو فهم كان نط، كان صرخ، كان نفض عن كتفه العقرب، مادام سمع كلمة عقرب، وقال أنا شاكر، وبقي هادئ معناها ما سمع ماذا قلت له أنت، علامة سماعه الصحيح الحركة السريعة.

في عنا قاعدة أن الإنسان في تعامله مع البشر هناك قانون يحكم هذا التعامل، إدراك انفعال، سلوك، إن صح الإدراك لا بد من انفعال، إن صح الانفعال لا بد من سلوك، الآن ما صار انفعال معناها الإدراك غير صحيح، ما أدركت أنت، ما صار سلوك معناها هذا الانفعال، الانفعال دعوى، إذا وجدت السلوك غير منضبط تحكم % الانفعال غير صحيح، وجدت الانفعال غير حقيقي معناها الإدراك غير حقيقي، الإدراك الصحيح من لوازمه الانفعال صحيح، من لوازمه سلوك صحيح.

هنا الآية: ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾، علامة إصغائك للحق، تجد أيام عقد قران، في خمس مئة شخص، تلقى كلمة حق، يستجيبوا ثلاثة البقية مجاملة، البقية احتفال والله فلان خطب فلانة، والله شيء جميل، ما شاء الله حوله شو متكلف، هو لا يعنيه هذا الموضوع إطلاقاً، أما الواحد يسمع يجد كلمة حق، وتحاصر فيها، ووجد نفسه أمام مسؤولية كبيرة، يتحرك فكل إنسان يتحرك معناها أصغى، والله إذا ما تحرك معناها ما أصغى.

﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾، وشتان بين إصغاء الأذن، يقول لك: نعم نعم، يضع أذنه هكذا، إذا ما نفذ زعبرة، شتان بين إصغاء الأذن، وبين إصغاء القلب.

﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾:

﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾.

[سورة التحريم].

ما هذه المرأة؟ الله عز وجل، ورسوله، وجبريل، وصالح المؤمنين من أجل رد كيد امرأة.

﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾.

[سورة يوسف].

الله قال:

﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾.

[سورة النساء].

الشيطان كيده كان ضعيفا، والمرأة قال: ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾، لأن الرجل له حاجة بالمرأة، لتعلق حاجته بها تستطيع أن تكيد له كيداً عظيماً.

إذاً اتقوا الله بالنساء، أنا أعتقد أن الرجل يؤتى من مأخذين، من المال والنساء، فإذا كان محصن من أن يكسب المال الحرام ومن أن تميل نفسه إلى ما حرم الله إذا حصن من البابين فقد نجا، أخطر بابين ومنزلقين للرجل المال والنساء، وإذا الواحد مكتفي مادياً بقي النساء.

لذلك إن إبليس طلاع رصاد، وما هو بفخوخة بأوثق من صديه في الأتقياء من النساء.

بدك تنخخ رجال أغريه بامرأة، انتهى، أين علمه؟ أين ثقافته؟ أين مكانت الاجتماعية؟ أين شهاداته العليا؟ انتهى، انتهى بالمرأة، فالمؤمن الموفق هو الذي يقف عند حدود الله، وقافاً عند حدود الله لا يحدث نفسه بأي خرق للحدود.

النقطة الدقيقة في هذه الآية: الإنسان أحياناً يقول: والله أنا لست مقصر مع أولادي، أكل، وشرب، ولبس، ليس هذا هو المقصود، المقصود أن تربيهم.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾.

[سورة التحريم الآية: 6].

وما في إنسان، هذا الكلام أقوله وأنا أعني ما أقول أي واحد منا إذا وصل إلى أعلى قمة من النجاح، أحب نجاح مادي، أسس شركة، وأرباحها طائلة، تحب نجاح تعليمي أخذ بورد، تحب نجاح بالقوة صار بمركز جداً، يعني بمنصب حساس جداً بيده مصائر الناس، إما حقق نجاح مالي، أو نجاح علمي، أو نحاج بالقوة، قال هذا النجاح لا قيمة له إذا كان أولاد هذا الإنسان ليسوا على ما يريد، يشقى بهم، الإنسان أولاده جزء منه.

مرة ضربت مثل: ثلاثة يدخنون بالطريق، مر شخص، واحد ابنه، وواحد ابن أخوه، والثالث غريب، تجده أمام ابنه ينفعل انفعال غير معقول، أمام ابن أخوه يعنفه لكن قليل، أما الغريب يقول له اذهب لبيتكم، لا يحاكيه.

الانفعال يتناسب مع الحب، يتناسب مع الرحمة، يتناسب مع الارتباط العضوي فالإنسان إذا كان ابنه ليس على ما يريد يشقى بشقائه، الواحد لا يفرح أنه بالجامع يجب أن يكون ابنك معك، أنا أصلي قيام ليل، يجب أن يكون ابنك معك، أنا أقرأ قرآن يجب أن يكون ابنك معك لا تسعد إلا أن يكون ابنك على شاكلتك.

النقطة الدقيقة: أن الإنسان أحياناً يغفل عن تربية أولادهم وهم في سن صغيرة لما يكبروا يخشبوا انتهى، خسرهم نهائياً، إذا لم تبدأ من الخمس سنوات لا تلحق حالك، والكلام دقيق، وفي أناس دفعوا الثمن باهظ، يعلمه على الصلاة، يعلمه على الدعاء، تعلمه على إنفاق المال، تعلمه على آداب الإسلام، من الخمس سنوات، هذا أخطر سن، سن تشكيل الإنسان اجتماعياً، وأخلاقياً، وقيمياً.

فلذلك: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾، يجب أن تحرص على أولادك كما تحرص على نفسك، لأنك تسعد بهم، وتشقى بهم، إذا كان الأب عنده ابن صالح والله لو يأكل خبزة حاف تجده

مسرور، صار الابن قرة عين، والله عز وجل أغرانا، تربية الأولاد تربية ليس جزاؤها في الجنة في الدنيا قبل الآخرة، ما هو الجزاء في الدنيا؟ قرة العين.

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾ .

[سورة الفرقان].

لكن بصراحة بدها جهد كبير، الأب لما يكون مشغول يخرج من البيت بكير، يأتي المساء يريد معلومات عن أولاده جيدة، ويكره الخبر السيئ، يريد أن لا يسمعه أو لا يصدقه، هذا مثل النعامة تماماً، يجب أن تعرف ابنك أين سهر، يرافق من؟ من أين أتى بالمصاري؟ اللباس هذا من أين أتى به؟ إذا أنت تتغافل عنه ولا تحب أن تدقق بالموضوع، كالنعامة تمام تهرب من المشكلة، فالإنسان ينتبه إلى أولاده، لا يسعد إلا بسعادتهم، ولا يشقى إلا بشقائهم، وهذه الآية أوضح آية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾، وإذا الواحد وفقه الله بولد صالح كل أعمال هذا الولد الصالح، وأولاد ابنه، وأولاد أولاد ابنه إلى يوم القيامة في صحيفته، فإذا كان طفل نشأ على طاعة الله، وعلى تلاوة القرآن، بالتعبير العامي رجله أخذت على الجوامع، أخذه معه، طبعاً الإنسان ابنه معه عبء، لكن أنا أقول: ابنك مكانته مثل مكانتك عنا، مثلك تمام، لكن لا تفلته يجب أن يكون إلى جانبك، لأن الابن غالي على أبوه وعلى الناس كلها، وطبعاً الأهل والزوجة ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾:

﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة التحريم].

لا أعتقد أنه في أب من الآباء على الإطلاق أن يرى بناته في البيت يؤدون الصلوات الخمس بخشوع وأولاده كذلك إلا يدخل على قلبه سرور لا يعلمه إلا الله، أو وجد زوجته مؤمنة محجبة تقرأ القرآن، وقافة على حدود الله، ومستواها راقي، هذا النجاح، إن قلنا أيها الأم أولادك شهادات لك، الشهادة الحقيقية ليست المعلقة على الحيطان، الشهادة الأولاد، وأنت شهادتك وثقافتك وعملك أولادك، شهادتك أولادك، إذا يأخذوا من وقتك في اليوم ساعتين ثلاثة، ساعتين، ثلاث ساعات ساعة ونصف، نصف ساعة، جلست معهم جلسة طويلة، أخذتهم، أيام الأب يأخذ أولاده بالعيد على الألعاب، بيده يأخذهم، يخاف عليهم، أب، يكون أب له مكانة، وله منصب، أخذهم بنفسه لعبهم ورجعهم، أحسن اذهبوا وعيدوا وارجعوا بعد ساعتين،

تعرفوا ماذا حصل بالطريق؟ الآن يضعوا بالصحف اليومية بتشرين أول صفحة ما في جرائم بالشام ، شيء لا يصدق، خمس جرائم بيوم واحد كلها زنا، بنت استدرجوها، طفل استدرجوه، الازدحام يعمل مشكلات كبيرة جداً اقرؤوا هذه الزاوية بالجريدة، واذهب وجيب خبز لابنتك الصغيرة، ما معنى هذه الكلمة، شيء مخيف، هناك من يستدرج البنات الصغار، بسكر، بإغراءات، يخطفوا الأولاد، فالأمر ليس سهل قبل أن تتساهل من ابنتك الصغيرة، أو مع ابنك يجب أن تعد للمليون، لأنه شيء لا يحتمل، الخبر السيئ لا يحتمل.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ ﴾.

[سورة التحريم الآية:8].

هنا لا يخزي النبي، وعدنا بالجنة، هذه الجنة، وعدنا بالنار هذه النار، طيب قلب الذي يستقيم على أمر الله، وجد المكافأة سريعة، النبي كل شيء قاله صادق، هو الصادق المصدوق.

آخر بهذه السورة، الحقيقة آخر شيء فيها مبدأ أساسي أنه:

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾.

[سورة الزمر الآية: 7].

كل إنسان محاسب وحده، امرأة نوح كانت كافرة، وخانة زوجها خيانة دعوة لا خيانة فراش، كونها امرأة نبي عظيم هذا لا ينجيها من عذاب الله.

امرأة فرعون، وما أدراكم ما امرأة فرعون، قال:

﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾.

[سورة النازعات].

وزوجته صديقة، في ربع صديقات في العالم السيدة خديجة، والسيدة فاطمة، ومريم بنت عمران، وامرأة فرعون، هؤلاء الصديقات، من زوجها فرعون، أيام تجد امرأة مؤمنة صائمة، مصلية، وزوجها سكير خمير، مالذي يطيب قلبها، لك بالسيدة آسيا أسوة حسنة، أيام واحد صالح عنده زوجة سيئة، له قدوة سيدنا نوح، واحد أبوه كافر، سيدنا إبراهيم، واحد مثلاً كان غني مؤمن، سيدنا ابن عوف، واحد فقير سيدنا رسول الله كان فقير، العبرة أن تكون مع الله في طاعته فقط، والباقي كلها أشياء ليست من جوهر الحياة.

﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾.

[سورة التحريم].

هذه السورة أيها الإخوة، سورة التحريم فيها حقائق، والإنسان لما كل آية يفهمها على حقيقتها تتراكم المعلومات عنده، تتراكم القناعات، وكل ما تراكمت قناعاته تجده وهو لا يشعر سلك الطريق الصحيح.

الله يلهمنا الصواب.

والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا أرضنا وارضَ عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الدرس (48-49) : وعد الله للمؤمن وما ينتظره من عطاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴾.

[سورة نوح].

غفار صيغة مبلغة، ومعنى صيغ المبالغة إذا نسبت إلى الله عز وجل تحتمل معنيين اثنين، الأول: أنه مهما كان الذنب كبيراً يغفره الله، والمعنى الثاني: أنه مهما كانت الذنوب كثيرة يغفرها الله، يعني كماً ونوعاً، ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴾:

﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً ﴾.

[سورة نوح].

إذاً مطر السماء، والإنجاب، الأولاد والبنون، ومطر السماء، والرزق الوفير، من نتائج الاستغفار، لذلك العلماء جمعوا الآيات المتعلقة بزيادة الرزق، هذه الآية الاستغفار يزيد الرزق، والاستقامة:

﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً ﴾.

[سورة الجن].

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾.

[سورة الأعراف الآية: 96].

الاستغفار، والاستقامة، صلة الرحم تزيد في الرزق وفي الأجل، إتقان العمل، الغنى الصدقة، هذه كلها فيها آيات وفيها أحاديث، فمن أراد أن يزداد رزقه فعليه بتطبيق هذه الآيات وتلك الأحاديث، أي تعاون بين الإنسان والجن هدفه إضلال البشر، وهو محرم، وهو كفر، من سحر فقد كفر.

﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً ﴾.

[سورة الجن].

أي تعاون بين الإنس والجن في سبيل إضلال البشر والذي يتعاون مع الجن يزداد رهقاً وشقاءً، والآية واضحة، بالقرآن الكريم:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ ﴾.

[سورة آل عمران].

هناك:

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾.

[سورة المدثر].

فالتفكر شيء، والتفكير شيء آخر، التفكر هدفه معرفة الله عز وجل، أما التفكير ربما أوصلك الفكر إلى الحقيقة أو إلى الباطل.

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾.

[سورة المدثر].

معناها العقل يشبه العين تماماً، ما لم يكن هناك ضوء يكون وسيط بينك وبين الشيء فإنك لا تراه، وما لم يكن هناك هداً من الله عز وجل يكون وسيطاً بينك وبين الحقيقة فلن تراها لذلك:

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾.

[سورة الحج].

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾.

[سورة المدثر].

أنت أسير عملك، الآن الإنسان إذا كان مستقيم طليق، ينام متى يشاء، يذهب إلى حيث يشاء، يفعل ما يشاء، يسافر، يقيم، أما إذا كان مرتكب جريمة فقد حريته، وأصبح أسير عمله طبعاً هذا في الدنيا في القوانين، أما عند الله عز وجل الذي أكل مالاً حراماً، المرابي، الزاني شارب الخمر، المعتدي، الذي أضل الناس، هذا الإنسان كان حراً أصبح أسير عمله السيء، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾:

﴿ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾.

[سورة المدثر].

معنى ذلك أن الدين كله صلاة، يعني ما كنا أصحاب دين ﴿ لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ معنا الصلاة هي عماد الدين كما قال عليه الصلاة والسلام:

((الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين)).

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾.

[سورة طه].

ذكر.

﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾.

[سورة العلق].

((ليس للمرء من الصلاة إلا ما عقل منها)).

((الصلاة ميزان، فمن وفى استوفى)).

((الصلاة معراج المؤمن، لو يعلم المصلي من يناجي ما انفتل)).

((الصلاة نور، الصلاة طهور)).

هذه الصلاة في القرآن الكريم، إنها الدين كله، سيدة القربات، وغرة الطاعات ومعراج المؤمن إلى رب الأرض والسماوات.

أحياناً ربنا عز وجل، أنت تتوقع: ﴿ لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾، يعني ما كنا أصحاب دين، فربنا عز وجل ضغط الدين كله في الصلاة، أما الصلاة تحتاج إلى استقامة، والاستقامة تحتاج إلى معرفة بالله، فالمعرفة أساس، والسلوك أساس، ثم الاتصال نتيجة حتمية للمعرفة والسلوك.

﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾.

[سورة المدثر].

الواحد لا يكون مع الخط العريض، لا يكون مع الأغلبية الشاردة، مع الأغلبية التي تلهث وراء صرعات الأزياء، وراء المستجدات، وراء الأشياء الفارغة البهرج، كن مع الأقلية الواعية، كن مع الأقلية المستبصرة، كن مع الأقلية التي عرفت ربها، كن مع الأقلية التي عرفت منهج ربها وسارت عليه، هنا الآية:

﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾.

[سورة المدثر].

ودقق في كلمة نخوض، يخوض، يدلي برأيه بلا علم، بلا فهم، بلا تبصر، بلا دليل يجب أن يتكلم، يجب أن يدلي برأي غير صحيح، يجب أن يحارب الفكر الصحيح، موضوع إثبات موجودية، موضوع ترف فكري أحياناً، ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾، الإنسان أيام يخوض يرشم غيره، في مع الخوض شيء من عدم الذوق، في أحياناً حمق ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾:

﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾ .

[سورة المدثر].

لماذا سماه الله يقيناً، قال تعالى:

﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾.

[سورة الحجر].

الله عز وجل سمَّ الموت يقين لأنه متيقن وقوعه، ما في حدث أكثر واقعية من الموت ولأن الإنسان عند الموت يتيقن ما يقال له قبل الموت، أقوال الأنبياء، المرسلين، العلماء قرأ القرآن هذه كلها أقوال، أما عند الموت تصبح هذه الأقوال كلها عنده حقائق.

﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾.

[سورة القيامة].

صاحب النفس اللوامة أثنى الله عليه في هذه الآية.

((مَنْ سَرَّتْهُ حسنتُه، وسَاءَتْه سَيِّئَتُه: فذلكم المؤمنُ)).

[أخرجه الترمذي عبد الله بن عمر].

علامة المؤمن أنه إذا فعل شيء أخطأ، تكلم، أكل شيء غير صحيح، وقف موقف غير صحيح لا ينام الليل، هذه حقيقة أساسية، لذلك ورد في الحديث الصحيح:

((لَو لَم تُذنِبُوا لَذَهَبَ الله بكُمْ وَلَجَاءَ بقوم يُذْنِبُونَ)).

[أخرجه مسلم عن أبو هريرة].

ظاهر الحديث في مشكل، الإنسان إذا فعل ذنباً وقال ماذا فعلنا ما صار شيء، ميت معناها هذا منتهي، أما المؤمن إذا فعل ذنباً يقلق أشد القلق، يتألم أشد الألم، يرجو الله أن يغفر له يستغفر، يندم، يبكي، يتصدق، يكفر عن ذنبه، يفعل الصالحات، فإذا كان في شعور بالذنب معناها في حياة، وإذا ما في شعور بالذنب معناها في موت.

((لَو لَم تُذنِبُوا)).

أي لو لم تشعروا بذنوبكم، أموات إذاً وانتهت مهمتكم.

((لَو لَم تُذنِبُوا لَذَهَبَ الله بكُمْ وَلَجَاءَ بقوم يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ، فَيَغْفِرُ لهم)).

﴿ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾، متيقن وقوعه، وفي هذا اليوم تنتقل من الإيمان بالغيب إلى الإيمان الشهودي، أصبح الموت يقيناً.

وربنا عز وجل وصف أهل الدنيا وهم ينغمسون إلى قمة رؤوسهم في جمع المال وجمع الدرهم والدينار، واقتناص الفرص والشهوات:

﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴾.

[سورة المدثر].

ورد في الأثر القدسي:

((عبدي لي عليك فريضة ولك علي رزق، فإذا خلفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك، وعزتي وجلالي إن لم ترضَ بما قسمته لك فلأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالي، وكنت عندي مذموماً)).

﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ * بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفاً مُنَشَّرَةً﴾.

[سورة المدثر].

يريد دين تفصيلي، مو جاهز، يريد دين في صلاة، وصوم لكن فيه ربا، يقول ما في شيء الربا، الله نهى عن الأضعاف المضاعفة، يحتاج لدين في صلاة وصوم لكن في اختلاط مع النساء، يحتاج لدين في تساهل شديد، يريد الإنسان غير المؤمن دين يقلبه على مزاجه، الدين مقطوع به عقيدةً وسلوكاً، وأنت عليك أن تشكل نفسك وفقه، لا أن تشكله وفقك.

قال البنان؛ كبروا باهم وجدوا نقطة، يعني مئة صفة، إذا كان سبع صفات من مئة تشابهت في باهمين فالإنسان واحد، معناها شيء مستحيل، عرضوا مئة ألف باهم على باهم ما في باهم مثل الثاني، ومع ذلك:

﴿ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾.

[سورة القيامة].

في بعض المجرمين نزعوا جلد الباهم وزرعوا جلداً من مكان آخر بمكانه، حتى إذا كان ارتكبوا جريمة ما تكون للبصمات معنى، الذي حصل أن هذا الجلد المزروع من مكان آخر بعد حين أخذ شكل باهمهم الأصلي، هذا توقيع الباهم.

والإنسان في عنده أشياء ينفرد بها، لـلآن قزحيـة العين ليس هنـاك إنسـان علـى وجـه الأرض تشبه قزحيـة عينه قزحية عينك، لذلك الآن في أقفال إلكترونية تفتح توضح العينين على حلقتين صـغيرتين، فإذا التقط الجهاز ثلث القزحية فتح القفل، فالقزحية هوية، والبصـمة هويـة ونبرة الصـوت هويـة، وبـلازما الدم هويـة، ورائحة الجلد هوية.

ثم الزمر النسيجية نصف هوية، في اثنان ونصف مليار زمرة نسيجية، فأنت فرد وهذا من تكريم الله لك.

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾.

[سورة القيامة].

دققوا في هذا المشهد:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾.

[سورة القيامة].

المؤمن المستقيم، الذي عمله صالح تجد وجوه منير، وله نظرة إلى الله عز وجل يوم القيامة.

﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾.

[سورة القيامة].

أنت الآن بالدنيا انظر إلـى مجرم ألقي القبض عليـه تجد نظره بـالأرض، وجهـه جامد القلق بـادي عليـه، الخوف بادي.

﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾.

الروح:

﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾.

من يرقى له:

﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ * فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى * وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى * أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾.

[سورة القيامة].

الآن شقة جامعة فيها مكتبة، وفيها حديقة، وفيها بيوت طلبة، وفيها قاعات محاضرات، وفيها مخابر، لكن في امتحان، سمعت بحياتك جامعة بلا امتحان؟ بلا حساب، كل واحد داوم أخذ دكتوراه؟ أما في امتحان؟ ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾:

﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾.

[سورة القيامة].

لذلك الله عز وجل، لذلك هذه فيها سبق علمي الآية، ما إذا كان الجنين ذكراً أو أنثى هو من جهة الحوين المنوي فقط، ولا علاقة للبويضة في هذا الموضوع إطلاقاً.

أما الحقيقة أدركتها امرأة في الجاهلية قالت:

ما لي أبي حمزة لا يأتينا غضبان ألا نلد البنين

و إنما نعطي الذي يعطينا

* * *

يعني كون الجنين ذكر أو أنثى من الزوج، المرأة ما لها علاقة، هذا يطلق امرأته لأنها أنجبت أنثى أحمق، ما لها علاقة طلق حالك.

هذه نقطة دقيقة جداً، في إنسان حلف على زوجته الطلاق، لو أنجبت أنثى لطلقها فأنجبت زوج أنثيين، طبعاً الطلاق لم يقع.

آخر آية بسورة الإنسان:

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً ﴾.

[سورة الإنسان].

ممكن يكون قصر ألفين متر مساحته، ضمن غابة مساحتها 25 دنم، ممكن، لكن هذا بيت، هذا ملك عظيم، طبعاً أثرياء العالم لهم قصور، ولهم يخوت في البحار، ولهم طائرات خاصة، لهم قصور ضمن غابات، ضمن غابات كبيرة، قال لك: امشِ ثلاث أرباع الساعة بالغابة كلها محاطة بالقصور والقصر بالداخل.

أنا دخلت لقصر في بعض البلاد غرفة النوم مساحة خمسة بيوت عنا، غرفة نوم واحدة، على مساحتها سجادة بالميلي متر، شيء لا يعقل، هذا في الدنيا فكيف الآخرة؟ قال: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾.

﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً * إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً ﴾.

[سورة الإنسان].

الآن ربنا عز وجل لا يطمعنا في الدنيا لكن المؤمن ينتظر عطاء كبير، الآن الأوراق مختلطة كلنا يأكل ويشرب، مثل بعض، آكلين، لابسين، شاربين، نائمين، والبيوت متشابهة، غرف ضيوف، وغرفة نوم، مركبة صغيرة، لابس بذلة، قميص، بنطلون ، شرب عرق سوس على الإفطار، مثل بعض كلنا، أما التفاوت بالآخرة، ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً ﴾، ذاك التفاوت، لذلك:

لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾.

[سورة الصافات].

﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾.

[سورة المطففين].

﴿ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾.

[سورة يونس الآية: 598].

الغنى والفقر بعد العرض على الله، هذه لها أثر كبير، ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً ﴾، المؤمن ينتظره نعيم وملك كبير، بسبب أنه ضبط نفسه في الدنيا، ﴿ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً﴾.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآَنَ تَنْزِيلاً * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آَثِماً أَوْ كَفُوراً * وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً * إِنَّ هَؤُلَاءِ ﴾.

[سورة الإنسان].

كلمة هؤلاء فيها شيء من التحجيم.

﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً ﴾.

[سورة الإنسان].

إخوانا الكرام، من حاسب نفسه في الدنيا حساباً عسيراً، كان حسابه يوم القيامة يسيرا ومن حساب نفسه في الدنيا حساباً يسرا كان حسابه يوم القيامة عسيرا، ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً ﴾:

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً ﴾.

[سورة الإنسان].

الآن عظم الفخذ عظم عنق الفخذ يتحمل مئتان وخمسين كيلو العظميين خمسة مئة كيلو، أصله ماء مهين، شيء غريب! السن بعد الألماس في القساوة، من أين جاءت هذه القساوة؟ وتر العضلات متين جداً، أيام بالسكين لا يقطع معك، وتر العضلات، لأنه في موضوع التحريك بالأوتار يتم، عضلة منتهية بوتر مربوط بنهاية العظم، ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴾، تحمل ابنك من يده لا تملص، معناها مدروسة، الأربطة تتناسب مع وزن الطفل لو ما في دراسة صحيحة تملص من حملة واحدة.

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً ﴾:

﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ﴾.

[سورة الإنسان الآية: 29].

معناها الفطرة مؤمنة، بالقرآن تذكرة، يذكر بالفطرة.

﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً ﴾.

[سورة الإنسان].

أنت مخير، لكن:

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾.

[سورة الإنسان الآية: 30].

لولا أن الله شاء لكم أن تشاءوا لما شئتم، مشيئتكم من فضل الله عز وجل، إن دخلتم الجنة بمشيئتكم الحرة فلأن الله شاء لكم أن تشاءوا.

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً * يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾.

[سورة الإنسان].

اللهم أدخلنا في رحمتك، يقول: يا أخي! الله ما كتب لي الهدى، هكذا الآية، نقول له كمل الآية:

﴿ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾.

[سورة الإنسان].

من الذي لم يدخله في رحمته؟ الظالم، معناها مشيئته مضبوطة بقواعد، ﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾، معناها الذي لم يدخل في رحمة الله فهو الظالم، أما المنصف في رحمة الله.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا أرضنا وارضَ عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الدرس (49-49) : لمحات حول أواخر رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام، ونحن على مشارف ختم القرآن الكريم بفضل الله تعالى وتوفيقه أود أن أضع بين أيديكم هذه الحقائق.

الحقيقة الأولى: أن هذا القرآن الكريم يقرأ قراءة تعبد والإنسان حينما يتلو هذا الكتاب الكريم تلاوة تعبد يسعد ويشعر بالطمأنينة، لأنه يتلو كتاب الله، فلو فإذا شئت أن تحدث الله فادعوه، وإذا شئت أن يحدثك الله فاقرأ القرآن، فإنه كلام الله.

لكن هذه القراءة قراءة التعبد لا تغني عن قراءة التدبر، وفرق كبير بين القراءتين قراءة التدبر أن تقف عند الأمر والنهي، وعند الحلال والحرام، وعند البشارة، وعند الإنذار، وعند الوعد والوعيد، وتقف عند الآية الكونية والتكوينية، وتقف عند غيب الماضي، وغيب الحاضر وغيب المستقبل، وأن تقف عند الماضي السحيق، والمستقبل البعيد، وأن تقف عند مشاهد يوم القيامة وما هم أهل الجنة من نعيم، وما هم عليه أهل النار من جحيم، إذا استطعت أن تضع يدك على هذه الموضوعات الكبرى فهذه قراءة التدبر، أما حينما تستطيع أن تكتشف القوانين التي وردت في كتاب الله، وما أكثرها، لكن حينما تأتي في درج الكلام، حينما تأتي في درج القراءة قد لا تنتبه إليها، مثلاً:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾.

[سورة الطلاق].

متى نقول أين المخرج؟ الإنسان متى يبحث عن مخرج؟ حينما شعر أن الأبواب كلها مغلقة، أما لو فرضنا أنت في مكان وفي الأبواب كلها مفتحة هل تقول أين المخرج، لا، معناها إذا ضاقت الأمور، واستحكمت الحلقات، وأُغلقت أبواب الأرض، إذا اتقيت الله عز وجل، ونفذت أمره، ولزمت شرعه، يجعل الله لك مخرجاً مما أنت فيه، هذا قانون.

أيام تجد اثنين متخاصمين في محكمة واحد مطمئن، من أين هذه الطمأنينة؟ يقول: المادة الفلانية لصالحي، إنسان كتب مادة، وفي احتمال كبير أن القاضي لا ينصف، إما لجهل، أو لمصلحة، وفي إمكان أن يكون في مادة اجتهاد آخر في محكمة النقد يبطل هذه المادة، ومع ذلك ترى هذا الخصم مطمئن أشد الطمأنينة لأنه في مادة لصالحه.

أنت إذا قرأت القرآن ووضعت يدك على قوانينه قانوناً قانوناً، وبعض هذه القوانين تنطبق عليك انطباقاً إيجابياً، وبعضها ينطبق عليك انطباق سلبي، الذي ينطبق عليك انطباق إيجابي:

﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾.

[سورة النحل الآية: 97].

أنت آمنت بالله، آمنت بوجوده، ووحدانيته، وكماله، وآمنت بأسمائه الحسنى، وآمنت بالجنة والنار، والخير والشر، واستقمت على أمره، في آية بالقرآن الكريم لصالحك، تجد المؤمن الصادق مطمئن، قال لك: ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾:

﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾.

[سورة النحل الآية: 97].

وفي انطباق سلبي:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾.

[سورة طه].

هذه كلمة من صيغة شرطية، والصيغة الشرطية تعني أن هناك حدثين لا يقع الثاني إلا إذا وقع الأول هذا الشرط أدواته معروفة، في أسماء وفي حروف، من، وإذ حروف والباقي أسماء، من يجتهد ينجح.

﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾.

[سورة البقرة الآية: 197].

إن شرطية، وما شرطية، ومن شرطية، ومتى، وحيثما، وأيانا، وكيفما، فحيثما ما وردت في كتاب الله آية صيغة صياغة شرطية أي صيغت صياغة قانون، من يفعل كذا يلقى كذا.

﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

[سورة يونس].

هذا قانون.

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾.

[سورة يوسف].

أية خيانة على وجه الأرض منذ أن خلق الله الدنيا إلى يوم القيامة لابد من أن يفضحها الله عز وجل، إذا فهمت ماذا تقرأ لا تفعل من وراء شريك عملية، لا تستطيع الله يفضح لأنه، ليس الإنسان الذي يفضح، لا، الإنسان ما عنده إمكان يفضح، لكن الله عز وجل يخلق مشكلة ينسيك شغلة يظهر الكذب والخيانة، تنسى ورقة تتكلم على التلفون تبين نواياك، يفضح الإنسان.

فحبذا بعد أن سمعنا كلام الله عز وجل في هذا الشهر الكريم يتلى علينا في الصلوات سمعناه، وتأثرنا به، ووقفنا عند بعض آياته، حبذا أن لو كل أخ كريم يقرأ القرآن قراءة تدبر، غير قراءة التعبد، يجوز أن تقرأ في اليوم عشر صفحات قراءة تعبداً، جزء، نصف جزء، ربع جزء هذا تعبد، أما آية واحدة، في أعرابي كفته آية واحدة:

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ﴾.

[سورة الزلزلة].

قال: كُفيت، فقال النبي: فقه الرجل.

يعني أنت عبد ضعيف إذا في آية قرآنية هي كلام الله عز وجل تنطبق عليك القوانين:

﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾.

[سورة طه].

إلـه يقول لـك: امشِ علـى منهجـي لا يضـل عقلـك، ولا تشـقى نفسـك، والله فـي كـم أخ حكـوا لنـا فـي هـذا الشهر الفضيل كريم، أخ آخر من البرازيل جاء هناك يعبدون الجرذان، هل تصدقون هذا الكلام؟ رآهم بعينـه، يضـعوا طبـق مـن الحليـب فتـأتي هـذه الجـرذان وتشـرب هـذا الحليـب وكلهـم جالسـين يقدسـوها ويسبحوها، هذا الإنسان إذا ما عرف الله عز وجل، في مكان آخر يعبدون الموج، يضعون الفواكه، والحلويات، أثمن شيء عندهم، على شاطئ البحر ويلقونه وسط البحر ويصلون لهذه الموج، هذه عبادة ثانية، في بلاد شرق آسيا يعبدون ذكر الرجل، إذا الإنسان الله عز وجل نور له قلبه، عرف خالقه، هو الإنسـان الله جعلـه سـيد المخلوقـات، هـو بجهلـه جعـل نفسـه عبـد لبقـرة، بقـرة، يوضـع روثهـا فـي غـرف الضيوف، والعطر بولها، هذا أغلى شيء لا يقدر بثمن إذا واحد صح له مسحة يأخذها ويضعها على جبينه، إله لأنه، انظر إلى سخافة الشعوب.

إذا الإنسان الله عز وجل أكرمه، قرأ القرآن قراءة تدبر، اقرأ آية بجمعة، كانوا الصحابة في قيام الليل يقرأ آية واحدة طوال الليل لا يسبع منها، آية واحدة.

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾.

[سورة النساء].

شـيء يخـوف، ينظـر إلـى كـل نوايـاك، كـل مشـاعرك، كـل طموحاتـك، مـاذا تفكـر، كـل شـيء تفكـر فيـه مكشوف عند الله عز وجل.

أحياناً بالمطارات واحد يضع محفظة، في رادار، جالس موظف كل محتوياتها ومسكرة، وقفل، وسحابات، تظهر مثل ما هي، ترى الطرف الثاني على الشاشة كل الحاجات مكشوفة فيها، إذا كان الإنسان وصل إلى هذه الدرجة، تجد شنتا وزنتها ومشي، هم يرونها من عندهم، وأنت لم تشعر، إذا كان إنسان كشف محتويات محفظة ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ ناظر قلبك، قال: لا تجعل الله أهون الناظرين إليك، في إنسان يغش الحليب أمام الزبون، وقف يا بني ماء، سمعتوا واحد بالأرض رآها؟ الناس يغشون لكن ليس أمام الزبائن، يكون في عنده غرفة داخلية، لأنه غير معقولة أن يغش الحليب أمام الزبون، يستحي منه ويخجل، قال: لا تجعل الله أهون الناظرين إليك، الله يراك ومطلع عليك، ليش طلقت، ليش تزوجت، ليش تكلمت، ليش طوبت ليش زرت فلان، ليس ابتسمت، ليش ما ابتسمت، ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾.

فالقرآن يقرأ يقرأ بتدبر، مثل إذا الإنسان عنده عطلة نصفية، طالب قال لك هذا الكتاب أريد أن أقرأه بهذه العطلة، أريد أن ألخصه في هذه العطلة، هذا البحث أريد أن أبيضه في هذه العطلة، جاءت العطلة، يا ترى كانت العطلة مثل ما خطط لها؟ لما راح نصفها سيرايين، راح نصفها سهرات، فإذا كان الإنسان الذي خطط له ما حققه، يبرك بأرضه؟ أما يستأنف الدراسة بعد العطلة؟ يستأنفها بنظام جديد، الله جعل رمضان شهر عبادة، شهر مكثف جداً، لو الإنسان ما وصل لطموحه، يشمر بواحد شوال ويعمل نظام جديد، يعمل لنفسه جلسة صباحية كل يوم كيف أنه فعلها هنا بالجامع، والله شيء جميل جداً الإنسان يصلي الفجر في جماعة ويسمع كلمتين عن الله عز وجل ويذكر لله عشر دقائق، يعني خمس مسابح عشر مسابح وكل مسبحة مئة حبة، قليل من التفكر بجسمه، بالكون، بطعامه، بشربه، قليل من التلاوة، قليل من الدعاء، خرج بعد الشمس بنصف ساعة منتشي، في زخم روحي، تجده في النهار عنده مقاومة، لا تلفت نظره امرأة مع أنه مثله مثل غيره كأنه بحصن.

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾.

[سورة المزمل].

فنحن نتمنى على إخواننا يبدؤوا بختمة بعد رمضان ختمة تدبر، الآية يقف عندها:

﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾.

[سورة ص الآية: 24].

يعني الذي يبغي على شريكه ليس مؤمناً، تقف، تعطي الذي له، وتأخذ الذي لك إذا كنت مؤمن، أريد القوانين قوانين القرآن الكريم.

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾.

[سورة الأحزاب الآية: 36].

قانون هذا، لما تأتي بموضوع بت به القرآن تضعه على مائدة البحث والدرس معقولة، غير معقولة، تصح، لا تصح، ما لك مؤمن، ما لك عرفان كلام من هذا، هذا كلام خالق الكون، إذا ما فهمت الأمر طبقه وانظر.

الآن إذا واحد اشترى مكيف ثمنه ستين ألف، وأعطوه ريموند كنترول يشغله من بعيد معقول تشغله من بعيد؟ غير معقول، معقول، غير معقول، أنت شغله وشوف، لا تفكر كثير اكبس الزر يعمل، أنت تنتفع بكل ميزاته لو ما فهمت دقائق صنعه.

لذلك قالوا: الانتفاع بالشيء ليس أحد فروع العلم به، لا يأتي إنسان أيام بدول النفط يركب أحدث سيارة يسوقها حافي؟ ممكن، ألم يأخذ كل ميزاتها وهو حافي يسوقها؟ ممكن الانتفاع بالشيء.

لما أنت تغض بصرك عن محارم الله، غض وانظر كيف الله عز وجل يبدل لك حياتك الزوجية، كيف؟ والله لا أعرف كيف تتبدل، كيف كنت تكرها وأصبحت تحبها لا أعرف كيف كنت لا تستطيع أن تراها، أصبحت أفضل إنسانة عندك، لأنك أنت طبقت منهج الله عز وجل، هذه بواحدة، بكسب المال، بالصدق، لا تكذب أبداً، ولا بالتوافه، بابا قل له أنا لست هنا لماذا أنت لست هنا؟ لا أكذب يا بني أنا، هنا، لكنه مشغول يدرس، كلفناك بعمل، نسيت، والله وجدته مغلق، لا، قل نسيت، ولو كانت قضية تافهة تحقر نفسك بها، والله نسيت ما تمكنت، ما جاء ببالي، بدك ما تؤاخذني، وانتهى، انزعجت أمامه، لكن أمام نفسك كبرت، لذلك النبي قال:

((وإياك وما يعتذر منه)).

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عمر].

لا تعتذر من أحد، لكن تفعل سوء وما تعتذر، لا، ليس هكذا المعنى، لا تعمل عمل تضطر أن تعتذر منه، خليك واضح.

فلذلك نحن إذا كان انتهى رمضان واسمعنا القرآن الكريم وهذا من فضل الله علينا وفضل أخوانا أبو محمد الله يجزيه الخير، بدنا نقرأه بعد العيد قراءة تدبر، الله ماذا قال؟ قال:

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ ﴾.

[سورة إبراهيم الآية: 27].

ما الذي يثبت على الدين؟ أنه في مادة بالقرآن لمصلحتك، الله وعدك بالفوز، وعدك بالسعادة، وعدك بالجنة، وعدك بالتوفيق، وعدك بالحفظ، وعدك بالنصر، وعدك بالتأييد، وأنت ماشي على منهجه، ما من سعادة أبلغ من أن تشعر أن الذي خلق الكون معك، من يكون ضدك؟.

إذا كان شقفة جندي غر كان أبوه قائد الجيش، قد ما وجد رتب تخوف لا يتحرك فيه شعرة، لماذا؟ لأنهم كلهم بإمرة أبوه، مثل بسيط، قد ما شاف رتب، قد ما شاف نجوم ونياشين والدي يأمرهم كلهم، كلهم خاضعين له، وأبي يحبني، هذا بسيط يعني.

هكذا شعور المؤمن لا نضام في عزك يا رب، لا نذل في عزك، لا نضام في سلطانك، لا نفتقر في غناك، لا نضل في هداك، كيف نضل في هداك؟ ونفتقر في غناك، ونذل في عزك، ونضام في سلطانك، مستحيل.

((سبحانك إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت)).

إذا كان الإنسان في رمضان كما يتمنى أن يكون كل السنة رمضان، من قال لك أن رمضان فقط هو شهر العبادة؟ إذا برمضان ما كنت كما تتمنى أقل، اعمل رمضان موسع، 11 شهر رمضان، اعمل كل يوم جلسة صباحية، الذي فعلته في رمضان تذقه كل العام، بالغ في غض البصر، بالغ في تحري الحلال.

((أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة)).

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عباس].

بالغ في تحري الحلال، بالغ في ضبط اللسان، بالغ في ضبط الجوارح، والله عز وجل موجود، وتعود الآيات القرآنية لصالح، الآية الفلانية لصالحي، هذه لصالحي، الله عز وجل لا يتخلى عنك.

﴿ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾.

[سورة محمد].

ما شعرت مرة أنه متهم وأنت بريء، جاء إنسان من دون ما يعرفك ودافع عنك دفاع الأبطال، وقاتل من أجلك، هذا دفاع الله عنك.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾.

[سورة الحج الآية: 38].

تجد شخص لا يعرفك، كيف تحمس ودافع عنك، وجاء بالوقائع وأسكت الحاضرين وغائب أنت، تجد الآيات كلها مطبقة، هو أسعد شيء بالإنسان لما يجد الأحداث تجري وفقك كلام الله، يطمئن، معناها كلام خالق الكون هذا، الأمور مشت وفق كلام لله عز وجل، تصدقت، الله عوضت عليك، أقرضت بفائدة الله دمر المال، معناها هكذا تأويل الآيات، هذا التأويل بالضبط.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا أرضنا وارضَ عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصبحه وسلم .

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الفصل الثاني : تأملات قرآنية

الدرس (01 - 59) : البعوضة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها الأخوة الكرام :حينما قال الله عزّ وجل في سورة البقرة:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (26) ﴾

الحقيقة هذه الآية وهناك آيات كثيرة جداً على منوالها . أي أن الله عزّ وجل يقول :

هذه البعوضة مَثَلٌ يستفيد منه المؤمنون ولا يعبأ به الكافرون . المثل واحد فيا ترى نحن نفكر في البعوضة لنؤمن أم نؤمن فنستفيد منها أيهما أول ؟ النقطة الدقيقة ! إن الكون مفعم بالآيات !

تعلمون أن هذه البعوضة إذا وقفت على جسم الإنسان والإنسان انزعج من وجودها ، الكهرباء التي في أعصابه تشعرها أن هناك زلزالاً فتهرب قبل أن تستطيع أن تقتلها ، الكهرباء التي في أعصاب الإنسان حينما ينزعج من البعوضة تسبب فيها سيالة عصبية كهربائية والتي تشعرها أن هناك زلزالاً خطيراً ، لذلك بإمكانك أن تقتل بعوضة على جسم أخيك بسهولة فائقة وليس بإمكانك أن تقتل بعوضة على جسمك .

الشيء الأخر أن هذه البعوضة لها جناحان يرفان 6000 رفة في الثانية، ولها جهاز كما قلت سابقاً جهاز رادار تتجه إلى الطفل مباشرة لا إلى أثاث الغرفة ، وجهاز تحليل : تفحص دم الذي تقف عليه فقد يكون دمه لا ينفعها ، وكذلك جهاز تخدير بحيث أن الإنسان لا يشعر بلسعتها إلى بعد حين ، وجهاز تمييع لأن لزوجة الدم لا تسري في خرطومها ، جهاز رادار وجهاز تحليل وجهاز تخدير وجهاز تمييع .

ولها قلب مركزي وقلبان جانبيان لكل جناح قلب ، ويرف جناحاها 6000 رفة في الثانية ولها محاجم ولها مخالب وهذه البعوضة كما قلت إن وقعت على جسم إنسان وشعر أن على جسمه بعوضة تحدث كهرباء في أعصابه هذه الكهرباء تشعرها بالخطر فتنطلق قبل أن تقتلها وهي بعوضة .– لو أن الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء .– بعض هذا الكلام تعرفونه سابقاً ولكن الشيء الذي أحب أن أقف عنده :

إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أن هذا المثل حق من ربهم ، يا ترى نفكر في البعوضة حتى نؤمن أم نؤمن فنعظم خالق البعوضة ؟

الآية نؤمن أولاً ، الآن في القرآن الكريم وبالسنة المطهرة استعمالات للكلمة بأسبابها .

ورد في كلام العرب أن بعضهم يقول رعينا الغيث ، الغيث لا يُرعى ، الماء لا يُرعى لكن رعينا كلأً سببه الغيث فسمينا الشيء بمسببات وقد نسمي الشيء بنسائبه وقد نسمي الشيء ببديله.

هذه من أساليب اللغة العربية هنا معنى الذين آمنوا الذي أراد أن يؤمن، فلما قال النبي عليه الصلاة والصيام:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ))

والمعنى الدقيق الدقيق لكلمة **لو لم تذنبوا** في هذا الحديث ؟ :

ليس معنى هذه الكلمة أن تقع في الذنب ولكن معنى الكلمة أن لا تشعر بالذنب ، هناك استعمالات كثيرة في اللغة العربية إما بأسبابها أو بنتائجها أو ببدائلها أو بملابساتها ، إنسان أذنب فلم يشعر به فهو ميت القلب فذهب الله به ، إنسان أذنب فشعر كأن ذنبه كالجبل جاثم على قلبه . لو لم تذنبوا أي لو لم تشعروا بذنوبكم لذهب الله بكم وأتى بقوم يذنبون أي إذا أذنبوا أحسوا بذنوبهم .

هنا موطن الشاهد : **إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم** .

هنا معنى **الذين آمنوا** : الذين أرادوا أن يؤمنوا ، الذين اتخذوا قراراً أن يؤمنوا ، الذين بحثوا عن الحقيقة ، الذين بحثوا عن الحق، الذين أرادوا الدار الآخرة ، الذين أرادوا أن يكونوا مخلوقات كما أراد الله أن تكون . هؤلاء إذا فكروا بهذه البعوضة يؤمنوا . هذا قانون :.. أي.. إن لم ترد الإيمان ، لو صعدت إلى السماء ، لو نزل كتاب من السماء ، لو قام إنسان من قبره فأخبرك ...لا تؤمن. والذي يؤكد هذا الأنبياء السابقين جاءوا بمعجزات حسية ومع ذلك قومهم لم يؤمنوا . تفسير دقيق إن لم ترد الإيمان لا تؤمن .

لو رأيت المعجزات الخالدات ، لو رأيت كل ما خلقه الله من عظمة، والذي أراد الحقيقة أي شيء يدله على الله ، قال : **فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا** .

مثلاً. أحياناً تقول كلمة ، تشرح آية ، تشرح حقيقة ، تجد شخص انهمرت عيناه بالدموع خشوعاً وإجلالاً وتعظيماً. وإنسان إلى جانبه، ولسان حاله يقول : "مالها طعمة هي " أو " ما فهمنا شو هاد " إنسان تهز أعماقه ، وإنسان لا يعبأ بها. ما لفرق بين الرجلين ؟

الأول أراد الحقيقة فبحث عنها فوجدها ، والثاني ما أرادها فلما عُرضت عليه رفضها .

فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً .

شيء واحد ... يعني .. مثل آخر : **ولو نزلناه على بعض الأعجميين** لو أن القرآن نزل على الأعاجم فقرأ عليهم على أمتك أو على قومك، يا محمد ، طبعاً لو قرأ عليهم بلغة أعجمية .

أنت الآن اذهب إلى بلاد فارس أو إلى أي بلاد لا تعرف لغتها إطلاقاً واستمع إلى مناقشة ساعة . أنا أقسم بالله أنك لا تفهم ولا كلمة ولا حرف قال فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين . دقق الآن :

﴿ **كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (200)** ﴾

(الشعراء آية 200)

إذا الإنسان مجرم ومنحرف ولم ينهي الحقيقة ولو قرأ القرآن بلسان عربي مبين قرآناً معجزاً عظيماً كلام الله عزّ وجل لا يؤمن ، كذلك أيضاً: ***وهو عليهم عمىً*** ، **و لا يزيد الظالمين إلا خساراً** ، إذن المثل الذي يوضح: أنت كإنسان كآلة بصيرة عالية المستوى وغالية كثيراً ، فيها ميزات رائعة ، فيها خصائص مذهلة، إن أردت الحقيقة ، هناك فيلم في الألة كل شيء ينطبع عليه ، وإن لم ترد الحقيقة هذه الآلة الغالية بلا فيلم ، مهما إلتقطت من مناظر لا ينطبع عليها شيء.

محور اللقاء اليوم :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (26) ﴾

أما هذا التعقيب **ما يضل به إلا الفاسقين** ، الإنسان حينما يفسق لا يفهم ، حينما يفسق يضل ، يؤكد هذا المعنى :

﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (33) ﴾

(سورة يونس 33)

لذلك ملخص الآية : إن أردت الحقيقة ، إن بحثت عنها ، إن أردت أن تصل إلى الله ، كل شيء في الكون يدلك عليه ، وإن أعرضت عن الله ولم ترد الحقيقة أردت الدنيا إن التقيت بأنبياء ، لو رأيت المعجزات ، لو نزل كتاب من السماء ، لو شُقَّت الأرض فخرج ميت أنبأك بما رأى ، لا تؤمن .

هذه نقطة ... والنقطة الثانية .. :

لا أحب أن أطيل عليكم أن بني إسرائيل لما طلبوا من سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام أن يسأل ربه عن البقرة :

الآن ... الله عزّ وجل أمر ونهى ... وأحل وحرم ... في شيء ثالث : أمر ونهى وترك أشياء لم يأمر بها ولم ينهى عنها . حلل وحرم وترك أشياء لم يحلها ولم يحرمها . هذه نقول سكت الله عنها .

لو دققت في الذي سكت الله عنه لرأيت حكمة الله لا تعدلها حكمة، إن حكمة الله في الذي سكت عنه لا تقل عن حكمة الله في الذي أمر به أو الذي نهى عنه .

أيها الأخوة الأكارم .... لو تأدبنا مع الله عزّ وجل فالذي أمرنا به نأتمر به والذي نهانا عنه ننتهي عنه ، أما إذا سألنا عن أشياء سكت عنها الشرع ضيقنا على أنفسنا . إن الله أمركم بأشياء ونهاكم عن أشياء وسكت عن أشياء فلا تسألوا عنها رحمة بكم . الدين يسر ...

سيدنا عمر مر مع أصحابه على مجمع من ماء– غدير –. فقال أحد أصحابه لصاحب الغدير: يا صاحب الغدير أترده السباع ؟.. قال عمر رضي الله عنه : يا صاحب الغدير لا تخبرنا .

الأصل في الأشياء الإباحة ، والأشياء لا تحرم إلا بنص ، والأصل في العبادات النص ولا تفعل إلا بنص ،إذاً هنالك فرق : الأشياء غير العبادات لا تحرم إلا بنص ، أما العبادات لا تثبت إلا بالنص ، فقاعدة العبادات اطلب الدليل الذي أثبتها والأشياء الأخرى التي أحلها الله لنا اطلب الدليل التي حرمها الله علينا .

فالأصل في الأشياء الإباحة ، والأصل في العبادة الحظر . العبادة لا تثبت إلا بالنص ، والأشياء لا تحرم إلا بالنص ، واحدة لا تثبت والثانية لا تحرم. فأنت إن رأيت إنسان يفعل ما لم يفعله النبي عليه الصلاة والسلام طالبه بالنص ، وإن رأيت إنسان يحرم على نفسه شيئاً لم يرد فيه تحريم قل له أين النص الذي يحرم هذا . الأصل في الأشياء الإباحة .

يعني ... يقول لك واحد كنزة مصنوعة ببريطانيا لا تلبسها .. . كل ما سألت وضيقت يأتي التحريم . الذي أمر الله به تأتمر به والذي نهى الله عنه تنتهي عنه . والذي سكت عنه اسكت عنه رحمة بك .

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ
(67) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا
تُؤْمَرُونَ (68) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ
(69) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ
إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا
كَادُوا يَفْعَلُونَ (71) ﴾

قال علماء التفسير : كان يجزئهم أن يذبحوا أية بقرة ، وهذه التي أمروا بها دفعوا ثمنها أضعافاً مضاعفة وبحثوا عنها طويلاً وبذلوا جهداً كبيراً .

فالإنسان .. إن هذا الدين يسر ... ولن يشادَّ أحدٌ هذا الدين إلا غلبه

والحمد لله رب العالمين .

الدرس (02 – 59) : القوانين الإلهية

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام :

في العلم شيء اسمه القانون والقانون علامة ثابتة بين متغيرين، علاقة ثابتة مطردة، مستمرة . وأهم شئ في القانون أنه يعيننا على التنبوء ،أي أنك إذا عرفت أن المعادن كلها في أي مكان وفي أي زمان تتمدد بالحرارة، فأي بناء فيه حديد يجب أن تدع فواصل للتمدد ، أينما ذهبت في أوروبا وفي أمريكا وفي أسيا وفي استراليا في دولة متخلفة ودولة متقدمة ودولة قديمة ودولة حديثة ،إذا أنشأنا جسراً لابد من فاصل التمدد لكى لا ينهار الجسر في الصيف، إذا أنشأنا سكة حديد لابد من فاصل التمدد . المعادن تتمدد بالحرارة هذا قانون. يعني علاقة ثابتة مطردة . في أي مكان وفي أي زمان .

الماء إذا تجمد أزداد حجمه ، لو أن الماء في محرك السيارة وجاءت موجة صقيع وتجمد الماء انفطر المحرك وتشقق ،فلابد من مادة مضادة للتجمد .

وفي هذه المناسبة الإنسان إذا عاش في بلاد تقل حرارتها عن الصفر مثلا 70 تحت الصفر كل شيء تستطيع أن تغطيه إلا عينيك لا تستطيع أن تغطي عينيك . إذاً ربنا ﷻ جعل في ماء العين مادة مضادة للتجمد. فلو عشت في بلد تقل حرارته عن 70 تحت الصفر ماء العين لا يتجمد .

فأردت من هذه المقدمة أن القانون يعين على التنبوء . نحن في أول رمضان في كتاب الله عزّ وجل وهو كلام الله ، وكلام الله عزّ وجل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، الكتاب الذي هو من عند الله من عند خالق الكون لو أردنا أن نقف في هذا الكتاب عند الآيات التي تفيد السنن الثابتة (القوانين) لو أمضينا هذا الشهر كله في الفجر وبعد صلاة التراويح في الآيات ذات الطابع المستمر كقانون ، إن فهمنا هذه الآيات تعاملنا مع الله عزّ وجل بشكل علمي.

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173) ﴾

(سورة الصافات الأيات 171..173)

لو فهمنا هذه الكلمة: ***جندنا*** بالمعنى الواسع يعني إذا كنُت أنت من أجل الحق ، إذا كنت جندياً للحق، لا يمكن أن تُغلب ،وزوال الكون أهون على الله من أن تغلب إذا كنت جندي للحق . هذا كلام الله ، مصداقية كلام الله لا تعلوها مصداقية. حينما لا يفلح ينبغي أن يبحث عن السبب أو عن الخلل الذي أصاب جنديته لله عزّ وجل ، إن كان عملك خدمة للحق لابد من أن تفلح.

بل إن بعض العلماء يقول وهذا قول خطير من دعا إلى الله عزّ وجل ولم ينجح وعزى هذا إلى الله عزّ وجل فهو يكذب قوله تعالى:

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

(سورة غافر 51)

يقول الله عزّ وجل **وإن جندنا لهم الغالبون** في أي مكان وفي أي زمان وفي أي عصر وفي أي نصر ، قانون مضطرد . طيب النبي عليه الصلاة والسلام سيد الخلق وحبيب الحق ومعه أصحابه الكرام الذين افتدوه بأرواحهم وهم يواجهون الكفار والمشركين في أحد لم ينتصر، لماذا لم ينتصر ؟ لأن بعض أصحابه الذين جعلهم في موقع معين خالفوا أمره ونزلوا إلى أرض المعركة ليأخذوا بعض الغنائم ،فلو أن الله نصرهم مع هذه المعصية لما كانت لطاعة رسول الله من قيمة ، يعني حاسب نفسك .

الله بيده كل شيء ولا شيء بيد غير الله ، والله يعاملنا وفق هذا القانون إن كان هذا العمل في سبيل الله لابد من أن ينجح ، هذا قانون من قوانين الله عزّ وجل .

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا الشهر الكريم في دروسه كلها حول الآيات المتعلقة بالقوانين **وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاًوكذلك، حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لايؤمنون .**

لو بحثنا عن الآيات التي تحمل طابع القانون ، فالإنسان يتحرك في الحياة يؤسس عمل ، يدرس ، يسافر، يدعو إلى الله هذه الأعمال بمجملها إن كانت لله لابد من أن تنجح ولابد من أن تتفوق . فإن لم يكن هناك توفيق وإن لم يكن هناك نجاح وإن لم يكن هناك توفيق فهناك خلل في جنديتك لله

لأن الله عزّ وجل يقول : **وإن جندنا لهم الغالبون** يعني في التاريخ الإسلامي شواهد كثيرة جداً: فهل من الممكن لإنسان كسيدنا صلاح الدين أن يرد أوروبا بأكملها ، **وإن جندنا لهم الغالبون** هذا في المجال العسكري وفي المجال المدني إنت أسست عمل تبتغي به وجه الله هذا العمل إن كنت كما تقول لابد من أن ينجح ، أنت أردت أن تتزوج من أجل أن تطبق سنة رسول الله وأن تحصن نفسك ، إن كانت هذه غايتك فلابد من أن تتوفق إذاً هذه الآية : **ولقد سبقت كلمتنا** كلمات الله في القرآن، تعني قوانين الله، لا مبدل لكلماته يعني مصداقية الكلمات وتحققها في أي مكان وفي أي زمان بشكل مطلق هو ما تعنيه هذه الآيات .

فيا أيها الأخوة الكرام النبي عليه الصلاة والسلام كان في غار ثور مع سيدنا الصديق وصلوا إليه أخذا كل الأسباب ، اتجه مساحلاً ، عين من يأتيه بالأخبار ، كلف من يمحو الآثار، استئجر خبيراً بالطريق ومع كل هذه الاحتياطات وصل المطاردون إلى غار ثور ، سيدنا الصديق بشر ، بشريته دعته إلى أن يقول والله يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى موطأ قدمه لرآنا . ماذا أجابه النبي عليه الصلاة والسلام وهو في أعلى درجات الثقة بالله قال ياأبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما .

يعني شبه معجزة أن يأتوا إلى غار ثور ويحجموا عن دخوله ، وقد وصلوا إليه .

و كذلك سيدنا موسى ،ومعه أصحابه القلة المستضعفون ووراءه فرعون بجبروته وقوته وسطوته وجنوده وأمامهم البحر:

﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (62)

(سورة الشعراء 61و62)

ونجاه الله عز وجل . سيدنا رسول الله وهو في الهجرة وضعت 100 ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً تبعه سراقة حينما أراد سراقة أن ينال من النبي غاصت قدما فرسه في الرمل والقصة معروفة عندكم ، في نهاية هذا الموقف قال عليه الصلاة والسلام لسراقة : يا سراقة ما قولك لو لبست سواري كسرى ؟. سواري كسرى هذا كلام من ؟. كلام النبي ، إنسان ملاحق مهدور دمه وضعت 100 ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً يعد سراقة الذي يتبعه أن يلبس سواري كسرى . طيب ما هذا الكلام ؟.

معنى ذلك أن النبي واثق من أنه سيصل إلى المدينة سالماً وسينشئ مجتمعاً إسلامياً كبيراً هذا المجتمع سيدعو إلى الله وسيفتح البلاد شرقاً وغرباً وسوف يدك عرش كسرى وسوف يأتي أصحابه بكنوزه وتاجه وقميصه وسواريه .

في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه تحققت نبوءة النبي عليه الصلاة والسلام وجيء بالغنائم وقلبها عمر بن الخطاب بقضيبه فقال إن الذي أدى هذا للأمين أو إن الذين أدوا هذا للأمناء إلى جانبه سيدنا علي كرم الله وجهه قال يا أمير المؤمنين لقد عففت فعفوا ولو وقعت لوقعوا . ثم وجد تاج كسرى وسواريه وقميصه فقال أين سراقة ؟. فجيء بسراقة وألبسه تاج كسرى وقميصه وسواريه ، وكبر الصحابة الكرام وقال سيدنا عمر رضي الله عنه : بخٍ بخٍ أُعيرابي من بني مدلج يلبس سواري كسرى تحققت نبوءة النبي عليه الصلاة والسلام .

يعني .. إذا الله وعد المؤمنين وعد يجب أن تعتقد أن زوال الكون أهون على الله من أن لا يفي بوعده .

وأي خلل في عبوديتك لله أو في جنديتك لله **وإن جندنا لهم الغالبون ... ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون،** هذه الآية ومثيلاتها في القرآن الكريم يجب أن نتعامل معها تعاملاً صحيحاً ، ربنا عزّ وجل جعل هذا القرآن قوانين نتعامل بها معه ﷺ . فكل إنسان يقف عند هذه الآيات ذات الطابع القانوني طابع السنة الثابتة الله سماها كلمات **وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً** قانون ثاني . يعني يا عبادي منكم الصدق ومني العدل تتفاوتون عندي بصدقكم في طلب الحق ، بمصداقيتكم في أن تأتي أفعالكم مطابقة لأقوالكم وفي مصداقيتكم أن تأتي أقوالكم مطابقة للوقائع في عنا صدق الأقوال وصدق الأفعال ، إن ذكرت شيئاً مطابقاً للواقع فأنت صادق ، وإن فعلت شيئاً مطابقاً لما تدعيه فأنت صادق . **وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لامبدل لكلمات الله** . يعني يا عبادي تتفاوتون عندي بالصدق وأنا أعدل بينكم ، فنحن في أول شهر رمضان هذا الشهر شهر الصوم ، شهر العبادة، شهر الاستقامة ، شهر القرآن ، شهر البذل والعطاء ، أعطيكم بشارتين : البشارة الأولى أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما صعد المنبر وقال آمين فسألوه علام أمنّت يا رسول الله ؟. قال جاءني جبريل وقال لي رغم أنف عبد أدرك رمضان فلم يغفر له . إن لم يغفر له فمات . نحنا الأن أمام فرصة . لو فرضنا أن إنسان محكوم بالسجن 25 سنة مثلاً وقيل له لو أنك حفظت كتاب الله نعفو عنه ماذا يفعل ؟.... هل يتردد ثانية في حفظ كتاب الله ؟.. ثانية واحدة يشتري حريته بحفظ كتاب الله . محكوم 25 سنة .

طيب إذا إنسان محكوم عليه بالنار ثم جاء شهر ليكون فرصة لكي يعتق من النار ، ماذا يفعل ؟...

يقول عليه الصلاة والسلام :

((عنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))

فأنت بين وعدين من وعود الله عز وجل إن صمت نهار رمضان فقد غفر الله ما كان من ذنبك، وإن قمت ليل رمضان أن تصلي العشاء وأن تصلي التراويح هذا قيام رمضان .

أرجو الله تعالى أن يعيننا على الصيام والقيام وغض البصر وحفظ اللسان

ذكرت في درس أحد سابق أربع نقاط بارزة في رمضان ، رمضان الاستقامة ، ورمضان القرآن ، ورمضان الإحسان ، ورمضان الاتصال بالله عزّ وجل . وهو فرصة كي نعتق من النار ، وهو فرصة كي نفوز بالجنة الواحد الديان .

والحمد لله رب العالمين

قبل أن نختم يعني هذا اقتراح لك أن تفعله هنا أو في البيت ، ورد في الأحاديث الصحيحة أن الذي يجلس يذكر الله عزّ وجل إلى ما بعد طلوع الشمس ، كتبت له حجة تامة تامة تامة . إذا أنذر نفسه في رمضان 30 يوم نحن نجلس هنا في المجلس لبعد الشمس إما في المسجد أو في المنزل ، أن تجلس وتذكر الله عزّ وجل ، ذكر الله منوع ، لك أن تقرأ القرآن ، ولك أن تستذكره ، ولك أن توحده ، لا إله إلا الله ولك أن تسبحه ولك أن تدعوه ولك أن تقول الله الله باسم الله المفرد ، كله ذكر إن جلست بعد صلاة الفجر حتى طلوع الشمس كتبت لك حجة تامة تامة تامة .

الدرس (03 - 59) : الأماني بضاعة الحمقى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها الأخوة الكرام : الآية الحادية عشرة بعد المائة من سورة البقرة وهي :

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (111)﴾

بعد قليل يقول الله عزّ وجل:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (113) ﴾

أيها الأخوة :

مشكلة المسلمين اليوم أنهم تعلقوا بالأماني ، وتعريف الأماني : الأماني جمع أمنية ، أن تطلب شيئاً دون أن تقدم له عملاً هذه الأمنية ، والتمني سهل جداً وما من واحد من المسلمين في بقاع الأرض إلا ويتمنى أن يكون من أهل الجنة.

بينما الله ﷻ يقول في آيات أخرى :

﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً (19) ﴾

(سورة الإسراء 19)

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً﴾

(سورة الكهف من الآية 110)

الله ﷻ علق عطاءه ، وعلق رحمته ، وعلق لقائه بالعمل والسعي أما أن تتمنى الأماني الحسان ، دون أن تقدم العمل المكافئ فهذا استهزاء بالحق.

فالمرض الذي أصاب اليهود والنصارى : **وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى** . قال تعالى : **تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.**

أنا أريد من كل واحد أن يطبق هذه الآية على نفسه ، أنت مؤمن والحمد لله ، أو محسوب على أهل الإيمان، ومن طلبة العلم ومن رواد المساجد، وأنت مصنف في المجتمع بأنك مسلم ، وأنك ترجو الله والدار الآخرة وأنك تعمل للجنة وأنك تتقي الله وأنك تخاف الله وأن عملك صالح . ألا ينبغي أن يكون لك عمل مكافئ لهذه التمنيات ولهذه التصنيفات ؟...

لا يعنينا اليهود والنصارى ، يعنينا أن نعرف من نحن أين هو موقعنا من الإيمان ، ربنا عز وجل يقول تلك أمانيهم و أوكد لكم أن الله سبحانه وتعالى لا يتعامل أبداً بالأماني لأنها سهلة ، وقال بعضهم أنها بضاعة الحمقى . الأحمق بضاعته التمنيات يعطي نفسه هواها ويتمنى على الله الأماني .

((عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ قَالَ وَمَعْنَى قَوْلِهِ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ يَقُولُ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يُحَاسَبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُرْوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ وَإِنَّمَا يَخِفُّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا وَيُرْوَى عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ لَا يَكُونُ الْعَبْدُ تَقِيًّا حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ كَمَا يُحَاسِبُ شَرِيكَهُ مِنْ أَيْنَ مَطْعَمُهُ وَمَلْبَسُهُ))

فإذا أصيب المسلمون بمرض أهل الكتاب ، فالمشكلة كبيرة ، وما تلا الله علينا قصص بني إسرائيل وأهل الكتاب إلا ليكون درساً بليغاً لنا لأننا معرضون أن نقع في أمراضهم مرضاً مرضاً ، ومن أخطر هذه الأمراض تعلقهم بالأماني وتخلف أعمالهم .

يا فاطمة بنت محمد ، يا عباس عم رسول الله أنقذا نفسيكما من النار أنا لاأغني عنكما من الله شيئاً لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم من يبطئ به عمله لم يسرع به نسبه .

هي الآية مشعرة يا ترى هل أتمنى على الله الأماني أم أقدم برهاناً يبين طلبي ؟. أقدم البرهان أم أتمنى على الله الأماني ؟...

((ورد عن رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح أن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد لهذه الأمة دينها))

أخوة كثر سامحهم الله عزّ وجل فهموا من هذا الحديث غير الذي أراده النبي ﷺ الدين لا يحتاج إلى تجديد ، الدين دين الله : **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً .**

الدين لا يجدد، عقائده ثابتة ، وعباداته ثابتة ، وأهدافه واضحة ووسائله من جنس أهدافه. لا يعقل أن يجدد الدين ولكن حينما يضعف تأثير الدين في النفوس فيصبح الدين عبادات ليس غير ، حينما يضعف تأثير الدين في النفوس فيصبح طقوساً تمارس ، وثقافات تحصل ، وعادات نألفها ، عندئذ تحتاج الأمة إلى من يجدد دينها . يعني بناء من حجر تراكم على هذا الحجر غبار وغبار حتى خفي عنا لونه الحقيقي وخفي رونقه وبهائه فإن أزلت هذا الغبار عن هذا الحجر جددته ، ليس معنى جددته أنك بنيت بناء آخر . ولا أضفت عليه ، ولا حذفت منه ولكن أزلت عنه ما علق به مما ليس منه ، فعاد إلى رونقه. الدين له قوة تأثير ، له قوة تأثير في النفوس ، إذا ضعف تأثير الدين في النفوس يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لهذه الأمة دينها ، بمعنى يقوي أثر الدين كما كان في عهد أصحاب رسول الله .

المشكلة اليوم الأماني ، نتمنى على الله الأماني ندعو الله أن نكون من أهل الجنة وأن يغفر لنا وأن يرحمنا ولا نقدم لله عزّ وجل العمل الذي يؤكد صدقنا ، ليس في أعمالنا حقيقة ما نصبو إليه فلذلك هذا درس بليغ وقع فيه أهل الكتاب **وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** . الجواب الإلهي بلى يدخلوا الجنة ... يعني من أسلم وجهه إلى الله والوجه كل شيء في الإنسان فلو قطع رأسه قتل . إدراكه في وجهه ، عيناه في وجهه ، سمعه في وجهه ، نطقه في وجهه ، جماله في وجهه ، تفكيره في وجهه ، عقله في وجهه ، بلى من أسلم وجهه يعني أسلم عقيدته وفكره وسمعه وبصره وطاقته وكل ما يملك .

﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (112) ﴾

الآية الأولى فيها تعصب : **لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى** ، **وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب** . كتاب واحد وهم متفرقون ، إله واحد وهم متفرقون ، نبي واحد وهم متفرقون ، منهج واحد وهم متفرقون . هذه الفرقة أيها الأخوة فرقة البغي والحسد .

الاختلاف بين الناس على ثلاثة أنواع : نوع طبيعي ، ونوع قذر ، ونوع محمود .

أول اختلاف : نقص المعلومات :

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (213) ﴾

إذا كان الكتاب بين أيدينا والنبي واحد والمنهج واحد ونختلف : هذا اختلاف العدوان والبغي واختلاف الحسد. فلذلك الآية الأولى تشير إلى التعصب : **لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى** .

الآية الثانية تشير إلى الرد الإلهي :

﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (112) ﴾

أيها الأخوة ... في آية أخرى دقيقة جداً اخترتها لكم اليوم :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (165) ﴾

الند هو النظير ، الند هو المكافئ . يتخذ من دون الله ما سوى الله هذا يحب زوجته ، وهذا يحب شريكه، وهذا يحب عمله ، وهذا يحب ابنه ، وهذا يحب المال ، وهذا يحب العلو في الأرض . **يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله** . قال : **والذين آمنوا أشد حباً لله** .

قال بعض المفسرين : أشد حباً لله أي أن المؤمن يحب الله دائماً ، بينما غير المؤمن يحب الذي يحبه قليلاً ويبغضه كثيراً لماذا ؟. لأنه يكتشف من حين لأخر أن الذي يحبه ضعيف ، لا يستطيع أن ينجيه من عذاب الدنيا ، ولا من أمراض الدنيا ولا من المصائب والموبقات . **والذين آمنوا أشد حباً لله ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم** ، هؤلاء الذين أحبوا غير الله فظلموا أنفسهم . أحبوا غير الله وكان يليق بهم أن يحبوا الله وحده . غيروا أنفسهم لغير الله وكان ينبغي لهم أن يكونوا لله .وضعوا إمكاناتهم لغير الله وكان الأجدر أن يهبوا حياتهم لله . **ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب** : حينما يأتي العذاب هؤلاء الذين أحبوهم من دون الله لا يجدوهم ، يفتقدونهم ، لا يسمعون دعائهم ، لا يستجيبون لهم ، لا ينقذونهم ، **ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً** . الإنسان مفطور على أن يحب القوي ، والقوي هو الله وما سوى الله ليس بقوي إن بدا لك قوياً فقوته مستمدة من قوة الله . ففي أية لحظة يتخلى الله عنه يبدو لك ضعيفاً كالطفل ، الإنسان يحب الإحسان والإحسان كله لله ولو بدا أن أحد أنه أحسن إليك فلأن الله سمح له وأمده وأعطاه . وفي أية لحظة يبعده الله عنك ويقلب لك ظهره .

والإنسان يحب الجمال ولو يعلم الذي يحب غير الله أن السعادة كلها بذكر الله وبالاتصال بالله . قال تعالى :

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28) ﴾

(سورة الرعد من الآية 28)

لو أن الله عزّ وجل قال : تطمئن القلوب بذكر الله لفهم أن القلوب تطمئن بذكر الله وبغير ذكر الله . أما حينما يقول الله عزّ وجل :

ألا بذكر الله تطمئن القلوب .

أي أن القلوب لا تسعد إلا بذكر الله .

فالإنسان يظلم نفسه أشد الظلم حينما يحب غير الله ، هذا الذي يحبه في الشدة لا يلبيه ، لا يسمعه ، ولو سمعه لا يستجيب له ، لذلك حبه له سينعكس وسيتراجع وسيتخلف .

ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله : لأن الله عز وجل معك دائماً ويسمعك دائماً والأمر كله بيده ، وهو القوي الذي لا قوي غيره ، وهو المسعد الذي لا مسعد سواه، وهو المعطي والمحسن الذي لا محسن سواه ، وجدناك مضطراً فقلنا لك أتدعونا نجبك فهل أنت حقاً دعوتنا؟.

دعوناك للخيرات أعرضت نائياً   فهل تلقى من يحسن لمثلك مثلنا

فيا أيها الأخوة :

الإنسان يظلم نفسه أشد الظلم ويحتقر نفسه حينما يحب غير الله لأن غير الله ليس محسناً الإحسان من الله، وليس مسعداً ، المسعد هو الله ، وليس قوياً ، القوي هو الله .

ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب.

أيها الأخوة :

وأنتم تستمعون إلى الآيات في صلاة التراويح أو وأنتم تقرءون القرآن الكريم في رمضان في بيوتكم أرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقكم إلى أن تقفوا وقفات متأنية عند الآيات التي تشير إلى قانون إلهي ذكرت هذا البارحة فانتقيت لكم من هذه الآيات كلها هاتين الآيتين .

يعني الإنسان لا يليق به ويظلم نفسه أشد الظلم حينما يحب غير الله ، والإنسان أيضاً حينما يتعلق بالأماني فهذه بضاعة الحمقى ، **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** . ولا تكن متعصباً، لا تزكي نفسك. والله أيها الأخوة آية كريمة لو فهمها الناس حق الفهم لاستحييوا من الله عزّ وجل أن يزكوا أنفسهم .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ﴾

(سورة النساء من الآية 49)

لا تمدح نفسك .

سيدنا الصديق حينما استخلف سيدنا عمر ، قيل له إنما استخلفت شديداً قال أتخوفونني بالله ، أقول يا رب لقد وليت عليهم أرحمهم ، هذا علمي به فإن بدل وغير فلا علم لي بالغيب . كلام رائع ...

فهذه الآيات اليوم : إياك أن تتعلق بالأماني فهي بضاعة الحمقى قدم البرهان على ما تدعي وهو العمل الصالح والالتزام والاستقامة ، والشيء الثاني إياك أن تحب غير الله فهناك خيبة أمل مرة في أصعب الحالات وفي أشد الحالات .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (04 – 59) : الوازع الداخلي والرادع الخارجي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ.

أيها الأخوة الكرام: إن أروع ما في الدين هذا الوازع الداخلي ، بينما كل الأنظمة الوضعية تقوم على الرادع الخارجي . استنبطت هذا من قول الله عزّ وجل في سورة البقرة :

﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (220) ﴾

ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم

يعني إن خالطموهم بأموالهم ، لو أخذتم أموالهم وتاجرتم بها ، إصلاح لهم خير

وإن تخالطوهم فإخوانكم لكن **الله يعلم المفسد من المصلح**

لو أن تاجراً بيده أموال يتامى ، عنده صفقات رابحة وثابتة هذا المال الذي بيديه أراد أن يجس السوق بصفقة لا يدري ما إذا كانت تربح أو تخسر ، فجعل مال اليتيم درءاً لماله ، جعل مال اليتيم حقلاً للتجارب ، فإن ربحت هذه الصفقة أدخل ماله ، وإن لم تربح يبقى ماله محفوظاً وقد جس السوق وعرف حقيقة هذه الصفقة بمال اليتيم. هذا الوضع لا يستطيع أحد أن يعلمه إلا الله ما إذا كنت قد جعلت مال اليتيم درءاً لمالك . قال تعالى : **ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم لكن الله يعلم المفسد من المصلح** ، هذه الآية قس عليها ملايين الحالات، في ملايين الحالات لا يمكن لبشر أن يعرفها إلا الله ، طبيب تفحص مريضك لك أن تنظر إلى مكان المرض فلو اختلست النظر إلى مكان آخر لا يشكو منه من يعلم ما إذا فعلت هذا أو لم تفعل؟. الله وحده

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (19) ﴾

(سورة غافر : الآية 19)

حالات كثيرة جداً في الحياة لا يمكن لقانون وضعي أن يضبطها ، حالات كثيرة جداً ، لو أن فأرة وقعت في زيت وأخرجت الفأرة وبعت الزيت من يعلم ؟.... هل في الأرض كلها من يعلم ذلك . إلا أن الله يعلم .....

أنا كما وعدتكم في هذا الشهر إن شاء الله سنقف عند الآيات التي تحمل معنى القانون الثابت المطرد : **والله يعلم المفسد من المصلح** : بإمكانك أن تمسك الزوجة بطهر إضراراً بها ، تطلقها تطليقا في طهر لم تمسها فيه ، وتدعها إلى أن ينتهي القرء تراجعها ثم تطلقها لإيقاع الضرر بها . هذه النوايا لا يعلمها إلا الله، كل قانون وضعي ينتهي عند الظاهر لكن الله سبحانه وتعالى يصل إلى السرائر.

واحد ببلد غربي تزوج زواجاً شرعياً مائة بالمائة إيجاب وقبول ومهر وشاهدين في مركز إسلامي ، وفي نيته أنه حينما تنتهي دراسته أن يطلقها . هذا الزواج عند معظم العلماء زنى . من يستطيع أن يعرف هذه النية؟.. الشيء الظاهر عقد شرعي لا غبار عليه ، ما من أحد على وجه الأرض يكشف الحقيقة .

أنا ذكرت هذه الأمثلة أما هناك ملايين الحالات لا يمكن لمخلوق أن يعرفها إلا الله : **والله يعلم المفسد من المصلح** ، بعني هذه الشاة وخذ ثمنها قال له ليس لي ، قال له : قل له أنها ماتت. قال : ليست لي. قال له خذ ثمنها . قال له إنني في أشد الحاجة لثمنها ولو قلت لصاحبها أنها ماتت أو أكلها الذئب لصدقني فإني عنده صادق أمين ولكن أين الله ؟

يعني .. الإنسان إذا قال أين الله وضع يده على جوهر الدين . هذه واحدة.

الآن في شأن الزواج ، هذا توجيه الله عزّ وجل ، يقول الله عزّ وجل :

وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آَيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (221) ﴾:

يعني .. إذا أنت قرأت القرآن وقلت صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم وقبلت المصحف من ست وجوه ثم أردت أن تتزوج امرأة دينها قليل لكن شكلها بارع ، هل أنت مصدق لله عز وجل : **ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم** ، هذا حكم الله .

الدليل : قال : **أولئك يدعون إلى النار** : المرأة الفاسدة تدعو إلى النار ، الزوج الفاسد ولو كان غنياً يدعو إلى النار ، يعني إذا أردت أن تأخذ بيد ابنتك إلى النار فزوجها بإنسان فاسد ، إن أردت أن تذهب إلى النار فتزوج من امرأة فاسدة . لأنه الله عزّ وجل قال:

﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً (76) ﴾

(سورة النساء : من الآية 76)

وقال :

﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28) ﴾

(سورة يوسف: من الآية 28)

دقق ، وازن ، **إن كيد الشيطان كان ضعيفاً** .... أما **إن كيدكن عظيم** . فالإنسان حينما يُؤْثِر في المرأة : المال والغنى والحسب والنسب والجمال على حساب الدين ، جعل نفسه مقوداً إلى النار وهو لا يدري ،

((عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تُزَوَّجُ الْمَرْأَةُ لِثَلَاثٍ لِمَالِهَا وَجَمَالِهَا وَدِينِهَا فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ))

من تزوج المرأة لجمالها أذله الله ومن تزوج المرأة لمالها أفقره الله ومن تزوجها لحسبها زاده الله دنائة فعليك بذات الدين تربت يدك .

إذاً الذي آثرته لجماله أو لغناه أو التي آثرتها لجمالها أو أو لحسبها أو لنسبها وكان في دينها رقة هذه تدعو إلى النار . أما إذا آثرت الصالحة المؤمنة هذه تدعو إلى الجنة .

يعني بالمناسبة ... الذي عنده زوجة مسلمة مطبقة للشرع تحفظ نفسها في غيبة زوجها ، هذه الزوجة يجب أن تعامل بأعلى درجة من الاحترام لأنها تأخذ بيد زوجها إلى الجنة ، فلو أنها فسدت وانحرفت يميناً وشمالاً ماذا يفعل له منها خمسة أولاد هذه مصيبة كبيرة .

الشيء الثاني ... يعني .. تسمعون من بعض المتطرفين فتاوى تجيز أن تؤتى المرأة من غير المكان الذي شرعه الله ، النصوص يلوون أعناق النصوص ، يشدون النصوص ، يحورون النصوص ، مع أن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (223)

نساءكم حرث لكم : في مكان توضع فيه البذرة فينمو الغلام هذا المكان المسموح . **نساءكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم** : هذه آية قطعية في دلالتها .

الشيء الثاني الأساسي ... البارحة أخ سألني أنه حلف يميناً أن لا يفعل هذا الشيء قلت بلا تردد وببساطة كفّر عن يمينك وافعل الخير :

﴿ **وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (224)** ﴾

ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم : لا تجعل اليمين الذي أقمته حجاباً بينك وبين فعل الخير ، أنت مخلوق لفعل الخير فأي يمين حلفته كفّر عنه وافعل الخير. **ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم** : مرة ثانية أنا أقف عند الآيات التي تعطي معنى القانون الثابت عند سنن الله الثابتة .

الآن يقول الله تعالى :

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آَيَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (231) ﴾

وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك : لو أنه إنسان لا يتقن حفظ القرآن الكريم أراد أن يتذكر تتمة الآية يقول ومن يفعل ذلك فقد ظلمها . أليس كذلك ؟.. الآية جاءت : **فقد ظلم نفسه**، نستنبط أن الإنسان مهما أوقع من ظلم في الآخرين هو في الحقيقة يظلم نفسه ، مهما كسب مالاً حراماً بذكاء واحتيال وشطارة هو في الحقيقة يظلم نفسه ، مهما اعتدى على حقوق الآخرين وظن أنه قوي ومرن هو في الحقيقة يظلم نفسه . يعني .. مثل بسيط واحد جاء بحجر وحطم زجاج سيارته وثمن الزجاج 65000 بعض السيارات يعني يكون أوقع الأذى بمن ؟... بنفسه .

كل إنسان يعتدي على الآخرين ويأخذ ما ليس له ويعتدي على أعراضهم، ويحتال عليهم . هو في الحقيقة يظلم نفسه لأنه يحملها ما لا تطيق .

الشيء الثاني ... ربنا عزّ وجل أعطى توجيه قال :

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (232) ﴾

وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف : فأي إنسان لو أنه طلق امرأته ، لابد من أن يشوه سمعتها ، لابد من أن يحطمها كلما سئل عنها تكلم شيئاً يقال وشيئاً لا يقال من أجل أن يثبت للآخرين أنه طلقها وهو محق في تطليقه . هنا ربنا عزّ وجل يقول: **وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف** : يعني أنا أحياناً حينما أجد أنه لا سبيل إلى الوفاق بين الزوجين أدعو لكل منهما بالدعاء التالي :

أقول للزوج : الله يرزقك زوجة أحسن منها . وأقول لولي الفتاة الله يرزقك صهر أحسن منه .

يعني .. الله عزّ وجل عنده خير كثير أما إذا ما في نصيب من هذه، لازم نحطمها ؟...

النقطة الدقيقة قال : **ذلك** – هذا التوجيه – **يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر** : يعني إذا واحد ليس مؤمناً بالله الإيمان الكامل ، الإيمان الذي يردعه عن معاصي الله ولا يؤمن باليوم الأخر على أنه يوم حقيقي سوف يسأل عن كل شيء ، هذا التوجيه لا يستفيد منه. لذلك الآن نستفيد أنه أي توجيه للإنسان قبل أن يؤمن بالله واليوم الأخر لا يجدي . يعني إذا عرفت الأمر ولم تعرف الله تتفنن في التفلت منه أما إذا عرفت الآمر وعرفت الأمر تتفانى في طاعة الله عزّ وجل .

فالله أعطى توجيه : **وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الأخر** . يعني أنت لما يكون معك كتاب باللغة الإنكليزية وتترجى إنسان يقرأه لك لو أنك عرفت أنه بالأساس أُميّ بكل اللغات أُميّ ألا تشعر بحرج ؟... وسخف أنك بذلت ماء وجهك لإنسان ليترجم لك كتاب وهو لا يفهم شيء في اللغة الأجنبية . أنت حينما تسعى لتبين أمر الله لإنسان لا يعرف الله لا يصدق ولا يستفيد . أحياناً أقول إنسان يصلي لكنه أخذ ما ليس له أو اعتدى أو ظلم أنا أقول في نفسي هذا لا يعرف الله . والله لو عرفه لما فعل هذا لو عرفه لعد للمليون قبل أن يمد يده إلى هذا المال . يعني تلاقي أناس يعتدون على حقوق الآخرين يعتدون على أموالهم ، على أعراضهم ، قصر العدل فيه دعاوى لا تعد ولا تحصى أكثرها دعاوى كيدية هؤلاء لو أنهم يصَلُّون في المساجد كما أراد الله ، لو أنهم عرفوا أن هناك إلهاً سيحاسبهم أن لهذه التي يظلمها رباً سيدافع عنها ، أن لهذا المخلوق الأعجم إلهاً سيقتص من ظالمه، لوقف . فلذلك الله عزّ وجل قال : **ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الأخر** . هذه التوجيهات لا لكل الناس ، لمن آمن بالله واليوم الآخر فقط . و ما سوى ذلك كلام لا يضع أثراً له في النفس .

آخر آية ، والله أيها الأخوة هذه الآية لو طبقها الناس لكان المسلمون كما وصفهم النبي عليه الصلاة والسلام كالجسد الواحد إذا اشتكى له عضو تداعى سائر الجسد بالسهر والحمى .

قال :

وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (237)﴾

وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن : صار عقد قران زار زيارتين ما صار خلوة ، بعدين بدا له أن يطلقها قد يكون محقاً أو غير محق النتيجة بدا له أن يطلقها ، قال : **وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة** : يعني في مهر قد يكون 500 ألف ، 400 ألف 200 بـ 200 ،

فنصف ما فرضتم يعني زرتهم مرتين كل زيارة كلفتك 100 ألف ، زيارتين .

لكن ربنا عزّ وجل جعل في الحق العدل قسري ، أما الإحسان جعله طوعياً قال : **إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح** – الولي –

دقق الآن : قال : **وأن تعفو أقرب للتقوى** : حقها أن تأخذ نصف المهر لأنها ظهرت أمامه وانكشفت عليه ، حقها أن تأخذ نصف المهر . قال **إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح** . ثم يقول الله عزّ وجل : **وأن تعفو أقرب للتقوى** : طيب عفونا ما بدنا شي ، وأنت أيها الزوج **ولا تنسوا الفضل بينكم:** قدّم هدية ثمينة ، قدّم إسوارة ثمينة ، هم أعطوك الـ 200 ألف أنت قدّم 50 ألف ، قدّم 25 ألف قدّم شيء.

هذه القاعدة ، بغير الطلاق تطبق : إنسان سامحك قدّم له شيئاً، إنسان خدمك اخدمه . اجعل المعروف دين عليك ، العوام لهم كلمة " أكل الرجال على الرجال دين ، أما على الأنذال صدقة " واحد خدمك اخدمه ، عمل معك معروف اعمل معه معروف ، عاونك بشيء عاونه بشيء . يعني لا تجعل المعروف فرض على الآخرين اجعله قرضاً عليك : **ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير** ، الحوار هذا أنه أنت أيها الزوج مادمت قد طلقت زوجتك قبل أن تمسها فعليك نصف المهر بنت الناس هذه، هذه فتاة تعرفت على شاب يعني هذا الشاب ملأ حياتها ، بعد شهر لا أريدها ، الفتاة ليست قطعة قماش تغيّر تفصيلتها ، تبرمجت معك، القضية تجعل فيها رض نفسي كبير جداً ، هذا الرضا النفسي مقابله أن تدفع نصف المهر ، ويا أهل الفتاة و يا أيتها الفتاة يعني زار مرتين وجمّع المهر بصعوبة بالغة ، مصلحته ليست معك ، فأراد أن يفترق عنك واعفوا عنه، طيب عفو عنك ، الإنسان ما يكون عنده حساسية ، **ولا تنسوا الفضل بينكم** فهذا التوجيه يفيدنا كثيراً في التعامل بين الناس . في التعامل التجاري وبين الجيران والتعامل بين الأخوة ، أيام الأخ مثلاً يعفي أخواته من الميراث ، أنا ماشي حالي خذوا الميراث لكن أيام يشتهي شيء من الميراث فلا يعطوه إياها. **فلا تنسوا الفضل بينكم** ، و طبقنا هذه الآية لأغلقت المحاكم أبوابها ، لو طبقنا هذه الآية لكنا كالبنيان المرصوص يشد بعضنا بعضاً ، لو طبقنا هذه الآية لكنا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

يعني .. إذا في إنسان بالأرض يحق له أن يتلقى خدمات الآخرين بلا مقابل هو النبي عليه الصلاة والسلام سيد الخلق ومع ذلك سيدنا ربيعة خدمه أسبوع قال له يا ربيعة سلني حاجتك ، النبي عليه الصلاة والسلام رأى خدمة ربيعة ديناً عليه .

فأنت اعتبر كل خدمة تقدم لك دين عليك لا تقول أنا مفضّل على الناس أنا لازم يخدمونني .. لا .. أنت كن كواحد منهم . النبي عليه الصلاة والسلام بإمكانه أن يعيش فوق الجميع لكنه عاش بين الجميع عاش كواحد منهم ، كان مع أصحابه في سفر هذا قال عليّ ذبحها ، وقال هذا عليّ سلخها، وهذا قال عليّ طبخها وقال عليه الصلاة والسلام عليّ جمع الحطب ، نكفيك ذلك ، قال أعلم أنكم تكفونني ولكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على أقرانه . هذه واحدة .

كان مع أصحابه في معركة بدر ، 300 راحلة الأصحاب 1000 قال كل ثلاثة على راحلة ، وأنا وعلي وأبو لبابة على راحلة ، ركب النبي وانتهت نوبته في الركوب وجاء دوره في المشي فتوسلا إليه أن يبقى راكباً قال:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ كَانَ أَبُو لُبَابَةَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ زَمِيلَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَكَانَتْ عُقْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَقَالَا نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ فَقَالَ مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا))

أنت عش بين الناس كواحد منهم ، هم يرفعونك ، أما إن رفعت نفسك عليهم أنت أبغضوك، وتضايقوا منك ، **ولا تنسوا الفضل بينكم** . أعطِ كل ذي حق حقه .

الملخص : كل الأعمال الصالحة التي تقدم إليك اجعلها ديناً عليك ، والنبي قال تهادوا تحاببوا ، تهادوا فعل تهادوا في مشاركة ، قدم لك هدية قدم له هدية ، قدم لك خدم قدم له خدمة ، أعانك على موضوع أعنه على موضوع .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (05 – 59) : الاتصال بالله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها الأخوة الكرام اتفق العلماء على أن ترتيب الآيات توقيفي ، أي أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى نبيه أن اجعل هذه الآية قبل هذه الآية وهذه الآية بعد هذه الآية ، فالترتيب توقيفي .

اليوم الفجر أخر آية قُرأَتْ من سورة البقرة :

وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (237) حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (238) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (239) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (240) ﴾

كيف تفسرون سياق متعلق بأحكام الزواج والطلاق فجأة أُقْحِمَتْ الآية : **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين(238)**. والترتيب توقيفي وهذا ترتيب خالق الكون بعضهم قال : الأمر الإلهي يحتاج إلى وازع ، والنهي يحتاج إلى رادع ، فالإنسان ما لم يتصل بالله وما لم يذق طعم القرب ، وما لم يحرص على هذه الصلة ، لن يستقيم على أمر الله ولن ينفذ هذه الأحكام ، ربنا سبحانه وتعالى في إقحامه هذه الآية : آية الصلاة والتي جاءت بين آيات أحكام الزواج والطلاق من أجل أن يشعرنا أن ياعبادي ما لم تتصلوا بي ما لم تستنيروا بنوري ، ما لم تركنوا إلى عطائي ، لن تستطيعوا تطبيق أمري . والشيء واقع ، أناس كثيرون يتفننون في إيذاء زوجاتهم ، يتفننون في أكل الحقوق ، يتفننون في الاحتيال، والقرآن بين أيديهم والأحكام واضحة والعرف واضح فلذلك ربنا عز وجل – فيما بين آيات الطلاق – قال: **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين .**

أخوانا الكرام :

الصلاة عماد الدين من أقامها أقام الدين ومن تركها فقد ترك الدين ، إنها سيدة القربات وغرة الطاعات ومعراج المؤمن إلى رب الأرض والسماوات.

شيء آخر :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (243) ﴾

ألم ترى – بربكم هل رأيتم بني إسرائيل وقد أخرجهم " بخت نصر" هل رأيتم بأعينكم ذلك ؟– يقول الله عزّ وجل : **ألم ترى إلى الذين خرجوا من ديارهم ألوف وهم حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم)).**

قال بعض العلماء : الخبر الذي أخبرك الله به يجب أن يقع منك بمصداقيته موقع الرؤيا . خبر الله عن الماضي السحيق والأقوام السالفة يجب بمصداقيته أن يقع بنفسك موقع الرؤيا . أما الشيء الذي يلفت النظر هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت لاشك أن التشرد صعب جداً ، كل واحد له بيت له مكان ينام فيه له مكان يجلس فيه له مكان يأوي إليه له طعام يتناوله له أولاد بين يديه . تصور واحد منا خرج هو وأهله وأولاده إلى قارعة الطريق أين ينام ماذا يأكل ماذا يفعل فهذه من أكبر المصائب. **ألم ترى إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت** ، وتستمعون في الأخبار : مائة ألف هربوا من بلادهم خوف الحرب الأهلية ، أين ناموا ؟ في البرد الشديد أو في الحر الشديد. هذه مصيبة كبيرة ومع ذلك يقول الله عز وجل : **إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون** . كيف نوفق بين أول الآية وبين أخرها ، خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، إن الله لذو فضل على الناس . الله ﷻ مربي لولا أنه يسوق الشدائد لما وصل العباد إليه ، ولما سعدوا بقربه ولما نجوا من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة . فلذلك هذه الآية تؤكد أن أشد أنواع المصائب هي محض فضل من الله عزّ وجل .

شيء أخر :

أيها الأخوة أنا أريد لازلت عند وعدي نقف عند الآيات التي تحمل معنى القانون ، معنى السنة الثابتة وقد سميت هذه الآيات في القرآن الكريم كلمات الله ولا مبدل لكلماته :

﴿ **مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (245)**﴾

من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً : هذا قلته لكم كثيراً : أي عمل صالح موجه إلى أي مخلوق بنية التقرب إلى الله هو قرض إلى الله حسن وسيضاعفه لكم أضعافاً كثيرة ، أي عمل صالح مع أي إنسان هذا قرض حسن ، أما أدق ما في الآية هو آخر فقرة فيها : **والله يقبض ويبسط** : العطاء بيده والمنع بيده ، فإذا أقرضت الله قرضاً حسناً عملت عملاً صالحاً ، بذلت جزءاً من وقتك ، جزءاً من مالك ، جزءاً من علمك، جزءاً من خبرتك ، جزءاً من عضلاتك، هذا إقراض إلى الله عزّ وجل .

بهذا المعنى يندفع المؤمن إلى خدمة الخلق اندفاعا لا حدود له ، أي عمل صالح موجه إلى أي مخلوق، قد يكون هذا المخلوق نملة أنقذتها وأنت تتوضأ . أي عمل صالح إلى أي مخلوق هو إقراض حسن إلى الله عزّ وجل وسوف يضاعف لكم أضعافاً كثيرة . والدليل : **والله يقبض ويبسط** : يعني إن بخلت أن تقرض الله قرضاً حسناً ؛ الله يقبض ، وإن سخت نفسك أن تقرض الله قرضاً حسناً ؛ الله يبسط .

الآن في علاقة ثابتة بين المعصية وبين القعود ، بين المعصية وبين ضعف الهمة ، بين المعصية وبين التكاسل ، بين المعصية وبين هبوط العزائم ، بين المعصية وبين التضامن، بين المعصية وبين الخنوع .

يقول الله عزّ وجل في سورة البقرة :

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آَيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آَلُ مُوسَى وَآَلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (248) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249) ﴾

عصوا وشربوا من هذا النهر مع أن الله نهاهم عن الشرب.

بالمناسبة في موضوع ثاني : موضوع إذا كان الإنسان في حر شديد وشرب ماءً بارداً جداً ربما تنبه العصب الحائر الذي بين القلب والمعدة والرئتين . هناك حالات كثيرة يصاب الإنسان بسكتة قلبية . إذا كان تنبه شديد فإنسان حرارته 38 درجة والجو حرارته 40 درجة ودخلت إلى البيت وتناولت قارورة ماء مبردة وضعتها على فمك وأفرغتها في جوفك فجأة – فحرارة الماء قد تكون 2 أو 3 وجوفك 37 درجة والجو 40– من دون مص والنبي قال : **مصو الماء مصاً ولا تعبوه عباً** .

قرأت مقالة عن حالات كثيرة أصيب الإنسان بسكتة قلبية . لأن بين القلب وبين المعدة وبين الرئتين عصباً اسمه العصب الحائر أو العصب المبهم بهذا تفسر بعض حالات بعض إحساسات الذبحة القلبية، ليست ذبحة قلبية إنما هي اضطرابات معدية في عصب مشترك ، الأطباء يقولون : هناك مشاعر وأحاسيس تشبه الذبحة القلبية تماماً ولا علاقة لها بالقلب إطلاقاً إنها اضطراب في المعدة بسبب هذا العصب المشترك .

فلعل هذه الآية من هذا النوع : **إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني فشربوا منه إلا قليلاً منهم ، فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده:** المعصية تؤدي إلى ضعف الهمة ، المعصية تؤدي إلى الخوف ، المعصية تؤدي إلى الكسل ، فالإنسان إذا له مخالفات وقد أقام عليها وأدمن عليها يجد نفسه متكاسلاً على الطاعات . ماذا قالوا ؟ . **لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده** . لأنهم شربوا منه إلا قليلاً منهم .

شيء أخر ، قال الله تعالى في سورة البقرة :

﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251) ﴾

ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض: يعني إن الله يزع بالسلطان مالا يزعه بالقرآن ، ربنا عز وجل هو المربي وهو المسير فأيام يقوي إنسان على إنسان ، هذا الإنسان القوي قد يكون حائلاً بين هذا الإنسان الثاني وبين الإفساد في الأرض . لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ، يعني هناك نعم أيها الأخوة لا نعرفها إلا بزوالها . الحالات النادرة في العاهات في الإنسان هذه حالات استثنائية من أجل أن تؤكد قيمة هذه النعمة .

يعني : مرة كنا في حفل في أحد الأمكنة ، حفل عيد مولد، حفل متقن جداً و ومتعوب عليه ، إنسان فاقد عقله شوه الحفل كله . فقلت في نفسي ما حكمة هذا الإنسان الذي فقد عقله ، الإنسان لو لم يرى من فقد عقله لا يعرف قيمة العقل . من هنا قال عليه الصلاة والسلام : **اللهم أرنا نعمك بكثرتها لابزوالها.**

فحينما صار النظام العالمي الجديد، وبقيت جهة واحدة قوية فقط ، تَرَحَّمْنا على أيام توازن القوى !.

ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض : وأحد أنواع فساد الأرض الآن بسبب أن هذا التدافع ضعف ، صار في قوة واحدة متحكمة في العالم .

يعني .. أحياناً .. وباندفاع شديد يُريد أن يُكْرِهَ الناس على شيء من الدين، إكراه ! ماذا نقول له ؟ الذي خلق الإنسان لم يكرهه على الدين ، لا إكراه في الدين ... أنت ادعو إلى الله، بيّن، وضح ، لكن لا تقمع، القمع لا يجدي ، الضغط لا يجدي ، القسر لا يجدي ، القهر لا يجدي . لأن الله هو الذي يستطيع أن يقهر كل العباد ، ومع ذلك لم يقهرهم وقال :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256) ﴾

لا إكراه في الدين . فأنت مكلف أن تُقنع لا أن تقمع ، علّموا ولا تعنّفوا فإن المعلم خير من المعنف ، مهمتك أن تبين لا أن تنتقم ،

﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (107) ﴾

(سورة الأنعام : من الآية 107)

وكذلك :

﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (104) ﴾

(سورة هود 86)

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ ﴾

(سورة الغاشية : الآيتان 21 و 22)

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾

(سورة البقرة : من الآية 272)

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾

(سورة القصص : من الآية 56)

لك أن تبلّغ ، لك أن تبين ، لك أن تقنع ، وليس لك أن تجبر ، ليس لك أن تشدد ، بيّن وانتظر، بيّن وأحسن، الإحسان قبل البيان ، والقدوة قبل الدعوة ، والتربية لا التعرية ، والأصول قبل الفروع ، والترغيب قبل الترهيب ، والتيسير لا التعسير . هذه مبادئ الدعوة إلى الله .

إخواننا الكرام .... آن الأوان أن نعرف الشيطان ... الشيطان يوقع بين المرء وزوجه ...والشيطان يعدنا بالفقر ... والشيطان يأمرنا بالفحشاء ... والشيطان يوقع بيننا العداوة والبغضاء ... هذه مهمات الشيطان .. يعدنا بالفقر إذا أنفقنا ، يخوفنا إذا التزمنا في مسجد ، يوقع بيننا العداوة والبغضاء بالحسد والغيبة والنميمة ، ويفرق بين المرء وزوجه ، كل المشكلات بين الزوجين بسبب الشيطان ،

﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً (27) ﴾

(سورة النساء : الآية 27)

أخواننا الكرام

آخر آية ...إذا توهمت أن هذا الأمر الإلهي فوق طاقتك ، ولاتستطيع والزمان صعب هل تدري أنك تكذب بكلام الله عزّ وجل ..؟. لأن الله عزّ وجل يقول :

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286) ﴾

فإذا قلت إن هذا الأمر فوق طاقتي .... ولا أستطيعه ... كأنك تكذب هذه الآية . فالذي يعرف وسع الإنسان هو الله لا أنت .. والله يعلم إمكانات للإنسان ... سمح له أن يفطر في السفر ، سمح له أن يفطر في المرض ، سمح له أن يقصر من الصلاة ... الرخص التي جاء بها التشريع هي التي يمكن أن نستعملها أما نقول لا نستطيع ... ونستطيع .. هذا تكذيب بكلام الله عزّ وجل .

آخر آية ، قال الله تعالى في سورة البقرة :

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (269) ﴾

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيراً.ربنا عز وجل يقول : ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (06 – 59) : الحق والباطل

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام : في أواخر آيات البارحة آية **المباهلة** . وهي آية ذات شأن في الإسلام .

نحن في الأمور الخلافية المادية ، لو أن إنسان ادعى أن له مع آخر مبلغ كبير وليس هناك وثيقة ورفع الأمر إلى القاضي ليس عند القاضي إلا ما يسمى باليمين الحاسمة فإن حلف برئ.

إن حلف كذباً هذه اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في النار ، واليمين الغموس لا كفارة لها لأنها تخرج الإنسان من دينه ويحتاج إلى أن يعيد إسلامه . لو في خلاف على 100ألف وما في إيصال والأمر رفع إلى القضاء القاضي يدعو من أنكر إلى حلف اليمين الحاسمة فإذا حلف نجا من حكم القاضي .. لكن ينتظره حكم الله . وعندئذ ربنا عزّ وجل يتدخل وقد يهلك هذا الإنسان . في بالأمور الخلافية بالنواحي المادية .

لو صار خلافيات بالعقائد ... وكل طرف تشبث بموقفه وكل طرف إدعى أنه على حق وكل طرف اتهم خصمه بأنه على باطل ... ماذا نفعل ؟...

في عهد النبي عليه الصلاة والسلام أمره الله فقال في سورة آل عمران:

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (61) ﴾

فمن حاجّك فيه – بسيدنا عيسى – **من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعوا أبنائنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** . وعندئذ ربنا يتدخل فيهلك الكاذب لأن الحق لا يتعدل . الحق واحد فمن يدعي أنه على حق وليس كذلك يعلم علم اليقين أنه كاذب ... هناك من يقول الحق وهناك من يقول الباطل ويدعي أنه الحق ويلبس الحق بالباطل ، أو يلبس الباطل بالحق .

فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعوا أبنائنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم – أقرب الناس إلى الإنسان أهله وأولاده ، يضعهم على محك الهلاك – **ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** .

إخواننا الكرام :

لو أن معركة بين حقين لا تكون ، لأن الحق لا يتعدل . بين حق وباطل لا تدوم ، لأن الله مع الحق . لكن بين باطلين لا تنتهي

وأن هذا صراطي مستقيماً فإتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله

(سورة الأنعام : من الآية 153)

السبل جمع أما الصراط المستقيم فرد، **ويخرجهم من الظلمات إلى النور** *:*

(سورة المائدة : من الآية 16) :

النور مفرد أما الظلمات جمع ، فالباطل يتعدل ، مليون باطل والحق واحد . إذا حصل خلاف بين طرفين كل يدعي على حق كما أننا في القضاء ندعو المنكر لحلف اليمين ، هنا : **تعالوا ندعوا أبنائنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** : وقد دعا النبي ﷺ تنفيذاً لهذه الآية أناساً كثيرين للمباهلة فأبوا وخافوا على أنفسهم وأولادهم ونسائهم لأنهم يعلمون أنهم كاذبون . هذه واحدة ... .

الشيء الثاني ، قال الله تعالى في سورة آل عمران :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (77) ﴾

الإنسان أحياناً يريد الدنيا والدنيا تطلب إما من التجارة .... هناك أساليب لا تعد ولا تحصى تحصل بها الدنيا ، أما إذا سولت لك نفسك أن تحصلها عن طريق الدين ، .. أن تلعب بدين الله ، أن تجيره لصالحك ، أن تسخره لمآربك ، أن تركب الموجة الدينية ، أن تركبها من أجل أهدافك هذا عمل من الكبائر .

الإنسان إذا طلب الدنيا من مظانها يخطئ أو يصيب ، لكنه ليس قدوة أبداً ولا أحداً يقتدي به . أما حينما يطلب الدنيا من خلال الدين ، يشوه دين الله من أجل مصالحه ، يلوي أعناق النصوص من أجل مآربه ، ينتقي من الدين ما يحفظ له مكاسبه ، يجعل الدين مطية للدنيا ، هذا وقع في جريمة كبيرة لأنه لعب بدين الله، واستغل الشيء المقدس الذي هو ملاذ كل إنسان استغله لمآربه الشخصية .

لذلك ... لو أن الناس كفروا بالدين فبسبب من يتاجر بالدين ، لو أن الناس كفروا بالكلمة فبسبب من يتاجر بالكلمة ليطلبها كل إنسان يريد الدنيا ليطلبها من مظانها ، أما أن يطلب الدنيا من خلال الدين فهذه جريمة كبيرة : **إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً.** عاهد الله على أن يبين الحق وعاهد الله على أن يوحد الله ، وعاهد الله على أن يعبده ، وأقسم على ذلك الأيمان المغلظة ثم هو يستغل الدين من أجل الدنيا : **إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم بالآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم** .

يعني .. إن أردت المكاسب فابحث عن مظانها ، إن أردت المال فابحث عنه في ألف طريق ، إلا أن تبحث عنه من خلال الدين ، دع دين الله نقياً صافياً ، دعه في السماء ولا تنزله إلى وحور البشر .

اجعل الدين لله خالصاً :

﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً (18) ﴾

(سورة الجن : الآية 18)

إن هذا الدين قد ارتضيته لنفسي ولا يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه به ما صحبتموه .

يقول بعض العلماء : من دعا إلى الله بمضمون هزيل غير متماسك متناقض ، أو دعا إلى الله بمضمون عميق ولكن المدعو لم يرى في الداعي المصداقية . أو دعاه بأسلوب غير علمي ، أو غير تربوي فتفلت هذا المدعو من الدين كفر به . قال : هذا المدعو بهذا المضمون وهذه الطريقة وتلك الازدواجية ، لا يكون عند الله مبلغاً ويقع إثم تفلته من الدين على من دعاه بهذه الطريقة .

مرة ضربت مثلاً قديماً : أنه الإنسان إذا وجد ورقة ذات قيمة 1000 مليون ونظر إلى خلف الورقة فوجدها بيضاء فاستخدمها لعملية حسابية عادية ثم مزقها وألقاها في المهملات ثم اكتشف أن هذه الورقة تساوي 1000 مليون بماذا يشعر ؟.... استخدمها ورقة مسودة وهي ذات قيمة كبيرة جداً .

فهذا الذي يستخدم الدين وهو ذو قيمة كبيرة جداً جداً ، يستخدمه لحظوظ الدنيا لمنافعه الشخصية ، يلوي عنق النصوص ، يؤوّل الآيات تأويلاً يحلو له ، يستخدم حقائق الدين من أجل الدنيا ، هؤلاء لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم .

يعني : إن أردت الدنيا فابحث عن مظانها ، اطلبها من مظانها ، ولا تطلبها من الدين . اجعل الدين في السماء ، اجعله صافياً نقياً بعيداً عن الأهواء اجعل الدين لله ، اجعل المساجد لله ولا تدعو مع الله أحداً .

هذه الآية : **إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً** : هذا الدين ثمن الجنة ، ثمن الآخرة الأبدية، ثمن سعادة لا تنقضي ، فأنت استخدمته استخداما رخيصاً جداً . يعني ممكن حاسوب ثمنه 35 مليون تستخدمه بالبيت طاولة ؟....

الطاولة حقها 2000 ليرة ، تستخدم 35 مليون بوظيفة طاولة ثمنها 2000 ليرة .. ؟ أنت إذاً من الخاسرين . فإنسان بين يديه القرآن الكريم يقرأه ليرتزق به فقط ..؟.. يكتبه ليحصل ثروة منه فقط ؟ اشترى بعهد الله ثمناً قليلاً ، أما إذا كتبه لوجه الله أو تعلمه لوجه الله وعلّمه لوجه الله فهو مجاهد جهاداً كبيراً كما قال الله عزّ وجل:

﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً (52) ﴾

(سورة الفرقان : من الآية 52) .

أيها الأخوة :

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (80) ﴾

الآن دققوا في هذه الآية : **ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكمة والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي** : العبودية لله وحده . النبي عليه الصلاة والسلام عبد الله ورسوله مرة **أحدهم وقف أمامه وقال:**

((عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجَعَلْتَنِي وَاللَّهَ عَدْلًا بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ))

فالإله واحد والله وحده يعبد . أما الأنبياء هداة على طريق الإيمان أما العلماء يبينون ما قاله الأنبياء دون أن يكونوا هم الأرباب .

ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكمة والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين : المؤمن رباني ، معنى رباني : يعني يرجع في كل أموره إلى شرع الله . يرجع في كل أموره إلى أمر الله ونهيه قلبه معلق بالله ، يأتمر بما أمر الله ، ينتهي عما نهى عنه الله ، يحب من أحب الله ، يبغض من أبغض الله ، يعطي لله ، يمنع لله ، يصل لله ، يقطع لله ، يبتسم لله ، يقطب جبينه لله ، هذا الرباني .. إنسان يأتمر بأمر الله ولا يحب إلا الله ... أما هناك حب في الله ، وحب مع الله ، كلام خطير .. الحب في الله من كمال الإيمان ، والحب مع الله عين الشرك .

الحب في الله أن تحب الله ، ثم تحب رسوله ، ثم تحب أنبياؤه جميعاً ، ثم تحب المؤمنين، تحب الصالحين ، تحب الصالحين ولست منهم كما قال الشافعي تواضعاً .

فأن تحب الصالحين وأن تحب المؤمنين وأن تحب أولياء الله وأن تحب الأنبياء هذا حب لله . وهو من كمال الإيمان . أما الحب مع الله أن تحب إنساناً فاسقاً لكن لك معه مصلحة كبيرة ، تحبه وهو على معصية وتبغض إنساناً مؤمناً لأنه نصحك لوجه الله ، الحب مع الله عين الشرك، والحب لله من كمال الإيمان . لو إنسان مؤمن جاءك منه بعض الضر عن غير قصد منه تبقى محباً له ، ولو أن إنساناً كافراً أسدى إليك معروفاً تبقى مبغضاً له ، هذا كمال التوحيد .

ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكمة والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولايأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ انتم مسلمون : يعني إذا الإنسان كان مجيراً لإنسان ، عابداً له ، خاضعاً له، هذا شرك وهذا سماه الله كفراً . مثلاً الصحابة الكرام النبي أمّر عليهم أنصارياً ذا دعابة ، قال : أضرموا ناراً عظيمة ، أضرموها ، قال اقتحموها ألست أميركم أليست طاعتي من طاعة رسول الله وقع الصحابة في حيرة ، بعضهم قال كيف نقتحمها وقد آمنا بالله فراراً منها ، وبعضهم قال نقتحمها ، فلما عرضوا الأمر على النبي قال والله لو اقتحمتموها لازلتم فيها إلى يوم القيامة إنما الطاعة في معروف .

لدينا منهج فيه أمر ونهي : الكتاب والسنة : **لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق** .

الآن الإمام الشافعي ماذا يقول لك : ؟ شخص تحبه حباً جماً ، تقدره أعلى تقدير ، أعطاك توجيه ، ماشي ..، أنت لا تعلم .. ، ثم ثبت لك أن كلام النبي على عكس هذا التوجيه ، إن كنت مؤمناً تعمل بكلام النبي وتلقي بكلام هذا الإنسان الذي تحبه وتقدره ، أما إذا آثرت أن تطبق كلام إنسان وتعصي رسول الله فأنت لست مؤمناً . هذا الرباني . الرباني هو الذي يتجه إلى الله وحده ، ويتبع سنة النبي وحده وكل كلام آخر يطابق الكتاب والسنة على العين والرأس فإذا خالفهما ....

يعني إذا إنسان أمرك أن تقطع رحمك بلا سبب لنزوة أرادها خلاف الكتاب والسنة لاتطيع أمره : **ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون .**

آخر آية أيها الأخوة :

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (85) ﴾

قد يقول أحدهم أنه هو على دين آخر ، الدين واحد ،

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾

(سورة آل عمران : من الآية 19)

المعنى الواسع : إن الدين الذي ينبغي أن تدين به هو أن تسلم وجهك لله وأن لا تطيع إلا الله فإذا أمرك الله أن تتبع هذا النبي الأخير ولم تطع أنت إذاً أنت لست مسلماً ، إنسان غير مسلم أُمر أن يتبع نبي المسلمين فلم يأتمر بهذا الأمر هو لا يسمى ديّناً لأنه خالف أمر الله عزّ وجل.

العلماء قالوا : ومن يبتغي ويبحث عن عقيدة غير عقيدة الإسلام ، من يبحث عن منهج غير منهج الإسلام، من يبحث عن وسائل لرقي المجتمع غير وسائل الإسلام ، من يبحث عن قيم غير قيم الإسلام، هذا لا يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (07 - 59) : الإنفاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها الأخوة الكرام : من الآيات التي سماها الله من كلماته ، وكلماته لاتتبدل ولاتتغير قوله تعالى في سور آل عمران :

﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (92) ﴾

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون : أن يتوهم الإنسان أن الجنة التي وعدنا بها والتي فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر إلى أبد الآبدين ، أن هذه الجنة يمكن أن تنالها بركعتين وليرتين فهذا الذي يتوهم هذا في جهل شديد . **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون:** الشيء الثمين : أحياناً الوقت أثمن شيء ، لابد من أن تنفقه رخيصاً في سبيل الله . أحياناً المال أثمن شيء لابد من أن تنفق المال في سبيل الله . أحياناً عزتك وكرامتك أغلى عليك من كل شيئ لابد من أن تضع أنفك على الأرض تواضعاً لله عزّ وجل ، **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** : وكل من يتوهم أن الجنة يمكن أن نصل إليها من دون ابتلاء ومن دون امتحان ومن دون بذل ومن دون بذل وقت فهو واهم .

أيها الأخوة الكرام :

الإنسان إذا آمن بالآخرة إيماناً حقيقياً هانت عليه الدنيا . وقد ورد أنه من عرف الله زهد في من سواه ، من عرف الله هانت عليه الدنيا ، بذلها رخيصة.

لكن أيها الأخوة ، صدقوا أنك إن آثرت الآخرة على الدنيا ربحتهما معاً ، وإنك إن آثرت الدنيا على الآخرة خسرتهما معاً .

إنَّ وقت الفجر النوم فيه لذيذ جداً : **لن تنالوا البر** ، حتى تستيقظ وأنت في أشد الحاجة إلى النوم : **حتى تنفقوا مما تحبون .**

والمرأة محببة إلى الرجل : لن تنالوا البر حتى تغضوا أبصاركم عن محارم الله .

والمال محبب إلينا جميعاً : لن ننال البر حتى نكف عن كسبه حراماً وحتى ننفقه حلالاً .

هذه الآية من أسس الدين ، الجنة التي وعد بها المتقون لها ثمن باهظ ، وقد قال علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه : ألا إن سلعة الله غالية ، وطلب الجنة من دون عمل ذنب من الذنوب .

آية أخرى من الآيات التي تعد من قوانين ربنا عزّ وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (100) ﴾

رجل في عهد أصحاب رسول الله في المدينة آلمه جداً هذا الوفاق بين الأوس والخزرج ، آلمه جداً ، فأرسل غلاماً أنصارياً وأعطاه قصيدة قيلت في الجاهلية في النزاع بين الأوس والخزرج ، ألقى الغلام القصيدة وكان الأنصار حديثي عهد بالإسلام فثارت حميتهم ، وتلاسنوا ، ثم تقاذفوا التهم ، ثم قفز بعضهم إلى بعض ، نزل قوله تعالى :

يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين : بلغ النبي هذا الخبر فخرج من توه وقال :

أفتنة وأنا بين أظهركم :

وغضب غضباً شديداً ، ثم ما لبث أن نزل الوحي وقال تعالى:

﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آَيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (101) ﴾

ماذا تستنبطون من هذه الآية ؟ نستنبط : أن الذي يفرق بين المؤمنين، أن الذي يشق صفوف المسلمين ، أن الذي يجعل الإسلام فرقاً وأحزاب وطوائف وأن الذي يرسخ الخلافات بين الجماعات الإسلامية وأن الذي يلقي بالتهم جزافاً على كل طرف تعصباً أو جهلاً أو بغياً أو حسداً ، هذا الإنسان يفعل فعلاً يساوي الكفر : **وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هُديّ إلى صراط مستقيم** .

هذه الآية تذكرنا بآية أخرى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾

(سورة الأنعام : من الآية 159)

الذي يرسخ التفرقة ، الذي يرسخ العداوة والبغضاء ، الذي يشق صفوف المسلمين ، هذا يفعل فعلاً يساوي الكفر في منطق هذه الآية الكريمة .

أيها الأخوة الكرام : الأمر الإلهي أحياناً ينصب على صفة لا على ذات ، مثلاً: قال تعالى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً (41) ﴾

(سورة الأحزاب: الآية 41)

ليس الأمر أن تذكره فقط ، لأن المنافق يذكره لكن المنافق لا يذكر الله إلا قليلاً ، الأمر منصب على الذكر الكثير ، والآية هنا من سورة آل عمران ، قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102) ﴾

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته : الأمر لا ينصب على التقوى فحسب ، بل ينصب على التقوى الحقيقية ، قال أن تطيعه فلا تعصيه ، وأن تذكره فلا تنساه ، وأن تشكره فلا تكفره .

اتقوا الله حق تقاته : الحقيقة يوجد في الإسلام شيئ : إذا الإنسان ما أحكم استقامته وما ضبط حركته وفق منهج الله ، لن يقطف ثمار الدين ، فوضعه صعب جداً . لاهو من المؤمنين فيقطف ثمارهم ، ولا هو من أهل الدنيا فيتفلت كما هم متفلتون ، حالة اللا حرب واللا سلم صعبة جداً . حالة اللا مرض واللا صحة صعبة جداً ، هذه الحالات البينية لا تحتمل، فهذا الذي لا يستقيم على أمر الله استقامة تامة ، لا هو كافر فيعد مع الكفار ، ولا هو مؤمن فيقطف ثمار الإيمان ، من هنا جاء قول الله تعالى: **ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته** : لاحظوا الدراسة مثلاً: إذا الطالب ما تعمق فلا يحب الدراسة ، أهله يضغطون عليه ، يقدم امتحانات لا ينجح إلا بعلامات قليلة ، دائماً في أخذٍ ورد ،أما إذا أعطى الدراسة حقها ، قطف منها ثمارها فأصبحت متعة له .

عوّد نفسك أن لا تكون متردداً ، يجب أن تكون مؤمناً كاملاً ، والعصر الآن لا يسمح بالوضع الوسط . لعله قبل خمسين عام هناك حالة وسطى أما الآن من شدة الفتن ومن شدة الضلالات ومن شدة الهرج والمرج حياتنا لا تحتمل إلا شيئاً واحد ، إما أن تكون مؤمناً ملتزماً التزاما تاماً فتقطف ثمار الدين سعادة نفسية وتوفيقاً وحفظاً وتأييداً ونصراً .... وإما أن تقلل من استقامتك عندئذٍ يتسرب كل شيء وتبقى على لا شيء . هذا معنى قول الله عزّ وجل: **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته** .

﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104)﴾

ولتكن منكم أمة تدعون إلى الخير

تروي بعض الكتب التي فيها بعض الأحاديث الشريفة أن الله سبحانه وتعالى أرسل ملائكة ليهلكوا قوماً فقال هؤلاء الملائكة : يا رب إن فيهم رجلاً صالحاً . قال : به فإبدأوا .قالوا ولمَ يا رب ..؟ قال : لأنه لم يكن يتمعر وجهه حينما يرى المنكر .

هذا الذي لو أنه مستقيم ، يقول دائماً : مالي وللناس ، مالي ولأولادي، مالي ولأخوتي ، مالي ولزوجتي ، مالي ولجيراني ، مالي ولأصدقائي . هذا الذي أعرض عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قال الله عزّ وجل : به فإبدأوا ... ومن هنا قال الله عزّ وجل :

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (117) ﴾

(سورة هود : الآية 117)

قد يهلكهم وهم صالحون ، لأنهم كفوا عن الفريضة السادسة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والحقيقة مثل واضح وصارخ : أنت في حارة حيث بيتك أخر بيت في هذه الحارة ، نشب حريق في أول بيت فإن لم يخرج هؤلاء أصحاب البيوت جميعاً ليطفئوا الحريق فإن الحريق سوف يصل إليهم واحداً واحداً . من هنا تقرأ الآية الكريمة :

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾

(سورة الأنفال : من الآية 25)

أيها الأخوة :

لعل المسلم يفتخر لأنه مسلم ومن أمة النبي عليه الصلاة والسلام . ولكن يقول الله عزّ وجل :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آَمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (110) ﴾

كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله : هذه الخيرية معللة، فنحن إذا تخلينا عن أن نأمر بالمعروف وأن ننهى عن المنكر ، تخلينا عن إيماننا فقدنا الخيريات.

لذلك قال العلماء : هناك أمة الاستجابة وهناك أمة التبليغ ... فكل من عاش في بلاد المسلمين هو من أمة التبليغ وليس له أية ميزة وصار شأنه كشأن اليهود :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾

(سورة المائدة : من الآية 18)

أنتم من عامة الناس ، فالإنسان ما لم يستجب لله هو خارج ظل الله، إن أطعت الله عزّ وجل أنت في ظله ، أنت في حمايته ، أنت في رعايته ، أنت في حفظه ، أنت في تأييده ، أنت في توفيقه ، أنت في سعادة جاءتك من تجلي الله على قلبك . أما إذا خرجت عن منهج الله ... مثلك مثل أي إنسان ، يصيبك مثل ما يصيب الناس من هَمٍ وحزن وقلق وألم وضيق وحيرة وسأم وضجر ، الذي يصيب الناس يصيبك، أما إذا دخلت تحت ظل الله ، فلك معاملة خاصة :

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21) ﴾

(سورة الجاثية : الآية 21)

والله أيها الأخوة :

هذه الآية فسرتها اليوم في جامع الطاووسية ، لو لم يكن في كتاب الله إلا هذه الآية لكفت : **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات** – قال بعضهم هي بالجنة لايستوون ، قلت – **سواءً محياهم ومماتهم** : حياتك ، بيتك ، علاقاتك ، مكانتك ، صحتك ، أولادك ، شأنك ، همومك ، دعوتك، كلها من نوع متميز .

يجب أن تعتقدوا أن معركة الحق والباطل معركة قديمة وليست منتهية . يقول الله عزّ وجل في سورة آل عمران :

﴿ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (120) ﴾

إن تمسسكم حسنة تسؤ هم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً :

يعني .. من حيث الفعل لا يقع في الكون إلا ما يريده الله ، أما من حيث التمنيات والقذف والكلام ، دائماً الإنسان له خصوم ....

يعني يروى أن سيدنا موسى في المناجاة قال يا ربي لا تبقي لي خصماً ، ولا تبقي لي عدواً . فقال الله له: يا موسى هذه ليست لي . أليس هناك أعداء لله عزّ وجل ..؟ فهذه سنة الله في خلقه .

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾

(سورة الفرقان : من الآية 31)

الحق والباطل حينما يتصارعان ... يرقى أهل الحق بصبرهم وثباتهم برضاهم بقضاء ربهم وقدره ، وهؤلاء الطرف الآخر يظهرون على حقيقتهم لو أن أهل الباطل إجتمعوا في مكان واحد ما ظهر خبث نواياهم ... لو أن المؤمنين اجتمعوا في مكان واحد ما ظهر صبرهم وثباتهم .

من اختلاط هؤلاء مع هؤلاء تظهر فضائل المؤمنين وتظهر حقائق الكافرين .

أيها الأخوة الكرام ... كان أصحاب النبي رضوان الله عليهم يقولون : من قرأ البقرة وآل عمران جدّ في أعيننا " يعني عظم في أعيننا " والقراءة تعني التدبر . فالإنسان إذا قرأ القرآن عليه أن يقرأه متدبراً لك أن تقرأه قراءة تعبد ، ولم أن تقرأه قراءة تدبر ولك أن تجمع بين القراءتين ، أن تقرأ ختمة قراءة تعبد وأن تقرأ ختمة قراءة تدبر . والتدبر مهم جداً . والبقرة وآل عمران من السور العظيمة في القرآن. وقد يسأل أحدكم ... لماذا أكثر

الله الحديث عن بني إسرائيل ؟ .. وما علاقتنا بهم ؟.. الجواب : أن الأمراض الوبيلة التي لحقتهم والتي أصابتهم ... المسلمون معرضون أن يصابوا مثلها . وقد تجد في طور تأخر المسلمين أمراضاً كثيرة جداً تشابه أمراض اليهود . فلذلك أكثر الله من ذكر بني إسرائيل على أسلوب التربية الرفيع ... يعني الحديث عن اليهود والمقصود المسلمون حينما يفرغ دينهم من مضمونه وحينما تؤدى العبادات أداءً شكلياً وحينما يعبدون من دون الله الدرهم والدينار ويعبدون مصالحهم عندئذٍ يصبحون غثاءً كغثاء السيل يصيبهم الوهن قيل وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (08 - 59) : المهر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها الأخوة الكرام : قال الله تعالى في سورة النساء :

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآَتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً (24) وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآَتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (25) ﴾

يفهم بعض المسلمين سامحهم الله أن : **فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن** : تعني الزواج المؤقت.

بينما كلمة الأجر وردت في ست مواضع في القرآن الكريم فالآية الأولى : **فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة** .. آية أخرى .. **فأنكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات** .. الآية الثالثة ..

﴿وطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آَتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ﴾

(سورة المائدة : من الآية 5)

والآية الرابعة ..

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آَتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾

(سورة الأحزاب : من الآية 50)

والآية الخامسة ..

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آَتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾

(سورة الممتحنة : من الآية 10)

هذه الآيات الخمسة التي وردت في القرآن الكريم والأجر فيها يعني المهر وجمهور العلماء على أن التأبيد أحد شروط الزواج أما إذا كان مؤقتاً فهو مخالف لشرع الله عزّ وجل .

إذاً : كلمة أجر إذا وردت مع : **فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن،** لا تعني الزواج المؤقت بل تعني المهر فقط وأقوى دليل أن الله سبحانه وتعالى يخاطب النبي ويقول : **يأيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن ..**

فالأجر هنا هو المهر فقط .. وهذه الآيات الخمسة تؤكد هذه الحقيقة

شيء آخر في سورة النساء ... الإنسان أحياناً يسأل .. يعني الله ﷻ ماذا يريد منا ..؟.. هذا سؤال كبير في آيات كثيرة جداً في كتاب الله وردت الإجابة عن هذا السؤال :

﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً (27) ﴾

الله سبحانه وتعالى : **يريد أن يتوب عليكم** ، يريد أن تتوبوا ، لذلك كل أفعاله التي يسوقها من أجل أن يحملكم على التوبة .. كل الشدائد التي يسوقها الله للعباد من أجل أن يحملهم على التوبة لأن الله يريد أن يتوب عليكم .

الله ﷻ يريد أيضاً ليطهركم .. الآن واحد مستقيم لكن يوجد بنفسه أمراض ، يوجد بنفسه اعتداد يوجد بنفسه كبر ، يوجد بنفسه إعراض أحياناً . الهدف الثاني كما ورد في سورة المائدة:

﴿ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾

(سورة المائدة : من الآية 6)

أنعم عليكم بنعمة الإيجاد ، أنعم عليكم بنعمة الإمداد ، بقي أن يتم نعمته عليكم بالهدى والرشاد .. فكل إنسان يعاني من مشكلات، من أمراض نفسية ، الله ﷻ يتولى تطهيره منها: **ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم** ، وكذلك قوله تعالى في سورة المائدة في الآية 49: **فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم:**

إذا الإنسان أذنب ، وما أصابه الله ببعض عقوبة الذنب كل عقوبة الذنب في الآخرة ، لكن ماذا يفعل الله في الدنيا .. يصيب العبد بعض عقوبة الذنب من أن أجل أن يتوب . ولكن : **أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم** .. هذه إرادة ثانية . الإرادة الثالثة كما ورد في سورة الأنفال في الآية السابعة : **ويريد الله أن يحق الحق بكلماته :** يعني .. الله عزّ وجل من أسمائه الحق ... فكيف يحق الحق .؟. يظهره إما بآيات أو بسنة النبي عليه الصلاة والسلام أو بأحداث . من إرادات الله الثابتة إحقاق الحق ... فكل واحد مظلوم أنا أبشره لابد من أن يحق الله الحق لابد من أن تظهر براءتك ، لابد من أن يظهر عفافك ، لابد من أن يظهر طهرك لأن هذا من إرادات الله الثابتة .

من إرادات الله عزّ وجل :**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**

(سورة البقرة : من الآية 185) .

اليسر ... إن هذا الدين يسر .. يعني العنت والحرج والإرهاق والشدة غير المبررة .. هذا ليس من إرادات الله عزّ وجل : **يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر** .

من إرادات الله الثابتة :

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (26)

(سورة النساء : من الآية 26)

القرآن بيان ، السنة بيان ، الكون بيان ، الأفعال بيان.

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً (28) ﴾

(سورة النساء : من الآية 28)

الإنسان أحياناً يحمّل نفسه مالا تطيق من أجل أن يكسب المال ، يكسبه حراماً فيحجب عن الله عزّ وجل، يحملها مالا تطيق . الإنسان حينما يعصي بإرادته واختياره يحجب نفسه عن الله عزّ وجل . لذلك ربنا عزّ وجل يريد أن يخفف عنا . أيام الإنسان بالتعبير الدارج لا يكون حكيم نفسه فيأكل أكل غير معقول يأتي المرض فيحجمّه ، المرض يعيده إلى صوابه ، المرض يحمله على الحمية ، يحمله على الاعتدال فالله سبحانه وتعالى يريد أن يخفف عنا ، يريد ليبين لنا ، يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر .. هذه من إرادات الله الثابتة .

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾

(سورة الأحزاب : من الآية 33)

أهل بيت النبي جزء من الدعوة ، فإذا فيه خلل تصاب الدعوة بالخلل لذلك تولى الله بنفسه تطهير أهل بيت النبي ، **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً .**

الله عزّ وجل يقول :

﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ (31) ﴾

(سور غافر: من الآية 31)

أي نوع من أنواع الظلم ينبغي أن تنفيه عن الله عزّ وجل ، لأن الله لا يريد ظلماً للعباد . نحن نريد الدنيا، نريد المال الوفير ، البيت الواسع ، الزوجة الجيدة ، الأولاد ، المكانة ، الشأن . قال :

﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآَخِرَةَ ﴾

(سورة الأنفال : من الآية 67)

أنت تريد أن تؤمن حاجاتك في دنيا ضيقة ، محدودة لكن الله خلقك لسعادة أبدية فإن أردت الدنيا أراد الله الآخرة من أجل هذا تأتي الأمور على غير ماتريد ليدفعك إلى الآخرة لا إلى الدنيا .

إذاً : ربنا عزّ وجل : **وماالله يريد ظلماً للعباد ، والله يريد الآخرة، يريد أن يتوب عليكم ، وماالله يريد ظلماً للعالمين** – لا للعباد لكل العالمين – .. **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت .. يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر .. يريد الله ليبين لكم .. يريد الله أن يخفف عنكم ..**

هذه أيها الأخوة بعض الإرادات الثابتة : **يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم .. *إنما يريد الله* أن يصيبهم ببعض ذنوبهم .. ويريد الله أن يحق الحق بكلماته** . جمع الإرادة في كتاب الله كله تتوضح ، يريد أن يهدينا ، أن يتم نعمته علينا ، أن يتوب علينا ، أن يخفف عنا ، يريد بنا اليسر ، وما يريد بنا ظلماً ، هذه بعض الإرادات فالإنسان لا يقول ماذا يريد الله منا .؟.. بالقرآن الكريم توضح هذا كله .

أيها الاخوة :

وكذلك أيضاً ورد في سورة النساء :

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً (32) ﴾

ولا تتمنوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض : الله عزّ وجل في الدنيا جعل الحظوط غير متساوية حظوط المال متفاوتة ، حظوط الوسامة متفاوتة ، الذكاء متفاوت ، القوة متفاوتة ، قال هذا التفضيل ببعضنا على بعض : **ولا تتمنوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** : يعني لو كشف الغطاء لوجدت أن هذا الذي فُضّل عليك فُضل عليك لحكمة بالغة ، وهذا الذي قُلل في حظه من هذا الموضوع لحكمة بالغة ... أفعال الله حكيمة أفعال الله فيها حكمة مطلقة ، فالإنسان بدل أن يتمنى ما فضل الله بعضنا على بعض .. الحل العملي : **ولا تتمنوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله** ، بدل أن تحسده ..

ملك الملوك إذا وهب   قم فاسألن عن السبب

الله يعطي من يشاء   فقف على حد الأدب

إذا الإنسان رأى نعمة على أخيه وتمناها لنفسه وسأل الله عزّ وجل أن يهبه مثل ما وهب أخيه لا شيء عليه ، أما إذا تمنى أن تزول النعمة عن أخيه وتتحول إليه هذا هو الحسد ،أما إذا تمنى أن تزول النعمة عن أخيه دون أن تتحول إليه هذا إثم أشد ، أما إذا سعى وكتب ووشى من أجل أن تزول هذه النعمة فهذه جريمة .

إما أن تتمنى أن تتحول النعمة من أخيك إليك هذا حسد أما أزيحت عن أخيك دون أن تصل إليك هذا ضرر، أما إذا فعلت شيئاً من أجل أن تزول النعمة عن أخيك هذه جريمة . ففي نهي، لا تتمنى ليس في إمكانك أبدع مما أعطاك ، كل هذا في حكمة بالغة .. الإنسان له واقع جسمه ، وإمكاناته ، ولادته ، دخله ، أهله ، أولاده، هذا واقع .. فالمؤمن يرضى بما قسمه الله له ، حينما يرضى يفتح الله عليه مالا يخطر على باله ، أما الإنسان حينما يسخط ، يزداد سوءً يكون في عنده شيء ثمين لكن هذا الشيء الثمين تضيع فائدته حينما يسخط على ربه.

أخوانا الكرام : يعني .. في عنا باء السببية في اللغة ، مثلاً

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾

(سورة آل عمران : من الآية 159)

هنا :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً (34) ﴾

الرجال قوامون على النساء : أن تمتلك الزوجة ، أن تسيطر عليها ، أن تسلس لك القياد ، القوامة على المرأة لها سببان : الأول بما فضل الله به بعضهم على بعض يعني يجب أن تتفوق عليها بالعلم بالأخلاق باتساع الأفق بالكرم ، ويجب أن تنفق عليها من مالك : **بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم** ، فهذان السببان شرطا القوامة على المرأة أما إذا أنت بحاجة إلى راتبها أو إلى دخلها أو إلى ميراثها وضيقت عليها من أجل أن تأخذ مالها ثم إنك أقل منها ورعاً وتقاً عندئذٍ لا تملكها بل تملكك ، لا تسيطر عليها بل تسيطر عليك السبب أن تكون أشد ورعاً وأن تكون أكثر إنفاقاً .

آخر آية :

لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل : أروع ما في الآية أن الله سمى مال أخيك سماه مالك من زاوية واحدة من زاوية أن تحافظ عليه وكأنه مالك، هو مال أخيك وليس مالك ، لكن هو مالك من زاوية واحدة . يعني .. إذا الإنسان استعار شيء يقول كأنه لي هو ليس له لكن كأنه لي بالعناية به . كأنه ماله فربنا عزّ وجل جعل المؤمنين وحدة متكاملة فإذا قويّ المؤمنون جميعاً هذا هو الخير : **لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ،** من أكل مال أخيه فكأنه أكل ماله لأنه ضعّفَ أخيه ، وإذا ضعف أخيه ضعف معه ، من أكل مال أخيه ضعفه،

إذا ضعف أخيه ضعف معه . الشيء الثاني مال أخيك مالك من زاوية أنه يجب أن تحافظ عليه فلن تدع أكله بالحرام من باب أولى وكلمة بينكم تشير أن الكتلة النقدية يجب أن تكون متداولة بين جميع الناس أما أن يكون المال متداولاً بين الأغنياء فقط هذا الذي يسبب المشكلات في الحياة لئلا يكون دولة بين الأغنياء منكم .

أيها الأخوة .. أن تعرف مراد الله من خلقه هذا جزء من العقيدة .. مراد الله من خلقه .. الله عزّ وجل قال:

﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

(سورة هود : من الآية 119)

أنت حينما تؤمن أن الله خلقنا ليرحمنا ، وأنه خلقنا ليتوب علينا ، وأنه خلقنا ليبين لنا ، وأنه خلقنا ليخفف عنا، وأنه خلقنا ليطهرنا ، وأنه خلقنا ليسعدنا ، تحبه وتقبل على شرعه لا على أنه تقييد لحريتك بل على أنه ضمان لسلامتك وفرق كبير بين أن تفهم الدين قيود وحدود وسدود وبين أن تفهم الدين ضمانات لسلامتك في الدنيا والآخرة .

أيها الأخوة :في سورة النساء آيات كثيرة جداً تأخذ طابع القانون هذه ينبغي أن نتعامل معها وأن نجعلها أحد أسس عقيدتنا . أكثر الناس بجهل أو بتجاهل يقول لك الله خلقنا ليعذبنا ... نظرة سطحية ، الناس معذبون ، الدخل قليل ، متاعب ، أمراض ، سوء توزيع ثروة ، مشكلات يعانون منها .. فينظر للأمور نظرة سوداء وكأن الدنيا هي كل شيء وكأنها نهاية الآمال ومحط الرحال ، أما إذا نظرت إلى أفعال الله أو إلى إرادات الله الثابتة من خلال هذه السورة ، ثلاث آيات وراء بعض :

والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً ، يريد الله أن يخفف عنكم .

فيا أيها الأخوة : حسن الظن بالله ثمين جداً ، حسن الظن بالله . أنت حينما تنزه الله عن كل ما لا يليق فيه تكون قد عرفته وهذا التنزيه يدفعك إلى طاعته ويدفعك إلى الرضا بقضائه وقدره . شيء مهم جداً أن تنزهه وربنا عزّ وجل في كلامه الواضح قطعي الدلالة نزه نفسه عن كل ما لا يليق به.

والحمد له رب العالمين

الدرس (09 - 59) : تزكية النفس

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام : الإنسان مفطور على حب وجوده ، وسلامة وجوده ، وكمال وجوده ، واستمرار وجوده، فيه دافع إلى الطعام والشراب لبقاء الفرد ، وفيه دافع إلى الطرف الأخر الجنس الأخر لبقاء النوع، وفيه دافع إلى تأكيد الذات لبقاء الذكر .... بعد أن تأكل وتشبع ، وبعد أن تتزوج ، لك هم واحد أن تثبت للآخرين أنك إنسان مهم ، علي المكانة ، بارع الحيلة، عميق الثقافة ، متفوق ، هذا دافع أساسي في بني البشر إلا أن الإنسان مخير ولأنه مخير دوافعه حيادية .. حيادية .. فربنا عزّ وجل يقول:

ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنفض ظهرك ورفعنا لك ذكرك .

فهذا الدافع في الإنسان الله ﷻ يرفع ذكره ويعلي شأنه ، أما المقطوع عن الله ، أو ضعيف التوحيد لابد من أن يمدح نفسه هذا مرض مستشرٍ بين الناس .. الأفراد يمدحون أنفسهم ، أصحاب الحرف يمدحون أنفسهم ، الأسر تمدح تربيتها وأولادها وبناتها، المجتمعات يمدحون أنفسهم ، الشعب الألماني جعل نفسه في أول السلم وجعل الشعوب الأخرى برابرة هذا على مستوى أفراد وعلى مستوى مجتمعات وعلى مستوى شخصي واجتماعي وعلمي . لكن الله عزّ وجل يقول في الآية التاسعة والأربعين من سورة النساء :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً (49) ﴾

ألم ترى إلى الذين يزكون أنفسهم : الله ﷻ ذكر هذا في معرض الذم أم في معرض المدح..؟.. في معرض الذم : **ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء** .. الله هو الذي يزكي ويا أيها الإنسان اطمئن : **ولا يظلمون فتيلاً** . لو أنك لم تزكي نفسك ، هل تضيع عليك مكانتك .. لا .. ربنا يرفع شأنك .

ما ذكرني عبدي في نفسه إلا ذكرته في نفسي ، وما ذكرني عبدي في ملأ من قومه إلا ذكرته في ملأ خير منهم . أنت حينما تنكر ذاتك الله يرفع مقامك ، ويعلي شأنك ، ويرفع ذكرك ، ولك في النبي عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة . هذا الأسلوب في مدح الذات .

الجماعات الإسلامية ، كلّ يمدح ذاته ، كلّ يدعّي أنه على حق ، أو أن وحده على حق ، كل يطعن بالآخرين ، الأمم ، الشعوب ، المجتمعات ، الجماعات ، الدعوات ، الأفراد ، النساء... هذه المرأة تثني على بناتها وعلى بيتها وعلى زوجها وعلى تربيتها بشكل غير واقعي .... فإذا أردت أن يحبك الناس أغفل نفسك ،

إذا أردت أن يحبك الناس تحدث عن ربك ، والله سبحانه وتعالى لا يظلمك ، يرفع شأنك ويعلي قدرك ، ويجعل ذكرك عطراً بين الناس . إقلع عن هذه العادة . والحقيقة أن الإنسان لضعف إخلاصه يستجدي المديح من الناس لضعف إخلاصه ، كلما علا مستوى الإخلاص استغنيت عن مديح الناس ، وكلما ضعف الإخلاص استجديت المديح استجداء إلى درجة مضحكة .. فهذه آية أصل ، لا تمدح نفسك ، دع ربك هو الذي يرفع شأنك والله لا يظلمك ، الله من أسمائه الحق ولأنه حق هو الذي يحق الحق ، هو الذي يبطل الباطل ، هو الذي يرفع قدر الإنسان ، **ألا يارب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة ، ألا يارب مكرم لنفسه وهو لها مهين ، ألا يارب مهين لنفسه وهو لها مكرم** .

أنا فيما أرى .. ما من عبد على وجه الأرض تواضع لله كرسول الله ، وما من عبد رفع الله شأنه كرسول الله، إلهنا ربنا خالقنا يقسم بعمر النبي :

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (72) ﴾

(سورة الحجر : الآية 72)

فعمره ثمين . وما ذُكر الله عزّ وجل إلا ذُكر معه رسول الله .. أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله .. هو أسعد الخلق .. فلذلك الإنسان حينما يمدح نفسه يصغر في نظر الناس وحينما يسلط الأضواء على نفسه وحده يصغر أما إذا تحدث عن الله وأثنى على الله ومدح رسول الله ومدح أصحاب رسول الله وأغفل نفسه ، هذا الذي يرفعه الله ويعلي قدره ويجعل ذكره عطراً بين الناس .

فهذه إحدى الآيات الأساسية في التعامل مع الآخرين ، يعني إذا أغفلت نفسك الناس يرون ، الناس لهم أعين يرون بها ، ولهم أذان يسمعون بها، والبر لا يبلى ، والذنب لا ينسى ، والديّان لا يموت ، ومن ظن أن الناس ضعاف العقول فهو أضعفهم عقلاً ... الناس يرون بأعينهم الحقائق فهذه النقطة الدقيقة . ينبغي أن نقلع عن مدح أنفسنا . حتى اللهم صلي عليه حينما بلغه أن الأنصار قد وجدوا عليه في أنفسهم متى بلغه ذلك وهو في قمة نجاحه بعد أن فتح مكة المكرمة وبعد أن هزم الهوازم ، وبعد أن دانت له الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها لا يستطيع إنسان أن يقول كلمة ومع ذلك جاءه من يقول له إن قومي وجدوا عليك في أنفسهم، سيدنا سعد بن عبادة ، قال أين أنت يا سعد .. قال ما أنا إلا من

قومي قال إجمع لي قومك ، فلما جمعهم قال : **يا معشر الأنصار مقالة بلغتني عنكم وجيدة وجدتموها عليّ في أنفسكم من أجل لعاعة تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ، يامعشر الأنصار أما إنكم لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم به .**

دققوا أيها الأخوة :

النبي بإمكانه أن يلغي وجودهم ، بإمكانه أن يهدم كرامتهم ، بإمكانه أن يهملهم، بإمكانه أن يعاتبهم لصالحه، ماذ قال ؟ ذكرهم بفضلهم عليه : **أما إنكم لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم به أتيتنا مكذباً فصدقناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلاً فأغنيناك يا معشر الأنصار ألم تكونوا ضلالاً -. لم يقل فهديتكم – فهداكم الله بي** – أرأيتم إلى هذا التواضع ، أرأيتم إلى إنكار الذات –

((عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ الْقَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ قَالَ فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي وَمَا أَنَا قَالَ فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ قَالَ فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ قَالَ فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ قَدِ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ ثُمَّ قَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ قَالُوا بَلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ قَالَ أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ قَالُوا وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ قَالَ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ وَعَائِلًا فَأَغْنَيْنَاكَ أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رِحَالِكُمْ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ قَالَ فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ وَقَالُوا رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَتَفَرَّقْنَا))

فلذلك هذا التعصب للذات ، تعصب للأسرة ، التعصب للعائلة ، التعصب للحي ، التعصب للمدينة ، أيها الأخوة :قال بعض العلماء : الإسلام كالهواء للإنسان لا يستطيع إنسان أن يحتكره ولا جماعة ولا طائفة ولا مذهب ولا قوم ولا شعب ولا قارة ولا عصر ولا مصر . الله ﷻ وزع المؤمنين الصادقين في كل مكان ،

ووزع الدعاة الصادقين في كل مكان توزيعاً زمنياً وجغرافياً . فلذلك : **ألم ترى إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء** ، دع ربك يزكيك ، دع ربك يرفع قدرك ، دع ربك يعلي شأنك دع الناس يتحدثوا عنك ، لا تتحدث عن نفسك ، هذا يضعف مكانتك هذا يجعلك مخالفاً لأمر الله عزّ وجل لا تزكي نفسك في آية أخرى :

﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (32) ﴾

(سورة النجم : من الآية 32)

أما أجمل ما في الآية : **ولا يظلمون فتيلاً** . يعني إذا أنت سكتت ، الناس يعرفون الحقائق والله هو الذي يحق الحق ويبطل الباطل .

الشيء الثاني أيها الأخوة :

﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً (58)** ﴾

إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها : والحقيقة أن الأمانات جاءت بالجمع كل إنسان في عمله يوجد أمانة بعنقه ، فلو كنت محامياً وجاءك موكل قضية هذا الموكل أمانة في عنقك يجب أن تؤديها حق الأداء ، أنت طبيب جاءك مريض المريض أمانة في عنقك ينبغي أن تعتني به حق العناية ، أنت تاجر جاءك الشاري يجب أن تعطيه البضاعة الجيدة بالسعر المعتدل ، أنت مهندس جاءك من يستشيرك يجب أن تشير عليه بما ينفعه ... فكل إنسان أولاده أمانة ، زوجته أمانة ، حرفته أمانة ينبغي أن يتقنها ، زبائنه أمانة ...فالحقيقة الأمانة لها مفهوم واسع جداً . تجد الإنسان لو قصّر في نصح الآخرين لو قصّر في إسداء النصح إليهم لو لم يتقن عمله لو سوّفَ في إنجاز عمله يكون قد خان الأمانة :**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** .

الآية الثانية :

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (59)** ﴾

يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله – لا يوجد إشكال ، فيما جاءكم في كلامه، هذا القرآن الكريم كلام الله إذا قلنا أطيعوا الله يعني نفذوا ما في القرآن – **وأطيعوا الرسول** – نفذوا ما في السنة النبوية– **وأولي الأمر منكم :** من هم أولي الأمر ..؟.. الإمام الشافعي يقول أولي الأمر هم الأمراء الذين ينفذون أمر الله وهم العلماء الذين .

يعرفون أمر الله ، الأمراء والعلماء ، العلماء يعرفون أمر الله والأمراء ينفذون أمر الله: ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق **وأولي الأمر منكم :** أي من جنسكم ، من دينكم ، من ورعكم ، من استقامتكم ، من التزامكم، **فإن تنازعتم في شيء** .. المنازعة مع من ..؟.. الشيء المنطقي أن المنازعة مع أولي الأمر .. يعني هذا العالم جاء بشيء لم يرد في القرآن أو لم يرد في السنة فإن تنازعتم في شيء .. فلان تكلم في القضاء والقدر كلام غير معقول ، فلان تكلم في الشفاعة كلام غير معقول ، فلان أوّلَ هذه الآية تأويل غير معقول ، فلان أباح للناس شيئاً محرم في الإسلام ، لو إنسان أباح الربا .. مفتي أفتى بالربا مثلاً قال أن إيداع المال في المصارف أمانة والفائدة مكافئة مثلاً ... فلو أنه إنسان جاء بشيء ما جاء به القرآن تنازعت مع هذا الإنسان .. ما المرجع .؟.. المؤمن له مرجع قال : **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول :** إن تنازعنا فيما بيننا مرجعنا كتاب الله وفهمنا لكتاب الله متوقف على فهمنا لأصول الفقه . النص القرآني له أصول يفهم بها في مطلق في مقيد في عام في خاص في قيد في دلالة في دلالة ظنية دلالة قطعية هذا علم الأصول من أرقى العلوم : **فإن تنازعتم في شيئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الأخر ذلك خير وأحسن تأويلاً** .. معناها نحن لنا مرجع ، مرجعنا كتاب الله .

أمير أمر أصحابه في عهد النبي أن يقتحموا النار راجعوا أنفسهم قال: إنما آمنا بالله فراراً منها فلما عرضوا الأمر على النبي قال والله لو اقتحمتموها لازلتم فيها إلى يوم القيامة إنما الطاعة في معروف إذاً: أجمل ما في حياة المؤمن .. المرجعية في مرجع له .. كتاب الله وسنة رسوله ما إن تمسكتم بهما فلن تضلوا بعدي أبداً .

في شيء دقيق جداً عن رسول الله ، يقول الله عزّ وجل :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً (64) ﴾

يعني الإنسان حينما لا يعبأ بسنة النبي عليه الصلاة والسلام هذا موقف فيه جفاء ، فلو أنه تاب إلى الله ينبغي أن يصطلح أيضاً مع رسول الله لأن إعراضك عن سنته انتقاص من قدره، فالله لا يرضى عنك إلا إذا اصطلحت مع رسوله تكريماً لهذا النبي ، من هنا قال الله عزّ وجل: **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك** – جاءوك وأنت بين أظهرهم أو زاروا مقامك بعد موتك – **فاستغفروا الله** – الله هو الأصل – **واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً .**

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً (65) ﴾

الآن إذا اختلفنا لا سمح الله وعدنا إلى رسول الله إلى سنته هكذا قال النبي فالذي لا يرضى سنة النبي والله ليس مؤمناً . أحياناً الإنسان يكون ذكي ، له قضية مع شخص ، يشعر أن هذه القضية لا تحل في المحاكم القانون مع المستأجر لأنه ، يطرق باب العلماء .. حق شرعي أنا أريد الشرع ، أحياناً لا تحل في الشرع تحل في القانون .. نريد المحاكم .. تارة يريد المحاكم والقوانين وتارة يريد الشرع والأحكام التعبدية . قال : **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً.**

الآية الثالثة :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآَخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً (77) ﴾

سبحان الله ربنا عز وجل ينصحنا يقول قل يا محمد : **قل متاع الدنيا قليل** : هي كلها كم سنة ، الإنسان بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه ، **قل متاع الدنيا قليل** ، ألا نصدق الله عزّ وجل .. يقول هو قليل .. في رجل يعني ميسور الحال في البنايات في برنية أعلى طابق اشترى بلاطة بيتين مكسوين خالصين ، كسّر البلاط ، وقلع النوافذ هدم الجدران وكسى البيتين كسوة لا توصف لأناقتها وجمالها وبقي سنتين أو ثلاثة وهو يدير هذه الكسوة بعد أن انتهي البيت توفاه الله عز وجل . **قل متاع**

الدنيا قليل .

حدثني أخ يبيع مفروشات قال لي جاءني شخص موسوس يريد غرفة نوم، أراد أن يشتري الخشب أولاً ، قال لي اشتراه وأبقاه سنتين حتى نشف ، ثم بقي 6 ، 7 أشهر بالكاتالوكات حتى اختار غرفة نوم يمكن أجمل غرفة بكل شيء ، وبدأ يتابع بالموضوع قال لي مرة انبطح تحت التخت ليشاهد إذا كان هناك عقدة في الداخل وبعد انتهائها بسنتين بقيت كم شهر بالمسكات ، انتهت لم يستلمها ، يدهن الغرفة ست وجوه يدهنها، فالنتيجة قال لي ضقت ذرعاً بهذه الغرفة وصار عليها طلب كثير، جميلة جداً اتصلت بالجماعة وقلت أنه معك ليوم الخميس إذا لم تأخذها سأبيعها جاء الخميس وإتصلت فسمعت ضجيج بالمنزل جاءت امرأة فقالت له مات أعطاك عمره . **قل متاع الدنيا قليل** : قليل . كم من عروس زينونها لزوجها ماتت ليلة العمر ، كم من أناس يرتجى طول عمرهم ، يعني الإنسان قد يأخذ شهادة لا يتعين ، قد يعقد عقد لا يدخل ، قد يسافر لا يرجع ، قد يوظف لا يداوم ، قد يتزوج لاينتهي زواجه ، فلذلك **قل متاع الدنيا قليل:** هذا الذي يضع كل البيض في سلة واحدة غلطان ، هذا الذي يضع كل أمله في الدنيا مغامر ومقامر ، دع للآخرة شيئاً : **قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً** : أينما تكون في أية مكانة أنت وفي أي مكان :

أنت لا تأمن الموت في طرف ولا نفس ... وإن تمتعت بالحجاب والحرس

فما تزال بوقاف ولا حذر كالحاطب ... الحاذق الأعواد في الغرس

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبس

قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن إتقى ولا تظلمون فتيلاً ، أين ما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة .

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً (78) ﴾

أيها الأخوة : أعقل إنسان هو الذي يعمل لساعة لقائه مع الله ، هذه ساعة أكيدة لا يستطيع أحد إنكارها لكن الناس يتفاوتون في الاستعداد لها .. استعد لهذه الساعة بالتوبة ، استعد لهذه الساعة بالعمل الصالح استعد لهذه الساعة بالدعوة إلى الله ، استعد لهذه الساعة بخدمة الخلق .

الآن في نقطة بالعقيدة مهمة جداً يقول عزّ وجل : **وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً .**

من حيث الفعل كل من عند الله ، من حيث الكسب ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك . العمل له فعل وله كسب ، الكسب منك والفعل من الله .

يعني .. إذا كان طالب لم يدرس وقلنا لقد رسب بسبب كسله ، كلام صحيح ، لو قلنا إن الإدارة رسبته كلام صحيح ، إذا عزينا الرسوب إليه عزوناه إلى تقصيره إلى سبب الرسوب، وإذا عزوناه إلى الإدارة على السلطة التي نفذت هذا الرسوب . قضية سهلة جداً .. من حيث الفعل من الله ، من حيث الكسب من نفسك .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً (82) ﴾

أي كتاب غير كتاب الله لابد من أن نجد فيه التناقض ..**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً .**

يعني .. في أخ أرسل لي ورقة البارحة قال لي صباحاً قلت : المعركة بين الحق والباطل مستمرة أو بالعكس، قال لي مساءً قلت : المعركة بين حقين لا تقوم ، وبين حق وباطل لا تدوم، وبين باطلين لا تنتهي . فكيف نجمع بينهما .. هو الجواب صحيح ... في حرب بارة ، وحرب حارة ، الباردة مستمرة ، أما الحارة إذا في مواجهة بين باطلين لا تنتهي، بين حق وباطل لا تدوم لأن الله مع الحق ، بين حقين لا تكون . هذا من حيث المواجهة ، أما من حيث العداوة والحسد والضغينة وتمني الإخفاق .. هذا شيء مستمر ...

على كلٍ أي إنسان معرض أن يتناقض مع نفسه .. أي إنسان .. لكنك لن تجد في كلام الله تناقضاً : **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً .**

والحمد لله رب العالمين

الدرس (10 - 59) : نعمة الإيجاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها الأخوة الكرام : في مطلع سورة الأنعام قوله تعالى :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (1) ﴾

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض : يعني .. خلق السماوات والأرض إجمالاً يُحمد الله عليه ... لذلك أكبر نعمة أنعم الله علينا أن خلقنا ، وأوجدنا ، بعد أن لم نكن شيئاً مذكوراً . أوضح هذا بمثل : أنشأت جامعة كبيرة لتخرج قادة للأمة ،أحد طلاب هذه الجامعة غش في الامتحان فحرم من تقديم الامتحان ست دورات ، فأصيب بأزمة نفسية ، فإذا قال هذا الطالب الغاش في الامتحان يا ليتهم لم ينشؤوا هذه الجامعة ... هل كلامه مقبول ..؟ ... الجامعة أنشأت لخير الأمة .. فإذا أخطأ طالب من طلابها وغش في الامتحان وحرم ست دورات لا يعني هذا أن الجامعة شر ....

إذا خرج عن منهج الله أكثر الناس ، تأتيهم مصائب .. شدائد .. يتمنون أن لم يخلقوا .. أو يقولون بشكل فاضح .. الله خلقنا ليعذبنا ... لا... **الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض** ، لأنه خلق السماوات والأرض يحمد على هذا العطاء الكبير . ***هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً***(سورة الإنسان: الآية 1) ، أكبر نعمة أنعمها الله عليك أنه أوجدك .. السؤال الثاني لماذا أوجدك.. ؟ .. ليرحمك ... ليسعدك ... أوجدك لجَنَّةٍ عرضها السماوات والأرض وبعث بك إلى الدنيا لتتأهل لدخول الجنة ولتدفع ثمن الجنة .. معرفة .. واستقامة .. وعملاً صالحاً .. فإذا الإنسان خرج عن منهج الله وأراد الله ان يؤدبه ليرده إلى منهجه ، يقول هذا الإنسان : يا ليتني مت قبل هذا ...ليت الله لم يخلقني ... ليته ما خلق الكون ... هذا كلام ما أنزل الله به من سلطان .

أما السيدة مريم حينما قالت :

﴿ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ﴾

(سورة مريم : من الآية 23)

لأنها امرأة عفيفة ، وشريفة ، وصديّقة ، وحملت من دون زوج . خافت العار قالت **ياليتني مت قبل هذا** . وضعها استثنائي هذا .

أما لا يتمنى أحدكم الموت ... هذا الذي ينتحر له النار ... لماذا ؟ لأنه رفض الوجود ... أوجده الله ليسعده ... فحينما أدبه رفض الوجود كله .... لكن عظمة هذا القرآن دقيقة جداً ، **الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور** : يعني .. خلق ونوّر .. خلق وبيّن .. خلق وأرشد .. خلق وعلّم .. لذلك الحمد لله على نعمة الإيجاد ... والحمد لله على نعمة الإرشاد ... أيام أنشئ طريق مهم جداً .. لكن بلا لوحات .. في منعطف خطر .. في جسر ضيق .. في منحدر زلق .. من دون لوحات ، تقع حوادث .. الطريق مهم جداً .. مفيد جداً .. لكن ليت الذين أنشئوا الطريق وضعوا اللافتات والإشارات واللوحات المضيئة لئلا تقع الحوادث .

فإنشاء الطريق نعمة كبيرة ... وإرشاد سالكي الطريق بلوحات مضيئة وواضحة وكبيرة هذه نعمة ثانية .

فربنا عزّ وجل خلق وبيّن ..خلق وأرشد .. خلق ونوّر .. الكون أمامكم .. وهذا هو التنوير .. كتاب الله : **خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور** : إن قرأت كتابه ألقى الله في قلبك نوراً ، إن فكرت في خلقه ألقى الله في قلبك نوراً . ومع كل هذا **ثم الذين كفروا بربهم يعدلون(1):** .. يعدلون عن الإيمان إلى الكفر..

لذلك ... واحد دخل على الحجاج . قال له : ما قولك في الحجاج ..؟ قال له : قاسط .. عادل .. فالحاضرون توهموا أنه يمدحه ، وكان ذكياً جداً .. قال أتعلمون ماذا قال لي ؟ قال لي : أنت كافر ظالم قالوا كيف ؟. قال :

﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً (15) ﴾

(سورة الجن : الآية 15)

القاسط هو الظالم . و**يعدلون** .. يعني عدلوا من الإيمان إلى الكفر .. قال له أنت قاسط عادل .. يعني: كافر ظالم . **ثم الذين كفروا بربهم يعدلون** .

النقطة الدقيقة .. هذا الوهم الذي عند الناس .. أن الله في السماء .. والأرض لها قواعدها ولها مراكز قواها . ولها أسيادها . وهو الذي في السماء إله . قال الله تعالى في سورة الأنعام :

﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (3) ﴾

وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم : واحد قاعد قال في نفسه سأذهب إلى بيت فلان وسأحاول أن ألتقط منه بعض العناوين التجارية كي أنافسه في عمله . سأجلس جانب الطاولة وسأقلب الأوراق فإذا ذهب ليأتيني بضيافة قلبت في أوراقه فلعلي آخذ بعض العناوين .. مثلاً .. ساكت

.. لا يعلم أحد بما خطر في باله ، هذا الخاطر يعلمه الله ، .. يحول بين المرء وقلبه ..

قال له واحد .. والله كنا بأمريكا وتزوجنا واحدة أمريكية ، الحمد لله عمرها 50 سنة ، الهدف أن نأخذ بيدها إلى الله ، قال له قل لا بسبب الإقامة .

من يعرف الحقيقة تزوجها بسن متأخر ، قال ليأخذ بيدها إلى الله وهو بحاجة ماسة إلى الإقامة . فالله وحده يعلم ماذا تريد ، ماذا تنوي ، عن أي شيء تبحث ... ،

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (5) ﴾

(سورة الأنعام)

سمعت بالقاهرة عن بناء أنذر سكانه بإخلائه فوراً لأنه خطر ... رفض سكان البناء أن يخرجوا منه ، يخرجون منه إلى أين ؟ لكن السلطات أجبرتهم على أن يغادروا البناء ، بعد أربع وعشرين ساعة بالضبط، وقع البناء ، رأيته بعيني ... انهار البناء ... إذاً .. في إنذار .. أما سقوط البناء هو نبأ هذا الإنذار .. يعني وقوع الإنذار . في إنذار ... وفي نبأ هذا الإنذار : **فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ماكانوا به يستهزئون .**

البطولة أن تعتقد شيء سيقع .. والخسارة الكبيرة أن تكذب بشيء سيقع .. كل الذكاء والعقل والتوفيق أن تؤمن بأشياء لابد من أن تقع والموت أحدها ... والحساب أحدها ... والخسارة الكبيرة والغفلة و الحمق أن تكذب بأشياء لابد من أن تقع .. كذبوا ... **فقد كذبوا بالحق لما جاءهم** .. هذه **سوف** : للتهديد ، **فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون .**

أحياناً الإنسان يستهزئ بشيء ثم يكون هذا الشيء الطامة الكبرى ، فالعاقل هو الذي يتأدب مع الوقائع ، يتأدب مع الحقائق ... وهناك أناس يعيشوا بالأوهام ...

إخواننا الكرام : ..في معرفة بديهية ما هو أكبر شيء تعرفه بديهةً .. بلا جهد .. بلا تردد .. بلا تريث .. بلا زمن .. أيام تشم رائحة .. ما نوعها ...؟... تفكر ... أيام تلتقي إنسان في الطريق .. يقول لك : عرفتني..؟.. تفكر .... أما لو وقعت عينك على ابنك .. كم ثانية تتردد لتعرفه ؟؟؟ ولا ثانية ... ولا ثانية... الزمن ملغى ... فانظر أيها الأخ الكريم ماذا يقول الله عزّ وجل قال في سورة الأنعام :

﴿الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (20) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآَيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (21) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (22) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا

﴿مُشْرِكِينَ (23) انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24) ﴾

الذين آتيناهم الكتاب يعرفون النبي **يعرفونه كما يعرفون أبناءهم** : ومع ذلك كذبوه .. فأنت علاقتك بالحق . علاقتك بمعرفة الحق .. كعلاقتك بأولادك .. تعرفهم بداهة .. تعرفهم فطرة .. تعرفهم عقلاً .. تعرفهم بمليون دليل .. ومع ذلك .. كذبوه . قال : **الذين آتيناهم الكتاب** يعرفون النبي **يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون(20)** ..

ومن أظلم .. من أظلم .. هذه من تفيد أنه استفهام إنكاري .ليس في الأرض كلها ، ليس في الخمسة آلاف مليون إنسان واحد أشد ظلماً **ممن افترى على الله كذباً** : اخترع النظريات ما أنزل الله بها من سلطان وهو يعلم وحده علم اليقين أنها غير صحيحة .

إنسان كان يعمل عتال على دابة فماتت الدابة ، فافتقر .. دفن هذه الدابة – هكذا القصة الرمزية – وأنشأ عليها بناء متواضع وعمل له قبة خضراء – وسماه شي اسم ولي – . والناس أقبلوا على هذا الولي يستشفعون به ويأتون بالهدايا .. فهذا الإنسان هو دفن الحمار بيده ... في واحد كذّبه كاد يقتله .." كفرت هذا ولي الولي فلاني " يعني من هو أشد معرفة بحقيقة هذا القبر ... الذي دفنه ... ومع ذلك .. يكذب.. ويفتري .. لأنه مرتزق .. المرتزق لا يناقش .. المنتفع لا يناقش .. الغبي لا يناقش .. القوي لا يناقش . قال:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآَيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (21) ﴾

يعني .. أنا أقول لك : أخطر شيء بالحياة ...أن تفتري شيئاً ما أنزل الله به من سلطان .. أن تؤلف كتاباً وتدعي أنك فهمت القرآن فهماً ما فهمه أحدٌ قبلك .. أبداً .. وأن تلغي الأحكام الشرعية كلها .. وأن تلغي الحدود والقيم بدعوى فهم معاصر للقرآن الكريم .. هذا افترى على الله كذباً .. أو كذب بآياته .. إما أن يكذب وإما أن يخلق الكذب قال هذا أظلم إنسان على وجه الأرض :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآَيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (21)﴾

وظلم النفس أشد أنواع الظلم ،

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (22) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (23) ﴾

قال **انظر كيف كذبوا على أنفسهم** ... يعني أنت علاقتك بالحق علاقة مصيرية ، علاقة فطرة، علاقة منطق ، علاقة واقع ، يعني أوضح مثل ... إنك مصمم لمعرفة الحق كما إنك مصمم لمعرفة ولدك .. ما في أقرب من ابنك .. لو كان بين مليون إنسان .. تعرفه .. فلان ... ما في أقرب إليك من ابنك .. إنك مصمم ومؤلف لمعرفة الحق كما إنك مصمم لمعرفة ابنك ، **يعرفونه كما يعرفون أبنائهم** فالذي يكذب بالحق ..

يكذب إما حسداً ، أو بغياً ، أو خوفاً على مصلحة راجحة عنده ، أو خوفاً على مكتسب مادي .. تكذيب موضوعي ما في .. **انظر كيف كذبوا على أنفسهم** ، **والله ربنا ما كنا مشركين** .

قال : **انظر كيف كذبوا على أنفسهم** ، فكل إنسان يكذب إما أنه يدافع عن شهواته أو عن مصالحه ، أو عن مكتسباته ، أو غيظاً ، أو حسداً ،أو عدواناً ، أو بغياً . غير ذلك لا يوجد تكذيب ..

أما لو إنسان تجرد من الحسد ، والبغي ، والعدوان ، والحفاظ على مصالحه ، ومكانته ، ومرتبته . إذا تجرد من هذه الدوافع الدنيوية ... لابد من أن يؤمن ...

سحرة فرعون .. لماذا جاء بهم فرعون .. ؟ .. ليدحضوا سيدنا موسى بمعجزته .. هم سحرة، يعرفون بأنهم يأتون بأنابيب يطلونها بألوان مشابهة للأفعى ، يضعون فيها زئبق .. يسخنون الأرض ، يتمدد الزئبق .. تتحرك الأفاعي .. أما حينما رأوا كلهم ثعباناً مبيناً حقيقة .. فسجد السحرة كلهم أجمعين لهذه المعجزة .

فالإنسان إذا تجرد عن حسده ، وعن بغيه ، وعن عدوانه ، وعن ظلمه ، وعن مكاسبه ، وعن مصالحه وعن مكانته ، إيمانه بالحق حتمي ... إنه يعرف الحق كما يعرف أولاده ... **يعرفونه كما يعرفون أبناءهم** . ... **ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته** ..

إما أن تخترع نظرية جديدة تلغي قواعد الدين .. أو أن تكذب بالدين .. تكذيب سلبي .. والاختراع إيجابي.. الكاذب هو أخسر الناس على الإطلاق يوم القيامة . قال :

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (26) ﴾

(من سورة الأنعام)

وهم ينهون عنه وينئون : ينهون عن هذا الدين وينئون عنه .. قال: **وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون(26)** .. يا ما الإنسان يندفع لإثبات شخصيته .. أو لإثبات ذاته .. يكذب الحق .. قال : هو يهلك نفسه وهو لا يشعر .

في نقطة دقيقة .. لما النبي عليه الصلاة والسلام .. أُمر أن يقول كما قال الله تعالى في سورة الأنعام :

قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15) مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (16) ﴾

النبي قال : **رأس الحكمة مخافة الله** ، فكل ما ازداد علمك بالله يزداد خوفك منه .. فأنت تخافه بقدر ما تعرفه .. الطبيب أحياناً يبالغ في غسل الفاكهة لأنه يعرف الجراثيم و الانتانات والأمراض السارية و المعدية والمشكلات الصحية لأنه يعرف مضاعفات التلوث .. يبالغ في غسل الفواكه كل طبيب بحسب اختصاصه.. يتقي عوامل المرض ..لأنه يعلم . لذلك .. تخاف الله بقدر علمك به فكلما ازدادت معرفتك به ازددت خوفاً منه وخوفاً على انقطاع الصلة بينك وبينه ...

فلذلك الأنبياء أشد الناس خوفاً من الله ... سمعت .. أو قرأت .. أن النبي اللهم صلي عليه انقطع عنه الوحي أسبوعين أو ثلاثة وقع في حيرة ,, قال لها يا عائشة : **لعلها تمرة أكلتها من تمر الصدقة** .. تمرة واحدة رآها على السرير فأكلها .. يعلمنا الورع .. يا عائشة : لعلها تمرة أكلتها من تمر الصدقة .

فيا أيها الأخوة .. إذا كان عليه الصلاة والسلام أشد خوفاً .. **قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم(15) من يصرف عنه يومئذ_ فقد رحمه وذلك الفوز المبين(16)** يعني .. الفوز الحقيقي .. لا في امتلاك أجمل بيت .. ولا في امتلاك أجمل مركبة .. ولا في امتلاك أرض جميلة .. ولا في تزوج امرأة بارعة الجمال .

الفوز الحقيقي أن تنجو من عذاب محقق لأهل الكفر: **من يصرف عنه يومئذ_ فقد رحمه وذلك الفوز المبين .**

فصار في عنا أربع أشياء . الشيء الأول : **الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض** : لا تقول يا ليتني لم أكن شيئاً مذكوراً ، لا تقل ليت الله لم يخلقنا ، .. لا ... يحمد على أنه خلقنا . لأنه خلقنا ليرحمنا ، فإذا في إنسان شذّ واستحق التأديب أو المعالجة .. هذا ليس مبرراً كي تتمنى أن لا يخلق الله الكون .

والشيء الثاني : معرفتك بالحق معرفة فطرية ، كما تعرف ابنك .. الطفل أحياناً يبكي .. عمره أيام .. فإذا وضعته أمه على صدرها سكت .... لو جاءت امرأة أخرى لا يسكت ، يعرف أمه وعمره أيام .. يعني أمتن معرفة وأسهل معرفة معرفة الابن لأمه والأم لولدها .

أنت مهيأ ومصمم لمعرفة الحق كما تعرف أولادك أو كما يعرف الأولاد أمهم وأباهم فإذا أنكرت فلسبب أرضي عدة أسباب : بغي ، حسد ، عدوان ، حفاظ على مكانة ، على شأن . هذا الذي يمنع من الهدى لو تخليت عن هذه العوامل لوجدت نفسك مع الحق مباشرة .

والحمد لله رب العالمين.

الدرس (11 - 59) : السماع من لوازمه الاستجابة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها الأخوة الكرام : الإنسان يستمع فيستجيب أو يعد عند الله ميتاً .... الحياة تعني أن تصغي السمع للحق فتستجيب لها وإن لم تكن كذلك فهذا الإنسان عند الله ميت ... الدليل كما ورد في سورة الأنعام :

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (36) ﴾

إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله : الموت أن لا تستمع ، أو أن تستمع ولا تستجيب . لكن الاستماع عند الله يعني الاستجابة .. علامة أنك مستمع مستجيب .. فإن لم تستجب فلست بمستمع. فربنا عزّ وجل يسمعنا الحق وهذه بشارة لكم جميعاً :

ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم

(سورة الأنفال : من الآية 23)

بمجرد أن الله أسمعنا الحق فهذا نوع من البشارة لنا : ***ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم*** : الآن السماع من لوازمه الاستجابة ... الله عزّ وجل يدعوك بالبيان ينبغي أن تستجيب .. إن لم تستجب .. سلك أسلوبا آخر . التأديب التربوي .. إن لم تتب .. هناك طريقة ثالثة .. الإكرام الاستدراجي .. إن لم تشكر .. القصم . كل واحد منا لابد من أن يكون في أحد هذه المراحل .. أكمل مرحلة أن تدعى بيانياً .. الكلام، الخطبة ، بدرس، بمجلس علم ، تسمع شريط ، تقرأ كتاب ، تلتقي مع إنسان بمجلس خاص ، بمجلس عام ... الحق نُقل إليك ينبغي أن تستجب .. فإن لم تستجب هناك تأديب تربوي ينبغي أن تتوب.. فإن لم تتب هناك إكرام استدراجي فإن لم تشكر هناك قصم .

إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله : فإن لم تستجب للحق الذي أسمعك الله إياه، هذا الإنسان عند الله من الموتى .

حينما فتحت القدس في عهد صلاح الدين الأيوبي ، وفي أول خطبة ألقيت من على منبر المسجد الأقصى وقد حضر هذه الخطبة صلاح الدين الأيوبي .. ماذا قال خطيب هذا المسجد .. بدأ خطبته بهذه الآية من سورة الأنعام :

﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (45) ﴾

ونرجو الله أن يعود هذا النصر ثانية.

آية ثالثة من سورة الأنعام :

﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ (55) ﴾

وكذلك نفصّل الآيات .. قال : **ولتستبين سبيل المجرمين(55)**. المجرم يسلك سبل ملتوية لكنه يزخرف القول ويصفها بأنها حضارة ، تقدم ، رقي ، علم ، حقوق إنسان يضفي على انحرافاته وميوله الدنيئة وأعماله الشنيعة يضفي كلاماً مزخرفاً . لكن الله سبحانه وتعالى لابد من أن يكشف الحقيقة فربنا عزّ وجل قال : **وكذلك نفصّل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين** .

يعني .. من نعم الله الكبرى أن هؤلاء الغربيين الذين يدعّون الحضارة والتقدم والرقي ويعرفون حقوق الحيوان وحقوق الإنسان .. بعد أن انفردوا بالقوة في العالم كشرّوا عن أنيابهم وظهروا للعالمين جميعاً .. وحوشاً .. فبانت سبيلهم المنحطة **وكذلك نفصّل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين** لماذا .. ؟ .. إن لم تكفر بالكفار لن تعرف الله .. مادام لك ظن حسن بالكفار .. أهل علم ، أهل حضارة ، أهل رقي ، أهل تقدم ، يعرفون حق الإنسان يعرفون حقوقهم الدقيقة إن كان ظنك بهم هكذا فالطريق إلى الله ليست سالكة. من هوي الكفرة حُشرَ معهم ولا ينفعه عمله شيئاً ، من أقام مع المشركين فقد برءت منه ذمة الله فربنا عزّ وجل يبين : **كي تستبين سبيل المجرمين** ، يعني أراد الله سبحانه وتعالى أن يذيقهم بعض الذي عملوه . قال : **ظهر الفساد في البر والبحر** – الفساد ليس من خلق الله – قال :

بما كسبت أيدي الناس .. ليذيقهم بعض الذي عملوا –

وكان من الممكن أن لا يذيقهم .. يفسدون وينحرفون ويسقطون في حمأة الرذيلة ولا يذيقهم بعض الذي عملوه . لكن شاءت حكمة الله أن يذيقهم بعض الذي عملوه .. لماذا .. ؟ .. قال –

﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41) ﴾

(سورة الروم : الآية 41)

رحمة الله بالكافرين أيضاً . فحينما تستبين سبيل المجرمين يبدو الإسلام شامخاً كالطود. الآن ما لذي حصل.. ؟ ... كل شيء وضعه البشر من مبادئ وعقائد وأساليب في الحياة سقطت في الوحل ولم يبقى إلا الإسلام .

نرجو الله سبحانه وتعالى أن تُرشد هذه الصحوة الإسلامية ترشيداً .. يعني .. يجعلها في مصاف الدعوات الكبرى .

إذاً : **وكذلك نفصّل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين** يعني .. أنت ما فيك تبني بناء .. إذا كان أخ مهندس . بيت متداعي ما في إمكان تبين فوقه بيت لابد من أن تهدم البيت وتنشئ بناء جديد في عادات ،في تقاليد، في مبادئ ، في قيم ، كلها منحرفة . هذه يجب أن يظهر للناس زيفها وانحرافها ، وخطؤها من أجل أن يظهر الإسلام شامخاً كالطود .

إذاً : لحكمة أرادها الله يبين : من أجل أن تستبين سبيل المجرمين .

يعني .. سمعت عن إنسان مشهور جداً في وسائل الإعلان .. في الإعلان عن الدخان .. هذا أصيب بمرض سرطان في الرئة وهو يموت قال : _" كنت أكذب عليكم الدخان قتلني " ... دائماً الله عزّ وجل من حكمته " يرخي الحبل " فالإنسان يتحرك ثم يشد الحبل فإذا هو في قبضة الله وعندئذ : تستبين سبيل المجرمين .

إخواننا الكرام :

في آية دقيقة .. الإنسان له في المجتمع درجة .. أحياناً بحسب دخله .. بمجتمع المال الإنسان يقيم بالمال بحجمه المالي ، بمجتمع العلم يقيم بشهاداته ، بمجتمع الانحطاط يقيم بانغماسه بالرذائل ، أحياناً يقيم بشكله، أيام يقيم بذكائه ، أيام بطلاقة لسانه ، أيام بعلاقاته ، أيام بارتباطاته ، أيام بجماعته ، هذا تقييم البشر . طيب ... عند الله كيف نُقيم .. ؟ .. قال تعالى في سورة الأنعام :

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (132) ﴾

ولكل درجات مما عملوا : أنت عند الله حجمك بحجم عملك الصالح وقد تقول أنا ضعيف .. أقول لك : العمل الصالح الذي قدره الله على يديك مكافئ لنواياك الطيبة ولطلبك الصادق . النوايا الطيبة سبب أن يقدر الله على يديك الأعمال الصالحة فإذا قدرها على يديك كان حجمك عند الله بحجم عملك الصالح ..

إلا إن هذا العمل مرتبط بنيته لقول النبي :

((سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ))

متى تزداد قيمة العمل .. ؟ .. قال إذا كان خالصاً لله . واحد ..

متى تزداد قيمة العمل .. ؟ .. قال إذا كان موافقاً للسنة . اثنين ..

متى تزداد قيمة العمل .. ؟ .. قال إذا .... عقبات أمامك كثيرة جداً وتخطيتها جميعاً .

متى تزداد قيمة العمل .. ؟ .. قال إذا كان هناك صوارف .. تصرفك عن ... في سهرة مغرية جداً ، في وليمة ، في عزيمة ، في لقاء ، في مجلس ، في يعني أشياء مبهجة ، تركتها وتوجهت إلى بيت الله إذا في صوارف تزداد قيمة العمل ، إذا في عقبات تزداد قيمة العمل ، إذا في إخلاص تزداد قيمة العمل إذا في موافقة للسنة تزداد قيمة العمل ، إذا في ... رقعة العمل واسعة ...إنسان الله عزّ وجل مكنه أن يهدي إنسان واحد .. جيد .. واحد إثنين .. واحد خمسة .. أما كل من في الأرض من المسلمين في صحيفة سيد المرسلين .

سيدنا عمر قال عن نفسه قال : ما أنا إلا حسنة من حسنات أبي بكر .

كلما ارتقت نفسك ، كلما أحببت الله ، كلما نويت الخير ، قدّر الله على يديك العمل العظيم .. ثلاثة .

أحياناً ... فضلاً عن أنك رقعة العمل تتسع أمده يمتد .... أيام تجد عالم كبير . ترك مؤلف . يعني طبع مئات الألوف واستفاد منه أجيال تلو أجيال هذا عمل عظيم .. صار في اتساع رقعة وامتداد أمد . الآن كلما أصبح العمل ذا تأثير أعمق كان عند الله أكثر قيمة .

في مقياس سادس أو سابع .. العمل إذا استمر بعد موت صاحبه هذا من أعظم الأعمال .. إنسان أسس معهد شرعي ومات هذا المعهد خرّج عشرات الخطباء ، عشرات المدرسين ، أسس ميتم ومات ، أسس مشروع خيري ومات ، سن سنة حسنة و توفاه الله ... أعظم الأعمال ما يستمر بعد موت صاحبه طبعاً بالمقابل .. وأسوأ الأعمال ما يستمر بعد موت صاحبه .. أسس ملهى ومات بعد أسبوعين من افتتاحه وكل المنكرات التي تقام فيه إلى يوم القيامة في صحيفة هذا الذي أسسه .

فالعمل يُقَيَّم بنيته ، بإخلاصه ، بموافقته للسنة ، باتساع رقعته ، بامتداد أمده ، بعمق تأثيره ، بكثرة الصوارف عنه ، بكثرة العقبات أمامه ، يقيم باستمراره بعد موت صاحبه .

قال عليه الصلاة والسلام : **ابتغوا الرفعة عند الله** ،الرفعة عند الله بالعمل الصالح . حينما سيدنا موسى سقى للمرأتين قال :

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24) ﴾

(سورة القصص : من الآية 24) .

كلما ازداد إيمانك ترى أن الفقر الحقيقي فقر العمل الصالح . ترون بأعينكم .. الذي ساكن ببيت 100 مليون وجاء أجله ..أين يدفنوه بالباب الصغير . وازن بين 400 متر مكلّف 50 أو 100 مليون وقبر بباب الصغير . هذه الدنيا .

انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً

(سورة الإسراء : الآية 21)

أما بالآخرة الدرجة هناك دائمة وتعني أن الله يحبك ... أما الدرجة في الدنيا ليست دائمة ، مؤقتة .. مادام في نبض ... شيء معقد كثير .. إذا في كهرباء القلب منتظمة .. الأملاك لك .. صار في اضطراب بالنظم.. صار في خوارج انقباض .. صار في توقف مفاجئ " ما عد تملك شي " فجأة ..

يعني .. كل شيء تملكه مربوط بهذا النبض .. وقف .. عظّم الله أجركم .. خلص .. " ما عاد له خاتمه انتهى كل شيء " .

هذا معنى قوله عزّ وجل : **ولكل درجات مما عملوا** ، فلا يمنع عن هذه الآية ... اسأل نفسك هذا السؤال... ماذا قدمت من عمل .. ؟ .. هل أعطيت لله .. ؟ هل منعت لله ..؟ هل واليت في الله ..؟ هل عاديت في الله ..؟ هل طلبت العلم ..؟ هل منعت العلم ..؟ هل نصحت المسلمين ..؟ هل أتقنت عملك..؟ هل أحسنت إلى خلق الله ..؟ هل رعيت يتيم ..؟ هل رعيت أرملة ..؟ هل أمرت بالمعروف..؟ هل نهيت عن المنكر..؟ هل تركت أثر ..؟ أسست عمل ، أسست معهد ، أسست مستشفى ، أسست ميتم ، ألفت كتاب ، نشرت كتاب ، عاونت على إظهار الحق ، تبنيت إنسان طالب العلم ، أنفقت عليه حتى يصبح عالماً ، في صحيفتك ماذا فعلت .. ؟ .. **لكل درجات مما عملوا** .. **ابتغوا الرفعة عند الله.**

في شيء آخر .... الله ﷻ يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾

(سورة المائدة : من الآية 105)

لها معاني كثيرة :

يعني.. عليكم بمعنى الزموا أنفسكم ، طهروها ، زكوها ، عرفوها ، احملوها على طاعة الله ، إن لم تفعلوا هذا يضركم من ضل عندئذٍ .. . إن زكيتم أنفسكم وتعاهدتم قلوبكم عندئذٍ لا يضركم من ضل إذا اهتديتم .... هذا معنى من معاني هذه الآية .

لكن يوجد معنى آخر .. الإنسان حينما يرى أنه الفساد عمّ ، نقول له عليك نفسك .. عندئذٍ لا تعبأ بأحد.. اعبأ بنفسك وأهلك ومن حولك وعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة .

فيا أيها الأخوة : هذه بعض الآيات الذي ينبغي أن نقف عندها .. يعنـي القرآن الكريم مائدة وهو مائدة الرحمن ، والقرآن الكريم هو ربيع القلوب وهو الغنى الذي لا فقر بعده ،فالله ﷻ يلهمنا الصواب .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (12 - 59) : الهدى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها الأخوة الكرام : الآية الثامنة والسبعون بعد المائة من سورة الأعراف وهي قوله تعالى :

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (178) ﴾

تفيد هذه الآية أن الهدى وحده من عند الله وأن أي ثقافة ، أي إطلاع ، أي مبدأ ، بعيد عن منهج الله فهو ضلال بعينه . الهدى واحد والحق لا يتعدد ، والهدى هدى الله :

﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾

(سورة الأنعام : من الآية 71)

معنى ذلك أن الإنسان على أحد طريقين فإن لم يكن على أحدهما فهو على الأخر قطعاً والدليل :

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾

(سورة القصص : من الآية 50)

هناك طريقان اثنان لا ثالث لهما إما أن تكون مع الحق أو مع الهوى ، والهوى باطل . المحرك إما مبدأ أو مصلحة ، إما هدف نبيل أو شهوة ، إما حق وإما هوى ، في بالحياة ما يسمى با لاثنينية .. في حق وباطل، خير وشر، استقامة وانحراف ، إحسان وإساءة ، فلا يوجد حل وسط ، أن تكون بين بين ، إما أن تكون على الحق أو فأنت على الباطل قطعاً . ***قل إن هدى الله هو الهدى*** ، ما في بالأرض هدى ثاني ، ما في بالأرض حقين، مافي بالأرض وجهتين نظر صحيحتين ، الحق لا يتعدد والدليل : **وأن هذا صراطي مستقيماً** - بالمفرد - **فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله .. يخرجهم** - لم يقل من الأنوار .. لا- **قال من الظلمات إلى النور** .

يعني ... لو ذهبت في أطراف الأرض لوجدت أمماً تعبد آلهة من دون الله . في الهند يعبدون البقر ، في مكان آخر يعبدون الشمس ، في مكان ثالث يعبدون الشهوة ، في مكان رابع يعبدون بعض الحيوانات . ***قل إن هدى الله هو الهدى*** ، فإما أن تكون على ما هدانا الله أو على الباطل : **فإن لم يستجيبوا لك فإعلم أنما يتبعون أهواءهم** . الإنسان يلتقي أحيانا مع مثقف عالي الثقافة .. يراه غير ملتزم بشيء .. لكن متكلم بارع ، يقرأ كثيراً ، ويتحدث كثيراً، إياك أن تظن أن هذا الإنسان على سعة إطلاعه وعلى وفرة معلوماته وعلى طلاقة لسانه على حق .. إن لم يعرف ربه ، إن لم يعرف منهج ربه ، فهو على الباطل ، لأنه الإنسان حينما ينقطع عن الله أو حينما يؤثر الشهوة ، لا أقول يفاجئ يجد معه جهاز بارع جداً،

جهاز معجز هو العقل ،

فهذا العقل يستخدمه استخداما لغير ما صنع له ، يعني إنسان وجد معه آلة تصوير ملونة .. غالية كثير.. خطر بباله فكرة أن يستخدمها لتزوير العملة ، ونجح بعض الوقت ثم كشف أمره وألقي القبض عليه وأودع في السجن ، هو استخدم أعلى آلة مصنوعة حتى الآن إلا أنه استخدمها لغير ما صنعت له، إذا في عندك رسم ملون أردت أن تأخذ عنه صورة هذه الآلة تفيدك بهذا الشيء أما أن تستخدمها للتزوير.. فالإنسان يستخدم عقله للباطل ، يغطي به باطله ، يغطي به شهواته ، يبرر به انحرافه ، فمثل هذا الإنسان لا تغتر به. قال :

﴿ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾

(سورة المنافقون : من الآية 4)

كلامهم مسموع ، منطق ، يعني يبدأ من خطأ لكن بعدين في تماسك كلام مزخرف .

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً ﴾

(سورة الأنعام : من الآية 112)

في كلام مزخرف ، في كلام مرن ، في كلام رنان يملأ الأذن . الحق لا يتعدد إما أن تكون على الحق أو أنت على الباطل قطعاً . **من يهدِ الله فهو المهتدي** .. ***قل إن هدى الله هو الهدى*** .

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (179) ﴾

(سورة الأعراف)

كالأنعام : يعني كائن همه الأكل والشرب همه الشهوة ، همه المتعة .. واضحة .. أما مامعنى قول الله عزّ وجل : **بل هم أضل** : الأنعام ليست مكلّفة ، والأنعام لم تؤتَ العقل ، ليست مكلّفة ولم تؤتَ العقل ، الآن أحياناً شباك الصيادين في البحار عبارة عن جدار لو أن للسمكة عقل لا تقع في الصيد تعود للوراء وتلف على الشبكة لكن السمكة لا تستطيع أن تحتال . لم تؤتَ العقل يكفي أن تضع جدار خلص وقعت في الشبكة، أما لو رجعت وسارت يمنة أو يسرة لنجت من الصيد . فالحيوان لم يؤتَ العقل ولم يكلّف . الإنسان إذا سار مع شهوته كالحيوان هو أضل من الحيوان لأنه معه جهاز .. لم يستخدمه .

في شيء ثاني مهم جداً .. الإنسان لو استخدم عقله لمصالحه ونجح .. هذا النجاح مؤقت أما أن ينجح إلى مالا نهاية هذا يتناقض مع عدالة الله ومع وجوده .

قال :

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (182) ﴾

(سورة الأعراف)

الله قد استدرج فرعون .. وجد فئة قلة مضطهدة مضعفة

﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (55) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (56) ﴾

(سورة الشعراء : الآيات 54-55-56)

﴿ فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (60) ﴾

(سورة الشعراء : الآية 60)

قال أصحاب موسى إنا لمدركون ، قال كلا إن معي ربي سيهدينِ

شق البحر ودخل فيه موسى وأصحابه وخرج من البحر تبعه فرعون وهو في وسط البحر عاد البحر إلى ماكان عليه . هذا استدراج ... هذا الوضع الخاص جداً لو وسّعته الإنسان مهما كان ذكي ومع الله لا يوجد ذكي . لا ينفع حذر من قدر ، يؤتى الحذر من مأمنه ، فالإنسان إذا كان ذكي أو عاقل ، ذكي أقول يستدرج. يستدرج إلى ركوب سفينة تلوح له تجارة رابحة والطريق الوحيد سفينة وهو في البحر يهيج البحر فتصبح هذه السفينة كريشة في مهب الريح . الإنسان يستدرج بالتجارة تلوح له صفقة رابحة جداً يشتريها يتساهل في بعض الشروط تكون سبب إفلاسه .. الصفقة نفسها ... فمع الله لا يوجد ذكي .

قال : **والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون** ،

مهما أخذ احتياط ، مهما بالغت في أخذ الحيطة ، الإنسان يستدرج من حيث لا يعلم، لا ينفعه حذر من قدر ، لا ينفع أن تغطي كل احتمال ، لا ينفعك أن تأخذ بالأسباب وأنت معتمد عليها ، عندئذٍ يخيب الله ظن هذا الإنسان ، فالإنسان يستدرج .

أحياناً ... يعني .. أعرف شخص استدرج لإصلاح قطعة كهربائية في بيته وكانت سبب موته وهلاكه وهو في أوج نشاطه وفي أوج جبروته وقف على كرسي وقع .. دخل إحدى قوائم الكرسي في مقعده فقضى نحبه في أيام معدودات وهو يملك مئات الملايين . الإنسان يستدرج . ل اينفع حذر من قدر . قال :

﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (183) ﴾

(سورة الأعراف)

المتانة صفة في المادة تقاوم قوى الشد ، و القساوة صفة في المادة تقاوم قوى الضغط . الألماس صلب قاسي والفولاذ متين . فالله شبّه كيده بأنه متين . الإنسان مربوط بحبل ربط محكم فمهما تحرك بثانية واحدة يصبح في قبضة الله عزّ وجل . تقريباً مثل دابة مربوطة بحبل والحبل طويل ، هي متوهمة أنها حرة طليقة لكن في حدود تقف عندها حينما تتجاوز منطقة تساوي طول الحبل ، الحبل يشدها ، والذي بيده الحبل في أية لحظة يسحبها إليه ، **وأملي لهم إن كيدي متين** .

لذلك .. إذا رأيت الله يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره ، لأنه صار في كيد . من هذه الأدعية اقسم لنا من خشيتك ، ما تحول لنا بيننا وبين معصيتك ، اكفنا بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك ، لا تؤمنا مكرك و لا تهتك عنا ذكر ولا تنسنا ذكرك .

كل واحد ماشي غلط ، دخله غلط ، بيته غلط ، حياته المادية غلط ، في معاصي ، مربوط وفي أية لحظة يشد الحبل فإذا هو في العقاب الأليم هذه: **وأملي لهم إن كيدي متين** . يعني .. الله يجعل العطاء عطاء وليس إملاء . الكافر يملى له إملاء .. صح عملت التحاليل، ما فيك شيء، يجوز بحادث يُدمر ، بحادث يصير مشلول ، أيام يملى ، يعطيه الله قوة ، صحة، أيام وسامة ، أيام شأن كبير ، لكن كله مبيني على معصية ،

﴿أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾

(سورة التوبة : من الآية 109) .

الآية الدقيقة :

﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (185) ﴾

(سورة الأعراف)

يعني ... إذا ما آمنت بالكون ، إذا لم تؤمن بملكوت السماوات والأرض ، وأن هذا الكون يدل على الله وأنه يظهر أسماء الله الحسنى ، إن لم تؤمن بالطريقة التي رسمها الله ، فكيف تؤمن ..؟.. يعني .. إذا واحد لم يقرأ ولم يذاكر ولم يحضر محاضرات وهو هدفه النجاح نقول له كيف تنجح ... نجاحك مستحيل إن لم تدرس إن لم تذاكر إن لم تحضر المحاضرات إن لم تشتري الكتاب كيف تنجح ..؟..

النقطة هنا : **فبأي حديث بعده يؤمنون** . يعني ... إن لم تؤمن بملكوت السماوات والأرض وإن لم تؤمن بحتمية الموت لا يوجد طريق ثاني للإيمان ، هو الطريق الوحيد .

في نقطة مهمة .. دائماً في مبادئ وفي أشخاص وفي علاقة عكسية بينهما، فكلما كبر المبدأ صغر الأشخاص ، وكلما كبر الأشخاص صغر المبدأ ، لو فرضنا أنه هناك جماعة ضالة كالذين يعبدون البقر مثلاً أو يعبدون الشمس ، تجد في مثل هذه المبادئ الأشخاص كبار جداً يعني كلمته هي النافذة ، رأيه تشريع ، رغبته مبدأ ، المبادئ صغيرة ، الأفكار تافهة ، ضحلة قليلة . يقابلها شخص هو كل شيء .

أما بالعكس لو أن المبدأ كبير جداً الشخص يبدو صغير . طيب من هو الشخص .. سيد المرسلين يقول:

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَراً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (188) ﴾

(سورة الأعراف)

أرأيت إلى هذا التواضع ... **قل** لهم يا محمد : **لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لإستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون .**

طيب أنا سمعت قصة أنه مريد عند شيخ ، توفي هذا المريد ودفن وجاء الملكان لحسابه ، فهذان الملكان تلقيا ضربة من شيخه أخرجاه من القبر قال لهم الشيخ أمثل هذا يسأل . انظروا لكلام النبي عليه الصلاة والسلام: قل لا أملك لنفسي لا نفعاً ولا ضراً ، أما ممكن شيخ يقول لك أنه هذا مريد عندي لا أحد يجرؤ على سؤاله . كلام فارغ هذا ... الإنسان عندما يكون مبدأه عظيم الشخص يصبح صغيراً .

يقول النبي الكريم :

((عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا))

يعني لو استطعت أن تنتزع من فم النبي حكماً لصالحك ولم تكن على حق ... لا تنجو من عذاب الله .

في ظل المبادئ الكبيرة ، الأشخاص أمام هذا المبدأ ضعاف مفتقرون إلى الله عزّ وجل ، فنحن عندنا قاعدة ، أية فرقة ضالة الشخص يكبر جداً على حساب المبدأ والنصوص لا أصل لها ضعيفة .

والشيء الثالث هناك تخفيف في التكاليف .. ادرس ... الجماعات الضالة عبر التاريخ الإسلامي يجمعها أشياء ثلاثة .

أولاً : رأس هذه الجماعة أكبر من مبدأها . فكلامه تشريعي ما يحل هو الحلال ، ما يحرم هو الحرام ، ما يقر هو الواقع .

الشيء الثاني : على حساب التكاليف .. هذه انتم معفون منها ، وهذه أنتم معفون منها ، وهذه أنتم معفون منها .

الشيء الثالث : الأسس النصية ضعيفة أو موضوعة .

ثلاث قواسم مشتركة تجمع كل الفرق الضالة .. الشخص أكبر من المبدأ أما بالإسلام : المبدأ أكبر من الشخص مع أنه النبي عليه الصلاة والسلام. **قل لا أملك لنفسي نفعاً ولاضراً إلا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون .**

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آَتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (189) ﴾

(سورة الأعراف)

هو الذي خلقكم من نفس واحدة .. يعني كلما سافرت وجدت الإنسان هو الإنسان في أي مكان وزمان .. الخصائص واحدة ، محبة الأم لابنها أينما ذهبت في العالم اذهب إلى قبائل متوحشة اذهب إلى قارات بدائية اذهب إلى القطب إلى الجنوب إلى الشمال إلى الشرق إلى الغرب دول متحضرة ، متخلفة ، ذات ثقافة عالية، ثقافة متدنية ... الأم هي الأم ، والأب هو الأب ، والمرأة هي المرأة ، الحاجات هي الحاجات . **هو الذي خلقكم من نفس واحدة** : من خصائص واحدة ، من جِبلة واحدة من طبيعة واحدة ، من فطرة واحدة .

يعني .. سألوا امرأة تعمل في الفن .. ما شعورك وأنت على خشبة المسرح قالت : شعور الخزي والعار .

وهذا شعور كل امرأة تعرض مفاتنها على الجمهور ، إن الحب يجب أن يبقى بين الزوجين وفي غرف مغلّقة، الفطرة واحدة .. إنسانة تعمل في كل أنواع المباذل الرخيصة وهذا إحساسها وهذا شعورها . **هو الذي خلقكم من نفس واحدة** . فأينما ذهبت وأينما حللت الإنسان هو الإنسان الأم هي الأم ، الأب هو الأب ، العلاقات هي العلاقات . في عنا أسماء نحنا فقط : **إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان**

(سورة النجم : من الآية 23) .

أيام تتجاوز الحدود من بلد إلى بلد تجد هناك تغييرات أما الإنسان هو الإنسان لا يختلف الإنسان .

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (200) ﴾

(سورة الأعراف)

الشيطان ليس له عليك من سلطان ومع ذلك تستطيع أن تبعده عنك أو أن تحرقه بكلمة واحدة هي الاستعاذة بالله إلا أن العلماء اشترطوا لها القلب الخاشع والقلب الحاضر .

وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فإستعذ بالله إنه سميع عليم : فكلما ألمت بك الوساوس لا سمح الله أو شعرت أنه قريب منك استعذ بالله . هذا أمر إلهي وهذا توجيه إلهي وهذا حكم الله عزّ وجل في الشيطان.

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾

(سورة الحجر : من الآية 42)

لأنهم يستعيذون بي، والاستعاذة بالله تذهب الشيطان أينما حل وأينما كان .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (13 - 59) : الإيمان والهجرة

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام: في سورة الأنفال آية مهمة جداً بل إن على فهمها وتطبيقها تنعقد الآمال، يقول الله عزّ وجل :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (72) ﴾

(سورة الأنفال)

آمن وهاجر:.. أخذ موقف عملي، ترك وانضم، تبرأ ووالى، يوجد في العقيدة بحث اسمه البراء وبحث اسمه الولاء. لابد من أن تتبرأ من الكفر وأهله ولابد من أن توالي المؤمنين. إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم: بذل ماله في سبيل الحق. ذكرت اليوم في الخطبة أن هناك فقر القدر وهناك فقر الكسل وهناك فقر الإنفاق. الذي يجاهد بماله يذهب ماله بين يديه لكنه ادخره عند الله عزّ وجل، قال واللهِ إني أحبك يا رسول الله، قال انظر ما تقول، قال واللهِ إني أحبك، قال انظر ما تقول ، قال واللهِ إني أحبك، فقال عليه الصلاة والسلام إن كنت صادقاً فيما تقول للفقر أقرب إليك من شرك _ نعليك. المؤمن ينفق من ماله لا يخزّنه، لا يجمعّه .

إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا.

المؤمن بين المؤمنين كأنه في أهله، أحياناً يأتي أخٌ كريم طالب علم من أفريقيا من تركيا من الصين يعني بعض الناس سامحهم الله يقول الطلاب الأجانب.. هذا منّا ونحن منه وهو بين أهله ولا فرق بيننا وبينه أبداً.

إنما المؤمنون أخوة، يجب أن تشعر بهذا الانتماء .والذين آمنوا والذين أووا ونصروا بعضهم أولياء بعض. يتعاونون، يتناصحون، يتزاورون، يتبادلون، يتجالسون، يؤيد بعضهم بعضاً، يدافع بعضهم عن بعض، كتلة واحدة، هذا الإيمان.. العلم لم يكحّل عينيه بمجتمع مؤمن يكون حجة له .الإسلام في العالم فكر، ثقافة، لكن العالم لا يجد مجتمع إسلامي مطبق حتى نقطف الثمار، المجتمعات الإسلامية ذات الأطر الإسلامية ليست كما ينبغي أن تكون والذين يذهبون إلى بلاد الغرب لا يمثلون الإسلام خير تمثيل .

إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض: نريد إسلام عملي، نريد تطبيق عملي، نريد على مستوى هذا المسجد أن نعيش هذا الإسلام، أن نتعاون، أن نتناصر، أن نتناصح، أن نتحابب، أن نتزاور، أن نتبادل، والذين آمنوا ولم يهاجروا: الآن موضة جديدة يقول لك أنا إيماني في قلبي، لكن غير مطبق شيئ من الإيمان. إيماني في قلبي، كلام فارغ... ما إن يستقر الإيمان في القلب حتى يعلن عن ذاته بحركة... حركة... منع، عطاء، ولاء، براء، وصل، قطع، غضب، رضا، إنفاق، إمساك، لابد من حركة، ما في حركة ..ما في إيمان. الطبيب..

يضع يده على الشريان عجيب لا يوجد نبض.. يأتي بمرآة يضعها على أنفه ما في بخار ماء، يأتي بمصباح يضعه في عينه لا تضيق الحدقة.... منته هذا.. إذا ما في حركة إطلاقاً منته.. لا يتصدّق، ولا يحضر مجلس علم، ولا يعاون، ولا يقدّم شيء، لكن ثقافته إسلامية ومشاعره إسلامية، جالس في منزله ولايقدّم شيئ إطلاقاً .

والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيئ حتى يهاجروا: هذا ليس منكم.. هذا انتماء فكري لا يقدّم ولا يؤّخر .الانتماء الحقيقي انتماء سلوك، الانتماء الحقيقي انتماء ولاء، الانتماء الحقيقي انتماء براء الانتماء الحقيقي عطاء، الانتماء الحقيقي حب، الانتماء الحقيقي بذل. والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا. في الآية التي بعدها:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (73)﴾

(سورة الأنفال)

والذين كفروا: هذا شيء غريب.. والذين كفروا بعضهم أولياء بعض: يتعاونوا لإزهاق الحق، يتعاونوا لإيقاع الأذى بالمسلمين، يتعاونوا لإفطار المسلمين، يتعاونوا لأن أن يتغلبوا على المسلمين، يتعاونوا للتفريق بين المسلمين، يتعاونوا على كل شر، يتعاونوا أعلى درجة من التعاون، والذين كفروا بعضهم أولياء بعض. أما الآية الدقيقة كلها في حرف واحد: إلا تفعلوه : العلماء قالوا هذا الحرف هو الهاء، إلا تفعلوه: هذه الهاء تعود على الآية السابقة بأكملها ...

يعني.. إذا ما آمنتم وهاجرتم وجاهدتم بأموالكم وأنفسكم وإذا لم تؤووا ولم تنصروا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير .في معركة قديمة وإلى الأبد بين الحق والباطل وهذه سنة الله في الخلق. فأهل الحق إن لم يتعاونوا طوقهم الباطل، إن لم ينموا الحق نما الباطل وضيّق على الحق فقضية مصيرية يعبّر عنها.

الأجانب: نكون أو لا نكون... نكون أو لا نكون. نكون بالتعاون، نكون بالتناصح، نكون بالتباذل، أن يبذل بعضنا لبعض شيء جميل جداً ويرفع المعنويات جميعاً أن نجد المجتمع الإسلامي متعاون، وشيء مؤلم جداً أن نجد الانتماء فردي.. كل ينتمي إلى ذاته وإلى مصالحه وإلى بيته وإلى أولاده ولا يعبأ بأحد... يعني إنسان مثلاً: لا يهمه أمر 100 ألف شاب لا يجدون غرفة يقطنون فيها، ولا زوجة يسكنون إليها، وممكن أن تقام حفلة بـ 60 مليون. هذا يتناسب مع مجتمع إسلامي، يتناسب مع مجتمع متعاون، بذخ إلى درجة غير معقولة، إسراف وبذخ وإنفاق المال على أهداف رخيصة والأساسيات عند بعض الناس غير موجودة .

هذا يدعو إلى التعاون. لذلك قال ربنا:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾

(سورة المائدة: من الآية 2)

فإلاتفعلوه: يجب أن نؤمن وأن نهاجر وأن نجاهد بأموالنا وأنفسنا وأن نؤوي إخوتنا الكرام وأن ننصرهم حتى نستحق أن لا تكون فتنة في الأرض وفساد كبير .

أيها الأخوة يفهم بعض المسلمين أن يأخذ موقف معادي من غير المسلمين بلا سبب وبلا مبرر وبلا منطق وبلا حجة.. لأنه غير مسلم هو يعاديه هذا لم يقرأ القرآن.. استمعوا قال :

﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (4) ﴾

(سورة التوبة)

...آية بعدها:

﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (7)﴾

(سورة التوبة)

فما إستقاموا لكم فإستقيموا لهم: فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم، إن الله يحب المتقين.

يعني إنسان غير مسلم لكن لم يسيئ إليك ولم يتآمر عليك ولم ينقض عهدك واستقام في معاملتك.. أنت ينبغي أن تكون مثل أعلى في الاستقامة له، مثل أعلى في الوفاء له، مثل أعلى في إنجاز وعدك له، مثل أعلى في وفاء عهدك إليه، هذا المؤمن... بهذه الطريقة يميل الناس إلى الإسلام. حتى إن الله عزّ وجل يقول :

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ **(6)**﴾

(سورة التوبة)

...أجره وعاونه وأسمعه كلام الله.. هذا الذي عليك تكون قد أديت الذي عليك. ثم إنه المشكلة أنه إذا المؤمن عادى غير المؤمن هذا عِداء عقائدي يزول في لمحة. سيدنا عِكرمة.. من عِكرمة ؟ ابن أبي جهل ماذا قال عنه النبي ؟ قال اقتلوه ولو تعلّق بأستار الكعبة لأنه أمضى عشرين عاماً في عِداء النبي، وفي هجائه، وفي التنكيل بأصحابه، كتلة شر. دخلت على النبي الكريم زوجة عِكرمة قالت يا رسول الله إن عِكرمة فرّ منك وهو يخاف أن تقتله فأمنّه أمنّك الله. قال هو آمن. ذهبت إليه وأبلغته أمن رسول الله، عاد معها .

الشيء الذي لا يصدق أنه حينما وصل إلى النبي قال عليه الصلاة والسلام :

رأتاكم عِكرمة مسلماً فإياكم أن تسبوا أباه فإن سبّ الميتِ يؤذي الحي ولايبلغ الميت. لما طرق الباب..قال كُتّاب السيرة قام النبي إليه أو وثبَ إليه ونسي أن يضع ردائه على كتفيه من شدة فرحه به. نحن مشكلتنا إذا إنسان يعادي الدين أن تكرهه كراهية شريفة، تكرهه لأنه يعادي الدين، فإذا اصطلح مع الله تحبه فوراً. فوراً ينتهي كل شيء. لذلك قال سيدنا عمر: دخل عمير على رسول الله والخنزير أحب إليّ منه وخرج من عنده وهو أحبُ إليّ من بعض أبنائي. لا يوجد عداء دائم أبداً.

قال:

﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآَتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ **(11)**﴾

(سورة التوبة)

فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين: انتهى الأمر، أخوة كاملة وصادقة .

الحقيقة أيضاً:هذه الآية دقيقة.. ليست كل الأعمال الصالحة في مستوى واحد، في أعمال صالحة لا تُكلِف شيئاً.. تكلّف فقط مال... أيام إنسان يكون في أعلى درجة من الغنى .

حدثني رجل.. أخ كريم في المسجد.. رجل كريم ميسور الحال وحجمه المالي كبير جداً، يعني أراد أن يبني لله مسجداّ، بحث عن أرض وجد أرض مناسبة جداً موقعها مناسب ومساحتها مناسبة بحث عن صاحبها ..

صاحب الأرض ورثها وهو يعمل آذن في مدرسة ولا يملك إلا راتبه الذي لا يكفيه إلا خمسة أيام في فقرٍ متقن. فاتفق معه على ثمنها والثمن كان معتدل 3.5 مليون. وقّع العقد عَمَلَ له شيك بمليونين وقال له أن الشرط أن تذهب معي إلى الأوقاف من أجل أن نسجّلها.. قال له لماذا الأوقاف. فقال له.. هذه مسجد... قال له أعطني الشيك أخذ منه الشيك ومزقه وقال أنا أتبرّع بها للمسجد. يقول هذا الإنسان الغني: يعني شعرت بصغار أمام هذا الفقير بشيء لا يوصف. أنا دفعت ثمنها.. لو فرضنا 100 مليون دفع 3.5 دفع جزءِ من ماله، أما هذا الفقير الذي لا يملك من الدنيا إلا هذه الأرض استحيا من الله أن يأخذ ثمنها وهي لبيت من بيوت الله، أخذ الشيك ومزّقه، أحد إخواننا الكرام هو الذي يشرف على بناء المسجد يعني اقترح أن يعينه ناطور بأربعة آلاف.. لم يرضى.. المبلغ كبير.. يا أخي هذه أجرة الناطور . فالإنسان أيام يقدّم شيء.. هو عند الله كجبل أحد. فربّ درهم سبق ألف درهم. يقول الله عزّ وجل:

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (19)﴾

(سورة التوبة)

يعني ممكن أن تكون ببحبوحة كبيرة جداً وتعمل عمل يكلّفك واحد بالألف من مال الله، ووجاهة وحفلة تكريم وثناء وخُطباء يلقون كلمات... يعني قال لي أحد الأخوان الكرام... شخص تبرع في بلد إسلامي 300 مليون دولار لمشروع خيري. أحبّ أن يتعرّف عليه، فوجده جالس في تطامن بأدب، بخضوع. الإنسان أيام يتبرّع هو متواضع لله عزّ وجل، الإنسان يدفع أيام مبلغ بسيط.. يريد رخامة شرط رخامة وتوضع باسمه ...

أجعلتم سقاية الحاج وعِمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لايستوون عند الله والله لايهدي القوم الظالمين.

قبل آخر آية:..

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (36)﴾

(سورة التوبة)

إن عدة الشهور عن الله إثنا عشرة شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حُرم: لو طبّقت البشرية هذا النظام.. أيّ معركة يجب أن تقف في هذه الأشهر، إذا وقفت المعركة ذاق الناس طعم السِلم فارتاحوا له ربما أدت هذه الهدنة التي هي أمر إلهي إلى الوِفاق .أما الآن 8 سنوات معركة بين دولتين.. راح مليون قتيل، لو طبّقوا هذه الآية أوقفوا القِتال في هذه الأشهر صار في ميل للسِلم أما الدم يدفع إلى المزيد من إرهاق الدم لأن الله هو الخبير قال لك: منها أربعة حُرم: في هذه الأشهر ينبغي أن يقف القتال فإذا وقف القتال لا في منهزم ولا في منتصر، وقف القتال تنفيذاً لأمر الله ذاق الناس طعم السِلم ارتاحوا قليلاً فكّروا بالوِفاق بدل العِداء هذا من حكمة الله عزّ وجل في هذه الأشهر الحرم . في نقطة دقيقة أنه الله عزّ وجل أمرنا أن نلتفت إليه أن نقبل عليه قال:

﴿ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (39)﴾

(سورة التوبة)

يعني.. الله يدعوك.. تتأبّى يعالجك، تصّر على ما أنت فيه يستبدل قوماً غيرك. يعني لا أحد يتدلل كثير على الله عزّ وجل. يدعينا ويؤدبنا ويكرمنا. فإذا الإنسان أصرّ على موقفه.. خذ الدنيا:

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44)﴾

(سورة الأنعام: الآية 44).

أريد أن أقول لكم أن موضوع حُنين وموضوع بدر هذان درسان لنا كل يوم.. دائماً في عملك في بيتك في قيادة مركبتك في تعاملك في شرائك في بيعك في تجارتك... قل أنا خبير.. عندي خبرات متراكمة يتخلى الله عنك، قل الله.. يتولاك. أنت بين التخلي والتوّلي. إن عزوت نجاحك إلى الله زادك من فضله وإن عزوته إلى قدراتك الذاتية تخلى عنك. فحجّمك وبدوت على حقيقتك.

فيوم حنين والنبي معهم وصحابته الكرام الكبار في المعركة قال:

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (25)﴾

(سورة التوبة)

الله يجعلّنا موحدين.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (14 - 59) : أحوال المؤمنين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها الأخوة الكرام ... تحديد المصطلحات في أي علمٍ جزءِ أساسي في هذا العلم ، وتحديد مصطلحات القرآن جزءِ أساسي من فهم القرآن ، فالمنافقون صنف ليسوا مع المؤمنين وليسوا مع الكافرين وهم في حقيقتهم صنفان : صنف منهم نفاقهم نفاق كفرٍ ، وصنف منهم نفاقهم نفاق معصية منافق المعصية أساسه مؤمن لكن أُلقيت فيه شبهات لم يستطع أن يحلها ، أو عُرّض لضغطٍ شديد لم يستطيع أن يقاومه أو أصابه إغراء كبير فانساق وراءه ، إما إغراء جذبه ، أو ضغط أتعبه ، أو شبهة حار في حلها ، فصار في عنده انفصام شخصية .. بقي مع المؤمنين لكنه في خلوته يفعل بعض المعاصي ويستجيب لبعض نداءات غريزته ، هذا منافق .. صار في ازدواجية ، صار في ظاهر وباطن ، شيء مُعلم وشيء غير مُعلم ، شيء يفعله أمام الناس وشيء يفعله في خلوته ..... مادام في شخصية مزدوجة صار منافق أساس نِفاق المعصية.. شبهة لم تنحل معه فاهتزت قيم الدين أمامه أو جاءه إغراء شديد فانساق وراءه أو ضغط لم يستطيع أن يقاومه وكان توحيده ضعيف فسقط .. هذا المنافق منافق المعصية ، توبته ممكنة ويمكن أن يعود مؤمناً كما كان .

لكن المنافق الآخر : نفاق الكفر ، هذا أشد عند الله عذاباً من الكافر ، الكافر مكشوف .. كاشف أوراقه الكافر لا يقتدي به أحد ، الكافر أعلن كفره ، طبعاً الكفر كبير جداً .. لكن الناس عرفوا أنه كافر ابتعدوا عنه ما أحد يقتدي به .. هذا الكافر نافق .. مصالحه مع المسلمين .. عاش في بلد قيم الإسلام غالية جداً فوجد مصالحه التجارية ومكانته تقتدي أن يرتاد المساجد . هذا النفاق نفاق الكفر ، هذا في الدرك الأسفل من النار، كافر لكنه منافق . لذلك قال تعالى :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (68) ﴾

(سورة التوبة)

في آية أخرى :

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾

(سورة النساء الآية 145)

أيها الأخوة الكرام ... علاقة عكسية ، كل من اطمأن إلى أنه مؤمن فهو على جانب من النفاق، وكل من خشي النفاق فهو مؤمن . أحد التابعين التقى بأربعين صحابياً من صحابة رسول الله ما منهم واحد إلا ويخشى على نفسه النفاق . الصحابي الجليل الذي عاش مع رسول الله والذي وضع روحه على كفه في الحرب والذي فدى النبي بروحه وماله يخشى أن يكون منافقاً .

لذلك .. قالوا المؤمن يمر في اليوم بأربعين حالاً ، حال الخوف حال الرجاء ، حال الخشية ، حال الطمع برحمة الله ، حال الخوف الشديد من عقاب الله ..... قال المنافق يبقى أربعين سنة في حال واحد... مطمئن... النفاق من علاماته أن المنافق لا يعلم أنه منافق أما المؤمن من علاماته أنه يظن أنه منافق .

أيها الأخوة ... ما من سورة في كتاب الله فيها شرح مفصّلٌ جداً لأحوال المنافقين كسورة التوبة والإنسان إذا قرأ هذه السورة قد يعلم من نفسه شيئاً قريباً من النفاق فليحذر . وإن كان بعيداً عن وصف المنافقين فليحمد الله عزّ وجل لكن لابد من قراءة هذه السورة من حين إلى آخر من أجل أن تعلم أين موقفك من النفاق ومن الإيمان .

يعني ... أوضح مثل .. سيدنا عمر عملاق الإسلام ، النبي ﷺ بشره بالجنة ونحنا بالعقيدة الإسلامية ما في عنّا إنسان سيدخل الجنة حقيقة وتحقيقاً وقطعاً ويقيناً إلا عشرة . والباقون .. نرجو الله أن يدخلنا الجنة... أما الذين بشرهم النبي .. أبداً .. النبي لا ينطق عن الهوى . ومع أن النبي ﷺ بشره بالجنة سأل سيدنا حذيفة قال له يا حذيفة أإسمي مع المنافقين ..؟.

يعني .. سألت أحد الدعاة إلى الله عزّ وجل كيف تفسر هذا .؟. سيدنا عمر معه من النبي بشارة بأنه من أهل الجنة ويسأل سيدنا حذيفة . فأجابني هذا الداعية الكريم .. قال لي لعله من شدة خوفه من الله نسي بشارة رسول الله ... من شدة خوفه من الله ... يعني مادام قال : لو تعثّرت بغلة في العراق لحاسبني الله عنها لِمَ لم تصلح لها الطريق يا عمر ... لِمَ ... وحينما أصاب المسلمين مجاعة قال لبطنه قرقر أيها البطن أو لا تقرقر فو اللهِ لن تذوق اللحم حتى تشبع منه صبية المسلمين ، وحينما وضع له سنام الجمل ليأكله بكى وقال بئس الخليفة أنا إن أكلت أطيبها وأكل الناس كراديسها ، وجاءه من أذربيجان رسول عامله هناك معه طعام نفيس قدّمه إليه قال : أيأكل عندكم عامة المسلين هذا الطعام ؟ قال لا ... هذا طعام خاصة . فقال عمر : ما كان لبطن عمر أن يذوق طعاماً لا يطعمه فقراء المسلمين . ورأى إبلاً ثمينةً في الطريق قال لمن هذه الإبل قالوا هي لابنك عبد الله ، قال إتوني به ، فلما جاءوا به قال لمن

هذه الإبل قال هي لي ، (ما فعلت شيء) اشتريتها بمالي وبعثت بها إلى المرعى لتسمن فماذا فعلت . فقال عمر : ويقول الناس ارعوا هذه الإبل فهي لابن أمير المؤمنين ، اسقوا هذه الإبل فهي لابن أمير المؤمنين ، وهكذا تسمن إبلك يا ابن أمير المؤمنين (أنت عرفان ليش سمنانة إبلك ..لأنك ابني) بع هذه الإبل وخذ رأسمالك وردّ الباقي لبيت مال المسلمين . هذا الإنسان قال لحذيفة اسمي مع المنافقين الله يعننا نحن ... لذلك إذا اتهمت نفسك بالنفاق هذه علامة طيبة جداً ، طيبة جداً ، معناها أنت مؤمن وتخشى الله ، وتخشى أن تكون مع المنافقين ، وتخشى ازدواج الشخصية ، يعني أقل درجة بالنفاق إن صليت أمام إخوانك بالمسجد وحولك إخوانك تتقن صلاتك ، إن صليتها في خلوتك لا تتقنها ، هذا نوع من النفاق .. يعني أردت أن تثبت مركزك بين المسلمين . إذا كان سنّة لا تصليها وحدك ، صليتها مع المجموع من أجل أن تبقى في مكانة معينة ... هذا نوع من النفاق ... مادام في ازدواج ، مادام في موقف معلن وموقف غير معلن ، إذا الشيء لا تحكيه أمام الناس ، تحكيه في مجلس معين ، هذا نوع من النفاق .. النفاق واسع ... لذلك الإنسان ليحرص حرصاً بالغاً على ألا يكون منافقاً .

المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم، إن سألته .. ناصحك بالدنيا دائماً ، و يخيفك من العمل الصالح ، إن وجدك تنفق يخوفك ... بدون جنان .. يقول لك اضبط يدك ... إن وجدك تنفق . وإن وجدك ترتاد بيوت الله يخوفك ، كلما رآك على طاعة حذرك منها وكلما رآك على معصية شجعك عليها ... هذا المنافق .... يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم. نسو الله فنسيهم ... طبعا الله لا نسى

﴿ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52) ﴾

(سورة طه الآية 52) .

هذا النسيان سماه العلماء .. مشاكمة ... نسوا الله فأهملهم . لماذا أهملهم .؟. لأنهم لم يؤمنوا ولم يطلبوا من الله الهداية فالله عزّ وجل أعطاهم اختيارهم .

﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (67) ﴾

(سورة التوبة)

أساس النفاق الفسق ، أساس النفاق المعصية ، يعني ... إذا الإنسان استمرأ معصية .. أقام عليها .. هذه المعصية تجره وحدها إلى النفاق .. **إن المنافقين هم الفاسقون** : ما في منافق مستقيم .. إطلاقاً ... مادام في تساهل في كسب المال ، تساهل في إنفاق المال ، تسهل في إطلاق البصر ، تساهل في العلاقات الاجتماعية ، يعني إذا كان شيء مختلط ما عنده مانع أبداً هو إنسان عصري وهذه المرأة لن تأكله وشو صار بعدين إن الله جميل يحب الجمال . مغطيها الرجل ... المعصية سهلة عليه .. قالوا ذنب المنافق كذبابة وقفت على وجهه يدفعها ، وذنب المؤمن كجبل جاثم على صدره ، فكل ما كان الذنب كبير عليك معناها أنت مؤمن ، وكل ما وجدته صغيراً ... إيّ شو صار .. شو صار ... معناها هذا نوع من النفاق . **والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون** : ... المصير ... **وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم** :

يعني إذا سألتني .. ما في أعظم شيء في الحياة ... أن يقبلك الله عزّ وجل ، أن يحبك الله عزّ وجل ، أن تكون في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله ، أن تكون في رعايته ، أن تكون في حفظه ، أن تكون ممن يتجلى على قلبه .... ولو سألتني بالمقابل : ماهي أكبر مصيبة على الإطلاق .؟. أن يلعن الله الإنسان، يلعنه ، قد يعطيه كل شيء لكنه ملعونٌ عنده ، خذ من الدنيا ما شئت .. خذ مالها وبيوتها ونساءها ومركباتها وبساتينها لكنه ملعونٌ عند الله .. بعيد .. لذلك .. أكبر عقاب يعاقب الإنسان به يوم القيامة :

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (15) ﴾

(سورة المطففين الآية 15)

أكبر عقاب على الإطلاق أن تُحجب عن رحمة الله ، وأكبر عطاء في الجنة :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾

(سورة القيامة الآيتان 22 ، 23)

أكبر عطاء أن تنظر إلى وجه الله الكريم ، وأكبر عقاب أن تكون محجوباً عن الله ... محجوب بالعمل السيئ، بالمقابل :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71) ﴾

(سورة التوبة)

في المنافقين : **بعضهم من بعض :** أما هنا **بعضهم أولياء بعض** .. يتعاونوا ، يتكاتفوا ، يتضامنوا ، يتناصحوا ، يتزاورا ، يتحاببوا ، يتهادوا يعزي بعضهم بعضاً ، يهنئ بعضهم بعضاً . أنت واحد ضمن مجموع ، والمجموع كتلة واحدة **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله** (في التفاصيل ، في أحكام الفقه) **أولئك سيرحمهم الله** : ورحمة الله عزّ وجل لا يحدّها شيء

يعني .. أيام مثلاً : يعطى إنسان شيك مفتوح موقّع .. تحب أن تأخذ 100 ألف ، 200 ألف ، 500 ألف ، مليون ، 100 مليون ، 500 ألف مليون ، مفتوح ... ضع الرقم وخذ ما شئت .. هذا المال : تأخذ بيت تأخذ مركبة ، تأخذ بستان ، تسافر ، تتاجر ، تؤسس شركة ، كلمة رحمة الله عزّ وجل واسعة كثير تبدأ بالصحة ، الوفاق الزوجي ، الأولاد أبرار تأتي بالعلم والمكانة والتوفيق والتأييد والنصر بالدعم بالتجلي بالسعادة بالأنوار . رحمة الله لا يحدها شيء لكن هذه الرحمة قريبة من المحسنين

قال :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (72) ﴾

(سورة التوبة)

طبعاً هنا جنات تجري من تحتها الأنهار ، أما أكبر ما في الجنة رضوان الله ، أيام يعزمك شخص يضع لك من الطعام ما لا يوصف لكن إذا كنت أنت راقي جداً .. أبلغ من كل هذا الطعام ترحيبه بك واحترامه لك وفرحه بمجيئك .. هذا أبلغ من الطعام . التكريم أبلغ من الإطعام . الإطعام شيء والإكرام شيء .

هنا **ورضوان من الله أكبر** : يعني ... أكبر شيء في الجنة أن تكون في مرضاة الله .

ذلك أيها الأخوة .. صدقوا لو أن ألوان المتاعب في الدنيا كلها مجتمعة وكان الله راضياً فأنت أسعد الناس ، الدليل أن النبي عليه الصلاة السلام في الطائف ، الخط البياني للدعوة الإسلامية وصل إلى الحضيض يعني مكة أخرجته وأهل الطائف كذبوه وسخروا منه وتهجموا عليه وأغروا فتيانهم فإيذائه ومع ذلك قال : إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي .

بصراحة واحد يتقلّب بألوان النعيم والله لا يحبه وقد لعنه وإنسان آخر يعاني من كل أنواع المشاكل والعذاب لكن الله يحبه ... الثاني أسعد لأن الله عزّ وجل يحجب رحمته .. المال لا ينفع والجاه لا ينفع والأولاد لا ينفعون ، وأيام يتجلى برحمته فينقلب المرض إلى صحة والفقر إلى غنى والقلق إلى طمأنينة... شيء عجيب .. إن جاءت رحمة الله أنستك كل شيء ، وإن غابت عنك لم تنتفع بشيء . لذلك قالوا : يا ربي ماذا فقد من وجدك وماذا وجد من فقدك :

﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (74) ﴾

(سورة التوبة)

أيام كلمة الإنسان يقولها .. يدخل في الكفر ، يعني .. أحد ممن كان مع رسول الله

(الجلاس) وكان محسوباً من صحابته عنده ابن زوجته وجاءت معركة تبوك وكل الأصحاب قدّموا وبذلوا وقدموا أموالهم وهذا كان غنياً جداً .. لم يتحرك فلم وصف له ابن زوجته ما يفعله الصحابة قال هذه الكلمة : والله لو كان محمد صادقاً فيما يقول لكنا شراً من الحمر . هذه كلمة كفر. فقال والله يا عماه ما من مخلوق على وجه الأرض أحب إليّ منك بعد رسول الله .. ولقد قلت كلمة الكفر وسأنقلها لرسول الله فتدبر أمرك ... قال أحد العلماء يمكن (ابن قييم) قال والله ما من أحد في الأرض أحبُ إلـيّ من شيخي لكن الله أحب إليّ من شيخي بمعنى لو فرضاً صار في توجيه خلاف الشرع الله أغلى عليك من كل شيء .

فنحن كما قال سيدنا علي نعرف الرجال بالحق ولا نعرف الحق بالرجال ، القضية بس تنعكس تصبح خطيرة جداً ، ليس لأنه فلان قال هكذا .. لا .. لأن فلان قال الحق فهو على حق ، الحق أبدي ، الحق هو الأصل هو المقياس . فإذا اتبعته وخضعت له فأنت على العين والرأس ، أما إذا خالفته .. الله ﷻ أحب إلى أي مؤمن من أي إنسان . النبي معصوم وحده والصحابة الكرام رضي الله عنهم لكن ما بعد الصحابة يؤخذ منه ويرد عليه . المعصوم هو رسول الله .

الإمام الشافعي يقول : قال اعرضوا كلامي على الحديث ... الحديث هو الأصل فإن خالف كلامي فاضربوا كلامي عرض الطريق . لا يصح لمؤمن يثبت له حديث لرسول الله المعصوم الذي يوحى إليه ويتبع كلام إنسان آخر مهما علا شأنه ، فقال : لو كان محمد صادقاً فيما يقول لكنا شراً من الحمر . هذا ذهب إلى النبي طفل صغير . فاستدعاه النبي ... أنكر قال هذا كاذب يا رسول الله . عندما قال كاذب نظر الصحابة إلى هذا الطفل . وجهه صار أحمر اللون من شده خوفه وحيائه ما هي إلا دقائق حتى جاء الوحي ونزلت هذه

الآية : **يحلفون بالله أنهم ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر** : فأمسك النبي بإذن هذا الغلام وقال : يا غلام لقد صدّقك ربك من فوق سبع سماوات ، ماذا فعل الجلاس قال والله أنا أتوب إلى الله لقد قلتها واستغفر لي ربي وصار يكرم هذا الطفل إكراماً لا حدود له لأنه آمن عن طريق الطفل . فهذه كلمة : ولقد قالوا كلمة الكفر . يعني .. أيام أسمع كلام من الناس كفر . يعني واحد تحمّل ضريبة معينة . يترجى .. قال له ربّ العزة لاينزّلها ، هذه كفر بكل معنى الكلمة .

في شيء ثاني .. أيام الإنسان يكون في ضائقة .. ضائقة مالية يا رب إذا أكرمتني لحتى استقيم و لحتى أفعل الخيرات فيكرمه الله عزّ وجل . فلا ينفذ وعده . في آية قرآنية تذيب القلب . ***وما وجدنا لأكثرهم من عهد*** (سورة الأعراف الآية 102) ، تحت الضائقة تعاهد الله على كل شيء .. أيام بالعمرة ، بالحج وأنت تقبّل الحجر الأسعد تعاهد الله على الطاعة التامة . تأتي إلى الشام يعود إلى ما كان عليه . البطولة أن تكون عند عهدك

﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (37) ﴾

(سورة النجم الآية 37)

إذا أنت عاهدت الله أنت رجل :

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (23) ﴾

(سورة الأحزاب الآية 23) .

لا في السراء ولا في الضراء ولا في المنشط ولا في المكره ولا في الغنى ولا في الفقر ولا في الصحة ولا في المرض ولا في الإقامة ولا في السفر . أنت في السفر مثل الحضر ، في خلوتك كجلوتك ، في صحتك كسقمك ، في غناك كفقرك ، مع الناس ووحدك ، هذا المؤمن .. لا يغير ولا يبدل . **من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدّلوا تبديلاً** ،

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آَتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (75) فَلَمَّا آَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (76) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (77) ﴾

(سورة التوبة)

كنت مسافر .. صليت في مسجد قبل بانياس .. مسجد جميل جداً ، بعد أن انتهيت من الصلاة استقبلني رجل في غرفة خاصة وحدثني عن قصة هذا المسجد . قال لي أنا إنسان فقير جداً .. خرجت من هذا البلد ولا أملك من الدنيا شيئاً ، قال لي أخذت سوار أختي وبعتها واشتريت بها بطاقة طائرة . وذهب إلى الخليج .. يقسم بالله العظيم وهو في الطائرة جاءه خاطر ما نطق به .. يعني يخاطب ربه يا رب إذا أكرمتني لأعمّر جامع . أقسم بالله أن هذا الخاطر ما نطق به . لكن وارد ... قال لي الله أكرمني وعمّر الجامع بطريقة لا تصدق منطقة زراعية غير منظمة والقوانين لا تسمح بذلك اتصل بإنسان مهمته الموافقة وأقنعه وقال له عمّر. والمسجد الآن موجود قبل بانياس . يعني .. وعد الله عزّ وجل أن يبني له مسجداً ونفذ وعده مع أنه العقبات كبيرة جداً والقوانين لا تسمح باعتبار المنطقة زراعية منطقة غير منظمة والله عزّ وجل وفقه ... هذا المؤمن إذا وعد الله عزّ وجل أن يتوب .. يتوب . وعده أن ينفق .. ينفق وعده أن يبني مسجد .. يبني مسجد ، وعده يعاون الناس .. يعاون الناس أما تحت المصيبة وعود ما أكثرها ، أما بعد الإكرام ، تجده يتنصل من وعد وعد .. يقول لك ما في سيولة ، يكون معه شيء لا ينقل وشيء ينقل وشيء يعد وشيء لا يعد .... ما في سيولة .. يتنصل . **ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما أتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقاً في قلبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله بما وعدوه و بماكانوا يكذبون :**

آخر آية :

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (81) ﴾

كان رئيس المنافقين يجلس إلى جنب النبي ، يفرح بهذا المقعد .. مقعد فيه وجاهة ، فلما توفي قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَدْرُونَ مَا هَذَا قَالَ قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا))

// الآن استقر في جهنم حجر كان يهوي به سبعين خريفاً . //

طلب قميصه .. الروايات تؤكد أن النبي ألبسه قميصه بيده .. بيده ... وما نفعه قميص رسول الله ، وما نفعه من الله شيئاً ، يعني .. لا ينفعك إلا عملك . دقق في هذا الكلام هذا الكلام دقيق جداً:

لو أنك انتزعت من فم النبي وهو سيد الخلق وحبيب الحق والمعصوم والذي يوحى إليه انتزعت حكماً لصحالحك ولم تكن محقاً .. لا تنجو من عذاب الله ، أينفعك في الأرض أحد إذاً ..؟.. سيد الأنبياء قال لك معك حق .. أفتى لك .. أعطاك فتوى .. حكم لك .. ولم تكن محقاً .. لا تنجو من عذاب الله أبداً .. لا تنجو من عذاب الله إلا أن تكون على منهجه وطاعته .. فعلاقتك مع الله وحده أما المؤمنون يقرّبوك من الله بالعلم وبالحال . لكنهم لا يحولون بينك وبين تأديب الله لك ...

والحمد لله رب العالمين

الدرس (15 - 59) : ثمن الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام .. الآية الواحدة والتسعون من سورة التوبة:

﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (91) ﴾

(سورة التوبة)

الضعفاء الأطفال الصغار ، أو الشيوخ الكبار ، أو النساء ، ولا على المرضى الذين أصابهم مرض طارئ **ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون :** هؤلاء الذين لا يجدون مركباً يركبونه إلى الجهاد أو نفقة ينفقونها في الجهاد **ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون أن ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله :** . هؤلاء الذين لا يجدون ينصحون الناس يتكلمون ، يرغّبون الناس في العمل الصالح .

ما على المحسنين من سبيل : . لذلك .. قال عليه الصلاة والسلام :

((عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ يَسْتَحْمِلُهُ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ مَا يَتَحَمَّلُهُ فَدَلَّهُ عَلَى آخَرَ فَحَمَلَهُ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ إِنَّ الدَّالَّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ وَفِي الْبَاب عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ وَبُرَيْدَةَ قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))

//الدال على الخير كفاعله . //

أيام الإنسان يشجع الناس على إنفاق المال وهو فقير ... الذين ينفقون أموالهم بتوجيهاته له مثل أجرهم ، لأنه دلهم على الخير وأعانهم عليه.

﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ (92) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (93) ﴾

(سورة التوبة)

معنى ذلك إن لم يكن هناك سبيل على هؤلاء فهناك ألف سبيل وسبيل على الأغنياء والأقوياء إذا أحجموا من أن ينفقوا أموالهم وأحجموا عن أن يجاهدوا بأنفسهم في سبيل الله .

والحقيقة

﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (15) ﴾

(سورة القيامة الآيتان 14،15)

.. ما منّا واحد ويعلم ما إن بإمكانه أن ينفق أولا ينفق أن يعطي أو أن لا يعطي ، وهذا سر بينه وبين الله .

فلذلك .. الإنسان عند الله مكشوف . الحديث الشريف:

//لا تجعل الله أهون الناظرين إليك//

الحكمة لا تجعل الله أهون الناظرين إليك لأنك الله ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ولا ينظر إلى صوركم . وقد ورد في الحديث القدسي :

//أن عبدي طهّرت منظر الخلق سنين أفلا طهرّت منظري ساعة والقلب منظر الرب . //

أيها الأخوة ... يعني الإنسان له أسس .. بيته أساس ، زوجته أساس ، عمله أساس ، معرفته بالله أساس، استقامته أساس ، تربية أولاده أساس ، أسرته أساس ... أسس الحياة هذه . يقول الله عزّ وجل

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (109) ﴾

(سورة التوبة)

يعني .. أسس عمل شرعي ، أسس تجارة مشروعة ، كن في وظيفة فيها نفع للناس ، لا تبنِ عملك على إيذاء الناس ، لا تبنِ عملك على إخافة الناس ، لا تبنِ عملك على ابتزاز أموال الناس ، لا تبنِ عملك على مادة غير مشروعة أو على مادة غير مسموحة .. أنت في خوف دائم وفي قلق دائم .

أسس عملك على أسس سليمة ، متوافقة مع الشرع ، متوافقة مع العرف ، متوافقة مع النظام العام ، متوافقة مع تقوى الله عزّ وجل مع الدين ،... العوام لهم كلمة هي قصيرة وموجزة لكنها بليغة : <u>التقوى أقوى .</u> دخل قليل من عمل شريف خير من دخل كبير من عمل غير شريف ، دخل قليل من عمل مع طمأنينة خير من دخل كبير من عمل مع قلق دائم وخوف دائم . ورد في الحديث الشريف :

//الاقتصاد في المعيشة خير من بعض التجارة //

لا تغامر ولا تقامر لأنك في هذه الحياة الدنيا مخلوق لمهمة كبيرة **أفمن أسس بنيانه على تقوى :** أسس عقيدته ، أسس إيمانه ، أسس قيمه أسس مبادئه وفق منهج الله ، وفق مبادئ الإسلام ، اختار زوجة وفق منهج الله مؤمنة ، اختار عمل شريف ، ربى أولاده تربية كاملة ، هذا إنسان يمشي على صخر .

أمّن أسس بنيانه على شفا جرف هارٍ فإنهار به في نار جهنم : .. فبالمقابل عمل لا يرضي الله ، عمل غير مشروع ، عمل غير شرعي ، عمل غير نظامي ، عمل فيه أذىً للناس ، فيه دخل كبير لكن فيه أذىً للناس ، عمل يرافقه نفاق ، عمل فيه كذب ، عمل فيه احتيال ، لا تؤسس بنيانك على مخالفة شرعية لا تؤسس بنيانك على إفقار الناس ولا على إيذاء الناس ولا على إخافتهم .... هذا بناء .

يعني ... إنسان باني عمله على إيذاء الناس .. أول ولد معتوه والثاني والثالث والرابع ، انتبه للولد الرابع فكفّ عن إيذاء الناس ، وعن ابتزاز أموالهم . **والله لا يهدي القوم الظالمين :**

إذاً : الإنسان يبحث عن الحلال ، يبحث عن الشيء المريح ، عن الشيء الذي يرضي الله ، يجعل أسس حياته وفق منهج الله ، يجعل أسس حياته أسس هادئة مستقرة ، ليس فيها طفراً ثم انهيار ...

الحقيقة أنت في الحياة الدنيا عندك رأسمال ويمكن أن تبيعه إلى الله ، إن بعته إلى الله نِلت مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، تملك حياتك ، تملك فراغك ، تملك أمنك ، تملك كفايتك ، تملك صحتك ... هذه تملكها فإذا بذلت صحتك وكفايتك وأمنك وفراغك في طاعة الله وخدمة خلقه كأنك بعت نفسك لله .

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (111) ﴾

(سورة التوبة)

الثمن : الجنة ، الثمن زهيد جداً والعطاء كبير جداً .. **يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة و الإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به :**

يقول عليه الصلاة والسلام :

//مادعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كبوة إلا أخي أبا بكر . //

استبشر ... إذا كنت مع الله استبشر ، إذا كنت مطيعاً لله استبشر .

مرة من قديم الزمان ضربت هذا المثل : لو أن طالبين على مقعد دراسيّ واحد ، شبّا وكبرا وصار أحدهما بدخلاً محدوداً لا يكفيه أياماً من شهره ، وصار الثاني في بحبوحة ما بعدها بحبوحة ، الأول ضيق وذات اليد مطيع لله ، والثاني متفلت من أمر الله ، لو أن المطيع لله قال لثانية واحدة يا ليتني كنت مكانه .. لا يفقه من حقيقة الدين شيءً .. لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (71) ﴾

(سورة الأحزاب الآية 71)

... إن لم تشعر أنك عند الله أكرم من أهل الدنيا وأنك بإيمانك أسعد الناس إن لم تقل أنا أسعد الناس وليس في الناس من هو أسعد مني إلا أن يكون أتقى مني ، إن لم تشعر بهذه الميزة فأنت لا تعرف ما عندك .

من أوتي القرآن فرأى أحداً أوتي خيراً منه فقد حقّر ما عظّمه الله عزّ وجل ، هذه الآية أيها الأخوة : **إن الله أشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة** : العطاء هي الجنة ، وفي نهاية الآية يقول : **ومن أوفى بعهده من الله** : ، هؤلاء الثلاثة الذين خلّفوا والذين إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ إلى الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ... هؤلاء المخلّفون الثلاثة تخلّفوا عن الجهاد والجهاد ذروة سنام الإسلام ، وقد أدّبهم الله عزّ وجل أعظم تأديب وجعل من قصتهم عبرة لنا . الإنسان إذا أعرض عن واجب ديني .. سوف يحاسب ولكن الإنسان يبتلى على قدر دينه ، فإن كان في دينه ضعف الله عزّ وجل تلطّف به ، أما إذا في دينه قوة يحاسبه حساباً على قدر إيمانه ، لكن الذي يلفت النظر هو أن الله سبحانه وتعالى تاب على هؤلاء الثلاثة ، فما معنى أن يتوب على النبي أيضاً .؟.

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (117) ﴾

(سورة التوبة)

قال بعض العلماء ، وهذا رأي بعضهم : إنهم تاب على النبي وأصحابه جبراً لقلب هؤلاء الثلاثة .. النبي ما فعل شيئا ، لكن الله سبحانه وتعالى جملهم جميعاً ليخفف وقع مصيبتهم على أنفسهم .

أيها الأخوة ...

﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآَنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15)﴾

(سورة يونس)

هذه حقيقة النبي ... طاعة لله ما بعدها طاعة ، لم يبدل ولم يغير ولم يضيف ولم يحذف **إن أتبع إلا ما يوحى إلي** : وهذا شأن العبد لله عزّ وجل . // إنما أنا متّبع ولست بمبتدع // المبتدع يتألّى على الله لكن النبي عليه الصلاة والسلام متبع .

أيها الأخوة الكرام ...

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (24) ﴾

(سورة يونس)

الأرض مزينة الآن وأهلها يتوهمون أنهم قادرون عليها . يقول بعضهم : إن في الدولة الفلانية من السلاح النووي ما يكفي لتدمير الأرض خمس مرات ، وحينما يذهب لإجراء عملية في قلبه قال : يعطي الزر إلى نائبه ، زر السلاح النووي **وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهارً فجعلناها حصيداً كأن لن تغنى بالأمس :**

يأتي أخي عيسى ابن مريم فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملأت جوراً وظلماً . يعني هؤلاء الذين يطيعون الله في آخر الزمان لهم عند الله أجر كبير كما قال عليه الصلاة والسلام حينما اشتاق لأحبابه قالوا أولسنا أحبابك قال لا أنتم أصحابي أحبابي أناس آمنوا بي ولم يروني يأتون في آخر الزمان القابض منهم على دينه كالقابض على الجمر أجره كأجر سبعين قالوا منا أم منهم قال بل منكم لأنكم تجدون على الخير معواناً ولا يجدون .

الآن الأسر الإسلامية إذا استقام أحد أبناءها على أمر الإسلام تماماً حاربه أهله ... من في البيت .. يريدون شيئا غير منهج الله ، يريدون الدين شعائر فقط لا معاملات ، لا يريدونه التزام ، يريدونه تزين يتزينون بالدين .

الآية الأولى : **قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يومٍ عظيم** : ، الآية الثانية :

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلَا نَفْعاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (49)﴾

(سورة يونس)

يعني النبي هذه حقيقته أقرب الخلق إلى الله لكنه عبد لله لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ويخاف إن عصى ربه عذاب يومٍ عظيم ولا يعلم الغيب ، فهل يستطيع أحد دون النبي أن يدّعي خِلاف ذلك .؟ .

إخواننا الكرام ... الله عزّ وجل بعث النبي رحمة للناس وفي تفسير لطيف لهذه الآية :

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (58) ﴾

(سورة يونس)

يجب أن تفرح بهذا القرآن الكريم وأن تفرح بهذا النبي العظيم الذي اختاره الله نبياً لهذه الأمة . **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** : ، قل لي ما الذي يفرحك أقل لك من أنت انظر إذا كانت الدنيا تفرحك فأنت من أهل الدنيا ، أما إذا كانت مرضاة الله تفرحك أنت من أهل الآخرة :

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) ﴾

(سورة يونس)

والله ما في عطاء أعظم من هذا .... الدنيا كلها مغطاة .. ماضيها ومستقبلها ، ماضيها لا يحزنون ، مستقبلها لا خوف عليهم :

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) ﴾

(سورة يونس)

آمن واتقى ، لا خوف ولا حزن.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (16 – 59) : من هذا الإنسان؟

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام .... الآية التاسعة من سورة هود وهي قوله تعالى :

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (9) ﴾

(سورة هود)

النبي عليه الصلاة والسلام .. تعوّذ من السلب بعد العطاء ،

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (10) ﴾

(سورة هود)

هذا نموذج ... إن جاءته المصائب صار يئوسا قنوطاً ، وإن جاءته الخيرات صار فرحاً فخوراً . في الرخاء ليس شاكراً وفي البلاء ليس صابراً .... من هذا الإنسان .؟. قال : هو أي إنسان قبل أن يعرف الله . نستنبط من هذا أن الإنسان إذا ورد في القرآن معرّف بالـ تعني الإنسان قبل أن يعرف الله ،

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21) ﴾

(سورة المعرج الآيات 19–21)

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ (66) ﴾

(سورة الحج الآية 66)

الإنسان قبل أن يعرف الله له خصائص متعلقة بفطرته .. فالفطرة لا تعني الكمال ولكن تعني حب الكمال فرق كبير بين أن تكون كاملاً وبين أن تحب الكمال ، الصِبغة تعني الكمال أما الفطرة تعني الاستعداد للكمال وحب الكمال ، فحيثما وردت كلمة الإنسان في القرآن الكريم معرفة بالـ تعني الإنسان قبل أن يعرف الله ، قبل أن يمتثل به ، قبل أن يصطبغ بصبغته ..

يعني ... في مشكلة .. الناس حينما يرون إنساناً محسوباً على المسلمين يؤدي شعائر الله يصلي ويصوم ويحج ويزكي ، أما في التعامل اليومي تجده كغيره من الناس ... قد يكذب وقد يحتال وقد يغش وقد يضعف وقد ينافق وقد يستعري . إن رأى الناس نموذجاً محسوباً على المسلمين كهذا النموذج يرون الدين عبئاً عليهم، بقي الدين قيود وبقي الدين ثقيلاً ، أما إن وجدت أن المؤمن إنسان آخر ، الإيمان تغلغل إلى أعماق قلبه فجعله صابراً ، جعله أميناً، جعله صادقاً ، جعله عفيفاً ، جعله متواضعاً ، جعله محباً

للخير ، جعل له أهدافاً كبيراً تتجاوز حاجاته اليومية ، عندئذٍ يصبح الإسلام أو الدين في مكانة مرموقة جداً بنظر الناس . فلذلك .. ربنا عزّ وجل يعرض علينا حال أهل الكفر .

يعني مثل بسيط : كيلو فحم كم ثمنه 10 – 20 ليرة رأيت أنا ألماسة في استنبول ثمنها 150مليون دولار أكبر ألماسة في العالم 150مليون دولار .. والألماس فحم ، أساسه فحم . جاءه ضغط شديد وحرارة شديدة . ائتى بقطعة فحم أسود بحجم الألماسة ووازن بينهما في الثمن ... قطعة ثمنها 150 مليون دولار وقطعة ثمنها أقل من قرش ... هذه فحم وهذه فحم . والله لا أبالغ : المؤمن لو وازنته بغير المؤمن مع أنهما من طبيعة واحدة كلاهما إنسان ، كلاهما يمشي على قدمين ، كلاهما له رأس ، كلاهما له عينان، كلاهما له أذنان ، كلاهما يأكل ، كلاهما يتزوج ، كلاهما ينام ، لو وازنت بين مؤمن كامل الإيمان وبين شارد عن الواحد الديان لوجدت الفرق بين قطعة فحم وقطعة ألماس . إذا الإيمان ما صنع بالمؤمن شيء أساسي ، إذا ما قلبك 180 درجة إذا ما عدل أخلاقك الأخلاق الفاضلة إذا ما جعلك المليار يستوي عندك مع الدرهم إذا كان حرام إذا ما جعل الدنيا تركلها بقدمك إن كانت فيها شبهة ... ليس هذا بإيمان .... مشكلة الناس يرون أناساً يؤدون الصلوات ويدفعون الزكاة ويصومون أما في التعامل اليومي لا ترى الصدق ، لا ترى العفة ، لا ترى الأمانة ، لا ترى الحب للآخرين ، لا ترى الرحمة ، يعني أحياناً .. صانع في محل تجاري يطلب من معلمه أن يذهب قبل الشغل بساعة ليلتحق بدورة مسائية .. هو يتيم ليأخذ الكفاءة ... لا يسمح له معلمه .... المعلم يدفع لابنه 500 ألف دروس خاصة ليصبح ابنه طبيب ... هذا ابن الناس .. في قسوة ... ما في و لا ساعة ، لو تعلم (يئس) ابنك 500 ألف دروس خاصة حتى يصير طبيب ، أما ابن الناس طلب منك ساعة قبل الدوام ليلتحق بدروة مسائية .. لا ترضى .. و بيصلي فالإسلام رحمة ، الإسلام تواضع ، الإسلام عفة ، إذا الإسلام لم يصنع بالإنسان صفات راقية جداً ، تشد الناس لك ، إذا الإنسان لم يصنع بالإنسان مستوى راقي جداً . هذا ليس إسلاماً .. هذه شعائر يؤديها من يؤديها ويدعها من يدعها لا تقدم ولا تؤخر إلا

إذا صنعت منك بطلاً النبي عليه الصلاة والسلام صنع من أصحابه أبطال .. يعني .. ممكن جيش يعاني من ضائقة عسكرية شديدة جداً يستنجد بسيدنا عمر فيرسل له واحد ... سمعتوا بحياتكم في التاريخ جيش يواجه قوة أكبر قوة في العالم يستنجد بالخليفة فيرسل له واحد .. القعقاع بن عمر . واحد كأمة وانتصروا . والحقيقة في بالتاريخ الإسلامي شيء لا يصدق ... هذا الإسلام الذي نبحث عنه .. إسلام العفة ، إسلام الاستقامة ، إسلام الصدق ، إسلام الأمانة ... أما الشعائر سهلة جداً لا تقدم ولا تؤخر.

لذلك .. سيدنا جعفر قال : كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونسيئ الجوار ويأكل القوي منا الضعيف حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف أمانته واستقامته وصدقه وعفافه ... بماذا وصف النبي : بالأمانة والصدق والعفاف والاستقامة . فدعانا إلى الله لنعبده ونوحده ونخلع ما كان يعبد آبائنا من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم .... هذا الإسلام ... الإسلام بناء أخلاق .

هنا نموذج من الشاردين عن أمل الله **ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور** : .

أما المؤمن .. في الشدائد صابر وفي الرخاء شاكر ... قصدت من هذا ... لا تعد عند الله مرضياً إلا إذا كنت ذا خُلق إلا إذا اصطبغت نفسك بصبغة الله إلا إذا استقر الإيمان ومعه الكمال ... هذا الذي نبحث عنه.

يعني .. الحقيقة .. الكلمة .. لا أقول ملّ الناس منها الكلمة الآن لا تؤثر .. يهز العالم الآن مجتمع إسلامي متماسك متعاون ، يهزك أنت إنسان مسلم ، مطبّق ، يعني رضاء الله أغلى عليه من الدنيا وما فيها .

الآية الثانية ..الآية رقم 6

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (6) ﴾

(سورة هود)

يعني .. وقف العلماء عند هذه الآية وقفة متأنية قال : **ما من دابة** : .. جاءت دابة نكرة و التنكير هنا تنكير شمول . تقول شجرة أي نقصد أيّة شجرة على وجه الأرض ، لو أن شجرة التفاح .. معرفة ، ضاق الأمر .. صار شيئ معين ، الشجرة المثمرة .. تعيّن ، أما شجرة .. أيّة شجرة .. فهذا التنكير تنكير الشمول،

ومن تفيد استغراق أفراد النوع .. ما من دابةٍ .. لو ربنا قال : الدواب .. معناها الدواب المعهودة الدواب المتعارف عليها أنها دواب، لكن ما من دابة ، ومن أية دابة ، نملة صغيرة سمراء على صخرة صماء في ليلة ظلماء .. رزقها على الله ..

يعني الإنسان .. أغرب شيء أنه ينشغل بما ضمّن له عما كُلّف به ، أنت مكلّف أن تعرف الله ، مكلّف أن تعبده ، مكلّف أن تطيعه ، تدع ما أنت مكلّف به وتنشغل بما ضُمن لك ، وهذه مشكلة كبيرة جداً ... أقبلوا على ماكُلّفتم به ودعوا ماضُمن لكم ... طبعاً ما ضُمن لنا يأتي بالسعي ، لكن ليس بترك الصلاة ، ليس بترك الاستقامة ، ليس بالكذب ، يضحون الناس بدينهم من أجل دنياهم . معناها أقبلوا على ما ضُمن لهم وتركوا ما كلّفوا به . **وما من دابة في الأرض** : .. يعني .. تصور في نوع من الوعول يعيش في قمم الجبال .. في القمم ، في القمم في ينابيع اسأل عالم فيزيائي يقول لك مستحيل .. مستحيل أن يكون نبع في قمة الجبل إلا بحالة واحدة لأن يكون له مستودع في جبل أعلى ... مستحيل بالقوانين الفيزيائية لذلك في بعض قمم الجبال فيها ينابيع من أجل بعض الوعول التي تعيش هناك .مستودعاته في قمم أعلى بعيدة جداً ... معناها في تمديد من قمة جبل عالية جداً إلى الجبل الثاني ليكون هذا النبع شراباً لهذا الحيوان يعني أحياناً في أدلة كبيرة ، عندنا في بلدنا والحمد لله منذ كم سنة 3.5 مليون طن إنتاجنا من القمح .. حاجتنا مليون واحد وسنة 250 ألف طن . 260 . 700 . 500 سنة 3.5 مليون يعني الله عزّ وجل إذا أعطى أدهش . لا يمكن أن يكون في بالأرض تقنين عجز لا يمكن ، أما تفكير العالم أنه يوجد انفجار سكاني والمواد قليلة والمساحات الخضراء قليلة في تصحّر .. كأنه الله عز وجل خلق الخلق ونسي أن يرزقهم ، لكن الله ﷻ إذا قنن تقنين تأديب لا يليق بالله عزّ وجل أن يكون تقنينه تقنين عجز .

﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾

(سورة الإسراء الآية 44)

ما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها : أما كلمة (ما) . لو الدواب في الأرض على الله رزقها .. يرزقها أولا يرزقها .

الدواب في الأرض يرزقها الله . لا على وجه إلزام أما كلمة (على) تفيد الإلزام هذا عليّ فيّ إلزام لكن إلزام ذاتي وكلمة (ما من دابة إلا) حصر في بالآية تنكير ، وفي بالآية من تفيد استغراق أفراد النوع وفي بالآية حصر (ما من إلا) ، وفي بالآية إلزام ... هذا هو القرآن الكريم . إذا ألغيت التنكير لم يعد قرآن ، حذفت من لم يعد قرآن ، اختلف المعنى ، حذفت القصر والحصر لم يعد قرآن ، حذفت كلمة على لم يعد قرآن ، هذا هو القرآن ، لو دققت بالآيات كلها لوجدت إعجاز نظمي ، إعجاز بالنظم هذا كلام الله عزّ وجل.

إخواننا الكرام .... الآية الدقيقة جداً 28 في هذه السورة :

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (28) ﴾

(سورة هود)

قال يا قومي : هذا حال المؤمن ، **قال يا قومي أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربي :** المؤمن على بيّنة يعرف أين كان وماذا بعد الموت يعرف سر وجوده في الدنيا يعرف حقيقة الكون ، يعرف حقيقة الحياة، يعرف حقيقة الإنسان .. مكانة الإنسان عند الله عزّ وجل، يعرف مهمته الواضحة ، يتحرك وفق منهج ، **قال يا قومي أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربي وأتاني رحمة من ربي فعميّت عليكم أفنلزمكموها وأنتم لها كارهون :** ، حال الكافر أو غير المؤمن هو ... الدنيا ملأت نفسه ... الدنيا فقط بمالها ، بنساءها ، بقصورها بمركباتها ، ملأت نفسها . مبلغهم من العلم .. ذلك مبلغهم من العلم .. أما حال المؤمن حال أكبر بكثير تعرّف إلى الله فصغرت الدنيا في عينيه .

يرووا أن إنسان معذب فقير يعمل في أقذر الأعمال لا يجد قوت يومه .. جني .. رأى أحد العلماء الكبار ابن المبارك في موكب من إخوانه طلعة بهية ، محفود محشود معزز مكرم وهذا الجني سمع عن رسول الله حديث أنه الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ... لم يفهم هذا الحديث ... شاهد وضعه بشيء لا يحتمل من الشقاء وهذا الإنسان العالم بشكل آخر .. قال له يا سيدي يقول نبيكم : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فأيّ جنة أنا فيها وأيّ سجن أنت فيه ... قال له يا هذا لو قست حالك لما بعد الموت فأنت في جنة ولو قست حالي بما وعدني الله به فأنا في سجن .

فالمؤمن موعود بالجنة ، موعود بجنة في الدنيا ، جنة الدنيا وردت اليوم .. بأول السورة : **قال يا قومي أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربي وأتاني رحمة من ربي فعميّت عليكم أفنلزمكموها وأنتم لها كارهون**

أهل الدنيا يقيسوا المؤمن من دخله فقط ، يقيسوه بمساحة بيته ، يقيسوه بوظيفته .. قد تكون وظيفته متواضعة جداً ، يقيسوه بدنياه يجدونه لا شيء أما المؤمن يقيس نفسه بمرضاة الله ، بطاعته لله ، بدعوته ، بمهمته ، يرى أنه أسعد الناس ، فنحنا مشكلتنا التداخل ، إذا قست نفسك بمقاييس أهل الدنيا تتراجع ، أما إذا قست نفسك بمقاييس أهل الإيمان فتتفوق ، لذلك لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي ، إن صاحبت مؤمن يوجد مقاييس مشتركة ، يوجد قيم مشتركة ، يقدّر فيك علمك ، تقدّر فيه علمه ، يقدّر فيك طاعتك لله، تقدّر فيه طاعته ، أما إذا كان صاحبت أهل الدنيا كما قال سيدنا عمر من دخل على الأغنياء طبعاً غير المؤمنين خرج من عندهم ساخط ، تتداخل المقاييس ، نحن بحاجة

إلى مجتمع مسلم بعيد عن تداخلات المجتمعات الأخرى لأنه مشكلة المؤمن الآن عايش مع الناس ، إغراءات الدنيا خاضع لها ، مشكلات الناس يعانيها ، نفاق الناس يعيش بينهم ، ضاعت إستقامته ، ضاع اتصاله بالله عزّ وجل . لازم نعيش مع المؤمنين ، لازم تحكمنا قيم إسلامية ، لازم نقيّم بعضنا بمقاييس القرآن الكريم ، سيدنا رسول الله دخل عليه صحابي فقير جداً فهشَّ له وبش وقال أهلاً بمن خبّرني جبريل بقدومه ، قال أو مثلي ..؟.. قال نعم يا أخي، أنت في الأرض خامد لكنك في السماء علم ابتغوا الرفعة عند الله ..

أنا قلت لكم البارحة الإنسان الذي يعمل آذن في مدرسة ولا يملك من الدنيا إلا قطعة أرض ورثها ودخله لا يكفيه خمسة أيام و اشتريت منه هذه الأرض بـ 3.5 مليون ، ولما تسلّم الشيك بمليونين وطُلب منه أن يذهب إلى الأوقاف ليتنازل عنها لبناء مسجد .. أمسك بالشيك ومزقه وقال أنا أولى أن أتبرع بها لبيت الله عزّ وجل وتبرع بها أما هذا الذي اشتراها منه له حجم مالي كبير جداً صغر ، صغر .. رأى نفسه أمام هذا الإنسان لا شيء.

إخواننا الكرام ... بإمكانك أن تكون عظيماً وأنت فقير وأنت ضعيف ، قد تحتل مرتبة اجتماعية متدنية جداً ، قد تكون موظف لا يؤبه لك في دارك ، وقد تكون عند الله أفضل من ملايين الأشخاص ، بطاعة الله ، القرآن الكريم نحن نقرأه للتبرك لكن قلما نقف عنده وقفات متأنية . يقول الله عزّ وجل :

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

(سورة الحجرات الآية 13)

هذه الآية تكفي .. إن أكرمكم عند الله أتقاكم .. فالمؤمن أتاه الله رحمة من عنده فعُميّت على غيره ، لم يقل أحد العارفين بالله . والله لو يعلم الملوك ما نحن عليه لقاتلونا عليه بالسيوف . ساعات المؤمن داخلية . مشكلة المؤمن ... ماذا قال أحد العلماء ... قال : ماذا يفعل أعدائي بي بستاني في صدري إن أبعدوني فإبعادي سياحة وإن حبسوني فحبسي خلوة وإن قتلوني فقتلي شهادة ... فماذا يصنع أعدائي بي قال مساكين أهل الدنيا .... جاءوا إلى الدنيا وخرجوا منها ولم يذوقوا أطيب ما فيها .

أنا قلت لكم من يومين ان شعور الإنسان أن الله يحبه وأن الله راضٍ عنه وأنه في عين الله وأنه في ظل الله وأنه في رعاية الله وفي توفيق الله وحفظ الله .. هذا الشعور لا يوصف لا يتمتع به أغنى أغنياء العالم ولا أقوى أقوياء العالم . شعور أن الله يحبك وأنك بعين الله وانك في مرضاته .. هذا الشعور لا يوصف .
مرة كنت في عقد قران .. خطيب الحفل ذكر قول النبي عليه الصلاة والسلام يخاطب سيدنا معاذ قال :

// والله يا معاذ إني لأحبك //

والله صدقوني أيها الأخوة ما رأيت في حياتي مرتبة تفوق أن يحبك رسول الله ، شيء بيدك باستقامتك بعفتك بطهارتك برحمتك بخدمتك للناس يحبك الله ورسوله ، لا يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور لا يستويان . تذكروا مثل الألماسة التي ثمنها 150 مليون دولار وقطعة مشابهة لها لكن فحم ثمنها قرش ... هذا هو الفرق بين المؤمن وغير المؤمن ..

في مثل آخر ... تصوروا قطعة لحم متفسخة يصدر منها رائحة لـ 100 متر لا تحتمل تخرج من جلدك لهذه الرائحة ، وقطعة لحم طازجة مشوية وأنت جائع جداً . قطعتا لحم الأولى تنفر منها والثانية تقبل عليها وهكذا المؤمن وغير المؤمن ، أما عندما نجد الفرق فقد بالصلاة .. والله المشكلة كبيرة . أكبر مشكلة يكون بين المؤمن وغير المؤمن الصلاة فقط، هذا يصلي وهذا لا يصلي ، لكن الاثنين يكذبون ، الاثنين يغشون ، الاثنين يحتالون ، الاثنين في قسوة بقلبهم ، الاثنين عندهم أنانية ، أصبحت الصلاة عبئ على الناس ، نفور الناس من الدين هذا السبب ، لا يجد الفرق جوهري بين مؤمن وغير مؤمن ، واحد أرسل لي رسالة منذ سنتين .. أقسم بالله ولم يذكر اسمه معه 20 مليون ليرة لجهة توفيت فجأة ولايوجد مع الورثة علم ولا وصل بالمبلغ ، سمع درس الأمانة بدرس العثمان تأثر به تأثراً كبيراً فذهب إلى الورثة وسلّمهم الـ 20 مليون ليرة . هذا الدين ..

أيام الإنسان ممكن أن يكون المنزل باسمه ولم يطوّبه ، يطلب مليون زيادة ، قبض ثمنه من 20 سنة بالتمام والكمال ، ممكن أن يطلب مليون ومليونين وثلاثة ، ويفعلها معظم تجار العمار .. الأسعار غليت لا أطوّب، وفي إنسان يعرض عليه ملايين يرفضها لأنه باع واشترى بالثمن الطبيعي وربح وليس له إلا أن يطوّب ، هذا المؤمن .. إذا لم تركل بقدمك مليون و100 مليون لأنها مشبوهة ... لست مؤمناً .

فنحن مشكلتنا اليوم تجد رجلين واحد محسوب على المسلمين وواحد غير مسلم كلاهما يكذب ، كلاهما يغش ، كلاهما يحتال ، بقيت الصلاة مصيدة ، عبئ أصبحت . فنحن نريد الصلاة سبب رقيّنا ، سبب إقبالنا على الله عزّ وجل ... هذا هو الدين الذي أراده الله ، غير معقول أن يكون خالق الكون يكون منهجه في خلل ... هذا منهج ربنا عز وجل إذا لم يعطي ثمار ناجحة .

إذا كان الجامعة تخرّج ناس جهلة ، مهندس عمّر البناء وقع البناء الأستاذ علّم طلاب كلهم رسبوا مثلاً ما هذه الجامعة ... جامعة سيئة جداً ، الجامعة الحقيقية تخرج أبطال .

فالآية الأخيرة هذه:

﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ (31) ﴾

(سورة هود)

الدرس (17 - 59) : قصة يوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها الأخوة الكرام : في قصة يوسف عليه السلام عِبر كثيرة بل إن الأحداث التي سمعتموها والحوار الذي جرى بين هذا النبي الكريم وأخوته وما مر به من أزمات من عقبات وكيف دخل السجن هذه الأحداث وهذه الشخصيات ليست مقصودة لذاتها ، إنما المقصود أن نستنبط القوانين التي تضيء لنا الطريق. فما هي الحقائق التي يمكن أن تستنبط من قصة سيدنا يوسف ..؟.. أنا أسألكم .

﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21) ﴾

(سورة يوسف)

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون :

عبدي أنت تريد وأنا أريد فإذا سلّمت لي فيما أريد كفيتك ماتريد وإن لم تسلم لي فيا أريد أتعبتك فيما تريد ثم مايكون إلا ماأريد.

((حَدَّثَهُ أَنَّ أُمَّهُ حَدَّثَتْهُ وَكَانَتْ تَخْدِمُ بَعْضَ بَنَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ ابْنَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَتْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعَلِّمُهَا فَيَقُولُ قُولِي حِينَ تُصْبِحِينَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ فَإِنَّهُ مَنْ قَالَهُنَّ حِينَ يُصْبِحُ حُفِظَ حَتَّى يُمْسِيَ وَمَنْ قَالَهُنَّ حِينَ يُمْسِي حُفِظَ حَتَّى يُصْبِحَ))

﴿ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾

(سورة الأعراف : من الآية 54)

﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾

(سورة السجدة : من الآية 4) - -

﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً (26) ﴾

(سورة الكهف : من الآية 26)

((عَنْ حَنَشٍ الصَّنْعَانِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ))

- لكل شيء حقيقة ومابلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه – هذا هو التوحيد-

﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (2)﴾

(سورة فاطر : الآية 2) .

إذاً : افعل ما تشاء ، وخطط ما تريد ، وصمم واكتب ، وتحرك ، ودبّر ، وافعل ، واتصل ، لا يكون إلا الذي أراده الله إليه يرجع الأمر كله . كيد عظيم .أخوة يوسف أرادوا به كيداً ، جعلوه في الجب فجعله الله عزيز مصر . لذلك قال : مر موكب هذا النبي الكريم مرة فرأته جارية تعرفه يوم كان في السجن ، فقالت سبحان من جعل العبيد ملوكاً بطاعته وجعل الملوك عبيداً بمعصيته . هذا استنباط ....

استنباط آخر .. الإنسان عليه أن يوحد ، لو أنه اتكل على غير الله خيّب ظنه وهذا التخييب بإلهام من الله بأن الله يضل عن شركائه ليكون الطريق سالكاً إليه وهذه حكمة الله في خلقه كلما اعتمد الإنسان على مخلوق كائناً من كان . لو اعتمد على زوجته اعتمادا كلياً لخيبت ظنه ، لو اعتمد على أولاده لخيبوا ظنه لو اعتمد على ماله لأتاه شيء لا يحل بالمال مرة إنسان تكلم كلمة قال : كل شيء يحل بالدراهم لأنه الدرهم مراهم ، وقع في ورطة 63 يوم قضاهم في مكان لا يحتمل وكل يوم يأتيه خاطر حُل هذه المشكلة بمالك . من اتكل على ماله خاب ظنه ، من اتكل على إنسان مهما كان عليّ الشأن .. خاب ظنه ، لذلك : **لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لكان أبو بكر خليلي ولكنه أخ وصاحب في الله** .

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى كُلِّ خِلٍّ مِنْ خِلِّهِ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا إِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ))

هذا هو التوحيد ، والله عزّ وجل غيور حينما تتجه إلى غيره وحينما تتكل على قوتك أو على مالك أو على ذكائك أو على خبرتك يخيب الله ظنك ولو كنت صحابياً .

في حنين أصحاب النبي وفيهم النبي:

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (25) ﴾

(سورة التوبة)

قل الله : الله يتولاك ، قل أنا : يتخلى عنك الله ...هذا قانون .

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (123) ﴾

(سورة آل عمران)

ولقد نصركم الله ببدرٍ وأنتم أذلة ... ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم بعملك اليومي ، قل بنفسك .. أنا عندي خبرات كبيرة متراكمة ، أنا أقوى إنسان في السوق ، أنا أعلى مستوى ، وانظر ماذا يكون .. تهتز الأرض من تحت قدميك .. إذا قلت أنا . فإذا قلت الله سخّر الله لك عدوك فهو في خدمتك .

ما من مخلوق يعتصم بي من دون خلقي أعرف ذلك في نيته فتكيده أهل السماوات والأرض إلا جعلت له من بين ذلك مخرجاً ، وما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته إلا جعلت الأرض هوياً تحت قدميه وقطعّت أسباب السماء بين يديه .... هذا استنباط ثاني .

استنباط ثالث .. سيدنا يوسف لأنه آثر مرضاة الله ، لأنه قال إني أخاف الله رب العالمين . ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه .

والله أيها الأخوة من سابع المستحيلات أن تدع شيئاً لله ، أن تخاف الله، أن تستحيي من الله ، أن تؤثر جانب الله ، أن تؤثر مرضاة الله ثم تكون في الآخرين ، في الأوائل تكون ، ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه.

أية خيانة على وجه الأرض لا تنجح ، كيد التدبير هذه ما جاءت حوار ، جاءت قانون ، إنه لا يهدي كيد الخائنين .

﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (52) ﴾

(سورة يوسف)

فالإنسان يكون مخلص والإخلاص ثمن الجنة ، سيدنا زيد الخير جاء النبي عليه الصلاة والسلام وهو يخطب .. كان سيد قوم وكان من أندر الأشخاص في الجاهلية في جماله ومروءته وشجاعته .. دخل على النبي عليه الصلاة والسلام واستمع إلى خطابه .. فدهش فقال يا محمد أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . قال من أنت قال أنا زيد الخيل فقال عليه الصلاة والسلام بل زيد الخير وأخذه إلى بيته تكريماً له ، قال له يا زيد ما وُصف لي رجل فرأيته إلا رأيته دونما وُصف إلا أنت يا زيد لله درك فيك خصلتان يحبهما الله ورسوله : الصمت والأناة . أعطاه وسادة ليتكأ عليها. كم مضى له في الإسلام .؟. يعني ساعة أقل من ساعة ، قال والله يا رسول الله ما كنت لأتكئ في حضرتك هكذا أمامه .. مستحيل رسول الله . قال له يا رسول الله أعطني ثلاثمائة فارس لأغزو بهم الروم فقال النبي لله درك أيّ رجل أنت.؟. هذا زيد الخير غادر المدينة وفي الطريق توفاه الله . يعني .. أعتقد مضى على إسلامه يوم أو يومين فقط أما إخلاصه الشديد جعله من أصحاب رسول الله .

أخلص دينك يكفيك القليل من العمل ، يكفيك القليل .

أيضاً .. الصبر ... يعني هو الصبر هو الإيمان . الحياة الدنيا في أساسها، في جوهرها أن هناك أشياء تتعارض مع الطبع فإن استجبت للطبع خسرت الآخرة ، امرأة تمشي في الطريق متبرجة ، الطبع يقتضي أن تنظر إليها وأن تستمتع بمنظرها ، لكن التكليف يأمرك أن تغض البصر عنها . أساس الجنة أن تخاف مقام ربك وأن تنهى النفس عن الهوى ، ثمن الجنة أن تخاف مقام ربك وأن تنهى النفس عن الهوى.

أيام يكون المال مغري لكن مشبوه تقول معاذ الله إني أخاف الله رب العالمين.

أحياناً قصة أن تلقيها على الناس ممتعة جداً لكن فيها غيبة ، الطبع يقتضي أن ترويها، وأن يستمتع الناس بها وأن يضجّوا بأحداثها ، والتكليف يأمرك أن تصمت .

فالصمت يحتاج إلى صبر وغض البصر يحتاج إلى صبر وأن تستيقظ باكراً والفراش وثير والبرد قارص وقد نمت الساعة الثانية ليلاً الاستيقاظ على صلاة الفجر يحتاج إلى مقاومة ، يعني .. أساس الجنة أودع الله فيك الشهوات وأعطاك أوامر ، هذه الأوامر فيها منافذ ، فيها قنوات ، لكن غير مطلقة .

وردت آية تشير لهذا المعنى في سورة هود:

﴿ بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (86) ﴾

بقية الله خير لكم : ما بقية الله ..؟.. يعني .. بقي لك من النساء زوجتك ، بقي لك من المال الكسب الحلال، بقي لك من اللهو اللهو المباح أن تجلس مع أهلك ، بقي لك من أشياء كثيرة جانب الله سمح فيه ، هذا الذي بقي لك هو الخير ، فيه البركة ، فيه السعادة ، فيه السرور، فيه الإقبال . يعني أهم شيء أن يكون الاتصال مع الله مستمراً، هذا الاتصال يحتاج إلى استقامة فطاقت نفسك إلى النساء تزوج ، تحتاج إلى المال اعمل ولو كان عمل شاق ، من بات كالاً في طلب الحلال بات مغفوراً له .

يعني .. حينما تؤثر جانب الله على أيّ شيء يرقى الله بك يسمو بك ، يعزّك ، يرفع شأنك .

في استنباط لم أذكره . الصدق أمتن .

يعني عندما قالوا :

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (17)﴾

(سورة يوسف)

يا أبانا...فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ... يعني .. ظهر الكذب . يعني .. يكاد الكاذب يقول أنا كاذب ، اضطرابه ولحنه في القول يشير إلى كذبه

-ليست القصة مقصودة لذاتها ، المقصود لذاته : الاستنباط .

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (22) ﴾

(سورة يوسف)

ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً .... هذه قصة ..انتهت .. صار في قانون .. **وكذلك نجزي المحسنين** . يعني كل محسن سوف يجزيه الله هذا الجزاء .

الدعوة إلى الله ولو كنت في السجن ، أيام الإنسان ولو كان في بحبوحة ورخاء ، مرتاح كثير، صحته طيبة ، لا يوجد شيء عنده ، وقته فارغ ، يتكلّم عن الله . أدنى مشكلة تسكته .. خلص .. مالي فاضي .. عندنا موسم .. اتركني الآن .. وهو في السجن . فالدعوة إلى الله فرض عين ، وهو في السجن دعا إلى الله .

في استنباط أخير ... هذا أدب الأنبياء .. أيهما أخطر : أن يكون في السجن مضمونة حياته مضمون طعامه وشرابه أم أن يكون في الجب وموته قاب قوسين . فلما ذكر لاخوته قال وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن ولم يقل من الجبّ لأنه لو قال من الجبّ لذكّرهم بجريمتهم :

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100) ﴾

(سورة يوسف)

أرأيت إلى هذا الأدب ..ثم إن الخلاف بينه وبينهم جعله من جهة خارجية، قال من بعد أن **نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي** ، لم يجعل نفسه مظلوم وهم الظالمون ، جعل نفسه معهم سواءً بسواء والشيطان أفسد بينهما . من هنا قال عليه الصلاة والسلام : **لا تحمّروا الوجوه ،** لا تخجلوا الناس ، المؤمن كريم ، والمؤمن هدفه تقريب الناس إلى الله ، لا يحرج أحد ، لا يحّمر وجه أحد ، لا يوضع إنسان في زاوية ضيقة ، في شخص يتلذذ إذا أحرج الشخص ، أنت البارحة تكلمت غير هذا ، يسفهه أو يتكلم كلمة لا تمس عقيدة .. يكذبه .. لا تحمّروا الوجوه . هكذا قال عليه الصلاة والسلام .

الله هو الحق .. اطمئن إذا كنت على حق فلا تخف ، فتوكل على الله إنك على الحق المبين ، الله هو الحق ولأنه الحق سيحق الحق ، تستطيع أن تخدع الناس جميعاً إلى أمدٍ قصير ، وتستطيع أن تخدع واحداً إلى أمدٍ طويل أما أن تخدع الجميع إلى أمدٍ طويل فهذا مستحيل .. الآن حصحص الحق والله عزّ وجل لأنه حق يكشف الحق :

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (51) ﴾

(سورة يوسف)

الآن إنسان أول ما يمشي في طريق الإيمان يقول لك : أنا عندي إرادة قوية ، أنا أغض بصري ، لا أعبأ بالنساء ، من أنت أمام سيدنا يوسف..؟.

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (33) ﴾

(سورة يوسف)

إخواننا الكرام :

مرض تزكية النفس .. هذا مرض .. قال تعالى :

﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (32) ﴾

(سورة النجم : من الآية 32)

لا تزكي نفسك . تزكية النفس تألٍ على الله ، تزكية النفس تجاوز لقدرك :

﴿ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (17) ﴾

(سورة الإسراء : من الآية 17)

هذه عادة سيئة جداً .

شيء ثاني :

ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم –

الله ﷻ يذمهم أم يمدحهم .. يذمهم ..

﴿ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ﴾

(سورة النساء : من الآية 49)

دع التزكية لله عزّ وجل ، دعه يزكيك .

ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك .

التزكية دعها لله .أنت عليك أن تطيعه وكفى .

الوفاء بالعهد ، العفو والصفح ، العبرة بالنهايات لا بالبدايات ، العبرة بالنهايات ، النهاية صار عزيز مصر . دقق ... العبرة أن هذا النبي الكريم كان عبداً أسيراً ، كان في السجن فصار عزيز مصر .

قال تعالى :

﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128) ﴾

(سورة الأعراف : من الآية 128)

الأيام تدور ، أناس يصعدون ، أناس يهبطون ، أناس يغتنون ، أناس يفتقرون ، أناس يرتفعون ، أناس يسقطون . وفي النهاية المؤمن هو الذي له العاقبة .

أيام يحضرون كرة ، يضعون في داخلها قطعة رصاص ، هذه الكرة تتدحرج ، لا تستقر إلا والرصاص في الأسفل ، الأمور تتحرك ، الباطل له جولات ، الحق قد يغلب وقد يُغلب ، أما في النهاية .. والعاقبة للمتقين. مثلاً : أصحاب رسول الله الذين نصروه وأيدوه وصدّقوه وآمنوا به وقاتلوا معه وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم هم في لوحات الشرف في التاريخ ، والذين ناصبوه العِداء وأخرجوه وائتمروا عليه أين هم الآن ..؟.. يلعنهم اللاعنون. هكذا .. فالعبرة في النهايات .

إن المسامح كريم ... لأن الإنسان بسبب توحيده .. بسبب التوحيد .. لا يحقد على أحد . أحد أسباب عدم الحقد التوحيد لأنه أيّ شيء أصابك من إنسان سمح الله به مادام الله سمح فيه ، يوجد حكمة ، ألم يقل سيدنا عمر دخل عمير على رسول الله والخنزير أحب إليّ منه وخرج من عنده وهو أحبّ إليّ من بعض أولادي ...

كثرة الظهور تقسم الظهور .. لا أحد يرغب أن يظهر ما عنده ، يعمل عرض عضلات ، دخل إلى منزلك .. سأريك المنزل كله ، خليك في غرفة واحدة ، يريد أن يريه أن المنزل مساحته 400 متر . سأريك ما سعر هذه ، يتكلم له عن أسعارها ، سافرت ، أين نزلت ، ما مستوى الفندق الذي نزلت به ، كثرة الظهور تقسم الظهور ..

﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾

(سورة القصص : الآيتان 80 و 81).

إذا الإنسان واثق أنه يخدم المسلمين وعُرض عليه منصب حساس وقد أُطلقت يده . أقول كلام دقيق . إذا كان واثقاًً من علمه ، ومن خبرته ، ومن إخلاصه ، وأُطلقت يده ، وامتنع عن تسلم هذا المنصب فهو آثم . والدليل هذه الآية :

﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55) ﴾

(سورة يوسف)

فأيام الإنسان يهرب ، الهروب ليس بطولة . يوجد عقبة ليس البطولة أن تقفز عليها ، أن تواجهها ، فأحياناً الإنسان يقوم بعمل عظيم . أنا مرة قال لي أخ عنده معمل ما في ربح إطلاقاً وعنده 80 عامل .

قلت له بقاء العمال عندك ومعيشة الـ 80 عامل هذا عمل عظيم ولو ما ربحت .أنت لماذا تعيش .. لخدمة الناس . لو ما في أرباح لكن بقاء الـ 80 إنسان يعملون ويأكلون ويشربون .. هذا عمل .. فإذا إنسان ليس له عمل ، ليس له شيء عند الله عزّ وجل .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (18 – 59) : حقيقة قصة يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام : نهايات السور فيها تلخيص للحقائق التي فيها فبعد أن انتهت قصة سيدنا يوسف عليه السلام قال الله عزّ وجل :

﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (103) ﴾

(سورة يوسف)

الإيمان درجة علمية ودرجة أخلاقية ودرجة جمالية لا تُنال بالتمني ، تُنال بالسعي والدأب . لو أردنا أن نشبّه دكتوراه ، ممكن أن نشبه إنسان أميّ لا يقرأ ولا يكتب يدّعي أنه دكتور ... مستحيل ... وهذا الذي يقع ، إنسان يرتكب أكبر المعاصي ويقول لك أنا مؤمن وإيماني بقلبي هذه دعوة كأن ترى إنساناً أميّاً لا يقرأ ولا يكتب ويدّعي أنه دكتور في الآداب أو في العلوم أو في الطب .... فالإيمان مرتبة عالية تحتاج إلى كسب وإلى جهد وإلى تفرغ وإلى مجاهدة وإلى بذل وإلى انضباط وإلى التزام وإلى متابعة وإلى طلب . **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين.**

يعني ... مثلاً : إذا إنسان قال لك الملح مفيد جداً لمن يعاني من ارتفاع الضغط . يكون طبيب هذا ... ولا ممرض .. ولا إنسان عنده ثقافة طبية بسيطة . مادام كلما أكثرت من الملح ينزل الضغط .. هذا جهل مطبق. إنسان يقول لك أنا سأبني بناء من دون حديد .. يكون مهندس هذا .. ولا مساعد مهندس ولا معه باكالوريا ولا متعهد ولا فاعل ، فالناس يرتكبون أخطاء كبيرة جداً في كسب المال ، في إنفاق المال ، في العلاقات الاجتماعية ، في العلاقات مع النساء يرتكبون أخطاء فاحشة ، ويدّعون أنهم مؤمنون . لذلك قال تعالى : **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** في إنسان نام ، استيقظ أصبح دكتور .. ، نام واستيقظ صار أكبر تاجر .. ، لما بالسعي الدؤوب وبسهر الليل وببذل الجهد والمعاناة والصبر حتى يصل إلى مرتبة علمية أو لمرتبة مالية أو لمرتبة إدارية أو لمكانة اجتماعية .

وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين : يعني .. إذا إنسان قال لك أنا مالي فاضي .. ليس عنده وقت ليحضر مجلس علم وليس عنده وقت يقرأ القرآن وليس عنده الوقت يسهر مع ناس مؤمنين وليس عنده وقت ليطالع كتاب وليس عنده وقت ليسمع شريط .. وأنا مؤمن وإيماني بقلبي وأنا أحسن منك يقول لك.. شيء مضحك إنسان لا يقرأ ولا يكتب ويدّعي أنه دكتور . هذا معنى الآية : **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** . يعني سلعة الله غالية .

الإنسان .. انظر يدرس ابتدائي وإعدادي وثانوي وجامعة ودكتوراه يجد نفسه لم يفعل شيء ...يحتاج إلى بيت وإلى عيادة ويريد الزواج .. يتدين ومن ثم يسد الدين حتى يقدر أن يعيش حياة معقولة بالأربعين بالخمس والأربعين حتى يقدر أن يعيش حياة معقولة ، يعني مكتفي ، له مكانة ، عنده بيت ، عنده زوجة.

متى معترك المنايا .. بين الستين والسبعين . معقول أربعين عام إعداد عشرين عام هذا إذا عاش إلى الستين أو عاش إلى الخمسين . أربعين عام إعداد لعشر سنوات وجنة إلى الأبد لا يوجد عندك وقت فارغ كي تعد لها إلى الأبد تحتاج إلى طلب علم تحتاج إلى متابعة إلى عناية إلى بذل جهد إلى مجالسة العلماء لا يوجد عندك وقت فراغ تسمع درس ، تسمع شريط ، تقرأ كتاب ، تجلس مع أخ ، تجلس مع عالم ، ما في عندك وقت ، عندك وقت لماذا ...

تصور طبيب أخذ أعلى شهادة وفتح عيادة وعليه ديون طائلة وجاءه مريض ضمن وقت العيادة فقاله له والله مالي فاضي ... أصبح أنت فاضي لأي شيء ... كل هذا التعب من أجل أن تعالج المرضى وتقول مالي فاضي : **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** .

﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (104) ﴾

(سورة يوسف)

من يقدر أن يدخل لعند طبيب وليس معه نقود .. مستحيل ، من فيه أن يقابل محامي من دون أتعاب ، من فيه أن يدخل محل تجاري من دون مال ، لاتقدر ... كل شيء يحتاج إلى ثمن إلاَّ العلم الشرعي . تجلس إلى مجلس علم ، لا في رسم دخول ولا في ضريبة ... إدخل كما تريد لا يوجد أيّ حساب .. تعال وتعلّم لوجه الله تعالى . العلم الشرعي مبذول مجاناً **وماتسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين** . لماذا لم يؤمن . قال:

﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آَيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (105) ﴾

(سورة يوسف)

طريق الإيمان أن تفكر في خلق السماوات والأرض.

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (106) ﴾

(سورة يوسف)

المشكلة أيها الأخوة بأن تؤمن بأن لهذا الكون خالقاً شيء طبيعي وبديهي وشائع ولا يقدم ولا يؤخر ، أما البطولة أن تؤمن أن لهذا الكون إلهاً واحداً. المشكلة في الشرك لا في الإلحاد .. في الشرك .. العالم كله حتى على بعض العملات كالدولار كتب عليها "ثقتنا بالله" ، يفرمون الشعوب فرم "وثقتنا بالله" ، فالقضية ليست قضية إيمان أو عدم إيمان قضية توحيد وعدم توحيد ، **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** .

إذاً : إن كنت ترى أن هناك قوى مستقلة في إرادتها عن إرادة الله فأنت مشرك . إذا كنت تعتقد أن بإمكان زيد أو عبيد أن يفعل ما يشاء إلى جانب فعل الله فأنت مشرك ، إذا كنت تعتمد على شيء سوى الله فأنت مشرك، طبعاً الشرك تتسع دائرته وتضيق دائرته ، تتسع دائرته ليشمل معظم المؤمنين قال : الشرك أخفى من دبيب النملة السمراء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء . وأدناه أن تحب على جور ... يعني شخص جائر منحرف أعطاك عطاء ثمين فأحببته وهو جائر وهو منحرف فأحببته .. أحببت إنساناً منحرفاً لأنه أعطاك . هذا نوع من أنواع الشرك . أو إنسان نصحك فغضبت منه وهذا نوع من أنواع الشرك .

من علّق كل آماله بزوجته .. نوع من الشرك ، بأولاده ، من اعتمد على ماله .. شرك . من اعتمد على عقله على ذكائه على خبرته شرك .. يجب أن تعتمد على الله ، يجب أن لا ترى مع الله أحداً . القضية ليست قضية إيمان وعدم إيمان ، قضية توحيد وعدم توحيد .

هل ترى أن الذي في السماء إله هو في الأرض إله ، هل ترى أن الأمر كله يرجع إليه ، يعني فرضاً : إذا واحد أحجم عن دخول المسجد أو عن حضور مجلس علم خوفاً من غير الله هذا مشرك . إذا إنسان اعتقد أنه إذا أطاع الله قد يناله الأذى . وكأن الله لا يحميه أو لا يستطيع أن يحميه .

هذا مشرك ... مشرك .. ترى مع الله آلهة أخرى ، أما الإيمان أن لا ترى مع الله أحداً ، إن ترى أن الأمر راجع إليه كله ، ***وإليه يرجع الأمر كله*** **(سورة هود : من الآية 123)** . حينما تعتقد أنه أمر جسمك ... هذا الدسام في القلب بيد من ؟ هذه الشرايين مفتوحة أو مغلقة بيد من؟ .حينما تعتقد أن كل أعضائك وخلاياك وأنسجتك وأجهزتك بيد الله وزوجتك وأولادك ومن حولك ومن فوقك ومن دونك

والمعطيات والأمطار والزراعة والصناعة والتجارة وحركة الحياة والزلازل والفيضانات والحروب الأهلية .. كلها بتدبير حكيم . حينما تصل إلى هذا المستوى تكون قد بدأت بالإيمان . القضية ليست قضية إيمان وعدم إيمان ، قضية شرك وتوحيد .

لذلك كلمة الإسلام الأولى :

فاعلم أنه لاإله إلا الله

(سورة محمد : من الآية 19)

لم يقل : فقل ، قال : **فاعلم أنه لاإله إلا الله** .

﴿ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (107) قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108) ﴾

(سورة يوسف)

ما معنى على بصيرة : .. يعني بالدليل . هكذا ما في بالدين ، يجب أن تؤمن بما أقول لك بلا دليل هذه دعوة ليست على بصيرة . البصيرة تأتي بالدليل .. العقلي ، والدليل النقلي ، والدليل الواقعي ، والدليل الفطري ... هذا هو الحق إن لم تأتِ بالدليل فهذه دعوة ليست على بصيرة. يعني بالتعبير العامي ... " هيك مافي بالدين " .

أن تملي عليّ إملاءً بلا مناقشة ، بلا تمحيص ، بلا طلب دليل ، ومنهج البحث في الإسلام فالصحة ، إن كنت ناقلاً فالصحة ، مدعّيا فالدليل ، تنقل خبر .. هل أنت متأكد من صحته ..؟.. تدعّي شيء هل معك عليه دليل من كتاب الله أو من سنة رسوله ..؟.. أو من أقوال الصحابة أو إجماع الأمة أو بالقياس.

لذلك ... إن كنت ناقلاً فالصحة ، مدعّيا فالدليل ، لذلك المؤمن الصادق ..إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم . المؤمن الصادق لا يقبل بلا دليل . ولا يرفض بلا دليل ، ولا تقبل ولا ترفض ، عندما تتعلم منهج التلقي . القضية سهلة جداً تصبح . النقطة الدقيقة أنه عندك ميزان ، في عندك خطأ بالوزن وخطأ بالميزان . الخطأ بالوزن سهل جداً لأنه لا يتكرر ممكن أنت وتزن أن تريك عينك 2 كيلو = 1كيلو . تقول له كيلو . هذا خطأ لكن خطأ بالوزن، هذا خطأ بسيط وليس خطيراً لأنه لا يتكرر .. مرة واحدة . أما الخطأ في الميزان خطأ جسيم لأنه لا يصحح . إذا في تحت الكفة وقية زايدة لو تزن مليون وزنة كله غلط ، لأنه الميزان غلط . يعني واحد قال لي : عنده جهاز ضغط .. تعبان الجهاز عايش سنتين ، ثلاث .. ضغطه مناسب أما هو ضغطه صاعد درجتين .. زيادة .. يوجد انزلاق درجتين

بجهاز الضغط وأصيب بعطب أنه ميزانه غلط مطمئن .. يقيس ضغطه مثلاً 12 – 8 وهو 14 –10 لم ينتبه . فالخطأ في الوزن لا يتكرر ، أما الخطأ في الميزان لا يصحح ، فالإنسان يجب أن يجهد للبحث عن ميزان التلّقي .. ماذا أقبل وما أرفض، ماذا أصدق وماذا أكذب :

قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني .

لن تكون متبعاً لرسول الله إلا إذا تلقيت عن بصيرةٍ وألقيت عن بصيرة، لن تكون متبعاً لرسول الله إلا إذا تلقيت عن بصيرة ورفضت عن بصيرة ،

شيء ثاني ... والشيء الدقيق جداً .. هذه الآية فيها دليل قطعي على أن الدعوة إلى الله فرض عين ، فرض عين . كيف أن الصلاة فرض عين، والصيام فرض عين ، والزكاة فرض عين، وأن الدعوة إلى الله فرض عين . فإن لم تدعو إلى الله فأنت لا تتبع النبي ، والذي لا يتبع النبي لا يحبه الله . والدليل :

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾

(سورة آل عمران : من الآية 31)

والذي لا يحب الله ليس مؤمناً . دقيق الكلام .. إن لم تتبع النبي لا تحب الله لقوله تعالى : **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني** . وإن كنت متبعاً للنبي يجب أن تدعو إلى الله على بصيرة . والدعوة إلى الله على بصيرة عن طريق الدليل والتعليم . الدليل العقلي و النقلي والواقعي والفطري .

في شيء آخر .. مستحيل أن يستقر الإيمان في قلب إنسان ولا يعبّر عن ذاته بحركة نحو خدمة الخلق أو نحو هدايتهم .. مستحيل .. الحد الأدنى بالمؤمن أن يتحرك لهداية الخلق وخدمتهم .. مستحيل .. فلذلك إذا إنسان قال لك أنا ليس لي علاقة ، أنا الحمد لله مؤمن والله أنجاني وأفهمني ... لا ... هذا انتماء فردي يتناقض مع روح الجماعة التي أمر الله بها .

مستحيل إنسان ينسحب من مجتمع ويعّلق عليه ويحتقره وهو ناجي .. هذا موقف غير أخلاقي، موقف فيه استعلاء ، هؤلاء أهلك ، هؤلاء بنو جلدتك ، فأنت اسعى إلى هدايتهم .

قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني .

بالمناسبة .. الدعوة إلى الله كفرض عين : في حدود ما تعلم ومع من تعرف . أنت عندك محل ويوجد عندك خمس أو ست موظفين هؤلاء زادك إلى الله ، أنت أب عندك أولاد ، أنت عم عندك أولاد أخ ، أنت عندك جيران . جيرانك ، أصدقائك ، أقربائك ، موظفين عندك ، هؤلاء الذين هم حولك ، هؤلاء زادك إلى الله ، ادعوا هؤلاء ، في حدود ما تعلم وفي حدود من تعلم ... هكذا الدعوة كفرض عين .

قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين .

طيب ما علاقة المشركين بأول الآية .؟. لكن القرآن كلامه خالق للكون . قال : لو دعوت إلى ذاتك تكون مشرك ، هناك من يدعو إلى الله ، وهناك من يدعو إلى ذاته ، إذا دعوت إلى ذاتك أو دعوت على غير بصيرة أو أمليت إملاءً دون مناقشة أو دون قبول اعتراض معنى ذلك أنك أشركت نفسك مع الله وجعلت الدعوة إلى ذاتك : **وما أنا من المشركين .**

لو ألغيت الدليل أشركت ، لو ألغيت التعليل أشركت ، لو دعوت إلى ذاتي أشركت .

قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين .

﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (110) ﴾

(سورة يوسف)

يعني . الله عزّ وجل قادر لمجرد أن تفعل خيراً أن يأتيك الخير بعد ثانية، وقادر لمجرد أن تفعل شراً أن يأتيك العقاب بعد ثانية . لو أن الله فعل هذا لأُلغي الاختيار . إذا كان بعد المعصية فوراً في عقاب وبعد الطاعة فوراً في ثواب التغى الاختيار ، صار في إصرار بتشابه الناس .

يعني .. مثلاً : يأتي النبي ، يدعو إلى الله ، يكذبه المكذبون وينامون في بيوتهم مطمئنين ، يتهمونه بالجنون وبالشعر وبالإهانة :

﴿قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (52) ﴾

(سورة الذاريات : من الآية 52)

وناموا في بيوتهم آمنين ، أو لو قالوا هذا لملك ما كان ناموا في بيوتهم آمنين .. فالله جعل النبي ضعيف أول دعوته .. لماذا جعله ضعيفاً .. حتى يكون الإيمان به ذا قيمة ، إذا جعله قوي ، الإيمان لم يعد له قيمة . خافوا من قوته فآمنوا . أما يجعله ضعيفاً .. ممكن أن تقول عنه مجنون ، ممكن أن تكذّبه ، ممكن أن تقول عنه ساحر ، ممكن أن تؤذيه وأنت مرتاح ... معناها ضعيف . كان النبي الكريم يمر على آل ياسر وهم يعذبون ..هل استطاع أن يخّلصهم؟ .. لم يستطيع . قال لهم صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة .

في حكمة بالغة .. سيد الخلق لا يتمكن أن يخّلص إنسان من التعذيب لأنه آمن فيه .. لا يقدر حتى يكون الإيمان برسول الله عظيم جداً ، لما ربنا عزّ وجل يدّفعك ثمن الطاعة . أيام يتوقف بيع الخمر فتنزل الغلة للربع . يوجد ناس عندهم مطاعم أوقفوا البيع فالغلة نزلت .. لازم تنزل لأنه لو ما نزلت لا

أجر لك . صار تجارة .

في واحد في حلب .. بائع مطعم كاتب : "ممنوع شرب الخمر بأمر الرب والرزق على الله" صاروا الأرمن يقلدوه لكي يحضروا زبائن أكثر . يعني القضية لا علاقة لها ... إذا الخير يأتي بعد الطاعة مباشرة ... لا أجر لك ، ولو يأتي الشر بعد المعصية لا وزر عليك . أما لازم أن تفعل الخير إلى أمد طويل ولا تجد فرق، وتفعل الشر وتجد لا أحد يحاسبك ... هذه الحياة ، أين الله ..؟.. الله يرخي لك الحبل .. يرخيه لك بعدين يحاسب .

لذلك .. **حتى إذا استيأس الرسل** لماذا الله أخّر النصر .. حتى يفحص الناس ، يكشفهم .

اللهم صلي عليه .. إذا واحد فكّر انتهى الإسلام ، الإسلام انتهى إلى الأبد . قضية وجود أو عدم وجود لم تعد نصر أو هزيمة . وجود أو عدم وجود . العرب كلها ائتمرت على النبي لتستأصله . عشرة آلاف مقاتل في الجزيرة واليهود نقضوا العهد وانتهى . أما الصحابة واحد من أتباع النبي قال : **أيعدنا صاحبكم أن تُفتح علينا بلاد قيصر وكسرى وأحدنا لا يأمن أن يقضي حاجته** . قال :

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً (11) ﴾

(سورة الأحزاب : الآية 11) .

فالإنسان يوطّن نفسه أنه هناك امتحانات حتى يظهر إيمانه وتظهر ثقته بالله واعتماده عليه وتوكله . لابد من أن تُمتحن . الشافعي سُئل رضي الله عنه : أندعو الله بالابتلاء أم بالتمكين ..؟.. قال لن تُمكّن قبل أن تُبتلى. هذا معنى قوله تعالى : **حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كُذبوا جاءهم نصرنا** . الله يؤخر النصر لكي يفرز المؤمنين . لأنه :

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾

(سورة آل عمران : 179) .

لابد من أن يفرز المؤمنين .. كيف يفرزهم بتأخير النصر .

الآن أيام إنسان تجده غير قادر على الزواج ، ليس معه ثمن بيت ، ومستقيم ويغض بصره ومن درس إلى درس وما في أمل إطلاقاً ، ومبيّن فعلاً ما في أمل . بعدين الله عزّ وجل يفرجها عنه بعدما امتحنه . لأنه من أحبّنا أحببناه ، ومن طالب منّا أعطيناه ، ومن اكتفى بنا عمّ لنا كنا له ومالنا .

أحيان الإنسان يتديّن ... يقول لك هذا جامع فيه إخوان كثير هؤلاء كلهم سيصبحوا زبائني . يبدأ بدء غلط .

يبدأ يريد الدنيا عن طريق الجامع .. تجد الأمور كلها ضده تصبح . الله يريده خالصاً_ من دون شوائب من دون أهداف أرضية . حتى الإنسان لو استقام . لو استقام اليوم واليوم الثاني جاءك دخل كبير تصبح الاستقامة تجارة .. يُقبل الناس عليها لا لأنها استقامة ولا لأنها تُرضي الله بل لأنها مُربحة . الله لا يحب هذا .. يريدك أن تأتيه من دون أهداف ، أن تحبه لذاته بعدئذٍ يكرمك . كل هذا الكلام ..

لماذا حتى إذا استيأس الرسل ، لماذا الله أخّر النصر . أولاً فرز المؤمنين أعطاهم ثمن الطاعة.

مثلاً : **إنما المشركون نجسٌ فلايقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا**– طيب ممنوع دخول المشركين ، السياحة وقفت، ما في فنادق ، أُغلقت الفنادق والمطاعم كله وقفّ – **وإن خفتم عيلة** – معناها في عيلة أمامكم في فقر– ***فسوف يغنيكم الله من فضله*** **(سورة التوبة : من الآية 28)** ... سوف ... يأتي الفرج ولو بعد حين حتى يمتحنوكم . أيام الإنسان تأتيه وظيفتين واحدة 30000 لكن عمل في فندق خمس نجوم فيه عدة مشكلات ، وأيام تأتيه وظيفة بـ 5000 لكن عمل لا شبهة فيه يؤثر الـ 5000 أقل بكثير . لكن هذا مال لا شبهة فيه . طبعاً أنا لم أقل خمس نجوم أي عمل ... في أعمال إذا كان يريد أن يبيع خمر مثلاً ، أما إذا هناك أعمال أخرى فلا علاقة . أما يؤثر دخل قليل على دخل كبير الله عزّ وجل يعطيه بعد حين الدخل الكبير لأنه امتحنه ونجح .

هذا معنى : **حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كُذبوا جاءهم نصرنا فنُجيّ من نشاء ولا يُرد بأسنا عن القوم المجرمين** . رحمة الله في بأسه على القوم المجرمين هذا البأس لعله يرجعهم إلى الله .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (19-59) : الشفاء – شفاء النفس وشفاء الجسد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام، ورد في القرآن الكريم بضع آياتٍ تتحدث عن الشفاء، فالقرآن الكريم شفاءٌ للنفس والعسل شفاءٌ للأبدان، كيف يكون القرآن الكريم شفاءً للنفس؟ من الآيات التي تشفي النفس وتريحه قوله الله عز وجل:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾.

[سورة الرعد الآية: 11].

الإنسان ضعيف، قال تعالى:

﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً ﴾.

[سورة النساء].

هناك أربع صفات ضعف في خلق الإنسان، خلق ضعيفاً، وخلق عجولاً، وخلق جزوعاً، وخلق منوعاً، ضعيف، وعجول، وجزوع، ومنوع، هذه نقاط الضعف في كيان إنسان لمصلحته، لأنه مكلفٌ أن يعرف الله، لأنه يسعد بالاتصال بالله، جعله ضعيفاً، لو جعله قوياً لاستغنى بقوته، فشقيَّ باستغنائه، جعله ضعيفاً ليفتقر في ضعفه، فيسعد بافتقاره، خلقه للآخرة وركب فيه أنه عجول، فلو خلقه مهولاً، لاختار الآخرة دون أن يرقى بهذا الاختيار، أما هو طبيعته عجول، فلو آثر ما يبقى على ما يفنى ارتقى، خلقه منوع، لأنه إذا أنفق وهو منوع ارتقى، لو أنفق وهو سموح لا يرتقي، منوع، وخلقه جزوعاً، شديد الخوف، فكلما نابه أمرٌ التجأ إلى الله عز وجل فمنوعٌ، وجزوعٌ، وعجولٌ، وضعيف، هذه صفاتٌ خلقيةٌ لصالح إيمانه.

أما الشيء الآخر: لأنه مخير، لأن الإنسان مخير، كل خصائصه حيادية الاتجاه كل خصائصه، فالإنسان يغار، الغيرة إن توجهت إلى أعمال الآخرة كانت غبطةً، وإن توجهت إلى الدنيا كانت حسداً، فالغيرة ليست قيمة إيجابية، ولا سلبية، حيادية، إما أن تستغل في الآخرة فتكون غبطةً، ويرقى بها الإنسان، وإما أن تكون في الدنيا، فتكون حسداً، ويسقط بها الإنسان.

أيها الإخوة، الآن الإنسان ضيف، في عليه قوة كبيرة، مخيفة، منها الأمراض المرض سيفٌ مسلطٌ عليك، منها الأقوياء، في إنسان ضعيف، وفي إنسان قوي، كيف يستطيع أن يتلاشى هذه القوة المخيفة التي فوقه؟ الجواب: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾، في دائرة تملكها، ودائرة لا تملكها،

في مجال أنت سيده، وفي مجال لست سيده في مجال أنت فيه ضعيف، وفي مجال أنت فيه قوي، فإذا أقمت أمر الله فيما متاحٌ أمامك، فيما أنت مالكه، كفاك الله عز وجل ما لست مالكه.

هذه الآية شفاء، يعني أنا عليَّ أن أطيع الله، أن أقيم الإسلام فيما بيني وبين ربي أن أقيمه في بيتي، أن أقيمه في عملي، فإذا فعلت هذا، كفاني الله أمر ما لا أستطيع أن أقف أمامه: ﴿ **مَا بِقَوْمٍ** ﴾.

أنت بكرة، وهذه الكرة ضمن كرة كبيرة، وفي هذه الكرة الكبيرة قوى مخيفة وأنت في الداخل، أما هذه الكرة الصغيرة أنت مالكها، وأنت محكمٌ فيما فيها فإذا أقمت فيها أمر الله عز وجل، كفاك هذه الكرة الكبيرة التي لا تملكها.

يعني بشكل مختصر إذا كنت بخير، ولم تغير، لا يغير، وإن كنت لا سمح الله في شر لا يغير حتى تغير، هذه قاعدة، لو أن المسلمين عقلوها، وفهموها لكانوا في حال غير هذا الحال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾، أحياناً الأمر ليس بيد الإنسان بيد من هو أقوى منه، أحياناً لا يملك رزقه هناك من يتوهم أن يملك رزقه، غيّر ليغير الله ما بك، فإن لم تغير الله لا يغير، هذه قاعدة من قواعد العقيدة، إذا كنت في خير لا تغير فلا يغير إن كنت في غير هذا الحال غير حتى يغير: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾.

﴿ **وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ** ﴾.

[سورة الشورى].

الإنسان أحياناً وهو في الطريق إلى الله يصاب بالفتور، هذا الفتور علاجه أن تذكر أيام الله، ما في واحد إلا ولله عز وجل معه أيادي بيضاء، في موقف صعب نجاه الله منه، في ورطة أنقذك الله منها، في ضائقة سلمك الله منها، في شبح مصيبة نجاك الله منها، فكلما وقعت في إشكال، وفي أزمة، وفي ضائقة ونجاك الله منها، هذا يومٌ من أيام الله، اذكره، لهذا يقال:

كن عن همومك معرضاً   وكلِ الأمور إلى القضاء
وأبشر بخيرٍ عاجلٍ تنسى   به ما قد مضــى
فلرب أمـرٍ مسخطٍ لك   في عواقبه رضـا

* * *

ولربما ضاق المضيق	ولربما اتسع الفضــاء
الله يفعل مــا يشاء	فلا تكن معترضـــاً
الله عودّك الــجميل	فقس على ما قد مضــى

* * *

هذا معنى قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآَيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾.

[سورة إبراهيم الآية: 5].

لذلك اليأس من لوازم الكفر، والأمل من لوازم الإيمان، في أمل كما قلت قبل قليل في أمل الأمل حيادي، إن جعلت الأمل عند الله، فهذا الأمل الإيجابي، أما إن جعلت الأمل في الدنيا، فهذا هو الأمل السلبي:

﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ﴾.

[سورة الحجر الآية: 3].

هذا الأمل السلبي، أما إذا وضع الإنسان آماله في أعتاب الله عز وجل، هذا هو الأمل الإيجابي.

الآن في نقطة دقيقة جداً: هو أن الكلمة الطيبة، النبي قال:

((الكلمة الطيبة صدقة)).

[أخرجه مسلم وابن خزيمة، عن: أبو هريرة].

الكلمة الطيبة شُبهت في القرآن الكريم:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾.

[سورة إبراهيم].

الشجرة الطيبة، خذ حبة تين، كم بذرة فيها؟ لعل فيها عشرة آلاف بذرة، كل بذرة يمكن أن تكون شجرة، كل شجرة كم حبة تين تحمل؟ لو فرضنا عشرة آلاف حبة تين، كل ثمرة فيها عشرة آلاف بذرة، لو أجرينا عملية حسابية من بذرةٍ واحدة كانت شجرة، ومن شجرة كان هناك آلاف الثمار، وكل ثمرة فيها آلاف البذور، وكل بذرة فيها آلاف الأشجار، هذه الكلمة الطيبة تنتشر انتشاراً في الأرض انتشاراً كبيراً، ومثل: ﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾، معنى: ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾، يعني لها أسس، الله عز وجل قال:

﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ﴾.

[سورة الرعد الآية: 14].

﴿ الْحَقِّ ﴾، الشيء الثابت، الدين الإسلامي مبني على حقائق، مبني على واقع مبني على منطق، مبني على عقل، مبني على نقل، يعني الإنسان إذا عرف الله عز وجل من خلال هذا الدين العظيم، يصبح مع الكون في انسجام، لأن النقل كلامه، والعقل مقياس أودعه فينا، والفطرة جبلة فطرنا علينا، والواقع خلقه، فإذا أمنت بالله عز وجل، كنت مع انسجامٍ مع كل ما في الكون:﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾، يعني ما في مفاجأة سلبية إطلاقاً، أن العلم يكتشف شيء يتناقض مع الدين، مستحيل، لأن هذا الدين دين الله، لن تزيد الأيام المسلم إلا رسوخاً بإيمانه لن يكون هناك حدثٌ يناقض القرآن الكريم، القرآن كلام الله عز وجل، فلذلك:

﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾ أما في مبادئ أخرى أصلها غير ثابت، بعد سبعين عام ظهرت أنها باطل، وأنه لا أساس لها وأنها تهاوت كبيت العنكبوت، فهذه: ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾، نعمة كبيرة جداً، ما في عندك مفاجأة إطلاقاً، ﴿ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾، يعني هي تسمو بالإنسان ترقى به، في مبادئ تفسده، تجعله حيواناً، وفي مبادئ دينية راقية، تجعله في السماء، ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾:

﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾.

[سورة إبراهيم الآية: -25-26].

أما هنا المشكلة، الكلمة الخبيثة أيضاً:

﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾.

[سورة إبراهيم الآية:26].

تنتشر، الأفكار الهدامة إذا لها علاقة بالشهوات، لها علاقة بالمصالح، تنتشر أيضاً كما تنتشر الكلمة الطيبة:

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ﴾.

[سورة إبراهيم الآية: 26].

لكن ليس لها أصل، ما لها جذور، لا تستند إلى منطق، ولا إلى عقل، ولا إلى نقل ولا إلى واقع، ولا إلى فطرة، ولا إلى خير.

﴿ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾.

[سورة إبراهيم].

تهتز سريعاً، لذلك الله عز وجل قال:

﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾.

[سورة الإسراء].

وزهوق صيغة مبالغة، يعني مهما كان الباطل كبيراً هو زهوق، مهما تعدد الباطل هو زاهق:

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾.

[سورة إبراهيم].

يعني أكبر دعم للمؤمن هذا الكتاب، يقرأه شاب:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾.

[سورة النحل الآية: 97].

ما الذي يثبت الشاب على طاعة الله؟ أن الله وعده بحياةٍ طيبة، ما الذي يعين المؤمن على تحمل الشدائد؟ أن الله وعده بالجنة، ما الذي يقوي المؤمن أمام عدوه؟ أن الله وعده بالنصر ما الذي يجعل الإنسان مطمئناً؟ أن الله وعده بالرزق، القرآن الكريم يثبت المؤمن

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾.

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ ﴾.

[سورة إبراهيم الآية: 46].

يعني الله ﷻ لا تخفى عليه خافية، والإنسان إذا علم أن الله يعلم، حينما يعلم أن الله يعلم يستقيم على أمر الله، والله عز وجل كما كان درس الجمعة:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾.

[سورة الطلاق].

لمجرد أن تعلم بأن الله يعلم تستقيم على أمر الله: ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ ﴾، كل حركاتهم، وسكناتهم بعلم الله، قال:

﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾.

[سورة إبراهيم].

يعني الباطل أحياناً يمكر مكراً: ﴿ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾، ولأن هذا الدين دين الله هو شامخٌ كالجبل، راسخٌ كالصخر:

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾.

[سورة إبراهيم].

والإنسان بحالات الضعف، ساعات البلاء، ساعات الامتحان، يقول الله عز وجل:

﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾.

[سورة إبراهيم الآية: 47].

لمن إنسان يمتحن، يمتحن بتأخير النصر:

﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ ﴾.

[سورة يوسف الآية: 110].

يمتحن بتأخير النصر، فالإنسان هنا يظهر إيمانه:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةَ ﴾.

[سورة الحج الآية: 11].

في إنسان بالأعماق، في إنسان، ﴿ عَلَى حَرْفٍ ﴾، فهذا الذي: ﴿ عَلَى حَرْفٍ ﴾، قد تفتنه الدنيا، أي ضغط يفتنه، أي إغراء يفتنه، فالمؤمن ينبغ أن يكون في الأعماق، لا يتأثر بالحوادث التي يسوقها الله له، من أجل أن يكشف حقيقته، الله يعرفها، لكن الله يريد أن يميز بين المؤمنين:

﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ* يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾.

[سورة إبراهيم].

﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾.

[سورة إبراهيم].

أيها الإخوة:

﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ ﴾.

[سورة الحجر الآية:88].

ماذا نفهم من هذه الآية؟ ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ ﴾، يعني كأن النبي عليه الصلاة والسلام، هل يعقل أن تمتد عينه إلى ما في أيدي الناس؟ في دليل قطعي في الآية:

﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾.

[سورة الحجر الآية:88].

يعني إذا مد النبي عينه إلى هداية هؤلاء الذين غرقوا في الدنيا، هو يحزن عليهم لا يتمنى ما عندهم، كلمة: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾، تبين أن النبي عليه الصلاة والسلام يطمع بهداية كل الناس، حتى أهل الدنيا، لأن دعوته عامة، لكن الله عز وجل يبين له أن هؤلاء الذين غرقوا في الدنيا لا جدوى منهم، لا تلتفت إليهم، لا تطمع في هدايتهم، إن قلوبهم مغلقة، لأن على قلبهم غشاوة، وعلى أبصارهم، وعلى سمعهم غشاوة:

﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

[سورة الحجر].

في آية:

﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

[سورة الشعراء].

وآية ثانية: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾، الفرق بين الآيتين، الإنسان ينتمي إلى مجموع المؤمنين، فينبغي أن يخفض جناحه لمن اتبعه، أو لأي مؤمنٍ على وجه الأرض، آية ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾، والآية الثانية: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، أثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وأرضَ عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبيِّ الأميّ، وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

الدرس(20-59): المستقبل واقعٌ لا محالة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام، الآية الأولى في سورة النحل:

﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾.

[سورة النحل الآية: 1].

﴿ أَتَى ﴾: فعل ماض، ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾: فعل مضارع، ﴿ تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾، معنى تطلبون سرعة مجيئه، أما: ﴿ أَتَى ﴾، معناه قد جاء وانتهى الأمر، ما معنى هذه الآية؟ معنى هذه الآية: أن الله سبحانه وتعالى في آياتٍ كثيرة يعبر عن المستقبل بالفعل الماضي، من أجل أن نشعر أن هذا المستقبل قد وقع، وانتهى الأمر، لأن وعد الله عز وجل واقعٌ لا محالة.

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ ﴾.

[سورة المائدة الآية: 116].

هذا القول لم يقله بعد سيدنا عيسى، سيقوله يوم القيامة، أما حينما جاءه هذا الفعل المستقبلي بصيغة الماضي، معنى ذلك أن هذا الفعل في حكم الواقع.

الآن الإنسان يتحرك، في نقطة ثابتة، في حالات بالهندسة إذا كان النقطتين متحركتين لم يلتقيا، ولاسيما إذا كانتا بسرعةٍ ثابتة، نقطة ماشية على المئة، ولاحقتها على المئة لن يلتقيا، إذا الأولى ماشية على التسعين والثانية على المئة يلتقيان بعد أمدٍ طويل، أما تصور النقطة الأولى ثابتة، والثانية متحركة، معناها اللقاء قريب، نقطة ثابتة والثانية متحركة.

إنسان ركب سيارة باتجاه حلب، حلب ثابتة، هو ماشي ما دام يمشي سيصل قريباً فنحن نقاط متحركة كلنا إلى هدفٍ ثابت.

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾.

[سورة يس].

فالآن مستقبل في حكم الواقع، الآن العاقل، الذكي، الموفق هو الذي يعيش المستقبل ويتوافق معه منذ الآن، والأقل ذكاء يعيش حاضره، والغبي يعيش ماضيه، يتغنى بماضيه وواقعه سيءٌ جداً، فربنا عز وجل عن هذه المعاني أن المستقبل آتٍ لا محالة، والمستقبل سريع المجيء، والمستقبل في حكم أنه قد أتى:﴿ **أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ** ﴾، يعني لم يأتِ بعد.

لذلك قال سيدنا علي: "**كل متوقعٍ آت، وكل آتٍ قريب**".

وهذا الشيء نحسه جميعاً في حياتنا الدنيا، بدأ رمضان، أول يوم صلينا فيه أمامنا ثلاثين يوم، ما شعرنا اليوم اثنا عشر، ولن يمضي وقتٌ طويل حتى ينتهي رمضان، ويأتي العيد ثم يأتي عيد الأضحى، ثم يأتي الشتاء، والربيع، وتمضي هذه السنوات سنةً إثر سنة، وكأنها حلم يوم القيامة يُسأل الإنسان كم لبثت في الدنيا؟ يقول:

﴿ **يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ** ﴾.

[سورة الكهف الآية: 19].

وفي آية:

﴿ **لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ** ﴾.

[سورة الأحقاف الآية: 35].

والحكمة: الدنيا ساعة، اجعلها طاعة، الزمن يمضي سريعاً، وكل واحد منا له عمر ليسأل نفسه كيف مضى هذا العمر؟ والله كالحلم، كان بالخمسة عشر، الآن بالسبعين، بالستين بالخمسين، بالأربعين، وهكذا الماضي على طوله مضى، فالمتبقي في الأعم الأغلب أقل مما مضى، كيف مضى الذي مضى؟.

فهذه الآيات في القرآن الكريم التي تتحدث عن المستقبل، بمعنى أن المستقبل واقعٌ لا محالة، بل في حكم الواقع، وكأنه وقع، الآن المؤمن في أي أجواءٍ يعيش؟ يعيش في المستقبل المستقبل فيه موت، في قبر، في جنة، برمج حياته، دخله، إنفاقه، بيته، زوجته، أولاده، كلامه نطقه، حركته اليومية برمجها بحيث أنه يسعد بها في المستقبل، فتجد له يسموها بالتعبير الحديث إستراتيجية، له المؤمن إستراتيجية غير الناس، الناس يستهلكون حظوظهم من الدنيا، هو يستثمرها، الناس يستهلكونها، يأكل، ينام، يعمل نزهة، يلبس، يعزم، لكن ليس له هدف، يستهلك حظوظه، المؤمن أتاه الله حظوظاً، هو يوظفها في الحق لا يستهلكها، يوظف الوقت في ذكر الله يوظف القوة في طاعة الله، يوظف المال في خدمة الفقراء والمساكين، يوظف

طلاقة لسانه في الدعوة إلى الله، يوظف علمه في البحث عن أدلةٍ تقوي الإيمان، المؤمن يستثمر حظوظه في الدنيا، وكأنها رأس ماله، والكافر يستهلكها.

تماماً لو أعطينا إلى إنسانين كل واحد مليون ليرة واحد أنفقها، سافر، نزل بفنادق اشترى لبس، أكل، عزم، ضيّف، خلال شهر، شهرين، ثلاثة انتهت استهلكها، في إنسان بحث عن أعلى شركة استثمارية، دفعها إليها، وصار يستجر أرباح، هو يعيش من ريع هذا المبلغ، لا يعيش من أصله، يعيش من ريعه.

فالآن نحن كلنا رأس مالنا الوقت هو ظرف العمل، كل واحد منا له عند الله وقت يعني البارحة سمعت من أخ كريم مطلع على أحدث بحوث الهندسة الوراثية، العلماء في الغرب اكتشفوا أن من المورثات مورثاً فيه عمر الإنسان الدقيق، لكن لن يستطيعوا أن يفتحوه ليعرفوا كم هو عمره، لكن تحدد مورث من بين الألف مورث التي اكتشفت حتى الآن، أحد هذه المورثات تحدد عمره، الله عز وجل ذكر هذا في كتاب الله الإنسان له أجل لا يتقدم، ولا يتأخر فنحن آجالنا ليست مفتوحة، مغلقة، كل واحد منا له أجل مغلق، والله أعلم، يعني الإنسان مثلاً ستين، اثنان وخمسين، ثلاثة وخمسين، سبعين، خمسة وأربعين، تسعة وأربعين، متى يموت؟ مليون سبب للموت في، فنحن رأس مالنا الزمن، الوقت، النقطة الدقيقة: إما أن نستهلكه وإما أن نستثمره، المؤمن بأعلى درجات العقل، والتوفيق يستثمره، وغير المؤمن يستهلكه، فإذا الإنسان صرف من رأس ماله انتهى، هذا إذا كان أنفقه في المباحات وكلامي دقيق جداً، إذا أنفقه في المباحات، يعني لم يعمل المعاصي، إلا أنه استهلك حظوظه من الدنيا، استهلك ماله بالطعام والشراب، واللباس، استهلك وقته بالراحة، والمزح البريء، والكلام العادي، استهلك صحته في كسب المال فقط.

فيا أيها الإخوة الكرام، الوقت يمضي سريعاً، الإنسان:

((بضعة أيام، كلما انقضى يومٌ انقضى بضعٌ منه، وما من يومٌ ينشق فجره إلا وينادي يا ابن آدم، أنا خلقٌ جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني فأني لا أعود إلى يوم القيامة)).

هذا المعنى النبي اللهم صلي عليه أشار إليه، كان عليه الصلاة والسلام ما إن يفتح عينيه، أو ما أن يفتح عينيه مستيقظاً، حتى كان يدعو ويقول:

((الحمد لله الذي ردَّ عليَّ روحي)).

يعني سمح لي أن أعيش يوم جديد، لأن الإنسان في النوم يتوفاه الله، النوم وفاة مؤقتة، والموت نوم دائم.

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾.

[سورة الزمر الآية: 42].

كل واحد منا إذا آوى إلى الفراش يموت، لكن يموت ثم يبعث، والنبي عله الصلاة والسلام علمنا هذا الدعاء: اللهم

((إنْ أَمْسكْتَ نَفْسي فارْحَمْها)).

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي، عن: أبو هريرة].

إذا كان نمت ولم أفق أرحمها:

((وإنْ أرْسَلتَها فَاحْفَظْها)).

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي، عن: أبو هريرة].

فلما الإنسان يستيقظ، معنى ذلك أن الله سمح له أن يعيش يوماً جديداً، أول دعاء للنبي اللهم صلي عليه:

((الحمد لله الذي ردَّ عليَّ روحي)).

لكن استيقظ، مشى، الحمد لله، الأجهزة كلها شغالة، الجاهزية عالية، السمع والبصر والحركة، قال:

((الحمد لله الذي عافاني في جسدي وَرَدَّ عَلَيَّ رَوحي، وأذِنَ لي بذِكرِهِ)).

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي، عن: أبو هريرة].

في أناس للساعة الثالثة نائمين، وشاربين، وسهرانين بنوادي ليلية، والآن نائمين نحن الله عز وجل سمح لنا أن نستيقظ، سمح لنا أن نذكره، سمح لنا أن نصلي، هذا فضل من الله عز وجل، إذا الإنسان الله نوره، وعرفه، وأعانه على طاعته، فهذا دعاء النبي:

((الحمد لله الذي عافاني في جسدي وَرَدَّ عَلَيَّ رَوحي، وأذِنَ لي بذِكرِهِ)).

يعني الإسلام قوي، والله غني عن أي مخلوق، أما إذا الله عز وجل سمعك الحق وأعانك على طاعته، وأذن لك أن تدعو إليه، هذا شرفٌ كبير لا يناله كل إنسان، إذاً المؤمن يعيش المستقبل، يعني ما في مانع الإنسان يتصور حاله توفاه الله، يهيئ عمل صالح، يهيئ عمل يلقى الله.

سمعت عن شخص، أنا والله لا أعرفه، ولا رأيته، لكن له أعمال طيبة جداً جداً كان إذا دخل شخص لمكتبه، طلب مساعدة لجمعية، لفقراء، من عادته يقول له: افتح صندوق الحديد، وخذ كم تشاء، ولا تعلمني كم أخذت، عمل مسجد، له قصة غريبة، أن هذا الإنسان أصيب بمرض خبيث في الدم، وما كان معروف بالضبط نوع المرض، المستشفى اتصلت بالبيت من أجل أن تُعلم أهل البيت، أهل المريض بنوع مرضه، لحكمةٍ أرادها الله، رفع السماعة هو السماعة الثانية، فكان إبلاغ المستشفى أن الورم خبيث، ولن يعيش أكثر من ثلاثة أيام بالضبط والقصة واقعة في دمشق، والشخص أعرف اسمه، أعرف صديقه، هذا الإنسان الذي لا يصدق تلقى النبأ ببساطة، وخبر أحد أصدقائه المقربين إليه، قال له: أنا انتهيت، في له تجارة هو، قال له:

هذه الصفقة سألغيها، أُلغيها وهذه الصفقة دُفع ثمنها، أنت استلمها، وبعها، وأدِ ثمنها لأولادي أول يوم حل كل مشاكله المالية، وثاني يوم استقبل كل أقربائه، وودعهم، وثالث يوم له شيخ في الشام، جاء شيخه، وبعض إخوانه، وقرءوا له القرآن، وقام بنفسه اغتسل، والساعة الواحة ظهراً فاضت روحه إلى السماء، الذي يلفت النظر أنه بأعصاب غير معقولة جداً تلقى هذا النبأ، لأن عمله طيب، كل إنسان عمله طيب يعد الموت تحفةً له، ويعده عرساً له.

وما من صحابيٍ على الإطلاق إلا كان في أسعد لحظات حياته حينما يلقى الله عز وجل، كل هذا التعب لهذه الساعة، طالب بذهنه يكون الأولي على القطر حينما يقرع جرس الامتحان يفرح، لأنه مستعد استعداد مذهل للامتحان، لم يترك كتاب لم يدرسه، ما في مسألة لم يحلها، عامل دروس خاصة، حافظ، ملخص، دفاتر، يعني شوقه الكبير أن يصب كل علمه على هذه الورقة، فهذا الطالب فرحه بالامتحان، بمجيئه، غير طالب كسول سوف يخزى في هذا اليوم، في فرق كبير جداً.

فيا أيها الإخوة، من علامة التوفيق أن تعيش المستقبل، والحدث الواقع في المستقبل الواقع الذي لم ينجو منه أحد، هو الموت، وبين أن يكون أكبر مصيبةً، وبين أن يكون عرساً لك ما في حل وسط، هذا الحدث الذي لا بد منه، إما أن يكون أكبر مناسبة سعادة، لأنه كالغائب ردَّ إلى أهله.

تصور إنسان، يعني مثل افتراضي: فقير جداً، ذهب ليدرس في بلد غربي، أما عنده اختصاص نادر، لو عاد إلى بلده سيكون أغنى الأغنياء، فاشتغل بمطاعم، اشتغل حارس اشتغل بأعمال صعبة حتى قدر أن يؤمن مصروف، ودرس، وكأنه إذا كان نال الشهادة العليا، له عمل كبير جداً في بلده، ودخل كبير، ونال الشهادة، وصدقها، وقطع بطاقة طائرة، ووضع رجله على سلم الطائرة، ينتابه شعور بالسعادة لا يوصف، أن كل هذا التعب انتهى.

قال النبي عليه الصلاة والسلام رأى جنازة، قال:

((مستريح، أو مُسْتَرَاح منه، فقالوا: يا رسول الله ما المستريحُ، وما المستَرَاح منه؟ فقال: العبد المؤمنُ يستريح من نَصَب الدنيا)).

[أخرجه البخاري ومسلم والنسائي ومالك، عن: أبو قتادة].

يعني سمعت عن إنسان في بلد مسلم، يعني هناك كان بالسجن، كان بوضع صعب جداً، ويقوم بعمل مذكرة دفاع عن نفسه، فيقول صديقه: أنه يكتب، وتعبان، ومجهود بالكتابة غفل واستفاق، ومسك الأوراق، ومزقها كلها، وانطلق وجهه طلاقة غير معقولة، رأى رسول الله في المنام وكأنه بشره أنه سوف تأتي إلينا عن قريب، فألغى المذكرة، وألغى الدفاع، وقضى يومين ثلاثة يعني بسعادة لا توصف، فلما الإنسان يكون له مقام عند الله:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾.

[سورة القمر].

ابتغوا الرفعة عند الله، والجنة ثمنها في الدنيا مبذول، بيدكم جميعاً، بطاعة الله بخدمة عباده، بمحبته، بذكره، بالدعوة إليه، ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ ﴾، اعتبر المستقبل انتهى، لما أنت تعيش المستقبل، تتوافق معه في الحاضر، برمج حياتك، بيتك، نظام حياتك، مهنتك، كسبك للمال أولادك، برمج حياتك على أساس أنك تعد للآخرة.

﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا ﴾.

[سورة الإسراء الآية: 19].

انظر الآية:

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ ﴾.

[سورة القصص الآية: 77].

أتاك علم، أتاك قوة، أتاك صحة، أتاك مال، أتاك ذكاء، أتاك قوة حجة، ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ﴾، إياك أن تستهلك، وظف، يعني الأذكياء بالاقتصاد يعيشون من ريع أموالهم، لا من رأس أموالهم، والإنسان الغبي يعيش من رأس ماله، يستهلك رأس ماله، رأس مالنا الوقت، هذا ينبغي أن يستهلك، يعني كلمة مالي فاضي، لا تحكيها إطلاقاً، لا شيء يعلو على معرفة الله، لا شيء يعلو على خدمة عباده، لا شيء يعلو على نشر الحق، هذا أكبر شيء أنت خُلقت من أجله.

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾.

[سورة النحل].

يعني الآن شغل العلماء الشاغل الهندسة الوراثية، أن الحوين المنوي هو خلية واحدة والخلية لها غشاء، ولها هيولة، ولها نوية، على النويّة خمسة آلاف مليون معلومة مبرمجة، الآن اكتشف ألف معلومة، اكتشف ألف فقط، كلما اكتشفوا معلومة، يجدون العجب العجاب، يعني في الآن من خلال الهندسة الوراثية بدءوا يفسرون حالات الإنسان العجيبة، أن شاب شرايينه بالثمانين إنسان بالثمانين شرايينه كأنها

شرايين شباب، وإنسان بالأربعين شرايينه تالفة، في بهندسته الوراثية شيء، بتقدير الله عز وجل: ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾، يعني معقول حوين من خمس مئة مليون حوين يدخل إلى بويضة، ويكون في برمجة لخمس آلاف مليون معلومة، وأمر بوقت معين، ثم يخرج هذا الطفل إلى الدنيا بخلق مبدع، هذه من آيات الله الدالة على عظمته، طبعاً شيء ذكرته سابقاً:

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة النحل].

لو أن هذا القرآن من عند رسول الله، من عند محمدٍ عليه الصلاة والسلام، بعهده كان في خيل، وبغال، وحمير، وجمال، إلى آخره، لكن لم يكن في سيارات، ولا في طائرات، ولا في بواخر عملاقة، ما كان ذكر هذا الشيء، أما لأنه كلام الله عز وجل، قال: ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾، فأنت حينما تقرأ القرآن الكريم تشعر أن هذا كلام الخالق، الذي يعلم ما سيكون، ما سيكون مغطى بهذه الآية، آخر آية:

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ﴾.

[سورة النحل الآية: 30].

الذي أنزله القرآن الكريم، والذي فصله النبي الكريم، السنة، هذا الدين بمجمله الله عز وجل طواه في كلمة واحدة:

﴿ قَالُوا خَيْراً ﴾.

[سورة النحل الآية: 30].

خير مطلق، هذا الدين، قرآنه، وسنته، وأوامره، وعقائده، وتكاليفه، وآدابه كله خير.

﴿ قَالُوا خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآَخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾.

[سورة النحل].

كذلك الله عز وجل ما خلقنا ليعذبنا، وفي الدنيا لك حسنة، والآخرة فيها حسنة:

﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ﴾.

[سورة النحل].

الجنة شيء ثاني، هنا لك ما سعيت:

﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾.

[سورة النجم].

ما في شيء بلا ثمن، من أجل أن تركب مركبة، تجهد في تجميع ثمنها، أما بالآخرة: ﴿ **لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ** ﴾، نظام الجنة أساسه اطلب تعطى، وللأبد، موت ما في مرض ما في كبر ما في، خطوط على الوجه ما في، شباب دائم، لا في برد، لا في زمهرير، لا في قلق، لا في هم لا في خصومات، لا في عداوات، لا في أمراض، أبداً:

﴿ **وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾.

[سورة النحل].

لذلك:

﴿ **يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾.

[سورة الشعراء].

رأس مالك قلبٌ سليم، سلم من العيوب، من الدنايا، من الأدران، من الأحقاد:

﴿ **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾.

[سورة النحل].

الطرف الآخر:

﴿ **فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ** ﴾.

[سورة النحل].

يعني هذا الدرس ملخصه أن نعيش المستقبل، وأهم حدثٍ في المستقبل مغادرة الدنيا وهذا الحدث الذي هو عند الناس أكبر مصيبة، ينقلب عند المؤمن إلى عرس، وإلى يوم عيدٍ وفرح.

والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، أثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وأرضَ عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبيِّ الأميّ، وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

الدرس (21-59) : تربية البنات - اللبن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ* يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾.

[سورة النحل].

السؤال: هذه الفتاة البريئة التي لا يزيد عمرها عن ست سنوات، عن أربع سنوات حينما يدسها أبوها بالتراب، ويقتلها وهي حيةٌ ترزق، ما مصيرها في الآخرة؟ أنا أسألكم، في الجنة هذه البنت التي تكبر في عصرنا، ويطلقها أبوها تفعل ما تشاء، وترتدي ما تشاء وتلتقي مع من تشاء، ما مصيرها؟ إلى النار، أيهما أكثر جريمةً أن تائدها وهي صغيرة؟ أم أن تطلقها وهي كبيرة؟.

أيها الإخوة، من كان عنده بنتٌ أو بنتان، أو أكثر، هذه البنات أحد أسباب دخول الجنة:

((من جاءه بنتان، فأحسن تربيتهما، حتى يزوجهما، أو يموت عنهما، فأنا كفيله في الجنة)).

وبالمقابل إذا الفتاة فسدت، وكان أبوها سبباً في فسادها، لم يعتنِ بها، لم يعلمها لم يربيها تربيةً إسلاميةً، أطلقها وشأنها، ربما كانت سبب دخوله النار، تقول:

((يا رب لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي)).

لذلك وأد البنات في الجاهلية عار، لكن إفساد الفتيات في الجاهلية الثانية، أما الجاهلية الثانية من أين جاءت؟.

﴿ لَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾.

[سورة الأحزاب الآية: 33].

كلمة أولى تعني هناك جاهلية ثانية، والجاهلية الثانية أشد، وأنكى، هذه الفتاة التي ترتدي ثياباً فاضحة، تصف جسمها تماماً، أليس لها أب؟ أليس لها أخ؟ أليس لها بيتٌ رُبيت فيه؟ ألم يرَ أبوها كيف تخرج؟ هذا أشد من الوأد، لأن الفتاة إذا وأدت وهي صغيرة دخلت الجنة وكان أبوها مجرماً، أما إذا أُطلقت، وفسدت، أو أُفسدت، دخلت النار، وكان أبوها أكثر جريمةً من الأولى.

أيها الإخوة، يعني كل بيت فيه بنات، هذه البنات ضمانة لأبيهم لدخول الجنة لذلك تربية البنات جزءٌ من الدين، إنك إن علمت فتىً علمت واحداً، وإنك إن علمت فتاةً هديت أسرة بأكملها، وكم من شابٍ أتى إلى بيوت الله بدافعٍ من زوجته المؤمنة، وكم من زوجٍ كانت زوجته سبب هدايته وسبب إقباله على الله عز وجل:

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ﴾.

[سورة النحل الآية: 66].

الحقيقة الفرث معروف، هو الروث، لكن بعض العلماء وجه هذه الآية توجيهاً جديداً، الفرث يعني فضلات الاستقلاب، فضلات الطعام، فضلات الاحتراق، في فضلات غازية، أين هي؟ هواء الزفير، الأكسجين الذي نستنشقه يحرق السكر في الخلايا، ناتج الاحتراق co غاز الفحم، هذا يخرج من الرئة على شكل زفير، فالهواء الذي نطلقه من أفواهنا هو الزفير ناتج احتراق السكر في الخلايا، والعرق الذي نفرزه أيضاً في حمض اللبن ناتج تفاعل الخلايا مع بعضها، ومع الغذاء، والروث الذي يطلقه الإنسان أيضاً، هذا ناتج الهضم، في بالدم حمض اللبن ناتج الاستقلاب الخلوي، هذا سماه بعض العلماء فرثاً، فرث سائل، في فرث غازي وفرث صلب يقول الله عز وجل: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ﴾. يعني هذه الخلية السدية، هي قبةٌ محاطةٌ بشبكة أوعيةٍ دمويةٍ بالغة الدقة، هي تختار من الدم ما يصلح للحليب، تختار: ﴿ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ﴾، من الدم، وحمض البول، تأخذ البروتين والسكريات، والمواد الدسمة، والمعادن، والفيتامينات لتصنع الحليب، وحتى هذه الساعة لا يدري أحدٌ كيف تعمل هذه الخلايا عمله، ربنا عز وجل يقول:

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ ﴾.

[سورة النحل].

هذا اللبن هو غذاءٌ كاملٌ للإنسان، والحجم الواحد من الحليب نتيجة دوران أربع مئة حجمٍ من الدم، كل أربع مئة حجم من الدم نتاجها لتر حليب واحد، والحليب كما تعلمون غذاءٌ أساسي للإنسان، هذه البقرة معمل، معمل صامت، كل منتجاتها فيه نفع، وكذلك مذللة وكيف عرفناها مذللة؟ بعد أن جنت في بريطانيا، اضطروا أن يحرقوا، الخطة أن يحرقوا ثلاثين مليون بقرة، ثلاثة عشر مليون ثمنها ثلاثين مليار جنيه إسترليني، توحشت البقرة مرضٌ يصيب البقر تصبح متوحشة، فنعمة التذليل نعمةٌ لا يعرفها إلا من رأى بقرةً متوحشة قد تقتل الرجال، وحش الله قال:

﴿ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾.

[سورة يس].

إخوانا الكرام، ورد في القرآن الكريم:

﴿ أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴾.

[سورة النحل الآية: 70].

والحقيقة الناس يتشابهون في شبابهم، شاب قوي، لكنهم يتفاوتون أشد التفاوت في خريف عمرهم، ومن الناس:

﴿ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً ﴾.

[سورة النحل الآية: 70].

في شخص احتل أعلى المناصب قبل أربعين خمسين سنة، كان إذا خرج من بيته يتيه في الطرقات لا يعرف أن يعود، تتصل زوجته بالشرطة كي تبحثوا عنه، الإنسان إذا رد إلى أرذل العمر: ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً ﴾.

ومن تعلم القرآن متعه الله بعقله حتى يموت، ضمانةٌ من الخرف أن تتعلم القرآن، وأن تؤدي الصلوات الخمس، لأنه في نشاط فكري دائماً، العضو الذي يعمل لا يضمر ما دام في تفكر، ما دام في ذكر، في قراءة، في ركوع، في سجود، في حسابات، ما دام العقل نشيطاً فهو لا يضمر، ولا يخرف.

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ ﴾.

[سورة النحل الآية: 70].

بعضكم:

﴿ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾.

[سورة النحل].

حدثني أخ، قال لي: والدتي نربطها على الديوان من يديها ورجليها، قلت له: لماذا؟ قال: لأنه إذا أطلقت يداها مزقت ثيابها، وبقيت عاريةً، وأكلت من غائطها، فلابد من ربطها.

ففي أرذل العمر، المؤمن المستقيم في شبابه، في الأعم الأغلب الله سبحانه وتعالى يحفظه في خريف عمره، هذه الصلوات، والصيام، وغض البصر، وضبط اللسان، والدخل الحلال، والتوجه إلى المساجد، وفعل الطاعات، وترك المنكرات، هذا كله يضمن للإنسان خريفاً متألقاً في حياته.

في أشخاص سبحان الله! تراهم في خريف عمرهم متألقين، يعني كوكب دري حكمة، وفهم ودعابة، وذاكرة قوية، ومكانة علية، يعني يستقطب الناس بالثمانين، بالتسعين بالمئة وعشرة، أحد شيوخ الأزهر عاش مئة وثلاثين سنة، التقيت مع ابنه في بعض المؤتمرات، مئة وثلاثين عاش، يتمتع بصحته، وذكاءه، ورجل علم بالشام ثمانين سنة، علم أجيال، توفي في السادسة والتسعين، وهو يتمتع بأعلى درجات الفطنة، والذكاء، قامته منتصبة، نظره حاد، سمعه مرهف أسنانه في فمه، عاش ستاً وتسعين عاماً، كان يقول دائماً: يا بني حفظناها في الصغر، فحفظها الله علينا في الكبر، من عاش تقياً عاش قوياً والدعاء النبوي:

((اللَّهمَّ أَمتِعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقُوَّتنا ما أَحيَيتنا، واجعَلُه الوارثَ منا)).

[أخرجه الترمذي، عن عبد الله بن عمر].

يموت الإنسان سمعه جيد، بصره جيد، نطقه جيد، قوته جيدة، سمعه، وبصره ونطقه، وقوته ورثته، أما وهو حي فقد بصره، وهو حي فقد سمعه، وهو حي فقد حركته التقوى أقوى، هذا كلام العامة، التقوى تجعلك أقوى.

من آيات الله الدالة على عظمته، أنه حتى الآن لم يتوصل العلم إلى معرفة أن هذا الطير، كيف يقطع قريباً من عشرين ألف كيلو متر، فوق البحار، فوق الصحارى، ليلاً أو نهاراً، ولا يزيح عن هدفه ولا درجة؟ سمك السلمون ينطلق من شواطئ أوروبا إلى أمريكا، السمكة التي أتت من الميسيسيبي تعود إلى مصب نهره، التي أتت من الأمازون تعود إلى مصب النهر، لو أنها في خط عودتها، رحلة عودتها انحرفت درجة واحدة، لجاءت بعد كيلو متر، من الذي يهديها في ظلمات البحر، إلى هدفها الدقيق؟ الله ﷻ، والآن العلماء حاروا في أمر الطير، ينطلق عشرين ألف كيلو متر، قد يطير ثمانية عشرة ساعة متواصلة دون توقف، ومع ذلك الطيور التي من الشام، وذهبت إلى جنوب إفريقيا، تعود إلى الشام وإلى أحيائها القديمة، إذا كان في طائر، في مثلاً الشيخ محيي الدين، الطلعة الثالثة في بيت معين، يذهب إلى جنوب إفريقيا، ويرجع إلى المكان نفسه، طيب وهو يطير لو انحرف درجة واحدة يأتي بالعراق، درجة نحو اليسار جاء بمصر من الذي يهديه؟

﴿ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾.

[سورة القصص].

الله ﷻ.

﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ﴾.

[سورة النحل الآية: 79].

يعني الله ﷻ بذاته، من دون واسطة، هو الذي يهدي الطير إلى هدفه، أيام الله عز وجل بواسطة، أما هذه الآية: ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ﴾، ما في واسطة، فسروا بالجاذبية، فسروا بالمغناطيس، فسروا بالتضاريس، فسروا بالشمس، فسروا بالجهات، كل التجارب فشلت، حتى جاءوا بطيور وعلموها بمادة ملونة، وأخذوها لا جنوباً شمالاً، من انكلترا إلى أستراليا، عادت إلى انكلترا، هذا شيء الآن بحوث كثيرة جداً قرأتها، ملخص هذه البحوث العلم عاجزٌ عن معرفة من الذي يهديها إلى أهدافها، مع أنه بواخر، وطائرات تحتاج إلى بوصلات الآن الطائرات كيف تسير؟ في مراكز بث أرضية في كل مكان بالعالم، مركز البث يحدد للطائرة موقعها، ماشي على خطة، أما طائر لا في مراكز بث، لا في أبراج، ولا في لاسلكي، ولا في اتصالات، يعود إلى البيت الذي خرج منه في دمشق.

﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

[سورة النحل].

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾.

[سورة النحل الآية: 90].

العدل قسري، الإحسان طوعي، لكن: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾، في أشخاص لا يحتملون الإحسان، عدل فقط، والله أمرك بالإحسان، يعني إذا قضية لا تحل بمقياس العدل، تحل بمقياس الإحسان، وهذه الآية تحل مليون مشكلة، أيام العدل ليس في جانب خصمك، الإحسان يخلصه، الإحسان ينقذ الموقف.

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

[سورة النحل].

نحن علاقتنا بهذه الآية، الإنسان يسأل نفسه هو كم واحد؟ واحد ما ترك أثر بإنسان أبداً؟ ما كان سبب هداية إنسان؟ النبي عليه الصلاة والسلام في قلوب مليار ومئتي مليون الآن، كل إنسان له عند الله مكانة، الله عز وجل يجري على يده الخير، فسأل نفسك هذا السؤال، أنت كم واحد؟ ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾، في شخص في قلوب المئات، بل الألوف.

((ما أخلص عبداً لله، إلا جعل قلوب المؤمنين تهفو إليه بالمودة والرحمة)).

على قدر إخلاصك وطاعتك يجعل قلوب المؤمنين تميل إليك، آخر آية:

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[سورة النحل].

دقق في كلمة: **﴿ مِنْ بَعْدِهَا ﴾**، **﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾**، تاب، وأصلح، **﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾**.

والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، أثرنا ولا تؤثر علينا أرضنا وأرضَ عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبيِّ الأميّ، وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

تفسير آيات – سورة الإسراء –الدرس (22–59) : الإنسان وعبادته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام، الآيات الكريمة التي قرأت في هذه الصلاة:

﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآَنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآَنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً* وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً* وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً ﴾.

[سورة الإسراء].

أيها الإخوة، الإنسان في بداياته يتواضع لأنه صغير، في الأساس صغير هو، لا يستطيع أن يدعي أنه كبير، الإنسان أحياناً في أي مجال، في مجال التجارة، في مجال الصناعة، في مجال الشهادات العلمية، في مجال الدعوة إلى الله، في أي مجال يعلو، ويتفوق إذا تفوق الإنسان في أي مجال، هناك أخطار تنتظره، أخطار الاعتداد بالنفس، أخطار الغرور، أخطار أن يعزو هذا النجاح إليه، إلى ذاته، إلى إمكاناته، إلى قدراته، إلى ذكاءه، فإذا عزا نجاحه في أي مجال إلى إمكاناته الذاتية، ونسي أن الله تفضل عليه، وجعله في هذا المقام وهو في قمة النجاح يسقط إلى الحضيض، لذلك كان من الممكن أن يقول الله عز وجل: ربي اجعلني صادقاً، ولكن قال: ﴿ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾.

هناك أمراض خطيرة جداً، وقد نسميها خبيثة تنتظر من هم على قمم النجاح، أحد هذه الأمراض الاعتداد بالنفس النبي.

عليه الصلاة والسلام كان قدوةً لنا، كان في قمة النجاح فتح مكة التي ناصبته العداء عشرين عاماً، انتصر مع آخر معركة مع هوازن، في معركة حنين، ودانت له الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها، وفئةٌ من أصحابه وجهوا نقداً له، وكما أقول دائماً: كان في أعلى درجات القوة، وكان بإمكانه كما يفعل غيره من الأقوياء أن يلغي وجودهم، أو أن يهدر كرامتهم، أو أن يهملهم، أو أن يعاتبهم لصالحه، الذي فعله النبي وهو في قمة نجاحه، وهو في قمة القوة، جمعهم، وذكرهم بفضلهم عليه، قال:

((أما والله لو شئتم لقلتم فلصَدقتم ولصُدقتم، أتيتنا مكذَّباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فواسيناك)).

[أخرجه أبو يعلى والإمام أحمد، عن: العرباض بن سارية].

الحقيقة أن الإنسان لما نجح في حياته، ينجح أيام بتجارته، يتكبر، يحتقر الفقراء ينجح أيام بمركزه العلمي، يحمل دكتوراه دولة، أو مع بورد، يحتقر أي إنسان ما معه هذه الشهادة، وقع بالمرض الخبيث الذي يصيب العظماء، وقع في الغرور، وإذا كان ممكن نشبه جبل، الصعود له في منتهى الصعوبة، الميل حاد، والصخور كأداء، والطريق ملتوي، وعر وإنسان تمكن يصل لقمة الجبل، الطريق الذي يسقطه إلى الحضيض طريق زلق، سهل، حينما يغتر، حينما يعتد بنفسه، حينما يرى نفسه فوق الناس، انتهى، سقط إلى الحضيض، فالإنسان يحرص على تواضعه وهو صغير قليلاً، لأنه هو في الحقيقة صغير، أما حينما يوفقه الله عز وجل ويعلي قدره، هو بحاجة إلى التواضع ألف مرة.

دخل على النبي رجل أصابته رعدة قال له:

((هون عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة)).

[أخرجه الحاكم، عن: أبو مسعود الأنصاري].

أنا لا أقول هذا من هواء، قرأت قصةً عن عالمٍ كبير في الهند، قبل مئة عام أو أكثر، يعني نجح في دعوته نجاحاً يفوق حد التصور، أتباعه بمئات الألوف، وتلامذته أصبحوا دعاةً كباراً في شتى بقاع الهند، وانتهى به المطاف أنه أدعى الإلوهية في النهاية.

فالإنسان لما يصعد، في عنده حرص شديد أن يبقى مفتقراً إلى الله، النبي الكريم فتح مكة المكرمة، دخلها مطأطأ الرأس، كادت ذؤابة عمامته تلامس عنق بعيره، أيام نفتح مستشفى، الهدف إنساني، الهدف معالجة الفقراء، الهدف إعطاء صورة عن الإسلام، وعن رحمة الإسلام، بعد كم سنة صار الطابع المادي مسيطر، صار في فواتير كلها مزورة، صار في دخل كبير، صار في معاملة قاسية جداً، نقول هذا الذي أقام هذه المستشفى دخل صادقاً وخرج كاذباً.

فالإنسان لما يتحرك في طريق الإيمان، في طريق العلم، أيام بالتجارة، أيام بالصناعة، في أي مجال هناك مرض خبيث ينتظر الناجحين في الحياة، هذا المرض الاعتداد بالنفس، أو الشعور أنه فوق البشر.

لذلك واحد قدم كتاب لرسول الله قال: يا من جئت الحياة فأعطيت ولم تأخذ، يا من قدست الوجود كله، ورعيت قضية الإنسان، يا من زكيت سيادة العقل، ونهنهت غريزة القطيع، هنا: يا من هيأك تفوقك لتكون واحداً فوق الجميع، فعشت واحداً بين الجميع.

كان إذا دخل بيته كان واحداً من أفراد البيت، يكنس داره، ويحلب شاته ويخصف نعله، ويرفو ثوبه، وكان في مهنة أهله، وكان مع أصحابه، هذا عليّ ذبح الشاة وهذا عليّ طبخها، وهذا عليّ سلخها، قال: وعليّ جمع الحطب، قال: نكفيك ذلك، قال:

((أعلم أنكم تكفونني، ولكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على خلقه)).

البطولة على مستوى مؤمن، آمن، استقام، الله أعانه على غض البصر، أعانه على ضبط جوارحه، أعانه على تحري الحلال، أعانه، يحتقر الناس، كلهم فسقة، كلهم كفار واحد من الذي تظنه فاسقاً قد يتوب ويضعك في مؤخرة الركب، الإنسان مفتوحة قدراته، الآن عاصي، أما لو أنه تاب، كبار العارفين بالله في التاريخ الإسلامي كانوا قطاع طرق، كانوا مجرمين، الصلحة مع الله بلمحة، فأنت لو رأيت عاصي، طبعاً ليس معناها هو طائع، هو عاصي، العاصي عاصي، لكن لا تحتقره، لعل الله سبحانه وتعالى يأخذ بيده، ويصطلح مع الله، وقد يسبقك.

إذاً كلما قرأتم هذه الآية: ﴿ **رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ** ﴾، أقول لكم في كل مجالات الحياة أحياناً في الدرجات العلمية، يصل لمرتبة علمية عالية، فربنا عز وجل يؤدبه يقع في أخطاء فاحشة، والله عز وجل أعطاك ذكاء، أعطاك حكمة، أعطاك عقل، لكن الله عز وجل طليق الإرادة، ما معنى طليق الإرادة؟ قادرٌ في أية لحظةٍ أن يأخذ منك ما أعطاك، تعجب أحياناً إنسان ذكي جداً، يرتكب حماقة ما بعدها حماقة إنسان حكيم جداً يرتكب حمق ما بعده حمق، يكون الله عز وجل أخذ منه حكمته، وأخذ منه ذكاءه وعقله، وأوقعه في شر عمله، فالعبرة الافتقار، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام، وهو في أعلى درجات النجاح، هكذا قرأت، وهو في سدرة المنتهى، قال:

((اللهم اجعلني عبدك)).

يعني الإنسان يعلو إذا عبد الله، يعلو إذا افتقر إلى الله، هذا معنى قول الله عز وجل: ﴿ **وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً** ﴾، طريق الصعود صعب، طريق السقوط سهل جداً:

﴿ **وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوساً * قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً** ﴾.

[سورة الإسراء].

أي إنسان تحت الشدة تجده متذلل لله، يصلي، يعني سمعت، كنت في مصر، أيام الزلزال، افتحوا القرآن، افعلوا كذا، ادعوا الله عز وجل، انتهى الزلزال افتحوا على المسلسلات، تحت الضغط الناس كلها تلجأ إلى الله عز وجل، لكن أين بطولتك، وأنت في الرخاء؟ ماذا تفعل؟ وأنت صحيح، ما في مشكلة بصحتك، ما في مشكلة مع أولادك، ما في مشكلة بعملك، ماذا تفعل؟ الإنسان لا يمتحن، في الشدة كل الخلق تحت سيف المصيبة يضرعون إلى الله، حتى أنني سمعت عن طائرة كادت تسقط، وفيها بضع مهندسين، ممن يؤمنون بأنه لا إله، لما شعروا أنها على وشك أن تسقط، صاروا يلجئون إلى الله بفطرتهم فاللجوء إلى الله من صفات الضعفاء، والإنسان ضعيف، لكن كيف يرقى إلى الله؟ حينما يكون ملتجئاً إليه وهو في الرخاء، عبدي:

((تَعَرَّف إلى الله في الرَّخاء يَعْرِفْكَ في الشدة)).

[أخرجه الترمذي، عن: عبد الله بن عباس].

لذلك قال تعالى:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ ﴾.

[سورة الفرقان الآية: 63].

وقال تعالى:

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾.

[سورة فصلت].

طيب عبيد أم عباد؟ قال: عبيد جمع عبد القهر، وعباد جمع عبد الشكر، كل إنسان مقهور لله عز وجل، الآن إذا الإنسان ماشي، قلما ينتبه أحد أن الحركة نعمة، كيف يقعد في الفراش؟ يعني نقطة دم أقل من رأس دبوس، تتجمد في بعض شرايين الدماغ، يصاب بالشلل هو ومكانته، وشهاداته، وحجمه المالي، وحجمه الاجتماعي، ودرجاته العلمية، وقد يكون ملك وفجأةً صار طريح الفراش مشلول، لأنه نقطة دم تجمدت، فأنت كل مكانتك الاجتماعية مبنية على قد لا تصدق، على سيولة دمك، كل مكانتك الاجتماعية، كل أملاكك، وكل سطوتك أساسها أن الدم سائل، لو الله عز وجل رفع هرمون التجلط قليلاً، لأصبح الدم كالوحل في الأوعية، كالوحل انتهى الإنسان، أنت لا تملك شيئاً.

إذاً: **﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوساً * قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً ﴾**، فبطولتك وأنت بالرخاء، وأنت صحيحٌ شحيح، تخشى الفقر، وتأمل الغنى، تتصدق, تطلب العلم، تخصص وقتاً لمعرفة الله, وقتاً للدعوة إليه.

النقطة الدقيقة في هذه السورة: أن النبي ﷺ وهو سيد الخلق، أشد الناس على الإطلاق افتقاراً إلى الله وضعفاً أمامه, هذه قاعدة العظماء.

﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيراً * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً ﴾.

[سورة الإسراء].

يعني أنت ضعيف، مهما علا إيمانك ضعيف، الله القوي، الله عز وجل هو الذي أنعم عليك بمعرفته، لا تتوهم أن الإنسان الدّين قوي، ضعيف، قوته في ضعفه، دقق في هذا البيت من الشعر:

وما لي سوى فقري إليك وسيلةٌ فبالافتقار إليك فقري أدفع

وما لي سوى قرعي لبابك حيلةٌ فإذا رددت فأي بابٍ أقرعُ

* * *

يعني أنت قوي حينما تفتقر إلى الله، الآن في حقل العلم في أعمال معقدة جداً، في أطباء جراحين، في أطباء، في أعمال خطرة تحتاج إلى مهارات عالية جداً، وأنت في أعلى درجات المهارة إذا قلت أنا تخلى الله عنك، ترتكب حماقة ما بعدها حماقة، وإذا كان قلت الله عز وجل، تولاك، هذا درس يومي، في حركاتك، وسكناتك، في إنجاز أعمالك، في ممارسة مهنتك، أيام تقول: أنا أب ناجح، تتصرف تصرف غير لائق بأب، تصغر بنظر أولادك، لأنك قلت: أنا أب ناجح، لا تقول: أنا أب، قل الله وفقني، وفقني أنه رزقني أولاد، وفقني لتربيتهم وفقني رزقني زوجة صالحة، وفقني بالقدرة على أن آخذ بيدها إلى الله، حينما تعزو النجاح إلى ذاتك، وقعت في شر أعمالك.

﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾.

[سورة الإسراء الآية: 96].

كيف يشهد الله لعباده؟ يشهد لعباده بأفعاله، تأتي أفعاله مطابقةً لأقواله، حينما تأتي أفعال الله مطابقة لأقوال الله في القرآن الكريم، معنى ذلك أن الله شهد للخلق أن هذا القرآن كلامه، يعني إذا دُمر مال مرابٍ، الله قال:

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾.

[سورة البقرة الآية: 276].

حينما يدمر مال المرابي، شهادة الله بأن هذا الكلام كلام الله:

﴿ قُلْ آَمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾.

[سورة الإسراء الآية: 107].

الحقيقة الإيمان بهذا القرآن يأتي بالتسلسل بالمرتبة الثانية، والثالثة تؤمن برسول الله كيف؟

أنت أولاً: يجب أن تؤمن بعقلك من خلال الكون، أن لهذا الكون خالقاً عظيماً هذا الكون كامل، معجز، كمال الكون يدل على كمال التصرف، فخالق عظيم لابد من أن ينبه عباده، يذكر عباده، يبين لعباده، تستنبط أنت بعقلك أن هذا الخالق العظيم، الواحد، الموجود الكامل لابد من أن يبين لخلقه، الآن إذا قرأت القرآن، من خلال إعجاز القرآن تؤمن أن هذا كلامه، فالإنسان إذا كان إيمانه بالله مهزوز، لن يستفيد من هذا الكتاب، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾، لأن هذا بالدرجة الثانية، هذا كلام، أما في أمامك ثابت أكبر وهو الخلق الشمس، القمر، المجرات، النجوم، المطر، الرياح، البحار، الجبال، الصحارى، السهول، أنواع النباتات، أنواع الحيوانات، خلق الإنسان، هذا الكروموزون المورث، خمس آلاف مليون مورث على نوية في الحوين المنوي مبرمجة، والله شيء لا يصدق، إذا آمنت أن لهذا الكون خالقاً عظيماً، ومن لوازم كماله أن يبين لخلقه، الآن تقرأ القرآن ترى في إعجاز، تؤمن أن هذا الكلام كلام الذي خلق الأكوان، الذي جاء بهذا الكلام هو رسول الله، حينما تؤمن عن طريق العقل بوجود الله، وكماله، ووحدانيته، وتؤمن عن طريق العقل بإعجاز هذا القرآن، وتؤمن بأن الذي جاء به هو رسول الله، الآن انتهى دور العقل، جاء دور النقل، الله عز وجل يملي عليك افعل، ولا تفعل، هكذا خلقت السماوات والأرض.

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾.

[سورة الرعد الآية: 2].

الله:

﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى * وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴾.

[سورة الأعلى].

الآن أنت تتلقى، يعني تصل بعقلك إلى الله، ثم تتلقى منه الحقيقة.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴾.

[سورة الإسراء].

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾.

[سورة الإسراء الآية: 110].

الله عز وجل أسماءه كلها حسنى، وصفاته فضلى، فأية قصةٍ، أو أي تفسيرٍ يبين أن أسماءه ليست حسنى، هذا التفسير باطل، باطل ومرفوض، لأن الله عز وجل ينبئنا عن ذاته بأن أسماءه حسنى.

والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، أثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وأرضى عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبيّ الأميّ، وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

الدرس (23-59) : الدعوة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام، كل إنسانٍ له عملٌ في هذه الحياة الدنيا، لكن بطولة الإنسان كامنةٌ في أن يجعل هذا العمل خالصاً لله عز وجل، وفي سبيل الآخرة، سيدنا زكريا:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً * يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى ﴾.

[سورة مريم الآية: 5-6-7].

سيدنا زكريا نبيٌ كريم، همه نشر الحق، دعا ربه أن يهبه غلاماً، يكون هذا الغلام معيناً له على نشر الحق بعد موته، يعني بشكل أو بآخر زكريا حمل هم الدعوة.

كل إنسان يفحص نفسه، هل يهتم لهذه الدعوة؟ هل يهتم لنشر الحق؟ هل له عملٌ يسهم بشكلٍ أو بآخر في ترسيخ الحق بالنفوس؟ هل يحاول أن يلقي الحق على الناس؟ أن ينصح من حوله، أن يأمرهم بالمعروف، أن ينهاهم عن المنكر، يعني فرقٌ كبير بين أن تهتم لأمر معاشك، وبين أن تهتم لأمر آخرتك.

((مَن شَغَلَهُ قراءةُ القرآن عن مسألتي: أعطيتُهُ أفضلَ مَا أُعْطِي السائلين)).

[أخرجه الترمذي، عن: أبو سعيد الخدري].

الإنسان حينما ينشغل بذكر الله، يذكر الله لنفسه، ويذكره لخلقه، حينما يحمل هم الإسلام، حينما يحمل هم الدعوة، ترى سعيه كله في سبيل نشر الحق، في سبيل ترسيخ قيم الحق في سبيل إسعاد الناس، هذا الذي يخرج عن ذاته لخدمة الخلق، عند الله كبير، وهذا الذي يتمحور حول ذاته، كل حركاته، وسكناته من أجل مصالحه، الموت ينهي كل شيء.

﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً ﴾.

[سورة الكهف].

لا شأن له عند الله.

﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾.

[سورة آل عمران الآية: 77].

فسيدنا زكريا قصته تعني كل واحدٍ منا، يعني لك ابن، هل تهتم أن يكون هذا الابن عالماً؟ داعيةً؟ ينفع الناس من بعدك؟ ابنك امتدادك، والإنسان أحياناً يفوته شيء، فيكمل نقصه بأولاده، يفوته العلم، يعلم أولاده، يفوته أن يكون داعيةً إلى الله، يجعل من أولاده دعاةً إلى الله يعني ما الذي يهمك؟ حينما تؤوي إلى فراشك، ما الذي يهمك؟ حينما تفتح عينيك صباحاً، ما أول خاطرٍ يدور في خالدك؟ معاشك، رزقك، مصالحك، تجارتك، أم كشف الحق.

تصوروا سيدنا عمر رضي الله عنه، حينما طعن من قِبل ابن ملجم، طبعاً أغمي عليه، حينما صحا من إغمائه ماذا قال؟ تصور سيدنا عمر ماذا قال؟ قال: هل صلى المسلمون الفجر؟ يعني ما همه أمر نفسه؟ ما همه أمر أنه قتل، أو طعن، وهو في طريقه إلى الموت؟ هل صلى المسلمون الفجر؟.

إحدى الأنصاريات، والله ولا مليون رجل يوازي قلامة ظفرٍ من أظفارها، بلغها أن النبي قُتل في معركة أحد، فانطلقت إلى أرض المعركة، فرأت أباها مقتولاً ثم رأت ابنها مقتولاً، ثم رأت زوجها مقتولاً ثم رأت أخاها مقتولاً، من أندر القصص، وهي تقول: ماذا فعل رسول الله؟ إلى أن اطمأنت على أنه حي، فأرادت أن تستوثق من حياته، فقالت: أروني إياه فلما رأته قالت: يا رسول الله كل مصيبةٍ بعدك جلل، امرأةٌ ترى أباها، وأخاها، وزوجها وابنها، وهي تحمل هم رسول الله، هل أصابه من ضر؟ هكذا كانوا الصحابة الكرام.

يعني تجد الإنسان شاعر، قلت لكم من قبل، دخل السجن في عهد سيدنا عمر قال: لأنه قال: أهجى بيتٍ قالته العرب، قال:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

* * *

هذا شعار كل إنسان، كل إنسان الآن أمن رزقه، أمن بيت أمن مركبة، عنده زوجة، يقول لك: من بعدي الطوفان، وعلى الدنيا السلام، هموم فردية انتماء فردي، ما في انتماء إلى جماعة المسلمين، وإذا في انتماء إلى جماعة المسلمين، إلى جماعةٍ بعينها، ويعادي ما سواها، انتماء يفرق المسلمين، يشتتهم، يشرذمهم، يبعثرهم:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾.

[سورة الأنعام الآية: 159].

من الذي يحمل هم الإسلام؟ من الذي يحمل هم الشباب؟ من الذي يحمل هم الفتيات؟ من الذي يحمل هم الشاردين؟ العصاة، المنحرفين، بيوت تهدم عن طريق هذه الصحون، فسق ينتشر، نساءٌ كاسياتٌ عاريات، شبابٌ يرون الطريق أمامهم مسدوداً، من يتحرك لخدمة المسلمين؟.

أيها الإخوة، بقدر همك، وهمتك تكون عند الله مكانتك، سيدنا زكريا: ﴿ **وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً** ﴾.

لذلك في آباء الآن من إخواننا يعتني بابنه بالسن الرابعة، بالأربع سنوات يعتني بتربيته، بتلاوة القرآن، بإحضاره معه إلى المسجد، يعتني به عنايةً فائقة، لعل الله سبحانه وتعالى يجعل هؤلاء الأطفال جيلاً آخر تقر به عيون أهليهم.

إخوانا الكرام، ربنا هو هو، رب الصحابة ربنا، والذي نصر الدين في أوله قادرٌ على أن ينصره في آخره، والله هو كل شيء، هو الفعال، ولا فعال معه إطلاقاً.

فنحن نريد السؤال: الآن أنت ما الذي فعلته من أجل نشر الحق؟ أقنعت إنسان بالدين؟ أقنعت قريب؟ قدمت شريط لإنسان؟ قدمت كتاب؟ دعوته إلى حضور مجلس علم؟ زرته في بيته؟ حاورته أقنعته؟ حللت له مشكلاته؟ أزحت عنه بعض الهموم؟ عاونته في أمر دنياه المؤمن يستيقظ وهمه خدمة الخلق، أما غير المؤمن يستيقظ، وهمه نفسه، يحوم حول ذاته يتمحور حول ذاته والموت قد يعاجل.

أنا ذكرت لكم: في إنسان توفي في هذه البلدة، ترك ألف مليون، أحد أقربائه نصيبه من هذا الميراث تسعين مليون، ترك دكانه، وانصرف لمتابعة معاملات الإرث، وبراءة الذمة ستة أشهر من مكان إلى مكان، من المالية للطابو، لدائرة المواريث، للمحكمة الشرعية، بعد ستة أشهر دخل إلى الحمام ليتوضأ، فمات موتاً فجائياً، ولم يقبض قرشاً واحداً، الموت يأتي بغتةً، والقبر صندوق العمل.

سيدنا عمر ابن عبد العزيز يقول: الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما.

الإنسان يكبر، كل يوم طبعاً من واحد لأربعين في صعود، بالأربعين الخط البياني يسير أفقياً، بعد الأربعين بقليل ينزل الخط، يشكو من عيونه، يريد نظارات، يشيب شعره تؤلمه مفاصله، يرتفع السكر في دمه، وهكذا إلى أن تلصق على الجدران نعوته، فالزمن يمشي ولا يتوقف، فما الذي قدمته لهذه الدعوة؟ قدمت ابن لمعهد شرعي؟ ساهمت ببناء مسجد؟ بتأسيس مسجد؟ بنشر كتاب؟ بمعاونة داعية؟ ماذا فعلت من أجل أن ينتشر هذا الحق؟.

والله عز وجل بالمناسبة: هذا دينه، هو الذي سينصره، إن ساهم أحدٌ في نصرته من أجل أن ينال شرف النصرة فقط، الله غني عنك: إن للكعبة رباً يحميها، وإن لهذا الدين رباً يحميه، العبرة أن تنال شرف نصرة هذا الدين، بآخر سورة الكهف:

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً * فَأَتْبَعَ سَبَباً * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْماً قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً ﴾.

[سورة الكهف].

كان ملكاً عظيماً من ملوك التاريخ، وقصة هذا الملك العظيم تنبئنا أنه ما من عملٍ في الأرض يستعصي على أن يكون صاحبه مؤمناً، ملك كبير، كان يعرف الله عز وجل، وأقام العدل في مملكته، وكان قوياً، يعني أية حرفةٍ يمكن أن توظفها للحق، سيدنا سليمان أيضاً نبيٌّ كريم، رب:

﴿ وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾.

[سورة ص الآية: 35].

سيدنا ابن عوف كان غنياً كبيراً، فالإسلام يسع الجميع، يسع الملوك، ويسع الرعية يسع الأغنياء، ويسع الفقراء، يسع العلماء، ويسع غير العلماء، الدين كالهواء يحتاجه كل مسلم سيدنا موسى والخضر، سيدنا موسى يعرف الأمر التكليفي، سيدنا الخضر يعرف الأمر التكويني، اختصاص، سيدنا موسى افعل ولا تفعل، سيدنا الخضر ما حكمة أفعال الله، أتاه الله:

﴿ مِن لَدُنَّا عِلْماً ﴾.

[سورة الكهف الآية: 65].

سيدنا موسى أتاه شرعاً، لذلك صار في خلاف، ضمن المنهج الإلهي التشريعي ما في قتل غلام، ما في أن تقابل إنسان ركبك سفينته أن تخرقها له، هذا خلاف المنهج، أما حينما كشفت الحقيقة، أن خرق السفينة كان سبب إنقاذها، هذا الدرس البليغ من أجل أن نعرف أن شراً مطلقاً ليس له وجود في الكون، كل ما يبدو لكم من شر هو خير، ولكن مبطن، خرق السفينة خير، وبناء الجدار خير، وقتل الغلام خير، سيدنا الخضر أوتيَّ معرفة حكمة أفعال الله بينما سيدنا موسى أوتي معرفة شرع الله، أمره ونهيه، في الله له أمر تكويني يعني أفعاله، له أمر تكليفي يعني أمره ونهيه، كلمة:

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾.

[سورة الكهف الآية: 22].

يعني الله عز وجل هو الذي يعلم وحده، لو أنه قال لنا: هم ثمانية يا عبادي، وانتهى الأمر، أراد الله أن يلفتنا لا إلى تفاصيل القصة، أراد أن يلفتنا إلى مغزاها، فالذي سكت الله عنه ينبغي أن نسكت عنه، لأن الله عز وجل ما أرادها قصةً وقعت ولن تقع، ما أراد هذا الكتاب كتاب تاريخ، أراده كتاب هداية، فلذلك القصة قلما تأتي تفاصيل دقيقة، مكانية، زمانية، وصفية قلما تأتي، لأنه لو جاءت هذه التفاصيل لتوهمنا أنها قصةٌ وقعت، ولن تقع مرةً ثانية، قلبناها إلى تاريخ، أراد الله أن تكون هذه القصة نموذجاً متكرراً، فلذلك أغفل بعض التفاصيل، وهذا الذي يبحث عن تفاصيل أغفلها الله عز، يريد أن يفسد على الله حكمته من هذه القصة، اسكت حيث سكت الله، مادام الله عز وجل ما تكلم عن تفاصيل هذه القصة، ينبغي أن لا نبحث عنها، العبرة أن الذي ذكره الله هو الذي يعنينا، فهذه المناقشة كم واحد؟ العبرة:

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾.

[سورة الكهف].

العبرة أنهم:

﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً ﴾.

[سورة الكهف].

العبرة أنهم أثروا الآخرة على الدنيا، كانوا أبناء قصور، أبناء أغنياء، دخلوا الكهف في شيء آخر:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا ﴾.

[سورة الكهف الآية: 7].

جعل أشياء جميلة جداً في الأرض، في أماكن جميلة، في بيوت جميلة، في طعام طيب، في نساء جميلات، في أساس فاخر، هذه الزينة هي فتنة للإنسان، إذا وقع تحت إغرائها وسيطرتها وعصى ربه من أجلها سقط عند الله، أماذا آثر طاعة الله على زينة الحياة الدنيا ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾.

الإنسان أيام يعطل تفكيره، يخضع لإغراء هذه الزينة، يعني دخل كبير، مشغول يقول لك: أدبر نفسي الآن عندي أولاد، يريد أن يشتري، يريد أن يتوسع، يريد أن يرفه نفسه والآخرة أخرجها من حساباته، سقط في الامتحان، أما المؤمن صاحي، لا يسمح لنفسه أن يأخذ شيئاً من زينة الدنيا إذا كان في معصية، أو ينتهي إلى معصية.

والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، أثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وأرضَ عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبيِّ الأميّ، وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

الدرس (24 - 59) : العقل والوحي يتكاملان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

تمهيد .

أيها الإخوة الكرام ؛ شرف الرسالة من شرف المرسل ، إن أتاك كتابٌ من صديق هذا الكتاب له قيمة ، إن أتاك من إنسان أكبر منك ، قيمته أكبر ، إن أتاك من ملك ، قيمته أكبر وأكبر ، ربنا عز وجل يقول :

﴿ طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى * تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا ﴾

[سورة طه]

هذا الذي بين أيدينا ، هذا نقرؤه في الصلاة ، هذا الذي نحفظه ، هذا الذي نجوده .

من أين ؟

من عند من ؟

﴿ مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا ﴾

من خالق الكون ، خالق المجرات ، خالق الأرض والسماوات ، خالق الجبال ، خالق الأنهار ، خالق البحار، خالق الأطيار ، خالق الأسماك .

من أين هذا الكتاب ؟.

العقل والوحي .

أيها الإخوة ؛ العقل والوحي يتكاملان كيف ؟

فالعقل يفكر في هذا الكون ، فيستنتج أن له إلهاً عظيماً .

من هو هذا الإله ؟ كيف خلق الكون ؟ متى خلقنا ؟ لماذا خلقنا ؟

هذا ما يجيب عنه الوحي .

العقل يقطع نصف الطريق ، والوحي يكمل الطريق ، بعقلك استنبطت أن لهذا الكون خالقاً ، الوحي يقول لك:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾

[سورة الطلاق الآية: 12]

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾

[سورة الرعد الآية: 2]

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ﴾

[سورة الروم الآية: 40]

الله :

﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى * وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴾

[سورة الأعلى]

عقلك وصل إلى حقيقة ، أن هذا النظام لابد له من منظم ، أن هذا الخلق لابد له من خالق ، أن هذا التدبير لابد له من مدبر ، أن هذا الإحكام لابد له من محكم ، أن هذه الحكمة لابد لها من حكيم ، هذا عمل العقل، لكن هذا الحكيم ما صفاته ؟ ما أسماءه ؟ لماذا خلقنا ؟ ماذا أراد منا ؟ ما علة وجودنا ؟ هذا يجيب عنه القرآن .

فالعقل وحده لا يكفي ، والوحي وحده لا يكفي لابد من أن يتعاون العقل في الاستنباط ، والوحي في الإملاء.

بعض العلماء قال : العقل حصانٌ تركبه إلى باب السلطان ، فإذا دخلت إلى السلطان دخلت وحدك.
أخطر شيء في الدين أن تحكم العقل في النقل .

هناك دائرة المحسوسات ، أدواتها الحواس ...

وهناك دائرة المعقولات ، أساسها العقل ...

وهناك دائرة الإخباريات ، أساسها الوحي ...

فحينما تنقل قضيةً من دائرة الإخباريات إلى دائرة المعقولات ، تكون قد ضللت سواء السبيل ، جعلت عقلك حكماً على ما أخبرك الله به ، الذي أخبرك الله به حكمٌ على عقلك ، فهذه الآيات :

﴿ تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا* الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى* لَهُ ﴾

[سورة طه الآيات: 4-5-6]

ملكه ، الكون كله ملكه ، لا يقع في ملكه إلا ما يشاء ، وهذه الفكرة مطمئنة ، ما شاء الله كان ، وما لم يشاء لم يكن ، إذا شاء الله أمراً وقع ، وإذا وقع أمرٌ حتماً قد شاءه الله ، وحكمة الله متعلقةٌ بالخير المطلق .

﴿ تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا* الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾

[سورة طه]

أرأيت إلى هذه الإشارة إلى الثروات الباطنية :

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى* وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾

[سورة طه]

كمال الله مطلق ، مطلق ، أي قصةٍ ، أي طرحٍ ، أي فكرةٍ ، أي كلامٍ يشير بشكلٍ صريحٍ أو ضمنيٍّ إلى أن هناك نقصاً مرفوض ، لأن الله عز وجل بكلامٍ قطعي الدلالة ، والثبوت يقول :

﴿ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾

﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى* إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾

[سورة طه]

هل تصدق أن الدين كله من ألفه إلى ياءه ضمن هذه الآية :

﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾

مهما ترى عينك من أشخاص أقوياء ، من قوى جبارة .

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾

كلهم دمى يتحركون بأمر الله ، كلهم عصي بيد الله ، علاقتك مع الله .

﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آَخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

[سورة هود]

هذا هو التوحيد ، ألا ترى مع الله أحداً ، ألا تخشى إلا الله ، ألا ترجو غير الله ، ألا تخاف إلا من الله ، ألا تطمع إلا بعطاء الله ، التوحيد أن توحد الله عز وجل في أسماءه ، وصفاته وأفعاله :

﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾

يعني سر وجودك أن تعبده ، أنت على الأرض من أجل أن تعبده ، فحينما تعبده فأنت في اختصاصك ، وأنت في تحقيق ذاتك ، وأنت في المهمة التي خلقت من أجلها إن عبدته ، وإن سهوت عن هذه العبادة ، فأنت على خلاف ما أرادك الله ، أنت على خلاف ما خلقك الله من أجله :

﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي* إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾

[سورة طه الآية: 14-15]

أيها الإخوة الكرام ؛ لو أن الأمر واضحٌ وضوحاً جلياً جداً ، كان من الممكن أن تكون الآخرة كالمحسوسات ، نحن بحياتنا في أشياء محسوسة ، تمسك كأس الماء فتشربه ، تأكل الطعام فتتذوقه ، تسكن في بيتٍ مريح فتنعم به ، هذه أشياء محسوسة ، أما الآخرة خبر .

﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾

[سورة التغابن الآية: 9]

﴿ وَحُورٌ عِينٌ* كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾

[سورة الواقعة]

الآخرة خبر ، أما الدنيا عيان ، أنت والدنيا وجهاً لوجه ، تمسك بالشيء تأكله ، تشمه إذا كان وردة ، تلقي عينك إلى منظرٍ جميل ، محسوسات ، لو أن الآخرة محسوسةٌ كالدنيا ، لو فرضنا ممكن أن ترى الجنة بطريقةٍ أو بأخرى ، وأن ترى عذاب أهل النار بعينك ، الناس جميعاً يتجهون إلى الآخرة ، لا حباً بالله ، ولا خوفاً منه ، ولا رغبةً في عطاءه ، ولا تعبداً له ، إنما خوفاً من عذابه ، وطمعاً فيما عنده ، ألغيت العبادة .

﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾

كل شيء الله وعدنا به خبر بالقرآن ، أما المحسوس الدنيا ، الذي تراه بعينك الدنيا ، الذي تمسكه بيدك هي الدنيا، من هنا جاء رقي الإنسان ، ترك المحسوسات ، وصدق الخبر الإلهي .

لذلك :

﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾

يعني أنت ترى إنسان كافر ، ملحد ، يفعل الموبقات كلها ، صحة ، ومال ، وغنى ، وقوة ، وكأن الآخرة غير موجودة ، وكأن الله غير موجود .

ترى إنسان مؤمن ، مستقيم ، ورع ، يبكي ، يصلي معذب أحياناً ، دخله أقل من حاجته في مشكلات ، هذا معنى:

﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾

لو جاء الثواب بعد العمل الصالح مباشرةً ، أو لو جاء العقاب بعد العمل السيئ ، التغى الاختيار ، صار في اضطرار .

الآن :

الواحد إذا نظر إلى فتاة ، جاءته رصاصة فقتلته فوراً ، من ينظر ؟ انتهى غض البصر ، لو دفع ليرة جاءه عشرة فوراً ، ماذا دفعت ؟ هذه عشرة ، الناس يتركوا العمل ، يقولوا لك : تعال ندفع صدقة ، ونأخذ المال لكن تدفع أيام خمس سنوات لا يأتيك شيئاً ، لا بد من أن تطيعه إلى أمدٍ طويل، دون أن ترى شيئاً ، لابد من أن يكون العاصي في بحبوحة ، يعصيه ، ويسخر من الدين ، ويكذب ، وضغطه اثنا عشر ، ثمانية ، نبضه سبعين ، معايرات دمه كلها صحيحة ، أين هو الله عز وجل ؟ هذا الاختيار لك أن تفعل ما تشاء ، كل شيء بثمنه .

﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾

[سورة طه]

من أجل أن يأخذ الإنسان أبعاده ، من أجل أن يعبر عن ذاته ، من أجل أن يحقق وجوده ، من أجل أن يكشف عن اختياره ، من أجل أن يظهر كما هو:

﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾

ولأن معركة الحق والباطل معركةٌ قديمةٌ وأبدية :

﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾

[سورة طه]

دقق في هذه الكلمة :

﴿ لَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾

أبداً ، عدم الإيمان من لوازمه إتباع الهوى :

﴿ فَتَرْدَى ﴾

فالإنسان ليس له حق ، يستشير ، ولا يستهدي بنار المشركين ، ولا يأخذ رأيهم إطلاقاً :

﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾

[سورة لقمان الآية: 15]

﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾

المناجاة .

أما الآن مناجاة ، شيء نادر جداً أن عبداً يناجي ربه :

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾

[سورة طه]

ألا يعلم الله ما هذه التي بيمينه ؟

سيدنا موسى يعني هنا في بعض العلماء قالوا : اتخذها فرصةً ليناجي الله عز وجل ، وأراد أن يطيل .

هذا اسمه بالبلاغة إطناب ، في عندنا إيجاز ، وعندنا إطناب ، وعندنا مساواة .

إذا جاء الكلام مساوياً لمقتضيات المعنى ، مساواة ...

إذا كان الكلام أقل للمعنى ، إيجاز ...

قال له : لمن هذه الإبل ؟ قال له : لله في يدي ، هذا إيجاز ، لله في يدي .

دخل شاعر على ملك ، قال له الشاعر : إن ، قال له الملك : و .

فقط انتهى اللقاء .

ماذا إن ؟!! وماذا و؟!!

ماذا قال لك يا سيدي ؟ قال لي :

﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾

[سورة النمل الآية: 24]

فقلت له :

﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾

[سورة الشعراء]

إن ، و ، هذا إيجاز ، وفي مساواة ، وفي إطناب .

الإطناب :

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾

المساواة :

﴿ هِيَ عَصَايَ ﴾

[سورة طه الآية: 18]

انتهى ، قال له :

﴿ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي ﴾

[سورة طه الآية: 18]

ثم استحيا من الله لعله زاد في الكلام ، قال :

﴿ وَلِيَ فِيهَا مَآَرِبُ أُخْرَى ﴾

[سورة طه]

فإذا أراد الله أن يتابع الحديث ، يقول له : يا موسى ما هذه المآرب ؟

﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآَرِبُ أُخْرَى* قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى* فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى* قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾

[سورة طه الآيات: 18- 19-20-21]

مرة ورد ثعبان مبين ، ومرة حية ، الحقيقة شيء محير ، أراد الله أن يعطيه نموذجاً لهذه المعجزة ، هو وحده، أراد ألا يريعه ، هو وحده حية ، أما أمام الملأ ، أمام خمس مئة ألف :

﴿ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾

[سورة الأعراف]

﴿ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾

[سورة الأعراف]

إخوانا الكرام ؛ بالجامعة في مقبول ، وفي جيد ، وفي جيد جداً ، وفي ممتاز ، الإنسان في الدنيا يحب التفوق ، لكن بالآخرة يريد وراء الباب الجنة ، وراء الباب ، عجيب بالدنيا يريد أجمل سيارة، وأجمل بيت ، وأجمل امرأة، وأجمل مركز ، وأحسن مكتب ، في الدنيا يتعالى ، في الآخرة يتواضع ، الأولى أن يكون العكس ، طبعاً يقول الله عز وجل :

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى ﴾

[سورة طه]

أنا لا أريد من هذا التفسير إن هذه قصة نبي ، يعني أنت أين موقعك من هذا ؟ أنت لست نبي ، ما في أحد منا نبي ، ولا صديق ، ولا مؤمن من الصحابة ، لكن ما لك أسوة حسنة بهؤلاء ، ما في عندك سهم بسيط ، هنا الشاهد :

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾

[سورة طه الآية: 37-38-39]

يعني في واحد من الحاضرين ما له مع الله تاريخ ؟ زوجه ، هيأ له بيت ، مكنه من عمل ، رزقه يعني جعله محمود السيرة ، عرفه بذاته ، هذه كلها نعم كبرى يجب أن نذكرها دائماً ، قال له :

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾

يعني إذ الله عز وجل ألقى في قلوب الخلق محبتك ، خدمك أعدائك ، وأحياناً سبحان الله يلقي الله في قلوب الخلق بغض الإنسان ، لا أحد يحبه ، ولا أحد يرتاح له ، وهذا من توفيق الله عز وجل ، يعني علامة رضوان الله عز وجل أنه يلقي في قلوب الخلق محبةً لك ، وهذا أكبر رأس مال ، لو معك ألف مليون ، ولا أحد يحبك ، لا قيمة لهذه الملايين ، أما إذ أحبك الخلق ، فهذا دليل محبة الحق :

﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾

[سورة طه]

الذي أريد أن أقوله لكم في آخر القصة:

﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾

[سورة طه]

يعني أنت ممكن أن تكون مؤمن ناجح ، مقبول عند الله ، تأكل ، وتشرب ، وتفعل ما تشاء ، وأنت مطيعٌ لله، في حالات خاصة ، المؤمن كل إمكاناته ، كل طاقته الفطرية ، والعلمية ، والمادية ، والاجتماعية ، ووقته كله لله، هذا من السابقين ، هذا امتياز يأخذ ، في مقبول ، في جيد في جيد جداً، في امتياز ، أما حينما يصطنعك الله له ، وحينما تغدو كل طاقاتك في سبيل الله ، ما عاد في شيء لك ، وشيء لربك ، الناس يقولوا : ساعة لك ، وساعة لربك ، هذه انتهت بحياة المؤمن ، لما سيدنا محمد ﷺ دعته السيدة خديجة ، بعد أن جاءه الوحي لأخذ قسطٍ من الراحة قال لها :

((انقضى عهد النوم يا خديجة))

انقضى عهد النوم ، أحياناً تشعر أن كل ما تملكه في سبيل الله ، الوقت ، مع المال مع الجهد ، مع العقل ، مع العلم ، مع كل شيء تملكه يجب أن يوظف في سبيل الله ، وهذا ما قاله في مكان أخر :

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ ﴾

[سورة القصص الآية: 77]

فكل النعم التي نحن فيها ، نعمة الصحة ، نعمة الفراغ ، سوف نسأل عنها كيف أنفقتها ؟ نعمة الأمن ماذا فعلت به ؟ نعمة الصحة ماذا فعلت بها ؟ نعمة الفراغ ماذا فعلت بها ؟ نعمة الغنى ما فعلت بها ؟

﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾

واحد دخل على خليفة ، أراد أن يعضه بقسوة ، قال له : إني سأعضك بغلظة ، تبين أن الخليفة أعقل من الواعظ ، قال له : ولِمَ الغلظة يا أخي ؟ لقد أرسل الله من هو خيرٌ منك إلى من هو شرٌ مني ، أرسل موسى إلى فرعون.

﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً ﴾

[سورة طه الآية: 44]

الحكمة في الدعوة إلى الله ، كيف دواء الأطفال ، دواء السعال ، دواء مر في الأساس للأطفال حلو المذاق ، هذه المادة الفعالة في الدواء ممزوجة مع مواد سكرية ، طيبة ، فأكثر أدوية الأطفال محببة، طيبة المذاق .

بمعنى أن الحكمة في الدعوة إلى الله تقتضي أن تقدم الحقائق بأسلوبٍ حسن ، بأدبٍ جم ، بتواضعٍ بالغ ، بمحبة ، ببيان ، بأمثلة ، بشواهد ، فالحكمة في الدعوة أن تجعل الحق مستساغاً للناس ، قال له :

﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى* فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾

[سورة طه]

يفهم الناس أن الشجاع هو الذي يجابه القوي بعنف ، وبغلظة ، وبقسوة ، حتى يحبه الله ، لا ؟!! من قال لك ذلك؟ كن حكيماً ، وجه ، اضرب الأمثلة ، بين ، وضح ، أحياناً أشر إشارة خفية أحياناً كني ، فلك أن تستخدم أي أسلوب ، من أجل أن يأتي الحق مستساغاً عند هذا القوي .

﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى* فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾

الشيء الدقيق :

﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾

[سورة طه]

يعني هذا ما عنده مزح ، غلطة ، اقتلوه ، في أقوياء ، يعني قتل الإنسان أهون عنده من قتل ذبابة .

﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾

[سورة طه]

انظر هذه الآية ما أجملها ، لا تخاف ، كل البشر بيد الله عز وجل ، أيام الله يلقي في قلبهم يحترموك زيادة، يلقي بقلبهم يخافوا منك ، أيام يسدل عليك هيبةً .

قلت لكم مرة : الحسن البصري لما انتقد الحجاج ، فلما بلغه أنه انتقده ، طبعاً الحسن البصري قام بمهمة بيان الحق للناس فقال : والله يا جبناء ، يخاطب من حوله ، لأسقينكم من دمه وقال : ائتوني به ، وجاء بالسياف لقطع رأسه ، وانتهى الأمر ، دخل الحسن البصري على الحجاج ، رأى السياف جاهز ، وقد مد النطع ، وكل شيء منتهي ، فقط تنفيذ الحكم ، حرك شفتيه وإذا بالحجاج يقف له ، ويستقبله ، ويقول : أهلاً بأبي سعيد ، يقول له : أنت سيد العلماء ، أجلسه إلى جانبه ، سأله ، استفتاه، عطره ، ثم شيعه إلى باب قصره .

أما السياف صعق ، والحاجب صعق تبعه الحاجب ، قال له : يا أبا سعيد لقد جيء بك لغير ما فُعل بك ، فماذا قلت وأنت داخل ؟ قال قلت : يا رب ، يا ملاذي عند كربتي ، يا مؤنسي في وحشتي ، اجعل نقمته علي برداً وسلاماً ، كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم ، فالله ألقى بقلب الحجاج أن يعظمه ، وأن يحترمه ، وأن يكرمه ، قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن كن على الحق ، ولا تخشى لومة لائم .

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ ﴾

[سورة الأحزاب الآية: 39]

هذه من علامات إبلاغ رسالات الله :

﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾

ثم هذا الذي يقول : أنه ممكن الإنسان أن يطيع الله طوال حياته ، فإذا هو بالنار في آخر عمره يصوره أنه في غدر ، في زحلقة ، في قنص ، لا :

﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾

[سورة طه]

فقط حصراً :

﴿ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾

[سورة سبأ]

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾

[سورة الزلزلة]

هذا كلام الله عز وجل ، ما سوى كلام الله يجب أن لا نعبأ به ، ألا نلتفت إليه إطلاقاً :

﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾

[سورة طه]

يعني أنت ممكن أن تسافر إلى السويد ، ممكن ، في بالسويد سبعين تحت الصفر ممكن أن تلبس ثياب مضاعفة ، تلبس جوارب صوفية ، حذاء فيه فرو ، ممكن تلبس ثلاث كنزات فوق بعضهم ، ممكن أن تلبس كفوف ، لكن ماذا تفعل بعينيك اللتان لابد من أن تلامس الهواء الخارجي ؟ والهواء الخارجي سبعين تحت الصفر ، الله عز وجل أودع في ماء العين مادةً مضادةً للتجمد ، لو جلست بمكان ، سبعين تحت الصفر ، ماء العين لا يتجمد :

﴿ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾

هذا الصوص سيخرج من البيضة ، ينبت له على منقاره نتوء مؤنف ، مثل الإبرة تماماً ليكسر البيضة ، فإذا كسرها ضمر هذا النتوء وتلاشى .

﴿ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾

أنت عندك حقل بطيخ ، تريد أن تقطفه ، كله أخضر ، والمستوي بالمئة عشرة ، كله أخضر ، لون واحد ، كل بيطخة لها وزن ، ماذا ستفعل ؟ تنبطح جنبها ؟ تضربها ؟ ماذا ستفعل ؟ اعمل خيط على شكل حلزون ، يمسكه الفلاح ، إذا كان انكسر بيده تكون مستوية ، إذا طري يتركها ، أعطاك علامة ، يعني في أشياء عجيبة .

بالطفل تشكل عظامه ، غضروف ثم التشكل العظمي ، أما في أنفه يبدأ بالعكس حينما يولد أنفه قاسي جداً، حتى لا يختنق أثناء الرضاع ، ثم يصبح هذا الأنف القاسي لين ، في أشياء عجيبة ، على كلٍ هذا باب لا ينتهي ، لا ينتهي بسنوات .

﴿ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾

هذا الطائر يطير بالأجواء العالية ، جاع ، يريد أن ينزل ، ويأكل ، لا يرى شيء نزل لم يجد الأكل، ثم طلع، ثم جاع ، نزل ، لم يجد الأكل ، أعطاه ثمان أضعاف قوة إبصار الإنسان يرى السمكة في الماء الطير فوق، أعطاه ثماني أمثال قوة إبصار الإنسان ، كيف الطير يمشي ثمانية عشرة ساعة طيران بلا توقف ؟ ثمانية عشرة ساعة، ما في عندنا طائرة تمشي بلا توقف ، كيف يتزود بالوقود ؟ من يهديه في ظلمات البر والبحر؟.

أيها الإخوة ؛ هذا الموضوع لا ينتهي ، قال :

﴿ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾

أنت الغي هذا المفصل فقط ، ماذا يحصل معك ؟ لازم تأكل مثل القطة ، تنبطح ، وتأكل بلسانك ، ما في طريقة ثانية ، إذا المفصل هذا ألغي ، فالمفاصل ، الرسغ ، الأصابع ، السلاميات العين ضمن محجر ، لو كانت العين بالجبين ، تسعين بالمئة يصبح الناس عميان ، أكل ضربة راحت عينه ، قاعدة بحصن حصين ، الرحم خطير جداً ، قاعد بالحوض ، القلب خطير قاعد بالقفص الصدري ، النخاع الشوكي خطير قاعد ضمن عظام الفقرات ، الدماغ ضمن الجمجمة الأعضاء النبيلة قاعدة بحصون ، بحصون وبمخمدات صدمات ، وفي سوائل ، القضية معقدة جداً ، فهذه الآية وحدها ، كل ما في الكون يؤكدها .

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، أثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وأرضَ عنا ، وصلى الله على سيدنا محمد النبيّ الأميّ ، وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (25-59) الحج والأنبياء

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام:

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى ﴾.

[سورة طه].

صياغة الآية في الأصل: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ ﴾ وأجلٌ مسمى ﴿ لَكَانَ لِزَاماً ﴾، عذابكم، وإهلاككم، الكلمة التي سبقت من الله، أنه خلقنا ليرحمنا، وأنه خلقنا ليسعدنا والأجل المسمى هو الأجل الذي حدد للإنسان، لا يهلك قبله، أعطي كل إنسان فرصةً كي يعبر عن ذاته، لأن الله عز وجل خلقنا ليرحمنا، ولأن لنا آجالاً لا تتقدم، ولا تتأخر، لأهلكنا الله عز وجل نحن في بحبوحتين، في بحبوحة أن الله خلقنا ليسعدنا، هو ينتظر أن نعود إليه، ينتظر أن نتوب إليه، والبحبوحة الثانية أن لنا آجالاً لا تتقدم، ولا تتأخر، ثم يقول الله عز وجل:

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾.

[سورة طه الآية: 131].

النبي عليه الصلاة والسلام كيف يمد عينيه؟ يمد عينيه طمعاً بهداية هؤلاء، إلا أن الله يخبره أن الذي غرق في حب الدنيا، وجعلها زوجاً له، هؤلاء الناس بعيدون على أن يستفيدوا من الهدى:

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.

[سورة طه].

مرة ضربت مثل: لو خيروك بين أن تعطى مركبةً فخمةً تركبها ساعةً واحدة، وبين أن تملك دراجة، ماذا تختار؟ الدراجة، لو خيروك بين أن تملك دراجة أو سيارة، ماذا تختار؟ السيارة، لو خيروك بين أن تركب الدراجة ساعة واحدة، ولك السيارة دائماً، تتردد ثانية؟.

ذكرت هذا المثل لأوضح لكم: ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾، ﴿ خَيْرٌ ﴾.

((ما لا عين رأتْ ولا أذن سمعتْ ، ولا خطَر على قلبِ بَشَرْ)).

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أبو هريرة].

﴿ وَأَبْقَى ﴾، إلى أبد الآبدين، أيعقل أن نستعد للدنيا أربعين عاماً، لنعيش عشر سنوات، أو عشرين سنة، وهذه الآخرة الأبدية لا نستعد لها، موطن الشاهد:

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾.

[سورة طه].

أنت مكلفٌ بشيء، وقد ضمن لك شيء، من الحمق والغباء، وعدم التوفيق أن تنشغل بما ضمن لك، وأن تتشاغل عما طلب منك: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً ﴾، يقول عليه الصلاة والسلام:

((كفى بالمرءِ إثما أن يُضَيِّع مَن يقوتُ)).

[أخرجه مسلم وأبو داود، عن: عبد الله بن عمرو بن العاص].

((يقوتُ)):

يطعمه، لكن كيف يضيعه؟ يضيع دينه، يضيع عقيدته، يضيع توجيهه هو يطعمه، لكن لا يؤدبه، يطعمه، ولكن لا يدله على الله عز وجل، إذاً:

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾.

((خلقت السماوات والأرض، ولم أعيَّ بخلقهن، أفايعيّيني رغيفٌ أسوقه لك كل حين لي عليك فريضة، ولك عليَّ رزق، فإذا خالفتني في فريضتي، لم أخالفك في رزقك وعزتي وجلالي إن لم ترضَ بما قسمته لك، فالأسلطن عليك الدنيا، تركض فيها ركض الوحش في البرية، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك، ولا أبالي، وكنت عندي مذموماً)).

ورد أن الإمام أبو حنيفة، أو أن الإمام أبا حنيفة رحمه الله تعالى، قرأ حديثاً لرسول الله ﷺ، فانعطفت حياته انعطافاً جذرياً، الذي قرأه، أنه:

((من طلب العلم، تكفل الله له برزقه)).

يعني ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً ﴾، لا تدعي أنك مشغول بكسب الرزق:

((مَن شَغَلَهُ قراءةُ القرآن عن مسألتي: أعطيتُهُ أفضلَ مَا أُعْطِي السائلين)).

[أخرجه الترمذي، عن: أبو سعيد الخدري].

((ابن آدم أنت تريد، وأنا أريد، فإذا سلمت لي فيما أريد، كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لي فيما أريد، أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد، ابن آدم كن لي كما أريد، أكن لك كما تريد كن لي كما أريد، ولا تعلمني بما يصلحك)).

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾.

أيها الإخوة، يعني إلهٌ عظيم أمرنا بالصلاة، ما الصلاة التي تنبغي أن تليق بهذا الأمر العظيم؟ الصلاة التي فيها إنابة، التي فيها إقبال، التي فيها خشوع، الإقبال، والخشوع الإنابة، لا تكونان إلا بطاعة الله عز وجل، فإقامة الصلاة تبدأ وأنت في الطريق، وأنت في دكانك، وأنت في عيادتك، إذا نصحت المسلمين، إذا كنت صادقاً معهم، إذا كنت أميناً، إذا بنيت حياتك على العطاء، إذا كنت نصوحاً، إذا حررت دخلك من الحرام، إن فعلت كل هذا الآن إذا وقفت بين يدي الله عز وجل، من أجل أن تصلي، شعرت بطعم الصلاة التي أرادها الله عز وجل، المؤمن ليس بينه وبين الله حجاب، بسبب استقامته.

الإخوان الكرام أيام يلتقوا مع بعضهم، يقول لك: وقعت بذنب، حجبت، كلام واضح، كلامٌ واضحٌ كالشمس، ضبط استقامتي، الطريق إلى الله سالك، حررت دخلي، قلبي عامر بذكر الله، تحريت الحلال، دعائي مستجاب، صليت الصلوات على وقتها، بارك الله لي في وقتي، الوقت أيام يبارك الله فيه، يعني تفعل في وقت قليل أشياء كبيرة جداً، وأحياناً تذهب بركة الوقت:

((من أخر الصلاة عن وقتها، أذهب الله البركة من عمره)).

أداء الصلوات، أنتم حينما تأتون إلى هذه البيوت، أنتم تؤدون زكاة أموالكم الإنسان إذا أدى زكاة ماله، كيف يعامله الله عز وجل؟ يحفظ له بقية المال، فإذا أدى زكاة وقته، يحفظ الله له بقية الوقت، الوقت المتبقي من العبادات وقتٌ مباركٌ فيه، في وقتٍ قليل تفعل شيئاً كثيراً فلذلك: **﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾.**

إخوانا الكرام:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾.

[سورة الحج الآية: 11].

أنا مرة دخلت إلى معمل اسمنت، وجدت مكعبات إسمنتية، وهذه المكعبات معلقة من طرفها الأعلى، وفي طرفها الأسفل كفة، يوضع فيها أوزان، سألت عن هذا، قال: كلما طبخت طبخة اسمنت يصب من هذه الطبخة هذه المكعبات، تعلق من طرفها الأعلى، وفي طرفها الأسفل كفة ميزان، توضع الأثقال، كل طبخة تكسر على وزن معين، هذه قوة التحمل تحمل قوة الشد، الإسمنت يتحمل قوة ضغط كبيرة جداً، السانتي خمس مئة كيلو، أما قوة الشد قد لا يتحمل السانتي خمسة كيلو، فيمتحن سلامة طبخة الإسمنت من قوة التحمل.

المؤمن الصادق يطيع الله عز وجل، ويرجو رحمته، ويخشى عذابه في السراء والضراء، في الغنى والفقر، في الصحة والمرض، قبل الزواج، وبعد الزواج، قبل الغنى وبعد الغنى، في الحضر وفي السفر، معه أولاد، بلا أولاد:

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾.

[سورة الأحزاب].

أيها الإخوة، لا تصدق أبداً تكون على مستوى من الإيمان متدني، وأنت تتوهم أنك مؤمن كبير دون أن يسوق الله إليك ما تمتحن به:

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾.

[سورة العنكبوت].

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾.

[سورة آل عمران الآية: 179].

لا بد من أن تمتحن، الامتحان يسوق الله للإنسان بعض الشدائد، فإما أن يبدو مؤمناً، قوياً، صابراً، متوكلاً، وإما أن يبدو ضعيفاً، خواراً، ينهار أمام هذه المصائب، لذلك:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةَ ﴾.

[سورة الحج الآية: 11].

أيها الإخوة، يعني مستحيل الإنسان يظن حاله بحجم، وهو بحجمٍ أقل من حجمه دون أن يحجمه الله، لذلك إذا قوي الإيمان، صمد في الرخاء، وفي الشدة، في السراء والضراء يقول أحد أصحاب النبي: بايعنا رسول الله على الطاعة في المنشط، والمكره والحقيقة الإنسان حينما يثبت على إيمانه، وعلى استقامته في أثناء الشدة، فهذه علامة إيمانه.

وقد قال الإمام علي كرم الله وجهه: "**الرضا بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين**".

قصص الأنبياء، يعني سيدنا إبراهيم له قصةٌ عجيبة حينما دخل على معابدهم، وكسر أصنامهم ووضع الفأس في عنق أكبر صنمٍ فيهم:

﴿ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾.

[سورة الأنبياء].

يعني لفت نظرهم، ثم اتخذوا قرار بإحراقه، كان من الممكن أن يختفي، فلا يستطيعون أن يحرقوه، لو كان كذلك لقالوا: لو تمكنا من القبض عليه، لأذقناه ألوان العذاب فألهتنا له بالمرصاد، هذا لم يكن، الذي كان أنه ألقي القبض عليه، كان من الممكن أن تأتي الأمطار الغزيرة فتطفئ نارهم، ولو كان كذلك لقالوا: لولا أن هناك مطر لأحرقناه، لكن حكمة الله أرادت أن تسفه أحلامهم، وأن تحقر أصنامهم، فألقوا القبض عليه، وأوقدوا ناراً عظيمة وألقوه فيها:

﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾.

[سورة الأنبياء].

لو أن الله عز وجل قال: **﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْداً ﴾**، لمات من شدة البرد، ولو قال: **﴿ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً ﴾**، ولم يقل: **﴿ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾**، لانتهى إحراق النار إلى يوم القيامة، لن ننتفع منها، ولكن كلام الله دقيقٌ جداً: **﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾.**

هذا الإله العظيم، الذي من قدرته أن يلغي خصائص الأشياء، نار تحرق منذ أن خلقها الله، بكلمة واحدة تلغى خصائص النار، البحر صار طريق يبس، هذا الإله القوي، الذي بيده القوانين، بيده المعطيات كلها أن يعصى؟.

شيء آخر: يعني الله عز وجل يرزقنا الصبر لكن أي واحد منا واقع في شدة مهما تكن هذه الشدة بالغةً لا يمكن أن تكون شدته كمن وجد نفسه فجأةً في بطن الحوت والحوت في البحر، وفي الليل، في ظلمة الليل، ظلمة البحر وظلمة بطن الحوت.

أيها الإخوة، كلامٌ ذكرته كثيراً، قال تعالى:

﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ﴾.

[سورة الأنبياء الآية: 87].

وهو في بطن الحوت، نبيٌّ كريم:

﴿ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ﴾.

[سورة الأنبياء الآية: 87-88].

الآن البشارة لكل مؤمن، قال:

﴿ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

[سورة الأنبياء].

في أي مكان، وفي أي زمان، دائماً قس مصيبتك بمصيبة سيدنا يونس، حتماً أقل بكثير، حتماً أقل بمليون مرة، بطن الحوت، الحوت أذا أحب أن يعمل وجبة بين الوجبتين أربعة طن يريد، أربعة طن، هذه وجبة بين الوجبتين، وليد الحوت رضعته الواحدة ثلاث مئة كيلو، ثلاث رضعات، طن، يحتاج إلى طن حليب كل يوم، نبيٌّ كريم رأى نفسه في بطن الحوت، الحوت وزنه مئة وخمسين طن، في خمسين طن لحم، وخمسين طن دهن، وتسعين برميل زيت سمك يخرج منه، وجد نفسه في بطن الحوت، في الظلام، وفي البحر، في أمل؟ الأمل صفر الله قال: ﴿ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

كن عن همومك معرضاً وكلِ الأمور إلى القضا
وابشر بخيرٍ عاجلٍ تنسى به مـا قد مضى
فلربما أمـرٍ مسخطٍ لك في عواقبه رضـا

* * *

ولربمـا ضاق المضيق ولربما اتسع الفضـا
الله يفعل مـا يشاء فلا تكن معترضـاً
لله عودّك الـجميل فقس على ما قد مضى

* * *

يعني كلما ألمَّ بالإنسان شيء يتذكر سيدنا يونس، ويقول:

﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾.

[سورة الأنبياء].

طيب ما دعا، الله قال: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ﴾، ما دعا، العلماء قالوا: الثناء دعاء الثناء دعاء، يا رب: أنت الرحيم، يعني يا رب ارحمني، أنت الغني، يعني أغنني، أنت القوي يعني انصرني، أنت الرازق، يعني ارزقني، سواءٌ أدعوت الله أو أثنيت عليه، كلاهما دعاء:

﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾.

[سورة الأنبياء].

ويا أيها الإخوة الكرام، تعامل مع الله مباشرةً، كلما أنابك شيء ثق به، وناجيه وادعوه، واعتذر إليه واستغفره، وتب إليه، وسبحه:

((وأتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحسَنَةَ تَمْحُهَا)).

[أخرجه الترمذي، عن: أبو ذر الغفاري].

يعني أقم علاقةً بينك وبينه، أقم مناجاةً بينك وبينه، أقم استغفارا، أقم توحيداً، تهليلاً تكبيراً، إن أردت أن يناجيك الله فاقرأ القرآن، إن أردت أن تناجيه فادعوه، سيدنا يوسف:

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾.

[سورة يوسف الآية: 33].

انظر التواضع، يعني أنا يا رب لا أعصيك: ﴿ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾، من أن أعصيك، وكل مؤمن له مع الله حوار، له مع الله ابتهال، له مع الله دعاء، أنا كلما أخ وضعني أمام مشكلة، يعني وضعني بظرف صعب، قال لي: مشكلتي كذا، زوجتي، أولادي، بيتي، لا يعمل، أقول له كما قال النبي:

﴿ لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشَداً ﴾.

[سورة الجن].

ولكن أقول لك:

((إِذَا ذَهَبَ ثُلُث الليل الأَوَّلُ، نَزَلَ إلى السماء الدنيا، فيقول: هل مِنْ مُستَغْفِرٍ؟ هل مِن تائِبٍ؟ هل من دَاعٍ؟ حتى يَنْفَجِرَ الفَجْرُ)).

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ومالك، عن: أبو هريرة].

هذا كلام النبي، وكلام النبي لا ينطق عن الهوى، جرب، ضع حاجتك في باب الله عز وجل، اقطع أملك من الخلق، وعلق الآمال على الحق، وانظر كيف أن الله سبحانه وتعالى يفرج ما بك.

إخوانا الكرام، الصادقين، المؤمنين عندهم آلاف القصص، وقعوا في أزمات وقعوا في ورطات، ناجوا ربهم ابتهلوا إليه، فأزاح الله عنهم همهم، هذا شيء ثابت، فذكرت لكم قصة سيدنا يونس، وسيدنا إبراهيم، أما السورة التي قرأت كلها عن الأنبياء، سيدنا نوح دعا ربه، سيدنا إبراهيم، سيدنا زكريا كل الأنبياء دعوا ربهم، واستجاب الله لهم، أما أجمل شيء:

﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً ﴾.

[سورة مريم].

يعني في حياتي، في كل حياتي ما دعوتك يا رب دعاءً، وخيبت ظني.

والحمد لله رب العالمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، أثرنا ولا تؤثر علينا أرضنا وأرضَ عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبيِّ الأميّ، وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (26-59) : قوانين الله

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾.

[سورة الحج].

المؤمن قد يتهم اتهاماتٍ باطلة، المؤمن قد يقع في محنة، المؤمن قد يقال عنه ما ليس فيه، هذا من ابتلاء المؤمن، ومن الامتحان الذي يمر به، ولكن في النهاية الله ﷻ يدافع عنه، هو حقٌ، ويحق الحق، كيف يدافع عن المؤمن؟ يسخر له إنساناً ينبري للدفاع عنه وهو ذو قيمة، وكلامه مسموع، فكل مؤمنٌ ظُلم، أو انتُقص من حقه، أو قيل عنه ما ليس فيه ربنا سبحانه وتعالى يقول في هذه الآية الكريمة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آَمَنُوا ﴾.

الحقيقة في بالقرآن الكريم وعود كثيرة جداً للمؤمنين، إن لم تتحقق، يجب أن نتهم أنفسنا فقط، الله عز وجل يقول:

﴿ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾.

[سورة الصافات].

فإذا ما غلبوا، هناك خللٌ في جنديتك لله:

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾.

[سورة غافر الآية: 51].

﴿ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا ﴾، فإذا إنسان ما نجح في عمله الطيب، وفي نشر الحق ينبغي أن يتهم نفسه، الله عز وجل قال:

﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ﴾.

[سورة محمد الآية: 7].

وإن ينصركم فلا خاذل لكم.

فيا أيها الإخوة الكرام: كل وعود المؤمنين في القرآن الكريم، لابد من أن تقع، إلا بحالة واحدة إلا أن يكون هناك خللٌ في مصداقية المؤمنين، فكلما وجدت وعد إلهي يعد به المؤمن بالنصر، أو بالتوفيق أو بالحفظ، أو بالتسديد، أو بالتأييد، أو بالتوفيق، ولن تجد هذا التوفيق، ولا هذا الاستخلاف ولا هذا التطمين، ولا هذا التمكين، ولا هذا الدفاع، فينبغي أن تتهم نفسك باديء ذي بدء، الشيء الآخر هو أن الله سبحانه وتعالى يأمرنا أن:

﴿ وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾.

[سورة الحج].

القانع هو الذي لا يسأل، وقد ورد في القرآن الكريم:

﴿ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ*لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾.

[سورة المعارج].

المحروم الذي نفسه عزيزةٌ عليه، لا يسأل، وصفهم الله عز وجل فقال:

﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً ﴾.

[سورة البقرة الآية: 273].

لا يسأل، ولا يلح في السؤال إذا سأل، ويستعفف، ولا يطلب، ويُحرم بحيائه وخجله، ولعزة نفسه، ولكرامته، من الذي يأخذ؟ هو الذي يسأل، ويقتحم، ولا يتحرج أن يسأل وأن يطلب بإلحاح، فإذا كان الله عز وجل يقول: ﴿ وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾، القانع هو الذي يقنع بما أتاه الله، المعتر هو الذي يظهر حاجته، يظهر المعرة التي يعاني منها.

أيها الإخوة،إذا كان الله يرضيه أن نطعم القانع، ويرضيه أن نطعم المحروم والمحروم لا يسأل، ولا يطلب، ولا يجرؤ على أن يقول أعطوني، ما واجبنا؟ ماذا نستنبط من هذه الأحكام؟ واجبنا أن نتفقد بعضنا بعضاً.

أنا كنت أقول لكم دائماً: أتمنى على الله من كل قلبي أن يتولى كل أخٍ منكم أخاً أن يتآخى الإخوة الكرام اثنين اثنين، لو واحد تكفل بواحد، يعني سأل عنه، تفقد شؤونه زاره، عرف حالته، والإنسان بحق نفسه قصير، مقصر بحق نفسه، ويخجل أن يقول عن نفسه فإذا كان كل أخ آخى أخ، اختار أخ قريب من بيتك، قريب من عملك، جارك، صديقك، زميلك قريبك، يعني تربطك به علاقةٌ وشيجة، واتخذه أخاً في الله، يتفقدك، وتتفقده، يسأل عن حالك وتسأل عن حاله، ينصحك وتنصحه، يخبر عن مرضك.

أيام قال لي واحد، والله ألمني جداً قال لي: أنا صار لي أربع أشهر مريض بالبيت، ما في أخ زارني، ولا واحد، طيب الذي له أخ في الله، وعرف أنه مريض، وخبر الإخوة الكرام، كلهم يزوروه، لكن ما في معلومات، نقص معلومات، فالمعلومات من أين تأتي؟ من هذه المؤاخاة في الله.

أنت اتخذ أخ واحد، أنا أريدها عملي هذه، اتخذ أخ، اعرف وضعه، اعرف شؤونه، اعرف وضعه المالي، وضعه الاقتصادي المعنوي، الاجتماعي، في مشكلة مع زوجته، في مشكلة مع أولاده، مشكلة بعمله، مشكلة بدخله مشكلة بصحته، أيام نبحث خارج المسجد عن طبيب، وفي إخواننا الكرام أطباء مهرة، وورعون، ويتفانون في خدمة بعضهم بعضاً، خارج المسجد هناك من يبتز الأموال، هناك من يغش، المؤمن له وضع ثاني، فإذا الإنسان اتخذ أخ في الله، يتخذه أخ حقيقةً، زيارة، تفقد، معاونة، نصح، تبادل، يعني معه معلومات كافية عنه، فإذا كان حدث شيء استثنائي، وأبلغ، بلغ عنه، يعني صار في خدمة أولاً صار الأخ غالي، يحس بمكانته، الآن أيام أخ يكون مريض، أمام أهله: ما أحد زارك؟ ما أحد يعرفك؟ يصير موقف حرج جداً، أما إذا كان الأخ لا سمح الله مرض، والإخوان كلهم زاروه، وأكرموه، يحس بمكانته عند أهله، يعني مهم جداً في الجامع هو.

فنحن نريد أن يتآخى اثنين اثنين، كل أخ من إخواننا الكرام يختار واحد، بيته قريب منه، قريب من عمله، قريب من سنه، قريب من مصلحته، من مهنته، في قرابة، في نسب، التعاون جميل جداً، لا يصعب عليك أن تآخي أخاً واحداً، هذا الأخ تعرف أحواله، أيام في عنده ولادة عسرة، زوجته فرضاً يأخذ رأي، أيام الإنسان وحده ضائع، يكون ضحية خطأ وضحية ابتزاز، وضحية نقص معلومات.

أنا أذكر مرة أخ من إخواننا، جاء طبيب لعندنا، قال لي: أستاذ كل شيء استئصال لا يجوز أن يقر فيه طبيب واحد، يعني قصتين ثلاثة، مؤلمة جداً القصة، أنه استؤصل ثدي لفتاة في ريعان الشباب، ومعقود عقدها على شاب صالح، خطأً استؤصل الثدي، كل شيء اسمه استئصال يحتاج دراسة، يحتاج تواتر، يحتاج مجلس أطباء، ذكر لي قصتين ثلاثة، فقال لي: أنا أتمنى أن لا توافق لأي أخ باستئصال عضو من أعضاءه إلا بعد أخذ آراء عديدة، بعد شهر جاء أخ، قال لي: والله إبنتي كليتها واقفة، عمرها سنتين، ثلاثة، فسألنا طبيب، قال: فوراً تحتاج إلى عملية استئصال، قلت له: اسأل طبيب ثاني، سأل الطبيب الثاني، قال له: لا ما في حاجة إلى عملية، لعلها تعمل بعد حين، بعد شهر ونصف جاءني مبشراً، قال لي: عملت الثانية، كان سيستأصلها، الإنسان قوي بإخوانه، في معلومات، في خبرات متراكمة بهذه الجهة، أخ نصوح، أخ طبيب، أخ محامي، أخ مهندس، هذا الإنسان لا يعيش وحده، إذا آخى أخ واحد، عرف كل شيء عن أحواله، صار في معلومات، أنا أشكر أنه بقينا فترة طويلة محتاجين إلى طبيب

باختصاص معين، بحاجة ماسة للاختصاص، لا نجده، وإذا أخ من إخوانا من سنوات يحضر عندنا، ولا نعلم أنه طبيب بهذا الاختصاص، نقص معلومات كثير مزعج فالنبي هكذا علمنا، أن نتآخى اثنين اثنين، واحد اختار أخ، تتفقد شؤونه، تعرف وضعه المالي الاقتصادي، الاجتماعي زواجه، عمله، صحته، إذا عرفت معلومات دقيقة، أنت ناقل أمين فقط، أنت تبلغ عن الشيء الضروري، الذي نحن بحاجة إليه يصير في معاونة، الله عز وجل قال:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾.

[سورة المائدة الآية: 2].

دائماً الإنسان قوي بأخوه، وضعيف وحده، والنبي عليه الصلاة والسلام قال:

((يَدُ اللهِ مع الجماعةِ)).

[أخرجه الترمذي، عن: عبد الله بن عباس].

((عليكم بالجماعةِ، وإيَّاكُم والفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشيطانَ مع الواحد، وهو من الاثنين أبعدُ مَنْ أَراد بُحْبُوحَةَ الجنة فليلزم الجماعةَ)).

[أخرجه الترمذي، عن: عبد الله بن عمر].

((فإنما يأكلُ الذِّئبُ من الغنم القاصية)).

[أخرجه النسائي وابن خزيمة، عن: أبو الدرداء].

سمعت عن مسجد خارج دمشق، كل الإخوان يعني كتبوا زمرة دمهم، ورقم هواتفهم، أيام أخ يضطر لعملية، الآن في مشكلة جديدة، لو أخذنا ألتار دم من بنك الدم ومفحوص الدم فحص دقيق، قد يكون فيه إيدز، السبب: إن فيروس الإيدز في له ست أشهر صمت مخبري، يكون إنسان مصاب بالإيدز، إذا كانت إصابته قبل ستة أشهر، الجواب سلبي ما معه إيدز، هو معه ايدز، في عدة حالات أُخذ دم من بنك الدم، والدم مفحوص فحص جيد وأصيب الذي أخذ هذا الدم بالإيدز، هذا مرض قاتل، فلآن في توجيه، توجيه رسمي، أي إنسان محتاج لعملية، لا بد من حقه يختار صديق، أو صاحب، أو قريب مستقيم، من أجل أن يأخذ دم نقي فوراً، يختار صديق مستقيم، هذا المسجد أعجبني، لأن كل أخ مسجل زمرة دمه ورقم هاتفه، فكل ما صار في طارئ فوراً القوائم موجودة، فلان دمه مناسب أخبروه، لأنه عندما تأخذ دم من بنك الدم في احتمال كبير يكون فيه إيدز، لأن الأجهزة أحدث أجهزة في العالم يوجد لدينا منها، لا تكفي لكشف المرض.

يوجد شيء ثاني: هذا المرض لديه سلالات مثلاً مئة مليون دولار بحوث للكشف عن سلالة، يأتي هذا الفيروس يغير شكله بسلالة ثانية، كل هذه النفقات ذهبت أدراج الرياح، في عدة سلالات، فلآن ما في ضمانة لنجاح عملية جراحية، إلا أن يكون الدم من إنسان مستقيم، مضمونة استقامته، فدمه نقي، هذا التوجيه الرسمي الآن، الرسمي، في الأول كان ممنوع أن تأتي بدم من عندك، ممنوع إلا عن طريق بنك الدم، عندما وجدوا في حالات دم مفحوص ونقل مرض الإيدز، صار مسموح الآن للمواطن أن يختار صديق، أو قريب مستقيم، ويأخذ من دمه، فما أجمل التعاون، لأن كل أخ كتب زمرة دمه، ورقم هاتفه، في أي حاجة لنقل دم كل واحد معروف زمرة دمه، هذا التعاون.

فموضوع محور الدرس اليوم، ما دام الله عز وجل قال: ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾، ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً ﴾، ﴿ الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾، ما دام المقصود أن تطعم العفيف، كريم النفس، عزيز النفس، هذا الذي لا يسأل، هذا الذي سماه الله محروماً لأنه لا يسأل، والذي يسأل هو الذي يأخذ، فصار في واجب ضمني، واجب ضمني أن نبحث عن أحوال بعضنا بعضاً، كل أخ يتولى أخ، بشكل لطيف، بشكل يعني في ذوق رفيع تفهم وضعه، عليه ديون، أو ما في عليه ديون، وضعه المادي، أهله، في مشكلة، أيام يوجد خلاف زوجي يمتد سنة أحياناً، هي تستنكف أن ترجع إليه، وهو يأبى أن يطلبها، أما يأتي طرف ثالث يحل هذه المشكلة، ويعيد الزوجة إلى زوجها، فأيام تنحل مشكلة زوجية، تنحل مشكلة مالية، تنحل مشكلة صحية بالتعاون، والإسلام إذا ما عشناه ما قيمة هذه الأفكار؟ أفكار رائعة تحليل دقيق، تفسير رائع، إذا ما عشنا هذه الأحوال، عشنا هذه القيم، وتعاونا، هذا أمر إلهي، أنا ذكرت هذا الشيء عدة مرات سابقاً، يعني أحياناً أجد في تقصير، ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾، تآخيا اثنين اثنين، من الآن فصاعد أريد أن أسأل أخ، أنت من أخوك؟ من أخوك في الله؟ حتى يكون في نوع من التعاون، نعم.

إذاً مادام العطاء ينبغي أن يتوجب ﴿ الْقَانِعَ ﴾، وللذي لا يسأل: ﴿ النَّاسَ إِلْحَافاً ﴾، والذي يحسبه: ﴿ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾، هناك واجب ضمني، هذا الواجب الضمني أن تبحث أنت عن المستحق، أكثر الناس يتوهم لمجرد أن يدفع الزكاة لأي جهة انتهت مهمته، ما انتهت مهمته، مهمتك لا تنتهي إلا إذا وضعتها في المكان المناسب، في اليد العفيفة، في اليد الكريم، بأسلوب حكيم، لا تنتهي مهمة دافع الزكاة بأن يخرج المال منه، لا تنتهي مهمته إلا أن يضعها في المكان المناسب، ثم يقول الله عز وجل، آيةٌ أخرى:

﴿ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾.

[سورة الحج].

﴿ شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾، القرآن الكريم، يعني هذه الشعائر التي جعلها الله مثل علامات على الإسلام، إن عظمتها هذا علامة إيمانك، لذلك قالوا: هناك كفر اعتقادي، وكفر قولي وكفر عملي، لو أن الإنسان ألقى بالمصحف إهانةً له فقد كفر، ألقى بالمصحف مهيناً له فقد كفر فتعظيم﴿ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾، تعظيم المسجد، هذا من:﴿ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾، رفع الصوت في المسجد لا يجوز، أيام تجد في صلاة، صلاة سنة، وحديث بين اثنين بصوت عالي، طيب لا يجوز هذا بيت الله، أنت راقب نفسك، لو كنت عند موظف كبير، تحكي مع واحد ثاني مراجع بصوت عالي، وتشوش على الوزير حديثه، لا تفعلها، لا تفعلها مع وزير، فكيف وأنت في بيت الله عز وجل؟ خفض الصوت في المسجد من الإيمان، رفع الصوت.

النبي عليه الصلاة والسلام، يعني إلا لحالات خاصة فيها عذر، ما رؤي ماداً رجليه قط بين أصحابه، في إنسان معه وجع بالركب معه التهاب مفاصل، هذا معذور، ما أحد يلومه إطلاقاً، أما إنسان بلا عذر ينبغي أن يجلس في المسجد جلسة متأدب، هذا من تعظيم ﴿ شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾، تعظيم القرآن الكريم من: ﴿ شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾، تعظيم الكعبة من: ﴿ شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾، تعظيم بيوت الله من: ﴿ شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾، تعظيم أهل العلم من: ﴿ شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾، إنسان حافظ كتاب الله، ينبغي أن يعامل بتوقير، ينبغي أن يعامل لا كما يعامل بقية الناس، في آية البارحة قرأت:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾.

[سورة الحج].

هذه الزلازل التي تحدث، والتي تهدم الأبنية، وتزعزع أركان المدن، والقرى، هذه زلازل ليست كزلزلة الساعة:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ* يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾.

[سورة الحج الآية: 1-2].

العلماء وقفوا عند هذه الآية وقفة متأنية، الصفات الخاصة بالنساء لا تؤنث، أنت متى تؤنث؟ إذا كان صفة مشتركة بين الرجال والنساء، عامل، وعاملة، معلم، ومعلمة، طبيب وطبيبة، مهندس، مهندسة، تؤنث، أما إذا كان صفات خاصة بالنساء لا تؤنث، تقول: امرأةٌ ثيب وامرأةٌ بكر، وامرأةٌ طالق، وامرأةٌ حامل، وامرأةٌ مرضع، ما دامت الصفة خاصةٌ بالنساء لا تؤنث، طيب إذا قلت: امرأةٌ حاملةٌ، يعني على

ظهرها، إذا قلت: حاملٌ، في بطنها، حاملةٌ على ظهرها، لأن حاملةٌ، هناك رجل يحمل على ظهره، فإذا قلت: امرأةٌ حاملةٌ يعني على ظهرها، حاملٌ في بطنها، طيب امرأةٌ مرضعٌ، يعني في طور إرضاع ابنها، أما امرأةٌ مرضعةٌ، يعني ابنها تحمله على صدرها، لأن الرجل بإمكانه أن يحمل ابنه على صدره، الآية الكريمة:

﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾.

[سورة الحج].

كنت أقول لكم دائماً: العاقل يعيش المستقبل، والأقل عقلاً يعيش الحاضر، والغبي يعيش الماضي، فالذي يفتخر بالماضي، وحاضره ليس امتداداً لماضيه إنسان متخلفٌ عقلياً يتغنى بآبائه وأجداده، وهو في أسفل سافلين، ما قيمة هذا التغني؟ والذي يعيش حاضره دون أن ينظر إلى مستقبله، هذا أكثر عقلاً من الأول، وأقل عقل من الثاني، أما الذي يعيش مستقبله هذا هو العاقل، بالمستقبل، ما هو أخطر حدثٍ في المستقبل؟ الموت، لذلك أعقل الناس هو الذي يعد لهذه الساعة عدتها، يُعد له التوبة النصوح، يُعد له العمل الصالح، يعد له طاعة الله عز وجل، يُعد له دعوةً إلى الله، يُعد له إنابةً واستقامةً، أن تعد للمستقبل، ولا سيما حدث الموت هذا يُعد من أعظم ملامح العقل الراجح، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((أرجحكم عقلاً، أشدكم لله حباً)).

والحمد لله رب العالمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، أثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وأرضَ عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبيّ الأميّ، وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

الفاتحة.

الدرس(27-59) : صفات المؤمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام، هنالك قاعدةٌ تقول: الحقيقة المرة خيرٌ من الوهم المريح، لو واحد معه شيك مزور وهو يظنه حقيقي، بمئة ألف دولار، مرتاح راحة لا حدود لها، أما حينما أراد أن يصرفه اكتشف أنه مزور، فأودع السجن، لو أنه عرف الحقيقة مسبقاً، الحقيقة المرة أنه لا يملك شيئاً، فسعى لكسب المال الحلال، فسعد به، أليست الحقيقة المرة خيرٌ من الوهم المريح بألف مرة؟ الآيات الأولى من سورة المؤمنون، يقول الله عز وجل:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون].

قد: حرف تحقيق: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾، يعني إذا أنت أمنت الإيمان الذي أراده الله، نجحت في الحياة الدنيا، وفي الآخرة، كنت من الفائزين، كنت من الفالحين، المتفوقين الناجحين، السعداء، لكن اللغة العربية أحياناً لها فائدة كبيرة جداً في فهم كلام الله:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ ﴾.

[سورة المؤمنون الآية: 1-2].

﴿ الَّذِينَ ﴾، اسم موصول، محل هذا الاسم الموصول صفة، علماء المنطق قالوا: الصفة قيد، الآن اطلب موظف، يحمل إجازة في الحقوق، قد يأتيك مئة ألف إجازة اكتب إلى جانب هذا الشرط، يتقن اللغة الإنكليزية، يصيروا عشر آلاف، أول صفة كانت قيد، أنجز الخدمة الإلزامية صاروا خمس آلاف، يتقن استعمال الكومبيوتر، صاروا ألفين، كلما أضفت صفة تضيق الدائرة، هذا كلام ربنا عز وجل، يقول: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾، ما رأيت إنساناً ينتمي إلى هذا الدين إلا وهو قانعٌ قناعةً كبيرة أنه مؤمن، ومن كبار المؤمنين فلو وضع إيمانه على هذا المقياس:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون].

أول قيد، الخشوع في الصلاة ليس من فضائلها بل من فرائضها، والخشوع أساسه معرفة الله عز وجل، فأنت حينما تدخل على إنسان كبير، بمقياس الناس، تجلس أمامه جلسةً متأدبة، تنصرف إليه بكليتك، أما إذا إنسان دونك تتشاغل عن النظر إليه، قد تقرأ مجلةً أمامه قد تضع رجلاً على رجل، وأنت مرتاح، لأنك تراه دونك، أما إذا وقفت أمام عظيم، لاشك أنك تتأدب تأدباً كاملاً.

سيدنا زيد الخير، أعطاه النبيُّ وسادةً لأتكئ عليها، فقال رضي الله عنه: والله ما كنت لأتكئ في حضرتك، إذاً كيف تأدب هذا الأدب؟ لمعرفته أنه رسول الله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾، أول قيد: ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾، القيد الثاني:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون].

اللغو ما سوى الله، يعني هدفه واضح، وهدفه كبير، وهدفه مقدس، وقت محدود والعمر قصير، والموت يأتي بغتةً، والقبر صندوق العمل، لابد من أن يستغل الوقت، يعني إذا إنسان قلنا له، أنت عليك أن تغادر هذا البلد خلال أربع وعشرين ساعة، وليس لك أن تحمل من أغراض بيتك إلا سعة هذه الشاحنة، ماذا يفعل؟ يختار أثمن الأغراض، وأقلها حجماً أغلاها ثمناً، وأقلها حجماً، ما دام العمر محدود، والموقف عصيب، ولقاء الله عز وجل يحتاج لاستعداد هل عنده وقت أن يلعب الطاولة؟ مستحيل! هل عنده وقت أن يقرأ قصةً فارغة؟ مستحيل! هل عنده وقت أن يتابع مسلسل، ينتهي كما ينتهي أي عمل فني، إما بالزواج، أو بالموت، وقته ثمين جداً، الإنسان حينما يمضي وقتاً في غير طاعة الله، يشعر بتفاهته.

لذلك: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾، يعني ممكن طالب بالامتحان معه ساعتين، يرسم خمسات؟ ماذا طبختم اليوم؟ مستحيل! يصلح ساعته؟ يحاول يرسم رسم على الورقة، إلا إذا كان راسب طبعاً، سيأخذ صفر، يتسلى، أما طالب بالامتحان، يحس بقيمة الوقت، كل دقيقة تعني علامة في الامتحان، لذلك لا يمكن لإنسان بامتحان أن يضيع الوقت الوقت محدود، والمهمة خطيرة.

أنت حينما تعلم أنك في الدنيا في حياةٍ دنيا إعدادية، من أجل حياةٍ أخرى، عالية راقية، تكون: ﴿ عَنِ اللَّغْوِ﴾. معرضاً.

مرَّ أحد العلماء بمقهى، يلعب فيه رواده النرد، فقال يا سبحان الله! لو أن الوقت يشترى من هؤلاء لاشتريناه منهم.

يعني الوقت وعاء العمل، الوقت رأسمالك الوحيد، أثمن شيءٍ تملكه هو الوقت: ﴿ اللَّغْوِ ﴾، ما سوى الله، أما كل عملٍ ينتهي إلى الله ليس من: ﴿ اللَّغْوِ ﴾، إذا أتقنت عملك الحرفي، وإتقان العمل نفع المسلمين، وارتقت مكانتك عند المسلمين، ورأى المسلمون أن المسلم الحق متقنٌ لعمله، وأنه متفوق، صار إتقان العمل ليس من: ﴿ اللَّغْوِ ﴾، لو أنك قرأت كتاباً لتزداد ثقافتك في اختصاصك، فتكون الأول في حرفتك، هذا ليس من: ﴿ اللَّغْوِ ﴾، لو أنك أمضيت وقتاً في تربية أولادك، وقد تحببت إليهم، وقد كانوا صبيةً صغاراً، تصابيت لهم هذا التصابي للصبية الصغار ليس من: ﴿ اللَّغْوِ ﴾، مع أنك تداعبهم، وتمزح معهم، هذا من صلب الدين، لو أنك جلست مع أهلك لتملك قلبها، وتأخذ بيدها إلى الله، هذا ليس من ﴿ اللَّغْوِ ﴾، يعني كل شيء ولو كان دنيا، ينتهي إلى الله هذا من الدين، أما حينما تضيع وقتاً بلا طائل، هذا من: ﴿ اللَّغْوِ ﴾، أو حينما تنشغل بما لا رجوا من انشغالك به:

((طوبى لمن وسعته السنة، ولم تستهويه البدعة)).

((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)).

[أخرجه الترمذي، عن: أبي هريرة].

يعني المؤمن جاد، المؤمن ليس عنده وقت ليعرف سفاسف الأمور ، وقته أثمن وهدفه أجل:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون].

لك أن تفهم هذه الآية ف عدة اتجاهات، لك أن تفهم هذه الآية أن المؤمن يسعى لتزكية نفسه، بالعمل الصالح، بضبط الجوارح، بطلب العلم، بالقرب من الله، بذكر الله، لأنه فلاحك الحقيقي في تزكية نفسك:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾.

[سورة الشمس].

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون].

تلاحظون كلما أضفت صفةً ضاقت الدائرة، فأنت إن أردت أن تكون مؤمناً حقاً مؤمناً كما يرضى الله عز وجل، ينبغي أن تعرض هذه الآية على ذاتك:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾.

[سورة المؤمنون].

يعني هذه الشهوة التي أودعها الله في الإنسان، لها قناةٌ واحدةٌ مشروعة، هي قناة الزواج، أية قناةٍ أخرى، خارج نطاق الزوجية، هذا:

﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ ﴾.

[سورة المؤمنون الآية: 7].

﴿ مَنِ ابْتَغَى ﴾، امرأةً غير امرأته، لا تحل له، أو ابتغى أسلوبا لا يرضي الله عز وجل في علاقته بزوجته:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون].

يقول بعضهم: لا حياء في الدين، أترون إلى أن هذه العبارة كلها حياء، وكلها أدب هل رأيتم أدباً كهذا الأدب؟ ﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ ﴾، ما سمى الأشياء بأسمائها الفاضحة، ما ذكر الأشياء بأقبح صورها:

﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون].

((لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له)).

[أخرجه أبو يعلى والطبراني، والبزار، والإمام أحمد، وابن حبان، عن: أنس بن مالك].

صلي ما شئت، وصم ما شئت، وافعل الطقوس ما شئت، لن تكون مؤمناً إلا إذا كنت أميناً، ولن تكون ديّناً إلا إذا كنت محافظاً على عهدك:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون].

أنا مرة ضربت مثل آخر: إذا قلت: كلمة مسلم، تعني مليار ومئة مليون، أضف لها صفة، قل: مسلم عربي، مئتي مليون، قل: مثقف، مليون، فرضاً، قل: طبيب، مئتي ألف قل: طبيب قلب، صفي عشرة، كلما أضفت صفة، تضيق الدائرة، فهؤلاء المؤمنين:

﴿ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ ﴾.

[سورة المؤمنون الآية: 11].

صفاتهم أنهم في: ﴿ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾، و﴿ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ و﴿ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾، و ﴿ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾، و ﴿ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾:

﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون].

لذلك الحقيقة المرة خيرٌ من الوهم المريح، لا تسعى وراء وهمٍ مريح، اسعى وراء حقيقةٍ مرة، إن عرفت حجمك، أيام الإنسان يصغر حينما يعرف الحقيقة يصغر، هو يصغر ليكبر، أما حينما يتوهم غير الحقيقة يرى نفسه كبيراً، ثم يصغر، أيهما أفضل، أن تصغر لتكبر؟ أم أن تتوهم أنك كبير، ثم تصغر؟.

مرة ثالثة: كن مع الحقيقة المرة، ودع الوهم المريح، لن تكون مؤمناً ناجياً من عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة، إلا إذا انطبقت عليك هذه الآيات مجتمعةً، كل صفة، علماء المنطق قالوا: الصفة قيد.

في شيء ثاني في سورة النور، وهذا الشيء يعطينا فكرة عن أفعال الله، يقول الله عز وجل:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ ﴾.

[سورة النور الآية: 11].

حديث الإفك، حيث اتهمت السيدة عائشة بالفاحشة، يعني ملابسات دقيقة جداً كان من الممكن أن لا تغفو، التغى الحديث، كان من الممكن أن يشعر من يقود جملها أن الهودج فارغ، يعود إليها، ويأخذها، انتهى حديث الإفك، لكن شاء الله أن يكون هذا الحديث، من هنا قال الله عز وجل، أو خذوا هذه القاعدة: كل واقعٍ له حكمة، بصرف النظر عن موقعه، قد يكون موقعه أحمقاً، وقد يكون أرعناً، وقد يكون طائشاً، وقد يكون منحرفاً، كل شيءٍ وقع لكل واقعٍ حكمة:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ ﴾.

[سورة النور الآية: 11].

والله هو شر فيما يبدو، إذا واحد لا سمح الله اتهمت زوجته بالزنا، وقد تكلم الناس جميعاً في هذه القصة، أينما ذهب ينظر الناس إليه، هذا زوج التي اتهمت بالزنا، شيءٌ قد لا يحتمل، فكيف يكون خيراً؟ قال:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ ﴾.

[سورة النور الآية: 11].

هو خير، هذا الحديث فرز المؤمنين، فرز علمي، بعضهم صدق الحديث وبعضهم أنكر الحديث، بعضهم ظن في نفسه خيراً، فبرأ السيدة عائشة من هذه التهمة وبعضهم راقت له هذه الفكرة، روجها، وأرجف في المدينة، وجعل زوجة رسول الله ﷺ تلوكها الألسنة، أما الشيء الذي لا يصدق، هو أن الوحي تأخر بتبرئة السيدة عائشة في قولٍ ثلاثين يوماً، وفي قولٍ أربعين يوماً، أربعون يوم، وهذه التهمة التي لا يحتملها إنسان ليس مع النبي دليل إثبات، ولا دليل نفي، وهنا ظهر أن الوحيّ لا يملكه النبي، ليس

الوحيُّ بيد النبي، لو أن الوحيَّ بيد النبي لجاءت آيةٌ من صنع النبي، بعد ساعةٍ من حديث الإفك، وانتهى الأمر، لكن تأخر الوحي أشعر المؤمنين أن الوحي كيانٌ مستقل عن كيان النبي، لا يملك استجلابه، ولا دفعه، إذاً:

﴿ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ﴾.

[سورة النور الآية: 11].

ما دام خير، وما دام ليس شراً، إذاً الذين روجوا هذا الحديث ما في عليهم مسؤولية ما في مشكلة، خير لأنه، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

[سورة النور].

معنى ذلك أنهم مسئولون، معناه أن التوحيد، دققوا في هذا الكلام، التوحيد لا يعفي من المسؤولية، طبيب أهمل مريض، قصر في معالجته، مات المريض، جوابه: قضاء وقدر ترتيب سيدك يقول لك، لا، مع أن هذا الذي وقع أراده الله، لا يعفى الطبيب من المسؤولية محامي تسلم دعوة، لم يتابعها، لم يقدم مذكرات قوية، الدعوة خسرت، إذا قال: هذا نصيب يا أخي، هذا كلام دجل.

لأن النبي عليه الصلاة والسلام، احتكم إليه اثنان، فحكم لأحدهما المحق على الآخر المبطل، فخرج الذي حكم عليه، وقال: حسبي الله ونعم الوكيل، لو أن النبي بقيَّ ساكتاً لكان كلامه صحيحاً، النبي مشرع في أقواله، وأفعاله، وإقراره، قال:

((إن الله يَلُومُ على العَجْز، ولكن عليكَ بالكَيْس، فإذا غَلَبَك أَمر، فقل حَسبيَ الله ونعم الوكيل)).

[أخرجه أبو داود، عن: عوف بن مالك].

يعني أنت حينما تأخذ بكل الأسباب تغطي كل الاحتمالات، تعد لكل شيءٍ عُدته ثم تغلب، قل عندئذٍ:

((حسبي الله ونعم الوكيل)).

مكان هذه الكلمة حينما تأخذ بكل الأسباب، ولا تنجح، معنى ذلك أنت مقهور وأنت مقهور بإرادة الله عز وجل، ولا بد من حكمةٍ بالغة قد لا تعرفها الآن، أما كلما قصرت في شيء أعزي تقصيري إلى مشيئة الله، كلما قصرت في شيء، أنسب هذا التقصير إلى قضاء الله وقدره هذا لعبٌ بالدين، وهذا تدليسٌ أيضاً، وهذا افتراءٌ على الله:

﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴾.

[سورة النور].

إذاً انتهينا الآن إلى أن التوحيد لا يلغي المسؤولية، كل إنسان إذا أصابه شيء نقول: هذا من عند الله، ولكن الذي تسبب بهذا الشيء مسئولٌ، وسيحاسب، من هنا القتل الخطأ له حقان، حقٌ عام، وحقٌ خاص، الحق الخاص، يجب أن يسلم أهله ديةً، مع أنه خطأ، والحق العام، يجب أن يصوم ستين يوماً متتابعة.

إذاً نستنبط من هذا التعليق، أن لكل واقعٍ حكمة، إياك أن تتألم، إياك أن تحقد إياك أن تقع في حيرة، ما دام الشيء قد وقع فله حكمة، يعرفها من يعرفها، ويجهلها من يجهلها.

والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، أثرنا ولا تؤثر علينا أرضنا وأرضَ عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبيِّ الأميّ، وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

الدرس (28–59) : حقيقة الإيمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام، مرت في صلاة البارحة، صلاة التراويح، آيةٌ كريمة، وهي قوله تعالى:

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون].

من لوازم عدم الإيمان بالآخرة الخروج عن المنهج القويم، الحقيقة لا عبرة، ولا يُعتد بما يقوله الإنسان، ما من مسلمٍ على وجه الأرض إلا ويقول: آمنت بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالى، أما لو تفحصت سلوك الناس لوجدت جمهرةً كبيرةً منهم في تعاملها اليومي أسقطت حساب الآخرة كلياً، الذي يأخذ ما ليس له، لا يؤمن بالآخرة إطلاقاً، الإنسان حينما يؤمن بالآخرة، يعني هناك حساب دقيق، كل شيء سوف تحاسب عنه، كل كلمةٍ، كل حركةٍ، كل سكنةٍ، كل إعطاءٍ، كل منعٍ، كل صلةٍ، كل قطيعةٍ، كل ابتسامةٍ، كله بحساب، فالإنسان إذا أمن بالآخرة، والشيء الذي يلفت النظر أن أركان الإيمان خمسة، لكن أكثرها تلازماً، الإيمان بالله واليوم الآخر، لأن الإنسان إن لم يؤمن بأن الله موجود ويعلم، وسيحاسب لا يستقيم، معنى ذلك أنه جعل الدنيا أكبر همه، آمن بالحياة الدنيا، في إنسان أمن بالدنيا وحده، هي كل شيء، فالغني فيها سعيد، والفقير فيها شقي، لابد من المال، من أية طريقة، يبيع دينه، يبيع شرفه، يبيع مبادئه، يبيع قيمه من أجل المال، يكذب يدجل، ينافق يحتال، هذا الإنسان لو قال مليون مرة: أنا مؤمن بالآخرة، ما أمن بها إطلاقاً لآن عمله لا يؤكد ذلك، حينما الإنسان لا يتورع عن أكل المال الحرام، أو عن أن يعتدي على أعراض الناس، أو عن أن يعصي الله، والله توعد العاصي بعقابٍ أليم في الآخرة، حينما لا يعتد الإنسان بهذا الكلام قولاً واحداً إيمانه بالآخرة غير صحيح، هناك نموذج من الناس مهدت هذا التمهيد، هناك نموذج من الناس وصفهم الله عز وجل في سورة النور:

﴿ وَيَقُولُونَ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ﴾.

[سورة النور الآية: 47].

هذا قولهم، على حيز السلوك:

﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾.

[سورة النور].

اسمع إلى كلامه أحلى من العسل، انظر إلى فعله أمر من الأسل، دقق فيما يقول مُثل، وقيم، ومبادئ، وعواطف إسلامية، وانتماء، راقبه في الدرهم، والدينار، راقبه في الجوار يتفنن في إيذاء الجوار، يؤذيهم ولا ينتفع، يعني أي جار أحب أن يعمل تعديل بسيط، يشتكي عليه، وهذا التعديل لا يؤذيه إطلاقاً، ولا يقدم ولا يؤخر.

يعني أعرف أخ كريم آخذ بيت أرضي وله وجيبة كبيرة جداً، داخلية، ضمن البناء، عمّر غرفة مترين بمتر حتى يزوج ابنه، يحتاج إلى مطبخ ضمن وجيبته، بيت أرضي لا يحجب شمساً، ولا ريحاً، ولا نوراً، ولا يؤذي أحداً في الأعلى، لابد من أن يهدم هذا البيت لابد من أن يبقى ابنه بلا زواج، لماذا؟ هكذا، تجد ما في استقامة، هذا نموذج:

﴿ وَيَقُولُونَ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾.

[سورة النور].

هؤلاء أذكياء جداً، عندهم حاسة سادسة، قضيتهم مع الناس إما أن تحل بالشرع، أو تحل بالقانون، فإذا شعر أن قضيته في القانون خاسرة، لجأ إلى العلماء، نحن سيدي إسلام هذا شرع، نريد رأيكم في الموضوع، هذا خصمي، تجده يتأدب غاية التأدب، لأنه يعلم القانون ليس إلى جانبه، لو أقام دعوى يخسرها، أما عند العلماء يربحها، يأتي إليهم، فإذا علم أنها عند العلماء خاسرة، يتجه إلى المحاكم، هو إذاً يبحث عن مصلحته، لا يعبأ لا بهؤلاء، ولا بهؤلاء هذا نموذج متكرر، أين تحل قضيته؟ عند القانون؟ في القانون، يلجأ إلى القانون، ماذا يقول عندها؟ أخي نحن أمة، لنا قانون، في عندنا نظام، في عندنا محاكم، هذا هو شرعنا، هي القضية قضية دين إخلاء بيت، يريد الشرع ساعتها، فحينما تحل قضيته في الشرع، يلجأ إلى الشرع، وحينما تحل قضيته في القانون، يلجأ إلى القانون، يقول تعالى:

﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾.

[سورة النور].

لا يقبل حكم الله، بالمناسبة أيُّ إنسانٍ لا يقبل حكم الله فهو كافر:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.

[سورة الأحزاب الآية: 36].

هناك أناسٌ كثيرون يحرمون البنات، هو يرفض حكم الله، الله عز وجل أعطى:

﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾.

[سورة النساء الآية: 11].

ويعطي كل شيء للذكر، ولا يعطي الأنثى شيء، هذا رفضٌ لحكم الله عز وجل، يا رسول الله: اشهد أني نحلت ابني هذا حديقةً:

((أَلَكَ وَلَد سِوَى هذا؟ قال: نعم، قال: أكلَّهُمْ وهبت له مثل هذا؟ قال: لا، قال: فلا تُشْهِدْني إِذَنْ، فإني لا أشهد على جَور)).

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ومالك، عن: النعمان بن بشير].

أمرنا الله عز وجل أن نسويَّ بين أولادنا، يقول أحدهم: هذا بار، وذاك عاق أجيبه إن لم تسوِ بينهم، زدت العاق عقوقاً، زدته عقوقاً، وإن سويت بينهم، قربت العاق إليك وقبل منك هذا البار، البار منصف لأنه، فهذا شيء أساسي، العدل بين الأولاد جزء من الدين سووا بين أولادكم، ولو في القبل، طفلين صغيرين، يعني طفل أذكى، طفل أجمل، الأب أيام ينسى يقبل هذا، ويهمل هذا، يكون حطمه للثاني، ولو في القبل يجب أن تسوي.

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾، أبداً، يعني هذه قضية أساسية، النبي حكم هكذا، في قضايا الزواج أحياناً، في قضايا التجارة، البيع والشراء، في أحكام، أيام بالشركات المضاربة، الخسارة بالمال، صاحب الجهد خسر جهده، إن لم يكن هناك عدوان أو تقصير، إذا في عدوان، أو تقصير، صاحب الجهد يساهم في الخسارة، لأنها بسببه، أما إذا ما في عدوان، ولا تقصير، الشرع يقول: الخسارة على المال، وصاحب الجهد خسر جهده، هناك آلاف الأشخاص يرفضون الحكم الشرعي، ويحملون صاحب الجهد فوق أنه خسر جهده، خسارة المال، كل إنسان يرفض حكم الله ليس مؤمناً.

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾، يعني مهر المرأة من حقها، أزواجٌ كثيرون بطريقةٍ أو بأخرى يتهربون من مهرها بتعذيبها، وإذلالها إلى أن تطلب المخالعة دون أن تأخذ شيئاً، هذا الذي يفعل هذا ماذا فعل؟ رفض حكم الله، أراد أن ينجو من مهرها، ومتأخرها.

حكا لنا أخ كريم قصة، أن إنسان تزوج فتاةً صالحةً، من بيت علمٍ، لكنه أرادها غير ملتزمةٍ، أعجبه شكلها، ولم يعجبه دينها، ومتأخرها كبيرٌ جداً، اتفقت أمه معه على أن يضايقانها إلى أن تنجو بريشها، مارسوا معها أساليب الضغط، والإكراه، والإهانة، والتجويع أشهر طويلة والخطة نجحت، طلبت الفراق دون أن تأخذ شيئاً، وطلقها، خالعها، وانتهى الأمر، وتزوج امرأةً ثانية، هذا الشاب أرعن، كلما وقع في حرجٍ يقول: خرجنا من هذا الحرج كما خرجنا من مهر فلانة، وهو يسخر، بذكاءٍ بالغ استطاع أن يطلقها دون أن يدفع لها شيئاً أرادها متفلتة، وهي أصرت على التزامها، والقصة طويلة طبعاً، التي تعلم ابنها أمه، والأب كان ينكر، ركب الأربعة سيارتهم، وتوجهوا إلى دمشق، من مصيف الزبداني، كلما دخل بين سيارتين، يقول: نجونا كما نجونا من مهر فلانة، أصبحت نكتة عنده، قبيل دمشق صار في حادث، قُص قطعتين هو وأمه جالسة أمه وراءه، وزوجته الجديدة عن يمينه، ووالده وراء زوجته، الحادث يساري، فماتت فوراً أمه وهو، والأب نجا، لأنه أنكر ما يفعل ابنه بزوجته السابقة، يعني:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾.

[سورة الفجر].

كل إنسان يرفض حكم الله، نوعٌ من الكفر، لا تعتد بما يقول، القول لا قيمة له ﴿ وَيَقُولُونَ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾، نفى الله عنهم الإيمان، مع أنهم أقروا به، ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾.

﴿ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾.

[سورة النور الآية: 49].

عند رسول الله:

﴿ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾.

[سورة النور].

أرأيتم إلى هذا النموذج؟ مصلحته دينه، دينه مصلحته، أين تتحقق مصلحته فهو معها، مع الشرع، مع الشرع، مع القانون، مع القانون:

﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾.

[سورة النور].

دائماً خصوصية السبب لا تلغي تعميم الحكم، وقد لا يعنينا كثيراً خصوصية سبب الآية، يعنينا أن الآية ذات مفهوم شمولي، عام.

مثلاً: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾، هذه الآية لها سبب نزول خاص، ولها قصد عام، فنحن مع القصد العام الذي هو كالقانون تماماً، الحقيقة أنه في بالقرآن الكريم نماذج بشرية، حبذا لو استنبطنا هذه النماذج:

﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوساً * قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً ﴾.

[سورة الإسراء].

إخوانا الكرام، المؤمن الصادق ملتزم، منيب، متوكل، مستسلم في السراء، وفي الضراء، في إقبال الدنيا، وفي إدبارها، في الصحة، وفي المرض، في المنشط، والمكره،

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾.

[سورة الأحزاب].

يقول لك سياسة مبدئية، وثابتة، المؤمن سياسته مبدئية، وثابتة، تنطلق من مبدأ ثابتة على قيم واضحة.

فيا أيها الإخوة، نحن مع الشرع فقط، ولا ينجينا إلا الشرع، ودائماً أقول: أحد إخوانا الكرام، اشترى محضر، قال لي: صار في مزاد، لكن شكلي، مزاد شكلي، جاءوا سبعة ثمانية هم لجهة واحدة رفعوا مبالغ طفيفة، استقر هذا المحضر على سعر يساوي ثلثي سعره الحقيقي، بعد أن استقر هذا المحضر له، وأصبح ملكه، شعر بالقلق، في أيتام، في أرامل، ماذا يفعل؟ فسأل، قلت له: ماذا تفعل وأنت في القبر، إذا سألك الله عز وجل؟ قال لي: هذا والله الذي يقلقني، لا أدري إذا كان دفع الفرق، أو انسحب من المشروع، يعني لا تقول أن القانون معي، قل: بالقبر من معي؟ إذا دفن العبد في أول ليلةٍ، يقول الله عز وجل:

((عبدي رجعوا وتركوك، وفي التراب دفنوك، ولو بقوا معك ما نفعوك، ولم يبقى لك إلا أنا، وأنا الحي الذي لا يموت)).

دائماً وأبداً فكر وأنت مستلقٍ في القبر، ويسألك الملك لماذا فعلت هذا؟ ولماذا فعلت كذا؟ لماذا أعطيت؟ لماذا حرمت؟ لماذا وصلت؟ لماذا قطعت؟ لماذا غضبت؟ لماذا رضيت؟ لماذا طلقت؟ لماذا تزوجت؟ هيأ جواباً عن كل سؤال، والمؤمن الصادق شغله الشاغل أن يهيئ جواباً لله عز وجل عن كل سؤال.

مرة التقيت مع إنسان، يعني يقدر أن يؤذي الناس بمكان حساس، قلت له: الله عز وجل عنده خثرة بالدماغ، وعنده ورم خبيث، وعنده تشمع كبد، وعنده فشل كلوي، الله ألهمني ست سبع أمراض مخيفة،

وكل هؤلاء الناس عباده، فهيئ لله جواباً عن كل شيءٍ تفعله معهم والمؤمن يخاف الله كثيراً، هيأ جواب لله عز وجل عن كل شيءٍ تفعله معهم هم عباده:

((الخلق كلهم عيال الله، فأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله)).

[أخرجه الطبراني، عن: عبد الله بن مسعود].

اثنان لا تقربهما الإشراك بالله، والإضرار بالله، في إنسان لا يهنأ له عيش إلا إذا أوقع الأذى بالناس، هذا مهما صلى، مهما عبد الله عز وجل، صلاته لا قيمة لها، المؤمن الصادق كله خير، عطاء، يبث الأمن و الطمأنينة في الناس، يعطيهم مما أعطاه الله عز وجل إذاً هذا نموذج، هذا يسموه لا تنتقل من خط لخط، أنت مؤمن، أنت مع الشرع، أيام الشرع ضدك يكون، اخضع للشرع، أيام الإنسان يزاوج، مرة شرع، ومرة قانون، إذاً هو يعبد ذاته لا يعبد الله يعبد مصالحه، ما دام في مزاوجة أين تنجح؟ ويتلبس كذلك، إذا كان بالشرع تنجح؟ يصبح ولي، سيدي نريد حكم الله نحن، نحن على الشرع، ولماذا بالقضية الثانية ليس على الشرع؟ تذكر له بحياته مئة قضية على القانون ماشية، ليس على الشرع، هذا النموذج الذي له مظهر، ومخبر موقف معلن، موقف مبطن، يجمع بين الاتجاهات المتناقضة، هذا نموذج مفضوح في كتاب الله عز وجل:

﴿ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾.

[سورة النور].

يأتوك يا محمد: ﴿ مُذْعِنِينَ ﴾، إذا كان حقهم عندك يؤخذ، أما إذا حقٌ عند غيرك يؤخذ، يرفضون حكم الله، وحكم رسوله.

مرة ثانية: هناك كفرٌ اعتقادي، وكفر سلوكي، وكفر قولي الإنسان أيام سلوكه يصمه بالكفر، سلوكه، يعني إذا رفض حكم الله عز وجل، لا رفضاً قولياً رفض عملي، فهو كافرٌ بهذه الآية، وبهذا الحكم.

والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، أثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وأرضى عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبيّ الأميّ، وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

الدرس (29-59) : الصديق

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام: قد نعجب، وقد لا نصدق خطورة الصديق في حياة الإنسان يقول الله عز وجل في الآية السابعة والعشرين من سورة الفرقان:

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾.

[سورة الفرقان الآية: 27].

هذه كنايةٌ عن الندم الشديد:

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً* يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً ﴾.

[سورة الفرقان].

الإنسان يتأثر شاء أم أبى بمن حوله، لذلك قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾.

[سورة التوبة].

وفي آيةٍ أخرى:

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾.

[سورة الكهف].

يعني شيءُ مهمٌ جداً، وخطيرٌ جداً في حياة الإنسان أصدقاءه، من يعيش معهم، من يصاحبهم، من يعالمهم، من يحتك معهم، لذلك:

((لا تُصَاحِبْ إلا مُؤْمِنا، ولا يأكُلْ طَعَامَكَ إلا تَقِيّ)).

[أخرجه أبو داوود والترمذي، عن: أبو سعيد الخدري].

لم يكن ربنا عز وجل: ﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾، الوجهة إلى الله، الله هو الأصل، والرسول وسيلة من وسائل القرب من الله عز وجل، لا تصاحب من لا ينهض بك إلى الله حاله، ويدلك على الله مقاله.

أيها الإخوة، هناك تفسير علمي لتأثير الصاحب، الإنسان في جبلته مفطورٌ على خاصةٍ اسمها الغيرة، الغيرة من لوازم الفطرة، من خصائص النفس البشرية، فأنت إذا رأيت من يفوقك في العلم أو في الطهر، أو في التقوى، أو في القرب، أو في العمل الطيب، تغار فتقلده، وإن صاحبت أهل الدنيا، ورأيتهم تفوقوا عليك، ببيوتهم، وأثاثهم، ودنياهم، وإنفاقهم تمنيت أن تكون مثلهم فسلكت سبيلهم، فالغيرة حيادية، إن استخدمت لطلب الآخرة، كانت عاملاً إيجابياً، وإن استخدمت للدنيا، كانت عاملاً سلبياً، فالعبرة أن تصاحب المؤمنين، العبرة أن تصاحب من يرقى بك على الله بعلمه، وحاله، ومنطقه، وحكمته، فمن سعادة المرءِ أن يكون إخوانه صالحون، لذلك يجب أن تختار أصدقائك، كما تختار أعز شيءٍ عليك، إنه ساحب، إنك لصيقٌ به، إنك تقتبس من علمه، من أخلاقه، لذلك قل لي من تصاحب، أقل لك من أنت.

هل تصدقون أن هذا الإنسان الظالم استحق النار خالداً مخلداً، ماذا يقول؟ ﴿ **يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً** ﴾، آية واضحة، واضحة وضوح الشمس، أنه اتخذ من فلاناً خليلاً كان من أهل النار.

الآن الكلمة موجهة للآباء إن أخطر شيءٍ في حياة أولادك أصدقاء أولادك، فيجب أن تدقق، وأن تسأل، وأن تبحث، وأن تدرس ابنك من يصاحب، أين كان حتى هذه الساعة المتأخرة من الليل؟ مع من يسهر؟ مع من يمشي؟ مع من يتنزه؟ من يصاحب؟ أخطر شيءٍ، علماء التربية قالوا: ستين بالمئة من تأثر الإنسان من أصدقاءه، أعتقد ثلاثين بالمئة من أمه، وعشرة من أبيه، يعني تأثر الإنسان من أصدقاءه أشد من أمه وأبيه.

لذلك البيئة الصالحة ضروريةٌ جداً، قد يأتون ببذرة، من أرقى البذر في بذار هجين، غالي جداً، التُربة السيئة، غير المعقمة، غير المخصبة، هذه تقتل البذرة، بينما بذرة من المستوى المتدني، ضعها في تربةٍ عالية الجودة، فيها سماد، فيها مخصبات، معقمة هذه البذرة المتوسطة الجودة تنمو.

إذاً نحن نبحث عن البيئة الصالحة، والمؤمنون إذا اختلطوا مع أهل الدنيا واشتبكوا معهم، وتنزهوا معهم، وتعاملوا معهم، وأقاموا معهم علاقاتٍ حميمة، من المتضرر الأكبر؟ المؤمنون.

تماماً كما خلطت لتر ماءً نقي صافيٍ مع لتر ماءً ملوث، أيُّ اللتر الذي يتضرر؟ الصافي.

لذلك أجهد أن يكون إخوانك المؤمنين الأطهار، من الذين يطلبون العلم من الذين يخافون من الله عز وجل، أنت لا تدري قد تقتبس مئات الصفات ممن حولك وأنت لا تدري أحياناً ألاحظ سلوك إنسان، دون أن يشعر يقلد سيده في العمل، حتى في تعنيفه، حتى في حركاته، حتى في سكناته، حتى في طريقة استرخاءه، حتى في طريقة سلوكه يقلد الكبراء بالمجتمع في كبراء، في عالم المال في كبراء، في عالم الاقتصاد، في عالم العلم، في عالم القوة، في كل مجال في كبراء، يسمونهم الآن نجوم، أعلام، هؤلاء

يقتدى بهم، والإنسان لابد له من شخصيةٍ يتمنى أن يكونها، أو يكره أن يكونها، أو يكره أن يكونها، أو يكونها، أو يتمنى أن يكونها،

التي يكونها هي ذاته، التي يكره أن يكونها من يتناقض معه في الصفات، والأهداف والتي يتمنى أن يكونها من يراه متفوقاً عليه، فلذلك:

﴿ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾.

[سورة الملك].

إلى أبد الآبدين، والآية صريحةٌ وواضحة، بسبب أنهم صاحبوا أهل الدنيا:﴿ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً ﴾.

يعني أعرف رجل حُدثتُ عنه في بلدٍ آخر إسلامي، يعني همه بناء المساجد، همه فعل الخيرات، همه مساعدة البائسين، صاحب رجلاً متفلتاً، تفلتاً شديداً، أراه بعض الأفلام وهو في الستين ترك الصلاة، وانغمس في الرذيلة، ووقع في جريمة الزنا، من صاحبٍ واحد يجب أن تجهد، أن تنتقي أصحابك من المؤمنين، لا تنسى هذا الحديث الشريف:

((لا تُصَاحِبْ إلا مُؤْمِنا، ولا يأكُلْ طَعَامَكَ إلا تَقِيّ)).

إذا كنا في مجتمعٍ نقيٍ، صافٍ وظهر كمال الإخوة المؤمنين، عشنا الإسلام الإسلام ينبغي أن نعيشه، لا ينبغي أن نفهمه، لا ينبغي أن نعقله فقط، ينبغي أن نعيشه، تعيش الإسلام إذا كنت فرداً في مجتمعٍ إسلامي، لذلك المؤمن له طريقته الإسلامية في بيته، وفي عمله، وفي نزهته، وفي زواجه، يعني إنسان مسلم، ملتزم، والإنسانة ملتزمة مسلمة، والعرس فيه غناء، فيه تبّذل، هذا لا يجتمعان، أعراس المؤمنين من نوعٍ خاص، حتى أحزانهم المسلم يقتدي برسول الله، في آية ثانية تذكرنا، الإنسان بجهنم وهو في النار، يقول:

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾.

[سورة الملك].

لأنه ما طلب العلم استحق النار إلى الأبد، ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ ﴾، في الدنيا الحق ﴿ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾، هذا لولا أنه كان له هذا الصديق المنحرف، لما كان في النار، فانظروا إلى خطورة الصديق أيها الإخوة.

الآن الناحية الإيجابية، أيام يكون الواحد همته ضعيفة، يجلس مع مؤمنين أطهار متفوقين، يتحمس، يرفع من مستوى استقامته، يضبط لسانه، يكثر من صلواته، الإنسان أيضاً من الناحية الإيجابية إذا عاش مع مؤمنين يرقى بهم، الإنسان في الأساس اجتماعي، وعنده صفة حيادية هي الغيرة، فإذا جلست مع المؤمنين تتمنى أن تكون مثلهم، لو جلست مع حافظ كتاب الله، تتمنى أن تحفظ كتاب الله مثله، لو جلست مع داعيةٍ تتمنى أن تكون مثله، الآن اجلس مع أحد أهل الدنيا، تتمنى أن تكون مثله، إذاً في جذب، القوي دائماً يجذب الضعيف القوي في المال يجذب الفقير، القوي في السلطان يجذب الأقل منه، القوي في الدين يجذب الدينين إلى المستوى الأرقى.

لذلك النقطة الدقيقة في هذه الآية، يجب أن تختار أصحابك وإخوانك بعنايةٍ فائقة.

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً ﴾.

[سورة الفرقان الآية: 63].

السنة تنطق بغير هذا، كان عليه الصلاة والسلام إذا سار كأنه ينحط من صبب وكان عمر رضي الله عنه يقول: تقول عنه السيدة عائشة: رحم الله عمر، ما رأيت أزهد منه كان إذا سار أسرع، وإذا أطعم أشبع، وإذا قال أسمع، وإذا ضرب أوجع.

هنا الآية:﴿ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً ﴾، العلماء قالوا: معنى: ﴿ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً ﴾، ليس أن يسير بطيئاً، ولكن هو يرفض أن تستهلكه الدنيا، في إنسان يفتح عينيه على هموم الدنيا، ويغمضهما مساءً على هموم الدنيا، كأنها عجلة تدور بلا توقف، يفاجأ بأن ملك الموت ينتظره، يصعق، أما المؤمن يمشي: ﴿ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً ﴾، يعني يفكر في سر وجوده، أين كان قبل أن يأتي؟ أين سيكون بعد إذ أتى؟ ما مهمته في الحياة الدنيا؟ يعني يمشي: ﴿ هَوْناً ﴾، يفكر في حقائق الكون، في كليات الكون، في أسرار الخلق، يمشي ﴿ هَوْناً ﴾، لا يسمح للدنيا أن تستهلكه، لا يسمح لمشكلات الحياة أن تنهي وجوده الديني، لا يسمح لقضيةٍ خلافيةٍ أن تعطله عن مبدئه.

يعني هناك عوام الناس يتدين فترة، يتألق، لسبب تافه جداً، يعني إنسان يسيء له من الجامع، يترك الصلاة فوراً، يقول لك الدين باطل، سذاجة مضحكة، معنى يمشي ﴿ هَوْناً ﴾، يتريث، يتأمل، يدقق، يحقق، يفكر، يعني يمشي: ﴿ هَوْناً ﴾، يقتطع وقتاً من وقته الثمين لطلب العلم، يمشي: ﴿ هَوْناً ﴾، يقتطع وقتاً من وقته الثمين لتربية أولاده، يمشي﴿ هَوْناً ﴾، يقتطع وقتاً من وقته الثمين للدعوة إلى الله، يقتطع وقتاً من وقته الثمين للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، يقتطع وقتاً من وقته الثمين لتعلم العلم الشرعي، ما في عنده ما لي فاضي، مشغول، مشغول، معنى ذلك لا يمشي: ﴿ هَوْناً ﴾، هو صار حلقة

بسلسلة، لا ترحمه، يمشي: ﴿ هَوْناً ﴾، يعني يفكر، يدرس، يبحث، يمحص، يتأمل، يضع كل شيءٍ في مكانه الصحيح، ينظم حياته، لا يسمح لنشاطٍ أن يطغى على نشاط، يقول لك، والله أنا أخرج قبل أن يستيقظ الأولاد، وأرجع بعد أن يناموا، وظن نفسه عمل عملاً طيب، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((كفى بالمرءِ إثما أن يضيع من يقوت)).

[أخرجه بن حبان، والحاكم، عن: عبد الله بن عمرو بن العاص].

يطعمه، يسقيه، يلبسه، لكن ضيع دينه.

﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ ﴾.

[سورة الفرقان الآية: 77].

لولا أن الله دعاكم إلى معرفته، دعاكم إلى طاعته، دعاكم إلى جنته، أنتم من أنتم؟

﴿ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾.

[سورة إبراهيم].

عنكم: ﴿ يَعْبَأُ بِكُمْ ﴾، لأنه دعاكم للجنة، ﴿ يَعْبَأُ بِكُمْ ﴾، لأنه أراد أن يسعدكم في الآخرة، لولا أنه أراد إسعادكم لما عبأ بكم، تجد الله عز وجل يعالج، يؤدب، يخوف، يحذر يضيق، يقنن، عنده أمراض، عنده شدائد، عنده فقر، عنده مشكلات لا تنتهي، هذه لماذا يفعلها الله؟ لأنه يعبأ بنا.

أنت تصور أن أب ماشي بالطريق، رأى ثلاث أولاد يدخنون، أحدهم ابنه، والثاني ابن أخيه، والثالث لا يعرفه، ما الذي يفعله الأب؟ يمتلء غضباً من ابنه، وقد يضربه، التعنيف أقل لابن أخيه، أما هذا الذي لا يعرفه يقول له: اذهب، اذهب عنا، إذاً التعنيف يتناسب مع الحب، التعنيف، والتشديد، والتضييق يتناسب مع الحب أقام على ابنه النكير، وعاتب ابن أخيه وترك الثالث، من هو ابنه؟ إذا واحد واقف يراقب يعرف ابن المعنف من شدة التعنيف يعبأ الله بنا لأنه يحبنا، يعبأ الله بنا لأنه أراد هدايتنا، يعبأ الله بنا لأنه خلقنا للجنة.

﴿ يَعْبَأُ بِكُمْ ﴾، ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾، لولا أنه دعاكم إلى معرفته، وطاعته، وجنته لما عبأ بكم، ما الذي يدل على أن الله يعبأ بنا؟ معالجته لنا، تربيته لنا، يعني مثلاً لو أن الله سبحانه وتعالى وهو قدير، ألغى المرض من الدنيا كلها، ألغى المرض، ألغى الفقر، ألغى قوي وضعيف، ممكن الله عز وجل:

﴿ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

[سورة الحشر].

تتعلق قدرته بكل ممكن، لو ألغى المرض، وألغى القوة، وألغى السيطرة، وألغى التفاوت، وألغى الفقر، معنى ذلك أنه لم يعبأ بنا، أما لأنه عبأ بنا.

أيام الأب إذا عنده ابن مقصر، يعنفه، يؤدبه، يضع له أستاذ خاص، يدرسه بنفسه، لو عنده ابن زوجة يقول لك: ما فيه خير، عقله مغلق، لا يعالجه أبداً، ابن زوجته لأنه هذا، ليس ابنه، دقق أن تعبأ بإنسان فإنك تحبه، تحبه حباً شديداً، الآية دقيقة جداً:

﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً ﴾.

[سورة الفرقان].

تعذيبكم، لذلك إذا أحب الله عبداً ابتلاه، فإن صبر اجتباه، وإن شكر اقتناه، إذا أحب الله عبداً جعل حوائج الناس إليه، الله عز وجل قادر.

مرة أخ تبرع ببيت لجمعية خيرية، ثمنه ثماني ملايين ليرة، صار الآن مشغل الحمد لله، مشغل لتدريب الفتيات الفقيرات على الخياطة، أقيمت حفلة تكريم لهذا الإنسان المحسن، ما من واحد إلا وأثنى على هذا المحسن، إلا أخ كريم من إخواننا، ذكّر هذا المحسن بأنه كان من الممكن أن تكون أيها المحسن الكبير أحد المنتفعين بجمعيتنا، ونعطيك راتباً شهرياً لا يزيد عن ألفي ليرة، لكن الله مكنك أن تكون غنياً، وأن تعطي.

فلما إنسان يعطي، هذا من فضل الله عز وجل، جعله هو المعطي، إذا أراد ربك إظهار فضله عليك، خلق الفضل، ونسبه إليك.

إخواننا الكرام: الدنيا فيها كل شيء، فيها قصور جميلة جداً، فيها بساتين، فيها حدائق، فيها مناصب، فيها متع رخيصة، وغير رخيصة، يقول الله عز وجل سيأتي يومٌ:

﴿ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾.

[سورة الشعراء].

إلا ومن أتى ونفسه زكيةٌ طاهرة، هذا مقياس، الفلاح أن يكون قلبك سليماً، وهذا رأس مالٍ كبير، آخر آية:

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾.

[سورة الشعراء].

أحد أكبر العذاب النفسي، والشقاء النفسي، والخوف، والقلق، وأمراض النفس، أن ﴿ **تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ**﴾، بالمعنى المخالف إذا كنت موحداً فأنت من السعداء، ولن ﴿ **تَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ** ﴾.

﴿ **فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ * وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾.

[سورة الشعراء].

والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، أثرنا ولا تؤثر علينا أرضنا وأرضى عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبيّ الأميّ، وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

الدرس (30-59): العمل الصالح يكون وفق السنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام، في قصة سيدنا سليمان مع السيدة بلقيس ملكة اليمن، في سياق هذه القصة، يقول الله عز وجل:

﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا ﴾.

[سورة النمل].

الآن ثبت أن مجتمع النمل يقوم على أعلى نظام اجتماعي، هو مجتمع النحل، بل إن مجتمع النمل يزيد على مجتمع النحل بالمعرفة، فقد أثبت القرآن للنملة المعرفة والنطق، ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾، النملة تعلم أن نبياً عظيماً ما كان له أن يدوس نملة قصداً، ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾، وبين النمل لغة أساسها الرائحة تصدر النملة رائحة، هذه الرائحة تبلغ بها زميلاتها، فلو أن الإنسان سحق نملة بيده لرأى نمالاً كثيرةً تتحرك نحوه، وكأن رائحة النملة المسحوقة نداء استغاثة إلى النمل، هناك موضوع كبير جداً حول مجتمع النمل يكاد العقل لا يصدقه، إلا أن نظام المجتمع في عالم النمل نظام تكويني وليس نظاماً تكليفياً، نحن أُمرنا بالتعاون، أُمنا بالتنسيق، أمرنا بالنظام.

((إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمروا عليكم أحدكم)).

[أخرجه الطبراني عن عبد الله].

هناك آلاف التشريعات المتعلقة بالحياة الاجتماعية.

﴿ وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾.

[سورة البقرة الآية: 237].

((من شق يداً من طاعة، مات ميتةً جاهلية)).

هناك آلاف التوجيهات النبوية والقرآنية إنما هي توجيهات تكليفية، نفعلها أو لا نفعلها بينما النظام الاجتماعي في النحل والنمل هو نظام تكويني ليس لنظام النحل فضل في تطبيقه هم فطروا هكذا.

على كلٍ هذه من آيات الله الدالة على عظمته، ومن آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، النحلة خوطبت بضمير المؤنث.

﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي ﴾.

[سورة النحل الآية: 68].

لأن النحلة العاملة هي الأنثى حرصاً، بينما مجتمع النمل خوطبوا بضمير المذكر:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾، لأن هناك تعاوناً بين الذكور والإناث في مجتمع النمل، هذا كشف حديثاً، أما أن يخاطب النمل بضمير المذكر، وتخاطب النحلة بضمير المؤنث هذا شيء عرفه العلماء الآن، على كلٍ مركز الثقل في الآية ليس هنا.

﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ ﴾.

[سورة النمل الآية: 19].

إعراب ترضاه جملة فعلية في محل نصب صفة لصالحاً، أن أعمل صالحاً مرضياً عنه، معناها مرضياً عنه صفة قيد، ما كل عمل صالح يرضى الله عنه.

لا يمكن أن نقبل أن تقام حفلة ساهرة غنائية راقصة يرصد ريعها للأيتام مثلاً، هذا عمل صالح في إعلانه، غير صالح لأنه لم يطابق قواعد الشرع، يستنبط من هذا، أنه لا يقبل منك أن تعبد الله وفق مزاجك، ووفق اجتهادك، ووفق ما ترسم أنت من طريقة ونظام، الله ﷻ لا يعبد إلا بما شرع.

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾.

[سورة المائدة الآية: 3].

الإتمام عددي، والكمال نوعي، فعدد القضايا التي عالجها القرآن الكريم عدد تام لا يقبل زيادة، ولا يحتمل نقصان، وطريقة المعالجة طريقة كاملة، لا تحتمل التعديل، لذلك أي إدخال على الدين، أو أي حذف منه ابتداع، والمبتدع منحرف.

"إنما أنا متبع ولست بمبتدع".

وقد قال بعض الحكماء: ثلاثة حكم تكتب على ظفر، اتبع لا تبتدع، اتضع لا ترتفع الورع لا يتسع، اتبع لا تبتدع، ﴿ **وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ** ﴾، العمل الصالح لا يقبل إلا إذا كان وفق منهج الله.

لذلك الفضيل قال: العمل الصالح لا يقبل عند الله إلا إذا كان صواباً وخالصاً، قيل ما خالصاً؟ قال: إذا ابتغي به وجه الله وحده، قيل: وما صوابه، قال: إذا وافق السنة.

المشكلة الآن هناك من يدعي بنية طيبة أنه يعبد الله وفق هذه الطريقة، طريقة ما أنزل الله بها من سلطان، عبادة لم يشرعها النبي عليه الصلاة والسلام أنت حينما تضيف على الإسلام عبادة ما شرعها النبي تتهم الإسلام بالنقص وأنت لا تشعر، اتهام بالنقص.

فلذلك احفظوا هذه القاعدة: العمل الصالح لا يقبل إلا إذا كان صواباً، وإلا إذا كان خالصاً، الصواب يجب أن يوفق السنة، فالإنسان لو طبق وسيلة لهدف نبيل ليست من جنس الهدف لا تقبل منه أبداً، ﴿ **وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ** ﴾.

واحد أراد أن يحرم قبل الميقات، فقال أحد الصحابة له: لا تفعل، قال: ولِمَ؟ قال: تفتن، قال: وكيف أفتن وأنا في طاعة؟ قال: وهل من فتنة أشد من أن ترى نفسك سبقت رسول الله؟.

الشيء الذي ما فعله، أنت تلزم الناس به، كأنك أشد ورعاً من رسول الله، كأنك أحرص على دين الله من رسول الله، فالذي جاء به النبي هو الكمال لأنه لم يأتِ به من عند نفسه بل أتى به من عند الله، لذلك كل أنواع البدع القولية والعملية والسلوكية والاعتقادية لا أصل لها

"إنما أنا متبع ولست بمبتدع".

هذا قول سيدنا الصديق، بل النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ)).

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عباس].

الاجتهاد ليس في هذا، الاجتهاد في أحكام شرعية مستنبطة من أحكام كلية، هامش الاجتهاد ضيق جداً، العقائد منتهية، لا يضاف عليها شيء، العبادات منتهية لا يضاف عليها شيء مجال الحركة فقط في حالات استجدت ليس لها نص في كتاب الله، نقيس على حالات أخرى كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستنباط حكم فرعي من نص كلي هو الاجتهاد الذي سمح الله به، وما سوى ذلك مرفوض، إذاً لا نعبد الله إلا بما شرع الله.

أحياناً امرأة تريد أن تذهب إلى الحج من دون محرم، كأنها تريد أن تعدل شرع الله عز وجل.

((ألا لا تحجن امرأة إلا على ذي مع محرم)).

تريد أن تعبد الله، وأن تتقرب إليه بحج من دون محرم، وكأنها تعبده بغير ما شرع.

إذاً الله ﷻ لا يعبد إلا وفق ما شرع، وإلا فهي بدعة.

((وكل محدثَة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار)).

[أخرجه مسلم والنسائي عن جابر بن عبد الله].

لو سمحنا لإنسان يعدل سيكلف الناس ما لا يطيقون، سيكون هذا التكليف مدعاةً للنفور من الدين.

بالمناسبة: المعاصي وردت في بعض الآيات في الأنعام فيما أذكر بشكل تسلسل تصاعدي، الإثم والعدوان، الفحشاء والمنكر، الكفر، الشرك، وأعلى هذه المعاصي، وأشد هذه المعاصي:

﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة البقرة].

من هنا قل الإمام الغزال: العوام لأن يرتكبوا الكبائر أهون من أن يقولوا على الله ما لا يعلمون.

الإنسان أحياناً وأقول بنية سليمة، يريد أن يسرع الخطى إلى الله فيكلف نفسه ما لا يطيق، فينتكس نكسة حادة، هذه النكسة الحادة لأنها اجتهاد في العبادة لم يرد عن رسول الله، بل إن بعض الأديان الأخرى قال الله عن هؤلاء:

﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ﴾.

[سورة الحديد الآية: 27].

هم حينما كتبوها على أنفسهم بنية طيبة أرادوا بها وجه الله، ولأنها ليست مشروعة ولأنها خلاف طبيعة البشر، قال:

﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾.

[سورة الحديد الآية: 27].

حرموا على أنفسهم الزواج، فارتكبوا ما هو أقبح منه في الأديرة والكنائس

﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾.

إنسان يقول لك أنا زاهد لن أعمل هذا ابتداع، يمكن أن تصل إلى أعلى درجات القرب من الله وأنت تعمل، أنا لا أتزوج، من قال لك ذلك؟ الزواج من سنة رسول الله ﷺ يمكن أن تصل إلى أعلى درجات القرب وأنت متزوج، أما إذا رفضت الزواج، أو رفضت العمل وصرت عبئاً على الناس، بدليل أنك تحب أن تكون مع الله دائماً، وكأنك تشرع أنت الآن من الدين ما لم يؤمر به الله، أخطر شيء في الدين، أن يضاف عليه، أو أن يحذف منه، نكون بعد حين أمام عشرات الأديان، أديان مزاجية، كل إنسان له دين خاص، فلذلك مما أضعف المسلمين أنهم تفرقوا صاروا شيعاً وأحزاباً.

﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾.

[سورة الروم].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾.

[سورة الأنعام الآية: 195].

يجمعنا الكتاب والسنة، وتفرقنا اجتهادات ضالة قام بها كل من يدعي أنهم على حق أنهم أرادوا وجه الله عز وجل.

فلذلك من أجل أن يستمر الدين كما بدأ، من أجل أن يكون آخر هذه الأمة كأولها وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((لا يصلح آخر هذه الأمة، إلا بما صلح به أولها)).

لا يمكن أن نعبد الله إلا وفق ما شرع الله، أحياناً تجد عبادة أصبحت رقصاً، رقص بكل معنى هذه الكلمة، أناس يدورون حول أنفسهم، يرتدون ثياب من نوع خاص، تكون هذه الثياب كالخيمة، مع الموسيقا والغناء، هذه عبادة، أحياناً يصبح الدين نغماً، وطرباً، ونشيداً، أحياناً يصبح الدين مظاهر، مظاهر فخمة جداً في المساجد، تزيين، اعتناء بالغ لدرجة أنها خرجت عن الحد المعقول، صار التزيين هو القصد.

فلذلك أيها الإخوة، بما أن الدين هو نقل في الأصل أخطر ما في النقل صحة النقل لأن النقل الغلط هو الذي يفرقنا، لا يفرقنا إلا حديث موضوع، أن حديث ضعيف، أما إذا التزمنا النصوص الصحيحة هذه كلها تجمعنا ولا تفرقنا.

هذا كله من قوله تعالى قال:

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ ﴾.

[سورة النمل].

أيام الإنسان يقول لك: في عندي زميلة بالعمل فيها خير، أكلمها عن الله، أوجهها، لكن هذه العلاقة الحميمة هذه محرمة بالإسلام، هو يكلمها عن الله يعلق بها، يكون عبد الله بغير ما شرع الله، فكان هذا المنطلق الذي يبدو أنه صالح زلة قدم، وهذا حصل، خلا بامرأة قال بنية أن يعلمها القرآن وقع في شر عمله، أنا أصدقه، صادق فيما يدعيه، لكنه خالف منهج الله في عبادته فإياك أن تعبد الله على مزاجك، إياك أن تعبد الله بخلاف ما شرع، إياك أن تقول أن أورع من رسول الله، سأفعل كذا، هذه أكبر فتنة أن تشرع.

كنت في بلد إسلامي جمعة إسلامية شاع بينها عدم الزواج، هذا خلاف السنة، أنت أردت أن تعدل على شرع الله عز وجل، النبي تزوج أنت أورع منه؟ أنت أقرب إلى الله منه؟ هذه المشكلة.

((لا يصلح آخر هذه الأمة، إلا بما صلح به أولها)).

هناك أناس تعطلوا عن العمل بنية التقرب إلى الله عز وجل، ماذا قال عليه الصلاة والسلام إلى شاب رآه يصلي في غير أوقات الصلاة؟ قال: من يطعمك يا هذا؟ قال: أخي، قال: أخوك أعبد منك، فالعمل من السنة، والزواج من السنة، الأعمال الصالحة لا تكون بطريقة.

أحياناً تقرأ في الكتب أن الشيخ الفلاني عنده مريد من علية القوم أراد أن يمتحن صدقه فكلفه بعمل لا يطاق، أذله، أهانه، هذا خلاف السنة، النبي قال:

((أَنزِلوا الناسَ منازلهم)).

[أخرجه أبو داود عن عائشة أم المؤمنين].

هذا توجيه النبي، نظف المراحيض، يكون شخص كبير جداً في المجتمع حملته فوق طاقته، فإذا نفر من الدين أنت السبب، ما في اجتهاد خلاف السنة، النبي قال:

((أَنزِلوا الناسَ منازلهم)).

أقرأ هذا قديماً جداً، كان هناك بعض الشيخ من أجل أن يمتحنوا صدق مريديهم يحملونهم ما لا يطيقون، فإذا نفروا من الدين هم السبب، لذلك:

((طوبى من وسعته السنة، ولم تستويه البدعة)).

اعبدوا الله وفق ما رسم رسول الله، النبي قال:

((أَنزِلوا الناسَ منازلهم)).

إذا وجه النبي توجيه هل يعقل لإنسان مهما كان مقامه كبيراً أن يوجه بخلاف توجيه النبي هذا مستحيل فنحن نعتقد أن النبي ﷺ في سنته يوحى إليه، لذلك سمو سنة النبي عليه الصلاة والسلام وحياً غير متلو، وسمو القرآن وحياً متلواً لقوله تعالى:

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾.

[سورة النجم].

أيها الإخوة، أي نكسة تصيب المؤمن هي بسبب مخالفته لسنة رسول الله، أيام الإنسان باندفاع شديد، يخالف السنة، يترك أساسيات الحياة الدنيا، بعد أن تنتهي هذه الفورة ينظر حوله فإذا كل أصدقاءه في مكان علي، وهو دونهم كثيراً، وكم من شاب خالف السنة في عبادة الله عز وجل فأصيب بنكسة أوقعته في كل المعاصي والآثام، اعبد الله عز وجل كما أمر الله.

((فإنَّ لِجسدِك عليك حقاً، وإنَّ لِعَينِكَ عليك حقاً، وإنَّ لزوجِك عليك حقاً، وإنَّ لزوْرِك عليك حقاً . فأعطِ كل ذي حق حقه .)).

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص].

أحد الصحابة اسمه عثمان بن مظعون، جاءت زوجته إلى عند النبي عليه الصلاة والسلام بهيئة مزرية جداً، قالت لها السيدة عائشة: ما لكِ؟ ما هذا؟ أنت زوجها، ما هذا الوضع؟ قالت: إن زوجي صوام قوام، لا يلتفت إلي أبداً، فذكرت هذا للنبي عليه الصلاة والسلام فاستدعاه النبي وقال يا عثمان، أليس لك بي أسوة؟ فوجهه التوجيه الصحيح، ليعطي زوجته حقها فجاءت في اليوم التالي هذه الزوجة البائسة، المهملة لمظهرها جاءت عطرة نضرة، قالت لها السيدة عائشة كيف الحال؟ قالت: أصابنا ما أصاب الناس.

إنسان يلتفت إلى الله لدرجة ويهمل زوجته خالف السنة، يقع في نكسة، إنسان يلتفت إلى الله وهمل عمله خالف السنة، سيقع في نكسة، إنسان يهمل كسب المال يفتقر بيده.

((إذا فتح على أحدكم باب رزق فليزمه)).

الملخص يمكن أن تصل إلى أعلى درجات التدين، وإلى أعلى درجات القرب، وإلى أعلى درجات التفوق وأنت وفق السنة، أما حينما تهمل السنة معنى ذلك أنك تقترح على الله سنة أخرى، معنى ذلك أنك تتهم السنة بأنها منهج لا يكفي للقرب من الله عز وجل، وكل هذا: ﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ ﴾.

العمل الصالح يجب أن يكون مرضياً عنه من قبل الله عز وجل، لذلك لا يمكن لإنسان يطبق السنة أن يصاب بنكسة، خطه البياني صاعد مستمر، أما إذا اجتهد من عنده جاء ببدعه لم يأتِ بها النبي، بعد هذه البدعة نكسة قوية.

في نقطة مهمة جداً، سيدنا سليمان حينما جاء بعرش الملكة بلقيس، أراد أن يحجمها، أو أراد أن يمتحن ذكائها، والحقيقة العقل أصل في الدين، ومن لا عقل له لا دين له، ومن لا دين له لا عقل، العبد الفقير دون أن اشعر، أنا أتهم إنسان واقع بمعصية أتهمه بالغباء، لأنه يخالف منهج الله عز وجل، كما قلت يوم الجمعة:

﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾.

[سورة التحريم].

أيعقل أن يحشد لهاتين المرأتين الله ﷻ، بعليائه، وجبروته، وقوته، وعظمته وجبريل، وصالح المؤمنين والملائكة من أجل امرأتين؟ ليس هذا هو المعنى، المعنى أنك أيها الإنسان حينما تقف في خندق مواجه للحق، يجب أن تعد للمليار، يجب أن تعلم من هو الخصم، الله عز وجل ضدك، ورسوله، وجبريل، وصالح المؤمنين.

لذلك يستنبط أن هذا الدين، لو لم يكن يدن الله عز وجل لتلاشى من ألف عام، في عليه مؤامرات لا يعلمها إلا الله، لولا أنه دن الله لانتهى من ألف سنة، لكن لأنه دين الله عز وجل شامخ كالطود، لا يزيده الخصوم إلا تألقاً، وإلا قوةً.

فلذلك هذه الدين أساسه العقل، وأساسه النقل، والعقل لفهم النقل، فسيدنا سليمان هذه الملكة التي جاءته إن كانت على جانب من العقل راجح تهتدي معه، فامتحن عقلها وذكائها باستخدام عرشها وإجراء بعض التعديلات عليه، فقيل:

﴿ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ ﴾.

[سورة النمل الآية: 42].

هي ذكية جداً :

﴿ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾.

[سورة النمل الآية: 42].

قال هذا أول جواب دبلوماسي في القرآن الكريم، لا تستطيع أن تلقطه، تسمع تصريح تقول يا ترى موافق أم لم يوافق، إذا لم يوافق في روح عدم الموافقة، وفي روح الموافقة، هذا شيء دقيق جداً.

﴿ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾، امتحن ذكاءها، هي ملكة، هي ند له، الإنسان أيام يخضع لإنسان أعلى منه، أما إذا اجتمع ملكان لا يمكن أن يقول له سيدي، يقول أخ فلان ملك لكن يقول له أخ، هو ند له، هي ملكة، وهو ملك، فكيف تهتدي على يديه وهي ند له؟ جهز لها صرح ممرر من قوارير، بلور صافي، وأجرى تحته الماء، قيل لها ادخلي الصرح، فلما دخلت رأت ماء، فكشفت عن ساقيها، طبعاً أنه في تفاسير مضحكة أنه بلغه أن لها ساقا حمار، ما هذا المعنى؟ هذه إسرائيليات، هو أراد أن يحجمها، إذا إنسان دعته إلى وليمة فخمة كثير خربط بالشوكة والملعقة.

يروا أن أحد الحكوم الملكاء دعا زعماء القبائل والعشائر عنده ففي وعاء للماء من أجل أن تغسل الفواكه به وعاء فيه ماء، أحد رؤساء القبائل الكبار ظنها للشرب، طبعاً ماء للغسيل فواكه وزبادي ماء من أجل تأخذ العنب وتغمسه بالماء تغسله، وتتأكد منه، جاء زعيم القبيلة الكبير، وشرب منه كل الحاضرين ضحكوا، فجاء الملك وشرب من زبدية أخرى، كلهم جمدوا، طبعاً بهذه العملية هو لما شرب ضحكوا عليه، هذا خلاف البرتوكول، خلاف الأصول.

هي ند له، ملكة، كيف تخضع، كشفت عن ساقيها، انحرجت، قال:

﴿ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ﴾.

[سورة النمل الآية: 44].

فامتحن ذكاءها وحجمها، أنت لا تستطيع أن تهدي إنسان إذا كان يرى أنه أفهم منك، أعلى منك، تتلقى منه توجيهات، إذا ما حجمته بموضوع ما فيك تتلقى منه، وتملي عليه.

إذاً هذه طريقة من طرق الدعوة إلى الله، يجب أن تمتحن عقل الطرف الآخر ويجب أن تحجمه بحيث ما يظن أنه أقوى وافهم، لذلك قال بعض الدعاة المعاصرين: يجب أن تقرأ كل شيء، يجب أن يشعر الذي تدعوه إلى الله بأنك على علم بأكثر العلوم التي بدت وكأنها من روح العصر.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا أرضنا وارضَ عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصبحه وسلم .

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الدرس (31–59): خير الكلام في إيجازه . لا دمار مع تطبيق شرع الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام، في سورة القصص قصة سيدنا موسى عليه نبينا أفضل الصلاة والسلام.

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾.

[سورة القصص الآية: 23].

امرأتان محتشمتان تبتعدان عن مزاحمة الرجال، والمرأة المؤمنة لا تزاحم الرجال.

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾.

[سورة القصص الآية: 23].

كأن الله سبحانه وتعالى يعلمنا الأدب في المحادثة، الذي ينبغي أن تتأدب به المرأة وأن يتأدب به الرجل.

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً ﴾.

[سورة الأحزاب].

كم من فاحشة بدأت بكلمة لينة؟ ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾، ليس في اللغة كلها كلمة واحدة معبرة موجزة، ﴿ مَا خَطْبُكُمَا ﴾، لو قال من أنتما؟ جاء الجواب: نحن فلانة، وفلانة، لماذا أنتما هنا؟ ماذا تفعلان؟ أي كلمة ربما تجر إلى حديث، ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾، كلمة واحدة.

﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾.

[سورة القصص].

يعني سبب خروجنا من البيت أن أبانا شيخ كبير ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾.

[سورة الأحزاب الآية: 33].

﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾.

[سورة القصص].

يستنبط من هذه الآية أن الفقر الحقيقي فقر العمل الصالح، وأن الغنى الحقيقي غنى العمل الصالح، وأن كل شيء من الدنيا يبقى في الدنيا، ولا يدخل مع الإنسان في قبره إلا عمله الصالح، بل إن القبر صندوق عمله الصالح.

﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾.

[سورة القصص الآية: 25].

لعل بعضهم قال: إن أكثر ما يلفت النظر الرجل في المرأة حياؤها، وإن أشد ما يلفت نظر المرأة في الرجل قوته وأمانته، فإذا رفع الحياة ذهب أجمل ما في المرأة، يعبر عنه علماء النفس بالأنوثة، غير الجمال، الجمال شيء، والأنوثة شيء آخر، إنه الحياء، إنه الخجل، إنه التلطف، فالمرأة إذا خالطت الرجال فقدت أنوثتها.

﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾، ورد أنه من علامات آخر الزمان أن يرفع الحياء من وجوه النساء، تحد النظر إليك، هي التي تبدأ الكلام، هي التي تعلق، وأن تذهب النخوة من رؤوس الرجال، وأن تنتزع الرحمة من قلوب الأمراء، لا حياء في وجوه النساء، ولا نخوة في رؤوس الرجال، ولا رحمة في قلوب الأمراء، هذا من علامات آخر الزمان.

﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾:

﴿ قَالَتْ﴾.

كيف أنه قال كلمة لا تحتمل حواراً، لا تحتمل مناقشة، لا تحتمل سؤالاً وجواباً ﴿ مَا خَطْبُكُمَا ﴾، هي الآن قالت كلمة لا تحتمل حواراً:

﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾.

[سورة القصص الآية: 25].

لو أنها قالت إن أبي يدعوك، يقول لها: ما المناسبة؟ ومن أبوك؟ ﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾، يستنبط هنا:

((وَمَنْ صَنَعَ إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادْعُوا له حتى تَرَوْا أنكم قد كافأتموه)).

[أخرجه أبو داود والنسائي عن عبد الله بن عمر].

الدعاء لا يجدي إلا إذا لم تكن تستطيع أن تقدم البديل، أن تقدم الرد المناسب، الرد المكافئ.

فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾.

[سورة القصص].

لعل سيدنا شعيب أدرك أن هذه الفتاة ابنته معجبة بقوة موسى وأمانته عليه السلام الحقيقة أن الرجل يلفت نظره حياء المرأة، وأدبها، وخجلها، هي بالعكس يلفت نظرها قوة الرجل وقوة شخصيته وأمانته.

﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾.

[سورة القصص].

يروى أن سيدنا عمر رضي الله عنه أرسل والياً، وقال له: خذ عهدك وانطلق إلى عملك واعلم أنك مصروف رأس سنتك، وأنك تصير إلى أربع خلال فاختر لنفسك، إن وجدناك أميناً ضعيفاً استبدلناك لضعفك، وسلمتك من معرتنا أمانتك، وإن وجدناك خائناً قوياً استهنا بقوتك وأوجعنا ظهرك وأحسنا أدبك، وإن جمعت الجرمين، جمعنا عليك المضرتين، وإن وجدناك أميناً قوياً زدناك في عملك، ورفعنا لك ذكرك، وأوطأنا لك عقلك، لعل هذا الصحابي الجليل استنبط هاتين الصفتين التين ينبغي أن تتوافرا في عماله من قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾.

وأنتم جميعاً إن احتجتم إلى من يعاونكم لابد من توافر هاتين الصفتين، القوة والأمانة أو الكافأة والإخلاص، أن يكون في عمله كفئاً، خبرته عالية جداً، وأن يكون ذا ولاء لسيده، ولاء لدينه، ولاء لمعتقده، ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾.

﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ﴾.

[سورة القصص الآية: 27].

أيضاً لا مانع، ولا حرج من أن يعرض الإنسان ابنته على من يرى أنه خليق بها، من دون أن يعد هذا فظاظة، أو انتقاصاً من كرامة الإنسان، ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ﴾، يعني انظر إليها، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((انظُرْ إليها. فإنه أَحْرَى أن يُؤْدَمَ بينكما)).

[أخرجه الترمذي والنسائي عن المغيرة بن شعبة].

ونظر الخاطب لمخطوبته شرط لنجاح الزواج، ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ﴾:

﴿ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ﴾.

[سورة القصص الآية: 27].

هذا المهر، أن يرعى غنم سيدنا شعيب ثماني سنوات.

﴿ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ﴾.

[سورة القصص الآية: 27].

هذا شعار كل والد كل فتاة، ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ﴾:

﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ﴾.

[سورة القصص].

يعني إذا بقي الأمر بين الرجال القضية سهلة، أما إذا تدخلت النساء دخلنا في قضية لا تنتهي، يدخل عندئذٍ عشر عوامل، عامل المباهاة، وعوامل التحدي، وعوامل كسر الطرف الآخر وعوامل الابتزاز، الأمر إذا بقي بين الرجال الأمر سهل جداً، ﴿ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ﴾:

﴿ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾.

[سورة القصص].

صار هناك إيجاب، وقبول، ومهر، وشاهدا عدل، هنا: ﴿ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾.

الله ﷻ خلق الذكر والأنثى، وخلق كل طرف بخصائص تليق به وتعينه على أداء مهمته، الفساد في الأرض أن تختلط الأوراق، أن يتشبه الرجل بالنساء، والنساء بالرجال، فإذا بالغ الرجل في تكسله، وفي خضوعه، وفي سهولة معشره، وبالغت المرأة في قوة شخصيتها، كان الفساد في الأرض.

أيها الإخوة، بقي آية من هذه السورة تهمنا جميعاً:

﴿ وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ﴾.

[سورة القصص].

وهذه المقولة يقولها الناس إلى يوم القيامة، كلما دعوته إلى عمل صالح، أو إلى طاعة، أو إلى بذل، أو إلى إنفاق، أو إلى أمر بالمعروف، أو نهي عن المنكر، قالوا: ﴿ وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ﴾، إن فعلنا في التجارة كذا لا نربح، إن جهرنا بهذا الرأي نخسر مناصبنا، إن فعلنا كذا نخسر زبائننا، إن أصررنا على طاعة الله في بيعنا وشراءنا لا تروج تجارتنا، هذا يقوله الناس دائماً.

ملخص هذا الكلام: أن الله سبحانه وتعالى يرد عليهم: حينما كنتم شاردين، حينما كنتم تعبدون الأصنام:

﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آَمِناً ﴾.

[سورة القصص الآية: 75].

أيعقل أن يدمر الإنسان بعد أن يطيع الله عز وجل، وأن يكون في أمن وطمأنينة وهو في معصيته؟.

تروي الكتب أن سيدنا موسى عليه وأفضل الصلاة والسلام، دعا الله بالسقية، فقد جاءه الوحي إن فيكم عاصياً، لذلك امتنعت المطر من السقية، فقال موسى عليه السلام لأصحابه: من كان فيكم عاصياً لله فليغادرنا، لم يغادر أحد، وبعد حين الأمطار هطلت غزيرة، فناجى ربه قال: يا رب من هو الذي عصاك فينا؟ فسمع الجواب من الله عز وجل: أن يا موسى عجبت لك أستره عاصياً وأفضحه تائباً؟.

لا سمح الله، أنت حينما كنت متفلتاً لا تصلي، ولا تضبط أمورك، ولا تغض بصرك ولا تتحرى الحلال، الله عز وجل حفظك، ووفقك، وهيأ لك أسباب الحياة الطيبة، فلما اصطلحت مع الله، واستقمت على أمره،

وأقبلت عليه، الآن تدمر؟ تدمر إذا قمت شرع الله في بيتك؟ تدمر إذا جهرت بالحق؟ تدمر إذا أحللت الحلال؟ ما هذا المنطق؟ ﴿ **وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا** ﴾.

هناك من يقول مثل هذا إلى آخر الزمان، لمجرد أن يطيع الله عز وجل سوف يدمر هكذا منطق، هكذا الله يعامل عباده؟ ﴿ **أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آَمِناً** ﴾:

﴿ **يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾.

[سورة القصص].

أيها الإخوة الكرام، هذه الآيات الكريمة هي منهج لنا في حياتنا، نرجو الله سبحانه وتعالى أن نفيد منها.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا أرضنا وارضَ عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الدرس (32–59) : الوازع الداخلي والرادع الخارجي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام، في القرآن الكريم ظاهرة أسلوبية اسمها ضرب الأمثال، وضرب الأمثال نوع من التشبيه الضمني، لو قلت:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لي بجرح ميت إيلام

* * *

أن تجرح إنساناً ميتاً لا يتألم، والذي هانت نفسه بحكم الميت، فلو أهنته لا يتألم، قد يأتي معنى دقيق، وتأتي صورة مادية تؤكد هذا المعنى، هذا الأسلوب في القرآن الكريم كثير جداً فالله سبحانه وتعالى يضرب الأمثال، مثلاً: محمد بشر وليس كالبشر، كيف؟ فهو جوهرة والناس كالحجر، إنسان من البشر وليس من البشر، المعنى دقيق، الجوهرة هي حجر أساسها، هي كالأحجار العادية؟ لا، في جوهرة ثمنها مئة وأربعين مليون دولار، كالبيضة حجمها، أكبر جوهرة بالعالم، وفي أحجار في سهل حوران لا تعد ولا تحصى، محمد بشر وليس كالبشر.

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

* * *

الفضل ينتشر بالحسد؟ نعم.

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

* * *

البخور إذا ما حرقته لا تظهر رائحته، هذا باب طويل، هنا الإنسان يؤمن أن الله خلق الكون، ما شك إطلاقاً، بل إن تسعين بالمئة من سكان الأرض الآن يؤمنون أن الله خلق الكون، هذا الإيمان لا يقدم

ولا يؤخر، العبرة أن تؤمن أنه فعال، عقيدة الغربيين أن الله خلاق، وليس فعالاً، خلق وترك الأمر لأصحاب القوى، يقول الله عز وجل:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ﴾.

[سورة العنكبوت الآية: 41].

أحياناً الإنسان يعلق الأمل على إنسان، وقد يبدو له قوياً جداً، يعلق الأمل على إنسان ليأخذ منه مالاً وقد يبدو كريماً جداً، أيام يعلق الأمل على إنسان ليسعده، ويبدو له جميلاً جداً، حينما يضع ثقته بغير الله، أو حينما يعلق الأمل على غير الله وضعه كمن يتخذ بيت العنكبوت حصناً حصيناً، **﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ﴾**:

﴿ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة العنكبوت].

لكن لمعلوماتكم لو أننا سحبنا الفولاذ بقطر يساوي قطر العنكبوت لكان خيط العنكبوت أمتن من الفولاذ، لو سحبنا الفولاذ وهو أمتن عنصر في الأرض متانةً، المتانة مقاومة قوى الشد والقساوة مقومة قوى الضغط، لو سحبنا الفولاذ بقطر يساوي قطر خيط العنكبوت لكان خيط العنكبوت أمتن من الفولاذ، ومع ذلك بأصبعك تستطيع أن تخرب هذا البيت، من دون جهد إطلاقاً،فأضعف بيتٍ بيت العنكبوت، فمن اتخذه حصناً، فأي حصن هذا الذي أخذ العنكبوت حصناً له.

فكل إنسان يعتمد على غير الله لحكمة يريدها الله عز وجل دائماً يخيب ظنه، ورد في الأثر القدسي:

((ما من مخلوق يعتصم بي من دون خلقي، أعرف ذلك من نيته فتكيده أهل السماوات والأرض إلا جعلت له من بين ذلك مخرجاً، وما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني . يعني اتخذ بيت العنكبوت حصناً له . **وما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني، أعرف ذلك من نيته إلا جعلت الأرض هوياً تحت قدميه، وقطعت أسباب السماء بين يديه)).**

أيها الإخوة، يتوهم الناس أن الدين أن تؤمن بالله خالقاً هذا شيء فطري، وبديهي، ولا يقدم، ولا يؤخر، أنت حينما تؤمن أن الشمس ساطعة، هي ساطعة، ماذا فعلت؟ ما قدمت شيئاً، فإن أنكرت سطوعها لم يلتفت إليك أحد، أما حينما تؤمن أن الشمس ساطعة وجودك إلى حاسة ماسة إلى أشعة الشمس، وتتجه لتأخذ من أشعتها حماماً شمسياً عندئذٍ تكون هذه المقولة، أو هذا الإيمان قد نفعك في الدنيا والآخرة.

إذاً الإيمان توحيد، أن ترى أن الفعال هو الله، أن ترى أن الله بيده كل شيء، أيام الإنسان يؤمن بالله ويطيعه ويغشى غير الله، أقول له أحياناً: هذا الذي تعبده ألا يحميك، ألا تثق بقدرته؟ يقول لك:

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ ﴾.

[سورة هود الآية: 123].

ألا يحميك، يؤمن بالله، ويخشى غير الله، وهناك من يجعل فتنة الناس أشد من عذاب الله، لا يبالي بجهنم ليرفع عن نفسه تهمة معينة يرتكب المعاصي، ليرفع عن نفسه تهمة يرتكب معصية، وكأنه لا يخشى عذاب الله عز وجل، لكنه يخشى عذاب الناس، هذا شيء واضح جداً وموجود، يجعل من فتنة الناس أشد وقعاً على نفسه من عذاب الله، هذا هو الشرك أساساً، ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ﴾.

الحقيقة ما سوى الله ضعيف لا يستطيع أن يقدم لك شيئاً، لكن هناك تدخل إلهي رحيم أنت حينما تعلق الأمل على إنسان لو أن هذا الإنسان كريم، وقوي فيما يبدو لك، الله عز وجل يصرفه عن خدمتك، من أجل أن تبقى معه لأن الله يغار، أن تعلق الأمل على غيره، يغار أن تتجه إلى غيره، يغار أن تحب غيره، من حرص الله على عباده المؤمنين حينما يلتفت المؤمن إلى غير الله، أول شيء من معالجة أن يخيب الله ظن هذا المشرك بهذا الذي أشرك به، يتنكر له، وتنكره له، من أجل أن يعود إلى الله عز وجل.

الحقيقة أن هذا الشيء يومي، كل ما اتجهت إلى شيء، وضعت الثقة بشيء، اتكأت على شيء، أحببت شيء في غير طاعة الله عز وجل هذا الشيء يتخلى عنك، قد لا يأتيك الشر إلا منه قد لا يأتيك التنكر إلا منه، لذلك:من أعان ظالماً سلطه الله عليه، أول عقاب، أول تأديب أنك أعنت ظالماً سلطه الله عليك، كنت أول ضحاياه.

وفي رأي ثاني أن العلاقة بين العنكبوت، العلاقة الأسرية علاقة سيئة جداً، فالأم تأكل أولادها، والأب يأكل أمهم، وأسوأ علاقة أسرية بالحشرات هي علاقة العنكبوت فيما بينها، وأطيب علاقة هي علاقة النحل والنمل، تعاون من أعلى الدرجات، تعاون وتنسيق، بينما العنكبوت بيت مهدم من الداخل، ففي ضعف مادي، وفي ضعف معنوي.

الآية الثانية:

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾.

[سورة العنكبوت الآية: 45].

كلكم يعلم أن الإنسان ينضبط إما بوازع، وإما برادع، إذا في قوانين صارمة، وفي محطات رادار على الطرق العامة، تكشف المخالف، فالإنسان ينضبط، لا ينضبط بوازع داخلي إنما ينضبط برادع خارجي، وإذا أردنا أن نجعل من حضارة الغرب نموذجاً حضارة الغرب ضبط الأمور عندها مبني على الرادع الخارجي، أما حضارة الإسلام ضبط الأمور في الإسلام أساسه الوازع الداخلي.

إنسان يحمل تاج كسرى، وسواري كسرى، وقميص كسرى، شيء لا يقدر بثمن، ثمنه مئات الملايين، يحمله ويأتي به إلى أمير المؤمنين عمر، ولا يفصح عن اسمه، وكان بإمكانه أن يبيعه في بلاد أخرى فيغتني إلى مئة عام، فقال سيدنا عمر: والله إن الذي أدى هذا لأمين، فقال له سيدنا علي: يا أمير المؤمنين عففت فعفوا، ولو وقعت لوقعوا.

الإنسان حياته مبنية على الوازع الداخلي، قال لي شخص، بورقة ولا أنساها، عقب درس من دروس الأمانة، قال لي: أنا معي عشرين مليون لورثة، لا يعلمون عن هذا المبلغ شيئاً فضلاً عن أنهم لا يملكون وثيقة، سند، عقد، فذهبت وسلمتهم إياه، بدافع الوازع الداخلي، المؤمن حياته مبنية على الوازع الداخلي.

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى ﴾، من الداخل، ﴿ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾،

أما بالحضرة الحديثة في أجهزة، في حسابات، يأتي الموظف يسجل ساعة دخوله على جهاز آلي، يخرج يسجل على جهاز آلي، فكل حركات الإنسان وسكاناته، دخل لصالة ليشتري، مراقبة الصالة تلفزيونياً، إذا أخذ حاجة وأراد لا يدفع ثمنها عليها لصاقة، فإذا خرج من باب الصالة يصدر صوت إن لم يدفع ثمنها، تجد الناس منضبطون، لا لأنهم أخلاقيون أبداً، لأن هناك أجهزة راقية جداً تكشف كل أخطائهم، هذا

النظام مبني على الرادع الخارجي، فلما قطعت الكهرباء في مدينة في أمريكا تمت في هذه الليلة مئتا ألف سرقة، حضارة الغرب أساسها الرادع الخارجي وأساسها الإنسان يضع نظام، والإنسان الآخر الطرف الآخر قد يكون أذكى، فيضع إنسان جهاز لكشف السرعات العالية عن طريق الرادار، يأتي إنسان يخترع جهاز لكشف موقع كشف الرادار فقبل أن يصل إليه يخفف السرعة، يخرج إنسان الأول يعمل جهاز لكشف جهاز كشف الرادار الأنظمة الوضعية سلسلة من الحروب العقلية بين الناس، أما إذا كان هذا النظام من عند خالق الكون.

الآن كلكم صائمون والحمد لله، لو كان الصيام في شهر الصيف، في أيام الصيف والإنسان يشعر بحاجة إلى الماء يفوق حد الخيل، لو كان الشيء يباع يقول لك: اشتري كأس الماء بمئة ألف ليرة، ودخل إلى الحمام، وفي حنفية عداد، والماء بارد عذب فرات، ولا أحد يراه هل يستطيع مسلم أن يبتلع قطرة ماء واحدة؟ لا يستطيع، أرأيت إلى هذا النظام العظيم.

إذا أنت رسخت الإيمان في قلوب الناس، الحياة تنتظم، قلت مرة: سمان عنده تنكة سمنة بلدي، ووقعت فيها فارة، من يستطيع أن يعلم أن فأرة قد سقطت فيها؟ لا أحد، لأنه مؤمن يبيعها إلى معامل الصابون، ولا يبيعها زيتاً يؤكل للناس، أما إذا لم يكن في دين، أحياناً يغشون المواد الغذائية الغش يؤدي إلى بعض السرطانات،

من أجل أن يكون لون هذا المادة فاتح، يضعون مواد متعلقة بالدهان، تشتهي أنت هذه المادة لونها جميل جداً.

فإذا الإيمان فقد من مجتمع المجتمع انتهى، أعلى الأنظمة الصارمة لا تحاسب إلا على الظاهر، الحياة لا تنتظم إلا بالوازع الداخلي، لا تنتظم بالرادع الخارجي، ضبط خارجي.

مرة قال أحد وزراء التربية قديماً لما كنا في الجامعة، قال: كل ما نملك من سلطة على المعلم كل ما نملك أن نجعله أن يدخل الصف الساعة الثامنة، أما هو في الصف يعلم، لا يعلم يضيع وقت الطلاب، لا يعطيهم حقائق، يحضر، لا يحضر، هذا لا نملكه، لا يملكه إلا هو، فإذا في عنده وازع داخلي يعلم جيد، طبق هذه على المدرسين، والأطباء، والمحامين، وكل المهن الراقية، هذه قاعدة.

فحياة المسلمين أساس نجاحها الوازع الداخلي، والحياة المادية أساسها إخفاقها الرادع الخارجي، لأن هذا الرادع الخارجي لا يصل إلى أعماق النفس، وهناك انحرافات، كثير في الأنظمة الوضعية أشياء مضحكة، لأنه ما في وازع داخلي، يمكن أن يستغل القانون لصالح الناس.

إذاً: ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ ﴾، يعني أخطر وظيفة للصلاة أنها ﴿ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾، تنهى الإنسان نهي داخلي، لذلك المؤمن أمين، تشعر أن من سابع المستحيلات أن المؤمن يأكل قرش حرام، المال بين يديه، ولا يستطيع أن يأكل ليرة واحدة.

سيدنا عمر بن عبد العزيز، كان إذا أراد أن يحدث أهله يطفئ الشمعة التي هي من المال العام.

سيدنا أبو حنيفة النعمان تحول عن ظل بيت هو مرهون عنده، البيت له ظل، واليوم شمس، وحر شديد، قال: هذا البيت مرهون عندي، وإني أكره أن أنتفع بظله.

وركعتان من ورع، خير من ألف ركعة من مخلط.

فيا أيها الإخوة الكرام، ممكن أن يكون درسنا اليوم أعظم ما في الدين أنه ينشئ في داخل النفس البشرية وازع، يقول لك: وازع إلى الخير ووازع إلى الطاعة، المؤمن مؤتمن، المؤمن صادق، أبرز صفة، ماذا قال سيدنا جعفر؟

((كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه)).

[أخرجه ابن خزيمة عن جعفر بن أبي طالب].

الأمانة والصدق قوام الحياة الأخلاقية، وفي المجتمعات المادية لا أمانة ولا صدق، كذب وخيانة، لذلك ورد في بعض الأحاديث:

((يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب)).

[أخرجه الإمام أحمد عن أبو أمامة الباهلي].

أيام إنسان يدفع ثمن قسطرة 35 ألف، ويجب أن تكون القسطرة جهاز جديد، إذا كان الجهاز مستعمل، المريض مخدر، من يكتشف أن هذا جهاز القسطار مستعمل للمرة العشرين يدفع كل مريض ثمنه 35 ألف، من يعرف هذا الشيء إلا الله، إذا ما في ضمير الحياة لا تستقيم وفي أخطاء لا يعلمها إلا الله أساسها ضعف الوازع الداخلي، وضعف الرادع الخارجي، أيام بمجتمع يكون متخلف مرتين، متخلف عن وجود روادع خارجية صارمة، ومتخلف عن وجود نوازع داخلية نامية، لا هذه ولا تلك.

إذا كنت تحتاج فرق صارخ للمؤمن وغير المؤمن، المؤمن لا يمكن أن عصي الله، ولا أن يأكل حق أحد، لأنه عنده خوف من الله يكفي أن يحمله على طاعة الله.

الآية الثالثة:

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آَيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآَيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾.

[سورة العنكبوت الآية: 50].

آية دقيقة جداً، الكون كله آيات، الكون كله بوضعه الراهن من دون معجزات، من دون خرق للعادات، من دون خرق للنواميس، هو بحد ذاته معجزة، إنسان يتابع حركة سيارة أين ما ذهبت ينطبع خيالها على الشبكية، اسأل علماء الفيزياء هذه قضية في منتهى التعقيد، أن عدسة لها محرق، وفي شيء متحرك، الشيء الذي تعلمناه في الدراسات العلمية أن هذه العدسة محرقها ثابت، والجسم الذي أمامها إذا ما كان في مكان معين لا ينطبع خياله على الشبكية.

كرة تتحرك يمنة ويسرى، ارتفاعاً وانخفاضاً، يميناً ويساراً، وشكل الكرة واضحاً عند المشاهدين، كيف يتم ذلك؟ في عملية اسمها المطابقة، والمطابقة من أعقد عمليات العين، عدسة مرنة عليها عضلات تزيد من أحدادها بالمكرونات، وتقلل من مكرونات، كأنه في جهة ثالثة تزيد من بعد الكرة عن العدسة، وتضغط عن الجسم بحيث أن يبقى الخيال على الشبكية، هذه عملية لا يستطيع أن يعملها اكبر عالم فيزياء، كل واحد منا يرى الشيء بوضعه الصحيح بالرؤيا الدقيقة من دون الجهد منه، تريد آيات؟ هذه آية.

الماء تبرده ينكمش شأنه شأن أي عنصر في الأرض، عند الدرجة زائد أربعة يزداد حجمه، القضية من التعقيد من الصعب أن تفهمها، شرحت لك، لولا هذه الظاهرة ما كان في حياة على وجه الأرض هذه آية.

بماء العين في مادة مضادة للتجمد، لو سكن الإنسان بالقطب، والحرارة سبعين تحت الصفر عينه محوطة من التجمد، ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آَيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآَيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾، المطر آية، الشمس آية، القمر آية، الليل آية، النهار آية، الأطيار آية، طير يغادر يمشي سبعة عشر ألف كيلو متر، على أي شيء يهتدي، تجد طائرة، وأجهزة، ومحطات بث أرضية وخرائط، وقد تضل الطريق، طائر تجد ما عنده أي جهاز، يطير من جنوب إفريقيا إلى الشام، إلى بيته، إلى وكره، إلى عشه، لو انحرف درجة يأتي بمصر،

درجة واحدة، إذا بدأ انحراف من جنوب إفريقيا، درجة واحدة يأتي بمصر، درجة واحدة يأتي بالعراق، هذه آيات.

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آَيَاتٌ ﴾، الآيات موجودة، وما علينا إلا أن نفكر فيها، القصد من ذلك لا تطلب خرق العادات، العادات وحدها معجزة، لا تطلب شيء استثنائي، الكون بوضعه الطبيعي معجزة، حسبكم الكون معجزة، أما قوله تعالى:

﴿ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾.

[سورة يونس الآية: 29].

يجب أن تؤمن أن كل أفعال الله عز وجل يؤيد كلامه، تتطابق مع كلامه، فالقرآن لا تزيده الأيام إلا رسوخاً، لأن كل أفعال الله تؤيد ما جاء في كتاب الله، وهذه الأفعال التي هي من فعل الله شهادة الله لعباده، أتريد أن يشهد الله لك أن هذا القرآن كلامه، كل وعد تحقيقه شهادة، كل وعيد تحقيقه شهادة، كل شيء قاله الله عز وجل ترى في عالم الواقع مطابق لما في القرآن، هذا التطابق هو شهادة الله على أن هذا القرآن كلامه.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا أرضنا وارضَ عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصبحه وسلم .

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الدرس (33 – 59) : العلاقة بين الزوجين

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام : ألصق شيء في حياة الإنسان زوجته وعمله .. لذلك .. تجد في القرآن الكريم آيات كثيرة جداً تتحدث عن حسن العلاقة بين الزوجين ومن أبرز هذه الآيات قوله تعالى في سورة الروم:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21) ﴾

ومن آياته : من للتبعيض من أجل أن تعرف عظمة هذه الآية آية الزوجية وازنها مع الآيات التي قبلها:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (22) ﴾

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾

(سورة فصلت : من الآية 37) ،

ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً أن تسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة الإله العظيم حينما صمم خلقه ذكراً وأنثى وحينما أعطى للذكر خصائص وللأنثى خصائص ، خصائص جسمية ونفسية وعقلية واجتماعية ، هذه الخصائص متكاملة لا متنافرة كل طرف يسكن إلى الطرف الآخر يكمّل به نقصه . تصميم الله عزّ وجل أن تكون بين الزوجين المودة والرحمة فكيف نجد في أكثر البيوتات خصومات ومنازعات وشقاق وبغضاء وأيمان طلاق لا تنتهي وقطيعة قد تدوم أشهر بين زوجين . كل بيت فيه خصومات وفيه منازعات وفيه بغضاء وفيه مشكلات هذا البيت على خلاف ما أراد الله عزّ وجل . ماذا أراد الله عزّ وجل ..؟.. أراد المودة والرحمة ما لفرق بينهم ..؟.. **المودة** كما قال بعض العلماء سلوك يجسد مشاعر ، في مشاعر داخلية تعبر عنها بالمودة شعور الحب يعبّر عنه بالابتسامة، بالكلمة الطيبة ، بالصبر، بالتحمل ، **فمن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً** ، يعني الزوجة إنسان لها عقل ولها مشاعر ولها طموحات ولها كرامة ولها حاجات ولها خصائص كما قال عليه الصلاة والسلام :

((عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرَّجُلِ يَجِدُ الْبَلَلَ وَلا يَذْكُرُ احْتِلَامًا قَالَ يَغْتَسِلُ وَعَنِ الرَّجُلِ يَرَى أَنَّهُ قَدِ احْتَلَمَ وَلَا يَجِدُ الْبَلَلَ قَالَ لا غُسْلَ عَلَيْهِ فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ الْمَرْأَةُ تَرَى ذَلِكَ أَعَلَيْهَا غُسْلٌ قَالَ نَعَمْ إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ))

النساء شقائق الرجال .

فهذا الذي يعامل زوجته كإنسان من الدرجة الثانية جاهلي لا يعرف حقيقة هذا الدين .

النبي عليه الصلاة والسلام قال :

((عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤْذِي جَارَهُ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا))

استوصوا بالنساء خيراً .

وقال : وكان إذا دخل بيته بسّاماً ضحّاكاً ، وكان يسمي النساء : المؤنسات الغاليات .... هذه سنة النبي.

أيها الأخوة الكرام : الإنسان قد يعاني في الحياة العملية مشاق كثيرة الحياة كلها متاعب لكن الذي يسليه وينسيه متاعبه أنه إذا أتى إلى بيته يجد السكينة والود والرحمة والتعاون والمشاركة الوجدانية . السعداء والعقلاء والمؤمنون الصادقون بيوتهم جنة ولو أنها متواضعة ولو أنها صغيرة ولو أن الدخل يسير ولو أن الطعام خشن . هذه المودة والرحمة التي وصفها الله عزّ وجل بين الزوجين هي سر السعادة الزوجية . المودة سلوك ، سلوك أساسه الحب ، أما **الرحمة** .. شعور أساسه العطف .

الإنسان أحياناً تزوج بامرأة فجأة تصاب بمرض ، أو تتزوج رجلاً ملئ السمع والبصر فجأة يفتقر فإن لم تكن هناك مصلحة مادية بين الزوجين ينبغي أن تكون الرحمة بينهما . كيف قال الله عزّ وجل :

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

(سورة النحل : من الآية 90)

يأمر .. لم يقل يأمر بالعدل وأحسنوا .. لا .. قال :

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

يعني أنت مأمور بالإحسان كما أنك مأمور بالعدل تماماً .

لذلك .. لما الإنسان يسعى لخلق المودة بينه وبين زوجته هذا المسعى يرضي الله عزّ وجل . الطرف الآخر الشيطان همه الوحيد التفريق بين الزوجين ، دائماً الشيطان يزين المرأة الغريبة الأجنبية فيعينه ويبغضه بزوجته . فإذا كنت رحماني الطبع ، رحمانياً موصولاً بالله عزّ وجل تقيم المودة والرحمة بينك وبين زوجتك ولا تعبأ بكلام الشيطان .. الشيطان يوسوس همه الوحيد أن يوازن بين زوجتك وبين امرأة أخرى من أجل أن تكرهها ، والموازنة سهلة كل امرأة أعطاها الله شيئاً تمتاز به فإذا أطلق بصره في الحرام أخذ من كل امرأة شيئاً تمتاز به وجمع هذا الأشياء كلها في شخص وهمي ووازنه مع زوجته فإذا هي لاشي . البغضاء والكراهية والخصومة والمشاحنة دائماً بين الزوجين المقصرين يعني أنا أتمنى على الله عزّ وجل أن يكون بيت كل منا .. كل منا جنة لا أقصد مساحة البيت ، لا أقصد جمال البيت ، لا أقصد أثاث البيت ، لا أقصد نوع الطعام ، أبداً ... اقصد هذا الشعور بين الزوجين الذي وصفه الله عزّ وجل لأنه شعور المودة ، شعور الحب الذي تنتج عنه المحبة فالإنسان يصنع بيده سعادته .. يعني ..يدخل فلا يسلم ، يحاسب أشد الحساب ولا يراعي الميزات ، هناك ميزات هناك إنجازات هناك جهد مبذول كبير يتعامى عن كل الإيجابيات. النبي عليه الصلاة والسلام مرة دعى وقال : **اللهم إني أعوذ بك من جار سوء إن رأى خيراً كتمه وإن رأى شراً أذاعه ، اللهم إني أعوذ بك من إيمان سوء إن أحسنت لم يقبل وإن أسأت لم يغفر** . أيعقل أن يكون الزوج كجار السوء وكإيمان السوء . إن رأى خيراً كتمه وإن رأى شراً أذاعه ، إن أحسنت إليه لم يقبل وإن أساءت لم يغفر هذه النماذج موجودة .. أبداً .. أنا لا أتكلم من فراغ ، أتكلم من قصص واقعية . يشقي نفسه بيده لأنه يبتعد عن منهج الله عزّ وجل .. لذلك .. كل مشكلة بالزواج إن لم يحكمها العدل يمكن أن يحكمها الإحسان .

يعني ... ملخص الملخص : الزوج المؤمن يتقرب إلى الله بتجاهل سلبيات زوجته بغض النظر عنها وبخدمة زوجته ، والمؤمنة تتقرب إلى الله بالغض عن سلبيات زوجها وبخدمة زوجها.

فإذا جمع الإنسان بين التغاضي وبين الخدمة يكون هذا البيت حقيقة جنة في الدنيا .

يعني ... إما أن تحكم القضية بالعدل ، وإما أن تحكم بالإحسان أحياناً تنقطع المصلحة بين الزوجين . الزوج يفتقر ، أحياناً تصاب الزوجة بمرض ليست في مستوى طموح الزوج . الحياة الإسلامية حياة مرنة جداً. أيام الإنسان تنقطع الكهرباء يوجد عنده مولدة يوجد عنده البديل ... لو أن المصلحة انعدمت بين الزوجين وانعدم معها الحب والمودة ماذا يبقى .. الرحمة . ما كل بيت يبنى على الحب . آلاف البيوت الناجحة مبنية على الرحمة ، مبنية على المصلحة وقد يكون الزوجان منسجمين إلا أن مصلحة الأولاد فوق كل مصلحة .

أيها الأخوة الكرام : الآية من أدق الآيات : **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم** : يعني علمها هذه الزوجة .. ما أروع هذه الزوجة إذا تعلمت أمر دينها وليس في الأرض كلها أبشع من الجهل .

يعني ... يروى انه أحد الأئمة لعله أبو حنيفة كان يجلس مجلساً .. يبدو أنه في رجله ألم شديد مدها بين إخوانه .. يعذرونه على هذا العمل دخل شيخ معمم طويل القامة عظيم الهامة عريض المنكبين دخل وحضر الدرس وكان الدرس عن صلاة الفجر . أفاض أبو حنيفة النعمان عن أحكام الصلاة عن الفجر الصادق والكاذب إلى أخره ... ما كان من هذا الشيخ المعمم المهيوب إلا أن سأل : يا سيدي كيف نصلي الفجر إذا طلعت الشمس قبل الفجر ..؟.. عندئذ يمد أبو حنيفة رجله .. هو رفعها من أجل ماذا.. هيبة له. فالجهل شيء بشع جداً يا ما الإنسان يدع زوجته جاهلة لا يعلمها أمر دينها ... منطقها لا يحتمل تفكيرها يضحك اهتماماتها غير مقبولة هذا بسبب الزوج لذلك لابد من أن تعلمها ولابد من أن تأخذ بيدها لأنها إنسانة مثلك .

ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها : ما هذه السكينة..؟.. السكينة أن كل طرف تمم نفسه بالطرف الآخر . في الرجل عقل راجح لكن عواطفه محدودة جداً يجد في امرأته عاطفة جياشة إذاً هو يكمل نفسه بزوجته .

في المرأة عاطفة جياشة وفكر متعلق بالجزئيات لذلك تجد في زوجها العقل الراجح النظر البعيد تكمل نقصها منه . هي ضعيفة وهو قوي ، هي عاطفية وهو عقلاني ، هذا معنى قوله تعالى : **لتسكنوا إليها**، هو يسكن إليها وهي تسكن إليه ، وجعل بينكم معنى جعل يعني خلق . وجعل بينكم مودة ورحمة معناها الوضع الطبيعي الذي أراده الله أن يكمل الود والرحمة ما بين الزوجين . والواقع على عكس ذلك .. طبعاً إذا الإنسان همه أن يتابع ما على هذه الأجهزة من أعمال طبعاً سيجد كل شيء منحرف مبرر سيجد الإنسان وهو ساقط لا وهو مرتفع ... هذه نماذج لا ترضي الله عزّ وجل . أحد أسباب شقاق الزوجين هذه القيم غير الدينية أو هذه الأفكار التي تتناقض مع الدين والتي تتسلل إلى عقول الناس من خلال ما يشاهدون . أما إذا الإنسان تغذيته راقية فكل شيء ينتج عنه راقي تصور وعاء له فتحة من الأعلى وله صنبور من الأسفل الذي تضعه من أعلى يخرج من الصنبور . والإنسان وعاء ما الذي يغذي هذا الوعاء..؟.. سيكون منطقه وحديثه تصرفه يعني الشيء الذي يضحكه الذي يحزنه اهتمامه قيمه نابعة من تغذيته . فكل إنسان يغذى بالحق ويغذى بالقيم والمثل يغذى بكتاب الله يغذى بسنة رسول الله تجده في وضع آخر . فهذه الآية .. الشيء الدقيق أن تنقلب إلى تطبيق : **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** .

الآية الثانية ولعلها الأخيرة في سورة الروم:

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41) ﴾

ظهر الفساد في البر والبحر : الفساد أن يخرج الشيء عن طبيعته .. هذا الفساد ... ماء فاسد .. له لون له رائحة له طعم مالح عكر فيه شوائب ... الجو الفاسد في غاز أوكسيد الكربون في ضيق نفس في ضباب أسود هذا جو ملوث .. الطعام الفاسد فيه رائحة كريهة ... ظهر الفساد كأن الله سبحانه وتعالى أراد أن تكون حياتنا نظيفة فإذا أفسدناها بأيدينا .. بما كسبت أيدي الناس .. أصل الخلق كامل ، لكن الفساد .. يعني سيارة مصنوعة بأرقى معمل وفيها أعلى المواصفات أما إذا قادها الإنسان سكراناً .. قد يقع في الوادي وقد تصبح السيارة بشكل قميء جداً . ليس هذا من صنع المعمل .. هذا من صنع السائق، هذا من صنع الذي قادها وهو سكران ، لذلك : **ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون** . كان من الممكن أن لا يذيقنا الله بعض الذي عملنا.. لم يقل كل الذي عملوا ، كل الذي عملوا في الآخرة أما في الدنيا بعض الذي عملوا وكل ما تعانيه البشرية اليوم هي تحت هذه الآية : **ليذيقهم بعض الذي عملوا** ، إفساد المجتمعات ، إفساد الأسر ، إفساد الأخلاق ، الأعمال الفنية الساقطة ، هذه الأجهزة التي تستقبل كل أنواع الفساد ... هذا الفساد يدفع الناس الآن ثمنه باهظاً يدفعون ثمنه تفكك اسري ، انحراف أطفال ، شقاق اسري ، وهكذا ...

ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا : أما لعلهم يرجعون معناها المطلوب من هذا الذي يذوقه الناس أن يرجعوا إلى الله . لو أن الله عزّ وجل ما أرادنا أن نتوب وما أرادنا أن نرجع إليه ليس هناك حاجة أن يذيقنا بعض الذي عملنا مادام يذيقنا بعض الذي عملنا إذاً هو ينتظرنا . كثير الآية دقيقة .. ينتظرنا .. **ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون** .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (34 – 59) : القصص القرآنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال :

((عَنِ الْمِقْدَامِ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ))

رحم الله أخي داوود كان يأكل من عمل يده وإن خير كسب الرجل أن يأكل من عمل يده .

أصحاب الحرف ، أصحاب المهن هذا الحديث بشرى لهم ، إن أطيب كسب يكسبه الإنسان أن يأكل من عمل يده من كد يمينه وعرق جبينه كما يقولون وأراد الله سبحانه وتعالى أن يجعل نبياً كريماً يأكل من عمل يده نبي كريم دخل السجن فلو دخل المؤمن إلى السجن لحكمة أرادها الله فله في سيدنا يوسف أسوة حسنة ، نبي كريم كان ابنه كافر فلو لم يوفق واحد من المؤمنين بولد صالح فهذه القصة قصة سيدنا نوح تسلية له وتخفيف ، امرأة صدّيقة زوجة أكفر كفار الأرض .. فرعون ..

﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (11) ﴾

(سورة التحريم : من الآية 11)

.. هذه القصة تخفيف وتسلية لكل امرأة تعاني من انحراف زوجها ، نبي كريم كان أبوه كافراً سيدنا إبراهيم . هذه قصة تخفف عن كل شاب مؤمن يلقى من أهله العنت ، نبي كريم زوجته كافرة: **ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوحٍ وامرأة لوطٍ كانتا**

﴿ تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ ﴾

(سورة التحريم : من الآية 10)

هذه القصة تخفف عن كل زوج يعاني من سوء أخلاق امرأته. لو درستم قصص الأنبياء لوجدتم أن لكل نبي قصة تعد أسوة صالحة ، السيدة عائشة قال عنها الناس ما قالوا وكان من الممكن أن لا يكون حديث الإفك ولكن الله أراده تسلية وتخفيفاً لكل امرأة مؤمنة طاهرة حصانٍ تكلم الناس في عرضها هؤلاء الأنبياء وهؤلاء الصدّيقون مثل عليا وقدوة لنا جميعاً . ومن كان يعمل عملاً شاقاً يعمل من كسب يده ، يعاني ما يعاني يبذل جهداً كبيراً .. النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

//من بات كالاً في طلب الحلال بات مغفوراً له //

ولحكمة أرادها الله عزّ وجل جعل كسب المال صعباً وجعل كسب المال الحرام سهلاً لأنه لو أن الأمر على عكس ذلك لأقبل الناس على الحلال لأنه سهل لا حباً بالله ولا طاعة له وتعبداً له .

أيها الأخوة : نبي كريم كان يأكل من عمل يده كان بإمكانه أن يأكل أطيب الطعام ، بلا جهد جهيد . شرف الإنسان عمله . شيء آخر .. القرآن الكريم كلام رب العالمين فأية قصة تناقض القرآن الكريم بإمكانك أن تركلها بقدمك . هذه الآية سيدنا سليمان عُلّم منطق الطير وسُخرت له الجن و توفاه الله عزّ وجل بطريقة حكيمة كان متكأً على عصا وتوفاه الله عزّ وجل وقد كلّف الجن بأعمال شاقة . قال تعالى في سورة سبأ :

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14) ﴾

فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض – السوس يعني – **تأكل منسأته** – يعني عصاه – **فلما خرَ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين** .

إذاً : لك أن تنفي مليون قصة تفيد أن فلان يعلم الغيب ، لا يعلم الغيب إلا الله ، بل إن سيد الخلق وحبيب الحق لا يعلم الغيب . قل لا أعلم الغيب . الغيب لا يعلمه إلا الله ... كل محاولات البشر وكل ايهامات البشر وكل أخطاء البشر هي مرفوضة من هذه الآية : **فلما خرَ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين** . الذي كلفهم به . يعني لازلنا في آيات الكلمات ، آيات القوانين .

آية أخرى من سورة سبأ :

﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (17) ﴾

يعني هل يعقل أن يستقيم الإنسان على أمر الله أن يخلص لله وأن يلقى العنت !!.. وأن يخيب الله ظنه !!.. وأن يدمره الله !!.. هذه القصص لذلك ما كل قصة تروى الإنسان محاسب . أحياناً قصة في ظاهرها يبدو فيها ظلم شديد في ظاهرها .. ففي أشخاص دون علم أو دون قصد يروجون هذه القصص. هذه القصص إن لم تعرف كل فصولها تصاب بخيبة أمل ، تصاب باضطراب في العقيدة ، يعني ... أيعقل كل هذا الصلاح وكل هذا الدين وكل هذا الإخلاص وكل هذا الورع وقد دمره الله عزّ وجل ... الإنسان يفقد المصداقية بعد ذلك .

فالقصة التي لا تعرف كل فصولها لا ترويها . كفى بالمرء إثماً أن يحدّث بكل ما سمع أنت لست ناقل آلي ، أنت إنسان .... المسجلة كل شيء دخل عليها تعيده عليك ، هذه مسجلة أما أنت إنسان ، يوجد عندك ضابط يوجد عندك موازين ، يوجد عندك قيم ، قصة يفوح منها الظلم الذي لا يحتمل حينما ترويها أنت تساهم في ترسيخ الباطل تساهم بالشرك، يعني إنسان يفعل ما يشاء تثني على ماله وعلى ذكائه وعلى قوته وعلى و على ... وترى أنه كل شيء أراده يفعله طيب أين الله إذاً ... أقول لكم هذه الكلمة : أي إنسان مهما بدا قوياً أية جهة أية أمة إذا توهمت أنها تخطط لمصلحتها وسوف تنفذ كل خططها إلى مالا نهاية ولن يقف في وجهها إنسان ...أنت جعلتها إلهاً وأنت لا تدري ... أين الله ... لو أن أمة ظالمة كهذا الذي نراه بأعيننا في بلاد الغرب ... لو أن أمة ظالمة بنت بناها على أنقاض البشر بنت أمنها على خوف البشر رفهت شعبها فقط وأقامت الحروب ولم تنهها بين البشر لو أن هذه الأمة القوية الظالمة الباغية تابعت خططها إلى مالا نهاية هذا يتناقض مع وجود الله ... لا أقول مع عدله ، مع وجوده ، عرفت الله من نقض العدائم . فليست كل قصة تروى .

أيها الأخوة ... القصة التي تعمق الإيمان اروها ... أما قصة لا تعرف كل فصولها .. أنا مرة إنسان استوقفني في أحد أسواق دمشق وقال لي ..يعني بعض من كلامه تهكم وبعض من كلامه إحراج أنه فلان جاء ليكسب رزق أطفاله الصغار وفتح دكانه في أحد أسواق دمشق القديمة ونشبت مشاجرة بين شخصين فجاءته رصاصة في عموده الفقري فجعلته مشلولاً. قال لي ما ذنبه هذا ... أين العدل أين الرحمة ... جاء ليكسب قوت أولاده فتح دكانه الساعة التاسعة صباحاً سمع إطلاق رصاص ، مد رأسه فجاءت رصاصة في عموده الفقري وأصابته بالشلل فوراً وكأنه بهذه القصة أقام الحجة على الله قلت والله أنا لا أعلم خلفيات هذه القصة .. القصة لها عشرة فصول قد يتاح لك الفصل الأخير ، قد يتاح لك الفصل قبل الأخير ، قد يتاح لك تسعة فصول منها ويغيب عنك الفصل الأخير ..(تجد حكمه غير صحيح) ... والله أخ كريم من أخوتنا وهو معنا الآن فيما أذكر يعني يسكن في أحد أحياء دمشق القديمة قال لي بعد عشرين يوم ... قال لي : لي جار مغتصب أولاد اخوته اليتامى وطالبوه سنوات طويلة والمبلغ يزيد عن ثمن بيت لهم احتكموا إلى الشيخ حسين الخطاب رحمه الله تعالى . الجماعة هم في بيته امتنع العم عن أداء ما عليه امتنع بوقاحة ، فقال لهم الشيخ حسين يا أولادي هذا عمكم لا تشكوه إلى القضاء هذا لا يليق بكم اشكوه إلى الله عزّ وجل ، قال لي هذا الأخ الكريم في اليوم التالي : له دكان في أحد أسواق دمشق (هو لا يدري القصة الأولى) سمع صوت مشاجرة بين شخصين مد رأسه فجاءته رصاصة شلته فوراً .. جاء الجواب .. لحكمة أرادها الله اعترض الأخ قبل عشرين يوم على حكم الله عزّ

وجل وبعد عشرين يوم جاءت القصة بتفاصيلها وحدها .... وعلى هذا فقس ... كل شيء تراه عينك محض عدلٍ ، محض فضلٍ ، محض رحمة ، محض حكمة ، هذا فعل الله عزّ وجل بل لا يليق بالله إلا أن تكون أفعاله هكذا فلا تروي قصة لا تعرف كل فصولها قل لا أعلم .. لا تزكي على الله أحداً . الناس بشكل لاشعوري يقولوا لك : تقى ، صلاح ورع استقامة ، بناته حافظات لكتاب الله ، ثم دُمر . يريد أن يحطم مبادئ الدين . كل هذه الاستقامة وكل هذا الحرص وكل هذا الورع وكل هذه التقوى ثم دمره الله وكأنه أعقل من المؤمنين .. هو لا يستقيم لئلا يدمر هكذا يتوهم :

﴿ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ (50)﴾

(سورة التوبة : الآية 50)

فالنقطة الدقيقة : **ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور** هذا استفهام إنكاري وهو من أبلغ أنواع الإنكار : **وهل نجازي إلا الكفور.**

أيها الأخوة الكرام : آية ثالثة ذكرتها لكم من قبل وهي من سورة سبأ أيضاً:

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آَمِنِينَ (18) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (19) ﴾

فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا : أيام تذهب إلى بلد تقول العمار متصل ، الآن انتقل مثلاً من شتورا إلى بيروت العمار متصل المحلات متصلة . في بلاد يعني غنية جداً لا يجد حدود بين المدن والقرى إطلاقاً، كلها خدمات ومحلات وفنادق ومحلات جميلة ووكالات وأبنية فخمة وفلل وطرقات معبدة كل شيء فيها ..ليس هناك مباعدة بين الأسفار .. طيب أيعقل أن يعيش شعب في رخاء كبير وفي بحبوحة وبلاده كلها خضراء وكلها ينابيع وكلها أنهار وكلها بيوت ولا يوجد سفر إذا الإنسان ماشي في طريق كله أبنية وكله محلات وكله مطاعم وكله خدمات ، أينما كان يوجد هاتف ، أينما كان يوجد مشفى ، أينما كان صيدلية .. هذا لا يعد سفر.

وقالوا ربنا باعد بين أسفارنا : يعني يا ربي دمرنا ، يا ربي هدم بيوتنا ، يا ربي امحق أمطارنا ، يا ربي يعني غيّر هذا الحال الرائع هذا شيء غير معقول لا يقوله عاقل . أي عاقل يقول يا ربي دمرني يا ربي أفقرني اجعل بيتي خراباً اجعل بستاني يابساً .. من يقول هذا الكلام . إلا أن بعض المفسرين قالوا :

الذي يعصي الله عزّ وجل جهاراً ولا يفكر أن يتوب إلى الله ، الذي يقيم على معاصي الله ، لسان حاله يقول يا ربي دمرني . يعني الآن واحد يدخن .. سمع أول درس وثاني درس وقرأ كتاب وسمع شريط وسمع بالخطبة والناس نصحوه أنه الدخان يسبب الجلطة ، النيكوتين بالدخان له فعل مفرز الكظر تماماً يضيق الشرايين يزيد لزوجة الدم ...إلى أخره موضوع طويل لن نعيده . فالنتيجة حتمية للمدخن أنه على وشك أن يصاب بجلطة ، طيب إذا واحد دخن بالنهار علبتين ماذا يقول لسان حاله ..؟.. يا رب أمرضني ..أنا آخذ بأسباب المرض ، هو يقول هكذا يا ربي أنا أفعل أسباب المرض أمرضني . طيب إنسان ماشي على الـ 180 والطريق غير واضح وفي ضباب مثلاً أحياناً الإنسان يسافر يقول لك أريد أن أصل بسرعة قد لاتصل هذا ، الذي يسرع كأنه يقول يا ربي دمرني ، هذا الذي يزني كأنه يقول يا ربي اجعل أهلي ينحرفون . كل إنسان يفعل معصية جهاراً لسان حاله يقول يا ربي دمرني. **ربنا باعد بين أسفارنا :** وقد باعد بين أسفارهم وقد محق البركة في حياتهم وقد أذهب كل الخير الذي كانوا فيه إذا إنسان في بحبوحة في عز في مكانة ليحافظ عليها بطاعة الله أيام أنا يحلو لي أن أفسر تفسير مختصر. آية كريمة أفسرها لكم بكلمات باللغة الدارجة

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾

(سورة الرعد : من الآية 11)

إذا كنت في بحبوحة وفي صحة وفي مكانة لا تغير فلا يغير ، وإذا كنت في ضائقة وفي مشكلة وفي مصيبة " غير فسيغير " أبداً .. " لا تغير ما بيغير " غير حتى يغير . إن حياتك تعجبك لا تغير ، كن متواضع كن شاكر تأدب مع الناس اجعل نفسك في خدمة الناس لا تستعلي على أحد لا تقل كلمة كبيرة لست في مستواها ، وإذا كان في ضائقة في مشكلة كبيرة الله كريم وقوي وغني لكن هذا الذي أنت فيه لحكمة بالغة " غير فسيغير " .

ذلك جزيناهم بكفرهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ، أيام تجد تاجر ملئ السمع والبصر ، تاجر كبير مكانة ورفاه ومكاتب وسيارات يعني.. وألفين مليون ، ألف مليون هكذا أسمع أحياناً ..أرقام لا أصدقها والله يموت في ثواني . قال له معك ساعتين لتكون في اللاذقية عنده تخليص بضاعة . بعد 10دقائق كان منته .. **فجعلناهم أحاديث .**

الإنسان يكون شخص فيصبح خبر ، يكون شخص فيصبح نعوة على الحائط ، يكون شخص فيصبح قصة ، لذلك من الأدعية التي تأثرت بها : يا ربي لا تجعلني عبرة لأحد من خلقك ، يا ربي أعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك ، أعوذ بك أحد أسعد بما علمتني مني ، أعوذ بك قولاً فيه رضاك لا ألتمس به أحداً سواك .

آخر آية من سور سبأ :

﴿ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (25) ﴾

دققوا في أدب الحوار بين أهل الدين ومع الكفار : **قل** – يا محمد لهم – **لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون** . معقول ... النبي مجرم ... وهؤلاء الكفار المجرمون يعملون !! ... أنت قد تقول لِمَ لم يقل لا تسألون عما نعمل ولا نُسأل عما تجرمون . ماذا قال النبي .. ماذا أُمر أن يقول .. **قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون** : يعني أنت إذا كنت تريد أن تخاطب إنسان .. لا يمكن أن تقنعه وأنت مستعل عليه ، لا يمكن أن تقنعه وأنت فوقه، لا يمكن أن تقنعه وأنت تملي عليه ، أما إذا أنت تواضعت له وجعلت مبدئياً نفسك وهو نداً لند بإمكانك أن تقنعه ، بإمكانك أن تؤثر فيه ، أما إذا استعليت عليه انتهى . لن يخضع لك .. قضية تحدي تصبح ... إن كنت حريصاً على هدايته تواضع له، أما إذا كنت تريد أن تعرض عضلاتك أمامه استعلى عليه ائته من مكان عالٍ ، أما الإنسان أحياناً حينما يخاطب أهل الدنيا عليه أن لا يبدو أمامهم مستكبراً متعالياً .. عندئذٍ لا يعبئون بكلامه : **قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون** .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (35 – 59) : مشاهد من يوم القيامة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها الأخوة : في سورة الصافات آية تمثل مشهداً من مشاهد يوم القيامة :

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (50) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (51) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (52) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَدِينُونَ (53) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (54) فَاطَّلَعَ فَرَآَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (55) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (56) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (57) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (58) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (59) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (60) ﴾

العبرة أيها الأخوة لمن يضحك آخراً ، الدنيا قد تأتي وقد تقبل ولكن العبرة لمن يضحك آخراً . يقول الله عزّ وجل :

﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128) ﴾

(سورة القصص : من الآية 83)

الإنسان يولد وهو يبكي وكل من حوله يضحك فرحاً به، حينما يموت كل من حوله يبكي فإذا كان موفقاً يضحك وحده ... اجهد أن تضحك عند لقاء الله عزّ وجل .

أحد الصحابة الكرام اسمه سعد بن الربيع تفقده النبي عليه الصلاة والسلام فأرسل من يبحث عنه في ساحة المعركة ، أرسل أحد أصحابه الكرام إلى ساحة المعركة فعثر عليه ، قال يا سعد لقد أمرني رسول الله أن أتفقدك أأنت بين الأحياء أم بين الأموات ، يعني ما حالتك ..؟.. قال أنا بين الأموات ، أقرئ رسول الله مني السلام وقل له جزاك الله خير ما جزى الله نبياً عن أمته وقل لأصحابه لا عذر لكم إذا خُلص لنبيكم وفيكم عين تطرف .

أيها الأخوة : الشيء المدهش أنك إذا قرأت سيرة أصحاب رسول الله تعجب أشد العجب إنهم جميعاً في أسعد لحظات حياتهم حينما يلقوا ربهم . يعني .. لنجهد أن نضحك حينما نلقى الله عزّ وجل . للمؤمن فرحتان فرحة يوم يفطر وفرحة يوم يلقى الله .

إنه كان لي قرين يقول أأنك لمن المصدقين : يعني بالتعبير الدارج "أنت قابض الصلاة، مصدق " .

هؤلاء المشككون : **أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون** ، سنحاسب عن أعمالنا .

إخواننا الكرام : هل تصدقوا أن إنساناً يعتدي على الناس ويأخذ ما ليس له ويتحرك حركة عشوائية هل يمكن لهذا الإنسان أن يوقن يقيناً حقيقياً أن هناك حساب ؟ أبداً ... ما من المسلمين مسلم يستطيع أن ينكر الدار الآخرة . لكن والله معظم المسلمين ليست داخلة في حساباتهم إطلاقاً وكأنهم غير مؤمنين به.
قلت لكم في دروس سابقة .... الحياة مبنية على بذل الجهد:

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ (6) ﴾

(سورة الإنشقاق : الآية 6)

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (4) ﴾

(سورة البلد : الآية 4)

.. يعني حياته سلسلة مشقات إلا أن الآخرة دار جزاء أي شيء يخطر في بالك تجده أمامك _أنت الآن لو أردت أن تعرف حال صديق لك في حلب لابد من أن تزوره ، لابد من أن تنتقل من دمشق إلى حلب لكنك إن أردت أن تعرف أحد الناس في الجنة أم في النار يكفي أن يأتيك خاطر فإذا هو أمامك **فاطلع فرآه في سواء الجحيم** : لما الإنسان يطل على النار ، وإن منكم إلا واردها يطل عليها دون أن يدخلها ودون أن يتأذى بوهجها . يعرف قيمة إيمانه وكيف أن الله سبحانه وتعالى امتن عليه بالإيمان : **فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال تا لله إن كدت لتردينِ** – كدت أهلك معك – **ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين أفما نحن بميتين** – استفهام إنكاري – **إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين**
اسمع الآية .. اسمع أيها الأخ الكريم : **إن هذا** : يعني أن تكون في الجنة وأن تزحزح عن النار ، أن تنعم بجنات من تحتها الأنهار أن تنعم بالحور العين ، أن تنعم بالنظر إلى وجه الله الكريم ، أن تنعم بأعلى شيء في الجنة وهو رضوان الله . أن تكون في جنة الخلد إلى أبد الآبدين هذا هو الفوز العظيم ، يوجد بالحياة مليون نجاح .... مليون نجاح . يوجد نجاح بالفن يقول لك نجم ، نجاح بالمال يقول لك ملك الذهب ملك الحديد يوجد نجاح بالمناصب يقول لك أعلى منصب بالعالم ، يوجد نجاح بالمتع وهبّ حظوظ كثيرة . أما ربنا عزّ وجل خالقنا ومربينا يقول : **إن هذا لهو الفوز العظيم** .
لذلك أيها الأخوة :

﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (61) ﴾

صدقوني ما منا واحد إلا وله عمل ... له عمل ... حركته بالحياة من حين يستيقظ إلى أن يؤوي إلى فراشه، ماذا فعل ..؟.. ذهب إلى دكانه ، إلى مكتبه ، إلى متجره ، عقد صفقة ، استفهم تابع معاملة ، مجمل هذا العمل ماذا تريد منه .. ؟ .. المؤمن يبتغي وجه الله .. المؤمن أعماله كلها منسجمة مع هدفه .. المؤمن أية حركة وأية سكنة تحسب له عملاً صالح ... تحسب له عملاً صالحاً : **إن هذا لهو الفوز العظيم ، لمثل هذا فليعمل العاملون .**

يعني الإنسان أحياناً يكون ذكي لكن لا يكون عاقل قد يكون ذكياً في عمله، في اختصاصه ولكن حينما يغيب عن الله ، يغيب عن الدار الآخرة لا يعد عاقلاً إطلاقاً .

في كلمة لبعض العلماء لطيفة : هو أن الاستثناء يؤكد القاعدة يعني يولد 100 ألف طفل يوجد بين أذيني قلبهم فتحة لأن الطفل الصغير وهو في رحم أمه لا يوجد له جهاز تنفس. هذه الدورة التي تذهب من الأذين إلى الرئة إلى الأذين هذه دورة معطلة في رحم الأم لذلك ربنا مرحلياً يفتح فتحة بين الأذينين ، الدم ينتقل من أذين إلى أذين أما حينما يلد الطفل .. هكذا تعلمنا في المدارس .. قال تأتي جلطة فتغلق هذه الفتحة . يولد 100 ألف طفل .. هذه الفتحة تغلق بكل 100 ألف طفل يأتي طفل تبقى هذه الفتحة مفتوحة يصاب بمرض اسمه داء الزرق يعيش إلى عشر سنوات تقريباً ثم يموت لأنه لا يستطيع أن يصعد أكثر من درجتين أو ثلاث الدم أزرق لأنه .. الدم ، حينما ينبض الأذين ليذهب الدم إلى الرئتين يوجد فتحة قريبة فيختار الطريق الأسهل ، الدم ينتقل إلى الأذين الأيمن أزرق يضخ إلى الجسم أزرق اسمه داء الزرق

رأيت مرة عملية جراحية فُتح القلب وأدخلت رقعة صغيرة إلى داخل القلب وأغلقت الفتحة بين الأذنين . طيب هذا الطفل الذي يولد من بين عشرة آلاف طفل فتحة أذينية ليست مغلقة .. ما الحكمة ... هذا استثناء من أجل أن تلتفت إلى القاعدة . طبعاً ليست على حساب هذا الطفل .. لحكمة بالغة أراد الله له ذلك ولو كُشف الغطاء لاختار الواقع ولكن هذا الاستثناء يؤكد القاعدة .

واحد عنده بقرة مذللة ، الطفل يحلبها والمرأة تحلبها لا يخاف أحد منها . هذا التذليل يعني لم يخطر في بال إنسان أن يسأل عنه من الذي ذللها . العقرب غير مذلل . العقرب صغير وزنه 50 غرام غير مذلل. أما هذه 600 كيلو وزنها مذللة . الجمل مذلل ، الأفعى غير مذللة الإنسان إذا رأى أفعى يقفز من شدة الخوف ، الأفعى غير مذللة ، العقرب غير مذلل، بينما هناك حيوانات كبيرة جداً مذللة طيب حينما تجن بقرة وتقتل رجلاً ورجلين وثلاث ولا يجد صاحبها بداً من أن يطلق عليها رصاصة يقتلها وثمنها سبعين ألف .. هذا الجنون الذي أصاب البقرة ما حكمته ..؟. كي نلتفت إلى القاعدة . الاستثناءات الطارئة

هدفها تأكيد القاعدة لأنه الإنسان أحياناً في غمرة الحياة لا ينتبه لهذه النعم فالإنسان الشاكر يعرفها وهي موجودة أما الأقل شكر لا يعرفها إلا حين فقدها .

من هنا قال عليه الصلاة والسلام :

//اللهم أرنا نعمك بوفرتها لا بزوالها //

بوفرتها . وإخواننا الكرام إذا الواحد شكر الله عز وجل . يعني واحد دخل ليقضي حاجة أفرغ المثانة ببساطة لا في حصر ولا في فشل كلوي لا في ضعف .. هذه نعمة لا تعدلها نعمة . كان عليه الصلاة والسلام يقول: الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني أبقى لي ما ينفعني . لو أن البول عاد إلى الأوعية أصبح هناك تسمم .

إذاً كما قال الله تعالى في سورة يس :

﴿ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (72) ﴾

.. دقق .. إما أن تقدر نعمة التذليل أو تجن البقرة يعني الخبر الذي قرأته مرة أنه تم إعدام عشرين مليون رأس غنم في أستراليا بالرصاص وحفرت لها قبور كبيرة جداً دفنت بها للحفاظ على أسعار اللحم في العالم . بينما شعوب تعاني من الجوع الصومال ، بنغلادش تعاني معاناة شديدة . مرة ثانية في إنكلترا مضطرون إلى إحراق 11 مليون بقرة ثمنها 33 مليار جنيه إسترليني . فعندما الإنسان لا يشكر نعمة تذليل البقر فيجن البقر وكل نعمة لا تلتفت إليها ، الله ﷻ يريد أن يعرفك بها ... تفقدها وأصعب شيء أيها الأخوة .. السلب بعد العطاء .

إذا الإنسان تحرك من محله إلى بيته يتكلم مع صديق حديث عميق وذو شجون ويمشي في الطريق من دون تفكير . يوجد عند الإنسان مركز قيادة آلي ... أيام الطائرات بعد أن تحلق في أجواء السماء توضع على القيادة الآلية ... الطيار ليس له عمل أبداً .. إطلاقاً .. يقوم من مكانه ويتجول مع الركاب .. الطائرة مبرمجة 200 كم بهذه الزاوية والارتفاع ثم انحراف ثلاثين درجة ثم الهبوط إلى المستوى الفلاني كله يتم بشكل آلي . وربنا عزّ وجل من رحمته بنا أعطانا مركز قيادة آلي . أيام واحد يحلق صباحاً من دون تفكير يقود مركبته من دون تفكير يقوم بأعماله اليومية من دون تفكير التفكير موفر لأشياء أهم من ذلك هذه القيادة الآلية .. يوجد ذاكرة .. تصعد إلى منزلك من دون تفكير من شارع إلى شارع إلى شارع أيام الإنسان يفقد ذاكرته .. أيضاً هذا الاستثناء من أجل تأكيد القاعدة ، قال في سورة يس :

﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيّاً وَلَا يَرْجِعُونَ (67) ﴾

أعرف أخ عندنا هنا صلى مرات كثيرة له معمل في حوش بلاس خرج منه فلم يعرف أين منزله .. بقي في الطرقات ساعات طويلة .. تذكر بيت ابنه في الجسر ذهب إليه قال له يا بني أين بيتي أنا ..؟ .. إنسان آخر جاءه الذهل من أمريكا قال له من أنت ... قال : **ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون** . تتذكر أولادك تتذكر أصدقائك ، تتذكر إخوانك .. يمكن على الهاتف الذي أخبرك تقول فلان أعرفك من صوتك . ذاكرة شمية، ذاكرة سمعية، ذاكرة صوتية في الذهن . فهذه نعم عظمى ...

الشيء الثاني :

﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ (68) ﴾

تضعف ذاكرته يعيد القصة 100 مرة ، يضيق خلقه ، يصبح حشري يصبح ظله ثقيل ، هذا إذا كان لم ينشأ في رحاب الإيمان . أما والله أيها الأخوة أبشروا كل إنسان أمضى شبابه في طاعة الله والله له خريف عمر متألق . أنا ذهبت إلى حلب والتقيت بأحد العلماء .. والله ما رأيت إنسان بحياتي بحالة من العز والتألق والنورانية والوقار والهيبة في التسعين من عمره .. تشتهي الكبر على هذا العالم ، "حفظناها في الصغر فحفظها الله لنا في الكبر " .

يعني من تعلم القرآن متعه الله بعقله حتى يموت ، إنسانة توضع على ديوان تربط يداها ورجلاها بأحزمة متينة قلت لابنها لماذا ؟.. قال لي لأنها إذا أطلقت يديها تخلع كل ثيابها وتأكل من غائطها ... تخلع ثيابها كلها وتأكل من غائطها ويوجد في مشفى المجانين في الرقم 6 .. يا لطيف كلهم عراة .. كل شيء يحطمونه المدفأة يحطمونها ، يوضع لهم الطعام على الأرض وينبطحون لأكله .. يعني كما خلقهم الله . إذا كان العقل تعطل ... فلذلك .. **ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا تعقلون** . لكن صدقوني المؤمن معافى . رحمة الله بالمؤمن كبيرة هذا الذي أمضى شبابه في طاعة الله 96 سنة نظره حاد وسمعه مرهف وأسنانه في فمه والله سألت أحد إخواننا أطباء الأسنان يعني مر معك مريض لم يغير سن ولم يحشّي سن .. قال لي والدي عمره 85 سنة ولا يوجد عنده ولا سن مُحشّى كله كامل لكن ورع جداً كان . قال : " يا بني حفظناها في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر " . من عاش تقياً عاش قوياً .

مرة زرت والد صديقي قال لي أنا عمري 96 سنة عملت الفحوصات ولا يوجد أي شيء والحمد لله كل شيء طبيعي . تجده الآن في الـ 45 معطوب ، 96 أجرى فحوصات تامة مرة قال لي والله لم آكل قرش حرام بحياتي ولا أعرف الحرام ... كلمتين ... ما أكلت قرش واحد حرام ولا عرفت الحرام . هذه الطاعة

في الشباب لها نتائج باهرة في الشيخوخة والعبرة في الشيخوخة .. الإنسان يكون في مكانته . يعني .. أعرف رجل إبتز أموال الناس بشكل لاأخلاقي وشيد أجمل بناء في أرقى أحياء دمشق والبناء موجود الآن، نوافذه مزخرفة .. حجر مزخرف .. هذه القصة في الثلاثينات لم يوجد غيرها مطلة على الشام بعد أن شيد البناء بشهرين أصيب بفالج زوجته وضعته بالطابق الأرضي .. تأتي الخادمة وتعطيه الطعام يسألها أين سيدتك .. تقول له والله قلت لها ولكن هي لا تأتي . تغيب عنه يومين ثلاث أربع ثم تأتي وتخانقه .. ماذا تريد من الخانم " تضرب أنت والخانم ما عم تاكل .." هذا الذي شيد لهم البناء وتعب فيهم ... أنه لم يكن مستقيم في حياته ، ثم اقترحت أن تضعه في منزل بعيد عن بنايته بسبب الروائح .... الله كبير ..." مهما قلت كبير .. لا تشبع منها .. كبير " خليك مستقيم وتواضع وأطع ربك وأنت شاب حتى يحفظك وأنت شيخ ... كثير يوجد شيخوخة رائعة. في إنسان تجد في الثمانين .. التسعين . مرة زرت واحد من المعمرين .. العمر 95 قال لي الحمد لله صحتي على قد عمري ممتازة .. يعني بالنسبة لعمري ممتازة . أحد شيوخ الأزهر عاش 130سنة **ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا تعقلون**. أما من تعلم القرآن متعه الله بعقله حتى يموت .

إخواننا الكرام : العضو الذي يعمل لا يضمر ... كل إنسان يصلي ، يقرأ القرآن ، يعمل ذهنه دائماً .

أخي ما تدفع من مالك صدقة .. أخي الله رازق العباد . أنا لست موكل بالعباد .. لهم رب يرزقهم هذا كلام الكفار :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (47) ﴾

أنت مستخلف في هذا المال .. هذا المال يدك عليه يد الأمانة بعدين إخواننا الكرام .. لا تصدق إنسان يعمل عمل صالح يبتغي به وجه الله ويخلص في طاعته لله إلا ويتلقى إكرام من الله لا يوصف في الدنيا قبل الآخرة . يتلقى إكرام واضح جداً ويحفظه الله ويوفقه لابد من رد إلهي ... يعني أنت أيام تدفع عن إنسان في سيارة طول الطريق يشكرك : "غلبت حالك .. خجلتنا " هي كلها ثلاث ليرات .. يثني عليك طوال الطريق . الذي منحك نعمة الوجود ونعمة الهدى ونعمة الإمداد ألا يستحق أن تشكره ......

والحمد لله رب العالمين

الدرس (36 - 59) : الكرب العظيم ..؟

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أيها الأخوة الكرام : أحياناً يصف الإنسان الشيء بطريقة وصفية أو بطريقة كمية . يعني .. إذا قلت لإنسان معي مائة ألف ليرة .. هذا وصف كمي رياضي أو تقول معي مبلغ كبير هذا تعبير وصفي وصفت هذا المبلغ بأنه كبير ، لو أن الوصف رياضي كمي ليس هناك خلاف إطلاقاً أما إذا كان تحديد وصفي مبلغ كبير .. كم تقدر هذا المبلغ . الآن لو أن طفلاً صغيراً قال معي مبلغ كبير ولو لو أن أحد أغنياء العالم قال معي مبلغ كبير ... العبارة واحدة تماماً .. كم تقدر حجم الطفل الصغير المالي إذ قال معي مبلغ كبير وكم تقدر مال هذا الغني إذ قال معي مبلغ كبير . طبعاً وصف الكبير كبير ووصف الصغير صغير . لفت النظر في هذه السورة أن الله سبحانه وتعالى ذكر الكرب العظيم . من وصف هذا الكرب العظيم .. الخالق العظيم .. فإذا ربنا وخالقنا والذي بيده ملكوت كل شيء يبين أن هناك كرباً عظيماً فما هو هذا الكرب العظيم..؟.. قال الله تعالى في سورة الحج :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (2) ﴾

بناء وقع في القاهرة في أثناء الزلزال ، أسرة من زوج وزوجة وبنتين كانت تحت الأنقاض طبعاً أكثر من أربعة أيام فيما أذكر ، أضطر الزوج أن يشرب بوله عرض على زوجته أن تشرب من بولها فأبت فماتت، تصور إنسان تحت الأنقاض أربعة أيام لا يوجد طريق مهما صاح لا أحد يسمعه وسوف يموت موتاً بطيئاً إلى أن أُنقذ الزوج وهو في الرمق الأخير وقد شرب من بوله حتى بقي حياً يعني .. أنواع المصائب .. أنواع الكوارث.. أنواع الفيضانات .. إنسان راكب في باخرة في غرفة من الدرجة الأولى تغرق الباخرة إلى أن فاضت روحه كم عانى ... يعني أنا أريد أن أضرب أمثلة : عذاب الحريق عذاب الغريق .. الغرق عذاب الفقر ، عذاب حبس الحرية . الله عزّ وجل عنده عذاب عظيم فسمى هذا الكرب بأنه كرب عظيم فالآية الأولى من سورة الصافات :

﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (75) ﴾

يعني ما من مجيب أعظم من الله عز وجل .الله عزّ وجل يجيب ، أيام الإنسان ... يقول بعض الناس " العين بصيرة واليد قصيرة " أيام يكون في أب غالي جداً على أسرته يصاب بمرض خبيث من حوله يتقطعون لكنهم عاجزون عن أن يعطونه الشفاء . أما لو توجهت لله عزّ وجل كل شيء بيده .. كل شيء بيده على الإطلاق حتى نمو هذه الخلايا بيده وأحيانا تنكمش هذه الخلايا . يعني .. كنا في تعزية البارحة .. يعني إنسان في الأربعين من عمره وفي أعلى درجات النجاح في الدنيا .. في أعلى درجات النجاح وهو صالح ولا أزكي على الله أحداً لكن أصيب بمرض عضال .. من يستطيع أن ينقذه ..؟.. لا أحد . الآية الكريمة : **ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون** . فإذا كان .. يعني الإنسان بالدعاء أولاً لا يدعو إلا من يؤمن بوجوده ، في إنسان يخترع اسم من عقله ليس له وجود في الأرض .. يا فلان أنقذني ... فيكون يحتاج إلى القصير ... لا تدعو إلا من تؤمن بوجوده فإذا آمنت بوجوده لا تدعو إلا من يسمعك ممكن أن تنادي قريب لك مقيم بحلب النداء ليس له معنى .. تخاطب من ..؟.. لا تدعو إلا من تؤمن بوجوده ولا تدعو إلا من يسمعك ولا تدعو إلا من هو قادر على أن يجيبك ولا تدعو إلا من يحب أن يجيبك ... موجود يسمع قادر محب ... بالفطرة لا تدعو إلا من هو موجود ويسمع وقادر ومحب : **ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون** ، الله موجود ويسمع دعائك ويسمع تمنياتك ويعلم أحوالك ويعلم خفايا نفسك وقادر على كل شيء مهما بدا لك الشيء فوق المعقول إنسان يقع من طائرة فوق جبال الألب على ارتفاع 43 ألف قدم يهبط فوق غابة من الصنوبر يعلو أشجارها خمسة أمتار من الثلج . هذه الخمسة أمتار من الثلج مصوا الصدمة وأغصان الشجر مص الصدمة .. نزل واقفاً ... على كل شيء قدير الله عزّ وجل .

قبل خمس ست سنوات طائرة تطير من جدة إلى الباكستان فوق الخليج صار في خلل بالنافذة والطائرة كما تعلمون مضغوطة 8 أمثال إذا صار هناك خلل فهناك قوة طاردة نحو الخارج طفلان رضيعان خرجا من النافذة من بين يدي أمهما وسقطا في البحر .. في أمل ..؟.. طبعاً شيء بديهي أنهما ماتا على ارتفاع 32 ألف قدم ... المفاجأة بعد أكثر من أسبوعين تأتي برقية إلى أمهما وهي في الباكستان أن اذهبي إلى الخليج ظنت من أجل الدية ... الركاب في الطائرة مؤمنون على حياتهم ذهبت إلى الخليج فإذا هي أمام طفليها...قصة مشهورة والصحف كلها عبّرت عنها هذان الطفلان الرضيعان نزلا إلى جانب قارب صيد الصياد رأى شيء نزل من السماء فغاص وأنقذهما وأخذهما إلى المستشفى .

ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون : أنت عندما تعرف أن تجد من تدعو ... تدعو إنسان يحبك لكن ضعيف ، إنسان قوي لكن لا يحبك إنسان عاجز إنسان لا يسمع إنسان غير موجود ... الذي يدعو بوذا وهذه الآلهة المزعومة كانوا العرب بجاهليتهم إذا كانوا في صحراء وأرادوا أن يدعوا آلهتهم المزعومة يجلبون شيئاً من الحليب يجبلون به بعضاً من التراب ليصبح صنماً صغيراً يدعونه . تدعي شيء غير موجود صنعته بيمنك أو تدعو من لا يسمع أو تدعو من لا يقدر أو تدعو من لا يحب .

ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون : هو معك حاضر ناضر بيده كل شيء . قد لا تصدقون المؤمن أقوى إنسان في الأرض من أين جاءت قوته لأنه مع القوي ، المؤمن أغنى إنسان .. من أين جاء غناه لأنه مع الغني . المؤمن أحكم إنسان لأنه مع الحكيم .

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (75) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (76) ﴾

الحقيقة من أنواع الكرب أن يفاجئ الإنسان بالموت هذا الذي هو عند الناس أكبر مصيبة يفاجأ بها . يعني.. أيام الإنسان الانتقال من كل شيء إلى لاشيء فإذا إنسان سُحب من عنده الهاتف .. شيء صعب إذا كان ساكن ببيت وأُخلي منه واضطر أن يسكن في بيت صغير .. شيء صعب ... عنده مركبة وفقدها ، عنده ابن وفقده ، أما أن يخسر الإنسان كل شيء في ثانية يعني .. كل ممتلكاتك مرهونة بسيولة دمك .. سيولة كثيراً يهتموا بالمميع بعد الخمسين .. مميع الدم .. إنه احتمال تخثر الدم احتمال كبير جداً وفي أي مكان في الدماغ يعمل مشكلة .. مشكلة كبيرة. بمكان عمى ، بمكان شلل بمكان فقد ذاكرة . هذا الكرب العظيم في الدنيا فكيف كرب الآخرة ... ؟... كرب الدنيا ينتهي بالموت مهما عذبنا إنسان يموت بعدها .. ينتهي... إما كرب الآخرة لا ينتهي :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (4) ﴾

﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا (74) ﴾

(سورة طه : من الآية 74)

وهذه أصعب شيء . ميت خلص ، طيب حياة راقية جيد . لا موت ولا حياة .

في نقطة ثانية على سيدنا إبراهيم ، قال الله تعالى في سورة الصافات:

﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (88) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (89) ﴾

لم يفهم المفسرون السقم هنا المرض فسروه الافتقار إلى الله ، الإنسان بقدر بعده عن آيات الله تتضخم ذاته .

ذكر لي صديق عنده مدجنة دخل على المدجنة .. رأى ديك كبير هو لا يوجد عنده ديك ... عنده صيصان صغيرة واحد حجمه خمس أمثال فسأل أنه هذا حجم . فقال له معه مرض تضخم الشخصية مرض يصيب بعض أنواع الدجاج .. ينتفخ وينتفخ فيصبح أربع أو خمس أمثال العلاج يأتون بشفرة ويذبحون طرف جلده فينفس ، فهذا المرض يصيب البشر أيام يضخم حجمه وتضخم نفسيته تضخم شخصيته سموه بعض العلماء التأله .. في إنسان يأله نفسه أن يتأله يكبر حجمه كثير لو أنه رأى الآيات العظيمة لعاد إلى حجمه الحقيقي لعاد إلى عبوديته لعاد إلى افتقاره **فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم** ، يعني إذا فرضنا واحد عنده آلة متواضعة جداً من سنة الأربعين مصنوعة ولم يشاهد أية آلة أخرى يقول لك هذه أعظم آلة في العالم لو شاهد الآلات الحديثة الإلكترونية مع الكومبيوتر تعطي 100 كنزة بالساعة مع ألوان مع نقشات جميلة . لم أعد أقول : إن آلتي أعظم آلة بالعالم .. فالإنسان كلما اطلع يتحجم ، كلما اطلع يصغر حجمه ليكبر كبراً صحيحاً .. أنا أقول الإنسان بالعزلة يصاب بأمراض كثيرة العزلة وحدها مرض وسبب لعشرات الأمراض ... العزلة ... أما لما الإنسان يفكر بالكون يرى ضعفه .. لا يأله نفسه ليس الشرط أن تقول أنا إله لكن لأيام يتصرف وكأنه إله . يعتد بنفسه اعتداد غير مقبول وغير معقول وغير مسموح به . فسيدنا إبراهيم الآن– أنت تقول أنا لم أترك مكان ولم أزره أين ذهبت .. إلى اليابان إلى كندا إلى البرازيل طيب .. ذهبت إلى المريخ .. لا . القمر 360ألف الأرض كلها طول محيطها 40 ألف .. الأرض كلها . طيب هذا القمر بعده عنا ثانية ضوئية . ذهبت إلى الشمس .. لا .. 156 مليون كيلو متر بعد الشمس عنا 8 دقائق وصلت إلى المشتري ست سنوات المركبة تجري بسرعة 40ألف ميل بالساعة وصلت المشتري بعد ست سنوات والمشتري ضمن المجموعة الشمسية والمجموعة الشمسية قطرها الضوئي 13 ساعة ذهبت إلى أقرب نجم ملتهب .. لا . تحتاج إلى خمسين مليون سنة لكي تصل له . ذهبت إلى أبعد مجرة .. 300 ألف بليون سنة ضوئية إذا واحد فكر بالمسافات الفضائية يصغر . طيب أنا ذهبت إلى كل مكان " لم يترك محل إلا ورحت له " إلى اليابان وصلت .... كلها 16 ساعة طيران . وصلت أنت لمجرة بعدها عنا 300 ألف بليون . كل ما فكرت بالكون يصغر الإنسان يعني إن كان بجسمه إن كان بآلاء الكون إن كان بالجبال بالبحار . المحيط الهادي أعمق نقطة فيه في خليج مريانا 12 ألف متر تحت الأرض وعلى سطح قعر البحر هناك أسماك لها أرجل تمشي . طيب هناك غواصة مصنوعة من الفولاذ الصلب تعطل مرة جهاز قياس العمق

فتحطمت ...

مصنوعة من الفولاذ ضغط الماء حطمها تعطل جهاز ضغط العمق فغاص صاحب الغواصة أقل مما ينبغي فتحطمت غواصته . طيب معقول غواصة مصنّعة من الفولاذ المصفح تتحطم ..؟.. وسمكة في خليج مريانا تمشي على أرض القعر دون أن تتأذى ..؟.. الله عزّ وجل عمل توازن لها فتحات من الداخل فيها ماء من الداخل وماء من الخارج في ضغطين متكافئين .

إذا واحد لا سمح الله سمع انفجار أو كان قريب من مدفع رمضان مثلاً لازم يفتح فمه إذا فتح فمه يدخل الصوت من الفم ومن الأذن فيتوازن .. لو أغلق فمه يصاب بالصمم أحياناً . الأصوات القوية جداً تمزق غشاء الطبل . العلاج .. يفتح فمه صار في توازن . هذه السمكة التي على قعر القاع لها فتحات إلى جوفها يدخل الماء إلى جوفها لم يعد أنه ضغط يحطمها .. يوجد ضغط من الداخل وضغط من الخارج متكافئان .

إذاً : **فنظر نظرة إلى النجوم فقال إني سقيم** . كلمة راغ من سورة الصافات:

﴿ فَرَاغَ إِلَى آَلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (91) ﴾

تفضلوا كلوا كلوا . إلى الآن مئات الملايين بالعالم يعبدون بوذا إلى الآن حجر يقفون أمامه خاشعين يضعون له الفواكه في الليل ويأكلها كهان المعابد في ليله ويزعمون أنه الآلهة أكلتها أرقى أنواع الفواكه تقدم لهذه الآلهة توضع مساءً .. صباحاً أكلوها من أكلها .. الكهان أكلوها .. صنم حجر .. ، وكذلك في سورة الصافات:

﴿ فَرَاغَ إِلَى آَلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (91) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (92) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ (93) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (94) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (95) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (96) ﴾

يعني أنتم خلقكم الله عزّ وجل وهذه الحجارة التي نحتموها وجعلتموها أصنام . أرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين إذا كنت مع الله لو أراد بك خصومك كيداً يجعلهم الله مع الأسفلين .

في نقطة دقيقة في سورة الصافات :

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (100) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102)﴾

الأمر إذا اتضحت حكمته قلَّ فيه الجانب التعبدي ، أما إذا خفيت حكمته عظم فيه الجانب التعبدي ، فإن صح القول هذا الأمر بذبح ابنه أمر تعبدي يعني أحياناً تعطي أمر لأبنك توضح له العلة شيء مقنع . نظّف أسنانك لئلا تخسرها في وقت مبكر ، كلام طيب . لا تكذب لتكون ذا مكانة عالية جيد ... كل ما أعطى الأمر أعطاه العلة . أما لو قال له لا تأكل الطعام معنا ولا يوجد سبب أبداً .... لا يمتحن عقل الابن هنا يمتحن ولاؤه . العقل يمتحن والولاء يمتحن حينما قال الأب لابنه لا تأكل ، الابن جوعان والأكل طيب والأكل حلال .. ما في داعي ما آكل .. الآن لا يمتحن عقله .. يمتحن ولاؤه فإذا قال سمعاً وطاعةً يا أبت ولاؤه عالي جداً . فسيدنا إبراهيم أبو الأنبياء قيل له اذبح ابنك في المنام اذبح ابنك ... ابنه نبي . بعدين انظر ... بلغ معه السعي . أصعب شيء .. ربيت شاب حتى صار بسن يعاونك فقدته ... شيء لا يحتمل إلى أن بلغ معك السعي : **قال يا بني إني أرى أني في المنام أذبحك قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين** : قال :

﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106) ﴾

(سورة الصافات)

هذا امتحان .... لا أريد أن الإنسان يقع بالتشاؤم لكن الحقيقة المرة كما أقول دائماً أفضل من الوهم المريح . لابد من أن تبتلى ، لكن كل إنسان يبتلى على قدر إيمانه .. الله حكيم لا يحملك حمل لا تحتمله لكن دائماً كل إنسان له قوة تحمل يأتيه امتحان من الله يتناسب مع قوة تحمله ليظهر صدقه ليظهر إخلاصه ليظهر ثباته لتظهر طاعته ليظهر حبه لله عزّ وجل ، أما من دون ابتلاء لا الحب يظهر ولا الطاعة تظهر ولا الثبات يظهر ولا التضحية تظهر لا يظهر شيء. نحضر مثل : زوجين يعيشان في بيت واحد كل منهما يدعي أنه مولّه بالآخر غارق في حبه إلى قمة رأسه جيد... هذا وهم لأنه كل منهما يحقق للآخر مصلحته الكاملة . يأتي الزوج ظهراً يجد الزوجة بأبهى زينة والطعام جاهز والبيت نظيف والأولاد مرتبون فمصلحته مع زوجته ، وهي ضعيفة لها زوج ملئ السمع والبصر قوي غني محب لطيف فيوجد مصالح متبادلة .

هناك دعوة أنه أنا أحبه حباً لا حدود له وهو يقول كذلك .. الآن لو أن الزوجة أصابها مرض عضال أو بالعكس . لو أن الزوج افتقر فجأة لم يعد معه مصروف المصلحة انقطعت .. إذا في ولاء حقيقي إذا في حب حقيقي الآن يظهر . الأول لم يكن ظاهر الأول الأوراق مختلطة كل من الطرفين يحقق للآخر كل مصلحته ففي دعوة أنه أنا أفديها بروحي فلما مرض .. لا حول الله على هذا البلاء " الله يخلصنا منها " اختلف الوضع .

الدرس (37 – 59) : حسن الظن بالله ثمن الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام : كما أقول دائماً حسن الظن بالله ثمن الجنة :

﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾

(سورة الفتح : من الآية 6)

﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾

(سورة آل عمران : من الآية 154)

﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (169) ﴾

(سورة البقرة : من الآية 169)

كل هذه الآيات تؤكد أن من الهلاك أن تتحدث عن الله عزّ وجل وأنت لا تعلم ، ومن الهلاك أن تسيء الظن بالله عزّ وجل ، لذلك .. عند بعض الناس ولا أقول معظمهم تصور هو أن الله هو الذي يضل الناس .. يعني .. الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء .. ولكن مرت في سورة غافر آية تبين أن إضلال الله عزّ وجل من نوع أخر .. من نوع لصالح الإنسان :

﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (73) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (74) ﴾

(سورة غافر: الآية 73)

أين هذا الذي أشركتموه معي .؟

من دون الله قالوا : ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً

ويتابع الله ﷻ يقول :

﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (74) ﴾

(سورة غافر : الآية 74)

.. يعني .. يضل الله عباده الذين أشركوا .. يضلهم عن شركائهم :

ثم قيل لهم أين ماكنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا

ما وجدناهم .. ليسوا بشيء .. يعني أحياناً..إنسان يوهم إنسان .. يعني أنا معك هيهات لا تخف ، في أي لحظة أخبرني فيطمئن الطرف الثاني . فيقع في ورطة كبيرة جداً ، فيطلبه ولم يجده .. يتملص منه .. هذا نوع من الإضلال الإلهي الذي اعتمدت عليه وعقدت الآمال عليه لا تجده يوم القيامة ، أين

شركائكم الذين أينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لن نكن ندعو من قبل شيئاً ، .. يعني .. هذا الذي كنا ندعوه ليس بشيء لا يملك حولاً ولا طولاً ، ولا موتاً ولا حياةً ، ولا نشوراً ، ولا رزقاً ، ولا شفاءً ، ولا عطاءً ، ولا منعاً .

كذلك يضل الله الكافرين

.. يضلهم عن شركائهم .

إذاً : إذا ورد في قوله تعالى"_

يضل من يشاء"

يضلك عن الذين دعوتهم من دون الله كي تتصل بالله عزّ وجل .. هذه آية ...

في أشخاص .. يعني .. ينتظرون أن يروا مصير كل إنسان في الدنيا ، هذا الشيء لم يتح للنبي عليه الصلاة والسلام . قد تجد إنسان غير مستقيم على أمر الله وهو غني جداً ولا يعبأ بأحكام الدين وتعيش عمراً مديداً وهو في صحة جيدة وقد يموت الذي يراقبه قبل أن يرى فيه وعيد الله عزّ وجل .. ليس هناك مشكلة أبداً ، لأن الله عزّ وجل يقول في سورة غافر:

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (77) ﴾

(سورة غافر : الآية 77)

يعني .. أنت في دنيا .. الدنيا دار عمل . لن تكون دار جزاء أبداً . يعني إذا كان هناك جزاء في الدنيا، جزاء تشجيعي ، أو ردعي . الله عزّ وجل يعاقب بعض المسيئين ليردع الباقين، ويكافئ بعض المحسنين ليشجع الباقين . فالإحسان والجزاء ردعي أو تشجيعي . أما الحساب الدقيق والحساب الكامل والرصيد يوم القيامة :

﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

(سورة آل عمران : من الآية 185)

لا تنتظر أحد ، دعك من الناس ، حسبك هذا المنهج الذي أنت عليه ، حسبك انتصارا على عدوك أنه في معصية الله ، العاقبة لك وليست لغيرك .

في آية دقيقة جداً ... المشكلة أحياناً .. الإنسان يقرأ القرآن ولا يقف عند المعاني الدقيقة ، ولا يشعر بأن هذا القرآن قانون كقانون التمدد ، كيف أن كل معدن في الأرض يتمدد بالحرارة وأن الذي يقوله الله عزّ وجل واقع لا محالة ، ماذا يقول الله عزّ وجل في سورة غافر ..؟..

﴿ نَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (51) ﴾

إنا : حرف مشبه بالفعل يفيد التوقيت ، لننصر : اللام لام المزحلقة أساسها لنحن ننصر ، فلما جاء توكيدان إنا لننصر زُحلقت إلى خبرها فاللام لام التوكيد وإنا لام التوكيد .

((في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)) .. من سنة الله الثابتة أن الله ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا .

سؤال ؟. المؤمن إذا لم ينتصر ، المؤمن إذا لم يستخلف ، المؤمن إذا لم يمكّن ، المؤمن إذا لم يطمّن ، لم يستخلف ، ولم يمّكن ، ولم يطمّن ، ولم ينصر ... يجب أن نعلم علم اليقين أن هناك خللاً في عقيدتنا أو خللاً في سلوكنا ، أو خللاً في انتمائنا ، أو خللاً في ولائنا ، أو في برائنا من الشرك ولسنا جند الله عزّ وجل ولو كنا جند الله عزّ وجل لنُصرنا قطعاً لأن الله عزّ وجل يقول:

﴿ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173) ﴾

(سورة الصافات : الآية 173)

هذا كلام خالق الكون ، يعني مصداقيته مطلقة . يعني أحياناً الواحد يشك بنفسه ولا يشك بإنسان عظيم فكيف بخالق الكون ..؟.. ثم إن الله عزّ وجل يلفت نظرنا إلى آية كونية وهي قوله تعالى في سورة غافر

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (64) ﴾

يعني .. هذا البناء مبني من 300 سنة تقريباً والأرض تدور حول نفسها وحول الشمس وكل شيء مستقر، حركة مستقرة ، أحياناً تضطرب الأرض .. اضطرابها هو الزلزال .. الزلزال لا يبقي.

والزلزال وضع استثنائي يؤكد القاعدة ، دائماً الاستثناء يؤكد القاعدة : **الله الذي جعل الأرض قراراً** ، يعني .. كل شيء يستقر عليها بفعل الجاذبية ، وكل شيء مستقر عليها بفعل حركتها الساكنة .. كيف ؟. تدور .. لا يوجد مركبة بالأرض .. لا طائرة ولا سيارة ولا قطار ولا باخرة إلا وفيها اهتزاز أبداً .. أرقى أنواع الطائرات .. في اهتزاز .. أرقى أنواع السيارات ، أرقى أنواع البواخر أما الأرض تدور حول نفسها .. سرعتها حول الشمس 30 كم/ثا . حول نفسها 1600 كم ... يعني نركب طائرات نفاثة وسريعة جداً يبلغونا أنه 800 كم، 950 أعلى سرعة للطائرات المدنية ، الكونكورد سرعتها فوق سرعة الصوت لكن لم تصل إلى 1600 .. الأرض تدور حول نفسها بسرعة 1600 كم . لو أن الغلاف الهوائي منفصل عن الأرض لكان من دورتها أعاصير سرعتها 1600 كم كلكم يعلم على 200 / 300 تهدم الأبنية . على الـ 800 إعصار لا يبقي ولا يذهب .

إذاً : **الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً** : الأشياء تستقر عليها بفعل الجاذبية وهي متحركة ساكنة بوقت واحد هذا التوازن الحركي في أعلى درجات العلم ، يعني .. ممكن ساعة " بيغ بن " أن تقصّر بالسنة نصف ثانية طيب كيف عرفنا أنها قصّرت .. من حركة نجم . حركة نجم يقطع مليارات الكيلومترات في عام يرصد بزاوية محددة جداً تضبط أدق ساعة في العالم على حركة النجم .. هذا خلق الله عزّ وجل .

بالزمر .. بأواخر الزمر :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (54) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (55) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (56) ﴾

بآية

﴿ نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم(49) وأن عذابي هو العذاب الأليم(50) ﴾

(سورة الحجر)

... هنا .. **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون** . . يعني .. فرصة محدودة لمغفرة الله عزّ وجل : **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم** : أسرفوا في المعاصي، **لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً** : يعني إذا رجعتم وإذا أنبتم وإذا أقلعتم وإذا أصلحتم وإذا عزمتم وإذا تبتم .. أما إذا أصررتم وثابرتم على المعصية : **من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون** .. يعني .. وإذا أراد الله بقوم سوءً فلا مرد له ، كل الاتصالات تقطع ، كل الأعوان يتفرقون ، كل من وعدك أن يعاونك يتخلى عنك ، من أجل أن ينجح العلاج : **وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرة على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين** . .. يعني .. الإنسان ليستغل هذه الفرصة ولاسيما في رمضان شهر العتق من النار ، شهر المغفرة، شهر التوبة ، شهر الصلح مع الله عزّ وجل .

الآية الأخيرة من سورة الزمر:

﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (66) ﴾

مهمتك لا تزيد عن فقرتين : أن تعبد الله ، وأن تشكره ... ودع ما لا يعنيك ، ومن حسن إسلام المرء تركه لما لا يعنيه .عليك بطاعة الله والتوجه إلى الله وما سوى ذلك فاستريح منه لأن الله ما كلفك أن تحمل ما لا تطيق.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (38 – 59) : الإخلاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الآية الكريمة في سورة غافر وهي قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (84) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (85) ﴾

فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده : مركز الثقل في هذه الآية كلمة: **وحده** ، **فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده** : في الدنيا هناك من يؤمن بالله وأكثر الخلق يؤمنون بالله عزّ وجل ولكن يؤمنون أيضاً أن في الأرض قوى تعطي وتمنع ترفع وتخفض .. وهذا هو الشرك أما يوم القيامة : **آمنا بالله وحده** ، يؤكد هذا المعنى قوله تعالى :

﴿ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (53) ﴾

(سورة شورى : من الآية 53)

وقد يسأل سائل بيد من كانت حتى صارت إلى الله ..؟.. هي بيد الله دائماً ولم تكن لتكون لغير الله عزّ وجل ولكن رؤية أهل الدنيا القاصرة تجعلهم يرون شركاء مع الله عزّ وجل .. من هنا يأتي النفاق ، من هنا يأتي الخوف ، من هنا يأتي الوجل ، من هنا يأتي التدليس ، رأوا أن بعض الأشخاص يعطون أو يمنعون ، يرفعون أو يخفضون رضاهم جنة وغضبهم نار . يوم القيامة : **فلما رأوا بأسنا قالوا** – طبعاً في الدنيا – **آمنا بالله وحده** . المؤمن هذه رؤيته وهو في الدنيا المؤمن الحق لا يرى مع الله أحداً ، المنافق يرى لله شركاء .

أيها الأخوة :

هناك محسوسات وهناك مدركات بالحواس الظاهرة يرى أقوياء يفعلون ، يعطون ، يمنعون ، يرفعون ، يخفضون ، ولكن إذا ألقى الله في قلب المؤمن النور من خلال اتصاله بالله ومحصلة إيمانه واستقامته وإقباله تنتهي بالتوحيد .. والتوحيد أن لا ترى مع الله أحدا ..

لذلك .. في بعض الآيات الكريمة :

﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾

(سورة البقرة : من الآية 165)

الإنسان يحب الجمال ، ويحب الكمال ، ويحب النوال . فإذا جاءه خير من إنسان أحبه وإذا تمتع إنسان بنصيب وافر من الكمال يحبه وإذا كان على مستوى رفيع من الجمال يحبه ... لكن المؤمن يرى أن الله مصدر كل كمال ، ويرى أن الإقبال عليه هو الجمال ، ويرى المؤمن وهو في الدنيا أن الذي أحسن إليه الإحسان المطلق هو الله .. لذلك قلب المؤمن متعلق بالله يحبهم ويحبونه .. الحب متعلق بالكمال وبالجمال وبالنوال . قوة الجمال ، وقوة العطاء ، وقوة الكمال لله عزّ وجل ... هو الدين كله توحيد .

إذاً : **فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين** . الله عزّ وجل يقول في بعض الآيات :

﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾

(سورة التوبة : من الآية 40)

لو الإنسان قال وكلمةَ الله هي العليا .. عطف عطفاً ساذجاً وقع في المعنى الفاسد :

وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمةُ الله هي العليا .

دائما . أمره نافذ . هذا الفرق الدقيق بين المؤمن وغير المؤمن . المؤمن يؤمن أن الله وحده بيده كل شيء لذلك لا يرهب أحداً رهبة تحمله على المعصية ، لا يرهب أحداً رهبة تحمله على أن ينسحق ، على أن تخور قواه . يرى أن الله بيده كل شيء .

فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين . إلا أنه المشكلة أن هذا الإيمان الذي يأتي مع الشدة لا قيمة له ، هذا الإيمان سيحصل لمخلوق كائناً من كان : **فلم يكن ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون .**

أيها الأخوة : آية دقيقة جداً يقول الله عزّ وجل

﴿ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ ﴾

(سورة فصلت : من الآية 6)

حروف الجر التي تأتي بعد الأفعال لها معنى كبير ، بل إن لها المعنى الحاسم :

﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾

(سورة البقرة : من الآية 130)

.. رغب في الشيء معنى ، ورغب عن الشيء معنى آخر . رغب في الشيء أحبه وأقبل عليه ، أما رغب عنه : كرهه وانصرف عنه الحاسم في المعنى كلمة فيه وعنه . هنا فاستقيموا إليه .. إلى تفيد انتهاء الغاية، استقامتك ينبغي أن تنتهي بك إلى الله . أما هناك استقامة ليست لله : قد تستقيم خوفاً من عقاب أليم في الدنيا ، قد تستقيم خوفاً من إنسان .. فهذه الاستقامة التي كان باعثها الشرك لا تنتهي بك

إلى الله تنتهي بك إلى غير الله . لذلك الإنسان عليه أن يدقق في نواياه والنية أصل العمل ، بل إن العمل الصالح منوط بنيته ، بل إن قمة العمل الصالح محصورة قطعاً بنيته لذلك ... من حكمة الله عزّ وجل أن بعض القوانين تتفق مع الشرائع السماوية ، هذا الاتفاق يجعل تنفيذ بعض الأوامر الإلهية قد يكون بسبب خوف من القانون ، القانون يعاقب على السرقة ، والإسلام حرّم السرقة ، فالذي لا يسرق لا ندري ما الذي حمله على ألا يسرق ، خوفه من الله أم خوفه من القانون . شاءت حكمة الله أن تتوافق بعض الأوامر والنواهي مع تشريع الإنسان . ففي هذه الحالة لا يعلم إلا الله نية هذه الاستقامة .. يا ترى يستقيم خوفاً من هذه الفضيحة ..؟.. أم خوفاً من عقاب القانون ..؟.. أم خوفاً من بطش القوي ..؟.. أم يستقيم تقرباً إلى الله العليّ القدير ... هذا لا يعلمه إلا الله ، ولكن هناك حالات خاصة ، هناك أوامر إلهية ينفرد بها الدين ، والقانون لا يعاقب عليها ، هذه الأوامر أوامر التعبد أوامر الإخلاص ، منها الصيام ، إذا الإنسان دخل إلى بيته ودخل إلى المطبخ وفتح الثلاجة وتناول طعاماً .. ليس في الأرض من يراقبه إلا الله ... بيته والباب مغلق .. إذا دخل إلى الحمام وشرب من صنبور بارد ..لا أحد يعلمه إلا الله .. فالصيام عبادة الإخلاص ، وغض البصر عبادة الإخلاص ، الأشياء التي لا يعاقب عليها القانون إطلاقاً لكن الشرع يأمر بها هذه عبادة هي العبادة التي يريدها الله عزّ وجل ... أحياناً الإنسان يكون عليه مبلغ من المال يدفعه .. يقول لك أنا أمين ، أدفع كل ما يتوجب عليّ لو أن الذي أعطاك هذا المبلغ كتب عليك سنداً وبإمكانه أن يطالبك ، وبإمكانه أن يثير حولك ضجة كبيرة ، وبإمكانه أن يقاضيك أمام القاضي ، فأداء هذا المبلغ لعله خوف من صاحب الدين .. أما حينما لا تكون في الأرض مداناً إطلاقاً وتؤدي ما عليك .. هذه الأمانة التي أرادها الله عزّ وجل .

يعني الأخلاق الفاضلة لا يشوبها شائبة .. أيام الإنسان يبتغي السمعة ، يبتغي الرفعة ، يبتغي أن يكون عند الناس موفور الكرامة يبتغي أن يكون طيب الذكر .. هذا الاستقامة لاتصل بك إلى الله ... وهذا الذي قاله النبي عليه الصلاة والسلام :

//أنه لايأتي الإنسان يوم القيامة علم العلم يقول يا ربي علمت العلم يقال : علمت ليقال عنك عالم وقد قيل .. خذوه إلى النار .... هذا قاتل ليقال عنه شجاع وقد قيل خذوه إلى النار .... هذا قرأ القرآن ليقال عنه قارئ وقد قيل خذوه إلى النار . .. //

المشكلة تحرير النية من الشوائب .. طبعاً نحنا أول الأمر نطمح للإنسان أن يستقيم ، إذا استقام .. نطالبه بتحرير نيته ، الإنسان يمر بمراحل عديدة يكون تائه ، شارد ، غافل عن الله عزّ وجل . طموحنا أن يستقيم على أمر الله ، حين يستقيم نطالبه بتحرير نيته التي هي أصل العمل ... لذلك .. التفكر ،

والاتصـال بـالله ، والأعمـال الصـالحة وتعلـم القـرآن ... مجمـل هـذه النشـاطات تنتهـي بالإنسـان إلـى التوحيد..والتوحيد أساس الإخلاص .

يعني .. أحياناً ببعض السيارات نجد أحياناً عدادين يتحركان معاً واحد للسرعة والثاني لدورة المحرك . المنظر لطيف أنه العقربان يتحركان معاً . وأنا أقول لكم إذا كان في تدريج للإخلاص والتوحيد عقرب التوحيد وعقرب الإخلاص يتحركان معاً .. يعني .. أنت مخلص بقدر ما أنت موحد ، وأنت موحد بقدر ما أنت مخلص . الدليل : أنك حينما لا ترى مع الله أحداً رؤية صحيحة يقينية لا ترجو غير الله ، أنت الآن في علاقاتك الدنيوية ، إذا لك معاملة في دائرة وفيها الدائرة 1000 موظف ولهؤلاء الموظفين مدير عام وقضيتك معقدة ، لا يمكن أن يسمح لك أن تسافر إلا بموافقة المدير العام .. لا يوجد حاجة أن تبذل ماء وجهك لإنسان من كل هؤلاء الموظفين حينما توقن أن هذا الأمر بيد واحد لا تتجه إلا إليه ولا تبذل ماء وجهك لغيره فكلما أيقنت أن الله وحده بيده كل شيء كلما وحّدت الوجهة إليه وكلما علّقت عليه الأمل وحده وخفته وحده وتوكلت عليه وحده وأعطيت له وحده ومنعت له وحده وهذا كمال الإيمان ... كمال الإيمان أن تعطي لله وأن تمنع لله وأن ترضى لله وان تسخط لله وأن تكون أعمالك كلها في سبيل الله .. يعني ... الآية كلها في كلمة : **إليّ** .. **فاستقيموا إليّ** .. يعني هذه الاستقامة يجب أن تنتهي إلى الله ، مادامت خالصة لله تنتهي إليه .

الآن .. ندخل بمعنى دقيق .. الأعمال الصالحة ، الخالصة لله عزّ وجل يرافقها شعور يغمر قلب المؤمن من أن الله يحبه وهو راضٍ عنه فسعادة المؤمن بعمل صالح مخلص واضحة . العمل إذا فيه شائبة ، إذا ابتغى فيه غير وجه الله عزّ وجل يقدم العمل ويوجد شعور بالجفاف ، شعور بالتصحر وهذا أناس كثيرون يشكون هذا الشعور .. يا أخي أنا أعمالي كثير لكن لا يوجد شعور بالسعادة ، الواحد يخاف أن يكون بهذه الحالة .. الإخلاص ضعيف لله عزّ وجل لأنه ما معنى ثواب العمل الصالح ثواب من ثاب ، ثاب أي رجع ، عمل رُفع إلى الله وحده .. يعني .. صاحبه لم يرد به الدنيا ولا السمعة ولا المديح ولا الثناء .. أراد الله وحده .. هذا العمل رُفع إلى الله ، ما الذي يعود من الله إليك ؟ السكينة ، والطمأنينة ، والرضا ، يعني شعور المؤمن أن الله راضٍ عنه هذا شعور ثمين جداً أساسه أن العمل الذي فعله المؤمن يبتغي به وجه الله ، فعاد عليه من الله هذه السكينة .. أنا أسميها تسميات عديدة .. الله عزّ وجل سماها في القرآن السكينة وهي أصح تسمية..بعضهم يقول التجلي ، بعضهم يقول الحال ، بعضهم يقول الطمأنينة ، والقرآن قال السكينة ، هذه مسميات لشيء واحد ، هذا الشيء رحمة الله .. الله عزّ وجل يرحم الإنسان الذي أخلص له .

إذاً : كل عمل صالح أخلصت فيه النية جاءك من الله من خلاله الرحمة. هذا هو الإخلاص ، أما هناك من يعمل أعمال صالحة كبيرة ولا يشعر بهذا الشعور بالقرب من الله عزّ وجل ، يعني أنا لا أقول أن هذا العمل سيئ أعوذ بالله هذا عمل طيب جداً ، لكن الإنسان عليه أن يتعاهد قلبه ، مادام مع العمل الصالح لا يوجد الشعور العالي جداً من السكينة والرحمة .. إذاً يجب أن نبحث عن شوائب هذا العمل . لأنه .. يا معاذ أخلص أخلص دينك يكفيك القليل من العمل .

أوضح مثل سيدنا زيد الخير يعني بين إسلامه وبين موته يعني يوم أو يومين فقط، جاء إلى المدينة واستمع إلى خطبة النبي، أعلن إسلامه ، ودعاه النبي الكريم إلى بيته ، قدّم له وسادة ليتكئ عليها ، قال والله ما كنت لأتكئ في حضرتك يا رسول الله أعطني ثلاثمائة فارس لأغزو به الروم .. النبي أثنى عليه وعلى أخلاقه وعلى نواياه الطيبة وغادر المدينة إلى نجد وفي الطريق توفاه الله عزّ وجل ، فالعمل بإخلاصه يعظم عند الله ، والعمل الكبير بلا إخلاص

﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً (23) ﴾

(سورة الفرقان : الآية 23) .

إذاً : كان محور الدرس اليوم الإخلاص .. الإخلاص محصلة التوحيد ، أنت مخلص بقدر ما أنت موحد وأنت موحد بقدر ما أنت مخلص نقولها أقوى : أنت مخلص بقدر ما أنت موحد . فالإنسان يراقب نفسه يعني .. أعطى عطاء .. كل ما جلس يتكلم عن العطاء ، أين ما جلس يتكلم عن فلان ، أنا عاونت فلان أن عملت فلان ... كأنك تريد أن تنتزع إعجاب الناس، مع هذا العطاء ومع هذا الإكرام لا تشعر بهذا الإقبال معناه في بالإخلاص شائبة . الآن المتباريان لا يجابان ، واحد عمل وليمة لاعتنى عناية بالغة ، الثاني أحب أن يريه التفوق عمل وليمة أكبر ، هذا التنافس في إطعام الطعام فقد معناه التعبدي ، صار موضوع كسر عين ، موضوع منافسة ، قال : المتباريات لا يجابان .. إذا كان عزيمة هدفها الاستعلاء لاتزر فيها .. يعني لا تحقق لصاحبها هدفه ، أما إذا كان دعوة لوجه الله عزّ وجل ، لبّي هذه الدعوة إنك تدعم الحق ...

إذاً : ممكن أن نستفيد .. توحد ، تخلص . قيمة العمل بإخلاصه ... الآن أربع قطع من الذهب بوزن واحد لكن واحدة عيار 24.18.16.11 بعدين نحاس مطلي ذهب بعدين نحاس ملمع بالوزن : الوزن واحد والشكل واحد . الصياغة واحدة والزخارف واحدة ، الأولى غالية كثير عيار 24، يعني إذا كان الإخلاص شبهناه بعيار الذهب بالقطعة فالإخلاص عيار 24، في عيار 11 ، في عيار 8 ، في نحاس مطلي بالذهب ، في نحاس ملمع ، فالعمل الصالح قيمته بإخلاصه ، الإخلاص قيمته بالتوحيد .

يعني بالاقتصاد العلماء يقولون : سعر العملة يلخص اقتصاد أمة يعني إذا أمة يوجد عندها إنتاج صناعي مزدهر ولها أسواق في أكثر الدول ، ويوجد عندها ثروات باطنية وعندها كفاءات علمية عالية فهذه الدولة سعر عملتها عالي .. أنتم تلاحظون إذا صار هناك في حروب .. يكون الدينار فرضاً ثمنه 200 ليرة فيصبح ربع ليرة .. سعر العملة يتناسب مع الاقتصاد ، مع تماسك الأمة ، مع قوتها ، مع ثرواتها الباطنية مع تقدمها ، ملخص تقدم الأمة بسعر عملتها ، أيضا ملخص نشاطك الديني كله ، تفكرك مع استقامتك مع عملك الصالح مع طلبك للعلم مع كل النشاط الديني يلخصه نية المؤمن لدرجة أن المؤمن إذا مارس النشاطات العادية ، الأم الناس كلهم .. الشام فيها خمس ملايين أو ستة .. في النهار ست ملايين إنسان يأكلون ويشربون وينامون ويعملون ويستجمون أحياناً ويسهرون ويلتقون ويدعون بعضهم بعضاً في نشاط موحد .. أكل ، شرب نام ، عمل ، ذهب بنزهة ، هذه الأشياء المألوفة تغدو عند المؤمن عبادات بالنوايا الطيبة .. المباحات ..تناول الطعام ، اشترى بذة ، جاء العيد لبس لباس أنيق ، عايد الناس ، الأعمال المألوفة ، المباحة التي يفعلها الناس جميعاً في العالم كله ، المؤمن وحده تكتب له أعمال صالحة .. أبداً .. نواياه طيبة لأنه .. يمثل الدين المؤمن ، فإذا كان مظهره لائق فهذا المظهر اللائق يقوي مركزه في المجتمع، إذا جلس مع أولاده ليؤنسهم .. هذه الجلسة تعد عند الله عبادة ، إذا خدم أهله .. هذه الخدمة تعد عبادة ، إذا أقام نزهة لأولاده .. تعد عبادة .

انتبه الآن .. الأعمال الصالحة التي يفعلها الناس من دون نوايا طيبة تغدو آثاماً ، عمل صالح لكن همه السمعة ، همه الجاه ، فالأعمال الصالحة بغير النوايا الطيبة تنقلب إلى أعمال سيئة ، والأعمال الطبيعية المباحة تنقلب إلى أعمال صالحة .

يعني .. ما قولك أنه الإنسان مثلاً .. يحسّن نيته ، كل شيء يفعله يكتب له عمل صالح يعني لو فرضنا كل هذه القطع التي أمامه أصبحت 24 ، القطعة واحدة متفاوتة في نسبة الذهب فيها لو في عنا جهاز سحري يجعل كل هذه القطع بمعدل واحد من الذهب ..ارتفعت قيمتها .. فتجد شخصاً عمله قليل لكن مقامه عند الله كبير ، وشخص عمله كبير ومقامه عند الله صغير .. السبب هو النية .. والنية علاقتها بالتوحيد .. والتوحيد أساس الدين .. أكبر وهم عند الناس أنه أنا مؤمن بالله ، إيمانك بأن الله خلق الكون لا يقدّم ولا يؤّخر وهذا الإيمان قاسم مشترك بين كل الناس لكن مدى إيمانك بأن الله بيده كل شيء عندئذٍ لا تتجه إلا إليه ولا تعلق الأمل إلا عليه ولا ترجو إلا ما عنده ولا تخاف إلا من عقابه ولا تخشى إلا منه . الدعاء : " اللهم إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الذل إلا لك ، ومن الفقر إلا إليك " .

يمكن هذا الذي رد أوروبا بأكملها يمكن صلاح الدين سيدنا نور الدين الشهيد قال : مرة سجد وقال له يا رب من نور الدين حتى تنصره ..؟.. انصر دينك .. الافتقار إلى الله يرفع ، والكبر يخفض فنحنا حتى يكون عملنا بأعلى ثمن .. الواحد مثلاً يقول لك أنا معي مليون .. أكمل لأرى مليون ماذا ..؟.. مليون لير إيطالي.. لا قيمة لهم إطلاقاً .. يعني مرة أعجبني كتاب صغير ثمنه مليون ليرة تركي .. مليون .. المليون ليرة تركي يعني 500 ليرة .. قل مليون .. أكمل .... دولار ترتيب ثاني خمسين مليون ليرة ما معناها .. خمسين مليون ليرة سوري ، قل مليون ليرة تركية .. لا قيمة لهم ، مليون لير إيطالي .. لا قيمة لهم ، يجب أن تضيف الكلمة بعد مليون .. مليون ماذا..؟.. هذه الكلمة هي النية ، تقول مليون دولار معناها مبلغ كبير قل مليون لير إيطالي نزل الرقم إلى 1 بالمائة .. هذه النية .. النية ترفع العمل ، أو تفقده قيمته ، والنية محصلة الإيمان فأنت مخلص بقدر ما أنت موحد ، موحد ملخص كل نشاطك الإيماني دروس العلم ، طلب العلم ، معرفة القرآن ، معرفة السنة ، العمل الصالح .. ملخصها النية . النية إلى التوحيد ، التوحيد فيرفع قيمة الأعمال كلها .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (39 – 59) : رحمة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام : الإنسان أحياناً يخضع لحملة مركزة هادفة لإضعاف النفوس ، نسمع في الغرب من حين إلى آخر أن الأرض تتفجر سكانياً وأن مواردها لا تكفي لهؤلاء البشر جميعاً وأن العالم مقبل على مجاعة وأن هناك نقصاً حاداً في المواد الغذائية .. دائماً هذه الحملة تورث النفس يأساً وحزناً وقنوطاً . مع أن الله سبحانه وتعالى إذا قنن فتقنينه تقنين تأديب لا تقنين عجز لقوله تعالى في سورة الشورى :

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (27) ﴾

ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض : يعني .. الله عزّ وجل جعل الرزق أحد الأدوات التربوية ، في أشياء ثبتها لتنتظم الحياة ، دورة الأرض حول نفسها ثابتة ، حركة الأفلاك ثابتة ، خصائص المواد ثابتة .. أشياء كثيرة جداً ثبتها وأراح الناس منها لا تحتاج لا إلى قلق ولا إلى خوف ولا إلى حزن ، ولكن أداة الرزق حركها وجعل الرزق أداة تربوية بيده ، فيفتح ويغلق ، يعطي ويمنع ، يقنن ويبسط ، إلا أنك ينبغي أن تعتقد دائماً أن هذه الموارد إذا شحت فهو تأديب من الله عزّ وجل .

فالله عزّ وجل لا يقنن عجزاً .. بل يقنن تأديباً .. وحينما يأذن للسماء أن تمطر وللأرض أن تنبت تجد خيرات لا يعلمها إلا الله . نحن .. كما أقول دائماً في بعض السنوات ليس في كل قطرنا مستودعات لتخزين القمح ، أُنشأت مستودعات في العراء ، جللت بمواد عازلة ، ثلاث ملايين طن وبلدنا هي بلدنا وأمطارنا هي أمطارنا .. لو شاء الله لأغرقنا بالرزق ، ولكن تقنين الله تقنين تأديب فلا ينبغي أن ييأس الإنسان .. أحياناً تضيق الأمور، تشح الأرزاق ، تشح السماء يضرب الموسم على تعبير التجار ، وأحياناً يبسط الله يده بالخير فالمؤمن مع حكمة الله عزّ وجل ،

ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض لكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير . إلا أنه كما علمنا النبي عليه الصلاة والسلام قال :

//إخشوشنوا وتمعددوا فإن النعم لاتدوم//

الإنسان حتى لا يضحي بمبادئه ، لا يضحي بقيمه ، لا يضحي بدينه ، لئلا يسقط من عين الله .. فإذا قل رزقه ، لعله ينافق أو يداهن أو يأكل الحرام .. وطنّ نفسك على دخل محدود أو وطنّ نفسك من حين لأخر على حياة خشنة ، هذه تتعود على ألا تتأثر إذا شحت الأقوات ، وآية أخرى من سورة الشورى :

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (30) ﴾

أيضاً .. لا تتهم الله عزّ وجل في شيء ساقه إليك مما تكره فالله سبحانه وتعالى بيده الخير ، ولذلك المصائب كلها بسبب كسب الإنسان : **فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ، في شيء جميل جداً في هذه الآية ، المؤمن يبدو للناس إنسان بسيط ، عاجز ، لا يستطيع أن يفعل شيئاً ، يخاف الله دائماً . هذه الصورة مشوّهة ، المؤمن قال الله عنه في سورة الشورى :

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (39) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40) ﴾

وجزاء سيئة سيئة مثلها .. لكن هذا الذي يقول للناس سأكيل لك الصاع عشرة أصواع هذا ليس شرعياً، **وجزاء سيئة سيئة مثلها** الصاع بصاع . قال : **فمن عفا وأصلح فأجره على الله** .

معنى ذلك أنه لك أن تجازي بالسيئة السيئة ، ولك أن تعفو ، لكن السؤال الآن متى تعفو ، ومتى تجازي السيئة بالسيئة ..؟.. العلماء قالوا : إذا غلب على ظنك أن عفوك عنه يصلحه ، ينبغي أن تعفو عنه ، إذا غلب على ظنك أن عفوك عنه يقربه من الله . كثيراً ما أسأل .. هل نعطي زكاة مالنا لقريب بعيد عن الدين..؟.. له أطفال جياع .. أقول لهم دائماً: إن كان عطاؤكم هذا لهذا القريب يقربه إلى الله فأعطوه أما إذا كان هذا العطاء يبعده فلا تعطوه .. هذا المقياس .. أيام الإنسان شارد أو تائه يأتيه معونة من جهة مؤمنة فيتأثر تأثراً بالغاً . أنا أعرف قصة قديمة جداً : إنسان تقاعد من وظيفته وأدمن الخمر إلى درجة أنها أصبحت جزءاً من دمه وصار الأطباء يحذرونه من ترك الخمر لأنه يموت فوراً افتقر إلى درجة أنه لا يملك ثمن قوته له جار مؤمن طلب منه قرضاً ، هذا الجار استوعبه ، في مؤمن قلبه كبير ، وأفقه واسع ، ونظره بعيد ، استوعبه وقدّم له ما يحتاج كل شهر . مرة طرق بابه قالت له الزوجة : إنه يصلي فلما لقيه قال البارحة تبت إلى الله توبة نصوحة وأعانني الله على تركها و ها أنا ذا أصلي ومات فيما أعلم مؤمناً .

يعني أنت استوعب الناس .. إنا لا أدعوك إلى أن تقرهم على أخطائهم .. أعوذ بالله .. هذا نفاق . وإن الله ليغضب إذا مدح الفاسق ، في رواية : إن عرش الرحمن يهتز إذا مدح الفاسق . لا أقول لك أن تمدحه ، ولا أن تثني عليه ، ولا أن تتواضع أمامه ولكن أقول لك استوعبه لأنه كل إنسان إذا انفتح على الناس وخاطبهم بالعقل والمنطق والعاطفة الصادقة وكان مخلصاً وجاداً في دعوته لابد من أن تلقى دعوته إذن صاغية .

يعني .. أحياناً تجد سيارة واقفة 2 طن وزنها كتلة لا تزحزح ، مفتاح صغير يوضع في مكان معين ويضغط .. يدور المحرك .. تنطلق، أيام الإنسان له مفتاح ، أيام يعاني من مشكلة فيسمع آية فتحل مشكلته ، يسمع حديث ، يسمع قصة ، لا تيأس في الدعوة إلى الله .

يعني ... أنا حدثني أخ قبل أسبوع أنه شخص يعمل في إنتاج الأفلام الإباحية في أمريكا .. يعني هل من عمل يهبط إلى هذا المستوى .. سمع شريط .. أقسم بالله أنه سمعه خمسين مرة وتاب على هذا الشريط . يعني الله عزّ وجل يبدو أنه أصاب مكان حساس في نفسه فالمؤمن ينبغي أن يستوعب الآخرين، **والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون** .

سائق أرعن طائش إن انتصرت منه توقفه عند حده وتعطيه ما يسمى خبرة مؤلمة ، أما إذا عفوت عنه بسذاجة رأى القضية سهلة .

يعني .. يروى أنه معاوية رحمه الله تعالى كان حليماً ، لكن حلمه أحياناً كان أكثر مما ينبغي . ففي إنسان أغرى فلان أن يغمزه من خلفه وهو يصعد المنبر ، هذا الغلام غمزه ، وكان سيدنا معاوية فطن جداً قال خذ الرهن يا غلام علم أنه قضية مراهنة . الخليفة الثاني رآها أن الطفل قضية سهلة أن يغمز خليفة والخليفة لا يتأثر ، أعادها مع آخر فقتله فقالوا حلم معاوية قتل الغلام ، القاتل ليس الثاني .. الأول فإذا كان عفوك عن إنسان منحرف يزيده طيشاً ، يزيده احتقارا للناس ، يزيده حمقاً ، فأنت مذنب ، **والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون** .

في حالات .. يعني .. سائق ماشي على الـ 10 وفقير وطفل قفز إلى أمامه ودهس ، ولهذا الطفل ولي . هو لم يرتكب شيئاً .. الحادث قضاء وقدر ، إذا كان هذا الوالد مؤمن وفي بقلبه رحمة وأسقط حقه الشخصي هو بهذه الطريقة قرّبه من الله عزّ وجل . أنت معك ميزان .. إذا كان عفوك يقرّبه من الله فاعفوا عنه ، وإن كان عفوك يزيده انحرافا فلا تعفو عنه . في ميزان دقيق : **والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ... وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله** .. أما كلمة فمن عفا وأصلح يعني أسقط حقه الشخصي، الآن انتقل أجره من الدية إلى عطاء الله والله ماذا يعطي ..؟.. كلمة

دقيقة : **فمن عفا وأصلح فأجره على الله** ... يعني أجمل شيء بالحياة أن تحتسب عملاً عند الله، أن تعمل عمل صالح لا تبتغي به لا سمعة ، ولا مكانة ، ولا تنويهاً ، ولا ذكراً ، ولا ثناءاً ، ولا شكراً ، ولا لوحة، ولا توقيعاً .. أبداً .. تبتغي به وجه الله .

الذي جاء بتاج كسرى من المدائن إلى المدينة رفض أن يدلي باسمه .. رفض أن يدلي باسمه .. يعني أنا بهذه المناسبة ذكرته الآن مع بعض الأخوة : أنه سيدنا عمر سأل من الذي قتل في نهاوند ..؟.. قال القائد مات خلق كثير لا تعرفهم فبكى بكاءً شديداً ، قال وما ضرهم أني لا أعرفهم إذا كان الله يعرفهم .

الإخلاص .. يبعدك عن استجداء المديح ، هذا مرض الناس .. لازم أن تمدحه .. لازم أن تثني عليه .. لازم أن تعظمه .. وإذا كان أقل مما يجب فيغضب .. هذا مرض .. أنت إذا كنت في عملك مخلصاً لا تتأثر بردود الفعل إطلاقاً .

بالمناسبة ... المخلص إذا عمل عملاً صالحاً وقد رد عليه إنسان بالسوء على هذا العمل لا يتأثر لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

//اصنع المعروف مع أهله ومع غير أهله فإن أصبت أهله أصبت أهله وإن لم تصب أهله فأنت أهله//

إذا كان الإنسان غير مخلص ، يتألم أشد الألم حينما لا يقدر معروفه ، يتهم الناس بقلة الذوق ،وبعدم الإحساس ، بالكفران للناس ، وبعدم الجميل، وبالجحود وما هذا المجتمع كله كالذئاب ..لأنه ابتغى عنده الأجر فلما ضيعوا الأجر غضب منهم ، أما الذي يبتغي عند الله الأجر لا يتأثر إطلاقاً بردود الفعل .

في نقطة دقيقة أن الله عزّ وجل أحياناً يسوق للعبد شيئاً على يد إنسان ، في مشكلة هنا .. أيام الإنسان يغيب عن التوحيد يرى أن فلان الذي أوقع به الشر فيحقد عليه ، المؤمن لا يحقد على أحد يرى يد الله تعمل في الخفاء ، وأن يد الله فوق أيديهم ، لذلك الله عزّ وجل قال في سورة الشورى :

﴿*وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (43)* ﴾

أيام تأتي مصيبة على يد إنسان ، الموحد لا يتأثر يعده عصا بيد الله عزّ وجل ، وهذه صفة واضحة للمؤمن جداً . أحقاد الناس بعيد عنها هو ، لو واحد سبب له مشكلة ، لو واحد وشى عليه ، لو واحد خسّره ، سمح الله لهم والله حكيم ورحيم ، ما كان له أن يفعل إلا أن يسمح الله له .

((أَخْبَرَنِي عَمْرٌو أَنَّ سَالِمًا الْفَرَّاءَ حَدَّثَهُ أَنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ حَدَّثَهُ أَنَّ أُمَّهُ حَدَّثَتْهُ وَكَانَتْ تَخْدِمُ بَعْضَ بَنَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ ابْنَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَتْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعَلِّمُهَا فَيَقُولُ قُولِي حِينَ تُصْبِحِينَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ فَإِنَّهُ مَنْ قَالَهُنَّ حِينَ يُصْبِحُ حُفِظَ حَتَّى يُمْسِيَ وَمَنْ قَالَهُنَّ حِينَ يُمْسِي حُفِظَ حَتَّى يُصْبِحَ))

ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

فالذي يجري بين الناس من أحقاد ومن اتهامات ومن قلق ، المؤمن معافى منها لأنه هذا الذي أوقع فيه الأذى لولا أن الله سمح له لما فعل ذلك ..؟.. ولولا أن الله حكيم بأعماله لما كان هناك داعي أن يقول الله عزّ وجل:

﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾

(سورة آل عمران : من الآية 26) .

الآية قبل الأخيرة ... يعني .. في أب وفي أخ ، الأخ إذا وجد من أخوه انحراف شديد .. يقول أخي ما فيه خير ، يرتاح ، الأخ يسقط ، يشرد ، يدمر ، الأخ يقول لك : الله يصلح أخي ، لكن لا يشعر الحاجة إلى إصلاحه ، لعله يشمت به . أما الأب يتألم ألماً لا يوصف إذا رأى ابنه قد سقط ، فلذلك الله عزّ وجل يعلمنا قال في سورة الزخرف :

﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ (5) ﴾

يعني .. الإنسان حينما يسرف ، الناس ييئسون من هدايته فيهملونه ، لكن الله ليس كذلك .. لو أن الإنسان انحرف أشد الانحراف الله ينتظر أن يتوب عليه ، ورد ببعض الآثار القدسية:

//لو يعلم المعرضون انتظاري لهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لتقطّعت أوصالهم من حبي ، هذه إرادتي في المحبين، فكيف بالمقبلين ..؟.. //

الله ينتظرنا .. هل تصدق أن الله يفرح إذا تبت إليه ، هل تصدق أن الله ينتظرك ، وأن الله ينتظر كل العباد ، حتى فرعون

﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44) ﴾

(سورة طه : الآيتان 43و44)

هذا كلام له معنى كبير ، عنده استعداد لكي يكون مؤمناً .

الآية الأخيرة من سورة الزخرف :

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (32) ﴾

دقيقة هذه الآية .. لو فرضنا نحن الحاضرين 500 كلنا بعض وكلنا بعض ، كيف ..!؟. نحن جميعاً بعض، ونحن جميعاً بعض .. يعني كل إنسان الله رفعه باختصاصه ، وهبط به بما يحتاج فأنت باختصاصك متفوق، وتعرف أسرار الموضوع وعندك حلول جاهزة ، بغير اختصاصك مفتقر لغيرك تجد إنسان علم كبير تتعطل سيارته فيقف أمام المصّلح بكل أدب يسأله : أتحل هذه المشكلة ؟ تحتاج إلى قطع ؟ كم تكلّف ؟ لأنه هذا ليس باختصاصه .. قد يأتي هذا الإنسان لعند هذا العالم ليتعلم منه ، أيضاً يقف أمامه بأدب لأنه بحاجة إلى علمه .. فالله جعل الناس جميعهم .. مرة يحتاج ، ومرة يقدم الحاجات.

إذاً : الآية دقيقة : **ورفعنا بعضهم فوق بعض** : كل إنسان صاحب اختصاص ، إذا كنت محتاج إليه هو أعلى منك الآن .. أبداً .. أيام مترجم أنت لا تتقن اللغة الأجنبية تذهب إليه وتنتظر وتسأله أن يترجم لك بعناية وتريد ختمه ... أنت الآن أضعف منه وهو أقوى منك بخدمة الترجمة . المدرس ، المهندس ، المحامي ، الطبيب ، البنّاء .. كل إنسان بعلمه متفوق، بغير اختصاصه مفتقر فالمجموع ثابت .. الله عزّ وجل جعل الناس جميعاً بعض ، والناس جميعاً بعض . كل إنسان هو بعضان بقسم متفوق وبقسم مقصر ويحتاج لأخيه الإنسان بالقسم المقصّر . تجد شخص كسب المال عنده جداً لكن يحتاج إلى محامي يرشده لطريقة كسب الدعوى ، يحتاج لمدرس لأبنه ، يحتاج إلى طبيب ، يحتاج إلى مهندس ، هو تاجر المهندس عنده خبرة عالية في بناء البيوت ، يحتاج إلى محامي يحتاج إلى معلم ، المعلم يحتاج إلى خدمات من نوع معينة .. هذا معنى قوله تعالى : **ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريّاً** . أيام الإنسان تحس بشيء في قلبه أو بجسمه ، يذهب إلى الطبيب .. يسأله : في خطر ، الوضع طبيعي ، عارض ، يحتاج دواء ، يحتاج عملية ، طيب هو في مكان عمله كبير كثير . أما حينما أصيب بهذا المرض صار أمام الطبيب صغير كثير . صغر... فالطبيب بعيادته سيد، والمرضى دونه ، الطبيب نفسه عند مهندس بحاجة إلى علمه والمهندس سيد ، المهندس نفسه عند معلم يحتاج دروس لابنه أنه سينجح يا ترى ، تطمئننا، سهل النجاح.؟؟.

ممكن هذا المنهاج أن ينتهي بهذين الشهرين ، كل يوم درس أستاذ ، ماذا تريد ... فتجد بمكان عمله كبير أما الآن صغر .. هذه معنى **ليتخذ بعضهم بعضاً سخريّاً** ، لكن في النهاية : **ورحمة ربك خير مما يجمعون** ، الإنسان أيام يصل لدرجة موضوع ليس موضوع كسب رزق ، موضوعه جمع ثروة وهو أكبر شيء الآن ، واحد معه ملايين مملينة يعد متفوق . الله يطمئننا : **رحمة ربك خير مما يجمعون** ، الواحد يسمع عن ثروات خيالية ، يعني واحد صاحب شركة كومبيوتر 23 مليار دولار حجمه المالي 23 مليار دولار مبلغ كبير كثير الله يقول : **ورحمة ربك خير مما يجمعون** ، هذا كلام الله .

والحمد لله رب العالمين .

الدرس (40 – 59) : الأزمة أزمة علم

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام : الآية الثانية عشرة من سورة السجدة وهي قوله تعالى :

أضرب لكم مثلاً لتوضيح هذه الآية لأن هناك آية أخرى تشبهها :

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10) ﴾

(سورة الملك : الآية 10)

نقول الأزمة أزمة علم ، أيام يقول لك أحدهم : أزمة أخلاق ، أزمة مال أزمة سكن ، الموضوع الآن أزمة علم فقط .. الدليل : لو أن سيارتين ، واحدة في أعلى مستوى ، والثانية في أدنى مستوى يعني مضى على صنعها 50 سنة ، ما فيها مراجعة إطلاقاً ، والسيارتان تسيران في طريق حاد هابط ، وعن اليمين وادي وعن اليسار وادي ، وفي النهاية منعطف حاد ، السيارة ذات الكفاءة المتدنية جداً التي مضى على صنعها خمسون عام غير مراجعة إطلاقاً .. لا مكابحها ولا جهاز التعليق ولا جهاز التوازن .. تدهورت . بفعل ضعف إمكاناتها " فلت الفرام ، فلت الدوزان .. تدهورت .. " نقول سبب تدهور الأولى سبب كفاءتها المنخفض . أما سيارتين من أعلى مستوى ، من أعلى ماركة ، من أحدث موديل ، من أعلى كفاءة ، واحد أطفأ مصباحه والدنيا ليل والطريق غير واضح على اليمين في وادي وبالنهاية في منعطف حاد فتدهور الثاني لأنه سيارته من أعلى مستوى إلا أنه أطفأ الضوء ولم يعد يشاهد ، الحادث الأول : أزمة الكفاءة ، الحادث الثاني : أزمة رؤيا .

البشر كلهم جميعاً مصممون ليكونوا في أعلى درجات الجنة ، مصمم بعقل وبفطرة وبكون ينطق بوحدانية الله. التصميم واحد والدليل :

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾

(سورة الأعراف : من الآية 189) .

الذي يشقى في النار إلى أبد الآبدين ، والذي يسعد في الجنة إلى أبد الآبدين هذا بسبب أنه عرف الحقيقة فاستفاد منها ، وهذا بسبب لأنه جهل الحقيقة فهلك وأهلك . هذا معنى قوله تعالى

لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا في أصحاب السعير .

المثل الأول : سبب هلاك السيارة المتدنية في كفاءتها مستواها المتدني لا يوجد فيها مكابح ، الطريق واضح لكن لا يوجد مكابح لا يوجد جهاز تعليق جيد ، لا يوجد جهاز توازن جيد ، تحطمت وأهلكت صاحبها . نقول: ركب سيارة عتيقة ، سيئة جداً ، غير مراجعة . أما الثاني راكب أحدث موديل بأعلى الكفاءات ، أعظم مكبح ، أعظم ... أعظم ... لكن لما أطفأ ضوءه فجأة والطريق ملتوي وعلى اليمين يوجد وادي سحيق وينتهي بمنعطف حاد " تدهور "

الحالة الثانية أزمة رؤيا . الأولى أزمة كفاءة . فلما الإنسان يدخل إلى النار ليس لأنه خصائصه متدنية .. لا.. أي إنسان إذا أتيح له أن يعرف الحقيقة التزم .. أي إنسان إذا أتيح له أن يرى الحقيقة كما هي لاستفاد منها . بدافع فطرته ، بدافع حبه لذاته، بدافع حرصه على سلامته ، كل واحد منا عنده حرص على سلامته من أعلى مستوى ولا أظن أن واحدا يختلف عن الثاني ، كلنا حريص على سلامتنا وعلى سعادتنا . أما الأزمة أزمة رؤيا هذا رأى كل السعادة والطمأنينة والرقي في طاعة الله .. طلب العلم ..

وهذا غفل عن الدين .. ظن الدين خرافات ، الدين غيبيات ، الدين تناقضات الدين أداة تفريق ، الدين ليس لهذا العصر ، لم يتعلم ، تحرك حركة عشوائية ، مجهّز لأعلى مستوى ، مجهز بفكر ، مجهز بنفس حساسة، له فطرة سليمة .. لكن غفل عن الحقيقة فشقي بها .

فالإنسان حينما يكون عنده أعلى سيارة فيتدهور ويتحطم هو وأهله لأنه أطفأ المصباح فقط لسبب تافه . الأول لا يندم كثير " راكب وحدة تعبانة ما فيها شيء صحيح " . لما الإنسان يهلك لسبب بعيد عن إرادته لا يندم كثيراً ، أما عندما يهلك لخطأ طفيف . الحقيقة أيام تأتي مصائب كبيرة جداً لسبب تافه جداً .

يعني .. تجد معمل احترق كله 70 مليون مكلّف نسوا الكهرباء " شاعلة " بالليل صار في كونتاك . الشيء المؤلم جداً أن تأتي مصيبة كبيرة جداً لسبب تافه جداً . فكل إنسان يطلب العلم سينشأ عنده بدافع فطرته ، بدافع حرصه على سلامته ، حرصه على سعادته ، رغبة مندفعة نحو الحق ، مثلاً أي إنسان فرضاً لو أتيح له أن يرى ما يراه المؤمن لكان مثله .. أزمة رؤيا .. والدليل قال :

ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي – وهذه البينة من لوازمها–

﴿ وَآَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (28) ﴾

(سورة هود : الآية 28)

.. الأصل بيّنة .. فهذا الذي يدعى إلى سماع مجلس علم يدعى إلى حضور مجلس علم .. يقول ليس عندي وقت .. كم هو جاهل.

إنسان أعطيناه أعلى سيارة فيها خصائص عالية جداً ودعوناه إلى تعلّم قيادتها فقال ليس عندي وقت لتعلم أصول القيادة لكن سأركبها وأمشي بها ..أهلك نفسه . مجهزة بأعلى مستوى ، لمن يحسن قيادتها أما إذ لا يوجد علم وفيها سرعة عالية ستدهور حتماً . فكل إنسان في ضمن وقته على أن يعرف الحقيقة لابد من أن يهلك ، لسبب بسيط ، مجهز بأعلى تجهيز لكن يحتاج إلى نور ليريه الحق حقاً والباطل باطلاً .

ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فأرجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون (12) .

والآية 13 من سورة السجدة :

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (13)﴾

الإنسان يميل إذا وقع في مشكلة أن يعزوها إلى غيره .. يرتاح .. المخلفون في حياتهم دائماً يتهمون الأقدار مع أن القرار الذي اتخذه الإنسان في شأن مصيره قلما تنقضه الأيام إذا كان صادراً حقاً عن إرادة وإيمان ، الإنسان إذا أراد الحق وصل إليه . فالإنسان المخطئ في حياته دائماً يبرأ نفسه ويلقي بتبعة تقصيره على غيره ، فالناس دائماً إذا حققوا إنجاز كبير يعزون هذا لأنفسهم ... أنا عصامي ، أنا درست، أنا تعبت على حالي ، أنا تاجرت بوقت مبكر ... كل الإنجازات والميزات تعزى إلى جهده أما إذا أبتلي في معصية يقول لك : هكذا الله قدّر لي ، إذا غفل عن الصلاة يقول لك : الله لم يكتب لي أن أصلي .

هذه الفكرة المضحكة: الفكرة الجبرية . أن كل الخير ينسب إلى ذاته وأن كل الشر يعزى إلى خالقك .

قال تعالى : **ولو شئنا** كما تزعمون ، لو أننا أردنا أن نجبركم على شيء ما . هم يدّعون أنهم مقهورون على معصية الله ، مجبرون عليه ، لو شئنا أن نجبركم على شيء ما لما أجبرناكم إلا على الهدى ، ولو شئنا أن نلغي اختياركم ، ولو شئنا أن نلغي الأمانة التي حملتموها ، لو شئنا أن نلغي التكليف الذي كلفناكم به ، لو شئنا أن نلغي هويتكم، الإنسان الأول المكلّف المكرم ، لو شئنا ... وأن نجبركم كما تزعمون لما أجبرناكم إلا على الهدى .

يعني إذا الله عزّ وجل أراد أن يجبر لا أن يخير على ماذا يجبر .. على الهدى .. على الخير . أما الإنسان بالأساس مخيّر وهذا التخيير سبب سعادته الأبدية ... يقدر أن يفعل الشر أو الخير ، يصلي أو لا يصلي يستقيم أو ينحرف ، يصدق أو يكذب ، يخلص أو يخون ، بيده .. يفعل أولا يفعل.

ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها .. ولكن هذا الجبر الذي تعتقدونه وهم من أوهامكم ، **ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين** (13) .. يعني .. هذه الأفعال السيئة إنما تقترفونها باختياركم ، وهي من كسبكم وسوف تحاسبون عليها ، فيما لو أراد الله أن يجبر لما أجبر إلا على الخير وقد قال الله تعالى :

﴿ بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (28) ﴾

(سورة الأعراف : 28) .

من هنا قال علماء التوحيد : أراد ولم يأمر ، أراد ولم يرضى . معنى أراد أي سمح لأنه لا يقع شيء في ملك الله إلا بإرادة الله ، فإذا أراد شيئاً يعني سمح به ، ولماذا سمح به ..؟.. لأن الإنسان مخيّر وتخييره سبب سعادته لولا أنه مخيّر لما كان من عمله من قيمة .. لو أن الله أجبر عباده على الطاعة لبَطَلَ الثواب ، لو أجبرهم على المعصية لبطل العقاب، لو تركم هملاً لكان عجزاً في القدرة . طبعاً هذه الآية قد يفهمها بعضهم فهماً ما أراده الله أنه : **ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها** : طبعاً المعنى الضمني ، ولكننا لم نشاء . أردنا أن نملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين . هذا المعنى على ظاهره لا يتناسب مع كمال الله عزّ وجل ... يعني... الله عزّ وجل لو أراد لهدى الناس جميعاً وأسعدهم جميعاً ، وأدخلهم الجنة جميعاً ، ولكنه لم يرد ... طيب .. ماذا أراد ..؟.. أراد أن يملأ جهنم منهم هذا المعنى لا يتناسب مع كمال الله إطلاقاً ، أما المعنى الذي يليق بحضرة الله عزّ وجل أن الله عزّ وجل أعطانا حرية الاختيار، لو سلبنا إياها لما أجبرنا إلا على الخير ، لكنه أبقاها لنا من أجل أن نسعد بها .. أبقاها لنا .. **ولكن حقّ القول مني** .. أما حينما يرتكب الإنسان المعاصي ، هذه من كسبه ومن اختياره وسوف يحاسب عليها **ولكن حقّ القول مني لأملئن جهنم كلها من الجنة والناس أجمعين** : الشاردين ، التائهين ، الذين كانوا في غطاء عن ذكري ، الشيء الثاني :

﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (16) ﴾

يعني .. أتمنى على كل إخواننا الكرام أن يجمع في قراءة القرآن بين أوصاف المؤمنين ، هذا وصف للمؤمن:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آَيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) ﴾

(سورة الأنفال : من الآية 2)

وصفهم بأنهم أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين لو جمعت أوصاف المؤمنين لكان الإنسان النموذج . السؤال الدقيق ، ليسأل نفسه سؤالاً صعباً .. هل أنا في هذا المستوى .؟. هذا وصف الله للمؤمنين ، هل أنا في هذا المستوى .؟. هنا من أوصاف المؤمنين : **تتجافى جنوبهم عن المضاجع :** يعني بالمعنى الواسع : لا يركن إلى الدنيا لا يستسلم لشهواتها ، لا يميل إلى الدعى والراحة . حينما جاء النبي الوحي عليه الصلاة والسلام وكان مضطرباً جداً ، قالت له السيدة خديجة : خذ قسطاً من الراحة . فقال عليه الصلاة والسلام :

//إنقضى عهد النوم ياخديجة //

الراحة انتهت ... نحن في دار عمل ، نحن في دار ابتلاء ، نحن في دار إعداد ، نحن في حياة دنيا فيها إعداد لحياة عليا . **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً :**

يعني .. الله عزّ وجل يدخل على المؤمن السرور بطريقة أو بأخرى ، من حين إلى آخر . أما أن يجعل المؤمن ديدنه وهمه أن يستريح وأن يسعد وأن يسترخي وأن يتنعم ويتقلب في أنواع النعيم ، إن جعلت النعيم هدفاً ، انقلب النعيم شقاءً . هذه حقيقة في الفلسفة . مبدأ اللذة ... اللذة إذا اتخذت مبدأ انقلبت إلى مبدأ ألم ، أما إذا الإنسان له هدف كبير ، في طريقه لهذا لهدف في واحات يستريح بها ففي سرور لكن ... من حين لأخر وبتقدير الله عزّ وجل ، أما أن يتخذ المؤمن السرور والانغماس في الملذات هدفاً واضحاً له هذا يتناقض مع مهمته في الحياة الدنيا . **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون:**

يعني .. المكابدة ، حمل النفس على ما تكره ، إنفاق المال المحبب ، ترك الفراش الوثير في ساعة نوم لذيذة، طبعاً الله عزّ وجل ذكر شيء وقصد كل الأشياء ، أيام يكون الدخل حرام ، الدخل الحلال قليل جداً .. الإنسان يؤثر الدخل القليل الحلال على دخل كثير حرام ، امرأتان واحدة بارعة والثانية أقل ، الأقل أكثر تديناً، والبارعة أقل ديناً ، يؤثر الأقل على الأكثر ليسعد في زواجه ...

تتجافى جنوبهم عن المضاجع : في ألف طريق للمتعة ، غير مسموح إلا متعة واحدة هي الحلال ، القناة اللطيفة الذي رسمها الله له .. هذا معنى التجافي ، يعني .. لا يركن إلى الدنيا . لو فرضنا أنه ممكن أن يستلقي بفراشه ، تعبان للساعة 2 سهران ، يؤثر على نفسه أن يأتي إلى مجلس علم . عندما يخرج من بيته يتنشط وعندما يعود يكون أسعد حالاً . **يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ،** هذا حالهم في الدنيا ..... في الآخرة ، كما قال الله في سورة السجدة :

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (17) ﴾

نقول قبل خمسين سنة ، لم يكن طريق للدنيا إلا العلم فقط .. لذلك .. نقول إذا لم يدرس الواحد تكون حياته تعيسة جداً . والذي درس يستلم وظيفة ، كان الموظف بوضع يحسد عليه قديماً.

قرأت نص قبل خمسين عام ... يقول كاتب النص (من مصر هو) : يا ليت آبائنا التفتوا إلى تعليمنا في المدارس ، فكنا استغنينا عن التجارة ، وذل البيع والشراء ، وترويج السلعة بالأقسام والأيمان ، فما العيش إلا عيش الموظفين ، عندما كانت الوظيفة لها قيمة كبيرة جداً ولها دخل كبير جداً ، نقول نحن إذا الإنسان لم يتعلم . يشقى . طيب ... الآن لاحظ : إنسان تعب في الدراسة ارتاح طوال حياته ، إنسان تعب أيام الدراسة ارتاح طوال حياته .. في تكامل .. نحن في الدنيا الآن الذي يتعب في الدنيا .. أين ما افتقدته .. في المسجد.. دائماً يغض بصره ، دائماً يضبط لسانه ، دائماً يتحرى الحلال ، دائماً ينيب إلى الله عزّ وجل ، هذا الوضع الذي فيه خوف وفيه قلق وفيه ضبط للشهوات وضبط للأعضاء وللجوارح .. نهايته جنة إلى أبد الآبدين .

المتفلت الذي يفعل ما يشاء ، يأكل ما يشاء ، يلتقي مع من يشاء ، يقبض أي مبلغ يشاء، لا يوجد رقابة ولا قانون ولا قيمة تحجزه .... هذا ينتهي إلى جهنم .

هذا التكامل .. **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين** .. لو واحد قال فلو تعلم نفس .. يعني يمكن أن يعلم لكنه لا يعلم أما .. فلا تعلم نفس .. لا يمكن أن يعلم . **ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون** .. الآن الموازنة جاءت :

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ (18) ﴾

الآية وحدها . البدايات والنهايات ... البدايات : **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** . البدايات : **يدعون ربهم خوفاً وطمعاً** ، البدايات **ومما رزقناهم ينفقون** . النهايات : **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون** .

لذلك .. ذكرت الحديث الشريف : ألا يا ربّ نفسٍ جائعة عارية في الدنيا، طاعمة ناعمة يوم القيامة ألا يا ربّ نفس طاعمة ناعمة في الدنيا ، جائعة عارية يوم القيامة ، ألا يا ربّ مكرم لنفسه وهو لها مهين ألا يا ربّ مهين لنفسه وهو لها مكرم ..... العبرة في النهايات، العبرة من يضحك أخيراً.

﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (34) ﴾

(سورة المطففين : الآية 34)

في الدنيا .. يعني .. إذا كان شاب تديّن يقولون : جاء الشيخ . أهله يسخرون أحياناً ، أصدقائه ، هو ورع ، أيام يقحمونه على جلسة فيها بنات ، يغض بصره ويخرج ، يبدو أنه تضعف شخصيته بهذه العملية ، أما لو نظر و" بحلق " ومزح معهم يقوى مركزه الاجتماعي . من شدة خوفه من الله يبدو كأنه ضعيف : ألا ياربّ مكرم لنفسه وهو لها مهين ألا يا ربّ مهين لنفسه وهو لها مكرم ، دائماً ابحث عن النهايات ، ابحث عن المصير ، ابحث عن العاقبة ،

﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128) ﴾

(سورة القصص : من الآية 83)

الأيام تدور .. يصعد أناس ، يهبط أناس ، يغتني أناس ، يفتقر أناس ، يقوى إنسان ، يضعف إنسان ، العبرة بالنهاية

والعاقبة للمتقين .. فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون

المؤمن ينقلب إلى أهله مسروراً يوم القيامة ، الكافر : إنه كان في أهله مسروراً . الفرق .. واحد ينقلب إلى أهله مسروراً والكافر أنه كان في أهله مسروراً .

الملخص : **أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون** : هل يستوي عندك قطعة ألماس ثمنها 100 ألف أو مليون وفي ألماسة ثمنها 140 مليون دولار ، مع قطعة فحم ، والألماس : فحم أساسه . هل يستوي عندك قطعة لحم طازجة مشوية وأنت جائع مع قطعة لحم متفسخة رائحتها تصد النفس ... والاثنتين لحم ... **أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون** .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (41-59) : الصد عن سبيل الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام، يقول الله عز وجل في سورة محمدٍ ﷺ:

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾.

[سورة محمد].

يعني أعمالهم مهما بدت عظيمةً إما أن تسقط في الدنيا، أو يسقط في الآخرة، لأن حركتهم في الحياة على عكس ما خلقوا له، فلو حققوا إنجازاً في الحياة الدنيا، أعمال في مقياس العصر كبيرة جداً في الآخرة لا قيمة لها، لأنها لم تبنَ على نفع البشر، بل على الإضرار بهم.

هؤلاء الذين اخترعوا الأسلحة الفتاكة، إنها إنجازٌ علميٌ كبير، ولكن بمقياس الإنسانية لا قيمة لها أبداً، أو هؤلاء الذين عملوا أعمالاً تبدو خارقةً، حتى في الدنيا قد تسبب شقاء البشرية: ﴿ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾، أي أن أعمالهم لم تتجه إلى الهدف الذي خلقوا من أجله يعني مثلاً:

لو أن إنساناً على مشارف الامتحان، أخذه أصدقاءه إلى مكانٍ جميل، المكان جميل جداً، والطعام طيب والأصدقاء أحباب، ولكن لأن هذه الحركة تتناقض مع الهدف القريب، وهو تأدية الامتحان والنجاح في الجامعة، يشعر بانقباض.

لذلك: ﴿ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾، أي تسقط قيمتها إن في الدنيا، أو في الآخرة، بمعنى آخر، إذا أراد ربك إنفاذ أمرٍ، أخذ من كل ذي لبٍ لبه، الإنسان حينما يختار الفقر، الله عز وجل قادر أن يسلبه حكمته، وخبرته، فيقع في شر عمله، ومع الله ليس هناك ذكيٌ إطلاقاً يؤتى الحذر من مأمنه، من مأمنه يؤتى الحذر، مهما أخذ احتياطات، مهما أعد للأمر عدته يؤتى من مكانٍ غير متوقع، يعني من لوازم الكفر إضلال أعمالهم أعمالهم لا تتجه إلى الهدف الذي ينبغي أن تكون، يعمل للدنيا، يؤسس منجزات ضخمة في الدنيا، وتنتهي مع موته، يأتي إلى الآخرة لا قيمة لها.

الشيء الثاني في الآية: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾، يعني الإنسان فيه طبيعة حركية، أو ديناميكية، فإذا اعتقد بشيء يتجه إلى نشره، فالكافر يدعو إلى الكفر والضال يضل، والفاسد يفسد، والمنحرف يدعو إلى الانحراف، بالمقابل المؤمن يدعو إلى الإيمان، المستقيم يدعو إلى الاستقامة، ما إن تستقر حقيقة الإيمان في قلب الإنسان، إلا تعبر عن ذاتها بذاتها، بحركة نحو الآخرين، فالفاسق يدعو إلى الفسق، الفاجر يدعو إلى الفجور المنافق يدعو إلى النفاق، الضال يضل، المؤمن يدعو إلى الإيمان، ﴿ كَفَرُوا ﴾، ما اكتفوا أنهم: ﴿ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾، بالمقابل آمنوا، ودعوا إلى الله.

يعني في شيء لطيف جداً، كلما أقبلت على الله، وأردت أن تعقد معه صلحاً، تجد أن الماضي مغطى بالتوبة والمغفرة.

﴿ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾.

[سورة محمد].

يعني ما في مشكلة، الإنسان بأي سن صحا، الصحوة تتبعها مغفرة لما مضى ﴿ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾، في آية أخرى:

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾.

[سورة محمد].

وهذا العطف يقتضي التجانس، يعني أعلى شيء أن يصلح الله بالك، رفعه الله إلى مستوى الهدى، وصلاح البال لا يكون إلا بالإيمان، لأن في النفس فراغاً، لا يملئه إلا الإيمان بالله عز وجل، وطاعته، والركون إلى فضله، وكرمه.

يعني في مثل أتمنى أن يتوضح لديكم: تصور أب من أعلى المستويات، علم وحكمة، وتربية، وثقافة عالية، ومكانة اجتماعية، وله ابن رباه أعلى تربية، يعني انتبه إلى صحته، إلى بنيته، إلى دراسته، إلى أخلاقه، إلى تدينه، والأب ميسور، هيأ له كل شيء، مثل هذا الابن الذي ينشأ في تربيةٍ عالية المستوى، وعنايةٍ فائق، في كل شيء، هل يشبه طفلاً يتيماً، شريداً، طريداً ينام في الطرقات، ينغمس في الملذات الحقيرة، يأخذ ما ليس له، يودع السجن؟ هل يستويان؟ اسمع الآية:

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾.

[سورة محمد].

ضائع، يتحرك حركة عشوائية بلا هدى، الذي يأتي في خاطره يفعله، قد يدمر نفسه يعيش في وحشة، وحشة البعد عن الله عز وجل، ليس هناك من يشرده، هناك من يسدد خطاه دائماً في قلق، هذا الذي يتولى الله تربيته، كهذا الذي تخلى الله عنه؟.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾، ضائع، قد تجد طفل، يتكلم بأبشع الكلمات في الطريق يستخدم العورات الفاحشة في حديثه، لا يتوانى عن سرقة، ولا يتوانى عن فعل فاحشة، ولا يتوانى عن أي منكرٍ يفعله، لا أب، ولا أم، ولا تربية ولا مدرسة، ولا توجيه، ولا أستاذ، هكذا الكافر.

إخوانا الكرام، جزاهم الله خيراً، ضيوفنا، من حفاظ القرآن الكريم، نجحوا في مسابقات القرآن الكريم الأخيرة، وأرادوا أن يقيموا في بعض المساجد أمسيات قرآنية، بعد قليل نستمع إلى قراءاتهم، وهم من المستشارية الإيرانية، جزاهم الله خيراً، نرحب بهم أشد الترحيب، ونتمنى لهم التوفيق، والنجاح، وأن يكون القرآن ربيع قلوبهم، ونحن بعد قليل نستمع إليهم، ونطرب أشد الطرب، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((ليس منا مَنْ لم يتَغَنَّ بالقُرآنِ)).

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي، عن: أبو هريرة].

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾، صلاح البال رفعه الله إلى مستوى الهدى، ثم إن:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾.

[سورة محمد الآية: 12].

كما يقول الله عز وجل:

﴿ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾.

[سورة محمد].

ثم يقول الله عز وجل:

﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾.

[سورة محمد الآية: 18].

ورد في الحديث الشريف، وهذا الحديث والله أيها الإخوة لو تمعنا فيه والله يقصم الظهر، يقول عليه الصلاة والسلام:

((ماذا ينتظر أحدكم من الدنيا؟)).

عاش، صار قوياً، صار غنياً، وصل إلى قمم المجد، ماذا ينتظره؟ الإنسان الشارد طبعاً، التائه، الذي ما عرف الله، قال:

((هل تُنْظَرون إلا فَقْرا مُنْسيا، أو غِني مُطغيا، أو مَرَضا مُفسِدا، أو هَرَما مُفنِدا أو موتا مُجْهِزا، والدجالَ؟ والدَّجَّالُ شَرُّ غائب يُنَتظَرُ، والساعةَ؟ والساعةُ أدْهَى وأمرُّ)).

[أخرجه الترمذي والنسائي عن أبو هريرة].

الإنسان يقول: ثم ماذا؟ لو سرت في هذا الطريق الذي لا يرضي الله ماذا ينتظرني في نهايته, الموت, في طريق المال, في طريق الملذات, الشهوات, أي طريق لا يرضي الله ينتهي بالموت, والموت فيه حساب دقيق:

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ *عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة الحجر].

والحمد لله رب العالمين.

الدرس (42-59) : الذنب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة الكرام، سورة الفتح:

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً* لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً ﴾.

[سورة الفتح].

أولاً الذنب يقيم بحسب صاحبه، وكل إنسان له مرتبة عند الله، وله ذنبٌ عنده فمثلاً: هناك أشخاصٌ الكبيرة عنهم ذنب، يعني إذا قتل، أو إذا زنا، أو إذا سرق، هناك أشخاص إذا نظر إلى امرأةٍ لا تحل له يشعر بالحجاب، عنده إطلاق البصر ذنبٌ كبير، إنسان آخر إذا تكلم كلمة غير مناسبة، هذه عنده ذنبٌ كبير، تحجبه عن الله عز وجل، إنسان آخر إذا انشغل بغير الله، هذه عنده ذنبٌ كبير.

فالطاعة مستويات، أما إذا وصلنا إلى الأنبياء، فذنبهم من نوعٍ آخر، أقبلوا على الله، رأوا من جلاله، وكماله، ثم أقبلوا عليه ثانيةً فرأوا رؤيةً أوسع، فخجلوا من رؤيتهم السابقة، إنسان أنت تظنه غنياً كبيراً، قدرت له ثروته بكذا بحجم، ثم فوجئت أن ثروته أضعاف هذا الحجم، أنت عاملته على أساس أن ثروته هذا الحجم، هو أكبر من ذلك، تشعر أنك ظلمته بهذا الظن، فيجب أن نفسر الذنب الذي عُزِيَّ إلى النبي عليه الصلاة والسلام تفسيراً يليق بكمال النبي، ما كل إنسان له ذنبٌ يشبه ذنب الآخر.

أحياناً كلمة، نحن في التعليم، طفل في الأول ابتدائي، إذا رسم خط مائل، نعدها ألف، نصفق له، ونعطيه مرحة، أما في الدكتوراه، سمعت في بعض البلاد، يعني إذا أثناء المناقشة يغلط الطالب بحركة واحدة، يؤجل للعام القادم، في أثناء المناقشة، الخطأ بحركة يؤجل للعام القادم.

فكلما ارتقى الإنسان دق ذنبه، يمكن أن نصور الذنوب كرات، متفاوتة في الحجم، وكل إنسان له مصفاة، ثقوبها متفاوتة، في ثقب هكذا، تمر به كل كرة أصغر من هذا الثقب، فكلما ارتقت مرتبته عند الله، ضاق قطر هذا الثقب، إلى أن يصل إلى درجة أدق الذرات، بذر التين لا يمر مثلاً، فالمؤمن يرتقي إلى الله، ويرتقي مستوى الذنب الذي يمكن أن يقع فيه، فمن نظرةٍ قاسيةٍ تعد ذنباً، من موقفٍ مجافٍ يعد ذنباً، من خاطرٍ لا يليق بالله عز وجل يعد ذنباً، من غفلةٍ عن الله تعد ذنباً، هذا عند المؤمنين، أيام كلمة الإنسان يعاتب عليها عتاباً شديداً.

سيدنا داوود جاءه خصمان، حكم لهما سريعاً، فعاتبه الله عز وجل قال: يا داوود أعرض عن الهوى، أيُّ هوى؟ هواه في محبة الله عز وجل، انشغاله بالله جعله يسرع في إصدار الحكم، فعاتبه الله عز وجل.

فكل واحد لـه عند الله مرتبـة، وكل واحد لـه ذنـب يحجبه عن الله عز وجل، إذا إنسـان نـذر نفسـه لله، إذا قصر بخدمة إنسان يحجب عن الله، هو مستقيم، وقتـه كلـه لله، إذا قصـر فـي خدمـة إنسان، إذا نظـر إلـى إنسـان نظـرة دون أنـه فقيـر، أو صـغير، أو مـا اهـتم فيـه، هـذا يحجبـه عـن الله عـز وجـل، فكلمـا ارتقـى الإنسـان، ارتقى المستوى الذي يحاسب عليه، طبعاً لا يحاسب الإنسان الغير مختص باللغـة العربيـة إذا ألقى كلمة على أدق الحركات والسكنات، أما المختص باللغة العربية إذا ألقى كلمة يحاسب علـى الحركـة، لأن هذا اختصاصه، أما إذا جاءنا ضيف أجنبي مثلاً، ولغته العربية ضعيفة جداً، ونصـب الفاعـل ورفـع المفعول، ذكر المؤنث بالمذكر، والمذكر بالمؤنث، نقول لـه: جيد جداً، مـا شـاء الله! يعنـي مـا فـي كلمـة صح، لكن لأنه تمكن أن يعطي بعض المعاني باللغة العربية، نصفق له، أما إذا إنسان مختص، نحاسبه على حركة.

إذاً كل إنسـان لـه ذنبٌ يحجبـه عـن الله عـز وجـل، الـذي سـخره الله لخدمـة الخلـق يحاسـب إذا أعـرض عـن إنسان، إذا أعرض عن إنسان لضيق الوقت، أو لانشغاله، أو لعدم انتباهه، يعاتب، ويحاسب، فالإنسان إذا شعر أنه محاسبٌ من قبل الله عز وجل، لا ينبغي أن يتألم، هذا دليل علو مقامه، يعنـي كلمـة واحـدة الإنسان يقولها، يحجب شهر أحياناً، إذا كان قريب من الله، أما البعيد يعني مثلاً:

إنسان يرتدي ثوب أبيض، في ألوان ناصعة جداً، لها لمعة، هذا الإنسان الذي يرتدي هذا الثوب الأبيض الناصـع، يعنـي لـو أن ذبابةً وقفت عليـه وتركت أثراً، يظهر هذا الأثر، أمـا إذا واحـد يلـبس أفـرول، كـان بزمانه أزرق، من الشحم، والطين والوحل صار أسود أحضر لتر حبر، ضعه فوقه لا يهم.

يقول لك: أنا ماذا فعلت؟ لم يعرف أين هو الآن، فالله يجعلنا من أصحاب المراتب العاليـة، الـذين نـدرك علـى ذنوبنا الصـغيرة، أيام كلمـة فيها استهزاء، ذنب، أيام نظرة قاسية فيها ذنب، أيام تقعد بجلسـة، تهتم بأربعة خمسة والبقية تهملهم، ذنب هذا، ينظر إليك، أنت تنظر إلـى كم واحد آخرين، لم تهتم بـه اهتمـام، دخل وفد لعندك، رحبت باثنين ثلاثة، كيف الصحة؟ نسيت أن تسأل الآخرين كيف الصـحة؟ إنسـان عنـده ولدين، قبّل واحد، والثاني نسي أن يقبله، ذنب هذا، إذا أردت أن تدقق، الكمال ليس له نهاية فكلما ارتقى الإنسان يحاسب نفسه على الخطرات، على السكنات.

فالنبي أقبل على الله، هكذا بعض التفاسير، في اليوم التالي أقبل إقبال أعلى فرأى من كمال الله ما لم يره من قبل، فاستحيّ بنظرته السابقة، هذا معنى الله أكبر، كلما أقبلت على الله، رأيت من كماله شيئاً جديداً، أكبر مما عرفت، فالنظرة السابقة.

لأن هذا المعنى مرّ معيّ شخصياً، إنسان أعرفه، ذو عمل بسيط بمجلة عرضت عليه خدماتي في اللغة العربية، قال لي: أنا أحمل لِصنص، ما شاء الله! ثم هو شاعر، ثم هو رسام، ثم هو مخرج، يعني أنا كلما أظنه في مستوى أجده بمستوى أعلى، فكلما اتهمته بأنه بهذا المستوى، فوجئت أن له مستوى أعلى، طبعاً في أمور الدنيا، أمور الرسم، واللغة العربية، والشعر، وما شاكل ذلك.

فإذاً يجب أن نفسر ذنب رسول الله ﷺ بمستوى يليق به.

شيء آخر: وهذه نقطة مهمة جداً، إنسان مشدود للدين، ما الذي جعله بهذا الوضع؟ قال تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾.

[سورة الفتح الآية: 4].

أيها الإخوة الكرام، الدين منطقي، والدين يتوافق مع العقل، أي يتوافق مع الفطرة يتوافق مع الواقع، ومع كل ذلك كل هذه الأسباب لا تكفي كي تنطلق إلى الله بأعلى انطلاق السبب؟ أن هذه السكينة التي يلقيها الله في قلب المؤمن، هي التي تشده إلى الله عز وجل، يعني إنسان رأى خرائط قصر، مساحته ألف متر، خريطة الأساسات، خريطة الطوابق، هندسة البيت، بعد ذلك الديكور، التزيين، الفرش، كله ورق فقط، مشدوه لهذا البيت، لكن هذا كله بكفة، وأن يسكن هذا البيت بكفة ثانية، أن تطلع على خرائط قصر، مساحاته، حدائقه، غرف النوم، أو صور دقيقة جداً هذا كله إطلاع نظري، أنت معجب بهذا القصر، معجب بأثاثه بهندسته، بتزيينه، بتوزيع غرفه، بحدائقه، كله ورق لكن، أنت تشعر بالبرد، جالس بخيمة، أما إذا دخلت إلى هذا القصر حقيقةً وتنعمت بمساحته، ودفئه، وتكييفه، وإطلالته، وحدائقه شيء آخر، دخلنا بموضوع ثاني.

فبين أن تكون قانعاً بالدين، وبين أن تعيش جو السكينة التي تجلى الله بها على قلبك، هذه السكينة مشكلتها تحتاج إلى استقامة كاملة، السكينة تحتاج إلى إخلاص لله عز وجل .

لذلك: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾، يعني الذي يشدك إلى الدين بأكبر نسبة، هو أن الله سبحانه وتعالى يتجلى على قلبك، تجد الناس في خوف، المؤمن في طمأنينة، الناس في قلق، المؤمن في سكينة، الناس يضعفون أمام الضغوط، هو يقوى أمام الضغوط، الناس يضعفون أمام المغريات، هو لا يبالي بها، وكأنه من طينةٍ أخرى، هذه السكينة، يعطيك الله قوة

تأثير، يعطيك مواقف صلبة، يعطيك مناعة أمام المغريات، وفي إنسان مقاومته هشة، ما دام وضعه المادي خشن جداً، ماشي بالدين، أما أي إغراء انتهى، فالذي يجعلك تصمد أمام المغريات، أمام الضغوط، أمام المقلقات، أمام المصائب الطبيعية، هو هذه السكينة: ﴿ أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾.

إذاً أنت حينما تستقيم على أمر الله وتخلص له، وتقبل عليه، يأتيك من الله مدد تسميه سكينة، تسميه تجلي، تسميه حال، سميه ما شئت، ولكن تأكد أن هذا الحال لا يُدعى، كل من يدعي الحال فهو كاذب، لأن الله عز وجل لا يتجلى على قلبٍ فيه غير الله.

يقول ابن عطاء الله السكندري: "**القلب المشترك لا أقبله، ولا أقبل عليه**".

العمل المشترك الله عز وجل لا يقبله، كما أنه لا يقبل على صاحبه، فمع الإخلاص في كل شيء، هذه السكينة كأنه لك حالة خاصة، استثنائية، الحياة كلها ضغوط ضغوط الحياة كبيرة جداً مغرياتها كبيرة، مشكلاتها معقدة، تجد البيوت فيها مشكلات لا يعلمها إلا الله، المؤمن مستثنى.

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً* إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾.

[سورة المعارج].

يعني الإنسان تعلم، قرأ، قرأ القرآن، قرأ السنة، حضر مجلس علم، معه خرائط قصر عنده قناعة، والله هذه المساحة كافية، التزيينات جيدة، الحديقة واسعة، الإطلالة جميلة ساكن بخير هو, أما لما يستقيم استقامة صحيحة ويخلص سكن هذا القصر, بينما أن تملك خرائط قصر، وبين أن تملك قصر حقيقي مسافة كبيرة كثير، فهذه السكينة ثمن الاستقامة والإخلاص يقول الله عز وجل بعد ذلك:

﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً ﴾.

[سورة الفتح].

وأعظم شيء أن يتطابق مفهوم الفوز عندك مع مفهوم الفوز في القرآن الكريم عند معظم الناس مفهوم الفوز الغنى، مفهوم الفوز النجاح في الحياة، مفهوم الفوز أن تكون في مكانة علية في المجتمع، مفهوم الفوز أن ترزق بأولاد نجباء، مفهوم الفوز أن تكون لك زوجةٌ تروق لك، هذا مفهوم الفوز، أما عند الله عز وجل أن تصل إلى الجنة، وهي دار النعيم المقيم، الحياة مشحونة بالمشكلات، حتى لو الإنسان وصل إلى درجة عالية من النجاح فيها في عنده قلق عميق، يا ترى أنا، الآن أكثر الناس تقول: الله لا يبركنا، من يعرف كيف سينتهي عمره؟ قد يبقى في الفراش عشرين سنة، عشر سنوات، يستمع بأذنه إلى

كلمات، الله يخفف عنك يقول له، أقرب الناس إليه، من يضمن حركته بعد ساعة؟ حركته، والله أعرف شخص راح لبلودان، ورجع، فقد حركته نهائياً، وفي غيبوبة إلى الآن، من يضمن حركته إلى ساعة حركته، من يضمن وعيه، من يضمن ذاكرته، ينسى بيته، ينسى أولاده، من يضمن سمعه وبصره، من يضمن عقله، إذا كان في خلل، أقرب الناس إليه يتوسط لدى أولي الأمر كي يدخلونه مستشفى المجانين، أقرب الناس إليه.

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ﴾.

[سورة آل عمران].

فلذلك الفوز العظيم أن تصل إلى جنة الله عز وجل.

((ما لا عين رأتْ ولا أذن سمعتْ ، ولا خطَر على قلبِ بَشَرْ)).

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أبو هريرة].

أنا أرى أن معظم الناس يبحثون عن الجنة في الدنيا، يريدون متعها، مباهجها طعامها، شرابها، نساءها، مقاصفها، السفر، الإنفاق، استعجلوا طيبات الله عز وجل في الدنيا فحرموا منها في الآخرة:

﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾.

[سورة الأحقاف الآية: 20].

يعني كلمة جنة يجب أن تدخل في الحسابات الدقيقة، النبي الكريم يضجع على حصير يؤثر على خده الشريف، يبكي عمر، يقول له:

((ما لك تبكي؟ أفي شكٍ أنت يا عمر؟ قال: لا والله، لكن رسول الله ينام على الحصير، وكسرى ملك الفرس ينام على الحرير؟! قال: يا عمر أما ترضى أن تكون الدنيا لهم، والآخرة لنا، إنها نبوةٌ وليس ملكاً، أفي شكٍ أنت يا عمر؟!)).

أنا سمعت خبر، أن أعلى ربح في العالم من حققه؟ تجار المخدرات، يعني رقم فلكي حققوا، معناها المال ليس له قيمة عند الله عز وجل، ما دام أعطاك، لتجار المخدرات، لكن القيمة.

انظر أنا على كلمة: **﴿ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً ﴾**، انظر ما مقياس الفوز عندك؟ إذا كنت مهتدياً إلى الله، هذا المقياس يتطابق مع مقياس القرآن كريم، الآن إذا إنسان مادي، يقيم الناس بحجمهم المالي، فإذا كان شخص يعني قيمته المالية لا يعتني به، أما إذا إنسان مؤمن، يقيم الناس بإيمانهم، يمكن قد يكون شخص فقير جداً، يحترمه احترام ما له حدود لإيمانه وعلمه، لا لحجمه المالي، فلاحظ تطابق مقياسك للفوز، مع مقياس القرآن الكريم، إذا كنت مؤمناً حقاً تقدر المؤمن، تقدر المستقيم، تقدر العالم،

تقدر من أجرى الله على يده الخير، إذا كان دنيوي يقيم الناس بدخلهم، تجد دخله قليل هذا المسكين، ثم يقول الله عز وجل:

﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾.

[سورة الفتح الآية: 6].

إذا أنت مثلاً في كيلو ذهب، سبيكة أمامك، هو لك، قلت: هذا تنك، فانصرفت عنه هو ما صار تنك، هو بقي ذهب، لكن أنت خسرت، كيلو ذهب، معد ليقدم لك هدية، أنت اتهمته أن هذا ليس ذهباً، إنما هو معدنٌ خسيس، اتهامك له غير العلمي، لا يجعله معدناً خسيساً، يبقى الذهب ذهباً، لكنك حرمت منه. أنت ظن بالله ما تشاء، إذا ظننت به: ﴿ ظَنَّ السَّوْءِ ﴾، حرمت نفسك من خيراته، حرمت نفسه من بركاته، حرمت نفسك من جنته، حرمت نفسك من لذة الإقبال عليه حرمت نفسك من السكينة تتنزل على قلبك، ظنك السيئ يعود عليك وحدك بالخسران﴿ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾، إنسان أحب أن يعطيك مبلغ ضخم، قلت له: أنت ما معك، كذاب مثلاً، قال لك: كما تريد، يعني أنت حينما تتهم شيئاً عظيماً، تخسر أنت وحدك.

إخوانا الكرام، يعني أيام الإنسان يريد أن يشتري بيت، يرونه بيتاً ليس مناسباً مساحته صغيرة، شمالي، غالي، بحي غير لائق، أنت أيام ترفض الشيء احتقاراً له، إلا أن هناك شيئاً واحداً إذا رفضته تحتقر نفسك:

﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾.

[سورة البقرة الآية: 130].

كل إنسان يعرض عن الدين يحتقر نفسه، يضع نفسه في موضعٍ لا يليق به، الدين يشرفك، ويرفعك، الآن يعبدوا الجرذان في الهند، جرذان، يعبدون الأصنام، يعبدون الشمس القمر، يعبدون النار، يعبدون موج البحر، هؤلاء سفهوا أنفسهم، بعد ذلك في نقطة دقيقة:

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾.

[سورة الفتح].

يعني أنت دقق، أنت اصطلحت مع الله، وعاهدته على الطاعة، لكن لما تزل قدم الإنسان يتذكر عاهد من، أنت ما عاهدت إنسان عادي، أنت عاهدت خالق الأكوان، يعني ربنا عز وجل يقول:

﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ﴾.

[سورة الأعراف الآية: 102].

جميل جداً أن تعاهد الله، وأن تبقى ثابتاً على عهدك، المؤمن ثابتٌ على عهده في السراء، والضراء، في المنشط، والمكره، قبل الزواج، وبعد الزواج، في إقبال الدنيا، أو إدبارها في الصحة، والمرض:

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾.

[سورة الأحزاب].

الآن في ذهب، وفي حلي رخيصة جداً، منظرها جميل، مثل الذهب تماماً، مع الاستعمال تصبح سوداء، في ألماس طبيعي، في ألماس صناعي، بالمحل عند الصائغ مثل بعضهم تماماً، هذا الخاتم ثمنه ستين ألف، هذا ثمنه ثماني ألاف، بالعين هذه هذا الألماس الصناعي كالطبيعي تماماً، بدون استعمال، أما على الاستعمال ينطفئ، والذهب الصناعي، التقليدي على الاستعمال يصدأ.

فالبطولة أن تكون كالذهب، معنى هذه المعلومة أدركتها، قرأت مرة مقالة في مجلة، باخرة غارقة سنة ألف وثماني مئة وعشرة، فيها خمسة طن ذهب، سبائك، من خلال التاريخ، من خلال الأخبار، الآن في شركات تبحث عن هذه البواخر الغرقة، وصار في إمكانات ينزلوا ويستخرجوها، فأخرجوا خمسة طن ذهب، وضعوا السبائك بصورة ملونة والله كأنهم الآن مصبوبين الذهبات، من سنة ألف وثماني مئة وعشرة بقاع المحيط، خمسة طن ذهب، كأنها الآن مصبوبة، الذهب يقول لك ذهب لا يتغير، فالمؤمن الراقي ذهب أربعة وعشرين، في ذهب واحد وعشرين، في ذهب ثمانية عشر، في ستة عشر، وفي عشرة، وفي نحاس مطلي ذهب، وفي نحاس، وفي تنك، النبي قال:

((الناسُ مَعَادِن)).

[أخرجه مسلم وأبو داود، عن: أبو هريرة].

قال النبي، فالإنسان يكون ذهب أربعة وعشرين، لا يغير لا بإقبال الدنيا، ولا بإدبارها، ولا بالغنى ولا بالفقر، لا قبل الزواج لا يغيب عن الدرس، بعد الزواج لم يعد يحضر، المشكلة أنه الثبات، الثبات نبات لذلك: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾.

والحمد لله رب العالمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا أرضنا وأرضَ عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبيِّ الأميّ، وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (43-59) :سورة الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام، الآية السابعة في سورة الحجرات، وهي قوله تعالى:

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾.

[سورة الحجرات].

يقول عليه الصلاة والسلام:

((إن القلوبَ بين إصبعين من أصابع الرحمن، يُقلّبها كيف يشاءُ)).

[أخرجه الترمذي، عن: أنس بن مالك].

لعل النبي ﷺ استنبط هذا الحديث من هذه الآية:

((إن القلوبَ بين إصبعين من أصابع الرحمن، يُقلّبها كيف يشاءُ)).

ولكن يقلبه لصالح من؟ يقلبه لصالح الإنسان، الإنسان حينما يؤمن، أو حينما يتخذ قراراً بالإيمان، والاستقامة على أمر الله، الله سبحانه وتعالى بما أن قلب الإنسان بيده يملئه فرحاً وسعادةً، لأن الله خلق في القلب حب الإيمان، إذاً أن يكون قلب الإنسان بيد الله عز وجل هذا لصالحه، كلما اتخذ قراراً حكيماً، فرح القلب، وأطمأن، واستراح، لأن الله عز وجل حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، والإنسان حينما يتخذ قراراً آخر، ليس في صالحه، حينما يقرر أن يعصي الله، أو أن يأكل المال الحرام، أو أن يعتدي على أعراض الناس، يشعر بالضيق والكآبة، والكآبة الآن مرض العصر، إنها تعذيب الضمير، أو إنها تعذيب الفطرة، أو إنه القلب الذي فطره الله على الحق، وعلى الكمال، فإذا استقام الإنسان اطمأن، وإذا انحرف شعر بالضيق، فأن يكون قلب الإنسان بين أصبعين من أصابع الرحمن هذا لصالحه، إلا أن الذين:

﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾.

[سورة آل عمران الآية: 154].

يتوهمون أن قلب العبد بيد الله عز وجل، يمكن في آخر حياته أن يزيغ قلبه فيستحق النار، مع أن أمضى حياته كلها في طاعة الله، هذا المعنى الذي ما أراده الله عز وجل والذي يتبادر إلى السيئِ الظن.

﴿ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾.

[سورة الفتح الآية: 6].

يعني الفطرة شيء مهم جداً، يغفل الناس عنها أحياناً، قال تعالى:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾.

[سورة الشمس].

يعني ألهمها طريق تقواها، وألهمها طريق فجورها، هناك طريقان هذا معنى والمعنى الثاني: ألهمها إذا اتقت تشعر أنها اتقت، وتطمئن، وألهمها أنها إذا فجرت، تشعر بفجورها، وتقلق، فلهذا قال عليه الصلاة والسلام:

((البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس)).

[أخرجه الحاكم، عن: النواس بن سمعان].

إذاً لصالح الإنسان، لصالح إيمانه، لصالح آخرته، الإنسان حينما يؤمن يرتاح قلبه، لك أن تفسر هذا، لأن الفرح شيءٌ يخلقه الله في قلب الإنسان، ولك أن تفسر هذا لأن الإنسان مفطور على الإيمان، متوافقٌ مع الإيمان، فإذا آمن وجد نفسه، وارتاحت، واستقرت إذاً لا يتبادرن إلى أذهانكم أن قلب العبد بين أصبعين من أصابع الرحمن، من أجل أن يغدر به كما يتوهم الناس، أو من أجل أن يميته على غير الإيمان، بلا سببٍ منه، هذا معناً ما ورد إطلاقاً، ولا أراده الله عز وجل، لكن المفترين على الله عز وجل يتوهمون هذه المعاني، قلبك بيد الله من أجل مصلحتك، كأن الله يعينك، إن أصبت في قرارك، شجعك، فألقى في قلبك الفرح والطمأنينة، وإن أخطأت في قرارك، خوفك، فألقى فيه الخوف، والقلق، والحزن، هذا شيء.

في شيء: ثاني الإنسان مخير، لو أن الإنسان مخير، ومطلق، فإذا أراد أن يبطش بالآخرين بطش بهم، هذا شيء يتناقض مع التوحيد، لأن الأفعال بيد الله عز وجل، أنا كيف أطمأن؟ إذا كان كل إنسان بإمكانه أن يفعل بي ما يشاء، لعلي أضعف من بعض الآخرين، لعل بعضهم أقوى مني، لعل بعضهم أغنى مني، هم أحرار طليقون، ولكن الإنسان بيد الله، لا يتحرك إلا بأمر الله، والذي يحركه قلبه، الإنسان له رؤية، رؤيته أحياناً تقوده إلى عملٍ معين رؤية أخرى تقوده إلى عمل آخر، فمن أجل أن تطمئن إلى كل من حولك ولو كانوا أقوياء قلبهم بيد الله، فلن يستطيعوا أن يصلوا إليك إلا إذا سمح الله لهم، لأن

حركتهم أساسها رؤية والرؤية أساسها موقف القلب، الإنسان يرى الخير في كذا أو يرى الخير في كذا فينطلق.

إذاً من معنى آخر لك أن تطمئن أن الله عز وجل لن يسمح لأحد أن يصل إليك إلا إذا كانت هناك حكمة في هذا الوصول:

﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آَخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾.

[سورة هود].

لعل هذا المعنى الثاني أن العباد بيد الله، ولن يصلوا إليك إلا إذا سمح الله لهم ولن يسمح الله لهم إلا إذا كان هناك حكمة من أن يصلوا إليك، هذا المعنى الدقيق إضافةً إلى المعنى الأول، المعنى الأول قلبك بيد الله لصالحك، كأنه يعينك على الخير بشرح صدرك للخير، وكأنه يحجزك عن الشر إذا اتخذت قراراً بفعلٍ شرير، يقبض نفسك، أما المعنى الثاني لو رأيت الأقوياء والأغنياء وأصحاب النفوذ هؤلاء بيد الله عز وجل:

((إن القلوبَ بين إصبعين من أصابع الرحمن، يُقلِّبها كيف يشاءُ)).

ذكرت هذا كثيراً، قصة نموذجية توضح هذه الحقيقة، مرة الحجاج، الحسن البصري، أحد كبار التابعين، أدى أمانة العلم، فذكر أشياء مع ملئ من الناس، أغضبت الحجاج، فاستشاط غضباً، وقال لمن كان مع الحسن البصري: يا جبناء، والله لأسقينكم من دمه، ثم أمر بقتله وانتهى الأمر، جاؤوا به ليقتل، وجيء بالسياف، ومدَّ النطع وهو رداء أو بساط يوضع تحت أرجل المقتول، لئلا يتأذى الأثاث الفاخر تحت أرجل المقتول، وجيء بالحسن البصري، التابع للجن لما دخل حرك شفتيه حركة لم يفهم منها أحد شيئاً:

((إن القلوبَ بين إصبعين من أصابع الرحمن)).

لما دخل وقف له الحجاج، وقال: أهلاً بأبي سعيد، وما زال يقربه حتى أجلسه على سريره، واستفتاه، وسأله، وأثنى عليه، وضيفه، وعطره، وشيعه، شيء غير معقول إنسان أتخذ قرار بقتله، والسياف جاهز، وقد مدَّ النطع، والحاجب يعلم ذلك، حينما شيعه وغادر قصر الحجاج، تبعه الخادم قال: يا أبا سعيد ماذا قلت في شفتيك وأنت داخل، قال: ولِمَ قال: لأنه قد جيء بك لغير ما فعل بك، جيء بك لتُقتل، قال: قلت يا ملاذي عند كربتي ومؤنسي في وحشتي، اجعل نقمته عليَّ برداً وسلاماً، كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم، هذه القصة تبين أن قلب الحجاج بيد الله عز وجل.

ورد في الحديث القدسي النبي:

((إن الله يقول: أنا الله لا إله إلا أنا مالك الملوك وملك الملوك قلوب الملوك بيدي، وإن العباد إذا أطاعوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة وإن العباد إذا عصوني حولت قلوبهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك ولكن اشغلوا أنفسكم بالذكر والتضرع، أكفكم ملوككم)).

[أخرجه الطبراني، عن: أبو الدرداء].

قلب أيّ إنسانٍ بيد الله، إن أراد الله أن يؤدب الإنسان، ملأ هذا القلب، ملأ قلب القوي قسوةً، وإذا أراد الله أن يكرم إنسان، ملأ قلب القوي رأفةً ورحمةً، شيء ما له قاعدة القاعدة أن قلب هؤلاء بيد الله، فإن كنت تستحق الإكرام ملأ قلبهم عطفاً عليك، ورحمةً بك وإنصافاً لك، وإن كان الإنسان يستحق التأديب، ملأ قلبهم قسوةً، وغلظةً، وفظاظة، إذاً قلوب العباد بيد الله، هذه لصالح الناس، هذه لترسيخ التوحيد، ولصالح المؤمن، ومن أجل أن تطمئن صحيحٌ أن الإنسان مخير، ولكن مخير أن يفعل، أو أن لا يفعل، فإن أراد أن يفعل، لا يستطيع أن يصب فعله على من يشاء، إن أراد أن يسرق، عندئذٍ يسير لإنسانٍ تعد سرقته حكمةً، لا أقول عقاباً، ولا أقول ثواباً، أقول حكمةً، إذاً يجب أن تطمئن.

﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى* قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾.

[سورة طه].

هذا الذي قلته يملأ قلب الإنسان طمأنينة، مخلوقات، أيام في وحوش كاسرة، أيام في عقارب، في حيات، يعني في البساتين، أو في الريف، الإنسان إذا كان يعتقد أن كل شيءٍ طليق، شيء مخيف جداً، أما إذا اعتقد أن كل شيءٍ بيد الله، حركته بيد الله، ومحركه بيد الله وهو القلب، الإنسان القلب كما قلت: يحب ترى منه العجب العجاب، يبغض ترى منه العجب العجاب، يكبر ولا ترى كبره، يتضاءل أمامه كل كبير، ويصغر ولا ترى صغره، فيتعاظم عليه كل حقير، هذا القلب بيد الله، إذاً أنت أمام إنسان أقوى منك، عطف عليك، الله عز وجل ملأ قلبه عطفاً عليك، أراد أن يصل إليك بالأذى، قلبه أملئه الله قسوةً، وغلظةً، علاقتك مع الله وانتهى الأمر، فصار في عندك معنيين، أول معنى: تقليب القلب بيد الله لصالحك، لصالح إيمانك، كأن الله يعينك على اتخاذ القرار الصحيح، إن أصبت في حركتك ملأ قلبك سعادةً وحبوراً، وإن أخطأت ملئه ضيقاً، وشقاءً، والمعنى الثاني: أن أحداً لن يستطيع أن يصل إليك إلا إذا سمح الله له، لأن قلبه الذي يحرض عمله بيد الله.

الآن أيام الإنسان يأتيه سائل، يشعر أنه يكذب، القلب لا يميل إلى الكذب، يمتنع عن إعطائه، أحياناً تندفع إلى إعطاء إنسان اندفاع غير معقول، طيب من الذي ملأ القلب عطفاً؟ ومن الذي ملئه قسوةً؟ الله عز وجل، يعني كأن الله هو الذي يحركنا، بأن يملأ قلبنا رحمةً، أو بالعكس، إذاً اطمأن لن يستطيع أحدٌ أن يصل إليك، إلا إذا شاء الله، لأن قلوب العباد بيد الله، يحركها كيف يشاء، والتاريخ ممتلئ بقصص تؤكد هذه الحقيقة، وحياتنا اليومية مملوءةٌ بقصص تؤكد هذه الحقيقة:

((لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه)).

[أخرجه البزار، عن: أبو الدرداء].

هذه حقيقةٌ يجب أن تكون واضحةً في أذهانكم، الشيء الآخر الآية الثانية والأخيرة:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾.

[سورة الحجرات الآية: 10].

هذه الحقيقة تغيب عن معظم الناس، مجموع المؤمنين إخوة، مجموعهم، ليس إخوة جامعٍ واحد، إخوة حلقةٍ واحدة، إخوة جماعةٍ واحدة، أبداً:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾، مجموع المؤمنين:

﴿ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾.

[سورة الحجرات الآية: 10].

في فعل رحماني، وفعل شيطاني، الفعل الرحماني إصلاح ذات البين، والشيطاني يلقي العداوة والبغضاء، وهذا فعل الشيطان، الشيطان له خصائص، من أحد خصائصه التفريق دائماً لو غفل الزوج وزوجته عن الله عز وجل، يلقي في روع الزوجة أن الزوج لا يحبك وأنه سينتقم منك، وأنه سيطلقك، ويلقي في روعه أنها لا تحبك، وتفعل كذا وكذا في غيبتك مهمة الشيطان الأولى التفريق بين الزوجين، وبين الشريكين، وبين المؤمنين، وبين الأخوين مهمة المؤمن الجمع، والتعاطف، وتقريب وجهات النظر، والتكاتف، والتعاون، الشيطان يخوف والرحمن يطمأن، الشيطان يعد بالفقر، والرحمن يعد بالعطاء، الشيطان يغري بالفاحشة، والملك يلهمك الخير:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.

[سورة الحجرات].

لماذا حرم النبي الغيبة؟ لأنها تفتت المجتمع، لماذا حرم النميمة؟ لأنه تقطع الناس بعضهم عن بعض، لماذا حرم الكذب؟ لأنه يؤذي، كلما شأنه أن يفتت المجتمع الإسلامي حرمه النبي عليه الصلاة والسلام بوحيٍ من الله، وكلما من شأنه أن يقرب وجهات النظر، وأن يجعل المؤمنين كالجسد الواحد، هو أيضاً قد أمر النبي به، وقد أرادنا الله عز وجل أن نكون جماعةً متماسكة، فقال:

((يَدُ اللهِ مع الجماعةِ . ومن شذَّ شذَّ في النار.)).

[أخرجه الترمذي، عن: عبد الله بن عباس].

والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا أرضنا وأرضَ عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبيِّ الأميّ، وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

الدرس (44-59) : الإنسان خلق ليبقى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام، الإنسان خلق ليبقى، وما الموت في الحياة الدنيا إلا حالةٌ طارئة تلابس وجوده يعني يكون في حال، ينتقل إلى حالٍ آخر، حال أهل الدنيا بنظامٍ وكيفيةٍ خاصة، وحال أهل الأخرى بنظامٍ وكيفيةٍ خاصة، فالإنسان باقي، وقالوا:

﴿ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴾.

[سورة الزخرف].

الإنسان خلق ليبقى، الموت، يذوق الموت ولا يموت، يذوق الموت، بقيَّ أن هذه النعم التي أنعم الله على الإنسان في الدنيا بها، إن انتقل إلى الدار الآخرة، واتصلت نعم الآخرة بنعم الدنيا، فهذا من أعظم العطاء، أن تتصل نعم الدنيا بنعم الآخرة، أما أشد شيءٍ على النفس السلب بعد العطاء، أشد شيءٍ على النفس في الدنيا، تصور إنسان يسكن في بيت، أربع مئة متر، في أرقى أحياء دمشق، فجأة نقل إلى بيت تحت الأرض تسعين متر، ليس فيه شمس وفي أسوأ أحياء دمشق، شيء لا يحتمل، إنسان عنده هاتف سحب منه، عنده مركبة أخذت منه كان بصحة، فقد الصحة، الانتقال من العطاء إلى السلب من أشد الأشياء على النفس، العكس مقبول، العطاء بعد الحرمان جيد، يقول الله عز وجل:

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴾.

[سورة الواقعة].

الذي غفل عن الله عز وجل، وأوتي من الدنيا ما أوتي، ثم جاءه الموت سوف يسلب منه كل هذا، من كل شيء، إلى لا شيء، من بيت واسعٍ فخمٍ ،إلى قبرٍ، من سعادة موهومة، إلى عذاب أبدي.

لذلك هذه الآية: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾، يعني وقوعها حق، يعني لا بد من أن تقع يعني وقوعها محقق، ثابت، وقع.

﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾.

[سورة النحل الآية: 1].

﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴾، من هم العقلاء؟ من هم الأذكياء؟ من هم الموفقون؟ من هم الفالحون؟ من هم الناجحون؟ من هم المتفوقون؟ الذين يسعون لنعم في الآخرة تتصل بنعم الدنيا.

لذلك ملخص ذكاء الإنسان، وحكمته أنه إذا جاءه ملك الموت يقول: مرحباً بالموت، لأنه ينتقل من دار العمل إلى دار الخلود، من دار محدودة إلى دار ممدودة من دار التكليف إلى دار التشريف، من دار العمل والجد والسعيّ إلى دار التكريم، أما أشقى الناس هؤلاء الذين يعيشون في بحبوحة، ثم يأتيهم ملك الموت، فُتسلب كل هذه النعم منهم ﴿ **خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ** ﴾.

تصور هذه اللعبة التي يلعبها الصغار، هذا القلاب، أناسٌ في الحضيض بعد حين صاروا في الأوج، أناسُ في الأوج صاروا في الحضيض، المقياس مقدار نفعك لبني البشر إذا كنت مستقيماً، إذا كنت مطبقاً لمنهج الله، إذا كنت منتبها لمهمتك في الدنيا، تأتي نعم الآخرة لتتصل بنعم الدنيا، كل عقلك، وكل ذكاءك، أن تجعل من نعم الآخرة استمراراً لنعم الدنيا ﴿ **وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ** ﴾.

لذلك من الأدعية المأثورة:

((اللهم إنا نعوذ بك من السلب بعد العطاء، نعوذ بك من شماتة الأعداء، نعوذ بك من عضال الداء)).

الإنسان كما تعلمون يولد وهو يبكي، وكل من حوله يضحك، أما حينما يموت كل من حوله يبكي، كل بطولته، وكل عقله، وكل ذكاءه أن يضحك وحده.

" **واكربتاه يا أبتا، قال: لا كربة على أبيك بعد اليوم، غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه**".

سيدنا سعد بن الربيع جاءه أحد أصحاب النبي ليتفقده، قال: "**يا سعد أبين الأحياء أنت أم بين الأموات؟ قال: أنا بين الأموات، لكن أقرأ رسول الله مني السلام، وقل له: جزاك الله خيراً، جزاك الله خير ما جزا نبياً عن أمته، وقل لأصحابه: لا عذر لكم إذا خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف**".

في أي سعادةٍ هو في هذه اللحظة، حينما يغادر الدنيا، لينتقل إلى الدار الآخرة والدنيا ساعة، أجعلها طاعة، الآن رمضان، الذي صامه افرضه في الصيف، في أشهر الصيف التي لا تحتمل، الذي صامه، وجاء عيد الفطر، انتهت مشقة الصيام، وبقي الأجر والثواب، والذي أفطره، انتهت متعة الأكل والشرب في رمضان، وبقي الإثم والجزاء، كل شيء يمضي.

كنت أقول لكم دائماً: الموت ينهي كل شيء، ينهي قوة القوي وضعف الضعيف صحة الصحيح، ومرض المريض، وسامة الوسيم، وذمامة الذميم، وفقر الفقير، ينهي، كل شيء ينهي، يبقى الجزاء، ويبقى الثواب، فهذه الآية وحدها: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴾، يعني نحن نذكرها، الله عز وجل قال:

﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾.

[سورة الإسراء الآية: 21].

يعني يوازى رجل من كبار التجار، أو من أحد التجار الكبار في البلد، مع بائع متجول؟ يعمل عشرين ساعة، ليحصل قوت يومه، وتبح حنجرته، أيوازى منصب رفيع جداً في الجيش، رئيس أركان، مع جندي غر، في أول خط مواجهة، في أيام الشتاء، والمطر تهطل، هذا يوازى مع هذا؟ من حيث النواحي المادية، يوازى طبيب جراح مختص، مع ممرض يعمل عملاً شاقاً والأجر قليل؟ يتوازى أستاذ في جامعة، مع أستاذ في قرية، في أقاصي البلاد؟ يعني هل يوازى إنسان يسكن في بيت فخم جداً، مع كوخ حقير؟.

﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾.

[سورة الإسراء].

مراتب الدنيا مؤقتة، ولا تعني شيئاً، الله أعطى الملك لمن لا يحب، أعطاه لمن يحب، ليست مقياساً، الملك لا يعني شيئاً، لأنه أعطاه لسيدنا سليمان، وهو نبيٌّ كريم، ربي:

﴿ وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾.

[سورة ص الآية: 35].

وأعطاه لفرعون وهو لا يحبه، أعطى المال لقارون، وهو لا يحبه، أعطاه لعبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه، أعطاه لعثمان ابن عفان، إذاً مراتب الدنيا لا تعني شيئاً، لا تقيم عند الله بحجمك المالي، ولا بمستوى معيشتك، تقيم بطاعتك، وتقواك، لكن مراتب الآخرة دقق، تعني كل شيء وهي أبدية، من هو العاقل؟ هل العاقل الذي يسعى لمرتبةٍ في الدنيا مؤقتة؟ أم الذي يسعى لمرتبةٍ في الآخرة ثابتة؟ كل من يسعى لمرتبةٍ في الدنيا مؤقتة، هو إنسان خسر خسارةً كبيرة، مؤقتة.

لذلك من أجل أن تجعل من نعم الآخرة متصلة بنعم الدنيا، يجب أن تعرف الله وطلب العلم فريضة، وأخطر شيء في حياة الإنسان إيمانه، وعقيدته، واستقامته، لأن الموت حق، الموت مصير كل حي، وكل هؤلاء الذين، كلنا جميعاً بعد مئة عام لن تجد منا واحداً على وجه الأرض كلنا، وقبل مئة عام ما كان منا واحدٌ على وجه الأرض، الدنيا حلم، الأيام تمضي سريعاً، الوقت يسير سريعاً، الآن نحن بحياتنا، آتى رمضان، اليوم أربعة وعشرين تقريباً، البارحة كان أول يوم، الآن يأتي العيد، يأتي العيد الكبير، يأتي الشتاء، يأتي الصيف يأتي عام سبعة وستين، ثمانية وتسعين، تسعة وتسعين، العام ألفين، إلى أن تأتي ساعة هي النهاية، يعني الناس كلهم يقرؤوا نعوتنا، أنه اعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا، لا ينفعنا إلا عملنا: ﴿ **إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ**﴾.

شيء آخر، يعني الله عز وجل لا يرى بالعين، ولكن يرى بالعقل، قال:

﴿ **أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ** ﴾.

[سورة الواقعة].

يعني هذا الحوين المنوي، هذه الخلية الصغيرة، التي فيها غشاء، وفيها هيولة وفيها ونواة، وفيها معلومات مبرمجة، يعني تزيد عن الأعداد الكبيرة جداً، هذا الحوين المنوي من خلقه؟ هذه الخصية لماذا هي خارج الجسم؟ هل فكرتم في هذا؟ هذا يُصّنع في ثمانية عشر يوماً، وتعطل فاعليته، ثم إذا انطلق تحرك ليلقح البويضة، عملية خلق الإنسان، هذه العملية من أعظم العمليات في جسم الإنسان:

﴿ **أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ * نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ** ﴾.

[سورة الواقعة].

خمس مئة مليون حوين تنطلق من الرجل، والبويضة تحتاج إلى حوين واحد خمس مئة مليون في اللقاء، تحتاج البويضة إلى حوين واحد، وهذا الحوين في مادة نبيلة في رأسه، مغطاة بغشاء، المادة النبيلة تشبه قرنية العين، يعني الخلية الأولى تتغذى، وتعطي أختها وهذا من عظمة الله عز وجل، الإنسان كل جسمه خلايا، كل الخلية تأخذ نصيبها من الغذاء عن طريق شبكة أوعية دقيقة جداً، إلا العين، لو أن هناك الطريقة المتبعة سابقاً، ستجد أن هناك أوعية دموية في قرنية العين، كأنك ترى من شبكة، من أجل نقاء الرؤية، العين وحدها قرنية العين وحدها تتغذى بطريقةٍ فريدة، أول خليةٍ تأخذ حظها من الغذاء، وحظ

جارتها وينتقل الغذاء عبر الأغشية بين الخلايا، دون أن تكون هناك شبكة تعيق الرؤية، والمادة النبيلة الثانية في رأس الحوين المنوي، هذه المادة مغطاة بغشاء، فإذا اصطدم الحوين بالبويضة تمزق الغشاء، وهذه المادة النبيلة ساهمت بإحداث فجوةٍ في البويضة، يدخل منها الحوين إلى البويضة، ويبدأ التلقيح وتنقسم إلى عشرة آلاف قسم، وهي في طريقها إلى الرحم، دون أن يزداد حجمها، الإنسان إذا اضطلع على علم الأجنة يرى الشيء الذي لا يصدق، يعني كيف خلقنيَّ الله عز وجل؟ انظر إلى خلق ابنك، هو أمامك، إنسان، طفل، دماغ، وأوعية وأعصاب ورئتين، وقلب، وكليتين ومعدة، وأمعاء، وعظام، هذا كله من نقطة ماء، و:

﴿ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾.

[سورة المرسلات].

تستحي به، تستحي به لو أنه كان على الثوب: ﴿ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾، وخرج من عورةٍ، ودخل في عورة، ثم خرج من عورة، هذا أصل الإنسان، فلماذا الكبر؟ الله عز وجل لا يرى بالعين، ولكن يرى بالعقل.

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ * نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾.

[سورة الواقعة].

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾.

[سورة الواقعة].

في بعض الموسوعات العلمية يقولون: إن أعظم معمل صنعه الإنسان حتى الآن تريد مفاعل نووي، كيف يوجد معامل معقدة جداً؟ إن أعظم معملٍ صنعه الإنسان حتى الآن يبدو أمام ورقة النبات تافهاً، الورقة معمل، معمل بكل معنى هذه الكلمة، قضية النبات، ظاهرة النبات وحدها من أعظم الظواهر، يعني هذا النسغ الصاعد، ثمانية عشرة معدن محلول بالماء هذا الجذير ينتهي بقلنسوة، هذه تستطيع أن تفتت الصخر، وأن تسري عبر الصخر، هذا الخيط الرفيع الذي لا يحتمل أن تمسكه بيدك، هذا مجهز لثقب الصخر، أيام ترى نبات متغلغل في الصخر، عن طريق هذا الخيط الذي ينتهي بكرةٍ صغيرة، تفرز مادة مذيبة للصخر وأحياناً في أشجار وصل طول جذرها إلى ثلاثين متراً، والجذر يتبع الماء، قد تجد جذر الشجرة نحو اليمين أو نحو اليسار، أو متغلغل في أعماق التربة، من علمه؟ ومن صممه، النبات وحده ظاهرة.

طيب الماء كيف يصعد نحو الأعلى بعكس الجاذبية الأرضية؟ قال: بالخاصة الشعرية، طيب يصعد نحو الأعلى بأوعيةٍ فيها دسامات، تسمح للماء أن يصعد دون أن يرجع كالإنسان تماماً، الذي معه دوالي تضعف هذه الدسامات، يعني هذا الدم حينما يضخ في وريقات، إذا ضخ الدم هكذا الوريقة فتحت، انتهى الضخ

رجعت وأغلقت، الدم وهو صاعد في أوعية يصعد دون أن يرجع بخاصة الدسامات التي في الأوردة التي في الجسم، وكذلك النبات هذا النسغ الصاعد يصل للورقة، الورقة فيها كوتون، فيها يخضور، تأخذ أزوت من الجو تصنع نسغ نازل، من عنده سائل يحقن مرةً فيكون كاوشوك؟ ويحقن مرة فيكون حديد؟ يحقن مرة فيكون خشب؟ نحن عندنا في بني البشر سائل موحد، تحقنه يخرج مئة نوع؟ هذا النسغ النازل يصبح جذر، يصبح ساق، يصبح أوراق، يصبح أزهار، يصبح ثمار، سائل واحد مصنع بالورقة، الورقة معمل: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ الشجرة وحدها أيها الإخوة آية كبيرة خشب الشجرة، في الربيع أزهرت، ثم أورقت، ثم أثمرت، ببرنامج دقيق، هذه تفاحة استاركن، هذه غولدن، هذا تفاح شتوي، هذا سكري، كل تفاح له خصائص، له حجم، له شكل، له رائحة، قال:

﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾.

[سورة الواقعة].

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴾.

[سورة الواقعة].

عملية المطر عمليةٌ بالغة التعقيد، يعني هذا الغيم، كيف ينعقد حبات المطر؟ لابد له من نواة، إما الغبار، أو شيء آخر تنعقد عليه حبات المطر:

﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً ﴾.

[سورة النبأ].

متر المكعب من الهواء، بكل درجة حرارة يحمل بخار ماء معين، إذا كان سخنا الهواء، يحمل فرضاً المتر خمس غرامات من الماء، لو كان خفننا الحرارة يصير ثلاث غرامات، فتجد سحاب محمل ببخار ماء كبير، يواجه جبهة باردة، ينعصر بخار الماء، ينعصر الهواء وتنعقد حبات المطر، كلمة: ﴿ الْمُعْصِرَاتِ ﴾، ملخص علم البشر، أيضاً المطر، نحن نعطي عناوين موضوعاتها، موضوع المطر

موضوع طويل، يعني لو كان ما في تقطير الماء كله مالح، يعني أنا سمعت أن لتر الماء المحلى في بعض الدول النفطية يكلف أغلى من البنزين، لتر ماء محلى، هذا الماء الذي نشربه، يعني شيء كبير جداً، من صمم موضوع التقطير؟ إذا كان الماء تبخر يتخلى عن كل ما فيه، إلا ذرة الماء، فالتقطير يعطيك ماء صرف، أما الماء المالح بالتقطير يغدو عذب.

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴾.

[سورة الواقعة].

ما حقيقة النار؟ شيء دقيق جداً، الغي النار، يلغى كل شيء، لو ألغيت النار لا ترى في الدنيا شيئاً، النار وحدها، لأن النار تصهر المعادن، كل أدوات العمل، والحرف أساسها معادن، لولا النار لما انقلبت الفلذات إلى معادن، إذاً الله لا يعرف إلا من خلال التفكر بالكون، آخر شيء:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾.

[سورة الواقعة].

﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ ﴾، لا أحد يعرف قيمة حقائق الفلك، لأنه أنا من أجل أن أصل إلى أقرب نجم أحتاج إلى خمسين مليون سنة، بمركبة أرضية، طيب أقرب نجم بعده أربع سنوات ضوئية، أبعد نجم ثلاث مئة ألف بليون سنة ضوئية، هذا رقم قبل عام من محطة أخبار عالمية أربع سنوات ضوئية أحتاج لكي أصل إليها إلى خمسين مليون سنة، الواحد لا يلحق أن يصل يموت قبل أن يصل، عمره كله ستين سنة، يريد خمسين مليون سنة ليصل لأقرب نجم ملتهب أما أبعد مجرة الآن اكتشفت، ثلاث مئة ألف بليون سنة ضوئية:

﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ ﴾.

[سورة الواقعة].

جواب القسم:

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآَنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

[سورة الواقعة].

يعني الآن يطبع في العالم كل يوم كتب تحتاج إلى أن تقرأها إلى مئتي عام كل يوم باللغة الإنكليزية فقط، ما يطبع في العالم من كتب يومياً لا تكفي مئتي عام لقراءتها، خذ كتب البشر كلهم، من آدم إلى يوم القيامة، كل هذه الكتب في كفة، وكلام الله عز وجل في كفة أخرى، لأن فضل كلام الله على كلام خلقه، كفضل الله على خلقه، هذا القرآن له معنى آخر لو أمضيت كل حياتك في فهمه لا تكون مخطئاً، كل حياتك، يُفهم آيةً أية، يُفهم كلمةً كلمة يُفهم حرفاً حرفا، يفهم ما بين السطور، يفهم خلف السطور، المدلول العام، لذلك أن تعرف كلام الله وأن تشرحه للناس، هذا من أكبر أنواع الجهاد.

﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً ﴾.

[سورة الفرقان].

يعني هذا الكتاب يجب أن يكون ملء سمعنا، وبصرنا، ملء قلوبنا، لأنه فيه منهج حياتنا، وفيه تعريفٌ بربنا، وفيه إنباءٌ لنا عما سيكون، وعما كان.

﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ * وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾.

[سورة الواقعة].

أشقى الناس من جاء إلى الدنيا وكذب بكلام الله عز وجل, شقي.

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴾.

[سورة الواقعة].

هذه الساعة التي لا بد منها, يا ترى بالبيت, بالمستشفى, بالطريق, بباخرة بطائرة, كل واحد له مكان يموت فيه، وزمان يموت فيه.

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ ﴾.

[سورة الواقعة].

قد يعانقه ابنه، قد يقبله ابنه.

﴿ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾.

[سورة الواقعة].

لو فرضنا ابن المتوفى الذي على فراش الموت يعانقه، يضمه إلى صدره، يقبله قال:

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

[سورة الواقعة].

واحد سأل أحد العلماء، قال له: أريد أن أعصي الله عز وجل، ما السبيل؟ قال له: القضية سهلة جداً، إن أردت أن تعصيه فلا تسكن أرضه، قال له: وأين أسكن؟ قال له: تعصيه وتسكن أرضه، قال له: هات الثانية، قال له: إن أردت أن تعصيه، فلا تأكل من رزقه، قال له: ماذا آكل إذاً؟ قال له: أتسكن أرضه، وتأكل رزقه، وتعصيه، قال له: هات الثالثة، قال له: إن أرت أن تعصيه، فأجهد في مكانٍ أن لا يراك فيه، قال: وأي مكانٍ ليس الله فيه؟ قال له: أتسكن أرضه، وتأكل رزقه، وتعصيه وهو يراك، قال له: هات الرابعة،

قال له: إن أردت أن تعصيه وجاءك ملك الموت، فلا تذهب معه، لا ترضى: ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾.

يقدر إنسان مهما كان قوي:

لا تأمن الموت في طرفٍ ولا نفسٍ وإن تمنعت بالحُجـــابِ
والحرسِ فما تزال سهام الـموت نافذةً في جنب مدرعٍ منها ومترسِ

* * *

أراك لست بوقافٍ ولا حــذرٍ كالحاطب الخابط الأعواد في الغلس
تـرجو النجاة ولن تسلك مسالكها إن السفينـة لا تجري على الـيبس

* * *

يقدر الإنسان أن لا يموت؟ دعك من عامة الناس، أغنياء العالم، يعني سمعت عن شخص يعمل في الفن، حريصٌ على حياته حرصاً يفوق حد الخيال، ما ركب طائرة في حياته لئلا يأتي حظه أسوداً، وقد مات جميع ركابها، ما ركب طائرة بحياته، ما أكل في العشاء طعاماً إطلاقاً إلا الفاكهة، يوم سمك، يوم فراريج، لحم أبيض، بعد ذلك مات.

يقدر إنسان أن لا يموت؟ ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ* تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾، قال له: فإذا جاءك ملك الموت لا تذهب معه، قال له: لا أستطيع، قال له: تأكل رزقه، وتسكن أرضه، وتعصيه وهو يراك، ولا تستطيع أن تمتنع على ملك الموت، قال له: هات الخامسة، قاله: إذا أخذك الزبانية إلى النار فلا ترضى، لا أريد، تقدر؟ الإنسان مقهور، مقهور بوجوده، باستمرار وجوده، مقهور برزقه، مقهور بمصيره، مقهور بالآخرة فالإنسان ما له معنى أن يعصي الله عز وجل، أما إذا أطاعه سعد في الدنيا والآخرة: ﴿ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ* وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ* فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾.

لم تكونوا مقهورين:

﴿ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ* فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾.

[سورة الواقعة].

هؤلاء المتفوقون، قال له: كم الزكاة يا سيدي؟ قال له: كيف؟ عندنا، أم عندكم؟ قال له: عجيب، كم دين في؟ قال له: يا ابني عندكم اثنان ونصف بالمئة، أما عندنا العبد وماله لسيده، العبد ما له شيء، في ناس متفوقين في الدين وقته، كل طاقاته، كل إمكاناته، ماله خبراته، علمه موظفة في الحق، هذا من السابقين، في إنسان مقتصد، هذا لكم وهذا لي، ساعة لك، وساعة لربك، في إنسان كل الساعات لله عز وجل، لكن هذا أذكى الأول السابق أذكى، لأنه وصل إلى أعلى مستوى، سبحان الله الإنسان في الدنيا يطمح بأجمل بيت يطمح بأحسن مركبة، إلا أنه يقول لك: الآخرة نريدها وراء الباب، لماذا بالآخرة وراء الباب بالدنيا تريد أحسن بيت؟ شيء غريب طموح في الدنيا، زاهد في الآخرة، اعكسها، كن طموحاً في الآخرة، وزاهداً في الدنيا.

﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾.

[سورة الواقعة].

هؤلاء نجحوا مقبول، ماشي الحال، أول واحد امتياز، له حفل تكريم، له بعثة، له كذا، الثاني، ما في، يعينوه:

﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ* فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾.

[سورة الواقعة].

نفذ، لكن مقبول، يتبع شهادة، وقد نال امتياز هذه الدرجة، بدرجة مقبول:

﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ* فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ* وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ* إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾.

[سورة الواقعة].

يعني كل واحد منا حاضر، له مرتبة إن شاء الله من الأولى والثانية، أما الثالثة مشكلة والله، الأولى، والثانية، يا من السابقين، يا من أصحاب اليمين، هذا كلام رب العالمين هذا المصير الحتمي، الآن كم يوجد في بشر؟ خمس آلاف مليون، كم جنس؟ وكم عرق؟ وكم أمة وكم أصل؟ وكم لغة؟ وكم طائفة؟ وكم قبيلة؟ كل هذه التقسيمات باطلة، بالنهاية ثلاثة سابقون، أصحاب يمين، مكذبون ضالون، فالإنسان يجهد أن يكون بالأولى، أو الثانية، إذا ما صح له أولى، يلحق حاله بالثانية.

والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا أرضنا وأرضَ عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبيّ الأميّ، وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

الدرس (45-59) : حاجات الإنسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام، كلكم يعلم أن في الإنسان حاجاتٍ أساسية، إحداها الحاجة إلى الطعام، للحفاظ على الفرد، والحاجة إلى الجنس للحفاظ على النوع، والحاجة إلى الذكر والحاجة إلى الذكر، أو الحاجة إلى تأكيد الذات، للحفاظ على الذكر، الأشياء المعنوية حاجةٌ أساسية في الإنسان، من هذه الأشياء المعنوية أن يكون عزيزاً، ويقابل هذه العزة الذل، ربنا عز وجل يقول في سورة المجادلة:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴾.

[سورة المجادلة].

يعني:

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً ﴾.

[سورة فاطر الآية: 10].

إن لم تكن مع الله لن تكون عزيزاً، إن لم تكن مستقيماً على أمر الله، لن تكون رافع الرأس، إن لم تكن مع القوي، لن تكون قوياً، إن لم تكن مع العزيز، لن تكون عزيزاً، من أراد العزة، وهي مطلبٌ أساسي بعد الطعام والشراب، وبعد الزواج الإنسان يميل إلى تأكيد ذاته، إما من خلال عمله، أو من خلال تفوقه في مجال من المجالات: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴾، والدعاء الشريف:

((سبحانك إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت)).

وقد تعلمون أن الإنسان قد يؤثر يعني عزة نفسه فيما يتوهم، يقول عليه الصلاة والسلام:

((ألا يا رب نفسٍ طاعمةٍ ناعمةٍ في الدنيا، جائعةٍ عاريةٍ يوم القيامة، ألا يا رب نفسٍ جائعةٍ عاريةٍ في الدنيا، طاعمةٍ ناعمةٍ يوم القيامة)).

شيءٌ أخر:

﴿ كَتَبَ اللَّهُ ﴾.

[سورة المجادلة الآية: 21].

يعني الله عز وجل لا يكتب، ولكن إذا قال لنا: ﴿ كَتَبَ ﴾، أي ليؤكد لنا، وليطمئننا:

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾.

[سورة المجادلة].

يعني من سابع المستحيلات أن تكون مع القوي العزيز، ثم تكون ضعيفاً، ذليلاً الضعف والذلة تتأتى من البعد عن الله عز وجل.

شيءٌ آخر، كنت أقول لكم سابقاً، هناك في الإسلام ما يسمى بالولاء، والبراء، فما لم توالي المؤمنين، وتتبرأ من الكافرين، لن تكون مؤمناً من هنا قال الله عز وجل:

﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾.

[سورة المجادلة الآية: 22].

هذه المودة، العلاقة الحميمة بين رجلين، فيما يبدو أحدهما مؤمن، والثاني غير مؤمن، هذه المودة لا تكون، وإن كانت فهناك شكٌ في الإيمان، لك أن تقيم علاقةً مع غير المؤمنين علاقة عمل، أما العلاقات الحميمة شركة اندماجية، نزهة مختلطة، هذه العلاقات الحميمة تشعر أن صاحبها بعيدٌ عن الإيمان.

شيءٌ آخر، قال بعضهم: عرفت الله من نقض العزائم، يعني الأرض لها أسباب لها أسباب القوة، ربنا عز وجل يعني تتبدى عظمته، تتبدى قدرته، حينما ينقض عزيمة قوي فالقوي معتدٌ بنفسه، القوي متعجرف، القوي ينظر إلى ذاته.

سيدنا عمر كما تذكرون لما جاءه جبلة ابن الأيهم مسلماً، وهو ملكٌ غساني، رحب به أشد الترحيب، في أثناء الطواف، داس بدويٌ من فزارة طرف ردائه، فانخلع عن كتفه فالتفت هذا الملك إلى هذا الأعرابي البدوي، وضربه ضربةً هشمت أنفه، ماذا يملك هذا الأعرابي، إلا أن يشتكي إلى عمر اشتكى إلى عمر؟ فاستدعى جبلة، قال عمر لجبلة: أصحيحٌ ما أدعى هذا الفزاري الجريح، قال جبلة: لست ممن يكتم شيئاً، أنا أدبت الفتى، أدركت حقي بيديَّ، قال له: أي حقٍ يا ابن أيهم؟ عند غيري يقهر المستضعف العافي

ويظلم، عند غيري جبهةٌ بالاسم بالباطل تلطم، هذه نزوات الجاهلية، ورياح العنجهية قد دفناها، أقمنا فوقها صرحاً جديداً، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيدا، أرضِ الفتى، لابد من إرضاءه، ما زال ظفرك عالقاً بدمائه، أو يهشمنَّ الآن أنفك، وتنال ما فعلته كفك، قال: كيف ذاك يا أمير؟ هو سوقةٌ، وأنا عرشٌ، وتاج، كيف ترضى أن يفرَّ النجم أرضاً قال له مرةً ثانية: نزوات الجاهلية، ورياح العنجهية قد دفناها، أقمنا فوقها صرحاً جديداً، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيداً، قال جبلة: كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعز، أنا مرتدٌ إذا أكرهتني، فقال: عنق المرتد بالسيف تحز، عالمٌ نبنيه، كل صدعٍ فيه، نشبا السيف يداوى، وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى.

يعني الإسلام عزيز، سيدنا عمر ضحى بجبلة الملك، ولم يضحِ بمبدأ من مبادئ الإسلام، وهذا دليل عزته، واتصاله بالله، من هنا قال الله عز وجل:

﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾.

أيها الإخوة، كما قلت قبل قليل عرفت الله من نقض العزائم، يعني إنسان قوي، جهة قوية جداً، متمكنة، بقدرة قادر تصبح كبيت العنكبوت، هذا في سورة الحشر:

﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ﴾.

[سورة الحشر الآية: 2].

أيام الإنسان لدرجة قوته العالية الناس لا يصدقون أنه يقع أبداً:

﴿ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾.

[سورة الحشر].

مع الله ما في قوي، مع الله ما في ذكي، مع الله ما في صاحب حيلة، إذا أراد ربك إنفاذ أمرٍ أخذ من كل ذي لبٍ لبه.

لذلك هذه السورة المسلمون في أمس الحاجة إليها، هم غير مكلفين أن يعدوا العدة المكافئة، أما هم مكلفون أن يعدوا العدة المتاحة، إذا أعدوا العدة المتاحة يتولى الله عز وجل ترميم ما نقصهم من قوةً كي يواجهوا بها عدوهم.

يعني: ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ ﴾ كل إنسان في له في جهة يركن إليها هذا إلى ماله، هذا إلى مكانته، هذا إلى علاقاته النامية، هذا إلى قوة ذكائه، هذا إلى قوة حجته هذا الشيء الذي نركن إليه يجب أن نعلم علم اليقين أن الله وحده هو المتصرف.

أيها الإخوة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

[سورة الصف].

ما رأس مال المؤمن في هذه التجارة؟ الوقت، وقته، ورأس ماله فراغه، ورأس ماله صحته، ورأس ماله أمنه، فإذا كان مطمئناً، وإذا كان صحيح البدن، وإذا كان مكتفياً، وإذا كان في عمره بقية، هذا رأس ماله، لو أنفق هذه الأشياء التي أتيحت له في طاعة الله، لكان أكبر تاجرٍ في الأرض:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾.

[سورة الصف].

العظيم يقول: ﴿ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾، خالق الأكوان يقول: هذا هو الفوز، هذا هو النجاح.

يعني كنت قلت من قبل: الإنسان لما يتحرك حركة نحو هدفه يسعد، وإن كانت هذه الحركة خلاف هدفه يشقى، والدليل: لو أن واحداً منا على مشارف امتحانٍ مصيري وأخذه أصدقائه إلى نزهة، أطعموه أطيب الطعام، وكان المكان جميلاً جداً، هذا الإنسان في المكان الجميل، ومع الطعام الطيب يشعر بكآبةٍ كثيرة، لأن هذه الحركة تتناقض مع هدفه القريب، وهو النجاح في الامتحان، أما لو جلس في غرفةٍ، قميئةٍ، مظلمةٍ، وقرأ الكتاب المقرر يشعر براحةٍ كبيرة، الراحة تتأتى من توافق الحركة مع الهدف، فالإنسان إذا تاجر مع الله وبذل وقته وفراغه وأمنه، وكفايته في سبيل الله، ربح الدنيا، وربح الآخرة: ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ آخر آيةٍ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾.

[سورة الجمعة الآية: 9].

كثيرون جداً من المسلمين يظنون أن السعيَّ إلى صلاة الجمعة، والأصح من ذلك أن السعيَّ ينبغي أن يكون إلى خطبة الجمعة، لأنها العبادة التوحيدية الوحيدة في الإسلام، فريضة على كل مسلم:

((من ترك الجمعة ثلاث مرَّات تَهاوُنا بها طَبَعَ الله على قلبه)).

[أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي، عن: أبو الجعد الضمري].

إذاً كما الإنسان يتحرى يعني أكلة طيبة، يأتي بها من طرف المدينة، لو كان دينه غالياً عليه لبحث عن خطيبٍ يستفيد منه، الإنسان أيام لسان حاله يقول: سقط الوجوب وإن لم يحصل المطلوب، أما المؤمن يبحث عن خطبةٍ يستفيد منها أكيد، بشكلٍ حتمي، قال: ﴿ **فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ** ﴾، المفسرون في أغلبهم يقولوا: ذكر الله سماع الخطبة:

﴿ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة الجمعة].

والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وأرضَ عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبيّ الأميّ، وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

الدرس (46-59) : الحظوظ موزعةٌ في الدنيا توزيع ابتلاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق **الوعد الأمين.**

أيه الإخوة الكرام، حظوظ الدنيا موزعةٌ في الدنيا توزيع ابتلاء، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى أعطى إنساناً قوةً، أعطى إنساناً وسامةً، أعطى إنساناً مالاً، لكن الصفات مهما تنوعت تنضوي في النهاية في بابين، صفات قوة، وصفات كمال، الشيء الذي يلفت النظر أنك تجد إنساناً قوياً، لكن أخلاقه لا تعجبك، وقد تجد إنساناً أخلاقياً، لكنه ضعيف، لا الضعيف يعجبك ولا سوء الخلق يعجبك، أما أن يجتمع حسن الخلق مع القوة، هذا شيء رائع جداً إنسان قوي جداً في الوقت نفسه أخلاقي جداً، هذان النموذجان إذا اجتمعا في إنسان شيء لا يصدق، قوي إذا أراد شيئاً يفعله، لا تستطيع جهة أن تقف أمامه، بالمقابل عدل، رحمة إنصاف، قد نقرأ الآيات، ولا ننتبه إلى فحواها، الله ﷻ يقول في مطلع هذه السورة:

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ﴾.

[سورة التغابن الآية: 1].

في وقتٍ واحد، الملك له، القوة كلها بيده، هو الخالق، مالكنا، خلقاً، وتصرفاً ومصيراً، ملكية مطلقة: ﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ ﴾، أفعاله كلها يحمد عليها، صفات القوة، وصفات الكمال لذلك يمكن أن نقول: أسماء الله الحسنى تسعةٌ وتسعون اسماً كلها في ثلاث كلمات، الله موجود، الله واحد، الله كامل، وجود، وحدانية، كمال، هذه الفكرة وحدها تلقي الطمأنينة في قلوب العباد، الأمر بيد الله، لا تخشى أحداً إلا الله، المصير إلى الله، القوة بيد الله، فلذلك:

﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾.

[سورة الرحمن].

﴿ذِي الْجَلَالِ﴾: القوة، والعظمة، والقهر، والبطش ﴿ وَالْإِكْرَامِ ﴾: الرحمة والإنعام والإكرام، إذاً ربنا ﷻ كل صفات الكمال عنده، وكل صفات القوة عنده، فإذا كنت معه تسعد بقوته، وتسعد بكماله، تشتق من قوته فلا ينالك أحد، يعني في بعض الأدعية: كيف نضام في سلطانك يا رب؟ وكيف نذل في عزك؟ وكيف نفتقر في غناك؟ تكون مع الغني وتفتقر تكون مع الغني وتذل؟ تضام وأنت في حمى الرحمن؟ ما معنى قول الله عز وجل؟

﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾.

[سورة الطور الآية: 48].

يعني إذا كان الإنسان بعين الله عز وجل هل تستطيع قوةٌ في الأرض مهما كانت بطاشةً أن تصل إليه، أبداً، أنت حينما تكون مع الله أقوى الناس، يقولون في الفقه: لا يجوز إعطاء الطفل الصغير ابن الغني زكاة المال، هو الطفل لا يملك شيئاً، العلماء يقولون: هو غني بغنى أبيه، غناه مشتقٌ من غنى أبيه، هو فعلاً لا يملك شيئاً، لكن والده معه ملايين، وهو عند والده أسير، فهذا لا يعطى الزكاة لأنه غناه تابع لغنى والده.

المؤمن ضعيف، وقوته من قوة الله عز وجل، غناه من غنى الله عز وجل، كماله من كمال الله عز وجل، لذلك هذه الصفات المتكاملة: ﴿ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ﴾، ﴿ لَهُ الْمُلْكُ ﴾، خلقاً، ﴿ لَهُ الْمُلْكُ ﴾، تصرفاً.

أيام يصنع السلاح ويباع، صانع السلاح شيء، والمشتري شيء آخر، بعد أن صنع السلاح وباعه، لا يمكن التصرف به، قد يوجه لجهة دون جهة، إنسان يملك بيت، يملك رقبته، لكن مؤجر قبل السبعين، لا يملك منفعته إطلاقاً، مئة ليرة بالشهر، ثمنه ثلاثين مليون لا يكفوا ضريبته، يقول هذا يملك البيت، ولا يملك منفعتها، إنسان مستأجر بيت، يملك المنفعة ولا يملك الرقبة، أما الذي يملك الرقبة والمنفعة معاً شيء مدهش، لكن لا يملك المصير ممكن أن تستملك هذه المنطقة ويمكن أن يفتح شارع، فيهدم البيت.

دقق: رقبة، منفعة، مصير، خلق، تصرف، مصير، كلمة له الملك، يعني له الخلق، وله التصرف، وله المصير: ﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ ﴾، كل أفعاله كاملة، لذلك قال بعضهم كلمة رائعة: الحمد لله على وجود الله، الأمر بيده، أكثر أمراض النفس أساسها الشدة النفسية، الشدة النفسية أساسها الشرك، الخوف من البشر، الله عز وجل أحياناً يعاقب البشر، بأن يجعل بأسهم بينهم، والله عز وجل قال:

﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾.

[سورة الأنعام الآية: 65].

﴿ مِنْ فَوْقِكُمْ ﴾، البراكين، أو الصواريخ: ﴿ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾، الزلازل، أو الألغام:

﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾.

[سورة الأنعام الآية: 65].

الله ﷻ، هذا الخوف الذي يأتي للإنسان من أخيه الإنسان خوف مدمر لذلك يمكن أن يقال: المرض الأول في العصر القلق، والقلق لا يحله إلا التوحيد.

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾.

[سورة الشعراء].

إذا الإنسان تأمل فيلك من فى هاتين الكلمتين: ﴿ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ﴾، كل شيء بيده، وكامل، ما عليك إلا أن تطيعه، لذلك من أجمع الأحاديث الشريفة، الموجزة، الجامعة المانعة، قول النبي الكريم:

((لا يخافنَّ العبد إلا ذنبه، ولا يرجون إلا ربه)).

يعني القوة كلها بيد الله عز وجل، هو يحجزها، أو يطلقها، يعني أحدث بحث بعلم الوراثة، أو بعلم الجينات الهندسة الوراثية، قبل أشهر اكتشفوا جينة، أو مورث، هو مورث السرطان، كل إنسان عنده استعداد لهذا المرض، الشيء العجيب أن هذا المرض إما أن يجمد أو يفعل، وكل شيء بيد الله، الخلايا منضبطة بفعل الله عز وجل، سمح لبعضها أن ينمو نمواً عشوائياً بفعل الله عز وجل، الاستعداد موجود عند كل إنسان، إما أن تفعل، وإما أن تجمد الآن بحوث الهندسة الوراثية تكلف ألوف الملايين، خمسة مليارات كلفت، من أجل أن نعرف التخطيط للإنسان كيف يتم، إذاً: ﴿ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ﴾، شيء ثاني:

﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾.

[سورة التغابن].

في معنى ضمني، الإنسان مهما تكن صورته حسنة سيموت، والمصير إلى الله ما الذي ينفعه؟ عمله، من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((إنَّ الله لا ينظرُ إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)).

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ومالك، عن: أبو هريرة].

فالصورة تنتهي بالموت، والإنسان الوسيم يموت، والدميم يموت، الغني والقوي كل هؤلاء إلى الموت، لكن: ﴿ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾، يبقى عمله، إنسان صام رمضان، وغض بصره برمضان وضبط لسانه برمضان، وأدى الصلوات برمضان، وانتهى رمضان، وجاء العيد، المشقة انتهت بقيَّ الأجر والثواب، والذي فطر في رمضان، وأطلق لسانه في رمضان وتابع ما يجري في رمضان، ولم يعبأ بالورع، ولا بالتقى في

رمضان، وجاء العيد، هذه المتع التي تمتع بها انتهت وبقيَّ الإثم والعقاب، كل شيء يزول، يبقى الثواب، أو العقاب:

﴿ فَآَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴾.

[سورة التغابن الآية: 8].

نور، الحياة فيها ظلام، فيها حفر، فيها آكام، فيها وحوش، فيها منافع، فيها مضار لا تستطيع أن تفرق بين الخير والشر إلا بنور الله، العقل وحده لا يكفي، الأوربيين، والأجانب عندهم عقلٍ نامٍ جداً، عقلهم انتهى بهم إلى الإباحية، عقلهم انتهى بهم إلى تبادل الزوجات عقلهم انتهى بهم إلى الشذوذ، عقلهم انتهى بهم إلى تهديم الأسرة، عقلهم انتهى بهم إلى المخدرات، عقلهم انتهى بهم إلى الجريمة، العقل وحده لا يكفي، العقل كالعين، لا قيمة لها من دون النور، العيون كلها سليمة، والحمد لله، لو أطفأنا الأنوار انتهت العيون، العين موجودة لكن قيمتها بوسيطٍ هو النور بينها وبين الأشياء، والعقل سليم، أما قيمته بالوحي الذي يبين له كل شيء، ربنا عز وجل أنزل هذا القرآن، وسماه نوراً، نور، تستنير، أيام الإنسان يذهب إلى بلد الأجانب، يرى الأناقة، والجمال، والغنى، والترف، والخدمات الغير معقولة، والحقوق المبالغ بها وكل شيء يجوز أن يختل، لماذا نحن بعكس ذلك؟ يقرأ في كلام الله:

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾.

[سورة الأنعام].

يتوازن، معناها نحن بالعناية المشددة، هم خارج العناية المشددة، يعني واحد مصاب بمرض عضال، سأل الطبيب ماذا آكل؟ قال له: كل ما شئت، انتهى، لكن معه التهاب معدة يعطيه الطبيب ألف تعليمة وتعليمة، ألف توجيه، إياك والمواد الحريثة، إياك والمواد الدسمة، إياك والمواد كذا، إذا في تعليمات، وفي تشديد يكون في أمل بالشفاء، أما إذا في إطلاق مع الانحراف ما في أمل:

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾.

[سورة التغابن الآية: 11].

الحقيقة أن المصيبة عقاب، والعقاب التربوي يحتاج إلى تعليم، تصور أب جالس مع أولاده بشكل طبيعي جداً وقف، هاتوا العصا، ضرب ابنه، ضرب موجع، ما أحد فهم ما الذي صار، لماذا ضربته؟ هل يسمى هذا مربي؟ إذا ما بين أنت البارحة فعلت كذا، وكذا كذبت وأخذت ما ليس لك، ضبطك تدخن مثلاً، إذا مابين السبب، الضرب يصير الضرب ما له معنى.

فربنا عز وجل يرسل المصيبة، تأديبية، إذا ما بين لك مشكلة، كيف يبين؟ قال أول شيء: ﴿ **يَهْدِ قَلْبَهُ**﴾، يلقي في روعك أن هذه المصيبة من أجل كذا، يقول لك: هكذا شعرت، هذا إلقاء من الله، أرسلوا العقاب، وأرسل معه البيان، والشرح، أو يجعل العقاب من جنس الذنب، أو يسخر له من يلقي عليه تعليل هذه المصيبة، لابد من أن يبلغ الإنسان المصاب بسبب هذه المصيبة، الآية الأخيرة:

﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾.

[سورة التغابن الآية: 16].

يعني هذه الكلمة دقيقة جداً، تُفهم على معنيين متعاكسين، تفهم على بذل بعض الجهد، يعني قدر ما تستطيع، وتفهم على استنفاذ الجهد: ﴿ **مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾، أعطيها نبرة: ﴿ **مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾، نبرة ثانية: ﴿ **مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾، فربنا عز وجل يقول:

﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْراً لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾.

[سورة التغابن].

يعني أنا حدثني أخ، الله يجزيه الخير، له قريب توفي، حضر تغسيله، يعني هو ميسور الحال، سأل أعليه دين؟ قالوا: نعم، قال: دينه علي، قال لي: بذهني عشرة، عشرين خمسة وعشرين، ثلاثين، ثاني يوم اتصل، طلب الدين، طلعوا مئة وثلاثين، دفعها بنفسٍ طيبةٍ راضية، أقسم بالله العظيم أن الله ساق له في اليوم التالي مئةً وثلاثين ألف بالتمام والكمال حدثني هذا في صحن المسجد، الله عز وجل: ﴿ **وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾، إنسان يدفع بنفس طيبة، يبتغي بها وجه الله، يتقرب إلى الله، الله عز وجل يعطيه أضعاف مضاعفة.

والحمد لله رب العالمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا أرضنا وأرضَ عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبيِّ الأميّ، وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (47-59) : الإطمئنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام، يقول الله عز وجل:

﴿ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً ﴾.

[سورة الجن].

وفي آية أخرى:

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾.

[سورة الرعد].

في هذه الآية صيغة القصر: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾، لو أن الله تعالى قال: تطمئن القلوب بذكر الله، هذه الصيغة ليس فيها قصر، لا يمنع أن تكون القلوب مطمئنةً بغير ذكر الله، تطمئن به وبغيره، أما حينما يقول الله عز وجل: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾، أي أن القلوب لا تطمئن إلا بذكر الله، هذا كلام الذي خلقنا، إن أردت الطمأنينة، إن أردت الراحة، إن أردت السكينة، إن أردت الاستقرار، إن أردت التوازن، إن أردت الشجاعة إن أردت العزة، كل هذا من ذكر الله، أما إذا أعرض الإنسان عن الله عز وجل، جاءته العقوبات متدرجةً في الصعود، من مصيبةٍ إلى أخرى، من أزمةٍ إلى أخرى، من طامةٍ إلى أخرى، من ضيقٍ إلى ضيق، من حيرةٍ إلى حيرة، ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾، الإنسان في النهاية قلب، الأشياء المادية التي تحيط به إن لم تنعكس على قلبه طمأنينةً لا قيمة لها، قد تجد إنساناً غارقاً في النعيم، وهو من أشقى الأشقياء، وقد تجد إنساناً يعيش حياةً خشنة، وهو من أسعد السعداء، العبرة القلب، القلب إذا كان مرتاحاً سعد صاحبه، وأسعد من حوله، فربنا عز وجل يبين لنا أن ذكر الله وحده هو الذي يطمئن القلب، أما ذكر الله فهي كلمةٌ واسعةٌ جداً يقول عليه الصلاة والسلام يقول:

((ألا أُخْبِرُكم بخيرِ أعمالِكم، وأرفَعِها في درجاتكم، وأزكاها عند مليكِكم، وخير لكم من الوَرِق والذهب، وخير لكم من أن تَلْقَوا عَدُوَّكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقَكم؟ قالوا: بلى قال: ذِكْرُ الله)).

[أخرجه الترمذي ومالك، عن: أبو الدرداء].

ذكر الله أن تذكره في آياته، ذكر الله أن تقرأ قرآنه، ذكر الله أن تدعو إليه، ذكر الله أن تذكر أنبيائه، ذكر الله أن تعرف سيرة أصحابه، ذكر الله أن تحضر مجلس علم، كلمة واسعة جداً، ذكر الله أيُّ شيءٍ يقربك إلى الله فهو من ذكر الله، أيُّ شيء، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾.

[سورة المائدة الآية: 35].

أيُّ شيءٍ يقربك إلى الله، لو فكرت في خلق السماوات والأرض قربك هذا إلى الله من الذكر، لو قرأت القرآن قربك إلى الله، من الذكر، لو تأملت في أفعال العباد، وفي أفعال الله عز وجل، وكيف أن الله عز وجل يعطي كل ذي حقٍ حقه، وكيف أنه ينصر المؤمن ويعاقب الكافر، هذا من ذكر الله، لو أردت أن تعرف عن رسول الله شيئاً، فقرأت من سيرته هذا من ذكر الله، لو أردت أن تطلع على سنته القولية، أي على أحاديثه الشريفة، هذا من ذكر الله، لو أردت أن تعرف حكم الله في موضوعٍ ما، أحكام الفقه، هذا من ذكر الله، لو أردت أن تسبح الله، سبحان الله، لو أردت أن تحمد الله، الحمد لله، أن توحد، لا إله إلا الله، أن تكبر، أن تقول: حسبي الله ونعم الوكيل، أن تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، أن تقول: الله الله، كل هذا من ذكر الله، يضاف إلى ذلك أن تذكره لنفسك، وأن تذكره لغيرك، قد تذكر الله عز وجل لك وقد تُذّكر العباد بالله عز وجل، ذكر الله به تطمئن القلوب، وكل إنسان يبحث عن طمأنينة القلب، يقول لك: لست مرتاحاً، متضايق، شاعر بضيق، شاعر أن الدنيا لا تسعني، هذا من البعد عن الله، قد يقول واحدٌ من الناس: أنا أسعد الناس، أو ليس في الأرض من هو أسعد مني، إلا أن يكون أتقى مني، معناها موصول بالله عز وجل، الله عز وجل مصدر السعادة الحقيقية، وحينما تبتغي السعادة لغير الله، لا تجد إلا سواداً، وأسأل أهل الدنيا، يتوهمونها بالنساء، لا يجدونها، يتوهمونها في المال، لا يجدونها، يتوهمونها بالمراتب العلية، لا يجدونها السعادة لا تكون إلا بالقرب من الله عز وجل.

إخوانا الكرام، من الثابت أن مطلب السعادة، والسلامة مطلبان ثابتان لكل إنسان السلامة والسعادة، السلامة لتطبيق لمنهج الله، والسعادة بالقرب من الله، مطلبان ثابتان لكل إنسان في الأرض، أن يسلم من مرض، من فقر، من سجن، من خوف، من قهر، من مشكلة من خصومة، وأن يسعد ويرتقي، السلامة لتطبيق منهج الله، والسعادة بالقرب من الله.

ذكرت هذا البارحة، كان من الممكن الله ﷻ في أعلى يعني هو الله عز وجل الكمال المطلق، ولكن كان من الممكن ألا يكون لك وسيلة للتقرب منه، قد تجد ملكاً عظيماً، لا تستطيع أن تقابله أبداً، ولا أن ترسل له رسالة، ولا أن تذهب إليه، ولا أن يعلم عنك شيئاً، مستحيل، الطرق كلها مسدودة، لكن الله سبحانه وتعالى كل الطرق سالكةً إليه، إن أطعمت حيواناً تصل إليه، إن كنت باراً بأمك وأبيك تصل إليه، إن كنت زوجاً مثالياً تصل إليه، إن كنت ابناً مثالياً تصل إليه، إن أتقنت عملك تصل إليه، إن وقفت عند حدود الشرع تصل إليه، الله عز وجل له الطرائق إليه كثيرةً جداً، ﴿ **أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾، مهما ابتغينا السعادة، والطمأنينة لغير الله عز وجل لا نجدها، إلا سراباً في سراب، من يبحث السعادة بعيداً عن ذكر الله، كمن يبحث عن اللؤلؤ في الصحراء، لن يجد شيئاً، والناس أمامكم واسألوهم، اسألوهم، واستحلفوهم، هؤلاء الذين أعرضوا عن ذكر الله هم سعداء؟ قد ترى عينك شيئاً على عكس ما يراه قلبك، قد ترى عينك أنهم سعداء، لكنهم في الحقيقة أشقياء، لأن الله عز وجل يقول: ﴿ **أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾، أما إذا أعرض الإنسان عن ذكر ربه يأتيه العذاب متدرجاً في الصعود، من عذابٍ إلى أشد من ضيقٍ إلى أشد.

شيءٌ آخر: الآن العذاب ما مهمته؟ قصةٌ قصيرة وردت في سورة القلم:

﴿ **إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ** ﴾.

[سورة القلم].

الآن تسمع أنه في صقيع ستة تحت الصفر، هذا الصقيع: ﴿ **طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ** ﴾، قد يأتي على محصولٍ فيحرقه، يسود المحصول، لدقائق، أحياناً دقائق، محصول ثمنه نصف مليون ليرة يذهب بدقائق.

﴿ **فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ** ﴾.

[سورة القلم].

وكأنها مقطوعة، مجنية،

﴿ **فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ * فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ * أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ * وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ** ﴾.

[سورة القلم].

ليس هذا بستاننا:

﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾.

[سورة القلم].

ظلموا أنفسهم حينما منعوا الفقير حقه، حينما منعوا الفقير حقه أتلف الله لهم مزروعاتهم، وجعلها: ﴿ كَالصَّرِيمِ﴾، بـ ﴿ طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ ﴾.

أنا أذكر قبل خمس أعوام جاءت موجة صقيع على الساحل، الساحل من أربعين سنة حرارته في الشتاء ستة، سبعة، في سنة ثمانية تحت الصفر على الساحل، يعني محصول الخضراوات المحمية، بمئات الملايين أتلف في ثانية، هذا: ﴿ طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾، يصيب أي منطقة، هنا:

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ * عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْراً مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾.

[سورة القلم].

هذه القصة مفتاحها في كلمة واحدة:

﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ ﴾.

[سورة القلم الآية: 33].

يعني يا عبادي أيُّ عذابٍ أسوقه لكم من هذا القبيل؟ عذاب تربوي، عذاب تأديبي عذاب لكي ترجع إلى الله عز وجل، عذاب لتتوب إليه، عذاب لتقبل عليه.

﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة القلم].

يعني الله عز وجل يسوق لنا العذاب الأدنى ليحمينا من العذاب الأكبر، يعني الإنسان يختار الأدنى على الأكبر، الآن آلام السن لا تحتمل أحياناً، إن ذهبت إلى الطبيب كي يقلعه، ينزعه، لابد من تخدير، التخدير مؤلم في أوله، تقبل بالتخدير، بشكة الإبرة تقبلها في النيرة وهي مؤلمة، كي تتلافى ألماً مديداً، وكبيراً، الإنسان يقبل الأقل من أجل تلافي الأكبر وربنا عز وجل قال: ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ ﴾، إلا أن هذا العذاب في الدنيا أقل بكثير من عذاب الآخرة: ﴿ وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾.

شيء آخر: يعني المستقبل ربنا عز وجل يطلعنا عليه في كتابه إطلاعاً مباشراً قال:

﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾.

[سورة الحاقة الآية: 18-19].

كان من المؤمنين:

﴿ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾.

[سورة الحاقة].

﴿ ظَنَنْتُ ﴾، بمعنى أيقنت:

﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾.

[سورة الحاقة].

أيام الإنسان كما قال النبي عن الأنصار، قال:

((فإنهم قد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم)).

[أخرجه الإمام أحمد، عن: رجل من الصحابة].

المؤمن أدى في الدنيا ما عليه، بقي الذي له.

يعني أنا أذكر مثل: طالب نال الدرجة الأولى، التعب انتهى، الآن بقي التكريم بقي حفل التخرج، بقي أن يدعى من قبل رئيس الدولة ليكرمه، بقي ليعطيه بعثةً في بلدٍ هو يريده، بقي ليختار مستقبلاً زاهراً، الذي عليه أداه بقي الذي له.

كذلك: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾، واحد أدى الصلوات بأوقاتها، صام رمضان، دفع زكاة ماله، غض بصره، ضبط لسانه، ضبط جوارحه أقام الإسلام في بيته، ربى بناته على طاعة الله، ربى أولاده، فعل كل ما يستطيع، وانتهت حياته، وانتهى التعب، لذلك رأى النبي الكريم جنازة، قال:

((مستريح، أو مُسْتَرَاح منه، فقالوا: يا رسول الله ما المستريحُ، وما المستَرَاح منه؟ فقال: العبد المؤمنُ يستريح من نَصَب الدنيا، والعبد الفاجرُ: يستريح منه العبادُ والبلادُ، والشجر والدواب)).

[أخرجه البخاري ومسلم والنسائي ومالك، عن: أبو قتادة].

يعني هو تقوم حياته على إيقاع الأذى بالناس:

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ* وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ* يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ* مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ* هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ* خُذُوهُ فَغُلُّوهُ* ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ* ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ ﴾.

[سورة الحاقة].

السبب، ماذا فعل هذا؟ ما الذنب الذي ارتكبه؟ قال:

﴿ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴾.

[سورة الحاقة].

يعني إذا الإنسان ما أمن بالله العظيم، يستحق هذا العذاب الأليم؟ العلماء قالوا: لأنه لم: ﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾، لم يطبق شرعه الحكيم، فلما لم يطبق شرعه الحكيم صار في عدوان على الآخرين، استحق من خلال هذا العدوان العذاب المهين، يعني إن لم تعظم الله عز وجل لا تستقيم على أمره، فالتعظيم سبب، والنتيجة الاستقامة على أمر الله.

النقطة الدقيقة: أن منهج الله عز وجل تأخذ ما لك، وتعطي ما لغيرك، أما إذا خرجت عن منهج الله لابد من أن تأخذ ما ليس لك، لابد من أن تعتدي على أموال الناس، لابد من أن تعتدي على أعراضهم، من لوازم عدم معرفة الله عز وجل أن تؤمن عندئذٍ بشهوتك الإنسان يحركه شيئين، يحركه عقله، تحركه شهوته، فإذا آمن بالله عز وجل أعانه عقله على طاعة الله، لما أطاع الله عز وجل أخذ ماله، ولم يأخذ ما ليس له، فهو في سلام، في بحبوحة نجا، أما لو أنه لم يؤمن بالله، بماذا إذاً هو مؤمن؟ بشهوته، ومن أجل أن يروي شهواته بطريقةٍ واسعةٍ جداً، لابد أن يأخذ ما ليس له، إما بالمال، أو بالنساء، لذلك يستحق العذاب الأليم، لا لأنه لم: ﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴾، فحسب، بل لأن عدم إيمانه، ﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾، كان سبب انحرافه الشديد، والعقاب على انحرافٍ شديد كان بسبب عدم الإيمان ﴿ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴾.

شيء آخر: المصلي الحقيقي ليس جزوعاً، ولا منوعاً:

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً* إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾.

[سورة المعارج].

المصلي الحقيقي ليس جزوعاً، وليس منوعاً، الجزع أن تنهار أمام المصيبة والمنوع هو الحريص على ما في يديه، يعني بالضغط ينهار، بالإغراء يتعلق، هذه من صفات الإنسان قبل أن يؤمن، الإنسان مطلق الإنسان، أما الإنسان إذا أمن ليس جزوعاً، وليس منوعاً:

﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً ﴾.

[سورة الجن].

هذا كلام ربنا كذلك، يعني الإنسان لما يستقيم، ويثبت على استقامته، ويبتغي باستقامته وجه الله عز وجل، الله عز وجل وعده بحياةٍ طيبة، بطريقةٍ أو بأخرى يرضاها الله له:

﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً * وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾.

[سورة الجن].

المساجد لله، لا تحتمل أن تقوم فيها دعوةٌ لغير الله: **﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾**، بنيت لله، ويجب أن يلقى فيها العلم لوجه الله، وأن تكون الدعوة فيها إلى الله، ولا يحتمل مسجد الله عز وجل أن يكون فيه دعوةٌ لغير الله.

والحمد لله رب العالمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا أرضنا وأرضَ عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبيِّ الأميّ، وعلى أله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (48-59) : الإنسان مرهونٌ بعمله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام، الآية الكريمة:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾.

[سورة المدثر].

الإنسان رهين عمله، مرهونٌ بعمله، فإن استقام على أمر الله فهو مطلق، القيد ينتهي إلى الإطلاق، والتفلت ينتهي إلى القيد، إنك إن لزمت الشرع، ووقفت عند الحدود ولم تتعدها كنت طليقاً يوم القيامة، أما إن كنت طليقاً في الدنيا، كنت مقيداً يوم القيامة، التقيد بالمنهج يؤدي إلى الحرية، والحرية بمعنى التفلت من منهج الله عز وجل، يؤدي إلى القيد العبرة بالنتائج، العبرة لمن يضحك آخراً.

﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

[سورة القصص].

العبرة وضع الإنسان يوم الدين، الدنيا دار عمل، دار بلاء، دار امتحان، دار سعي، أما الآخرة دار مكافأة، فالذي تفلت في الدنيا من قيود الشرع يجد نفسه رهيناً يوم القيامة، وأوضح مثل:

أنت في الدنيا، المواطن الذي يتقيد بالقوانين والأنظمة حر، يذهب إلى حيث يشاء، يتعامل مع من يشاء، أما الذي يتجاوز حدوده، ويقع في المخالفات، يفقد حريته.

فربنا عز وجل يقول: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾، والأصح من ذلك، لا تنظر إلى حدود الله عز وجل على أنها قيود، انظر إليه على أنها حدود.

تماماً كما لو كنت في مكانٍ منبسط، تتنزه، فإذا بلوحةٍ كتب عليها ممنوع التجاوز حقل ألغام، هل تحقد على من وضع هذه اللوحة، أم تشكره، هل أراد من هذه اللوحة أن يقيد حريتك، أم أن يضمن سلامتك.

حدود الله عز وجل سلامةٌ للإنسان، الذي يتقيد بمنهج الله، يهديه الله عز وجل سبل السلام، يعني في سلام في بيته، في عمله، مع نفسه مع ربه، مع من حوله، هذا السلام شيء لا يقدر بثمن، هذه الآية:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾.

[سورة المدثر].

هذا كلام خطير جداً، نحن في الدنيا الآن، ربنا عز وجل يخبرنا عن هؤلاء الذين سلكوا إلى جهنم، ما السبب الذي أوصلهم إلى النار؟

﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾.

[سورة المدثر].

الصلاة عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين، الصلاة سيدة القربات، وغرة الطاعات، ومعراج المؤمن إلى رب الأرض والسماوات، الصلاة طهور الصلاة حبور، الصلاة نور، الصلاة ميزان، الصلاة معراج المؤمن، أيُّ فرضٍ يمكن أن يتوقف الحج على المستطيع، الفقير لا حج له، لا حج عليه، الصيام على المقيم الصحيح المريض والمسافر له أن يفطر، الزكاة على الغني، الفقير ليس عليه زكاة، الشهادة تقال مرة واحدة، يكفي أن تقول: أشهد أن لا إله إلا الله مرةً واحدة فأنت مسلم، أما الصلاة هي الفرض المتكرر، الذي لا يسقط بحال، في كل الأحوال، لك أن تصلي برموش عينيك، لأن الصلاة أساس هذا الدين، ولا خير في دينٍ لا صلاة فيه، أول ما يحاسب الإنسان يوم القيامة صلاته فإن صحت نجح وأفلح، وإن لم تصح خاب، وخسر.

﴿ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾.

[سورة المدثر].

من لوازم عدم الصلاة، مادام لم يتصل بالله:

﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴾.

[سورة المدثر].

هذه مكارم الأخلاق التي منها الكرم انعدم، المصلي كريم، والمقطوع عن الله بخيل المصلي حليم، والمقطوع عن الله فاجر، المصلي عفو، والمقطوع عن الله منتقم، كل مكارم الأخلاق عز وجل هي عند الله، كل مكارم الأخلاق عند الله عز وجل، إذا اتصل به عبد منحه خلقا حسنا، يؤكد هذا المعنى، ربنا عز وجل يقول:

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾.

[سورة فصلت].

معقول إنسان مسيء، في أمامك مئة موضع، مئة موقف حسن، قال: يجب أن تختار الأحسن، كي ترد على هذه الإساءة، أخلاق من هذه؟ يقول عليه الصلاة والسلام:

((أَمَرَنِي رَبِّي بِتِسْع: خَشْيَةِ الله في السِّرِّ والعلانية، وكلمة العدل في الغضب والرضى، والقصد في الفقر والغنى، وأن أَصِلَ مَنْ قَطَعَني، وأعطي مَنْ حَرَمَنِي، وأعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَني، وأن يكون صَمْتي فِكْرا، ونُطْقِي ذِكْرا، ونظري عبرة ، وآمرُ بالعُرْف)).

[أخرجه زيادات رزين، عن: أبو هريرة].

أيها الإخوة:

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ* وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾.

[سورة فصلت].

الحظ هنا النصيب، من كان نصيبه في اتصاله في الله كبيراً، استطاع أن يكون بهذه الأخلاق، إما أنم تفعلها تصنعاً، تحتاج إلى صبر شديد، وإنما أن تفعلها انسجاماً مع مستواك الأخلاقي: ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾، المؤمن لا يحقد أبداً لأنه موصول بالله عز وجل، المؤمن عفو، فيدفع: ﴿ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾، السيئة لذلك: ﴿ لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾، حينما انقطعنا عن الله عز وجل: ﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴾، صار في قسوة بالقلب.

﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾.

[سورة المدثر].

نسينا الآخرة:

((إن الدنيا حلوة خضرة)).

[أخرجه الطبراني، عن: أم سلمة أم المؤمنين].

الآن الإنسان الشارد مع الصرعات الحديثة، مع الفتن، مع ما يستجد من منكرات في لباسه، في بيته، في أجهزة لهوه، مع أحدث شيء دائماً، ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾ دائماً قلة قليلة من النخبة ترفض البيئة، الكثرة الكثيرة خاضعةٌ للبيئة، الإنسان الراقي فعال وليس منفعلاً، الإنسان ذو المستوى المتدني منفعل، أي شيء يؤثر فيه، المؤمن كالجبل الراسخ لا يتأثر بالصرعات الأخيرة، الناس اشتروا هذا الجهاز، الناس فعلوا هذا الشكل، ارتدوا هذه الثياب، هذا الذي يلهث وراء الصرعات، وراء المستجدات المنكرة، هذا ليس من الإيمان في شيء، ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾، مشغول بأحاديث أهل الدنيا، أيام الإنسان وهو لا يدري ينساق إلى موضوعات لا قيمة لها إطلاقاً، لكنها تشغل الناس، من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها ويكره سفسافها)).

[أخرجه الطبراني، عن: حسين بن علي].

﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾.

[سورة المدثر].

والتكذيب أيها الإخوة، التكذيب النظري قليل، أما الخطير هو التكذيب العملي، ما التكذيب العملي؟ أن تقول أنا مؤمن بالله، واليوم الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبيين، تفحص عمله، لا يدخل اليوم الآخر في حساباته أبداً، يعني مثلاً، الذي يأكل مالاً حراماً كافرٌ عملياً بيوم الدين، عملياً لا نظرياً، الذي يعتدي على أعراض الناس، مكذبٌ عملياً بيوم الدين، يعني أنا كنت أضرب مثل:

إنسان ذهب إلى طبيب، وصف له وصفة، أما هذا الإنسان لطيف جداً، وذكي جداً، أثنى على هذا الطبيب، ثناء لا حدود له، أثنى على علمه، وإخلاصه، و و، لأنه لم يشترِ هذا الدواء هو مكذبٌ بعلمه، مهما أثنى عليه، حينما لم يشترِ الدواء، لأنه غير قانعٌ به، هذا الثناء لا قيمة له هذا الثناء لا وزن له إطلاقاً:

﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ* حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾.

[سورة المدثر].

إخوانا الكرام، العاقل هو الذي لا يفاجأ، كل إنسان فوجئ بالموت، فوجئ باليوم الآخر، هذا إنسان غير عاقل، لأن كل نشاطه، وكل حساباته على أنه لن يموت، فإذا جاء الموت أصيب بصعق.

﴿ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾.

[سورة المدثر].

يعني في طرفة: أن أحد الصحابة قال لسيدنا عمر، وهو صحابي: إنني أكره اليقين، وإنني أصلي بغير وضوء، وإنني أفر من رحمة الله، ولي في الأرض ما ليس لله في السماء، سيدنا عمر يعني عجب من هذا القول، إلى جانبه سيدنا علي، قال له: يا أمير المؤمنين إنه يصلي على النبي بغير وضوء، وإنه يكره اليقين هو الموت، وإنه يفر من المطر وهي رحمة الله عز وجل، وله في الأرض زوجةٌ وولدٌ، ما ليس لله في السماء.

يعني إذا ورد المنقول بما يخالف المعقول، لابد من تأويل المنقول بما يوافق المعقول، إذا ورد المنقول بما يخالف المعقول، لابد من تأويل المنقول.

ذكرت البارحة لأخ: نحن في تفسير القرآن الكريم، لا يجوز أن نلجأ إلى المجاز إذا كانت الحقيقة معقولة، أما إذا استحال المعنى الحقيقي نلجأ إلى المجاز، إذا قلت للإنسان في بيتنا زهرة، ماذا ينبغي أن يفهم هذا الكلام؟ يعني في زهرة في بيتنا، على أصل اللغة أما إن قلت له: في زهرةً في بيتنا تلعب، إذاً ليست زهرة، إنها طفلٌ كالزهرة، متى أحيد عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي؟ حينما تأتي قرينة تمنع المعنى الحقيقي، أما أنا بشكل مزاجي كل كلمة بالقرآن أفسرها تفسير مجازي، هذا خلاف علم أصول الفقه، هذا خلاف علم أصول التفسير، لا ألجأ إلى المجاز إلا إذا استحالت الحقيقة، إذا قلت: في بيتنا زهرة، أنا أفهم أن في بيتك نبات، زهرة نبات، إلا إذا قلت لي: في بيتنا زهرةٌ تلعب، إذاً هو طفلٌ صغير يشبه الزهرة:

﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ * فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴾.

[سورة المدثر].

هذا التشبيه ورد في الأثر القدسي:

((أن عبدي خلقت السماوات والأرض، ولم أعَ بخلقهن، أفيعييني رغيفٌ أسوقه لك كل حين؟ لي عليك فريضة، ولك عليَّ رزق، فإذا خالفتني في فريضتي، لم أخالفك في رزقك، وعزتي وجلالي إن لم ترض بما قسمته لك، فالأسلطن عليك الدنيا، تركض فيها ركض الوحش في البرية، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك، ولا أبالي، وكنت عندي مذموماً، أنت تريد، وأنا أريد، فإذا سلمت لي فيما أريد، كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لي فيما أريد، أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد)).

ثم يقول الله عز وجل:

﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفاً مُنَشَّرَةً ﴾.

[سورة المدثر].

الإنسان أحياناً يريد دين على مزاجه، هذه يقبلها، وهذه يقبلها، وهذه لا يقبلها هذه صح وهذه غلط، هو فوق الدين، هو الذي ينتقي، الانتقاء في الدين خطر جداً، الانتقاء في الدين إنك تعبد ذاتك، لا تعبد الله عز وجل، فالذي أعجبك أخذته، والذي لم يعجبك أهملته أو ضعفته، أو رددته، إذا قرآن تهمله، إذا سنة تضعفها، الأصل أنك تقبل النص، وتفهم النص لا أن ترفض النص، رفض النص صار في أديان، إذا كان كل إنسان أعطيناه صلاحية يلغي النصوص صار في عندنا مليون دين، الإنسان يقبل نصوص، ويرفض نصوص، الدين تمزق.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾.

[سورة الأنعام الآية: 159].

في شيء آخر:

﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾.

[سورة القيامة].

يعني ورد حديث صحيح:

((لَو لَم تُذنِبُوا لَذَهَبَ الله بكُمْ، وَلَجَاءَ بقوم يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ، فَيَغْفِرُ لهم)).

[أخرجه مسلم، عن: أبو هريرة].

ظاهر الحديث غير مقبول، كأن الله عز وجل علق رحمته على الذنب، فإن لم تذنب لا يرحمك الله عز وجل، إذاً لابد من أن تذنب، لحق حالك بشي ذنب يعني، هذا المعنى مرفوض كلياً، المعنى هنا، الذنب هنا الإحساس بالذنب، وهذا من صفات، ﴿ النَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾، ﴿ النَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾، يعني جعلها الله موضع قسم، ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ* وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾، كل إنسان يحاسب نفسه، يقف عند أفعاله، يقيم نفسه، هذا إنسان خضع لهذه الآية شملته هذه الآية، المؤمن:

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾.

[سورة الفجر].

في نفس مطمئنة، وفي نفس أمارة بالسوء، هذه النفس لوامة، يعني تخطئ وتراجع نفسها، وتحاسب نفسها، الشيء الدقيق:

﴿ يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾.

[سورة القيامة].

أعماله كلها سوف تعرض عليه، صغيرها وكبيرها، جليلها وحقيرها، شيء صعب جداً، الإنسان لما كل شيء يفعله مسجل عليه، كل كلمة يقولها مسجلة عليه، يعني ينضبط انضباط غير محدود، لو قلنا لك أنك أنت مراقب، يلفظ اللفظة بعد ربع ساعة، يعد للمليون قبل أن يتصل بإنسان، إذا كان مراقب، الإنسان مراقب، والدليل:

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾.

[سورة النساء].

مراقبة الله أبلغ، مراقبة البشر تنتهي بالأقوال، مراقبة الله تصل إلى النفوس، إلى خبايا النفوس، إلى المشاعر، إلى النوايا، إلى المطامح، مراقبة الله عز وجل:

﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾.

[سورة طه].

يعلم سرك، ويعلم ما خفي عنك:

﴿ يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ * بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ* وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾.

[سورة القيامة].

هذه آية من أصول علم النفس البشري، الإنسان يعرف الحقيقة، فطرته تنبئه بذلك بل إن الحيوان يعرفها، أعط هرةً قطعة لحمٍ تأكلها أمامك، لو أنها خطفتها، تأكلها بعيداً عنك معنى ذلك أنها اكتشفت أنها في الحالة الأولى مكرمة، لا داعي أن تهرب، أما في الحالة الثانية متهمة، إذاً تأخذها وتهرب، الحقيقة ثابتة، وربنا عز وجل جعل في صدر كل إنسان مفتياً صغيراً يستفتي قلبك، وإن أفتاك المفتون وأفتوك، البر ما أطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس.

أيها الإخوة الكرام، يقول الله عز وجل:

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آَثِماً أَوْ كَفُوراً ﴾.

[سورة الإنسان].

إذا الإنسان استوجب عملية جراحية، ولابد له من مخدر، أو لابد له من إجراء عملية بلا مخدر، أقنعوه الأطباء أن قلبه ضعيف، لا يحتمل مخدر، لأنه قانعٌ جداً، لا يحتاج إلى الصبر كثيراً، أما حينما لا تتضح الأمور لابد له من الصبر.

ربنا عز وجل يمتحن عبوديتنا كثيراً، يمتحنها أحياناً، يسوق لنا شيء غير مفهوم، هل يعقل أن يقال يؤمر نبي بذبح ابنه، هذه واحدة، هذا أمر تعبدي، الله عز وجل يمتحن ثقتنا بالله، يمتحن ثقتنا بعلمه، يمتحن ثقتنا بحكمته، يمتحن معرفتنا بكماله، يمتحن ثباتنا على مبدأنا، فقد يسوق بعض الشدائد، ولا تجد لها تفسيراً واضحاً، ما الذي يغطي هذه الشدة غير الموضحة؟ هذه الآية: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آَثِماً أَوْ كَفُوراً ﴾.

يعني أنا كلمة أرددها دائماً: الإنسان قد يصاب بمشكلة، الجواب، يسألني أحدهم لماذا صار معي هكذا؟ لأن الذي تحبه هذا قراره، ألست واثقاً من حكمته؟ ألست واثقاً من علمه؟ ألست واثقاً من عدالته؟ أسماءه كلها حسنى، وهذا فعله، ولا يقع شيءٌ في ملك الله إلا بأمر الله، إلا بأذن الله، ما دام وقع سمح الله به، وما دام الله سمح به إذاً هو حكمةٌ، ورحمة وعدلٌ وكمال، الآن ما انكشف لك هذا الشيء، لذلك:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآَنَ تَنْزِيلاً* فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آَثِماً أَوْ كَفُوراً* وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾.

[سورة الإنسان].

يعني ذكر الله عز وجل لا يتم بالأسبوع مرة، ولا بالشهر مرة، ولا بالسنة مرة في أناس يصلون يوم الجمعة فقط، هنا الذكر يجب أن يكون: ﴿ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ يعني يومياً:

﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً* وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً* إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً ﴾.

[سورة الإنسان].

أيام الإنسان يعمل بتجارة ممنوعة بالقانون، ووجد في أرباح طائلة، يجد أن ثروته تنمو بأسرع من الآخرين بكثير، لكن هذا الذي يعمل مخالفاً للأنظمة والقوانين يذر أمامه ﴿ يَوْماً ثَقِيلاً ﴾، لما يلقى القبض عليه، ويدفع كل شيء يملكه عشر أضعاف فوق منها ويودع في السجن، معنى هذا لاقى: ﴿ يَوْماً ثَقِيلاً ﴾، هذا مثل قريب، فالإنسان لما يتحرك حركة وفق حريته، وفق مصالحه، من غير منهج الله، قال: إنه سوف يجد أمامه: ﴿ يَوْماً ثَقِيلاً ﴾، ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً ﴾.
الإنسان أحيانا وهو على فراش الموت يصيح صيحةً، لو سمعها أهل الأرض لصعقوا، يقول: لم أرَ خيراً قط، كل المال الذي كان بين يديه، كل ألوان الطعام التي أكلها   كل ألوان النعيم الذي تقلب به، يقول: لم أرَ خيراً قط.

من هنا قال سيدنا علي: "**يا بني ما خيرٌ بعده النار بخير، وما شرٌ بعده الجنة بشر، وكل نعيمٌ دون الجنة محقور، وكل بلاءٍ دون النار عافية**".

﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً* نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً ﴾.

[سورة الإنسان].

الإنسان محكم، الإنسان أحيانا يحمل ابنه من يده، ما معنى محكم؟ يعني هذه اليد مربوطة مع الهيكل العظمي، مربوطة مع الجسم بأربطة تكفي لو أمسكت إنسان من يده المفصل مفصل الكتف، مشدود شد، مربوط ربط، يحمي الجسم بأكمله، لو لأنه يحمل الجسم بأكمله والأب بساعة غضب مسك يد ابنه، وشده، هذه الشدة صار في ضعف الوزن، لابد من أن تكون هذه الأربطة متناسبة مع ضعف وزن الإنسان، طيب عظم عمق الفخذ يتحمل مئتي وخمسين كيلو حمل، عظم الفخذ معروف، لكن حتى يكون الإنسان شكله مقبول، له بالوسط انتفاخ، من أين جاء هذا الانتفاخ؟ جاء من انحناء عظم الفخذ، هذا اسمه عنق الفخذ، هذا العظم كل الثقل عليه، إذا الإنسان حمل صندوق حديد، ثلاث مئة كيلو وزنه، على

هذا المكان الثقل فهذا العظم يتحمل مئتي وخمسين كيلو، والعظم الثاني مئتي وخمسين، الإنسان السليم المعافى يتحمل ضغط خمس مئة كيلو: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴾، يعني تنظر إلى الأربطة الآن عند اللحام أحياناً تجد الموزات تنتهي بقطعة بيضاء، هذا الوتر، يعني متانتها عجيبة، هذه تربط العظام بالعضلات، كل الضغط عليها، إذا الإنسان رفع شيء وزنه ثقيل، على هذا الوتر.

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً * إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً ﴾.

[سورة الإنسان].

نحن مخيرون، والتخيير أساس التكليف، والتخيير يقيم العمل، ولو ألغي الاختيار لأصبح الدين تمثيليةً سمجة، لما في اختيار.

لعل ذهابنا إلى الشام بقضاءٍ من الله وقدر، فقال سيدنا علي: ويحك، لو كان قضاءً لازماً، وقدراً حاتماً، إذاً لبطل الوعد والوعيد، ولانتفى الثواب والعقاب، إن الله أمر عباده تخييراً، ونهاهم تحذيراً، وكلف يسيراً، ولم يكلف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يعصَ مغلوباً، ولم يطع مكرهاً.

وأجمل قول أقوله كثيراً، لما سيدنا عمر جاءه رجل سارق، أو شارب خمر قال: أقيموا عليه الحد، قال: والله يا أمير المؤمنين إن الله قدر عليَّ ذلك، قال: أقيموا الحد عليه مرتين، مرةً لأنه شرب الخمر، ومرةً لأنه افترى على الله، قال: ويحك يا هذا إن قضاء الله لم يخرجك من الاختيار إلى الاضطرار، لو أن الله أجبر عباده على الطاعة لبطل الثواب، لو أجبرهم على المعصية لبطل العقاب، لو تركهم هملاً لكان عجزاً في القدرة.

إن ألغينا الاختيار ألغينا التكليف، ألغينا حمل الأمانة، ألغينا الثواب، ألغينا العقاب ألغينا الجنة ألغينا النار، ألغينا كل شيء.

إذاً: ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً ﴾، ماذا نفهم من كلمة ﴿ تَذْكِرَةٌ ﴾؟ إذا الإنسان ذهب إلى بيروت، وعاد، أريناه صورة الروشة، يقول لك: أي والله أتذكر، ما معنى ﴿ تَذْكِرَةٌ ﴾ ؟ يعني شيء معروف عندك، ذكرناك به، الدين فطري، فإذا جاء القرآن ليذكر الناس، القرآن: تذكرة وبعثات الأنبياء تذكرة، أنت بالأساس مولفٌ وفق الإيمان.

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾.

[سورة الروم الآية: 30].

الفطرة تتوافق مع الدين، فكل ما يرسله الله عز وجل إنه: ﴿ تَذْكِرَةٌ ﴾:

﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً* وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾.

[سورة الإنسان الآية: 29-30].

إياكم أن تفهموا هذه الآية جبراً، لا، إن سعدتم باختياركم، إن وصلتم إلى الجنة باختياركم، إن كان اختياركم سبب سعادتكم، سبب تقييم عملكم، سبب دخولكم للجنة، هذا الاختيار شاءه الله لكم، ولو لم يشأ الله لكم أن تكونوا مخيرين، لما كنتم مخيرون، ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾، لولا أن الله شاء لكم أن تكونوا أصحاب مشيئة حرة لما كنتم مخيرين، هذا المعنى، معنى بيان الفضل، لا بمعنى الجبر.

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً* يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾.

[سورة الإنسان].

كلمة: ﴿ مَنْ يَشَاءُ ﴾، وضحها الله عز وجل، أنا أخذ معي إلى نزهتي من أشاء يعني مزاجاً؟ لا، والمقصرون لا أخذهم معي، وضحت، إذاً: ﴿ مَنْ يَشَاءُ ﴾، مقيدة بالمتفوقين ﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾، مطلقة، ولكن: ﴿ وَالظَّالِمِينَ ﴾، لا يدخلون في رحمة الله إذاً أخذ المؤمنين: ﴿ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾.

والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وأرضَ عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبيِّ الأميّ، وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

الفاتحة.

الدرس (49-59) : الجاذبية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام، هناك نعمٌ كثيرةٌ جداً ألفناها، ولطول ألفتها نسيناها، يقول الله عز وجل:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً ﴾.

[سورة المرسلات].

أيُّ شيءٍ تمسكه ثم تدعه، يقع على الأرض، ويسقط، قوةٌ تجذبه نحو الأسفل هو بالتعبير الآخر وزنه، ما هو وزن الشيء؟ القوة المندفعة نحو مركز الأرض، قوة الجذب، لماذا تسير السيارة في المنحدر بلا قوةٍ محركة؟ بقوة الجذب، ربنا سبحانه وتعالى يذكرنا بهذه الآيات التي قد لا نلتفت إليها، ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً ﴾، كل شيءٍ عليها منجذبٌ إلى مركزها، إذاً له وزن، نعمةٌ كبرى أن تضع الشيء ويبقى في مكانه، لو أن قوة الجذب منعدمة، لرأيت الشيء الذي لا يصدق، كل شيءٍ يتحرك بلا جهد، لو أنك نفخت على شيء ثقيلٍ جداً لتحرك، ما له وزن لأنه، ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً ﴾، هذه آية تدل على عظمة الله عز وجل، آيةٌ أخرى تشبهها:

﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً ﴾.

[سورة النمل الآية: 61].

كل شيءٍ على الأرض مستقرٌ عليها بقوة الجذب، أو أن هذه الأرض التي تتحرك بسرعة ثلاثين كيلو متر في الثانية حول الشمس، وبسرعة ألف وست مئة كيلو متر حول نفسها في الساعة، هذه الحركة محصلتها سكون يكاد أن يكون مطلق، هذا ليس في أي مركبةٍ مهما علا شأنها، أية مركبةٍ، سيارةٍ، أو قطارٍ، أو باخرةٍ، أو طائرة، لابد لها من الاهتزاز، أما أن تدور الأرض حول نفسها بسرعةٍ تفوق سرعة الصوت، ألف ست مئة كيلو متر في الساعة وبسرعةٍ حول الشمس ثلاثين كيلو متر في الثانية الواحدة، نحن في هذه التراويح قطعنا أكثر من مئة ألف كيلو متر في الفضاء الخارجي، ومع ذلك هذا المسجد مبني من أربع مئة عام، لم يتأثر إطلاقاً بهذه الحركة ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً ﴾، هذه من آيات الله الدالة على عظمته ثم يقول الله عز وجل في سورة النازعات:

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴾.

[سورة النازعات].

أيام الإنسان يكون في عنده مشاغل، متاعب، طموحات، جدول أعمال، لا سمح الله ولا قدر، تأتي مشكلة تنسيه كل هذه الأعمال دفعةً واحدة، هذه هي: ﴿ الطَّامَّةُ ﴾، الإنسان يعيش بحكم استمرار حياته، لكن حينما يأتيه ملك الموت، ويرى أنه على مشارف حياةٍ أبدية وأنه نسي أن يعد لها العدة الكافية، وأنه خسر نفسه، لو أنك خسرت الدنيا كلها، وربحت نفسك أنت أكبر رابح، ولو أنك ربحت الدنيا كلها، يعني إنسان فرضاً يملك أموال الأرض وحده وخسر نفسه فهو أكبر خاسر، قال:

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴾.

[سورة النازعات].

ما من إنسانٍ يشرف على الموت، إلا وتعرض عليه حياته دقيقةً دقيقةً، في سرعةٍ مذهلة، هذا شيء متواتر، الإنسان الذين أشرفوا على الموت، أو الذين واجهوا خطر الموت ثم نجوا منه، يقول لك: في دقائق معدودة عرضت عليَّ أعمالي كلها، دفعةً واحدة، ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴾، كل واحد منا له سعي، له حركة بالحياة، له حركة في بيته، يا ترى زوج ناجح؟ زوج رحيم؟ يا ترى أب مسئول عن أولاده؟ يا ترى ابن بار؟ زوجة مخلصة؟ بعملك نصحت المسلمين؟ كسبت المال الحلال؟ هل هناك شُبهة في كسب المال؟ هل كذبت عليهم؟ هل غششتهم؟ هل احتلت عليهم؟ هل ابتززت أموالهم؟ هل بنيت مالك على خوفهم؟ أو على جهلهم؟ لك عمل، لك عملٌ في بيتك، ولك عملٌ في رزقك، هذا العمل تذكره فقرةً فقرة، جزئيةً جزئية، ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴾، من هو الرابح الأول؟ هو الذي أعد لهذا اليوم عدته، قال:

﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى * فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴾.

[سورة النازعات].

﴿ طَغَى ﴾، خرج عن منهج الله:

﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾.

[سورة النازعات].

يعني يستقر في الجحيم إلى أبد الآبدين:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾.

[سورة النازعات].

يعني أحياناً أناسٌ كثيرون يقرؤون القرآن الكريم تبركاً، أما والله الذي لا إله إلا هو لو أدركوا أحقية هذا الكلام، وأنه كلام الله عز وجل، وأنه سيقع مئةً بالمئة، لخرجوا من جلودهم من خوف الله عز وجل، ولكن هذا الذي يقرأ القرآن تبركاً، ولا يعقل ما فيه، هو بعيدٌ جداً عن روحه وعن أهدافه.

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ لابد من امتحانات، لابد من مغريات، هناك مال يغريك، هناك امرأةٌ تغريك، هناك منصبٌ يغريك هناك متعةٌ تغريك، لو ما في إغراء ما في جنة أساساً، لو ما في إغراء ما في قرب من الله، لو ما في إغراء ما في عبادة، ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾، لماذا سيدنا يوسف صار سيدنا يوسف؟ نقول: سيدنا يوسف، لأنه: ﴿ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾، حينما دعته امرأةٌ ذات منصبٍ وجمال، قال:

﴿ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾.

[سورة الحشر].

أقول لكم هذا: موظف في محل تجاري، صاحب المحل يأتي أول إنسان، يفتح بيده ويجلس وراء مكتبه، والدرج بيده، ويغلق المحل آخر إنسان، ولا يغادر الطاولة إطلاقاً، هذا الذي أمامه، الموظف أمين أم خائن؟ ليس له معنى الكلام، ما أتيح له أن يبقى وحده في المحل ما امتحن أبداً، لابد أن يبقى وحده في المحل، ولابد من أن يكون هذا الدرج مفتوحاً له، فإن لم يأخذ شيئاً في غيبة صاحب المحل، نقول: هو أمين، وإن أخذ نقول: هو سارق.

لذلك لابد من الامتحان، مكارم الأخلاق لا تبدو إلا في الامتحان، لولا أن هناك أشياء مغرية، ولولا أن هناك أشياء ضاغطة، لما كان هناك من رقيٍ إلى الله عز وجل، لا تعجب من الفتن، الفتن لابد منها في محرمات، في أشياء.

((إن الدنيا حُلْوةٌ خَضِرَة)).

[أخرجه مسلم والنسائي، عن: أبو سعيد الخدري].

فيها شيء يغري، ويردي، ويشقي، والله عز وجل مستخلفنا في هذه الدنيا، فإما أن نخاف مقام ربنا، وننهى النفس عن الهوى، لكن لو أن الإنسان: ﴿ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾، ما الذي يحصل؟ يحصل أن الله يبارك له في حلاله، معنى يبارك له في ماله القليل، يبارك له في زوجته، يبارك له فيما أتاه، معنى يبارك، يعني يعطيه الشيء الكثير من الشيء القليل، ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴾، ويبحث عن متعةٍ منحرفةٍ، عندئذٍ يدفع الثمن باهظاً في الدنيا والآخرة:

﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ* مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ* مِنْ نُطْفَةٍ ﴾.

[سورة عبس الآية: 17-18-19].

يعني نقطة الماء التي لا ترى بالعين، الحوين يحتاج إلى مجهر، له رأس، وله عنق، وله ذيل، والخمس مئة مليون حوين في اللقاء الواحد، من حوين واحد دخل إلى البويضة، ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ* مِنْ نُطْفَةٍ ﴾، هذه النطفة تصبح ميناء أسنان، ثاني أقسى عنصر في الأرض ميناء الأسنان، ثاني أقسى عنصر في الأرض بعد الألماس، عظم عنق الفخذ يحمل مئتي وخمسين كيلو، والثاني مئتي وخمسين كيلو، خمس مئة كيلو.

﴿ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾.

كم كيلو متر أوعية في بالإنسان؟ القلب وحده آية، الرئتين، الكليتين، الغدة النخامية تفرز اثنا عشر هرمون، وكل هرمون تتوقف عليه سلامة الإنسان، في مرض اختلال توازن السوائل، يا لطيف! لا يستطيع هذا المريض إلا أن يقبع إلى جانب الصنبور، والمرحاض سيشرب براميل من الماء، وسيخرجها، لأن هرمون من اثنا عشر هرمون، من مفرزات الغدة النخامية، التي هي ملكة الغدد، التي وزنها نصف غرام، ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾، الدماغ الذي فيه مئة وأربعين مليار خلية، العين التي فيها مئة وثلاثين مليون عصية ومخروط، المعدة التي فيها خمسة وثلاثين مليون عصارة، القلب الذي يضخ في اليوم ثمن أمتار مكعبة.

﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ* مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ* مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ* ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾.

[سورة عبس].

يعني هذا حوض المرآة، عظام الحوض لها حركة ميكانيكية، تتأثر بهرمون، تتسع طفل يقبع في كيس حجمه سبع مئة وخمسين سانتي، حينما يأتي أمه الطلق، هذا الرحم يتقلص تقلصاتٍ متزامنة، متقاربة، تقلصاتٍ لطيفة، يخرج هذا الطفل برأسه، وكتفيه من هذا الرحم ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾، إذا الطريق عسير

جداً، لابد من ولادة قيصرية، بعد الولادة الرحم ينقبض انقباض شديد فجأةً، يصبح كالصخر، لأن آلاف الأوعية تمزقت، فلو أنه انقبض انقباضاً يسيراً لماتت الأم من النزيف، لو أن انقباض الرحم المتزامن المتدرج المتقارب اللطيف انعكس مع ما بعد الولادة لماتت الأم ووليدها، الانقباض الشديد قبل الولادة يميت الطفل، والانقباض اللين بعد الولادة، يميت الأم من النزيف، ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾، الولادة وحدها من آيات الله الدالة على عظمته، إخوانا الكرام، في هرمونات مبرمجة، هرمون يقلب الطفل، هرمون يمزق الغشاء الذي في الرحم، هرمون آخر يحرك عضلات الرحم، وسمعت، أو قرأت أن عضلة الرحم أقوى عضلةٍ في جسم الإنسان، بحيث لو أن الفوهة مفتوحةً أمامه لقذفت الوليد اثنا عشر متر من تقلصها، ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾، يعني الإنسان خرج من عورةٍ، ودخل في عورةٍ وخرج من عورة، ثم يتكبر؟ ويقول: أنا، من أنت؟ ثم يقول الله عز وجل:

﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾.

[سورة عبس].

انظر في مراحل، يولد، تخرج أسنانه، يفرحوا به، يعملوا سليقة يمكن، يكبر قليلاً يدخل الروضة، الحضانة، بعد ذلك ابتدائي، إعدادي، ثانوي، يأخذ الشهادة، يريد أن يبحث عن زوجة يتزوج، يأتيه أولاد، يربيهم، يكبروا، يزوجهم، بعد ذلك يكبر هو، يحتاج إلى وعاء من الأدوية آخر شيء، بعد ذلك تخر نعوته، ممر إجباري لنا جميعاً، الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما، لحق حالك، بعد مئة عام رقم أبعدته كثيراً، ليس في كل الموجودين وأنا واحد منكم حي، كلنا تحت الأرض، لذلك:

﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ * كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾.

[سورة عبس].

ماذا يفعل؟ ماذا تنتظر؟ ثم ماذا؟ وصلت إلى قمة الغنى، ثم ماذا؟ القبر.

الحقيقة إخوانا الكرام: واحد اشترى بيت، اعتنى فيه عناية بالغة، النقلة من البيت إلى القبر شيء يحتمل؟ هذا واقع، إذا الإنسان استقام، وعمل أعمال صالحة، له عند الله مكافأة أنه يجعل نعم الآخرة متصلة بنعم الدنيا، في الدنيا في سعادة، لأنه طبق منهج الله عز وجل وينتقل إلى الدار الآخرة في سعادةٍ أكبر.

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾.

[سورة عبس].

أمر إلهي، هذا الذي تشربه كأس الماء، هذا مقطر، من قطره؟ هذا الحليب الذي تشربه، في بقر، فيها أعظم معمل بالعالم، غدة على شكل قبة، يجول فوقها دمٌ، ست مئةٍ حجمٍ من الدم، تساوي حجم حليب، هذه الخلية السدية تأخذ حاجتها من الحليب:

﴿ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ﴾.

[سورة النحل الآية: 66].

الفرث: السائل، يعني حمض اللبن، الذي يأتي على وكس التفاعلات الخلوية، وينتج هذا الحليب، غذاء كامل، ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾، الفواكه، الثمرات، الخضار المحاصيل:

﴿ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْباً * وَفَاكِهَةً وَأَبّاً * مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾.

[سورة عبس].

الإنسان أحياناً إذا دعي إلى طعام، وكان في تنوع شديد، وإكرام بالغ، يخجل أنت تجلس كل يوم على مائدة الله عز وجل، ما قيمة المال لو ما في طعام؟ أنت حينما تشتري كيلو فاكهة، تتوهم أنك دفعت ثمنه، أبداً، دفعت ثمن خدمته، لولا أن الله تفضل علينا، وخلق هذه الفاكهة، كيف نأكلها؟ فلذلك باب معرفة الله، من الطعام أحد أبواب معرفة الله.

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴾.

[سورة عبس].

يعني يوم القيامة:

﴿ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾.

[سورة عبس].

قالت السيدة عائشة: قال عليه الصلاة والسلام:

((سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: يُحْشَر الناسُ حفاة عراة غُرْلا قالت عائشةُ، فقلت: الرجالُ والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: الأمرُ أشد من أن يُهِمَّهم ذلك)).

[أخرجه البخاري ومسلم والنسائي، عن: عائشة أم المؤمنين].

قال: قد تقع عين الأم على ابنها، تقول له: يا بني، جعلت لك صدري سقاءً وحجري غطاءً، وبطني وعاءً، فهل من حسنة يدوم عليَّ خيرها اليوم، قال: ليتني أستطيع ذلك يا أماه، إنما أشكو مما أنت منه تشكين.

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ* لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾.

[سورة عبس].

ما في غير حالتين:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴾.

[سورة عبس].

متألقة، إذا كان طالب نجح، تفوق، تجد عيناه زئبقيتان، تلمعان، وجهه مزهر ضحكته على وجهه، هذا الطالب حينما يتفوق، يتألق.

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ* ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴾.

[سورة عبس].

الوجه الثاني:

﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ* تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ* أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾.

[سورة عبس].

يوم القيامة في وجهين فقط، وجهٌ مسفر متألق، ووجهٌ عابسٌ مقطب، يقول الله عز وجل، دققوا في هذه الآية:

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾.

[سورة التكوير].

لماذا؟ قال:

﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾.

[سورة التكوير].

هذا القرآن قرأته، وفهمته، وتلوته، المحصلة أن تستقيم على أمره:

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

[سورة التكوير].

مشيئتك مشيئة اختيار، لكن مشيئة الله مشيئة فحصٍ واختبار، واحد طلب كلية في الجامعة، نقول له: أرنا درجات الثانوية، نقول له: هذه الدرجات لا تؤهلك لهذه الكلية، مشيئتك مشيئة اختيار، لكن مشيئة الله مشيئة فحصٍ واختبار، ربنا عز وجل يقول:

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾.

[سورة الانفطار].

يعني إذا الإنسان مؤمن وعمله جيد، من أخص خصائصه أنه: ﴿ فِي نَعِيمٍ ﴾، من أعظم ما عنده أنه: ﴿ فِي نَعِيمٍ ﴾، تجد المؤمن ﴿ فِي نَعِيمٍ ﴾، في الدنيا، مطلقة، أما الكفار:

﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾.

[سورة الانفطار].

قد يكون في الدنيا مخدراً، مخدراً بالشهوات، فإذا انكشف الغطاء:

﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾.

[سورة ق].

الأبرار في نعيمٍ مستمر، لذلك في الدنيا جنة، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة يعني أحياناً تعجب أنت، تقول: أن هذا الإنسان يأكل هذا المال، يغش الناس، يكذب عليهم، يحتال عليهم، يبتز أموالهم، يعني ما في آخرة؟ دقق في هذه المفارقة:

﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

[سورة المطففين].

كيف الإنسان متوازن؟ يبني ثروته على ابتزاز أموال الناس، على إفقارهم، على تعاستهم، هذا المال الذي يكسبه بهذه الطريقة، كيف يتوازن مع يومٍ يحاسب فيه حساباً عسيراً؟.

﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

[سورة المطففين].

قال:

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾.

[سورة المطففين].

قال علماء التفسير:﴿ مَرْقُومٌ ﴾، من الرَّقَم، و﴿ مَرْقُومٌ ﴾، من الرَقم، الرّقم العدد يعني صفحاته معدودة، لا يستطيع الإنسان أن ينزع صفحةً منه، وذنوبه مصورة، المخالفة مع صورتها إما من الرَّقم، أو من الرَقَم، على كلٍ:

﴿ كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾.

[سورة المطففين].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾.

[سورة المطففين].

الآن إذا الإنسان استقام يقول لك: تمشيخ، جاء الشيخ استهزاءً.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ * فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾.

[سورة المطففين].

العبرة فيمن يضحك آخر الناس، المؤمن يوم القيامة:

﴿ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً ﴾.

[سورة الانشقاق].

أما الكافر:

﴿ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً ﴾.

[سورة الانشقاق].

فرق كبير كطالبٍ كان بين أصدقائه يلعب ويلهو، ولا يتحمل أي مسؤولية، أما حينما رسب أنقاب إلى أهله باكياً، أما الذي جد واجتهد انقلب إلى: ﴿ أَهْلِهِ مَسْرُوراً ﴾.

﴿ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾.

[سورة الفجر].

النفوس ثلاث، مطمئنةٌ، ولوامة، وأمارة بالسوء، اللوامة أثنى الله عليها، فيها حياة كلما أخطأت ترجع إلى الله عز وجل، لكن المطمئنة هي التي اطمأنت إلى منهج الله، وطبقته فسعدت بقربه، في سورة البلد يقول:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ * أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً * أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ * أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ * فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾.

[سورة البلد].

﴿ الْعَقَبَةَ ﴾، أن تفك رقبتك من أسر الشهوة، الحجاب بينك وبين الله هي الشهوات فإن أعتقت نفسك من أسر الشهوة، أزلت: ﴿ الْعَقَبَةَ ﴾، وتجاوزتها، وتخطيتها.

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾.

[سورة البلد].

قانون التيسير والتعسير:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾.

[سورة الليل].

أيها الإخوة، الجزء الأخير من كتاب الله عز وجل جزءٌ تكثر فيه الآيات الكونية ويكثر فيه ذكر اليوم الآخر، لأن الإنسان إذا آمن بالله حق الإيمان، وآمن أنه يعلم، وسيحاسب لابد أن يستقيم على أمر الله:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ* ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾.

[سورة التين].

إن عرفنا كان في أعلى عليين، أما إذا لم يعرفنا: ﴿ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾، قد تجد إنسان ينتهي مصيره إلى وضعٍ صعبٍ جداً، قد يموت بفعل أمراضٍ نتجت عن انحرافاته الجنسية، قد يموت قتلاً، قد يقتل فيعدم، قد يرتكب الموبقات فيتحمل منها أعظم الأمراض، هذا الإنسان إذا انحرف عن منهج الله عز وجل، رد إلى: ﴿ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾، يقول الله عز وجل:

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى* عَبْداً إِذَا صَلَّى ﴾.

[سورة العلق].

يعني ممكن، ذكرت في درسٍ سابق:

﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾.

[سورة التحريم].

لما الإنسان: ﴿ يَنْهَى* عَبْداً إِذَا صَلَّى ﴾، يجب أن يعلم علم اليقين من خصمه خصمه خالق الكون، خصمه رسول الله ﷺ، جبريل، الملائكة، شيءٌ مخيف أن تقف في خندقٍ آخر مضادٍ للدين.

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾.

[سورة القدر].

يعني إذا قدرت الله عز وجل حق التقدير، وعرفته حق المعرفة، وبذلت وقتاً وجهداً في سبيل معرفة الله عز وجل، هذا التقدير خيرٌ لك من أن تعبد الله ثمانين عاماً، فرقٌ كبير بين العلم والعبادة، العبادة ما فيها رقي، العلم فيه رقي، العابد طوال حياته في مكانٍ واحد، أما العالم يرقى كلما عرف حقيقةً ارتقى بها، العالم تعلم وعلم، أما العابد عمل لنفسه، يعني كل ثمار عبادته تعود إليه وحده، بينما ثمار العالم تعود على الأمة كلها، فلذلك الآية الكريمة تبين أن﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾، وهذه الليلة ما دام رمضان يأتي في كل أيام العام، أليس كذلك؟ معنى ذلك هذه الليلة تأتي في كل وقت، إذا رمضان يسير

مع الأشهر الشمسية، إذاً ليس القصد ليلة معينة بالذات، القصد في الليلة التي تعرف فيها الله عز وجل، نلت سعادة الدنيا والآخرة، آيةٌ تعرفونها جميعاً في البينة:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾.

[سورة البينة].

يعني شر ما برأ الله:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾.

[سورة البينة].

الإنسان ما في عنده حل وسط، إما أن يكون فوق الملائكة، أو أن يهبط إلى مستوى أدنى من مستوى الحيوان:

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾.

[سورة التكاثر].

إذا الإنسان عرف ما ينتظر العاصي من مشكلات في الدنيا، والآخرة، يرى الجحيم في المعصية، لذلك هو الإيمان رؤية، والكفر عمى:

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾.

[سورة الحج].

والحمد لله رب العالمين

الدرس (50-59) : لوازم العيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام، الأعياد في الإسلام أعيادٌ لها معنىً دقيق، لكن مع طول الأيام قد تفرغ هذه المعاني من محتوياتها، يعني يفرح الناس بالعيد، في عصور التخلف، وعصور الضعف في الإيمان الطعام اللذيذ، والثياب الجديدة، ولقاء الأقارب، ولكن حقيقة العيد الذي نحن على أبوابه، أن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.

[سورة البقرة].

يعني حقيقة العيد انجاز، انجاز مع الله، انجاز روحي، انجاز إيماني.

أيها الإخوة، أضرب لكم بعض الأمثلة، عمل تجاري، هدفه الأول الربح، لو بذلت جهداً جهيداً، وربحت ربحاً وفيراً تشعر براحة، أما إذا كنت مرتاحاً، وليس هناك بيعٌ ولا شراء، ولا ربحٌ، ولا أيُّ شيءٍ آخر، مع الراحة تشعر بالضيق، ومع التعب تشعر بالراحة، إذاً الشعور بالراحة أصله الانجاز ، إنجاز الهدف الذي أنت بصدده، الإنسان فطرته العالية التي فطر عليها، لا ترتاح إلا بمعرفة الله، فإذا عرف الإنسان ربه، أو عبده العبادة التي فرضت عليه، وفق ما أراد، الآن شعور كل إنسان صام رمضان، يعني بقدر إمكانه، كان منضبطاً صامه، وأقامه، في أواخر رمضان يشعر بإنجاز، هذا الشعور الحقيقي، هذا فرح المؤمن بالعيد عاد إلى الله، عاد إلى فطرته، التزم شرعه، اصطلح معه، شعر أن الله راضٍ عنه، هذا هو العيد، فلذلك الأعياد في الإسلام تأتي عقب عبادات، وأصلها طاعة، أعياد غير المسلمين مبنية على المعاصي، والآثام، تطفأ الأنوار الساعة الثانية عشرة في أعيادهم، ماذا يفعلون بعد إطفاء الأنوار؟ لكن عند المسلمين الأعياد أساسها الطاعات، أساسها العمل الصالح، أساسها العبادة.

أيها الإخوة الكرام، أول شيء من لوازم العيد، الخصومات التي بين الناس ينبغي أن تحل، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((فاتَّقُوا اللهَ وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكم)).

[أخرجه زيادات رزين، عن: عثمان بن عفان].

العيد مناسبة أن تزول هذه الخلافات، تلك الخصومات، هذه المشاحنات، هذه القطيعة بين الأقارب، لا معنى لأن نحتفل بالعيد، وبين المسلمين مشاحنات، ومخاصمات ومنافسات، لذلك قال تعالى:

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾.

[سورة الأنفال الآية: 1].

يعني صلح علاقتك مع الناس، أصلح علاقتك مع من حولك، بل إنه واجبٌ عليك أن تصلح أية علاقة بين اثنين، أصلح علاقتك مع الناس، أنت في رمضان أصلحت علاقتك مع الله، بقي أن تصلح علاقتك مع الناس، بقي أن تصلح علاقةً بين اثنين، لذلك ورد عن رسول الله ﷺ:

((التمس لأخيك عذراً ولو سبعين مرة)).

وورد عنه أيضاً:

((اصنع المعروف مع أهله، ومع غير أهله، فإن أصبت أهله أصبت أهله، ولم تصب أهله فأنت أهله)).

أنا أذكركم بهذه الأحاديث، أذكركم أيضاً بقوله تعالى، الآية الكريمة:

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ﴾.

[سورة المؤمنون الآية: 96].

إذا قابلت الإنسان بسيئة، أنت كمؤمن ملتزم، ينبغي أن تقابل هذه السيئة لا بحسنةٍ بل بأحسن الحسنات، أتستطيع ذلك؟.

((أَمَرَنِي رَبِّي بِتِسْع : خَشْيَةِ الله في السِّرِّ والعلانية وكلمة العدل في الغضب والرضى، والقصد في الفقر والغنى، وأن أَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي)).

[أخرجه زيادات رزين، عن: أبو هريرة].

العيد:

((وأعطي مَنْ حَرَمَنِي، وأعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي، وأن يكون صَمْتي فِكْرا، ونُطْقِي ذِكْرا ونظري عبرة، وآمرُ بالعُرْف)).

[أخرجه زيادات رزين، عن: أبو هريرة].

أيها الإخوة، خيركم الذي يبدأ صاحبه بالسلام، هناك أقارب متخاصمون متدابرون، متحاسدون، متشاحنون، العيد مناسبة أن تنتهي هذه العداوة، أن تنتهي هذه الخصومة، أن تنتهي هذه القطيعة، لأن الله يحبنا أن نكون مجتمعين:

((وجبت محبتي للمتحابين فيَّ والمتجالسين فيَّ والمتباذلين فيَّ والمتزاورين فيَّ، والمتحابين في جلالي، يغبطهم عليها النبيون يوم القيامة)).

[أخرجه ابن حبان، والحاكم، عن: معاذ ابن جبل].

شيء آخر، يقول عليه الصلاة والسلام:

((إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه)).

[أخرجه أبو يعلى والبزار، عن: أبو هريرة].

العيد مناسبة، أن تنتهي هذه الخصومات، هذه العداوات، هذه القطيعة بين المؤمنين لماذا؟ لأن:

((قد يئس الشيطان أن يعبد بأرضكم هذه مرة أخرى، ولكنه قد رضي بالمحقرات من أعمالكم)).

[أخرجه إسحاق بن راهوية، عن: أبيّ بن كعب].

رضي، رضي بالمشاحنة، والبغضاء، والعداوة، والقطيعة بين الناس، هذا أول بند نحن مطلوب منا أن نصلح ذات بيننا، لأن الله سبحانه وتعالى يصلح بين عباده يوم القيامة بعض الأحاديث كيف؟ ورد في بعض الأحاديث أن الذي ظلم يقول:

((يا رب خذ لي مظلمتي من أخي. قال عز وجل: أعط أخاك مظلمته، قال: يا رب لم يبق من حسناتي شيء، قال: رب فليحمل عني من أوزاري، قال: ارفع بصرك فانظر في الجنان فرفع رأسه، فقال: أي رب، أرى مدائن من فضة، وقصوراً من ذهب، مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا، لأي صدِّيق هذا، لأي شهيد هذا؟ قال: هذا لمن أعطى الثمن، قال : يا رب ومن يملك ذلك؟ قال جل وعلا: أنت تملكه، قال: بماذا يا رب؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا رب فإني قد عفوت عنه، قال الله تعالى: خذ بيد أخيك فأدخله الجنة)).

[أخرجه أبو يعلى، عن: أنس بن مالك].

ربنا يصلح بين عباده يوم القيامة، والمؤمن مكلف أن يصلح بين اثنين، الآن في أشخاص يتفرج على خصومات الناس، ويرتاح لها، ويأخذ أخبارها مستمتعاً، في إنسان يغار.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ ﴾.

[سورة النور الآية: 19].

ماذا فعل؟ ما فعل شيئاً، إلا أنه ارتاح لفاحشةٍ سرت بين المؤمنين، المؤمن غيور على مصلحة المؤمنين، على سمعتهم، لذلك جميلٌ جداً أن تبادر إلى إصلاحٍ بين زوجين، إلى إصلاحٍ بين أخوين، إلى إصلاحٍ بين شريكين، إلى إصلاحٍ بين أمٍ وابنها، بين أختٍ وأختها هذا من مهمات الإنسان في العيد، العوام يقولون بكلام بسيط: هذا وقت جبر، وقت صلح، وقت مودة، هذه واحدة، أول بند يجب أن تنتهي الخصومات في العيد، لأن الله سبحانه وتعالى يحبنا متعاونين، متباذلين، متجالسين، متحابين، متناصحين.

البند الثاني: من لوازم العيد إدخال السرور على الأهل، أهلك زوجتك وأولادك ومن يلوذ بك.

((ليس منا من وسع الله عليه، ثم قتر على عياله)).

((أكرموا النساء، فا والله ما أكرمهن إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم، يغلبن كل كريم، ويغلبهن لئيم، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً، من أن أكون لئيماً غالباً)).

((لا تكرهوا البنات، فإنهن المؤنسات الغاليات)).

[أخرجه الطبراني، والإمام أحمد، عن: عقبة بن عامر].

يعني من الصعب جداً أن تنشأ مشكلةٌ في البيت في أيام العيد، من الصعب جداً هذا يوم فرح، يوم سرور.

((أيام أكل وشرب وبعال)).

[أخرجه الطبراني، عن: عبد الله بن عباس].

قال عليه الصلاة والسلام، أيام قرب من الأهل، ولاسيما أن الناس قد يكونون متعبين فيما قبل العيد، العيد وقت راحة، وقت سرور، فالسعيد من أشاع المحبة، والمودة فيما بين أفراد الأسرة، هذا بندٌ أخر، قال عليه الصلاة والسلام:

((خيرُكُم خيرُكُم لأهْلِهِ، وأنا خيرُكُم لأهْلِي)).

[أخرجه الترمذي، عن: عائشة أم المؤمنين].

الشيء الثالث بالعيد: صلة الأرحام، لماذا؟ كل واحد منا له أشخاص يعيش معهم دائماً، ولنضرب على ذلك مثلاً: إخوان المسجد، نحن مع بعضنا كل أسبوع، أربع أيام الخطبة ودرس الجمعة، ودرس السبت، والأحد، والاثنين، فلقاءات مستمرة، يفضل هؤلاء الذين تلتقي معهم دائماً طوال العام، أن تلتقي معهم لقاءً موحداً في العيد، وأن لا تستهلك العيد في زيارات وفي تراشق البطاقات، الأولى أن نجتمع جميعاً في

وقتٍ واحد، وننهي هذا الواجب في العيد، لكن العيد في حقيقته لمن؟ لهؤلاء الذين لا يتاح لك أن تزورهم إلا في العيد لأقربائك.

إذاً في العيد أكبر عمل صالح، الذي هو صلة الأرحام، من هم الأرحام؟ مطلق الأقرباء، من طرف الأب، أو من طرف الأم، ذكرت هذا كثيراً، زرت أختك، وهي من رحمك، زرتها، الزيارة طيبة جداً، لكن أكثر الناس يتوهمون أن الزيارة هي القصد، الزيارة وسيلة من أجل أن تعرف حوائجها، مشكلتها، لها مع زوجها مشكلة، لها مع أولادها مشكلة أولادها مقصرون في الدراسة، دخلهم أقل من حاجتهم، هذه الزيارة يتبعها تفقد، والتفقد يتبعه معاونة، والمعاونة تتبعها هداية، فهذه الزيارة التي أرادها الله عز وجل، كأن الله ﷻ جعل ما يسمى بالتكافل الاجتماعي على نطاق الأسرة، لذلك ورد أنه لا تقبل زكاة مسلمٌ، وفي أقربائه محاويج، يجب أن تتفقد من حولك، ممن يلوذ بك في العيد، والأولى قبل العيد، ليكون لهم عيد، إن تفقدتهم قبل العيد، وأمددتهم بما يحتاجون كانت هذه الأيام لهم عيد.

الشيء الثالث: زرنا، تفقدنا، عاونا، أقول لكم كلاماً دقيقاً: كل واحدٍ منا لم يحدث نفسه بالدعوة إلى الله، يموت على ثلةٍ من النفاق، لماذا؟ وأن الله عز وجل يقول:

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

[سورة العصر].

التواصي بالحق أحد أركان النجاة، والآية الثانية:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾.

[سورة يوسف الآية: 108].

فالمتبع لرسول الله ﷺ، يدعو: ﴿ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾، أيام ما فيك تدعو أنت، تقدم لإنسان شريط تأثرت به، تدعوه إلى المسجد، تدعوه إلى جلسة، تدعو من يستطيع الكلام معه، لابد من أن يكون لك إسهام في نشر الحق، هذا من لوازم العيد، الآن نحن في العيد عطلة، والعيد كله زيارات، ولقاءات، الآن دقق فيما يقال في الأعياد، أكثر كلام الناس لا معنى له، لا جدوى منه، كلامٌ فارغ في موضوعات تافهة، في جلسة، في لقاء، أخبار كلها سيئة، تشاؤم، قهر، غلاء أسعار فرضاً، ضيق في الدخول، هذا الكلام نهايته يأس، نهايته يقوم الحاضرون من هذا المجلس، وكأن مفاصلهم قد تعطلت، أما إن حدثتهم عن الله عز وجل الأمر كله بيده، وهو أرحم الراحمين، وأن الدنيا زائلة، ومؤقتة، وأن الآخرة هي الحياة الحقيقية، وإن حدثتهم بهذا المجال، تألقت العيون، تألقت الوجوه، وبرقت العيون، واستبشرت النفوس،

وكانت هذه الجلسة مباركة، يعني أحياناً أنا لا أبالغ، أيام الإنسان هدايته من كلمة كيف معك مفتاح صغير تشغل المركبة، يدور المحرك، وتمشي، ضغطة بسيطة على المفتاح أحياناً آية واحدة، حديث واحد، قصة واحدة، موقف أخلاقي، هذا يشغل بواعث الإيمان في الآخرين، فأنت إذا زرت في العيد، لابد من أن تذكر الله، ما:

((ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في مَلأٍ ذكرتُه في مَلأٍ خيرٍ منه)).

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي، عن: أبو هريرة].

صار عندنا للعيد إنهاء الخصومات، وإدخال السرور على قلب الأهل والأولاد، ثم إصلاح ذات البين، ثم صلة الرحم، والصلة زيارة، تفقد، تعاون، هداية، إذا كل واحد تعهد واحد من أقربائه، تضاعف العدد.

إخوانا الكرام، قضية الهدى قضية ليست بسيطة جداً، تزوره، تشرح له، تبين له، تقدم له هدية أحياناً، تخدمه في الدنيا أحياناً، تعاونه بأولاده، بتأمين حاجاته، بعد جهدٍ جهيد، وحديثٍ طويل، وعنايةٍ بالغة، يميل قلبه إلى الدين، بعدئذٍ يستسلم إليك، بعدئذ يتبعك إلى الحق، فإذا الإنسان، أعمالنا كثيرة جداً، وأعمال، وإنجازات، لكن خير هذه الأعمال أن يمكنك الله من هداية إنسان، وهذا يكون في العيد، ثلاث أيام عطلة، لقاءات، في كلام يسموه بعض البلاد رغي، كلام فاضي يعني، كلام لا معنى له، حديث على الأسعار، وعلى الأحوال، وعلى الأخبار، هذا كلام فاضي، لذلك في العيد يجب أن نذكر الله عز وجل.

الآية الكريمة:﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾، حتى تكبيرات العيد هدفها أنك وصلت إلى شيء، أديت العبادة بالتمام والكمال، ضبطت فيها جوارحك ضبطت فيها لسانك، ضبطت فيها أعضائك، فكأن الله سبحانه وتعالى يشعرك أنه راضٍ عنك.

يعني مرة ثانية: أسباب الفرح أن تنسجم مع فطرتك، ومع عقلك، ومع منهج ربك، هذا الانسجام بين الإنسان وبين فطرته، الإنسان حينما يخرج عن منهج الله، يختل توازنه الداخلي، يشعر بضيق:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾.

[سورة طه].

ما من إنسان أسعد من رجل يسعى إلى مرضاة الله، يسعى إلى تطبيق أمر الله يقول هذا حرام لا أفعله، هذا حلال أفعله، هذه الرغبة الصادقة في تطبيق الأمر الإلهي هي التي تسعدك في العيد.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (51–59) : الشمس والقمر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام، سورة الشمس:

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾.

[سورة الشمس].

الواو واو القسم، الله ﷻ إذا أقسم بشيءٍ من خلقه، فليلفت نظرنا إليها، أما بالنسبة إليه كل شيءٍ دون الله عز وجل، الشمس أيها الإخوة تبعد عن الأرض مئة وستة وخمسين مليون كيلو متر، يقطعها الضوء في ثماني دقائق، تكبر الأرض بمليون وثلاث مئة ألف مرة، يعني جوف الشمس يتسع لمليون وثلاث مئة ألف أرض، ألسنة اللهب المنبعثة من الشمس يزيد طولها عن مليون كيلو متر، درجة الحرارة على سطحها ستة آلاف درجة، في مركزها عشرين مليون درجة، العلماء قدروا أن الشمس منذ خمسة آلاف مليون عام متألقة ويقدرون أنه ستبقى خمسة آلاف مليون عام، ما هذه الطاقة التي أودعها الله فيها؟ مصدر الضوء، والحرارة.

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾، وأجمل ساعاتٍ سطوع الشمس الضحى وقت الضحى ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴾، القمر يبعد عنا ثلاث مئة وستين ألف كيلو متر يقطعها الضوء في ثانية واحدة، حجمه سدس حجم الأرض، وجعله الله تقويماً للبشر جميعاً، تقويم في السماء للبشر جميعاً، أما كيف أنه تقويم؟ فيحتاج إلى بحث طويل، كيف أن دورته حول نفسه، ودورته حول الأرض فيها تفاوت بسيط، من هذا التفاوت يظهر هلالاً، ثم يزداد الهلال إلى أن يكون بدراً تاماً.

﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴾، أنية النهار، هذه الشمس، وهذه الأرض، الوجه المقابل للشمس نهار، الوجه الآخر ليل، لو أن الأرض واقفة في مكان، لأصبحت الحرارة على سطح الأرض المواجه للشمس ثلاث مئة وخمسين درجة، تتحملوها؟ على الأربعينات الناس لم يتحملوها، لو وقفت الشمس ولم تدور حول نفسها، لكانت حرارتها ثلاث مئة وخمسين درجة أما الجهة الثانية مئتي وسبعين درجة تحت الصفر، أما حينما تدور الأرض ينشأ اعتدال في الحرارة يقول لك: ليلاً اثنا عشر، نهاراً ثمانية عشر، ستة، أربعة وعشرين، ستة، خمسة عشر ستة، ثمانية، لأنها تدور، من دورتها نشأ تبدل الليل والنهار:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾.

[سورة القصص].

من آيات الله الدالات على عظمته دورة الأرض حول نفسها:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾.

[سورة الشورى الآية: 29].

ومن آياته:

﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾.

[سورة فصلت الآية: 37].

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ﴾.

[سورة فصلت الآية: 37].

إن أردت آيةً تدل على عظمة الله، الشمس، والقمر، والليل، والنهار، الأرض تدور هكذا، والشمس هنا، ليلاً ونهاراً متعاقبان.

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾.

[سورة البقرة الآية: 164].

أن يأتي النهار بعد الليل، والليل بعد النهار، الأرض تدور حول نفسها بمحور عمودي على مستوي الدوران، ألغيت الفصول، الشمس هنا، والأرض تدور حول نفسها، أما على محور عمودي مع مستوي الدوران، تدور هكذا، أشعة الشمس في خط الاستواء صيفٌ دائم، في المنطقة المعتدلة ربيعٌ وخريفٌ دائم، في القطبين شتاءٌ دائم إلى يوم القيامة، ألغيت الفصول ألغيت الزراعة، ألغي الطعام، مات الإنسان، الأرض تدور حول ذاتها بمحور دائم هكذا، فالشمس هنا صيف، هنا شتاء، حينما تعود الأرض إلى هذا المكان، عمودية على الشمال، مائلة على الجنوب، صيف في الشمال، شتاء في الجنوب، من ميل محور الأرض ينشأ تبدل الفصول.

الآن أركب طائرة من أمريكا إلى البرازيل، في أمريكا في الصيف الناس يسبحون، وفي البرازيل الثلج خمسة أمتار، في يوم واحد، لأن الأرض مائلة، فأشعة الشمس هنا عمودية، صيف، هنا مائلة شتاء، إذا انتقلت الأرض إلى هذه الجهة هنا عمودية، هنا مائلة إذاً من ميل محورها ينشأ تبدل الفصول، صار كل منطقة في الأرض فيها صيف، وشتاء وربيع، وخريف، ومن تبدل الفصول تنشأ الدورة الزراعية، ومن

نشأة الدورة الزراعية يقتات الإنسان، طيب الآن لو أن الأرض دارت هكذا، على محور موازي لمستوي دورانها، هكذا كأنها واقفة، هذا الوجه نهارٌ دائم، وهذا الوجه ليلٌ دائم، لو دارت هكذا، والشمس هنا، الحياة تنعدم من على سطحها، ثلاث مئة وخمسين فوق الصفر، مئتي وسبعين تحت الصفر، انتهت الحياة، لو تدور هكذا، فصول ما في، تدور على محور مائل، هذا الميل سبب الليل والنهار والفصول الأربعة، والشمس والقمر، والليل والنهار أعظم الآيات الدالة على عظمة الله عز وجل: ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾.

الله جعل النهار معاش، والليل لباس، ستر، تنام، أشد الشوارع ازدحاما في الليل في سكون، لولا الليل لاضطربت أعصابنا، الله عز وجل جعل الليل سكناً.

عندي طالبٌ في المسجد ابتلاه الله بعدم النوم، ذابت عضلاته، وذوى جسمه، النوم من نعم الله الكبرى، لأن النوم يريح الجهاز العصبي: ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾.

أحب أن أقول لكم: بين الأرض وأقرب نجم ملتهب أربع سنوات ضوئية، على الآلة الحاسبة، الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاث مئة ألف كيلو متر كل ثانية، طيب بالدقيقة ضرب ستين، بالساعة ضرب ستين، باليوم ضرب أربعة وعشرين، ضرب أربع سنوات ضوئية، يعني كم هناك مسافة بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهب إلينا، يطلع مسافة رقم كبير قسمه على مئة، لو سرنا إلى هذا النجم بسيارة سرعتها مئة، قسمه على مئة، قسمه على أربعة وعشرين، كم يوم؟ قسمه على ثلاث مئة وخمسة وستين، نحتاج إلى أن نصل إلى هذا النجم الذي هو أقرب نجم على الإطلاق، نحتاج أن نصل إليه خمسين مليون سنة، على الآلة الحاسبة احسبوها أنتم، من أجل أن نصل إلى أقرب نجم ملتهب إلينا نحتاج إلى خمسين مليون سنة، الآن تحمل الرقم الجديد، أحدث مجرة اكتشفت، تبعد عن الأرض ثلاث مئة ألف بليون سنة ضوئية الأربع سنوات ضوئية تحتاج إلى خمسين مليون سنة كي نصل إلى النجم، ما قولكم في مجرة تبعد عنا ثلاث مئة ألف بليون؟ البليون ألف مليون ثلاث مئة ألف بليون سنة ضوئية:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾.

[سورة الواقعة].

﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾، نجمٌ اسمه قلب العقرب، في برج العقرب، يتسع للأرض والشمس مع المسافة بينهما:

﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾.

[سورة غافر].

الأرض تدور حول الشمس، لو تصورنا أنها تفلتت من جاذبية الشمس، كيف نعيدها؟ لابد من ربطها بحبال فولاذية، هذا الموضوع افتراضي قرأته بكتاب مترجم لعالم كبير بالفيزياء قال: لو أن الأرض تفلتت من جاذبيتها حول الشمس لاحتجنا كي نعيدها إلى الجاذبية إلى حبال، كم حبل نريد؟ مليون مليون حبل فولاذي، أمتن عنصر بالأرض، أمتن عنصر يقاوم قوى الشد الفولاذ، التل فريك على الفولاذ، المصاعد على الحبال الفولاذية، احتجنا إلى مليون مليون حبل فولاذي، الحبل قطره خمسة أمتار، كل حبل يقاوم قوة شد مليونين طن، الأرض مربوطة بالشمس بقوة جاذبية تساوي مليون مليون ضرب مليونين مشدودة، الشمس جاذبة الأرض، كل هذه القوة قال: من أجل أن تحرفها كل ثانية ثلاثة مل متر، من أجل أن تبقى في مسار حول الشمس، من أجل أن تبقى في مسار مغلق حول الشمس، كل هذه الحبال، مليون مليون حبل، لو غرسناها على سطح الأرض، لكان بين الحبلين مسافة حبل واحد أمام غابة فولاذية، لا تزرع، ما في بناء، ما في طرقات، ما في مساحات خضراء، انتهت الحياة.

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾.

[سورة الرعد الآية: 2].

الأرض مربوطة بالشمس بمليونين ضرب مليون مليون طن، قوة جذب، لو أردنا أن نجسدها بحبال، مليون مليون حبل، مقاومة كل حبل مليونين طن، من أجل أن تحرف الأرض في مسارها حول الشمس ثلاثة ميل كل ثانية، من أجل أن تدور دورة مغلقة، ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾، ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾.

((يا داوود ذكر عبادي بإنعامي عليهم، فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها)).

[ورد في الأثر].

من قوانين النفس، النفس تحب من أحسن إليها، وتكره من أساء إليها، النفس البشرية هلوعة، جزوعة، عجولة، ضعيفة هكذا صممها الله عز وجل:

﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً ﴾.

[سورة النساء].

﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً ﴾.

[سورة الإسراء].

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً ﴾.

[سورة المعارج].

كل هذه الصفات لصالح إيماننا، هلوعةٌ، جزوعةٌ، منوعةٌ، ضعيفةٌ، عجولةٌ، تغار إن صبت غيرتها على الدنيا كان الحسد، إن صبت غيرتها على الآخرة كانت الغبطة، تخاف تخاف كثيراً، إذاً: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾، من أعطاها صفاتها؟ من أعطاها خصائصها؟ من أعطاها فطرتها؟ من أعطاها صبغتها؟ الله ﷻ، ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾، من دون معلم، من دون موجه، من دون أي تعليم، أنت بفطرتك تعرف الحق من الباطل، والخير من الشر، والحق من غير الحق، ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾، لست أنت بل الهرة، أطعمها قطعة لحم تأكلها أمامك، لو أنها خطفت اللحم تعدو بها بعيداً، معناها الهرة أدركت أن عملها الأول حينما أطعمتها اللحم مشروع، أكلتها أمامك، أما حينما خطفتها أكلتها بعيداً عنك.

﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ* وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾.

[سورة القيامة].

﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾، يعني إذا فجرت تعلم أنها فجرت، ولا تحتاج إلى من يعلمها، قال عليه الصلاة والسلام:

((البر ما اطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في نفسك وتردد في صدرك، وإن أفتاك الناس وأفتوك)).

[أخرجه أبو يعلى والإمام أحمد، عن: وابصة بن معبد].

لا تعتذر، تعلم أنت ما إذا كنت على حق، أو كنت على باطل، ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾، إذا فجرت تعلم أنها فجرت، وإذا اتقت تعلم أنها اتقت، في معنى آخر رسم لها طريق فجورها، وطريق تقواها، رسم لها الطريقين، وعرفها بأنها مع الفجور، أو مع التقوى الآن:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾.

[سورة الشمس الآية: 9].

في عند البشر مليون: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾، من اشترى أرض، وتضاعف سعرها مئة ضعف، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾، من عنده وكالة حصرية لمواد غذائية أساسية، ربحه باليوم مليون ليرة، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾، من عنده بيت فخم، له إطلالة، أربع مئة متر مساحته، أما عند الله عز وجل:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾.

[سورة الشمس].

الفلاح عند الله بتزكية النفس، تطهيرها من أدرانها، وتحليتها بالكمال، وتهيئتها بالجنة، الفلاح عند الله عز وجل بالعمل الصالح، الفلاح عند الله عز وجل بقلبٍ سليم:

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾.

[سورة الشعراء].

الفلاح عند الله بذريةٍ صالحة، تنفع الناس من بعدك، الفلاح عند الله بزوجة مؤمنة الفلاح عند الله بدخل حلال، الفلاح عند الله بالعلم، الفلاح عند الله بطهارة النفس.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾.

[سورة الشمس].

إذا تركها جاهلةً، تركها في معصية، قطعها عن ربها، جعلها في وحول المادة جعلها في وحول الشهوات، هذا هو الذي خاب وخسر، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾:

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾.

[سورة الشمس].

ثمود لأنها طغت كذبت بالحق، في تلازم.

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴾.

[سورة الماعون].

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾.

[سورة القصص الآية: 50].

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾، أشقى الناس قاطبةً من عارض الأنبياء، أو قتل الأنبياء، أو أبطل عمل الأنبياء، أو أطفأ نور الله عز وجل، أشقى الناس قاطبةً ما كان في خندقٍ مضادٍ لخندق أهل الحق، أشقى الناس من جعله الله مفتاحاً للشر، مغلاقاً للخير، أشقى الناس من أضل الله الناس على يديه ضال، مضل، فاسد، مفسد، بخيل، يدعو للبخل.

﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾.

[سورة الشمس].

القصة معروفة عندكم:

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾.

[سورة الشمس].

الآية التي تنتظر الأرض:

﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ﴾.

[سورة يونس الآية:24].

﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾.

[سورة يونس الآية: 25].

والحمد لله رب العالمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أكرمنا ولا تهنا، أكرمنا ولا تهنا، أثرنا ولا تؤثر علينا أرضنا وأرضَ عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبيِّ الأميّ، وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (52 - 59) : يريد موعظة موجزة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها الأخوة الكرام : جاء إلى النبي ﷺ أعرابي قال يا رسول الله عظني ولا تطل ، يريد موعظة موجزة فقال عليه الصلاة والسلام .. تلا عليه قوله تعالى :

فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره فقال هذا الأعرابي : كفيت . فقال عليه الصلاة والسلام : فقُهَ الرجل . ما قال فقه ، لو قال فقه أي عرف الحكم الشرعي ، أما النبي عليه الصلاة والسلام قال : فقُهَ .. يعني أصبح فقيهاً . أيعقل أن أعرابياً لم يقرأ ولم يكتب ولم يتعلم .. يتلو عليه النبي آية واحدة من القرآن الكريم يقول : كُفيت .

والله أيها الأخوة كل آية في القرآن الكريم لو لم يكن في كتاب الله إلا هذه الآية لكفتنا فنقرأ القرآن صباحاً ومساءً وليلاً ونهاراً ونسمعه مجوّداً ونشاهده بأعيننا ونتصفحه بطبعات أنيقة ومع ذلك حال المسلمين لا ترضي الله عزّ وجل ، هذه الآية من سورة قصيرة هي سورة الزلزلة

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (5) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (6) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ (8) ﴾

الأرض تزلزل الآن .. قبل يومين كان هناك زلزلة مركزها قبرص وقبل شهر زلزال آخر مركزه تدمر وقبل هذا العقبة ، وقبل هذا مصر ، هذه الزلزلات بحسب مقياس ريختر 4 ، 5 ، يعني لو أن فوق الـ 6 لا تبقي ولا تذر ، 5 فما دون ، 30 ثانية هذا اسمه تلويح العصا ، سياسة تلويح العصا يعني انتبهوا أيها العباد . الله عزّ وجل يقول :

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (117) ﴾

(سورة هود : الآية 117)

في قرية سياحية بالمغرب ، من أجمل القرى السياحية اسمها أغادير . وهي قرية مغلقة للسياح الأجانب .. النوادي و المسابح و الشاليهات ممنوع لأهل المغرب أن يدخلوا إليها لشدة ما فيها من الفسق والفجور ونوادي العراة وما إلى ذلك . أصابها زلزال جعل عاليها سافلها في ثلاثين ثانية. أما الشيء الذي لا يصدق أن فيها فندقاً من أضخم الفنادق ذات النجوم الخمسة إسمه .... هذا الفندق 30 طابق نزل بأكمله

إلى الأرض ، غطس في الأرض ، إلا أنه لحكمة أرادها الله بقي الطابق الأخير فوق سطح الأرض ..آخر طابق وعليه لوحة كبيرة باسم الفندق وكأنها شاهدة لهذا القدر .
هذا زلزال ... وصار زلزال في إيطاليا ، وزلزال في أمريكا وزلزال في اليابان .. أضخم شركات في اليابان سوني وميتسوبيشي في مكان باليابان أصيب بزلزال لا يبقي ولا يذر .
الذي أريد أن أقوله لكم ... الزلزال الذي تتحدث عنه الآية غير هذه الزلازل ، سماه الله زلزالها المعهود : **إذا زلزلت الأرض زلزالها** . في آية أخرى تفسر هذا . قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (2) ﴾

(سورة الحج : الآيتان 1و2)

أيها الأخوة الكرام : في اللغة العربية الصفات الخاصة بالمرأة لا تؤنث متى يؤنث... إذا في معلم ومعلمة، عالم وعالمة ، طبيب وطبيبة مدرّس ومدرّسة ، خياط وخياطة ، نؤنث إذا كان في صفة مشتركة بين الذكور والإناث ، أما إذا كان هناك صفات خاصة بالإناث ... لا تؤنث .. تقول امرأة صالح وامرأة بكر و امرأة ثيب وهكذا ... وامرأة مرضع . لأن الرجل لا يرضع إذاً نقول امرأة مرضع وامرأة حامل لأن الرجل لا يحمل ، طيب إذا قلنا رجل حامل .. على ظهره يعني ، إذا قلنا امرأة حاملة .. على ظهرها ، لو كان هذا الحمل في بطنها لقلنا حامل لا يوجد تاء مربوطة ، حامل في بطنها ، حاملة على ظهرها ، طيب قياساً على هذه القاعدة ، امرأة مرضع أي هي في طور الإرضاع ، أما إذا قلنا مرضعة يعني وضعت ابنها على صدرها ، لأنه الرجل بإمكانه أن يضع ابنه على صدره . الآية تقول .. الإنسان أحياناً ينسى لشدة الهول أما أن يكون ابنها على يديها وقد ألصقته بصدرها وتشاهد زلزال الساعة فتلقيه وتشرد عنه ، يعني .. ما في سورة في القرآن الكريم أكثر دلالة على هول الموقف من هذه السورة ، امرأة وقلب الأم معجزة وكلما كان الطفل أصغر كان التعلق به أشد ، طفل رضيع تحمله أمه بين يديها وقد ألصقته بصدرها ، حينما رأت زلزلة الساعة ألقته وشردت عنه ونسيت ابنها لهول الموقف . ***يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم*** .
في بناء سقط بالقاهرة قبل أشهر ، قرأت عنه الشيء الكثير ، حالات الذهول ، حالات الفزع ، الصحف كتبت عنه ما هب ودبّ ، حالات الفزع حالات الخوف حالات الادمار حالات الإغماء . هذا زلزال بسيط 5 ريختر ، **يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما**

أرضعت وتضع كل ذات حملٍ حملها وترى الناس سكارى – لعل القارئ يظن أنهم يشربون الخمر قال :– **وما هم بسكارى** –سكارى لا هم من الخمر .. من هول الموقف – **ولكن عذاب الله شديد** .

يقول الله عزّ وجل : **إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها:** من أثقالها..؟.. الإنسان .. الكون كله خُلق من أجله ، الدليل :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْه ُ﴾

(سورة الجاثية : من الآية 13)

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ﴾

(سور البقرة : من الآية 29)

الإنسان مخلوق أول :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً (72) ﴾

(سورة الأحزاب : من الآية 72) .

الإنسان مخلوق مكّرم :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (70) ﴾

(سورة الإسراء : الآية 70)

نحن والحمد لله نأكل على المائدة ... في هذا المفصل ، لولا هذا المفصل كيف نأكل..؟ كيف نأكل .؟. لاضطررنا أن ننبطح على بطوننا ونأكل كما تأكل الهرة لولا هذا المفصل : ***ولقد كرمن بنـي آدم*** يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءتكم ، أعطانا عقلاً بنينا بناء سكنا ببناء ، فرشنا البناء بالأثاث ، صنعنا أجهزة وأدوات ، الإنسان مكرم ، الإنسان المخلوق الأول ، كل المخلوقات تسبّح الله عزّ وجل .. والدليل : **وإن من شيء إلا يسبّح بحمده** – هذه الخشبة ذرات تسبّح –

﴿ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُم ﴾

(سورة الإسراء : من الآية 44)

الكون كله مسخّر للإنسان الكون يسّبح والإنسان غافل .

وأخرجت الأرض أثقالها : هؤلاء الناس المدفونين في باطن الأرض خرجوا ، هؤلاء الذين حملوا الأمانة ، هؤلاء الذين خانوا العهد هؤلاء الذين انغمسوا في الدنيا ، هؤلاء الذين عبدوا الدرهم و الدينار من دون الله ، هؤلاء الذين قتّلوا بعضهم ، هؤلاء الذين افتعلوا الفتن ، **وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان مالها** – ما الموضوع – **يومئذٍ تحدث أخبارها** : كل مخلوق سوف يحدثّ عن أخباره في الدنيا ، فعلت يوم كذا وكذا ، طلقت طلاق تعسفي ، غششت فلاناً ، أكلت مال فلاناً ، اعتديت على عرض فلان ، دلّست ، احتلت ، كل أعمال الإنسان مسجلة بأوقاتها وأماكنها وصورها وحركاتها وسكناتها .. أبداً .. شريط .. يوجد طريقة سريعة جداً في التحقيق يعرضون على المتهم شريطاً مصوراً عن جريمته .. انتهى لم يعد هناك مناقشة ..

﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً (14) ﴾

(سورة الإسراء : الآية 14)

قال لي شخص كان في أوروبا الشرقية ، يبدو خالف بعض القوانين ، فسُحب إلى مكان ، قال لي جلست .. شاشة كبيرة أمامي عرضوا عليّ كيف أخذت كروز الدخان لازم ما أشتريه من جناح .. كيف اشتريته .. ودفعت ثمنه وبعته لواحد من دولة في أوروبا الشرقية ... هذه مخالفة .. أنت سائح لازم تستهلك ، لا تبيع .. فقال لي ، سحبوني لمكان وعرضوا عليّ فيلم كيف أنا اشتريت وكيف بعت . اعترف فأعترف فوراً لأنه صوره.

أيام يروك صورة مخالفة سيارتك رقمها على الكمبيوتر .. الرقم والتاريخ .. أنت كنت ماشي بالسرعة الفلانية.. لا مجال للمناقشة .

لذلك ... ربنا عزّ وجل : **وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان مالها يومئذٍ تحدث أخبارها** : تحدث أخبار هؤلاء جمعياً ، واحداً واحداً ، دقيقة دقيقة ، حركة حركة ، ثانية ثانية، سكنة سكنة ، أبداً ...

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (18) ﴾

(سورة ق : الآية 18)

يومئذٍ يصدر الناس أشتاتاً : الحياة فيها تجمعات ، أيام شخص قوي لن تستطيع أن تشتكي عليه ، لا تقدر ، ليس كل الأشخاص مثل بعضها ، يوجد أشخاص أقوياء يوجد شخص له جماعة ، وشخص له أمة ، وشخص يمثّل فئة ، فالحياة تجمعات ، في ترابط وفي تعاون على الحق أو على الباطل لكن يوجد تعاون .. هذا في الدنيا . أما في الآخرة :

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾

(سور الأنعام : من الآية 94)

أيام إنسان في بلده يهز البلد كلها ، تاجر كبير ، له معارف له أصدقاء ، بكل الدوائر، يعني بهاتف يعمل أكبر مشكلة ، وبهاتف يحل كل المشكلة، إذا كان سافر إلى بلد لا يعرفوه ، الآن إذا واحد سافر إلى الحج .. لا تبعدوا .. لا أحد يعرفك هناك ، ما فيك أن تخبر أحد ، ما فيك أن تتوسط ، كله ملته ، حاد .. لا يوجد غيرك . فالإنسان يأتي يوم القيامة فرداً : **يومئذٍ يصدر الناس أشتاتاً** : متفرقين ، لا يوجد تجمعات لا يوجد هذا من جماعتنا اتركوه .... ما في ... مرة روى شيخ شيئاً غير صحيح وشيء مضحك ، وشيء غير مقبول إطلاقاً ، أنه أحد المريدين توفي ، في أول ليلة جاء منكر ونكير حتى يحاسبوه ، فتلقوا ضربة هذان، ضربة قاسمة ، هذه الضربة من شدتها أخرجتهما إلى خارج القبر هذا شيخه ... قال : أمثل هذا يسأل..؟... القصة لا أصل لها ... سيدنا رسول الله قال :

((عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ قَالَ أَبُو دَاوُد بَحِيرٌ ابْنُ رَيْسَانَ))

استغفروا لأخيكم فإنه الآن يسأل . هكذا قال النبي : استغفروا لأخيكم فإنه الآن يسأل .

إذاً : **يومئذٍ يصدر الناس أشتاتاً** – تجمعات ما في – **ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره** : وجدت قشة على السجادة في الجامع ، حملتها ووضعتها في جيبتك ، هذا العمل ما قيمته .. يعني شو عملت .؟. في أقل من هذا ... لا يوجد أقل من ذلك ... هذا العمل سوف تراه يوم القيامة . أنت تتوضأ فوجدت نملة على المغسلة ، فوقفت حتى تجاوزت مرحلة الخطر ، أنقذت حياة نملة .. هذا محسوب . أطعمت هرة . أنا أعطيك أعمال بسيطة جداً ، مهما بدا لك العمل بسيط له عند الله أجر كبير ، الإنسان قد يضع اللقمة في فم زوجته يراها يوم القيامة كجبل أحد لعِظمها ، فأي عمل صالح ، وأي عمل صالح تقدمه للآخرين هو قرضٌ حسنٌ لله عزّ وجل .

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (245)﴾

(سورة البقرة : الآية 245)

قال:

فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره

كل شيء بحسابه ، إن لكل سيئة عقاباً ، وإن لكل حسنة ثواباً

وفي قصة رمزية أن شوحة سألت سيدنا سليمان قالت له : يا سليمان الحكيم ربك أو ربنا عجول أم مهول..؟.. يعني .. يعاقب سريعاً أم يعطي مهلة . فسأل الله عزّ وجل . فقال قل لها أني مهول ولست عجول. فاطمأنت ..و قفت على قطعة لحم معدةٍ لأشخاص سرقتها وطارت بها ، يبدو أن قطعة فحم مشتعلة علقت باللحم وضعت هذه اللحم في عشها فاحترق العش واحترق أولادها فعجبت أشد العجب .. عادت إلى سيدنا سليمان قالت له يا سليمان الحكيم ألم تقل قبل قليل إن الله مهول هاهو ذا عجول . فلما سأل الله عزّ وجل . قال له : قل لها إنه هذا حساب قديم .

كله بحسابه إخواننا .. كله بحسابه .. لو دققت ما من عثرة ولا اختلاج عرقٍ ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم وما يعفو الله أكثر .

إخواننا كثر التجار .. إذا كان مستورد ، يوجد معك ورقة الاستيراد الحمراء ، هذه تذهب إلى المالية . إذا أنت أخفيت هذه الصفقة عن المالية فأهدروا لك كل حساباتك فتعملها ..؟.. مادام يوجد نسخة تذهب من الجمارك إلى المالية لا يمكن أن تخفي حسابات الصفقة .

أقولها لك بشكل صريح أكثر .. إذا أنت أيقنت أن الله موجود ويعلم وسيحاسب ، لا يمكن تعصيه .. أبداً .. مستحيل لأنك مع إنسان لا تخالف أمره ، مع إنسان لن تتفلت من قبضته ، مع إنسان من بني جلدتك ، لا تستطيع أن تتفلت من قبضته .. إذاً تطيعه . فكيف مع الواحد الديان ..

قال له كُفيت .. فقال عليه الصلاة والسلام : فَقُه الرجل ، فَقُه الرجل ، صار فقيه ، لأنه **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** . هذه سورة الزلزلة وهي من السور القصيرة وفيها آية لو تدّبر الناس هذه الآية لوسعتهم ولاكتفوا بها . وعندما قلت لكم عن الراعي الذي سيدنا عمر امتحنه قال له بعني هذه الشاة وخذ ثمنها قال ليست لي قال قل لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب قال والله إنني عنده صادق أمين ولكن أين الله ؟ نريد نحن مسلمين ملتزمين مطبقّين .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (53 - 59) : الدعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

قال بعض العلماء : إنه دعاكم ليسعدكم لولا أنه دعاكم إليه لما عبأ بكم لو أن أولكم و آخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد في ملكي شيئاً .. لولا دعائكم .. المعنى الثاني .. إن عرفتموه دعوتموه إذاً يعبأ بكم ويسعدكم ويحفظكم ويوفقكم ويستجيب دعاؤكم .

أيها الأخوة : لن تدعو إنساناً لاوجود له أنت في علاقاتك مع الناس . ولن تدعو إنسان لا يسمعك ولن تدعو إنساناً لا يقدر أن يستجيب لك ولا تدعو إنساناً لا يحب أن يستجيب لك .. لابد من أن يكون المدعو موجوداً، سميعاً ، بصيراً، قادراً ، محباً ، وهذا كله لا يتحقق إلا في الله عزّ وجل موجود يسمعنا وقادر على كل مضمون أدعيتنا ويحب أن يستجيب لنا إن الله حيي كريم يستحي من عبده إذا بسط إليه يديه أن يردهما خائبتين . إن الله حيي كريم ... أنت كإنسان مؤمن قال لك إنسان أتقرضني هذا المبلغ بدافع من كمالك تتمنى أن تملك هذا المبلغ فإن لم تكن تملك هذا المبلغ تستحي منه وأنت إنسان .. فالله سبحانه وتعالى حيي كريم يستحي من عبده إذا بسط إليه يديه أن يردهما خائبتين .. فاتقوا الله عباد الله حين تدعون .. اطلب شيئاً معقولاً ، اطلب شيئاً يرضاه الله عزّ وجل .

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186) ﴾

(سورة البقرة)

أكثر من عشر آيات:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (219) ﴾

(سورة البقرة)

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (222) ﴾

(سورة البقرة)

إلا هذه الآية الوحيدة : **وإذا سألك عبادي عني** – ما في قل – **فإني قريب** .. استنبط بعض العلماء أنه ليس بينك وبين الله حجاب الله سبحانه وتعالى حاضر ناظر ... من لا يدعوني أغضب عليه إن الله يحب الملحّين في الدعاء إن الله يحب من عبده أن يسأله حاجته كلها ، إن الله يحب من عبده أن يسأله ملح طعامه إن الله يحب من عبده أن يسأله شسع نعله إذا انقطع ... الدعاء مخ العبادة .. ملخص العبادة أن تدعو الله عزّ وجل فلذلك في هذه الليلة ليلة القدر الدعاء فيها مستجاب وأنت حينما تدعو الله تدعو خالق الأكوان تدعو من بيده ملكوت كل شيء تدعو من يكون مصيرك إليه .. فيا أيها الأخوان الكرام في أثناء الدعاء أغمضوا أعينكم واتجهوا إلى ربكم وأمّنوا على الدعاء فلعل الله سبحانه وتعالى يقبلنا في هذه الليلة ويعتقنا من النار .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (54 - 59) : الفتنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها الأخوة الكرام : في سورة آل عمران آية هي الآية المائة وهي قوله تعالى:

﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (100) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آَيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (101)﴾

ورد في أسباب نزول هذه الآية أن رجلاً من أهل الكتاب غاظه الوئام والحب والتعاون بين الأوس والخزرج في عهد النبي عليه الصلاة والسلام فأرسل غلاماً ودفع إليه قصيدة كانت قد قيلت في أيام الجاهلية تثير فيهم العصبية الجاهلية ... ألقيت هذه القصيدة وثار حماس البعض إلى أن تلاسنوا ثم سلّوا السيوف من أغمادها وكادت تقع فتنة بلغ النبي ﷺ هذا الخبر فخرج غاضباً وقال :

//أتقتتلون وأنا بين أظهركم //

ثم نزلت هذه الآية الكريمة :

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله﴾

هذا الموضوع يقودنا إلى موضوع الاختلاف بين المسلمين ، القرآن الكريم أشار إلى أنواع ثلاثة من هذا الاختلاف .. اختلاف أول قبل نزول الوحي اختلاف طبيعي .. سببه نقص المعلومات .. يعني .. في وقفة العيد قد نستمع إلى صوت ضخم يا ترى مدفع العيد أم أن هناك صخرة أرادوا أن يفجّروها من أجل شق طريق .. اختلفنا ... الاختلاف بسبب نقص المعلومات .. تكهّن .. أما حينما يذاع أن غداً عيد الفطر السعيد.. إذاً هذا الصوت مدفع العيد.

بعد أن ينزل الوحي وتتضح الأمور وتنجلي الحقائق .. إذا كان هناك خلاف هذا الخلاف مبعثه الغيرة والحسد والبغي والعدوان .

﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ﴾

(سورة آل عمران : من الآية 19)

.. كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين ... كانوا أمة واحدة فاختلفوا . الاختلاف بسبب نقص المعلومات جاء الوحي فلما جاء الوحي .. اختلفوا . الخلاف الأول طبيعي أما الخلاف الثاني غير طبيعي .. الاختلاف الثاني اختلاف بغي وعدوان وحسد . بعد أن جاء الوحي فهدى الله الذين آمنوا بما أختلف فيه من الحق بإذنه ...

الآن بعدما تتضح الأمور هناك اجتهادات متباينة ... إنسان يرى مثلاً أن أعظم شيء في الدين أن يقرأ القرآن الكريم ، إنسان أن يفهمه ، إنسان أن يفسره ، إنسان أن يعلم أحكام التجويد ، إنسان أن يدرس أحكام الفقه ، إنسان أن يغوص في علم الحديث ، ما في مانع ... هذا اختلاف تنافس . في عنّا اختلاف طبيعي اختلاف نقص معلومات ، عنّا اختلاف أساسه البغي والعدوان والحسد ، عنّا اختلاف تنافسي .. هذا جيد ، اختلاف مقبول ، اختلاف مردود، اختلاف محمود . قال تعالى :

﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26) ﴾

(سورة المطففين : من الآية 26)

﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (61) ﴾

(سورة الصافات : الآية 61)

بالعكس .. إن الله سبحانه وتعالى فطر الإنسان فطرة تنافسية .. يغار الإنسان .. هذه الفطرة حيادية .. التنافس حيادي .. إن كان في أمور الدنيا كان الحسد والبغضاء ، وإن كان في الدار الآخرة كان التنافس الشريف والغبطة .. الحسد غير مقبول في الدنيا الحسد ، أما التنافس في الآخرة غبطة . إذاً .. اختلاف مقبول طبيعي ، اختلاف مرذول قذر اختلاف البغي والعدوان والحسد ، اختلاف محمود التنافس . في الحقيقة الدين واسع جداً .. كل إنسان سد ثغرة في الدين ... الدين واسع جداً .. إنسان اشتغل بالعلوم التطبيقية ، إنسان اشتغل بالتطبيق العملي ، إنسان اشتغل بتسليك النفوس إلى الله عزّ وجل المجال واسع جداً . وربنا عزّ وجل رحمة بهذه الأمة جعل كل عالم أو كل داعية يغطي شريحة من الناس ، فكل شريحة لها ترتيب معين، شريحة تؤمن بالعقل وبالنقل وبالتطبيق ، شريحة تؤمن في القصص تستفيد في القصص وبعض الكرامات ، كل شريحة تناسبها طريقة ... والله سبحانه وتعالى جعل لكل شريحة ما يناسبها لذلك الاختلاف الذي أساسه البغي والعدوان هذا اختلاف قذر اختلاف مرجع ...

الاختلاف الثالث : اختلاف تنافسي .. كل إنسان تفوق في جانب وغاب عنه ذلك .. هو يكّمل أخاه .
أما الشيء الدقيق في الآية أن الله سمى الاختلاف القذر الاختلاف المرذول سماه كفراً ، **وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم** ... الإنسان أحياناً يتألم أشد الألم لأن غير المسلمين أو أعداء المسلمين يتعاونون تعاوناً رائعاً على قواسم مشتركة لا تزيد على خمسة بالمائة .... بينما المسلمون يتنافسون ويتخاصمون وفيما بينهم 95 بالمائة قواسم مشتركة ... 95 بالمائة قواسم مشتركة ويختلفون . وأعداء المسلمين خمسة بالمائة قواسم مشتركة ويتعاونون . ثم يقول الله عزّ وجل

ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم .

نحن الدين النقي الصافي الذي أساسه النفوس الصحيحة .. هذا الدين يجمعنا والنفوس الموضوعة والضعيفة والاجتهادات الباطلة والاختلاف والرأي غير المنضبط بالنص هذا يفرقنا .. يجمعنا الكتاب والسنة تفرقنا الأهواء والنفوس الموضوعة والضعيفة وتفرقنا الرغبات الشخصية . ثم يقول الله عزّ وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102) ﴾

(سورة آل عمران)

حق تقاته .. أن تطيعه فلا تعصيه ، وأن تشكره فلا تكفره ، وأن تذكره فلا تنساه ، أن تطيعه فلا تعصيه، هذه معنى حق تقاته ..

والحقيقة أضرب لكم مثلاً : إنسان بحاجة إلى سيارة اشترى عجلات فقط .. جيد هذه عجلات ولكنها ليست سيارة .. لها ثمن تباع وتشترى . اشترى مقعد .. جيد . هذا المقعد ليس بسيارة هذا المقعد لا يسير ممكن أن تشتري أشياء كثيرة جداً من أجزاء السيارة ، وهذه الأشياء على كثرتها وعلى أنها غالية الثمن لا تشكل بمجموعها سيارة تنقلك من مكان إلى مكان . السيارة التي تنقلك من مكان إلى مكان فيها كل الأجزاء من محرك إلى هيكل إلى مقاعد إلى وقود إلى مكبح إلى كهرباء ... إلى آخره.. فمن أجل أن تركب هذه المركبة وأن تسير بك لابد من أن تكون مستوفية الشروط وأن تكون كاملة الأجزاء فإنسان يصلي ..جيد الصلاة جيدة، يصوم ... أما إذا تعامل بالربا حُجب عن الله عزّ وجل . لم يتعامل بالربا .. يوجد له علاقات غير منضبطة مع النساء اللواتي لا يحللن له ... صار في تفلت المشكلة أن تحكم استقامتك ، إن أحكمتها قصفت ثمارها .

إذاً : اتقوا الله حق تقاته .. أن تطيعه فلا تعصيه ، وأن تشكره فلا تكفره، وأن تذكره فلا تنساه .. ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون .. الموت بيدنا ..؟.. أما هذه الآية رائعة جداً مادام الموت ليس بيدك قد يأتي فجأة إذاً أنت ينبغي من أجل أن تطبق هذا الأمر الإلهي أن تكون مستعداً له دائماً.

يعني ضربت مرة مثل مضحك .. شركة طيران البطاقة غالية جداً مائة ألف ... وإن تخلفت عن الركوب لا تسترد ثمن البطاقة .. هكذا نظام الشركة موعد إقلاع الطائرة بين الثامنة صباحاً والثامنة مساءً هم يأتون إليك ليأخذوك من بيتك إن لم تكن جاهزاً جاهزية تامة يمشون .. يقفون نصف دقيقة ، اجمع هذا المثل : بطاقة غالية جداً ، لا يمكن أن تسترد قيمتها إن تخلفت عن الركوب موعد الإقلاع بين ساعتين بينهما 12 ساعة هم يأتون إليك يقفون على الباب نصف دقيقة . ماذا تفعل أنت ... مادام المجيء فجأة والانتظار قليل جداً والبطاقة غالية جداً وإن تخلفت لن تسترد قيمتها يجب أن تكون مرتدياً ثيابك ممسكاً بمحفظتك واقفاً وراء الباب من أجل أن تضمن ثمن هذه البطاقة أو أن تسافر .

هذه الآية معناها هكذا بالضبط .. مادام الموت يأتي فجأة ولا يسمح لك أن تنتظر ولا ينتظرك أبداً .. إذاً يجب أن تكون مستسلماً لله عزّ وجل دائماً إن أتاك الموت فجأة .. كل شيء جاهز . ولا تموتن .. أي لا يأتينكم الموت إلا وأنتم مسلمون لله عزّ وجل ... النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا وضع رأسه على الوسادة يقول : اللهم إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها . أحدنا يستيقظ صباحاً .. مادام استيقظ .. الحمد لله الذي رد إلي روحي والحمد لله الذي عافاني في بدني . وقف ... مشي ... توضأ سمعه وبصره .. كل الأجهزة سليمة الأعضاء سليمة .. عافاني في بدني . والشيء الثالث : أذن لي بذكره . سمح لي أن أستيقظ باكراً لأكسب هذه الرحمة في وقت الفجر .

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته : يعني ... قطعتين ثلاث سكراب في السيارة .. هذه لا تجعل من هذه القطع سيارة ، لابد من أن تستكمل الشروط من أجل أن تقطف الثمار .

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آَيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (103) ﴾

(سورة آل عمران)

الحقيقة الوحدة من دون شيء نعتصم به جميعاً لا تكفي ، الكفر يفرّق ، التفلت يفرّق ، المعصية تفرّق ، الأهواء تفرّق ، التشرذم سببه لا يوجد شيء يجمعنا ، أما المؤمنون مجتمعون وأكبر دليل : قد تجد طالب علم أتاك من الصين، أو أتاك من أقصى الشمال ، أو من أقصى الشرق ، أو من أقصى الجنوب ، أو من قارة أخرى آلاف القواسم المشتركة بينك وبينهم ما الذي جمعك به .. كتاب الله وسنة رسوله .

إذاً : **واعتصموا بحبل الله جميعاً** – هو القرآن الكريم – **ولا تفرقوا** : بصراحة .. كل إنسان يكرّس التفرقة بين صفوف المؤمنين هو يخالف نص هذه الآية لأن الله عزّ وجل يقول :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾

(سورة الحجرات : من الآية 10) .

الذي يقرِّب بين المؤمنين ... مؤمن ... والذي يبعد ما بينهم .. غير مؤمن .. الذي يجعل الإسلام ديناً واحداً مؤمن .. الذي يجعلهم _أدياناً متفرقة :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾

(سورة الأنعام : من الآية 159)

الآن :

﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104) ﴾

(سورة آل عمران)

هذا اسمه فرض كفاية .. إذا قام به البعض سقط عن الكل لأن علماء التفسير عربوا **من** : للتبعيض . وليكن بعضكم دعاة للخير . قالوا هذا فرض الكفاية هو التبحّر في أمور الدين والتفرغ للدعوة إليه . أما فرض العين . الدعوة إلى الله فرض عين على كل مؤمن .

في الحقيقة .. هذا سر إن أردت أن تفهم الكتاب فهماً عميقاً .. ل ايكفي أن تقرأه لابد من أن تدّرسه لأنك إن أردت أن تدرسه ، يجب أن تفهمه بعمق قد تواجه بسؤال ... الاقتحام أحياناً هو سبب النجاح .. الاقتحام إن دعوت إلى الله ما الذي يحصل ..؟.. سرت أمام الناس تحت المراقبة الشديدة قلت كذا ألا تستحي أن لا تطبق . يا عيسى عظ نفسك فإن وعظتها فعظ غيرك وإلا فاستحي مني . إذا الإنسان دعا إلى الله بطريقة أو بأخرى ليست من نوع فرض العين ليست من نوع فرض الكفاية ... من نوع فرض العين ..فرض العين : أن تدعو إلى الله بحدود ما تعلم ، وتدعو من تعرف . في حدود ما تعلم وفي حدود من تعلم . يعني واحد حوله أشخاص ... أقربائه جيرانه زملائه زملاء عمل ، جيران بيت، يعني

علاقات وشيجة هؤلاء الذين يعرفهم يدعوهم إلى الله في حدود ما يعلم .. سمع خطبة نقلها لهم ، سمع درس نقله لهم ، درس سر به سرور بالغ اقتنى شريطه وقدمه لمن يثق أن هذا الشريط يفيده . هذه دعوة فرض عين .. في حدود ما تعلم ومع من تعلم. يعني عليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة . طبعاً فرض العين مغطى بآية وتواصوا بالحق . فرض العين مغطى بآية :

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾

(سورة يوسف : من الآية 108)

. مغطى بقول النبي الكريم :

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))

بلّغوا عني ولو آية .

بلّغوا عني ولو آية فالإنسان سمع آية ، سمع تفسيراً ، حديثاً سمع حكماً فقهياً ، سمع قصة عن الصحابة هذه عليه أن يسجلها .. في أي لقاء في الأعياد مثلاً ... قلت لكم البارحة : العيد 3 أيام كله لقاءات فإذا شغلّنا أنفسنا بذكر الله بالذكر المناسب بالذكر النافع المجدي .. يعني في طريقة في الدعوة إلى الله عالية المستوى أساسها المعرفة العميقة والأدلة الدقيقة والسور الموحية والأمثلة الموضحة .

﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (105) ﴾

(سورة آل عمران)

اتقوا ..... ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ... ما هذا النوع من الاختلاف .؟ الأول طبيعي والثاني ممدوح أما الأوسط مرذول اختلاف قذر .

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (105) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (106) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (107) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ (108) ﴾

(سورة آل عمران)

هذه الصفحة التفرقة تساوي عند الله وفي نص هذه الآيات الكفر .. التفرقة .. وليس منا من كفر .

الاتحاد يحتاج إلى شيء نعتصم به جميعاً وهو كتاب الله.

الشيء الثالث : الدعوة إلى الله فرض كفاية

ولتكن منكم أمة فرض عين

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3) ﴾

(سورة العصر : من الآية 3)

فرض العين في حدود ما تعلم ومع من تعرف .

آخر شيء .. نهي شديد عن التفرق بعد أن جاء العلم .. إذاً هذا التفرق هو تفرق الحسد والبغي والعدوان.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (55 – 59) : قصة أهل الكهف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها الأخوة الكرام : لا يعقل أن نلتزم أمر الله في رمضان ثم نحيد عنه بعد رمضان هذا ليس بمستوى أمرٍ إلهي . لكن الله سبحانه وتعالى حينما أمرنا بالصيام منعنا من المباحات . المباحات .. الطعام والشراب . فالإنسان إذا ترك المباحات في سبيل الله لابد له عندئذٍ من أن يدع المحرمات من باب أولى وإلا يختل توازنه ... كيف يبتعد عن المباحات ويفعل المحرمات.

إذاً .. كأن الله سبحانه وتعالى أرادنا في رمضان أن تقوى اراداتنا على طاعته وهذه الإرادة التي تقوى على طاعته يجب أن تستمر لذلك أعظم من رمضان أن تستمر كما كنت في رمضان بعد رمضان أما أن نؤمن وأن نستقيم وان نغض البصر وان نضبط اللسان وأن نقرأ القرآن وأن نصلي قيام الليل وأن ننفق من أموالنا في رمضان ونعود من بعد رمضان إلى ما كنا عليه كالذي نقضت غزلها من بعد قوة أمكاثاً . هذا لا يليق بمسلم واعٍ ولا بمؤمن مستبصر

شيء آخر .. إذا استطاع إنسان أن يمد الصفاء الذي كان له في رمضان إلى كل شهور العام فقد حقق من رمضان غايته إذا استطاع أن يمد الصفاء في رمضان إلى كل شهور العام يكون بهذا قد حقق من رمضان غايته لأن الله نصّف هذا الشهر على بقية الشهور إلا لينسحب هذا الصفاء على كل الشهور .

شي آخر أيها الأخوة .. يقول عليه الصلاة والسلام :

((عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ وَأَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ))

إن الله يحب من العبد يحب من الأعمال أدومها وإن قل ،

أدومها ... فكل واحد منا المفروض أن يرتب برنامج لما بعد رمضان . أذكركم بقول النبي عليه الصلاة والسلام حينما صعد المنبر وقال:

//آمين ، صعد الدرجة الثانية وقال آمين ، وصعد الدرجة الثالثة وقال آمين . فلما سأله أصحابه علام آمنّت يارياسول الله ؟. قال : رغم أنف عبد أدرك رمضان فلم يغفر له إن لم يغفرله فمتى ؟.//

يعني .. لو أن إنساناً جدلاً لم يتح له في رمضان أن يكون كما ينبغي أن يكون هل ينتظر إلى رمضان الآخر ..؟.. لا.. بإمكان كل إنسان أن يجعل كل شهر رمضان . يمكن أن تستقيم فيما بعد رمضان يمكن أن تصلي الفجر في مسجد بعد رمضان يمكن أن تتلو كل يوم جزءً من كتاب الله بعد رمضان يمكن أن تلتزم حضور مجالس العلم بعد رمضان يمكن أن تقيم الإسلام في بيتك بعد رمضان .

إذاً : العبرة كأننا صعدنا درجة كي نستمر بهذا المستوى ثم صعدنا كي نستمر ثم صعدنا كي نستمر وهكذا إلى بقية الشهور والأعوام لاشك أنه رمضان مناسبة وفيها روح جماعية كبيرة لكن جميل جداً أن نأتي بعد رمضان إلى هذا المسجد ونحن في هذا الازدحام فجراً أو مساءً لأن الله سبحانه وتعالى مع الإنسان في كل زمان ومع الإنسان في كل مكان.

شيء آخر .. مر في سورة الكهف:

﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آَتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً (10) ﴾

أن هؤلاء الفتية آووا إلى الكهف لماذا .؟. لينشر الله لهم من رحمته ويهيئ لهم من أمرهم مرفقاً . طيب أي كهف نأوي إليه نحن هنا في هذه الأيام . الحقيقة .. طوبى لمن وسعته السنة ولم تستهوه البدعة ، طوبى لمن آوى إلى بيوت الله ، بيوت الله كهوف تنشر فيها رحمة الله عزّ وجل . إن بيوتي في الأرض المساجد وإن زوارها هم عمارها فطوبى لعبدٍ تطهر في بيته ثم زارني وحُقّ للمزور أن يكرم الزائر . فالمسجد كهف نأوي إليه كي نتلقى رحمة الله عزّ وجل، البيت أيضاً كهف نأوي إليه .. في زمن الفتن الإنسان إذا آوى إلى بيته وضبط بصره وضبط لسانه وعبد ربه ارتقى إلى الله عزّ وجل .

يعني المكتسبات التي حصلناها في رمضان يجب أن نحافظ عليها . من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله حتى يمسي ، ومن صلى العشاء في جماعة فهو في ذمة الله حتى يصبح . أول مكسب حققناه في رمضان صلاة الفجر في جماعة وصلاة العشاء في جماعة والذي يصلي في جماعة كأنما صلى قيام الليل الذي يصلي الصبح والعشاء في جماعة كأنما قام الليل ... هذه واحدة ..

تلاوة القرآن يجب أن نحافظ عليها على مدار العام .. تلاوة التعبد وتلاوة التدبر هذه تلاوة وهذه تلاوة قد تقرا آية أو آيتين من تلاوة التدبر وقد تقرأ جزءً أو جزأين من تلاوة التعبد فحافظ على القرآن فيما بعد رمضان.

الشيء الثاني ... كان عليه الصلاة والسلام جواداً وكان أجود ما يكون في رمضان . الإنسان بعمله الصالح يرقى إلى الله . قلت لكم من قبل : فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً وبإمكانك أن تعمل الأعمال الصالحة بعد رمضان وكأنك في رمضان .

يعني .. هذا الكلام الآن يقال لأن رمضان أوشك على الانتهاء لا ينبغي أن تنتظر إلى رمضان القادم ينبغي أن تهيئ برنامج لتجعل من رمضان الذي مضى استمرارا لكل شهور العام.

شيء آخر ... يعني ... الإنسان حينما يطلب العلم .. في بالعلم أصول وفي فروع وجزئيات وتفاصيل كأن الله سبحانه وتعالى أرادنا أن نبقى في الأصول ، والتفاصيل والجزئيات أغفلها عن حكمة بالغة لأنك إن تتبعت التفاصيل لن تصل إلى شيء.

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً (22) ﴾

(سورة الكهف)

طيب لِمَ لم يقل الله كم عددهم ؟ ويحسم الأمر . قال أقوالهم ولم يأتي الجواب الفيصل لأن الله ما أرادنا أن ننشغل بهذه الجزئيات أرادنا أن نبقى في الكليات لأننا إذا أضفنا تفاصيل على هذه القصة توهمنا أنها وقعت ولم تقع والله أرادها نموذجاً متكرراً لكل الناس ... هؤلاء الفتية تركوا القصور وتركوا الطعام الطيب وتركوا اللباس الفاخر وآووا إلى رحمة الله عزّ وجل وكم من إنسان الدنيا بين يديه لكنه آثر طاعة الله عزّ وجل آثر الإقبال عليه على ما في الدنيا من زين وزخرف .

إذاً : **فلا تمار فيهم إلا مراءً ظاهراً ولا تستفي فيهم منهم أحداً** .

آخر آية :

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً (28) ﴾

(سورة الكهف)

يعني .. الإنسان في ببيته كرسي مريح ، في فرش ، في ضيافة في شراب ، في المسجد ليس هناك شيء إلا الجلوس على الأرض إذاً : **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة و العشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً .**

والحمد لله رب العالمين

الدرس (56 – 59) : المال والبنون

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة : الإنسان كما تعلمون مفطور على حب وجوده وعلى سلامة وجوده وعلى استمرار وجوده لذلك الإنسان يتمنى أن يعيش أطول عمر ممكن . يتمنى أن يعيش مائة سنة ، بل عنده رغبة أن يكون مخلداً والحقيقة هذه الرغبة في الاستمرار أودعها الله فينا ليست خطأً فينا .. جزءٌ من جِبلّتنا . إلا أن الإنسان في الدنيا إما أن يعمل عملاً يستمر وجوده في الآبدين، وإما أن يستهلك حياته الدنيا في أشياء تقطع عنه السعادة التي يطمح إليها ... هذا المعنى مستنبط من قوله تعالى :

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً (46) ﴾

(سورة الكهف)

المال والبنون زينة الحياة الدنيا : طبعاً كلام واقعي .. أولاد نجباء ، والأب يملك مال وفير ، يعطيهم ، يكرمهم ، يرتدون أجمل الثياب ، كل ابن له غرفة خاصة ، يزهو بهم ، درسوا ، تعلموا ، **المال والبنون زينة الحياة الدنيا** ، أما مال بلا بنين أو بنون بلا مال .. شيء متعب أو مرهق ... النقطة ليست هنا : **والباقيات الصالحات** : الله عزّ وجل وصف المال والبنين بأنها زينة الحياة الدنيا ثم وصفها وصفاً ضمنياً غير مباشر لأنها زائلة . **والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً**، فالإنسان انسجاما مع رغبته في الاستمرار في الخلود .. إن استهلك وقته في عمل ينفعه بعد مضي الوقت .. يكون قد انسجم مع فطرته، يوجد عند المؤمن شعور يفتقر إليه الكافر .. شعور الخلود .. لو جاء الموت ، الموت نقطة على خطٍ صاعد. الله سبحانه وتعالى أكرمه بنعمة الوجود وأكرمه بالوجود بالعطاء إذا كان عمله صالح ويعمل للآخرة هذا العطاء لا يقل .. يستمر .

الشيء الدقيق ... تصور حياة الكافر .. خط بياني صاعد صعود حاد ثم يسقط من عليه إلى الحضيض عند الموت . تصور المؤمن .. صعود مستمر إلى أبد الآبدين في نقطة على هذا الخط نقطة الموت تبدل شكلي ذات الإنسان هي هي . كان يرتدي ثوب الجسم فخلعه عند الموت . فلذلك الرغبة في الاستمرار ، الرغبة في الخلود التي أودعها الله بالإنسان لا تتحقق إلا بالتدين الصحيح .

الشيئ المقلق عند الناس كلها .. الموت .. ولاسيما هؤلاء الذين نجحوا في الحياة .. في أشخاص نجحوا مالياً، نجحوا علمياً يحمل أعلى شهادة في العالم مثلاً ، نجحوا إدارياً وصل إلى منصب مرموق .

السيطرة ممتعة ، الأمر نافذ ، حولك أناس يجلّوك أعلى إجلال خوفاً من قوتك .. وصل إلى منصب حساس أو وصل لمال وفير ، أو وصل إلى مجد علمي . يوجد عنده قلق مدّمر عميق لا يبدو على السطح أن الإنسان سيموت سيغادر هذه الدنيا .. أقول هذا الكلام ولاسيما الذين نجحوا في الحياة الدنيا عندهم قلق عميق أن الموت سينهي نجاحهم .

الموت سينهي استمتاعهم بالحياة ، الموت سينهي من حولهم من حشم وخدم وأتباع ، الموت سينهي مجدهم، الموت سينهي ثروتهم ، إلا المؤمن ... حينما اصطلح مع الله عزّ وجل أقبل عليه صارت حياته الدنيا وحياته الآخرة وحدة متكاملة ، نِعم الآخرة تتصل بنِعم الدنيا ... لذلك لا تجد إلا المؤمن يسعد عند لقاء ربه ، لا تجد إلا المؤمن لا يخشى الموت ، لأكون معكم واقعياً يتمنى ان يطول عمره ... المؤمن كذلك لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال :

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ خَيْرُ النَّاسِ قَالَ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ))

خيركم من طال عمره وحَسن عمله .

لكن الرغبة في البقاء في الاستمرار في الخلود .. هذه محققة في الدين فقط ، لأنه إن انقضت الحياة الدنيا انتقل إلى حياة أرقى تصور طفل محشور في 700 سم ... محشور ... في 700 سم ، متطامن ، خرج إلى الدنيا صار في غرفة أربع أمتار ، عندما كبر ركب بالطائرة .. سافر .. ذهب إلى أمريكا ، ذهب إلى اليابان ... العالم فسيح وازن بين الأرض وبين الرحم .... المؤمن ينتقل من الدنيا إلى الآخرة كما ينتقل الجنين من الرحم إلى الدنيا ، وما أخذت الدنيا من الآخرة إلا كما أخذ المخيط إذا غُمس في مياه البحر . لذلك .. أيها الأخوة لازم تنتقل اهتماماتنا حقيقة إلى الدار الآخرة ... هذا لا يبدو إلا في العمل الصالح .. يعمل عمل مضني ، مجهد ، لا يبتغي به شيئاً إلا الله .

يعمل عمل مضني ، مجهد ، لا يبتغي به شيئاً إلا الله . قال لي أخ كريم .. عنده سيارة يرتزق منها ، إنسان صدمها له من الخلف .. تكلّف خمسين ألف .. والإنسان اتهمه أنه هو السبب وبدأ يضربه ، واقفة امرأة رأت هذا الحادث ، ورأت هذا الإنسان الفقير الذي لا يملك إصلاح سيارته ، قالت له بعد أن انفض الخلاف : خذ مني كلفة التصليح واسترح . لا تعرفه ولا يعرفها ولا تبتغي عنده شيئاً إلا أنها ترضي الله عزّ وجل . أرادت أن تمسح الألم عن إنسان .

المؤمن أيها الأخوة .. يجهد في حياته أن يسعد الناس ، أن يزيل عنهم البأساء والضراء ، أن يمسح الدموع عن عيونهم ، لا يبتغي لا مدحاً ولا شكوراً ولا جزاءً ولا ثناءً ، يبتغي وجه الله ، هذا الذي يبحث عن الخلود ، هذا الذي ينسجم مع فطرته . الإنسان يحب الخلود ، يحب الاستمرار ، حريص على صحته حرص بالغ وحريص على وجوده .. صحته لها علاقة بوجوده . يعني إذا كان القضية معلقة بالجسم القضية سهلة ، بالأسنان القضية سهلة، أما إذا في القلب تجد القلق شديد لأنه القلب ليس معه مزحة ..القلب مربوط بالحياة، صار في خطأ .. ينتهي

إذاً : عندما الإنسان يؤمن بالله عزّ وجل يستمر وجوده إلى أبد الآبدين . لذلك .. الكيّس من دان نفسه (ضبط نفسه) وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني . تعبير لطيف جداً **المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات** إذاً .. المال والبنون لا يبقى **والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً** . طبعاً هذه لها تفسيرات كثيرة أوجب التفاسير الأعمال الصالحة ، بعضهم قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . هذه الباقيات الصالحات .. يعني ... إذا سبحّته حقيقة ، وحمدته حقيقة، وكبرتّه حقيقة ووحدّته حقيقة ... أي عرفته وإذا عرفته عرفت كل شيء .

شيء آخر ... وهذا كلام دقيق .. يعني .. إنسان أحياناً يكون متهم يوضع تحت المراقبة . يلاحظ نفسه إذا كان مراقب الإنسان .. إذا مراقب هاتفه .. ماذا يتكلم في الهاتف .. إذا كان مراقبة حركاته أين يمشي .. إذا كان طريق فيه سفارة يغيره كله .. يقول لك لا أريد أن أوجع رأسي .. يعني .. يتحاشى التُهم .. إذا مراقب ... إذا مراقب من إنسان والإنسان لا يعلم السر ... لكنك إذا كنت مراقباً من الواحد الديان وهو يعلم السر وأخفى ... كيف تكون ... :

وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً (49) ﴾

(سورة الكهف)

لي قريب ذهب إلى بلد أوروبي .. في دول أوروبا الشرقية في معرض ، ساكن مع جماعة ، رجوه أن يشتري لهم كروز من الدخان ليعطيهم إياه كي يبيعوه ويعيشوا يضيفوا إلى دخلهم دخلاً طفيفاً يأكلون بعض الفاكهة .. هم في فقر شديد هو رقّ لهم فدخل إلى المعرض وإلى جناح معين واشترى كروز دخان وسلمهم لهؤلاء ... استدعى .. رأى على شاشة كيف دخل إلى الجناح وكيف اشترى وكيف هذا الكروز إلى إنسان مقيم في هذا البلد ... هذه طبعاً مخالفة ... يقدر أن ينكر ..؟.. هذه أحدث طريقة بالتحقيق

أن تريه الصورة ، الصورة مثبتة ، يقدر أن يعطس ..؟.. أنت الآن دخلت وخرجت وسلّمت هذا إلى ... فيوم القيامة **وضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها** كل الأعمال مصورة بتواريخها .. هذه الأيام الصور الحديثة مع التواريخ .. تحت .. وفي معها الساعة . الساعة الفلانية والدقيقة الفلانية والتاريخ الفلاني ضبطت هذه الصورة فإذا إنسان أحصى على إنسان حركاته و سكناته .

لآن في صندوق أسود في الطائرة .. كل المكالمات مسجّلة فيه ... يعني .. صار في طائرة اصطدمت مع الثانية .. أخذوا المكالمات .. البرج أعطى الارتفاعات بشكل صحيح أما الطيار كان ضعيف باللغة فرفع أو خفض مائة متر فدخل بطائرة ثانية ... 450 راكب المحصلة راحوا فجأة .. من المسؤول ..؟. البرج أم الطيار .. كله مسجّل . إي إذا إنسان سجّل ..الله عزّ وجل لا يسجّل . الله يسجل الحادث مع صورته مع نواياه، لأنه مطلّع ،

ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة وكبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً

نحن تحت المراقبة .. المراقبة الإلهية .

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (1) ﴾

(سورة النساء : من الآية 1)

أعمالنا كلنا مسجّلة مع نواياها ، مع دوافعها ، مع ملابساتها ، مع حجم العمل ، حجم التضحية ، البدائل ، الصراعات .... كله مسجل . وسوف يشاهد الإنسان أعماله كلها مسطّرة يوم القيامة . وصدقوني أيها الأخوة والله لو آمنا بهذه الآية إيمان حقيقي كما ينبغي ما استطاع واحد منا أن يفعل أدنى مخالفة لله عزّ وجل . لا يقدر .. كله محاسب عليه .... لا تبتعد ..إنسان قوي ولا يرحمك وأصدر تعليمات ... قوي ويعلم ولن يرحمك مثلاً .. أصدر تعليمات تبادر إلى تنفيذها بحذافيرها خوفاً من أن ينالك عقابه .

الشيء الثالث ... هذه التكهنات عن أصل الخلق .. الإنسان أصله قرد ، لا أصله آدم، الأرض كانت مع الشمس ، لا منفصلة ، الله عزّ وجل أجاب عن كل هذه الأسئلة:

﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً (51) ﴾

(سورة الكهف)

يعني .. الواحد عمره 30 سنة اشترى محل بسوق الحميدية بـ 5000 بعد 10 سنوات تزوج بعد سنة جاءه مولود .. هذا المولود صار عمره 18 سنة ... جالس في مجلس أنه والله أخذنا هذا المحل بـ 5000 . قال له ابنه : غير صحيح . نظر إليه وقال له أنت كنت وقتها ..؟ لم تكن أنت وقتها ، ما فهمك أنت بهذه الشغلة ..؟..

أكثر التصورات العلمية لأصل العالم .. تكهنات غير صحيحة .. الله عزّ وجل قال .. بدأ الخلق بآدم وحواء. لأهم بدءوا بالقرود .. يعني ... تكهنات أساسها هي مفتعلة ... لضرب الكنيسة بالأساس .. في عداء بين الكنيسة والعلم . فبعض العلماء الكبار .. (داروين ، أنشتاين ....)

هؤلاء أرادوا أن يطعنوا الكنيسة في الصميم فجاءوا بنظريات تناقض ما في الكتب المقدسة . ليس القصد أنه هذه الحقيقة لكن قضية عِداء ، فنحن كمسلمين بسذاجة أخذنا هذه الأفكار وظنناها صحيحة .. ليس لها أصل .. هي أساساً داروين قال نُقضت النظرية ... ليس لها أصل أبداً . وأنا أقول من باب الطرفة .. آمنت بها مجدداً آمنت بأن الإنسان صار قرد .. ولم يكن قرد ... صار قرد .. مُسخ الآن .. كتلة لحم ودم تبحث عن الشهوات . لا يوجد قيم ولا يوجد مبادئ ولا يوجد رغبة في المعرفة أبداً .. يبحث عن مصلحته .. يبيع والده ، يبيع مبادئه ، يبيع دينه ، بـ 100 ألف ... هذا قرد صار .. لما ربنا قال : مسخوا قرداً . ليس معناها قرود صاروا ، أخلاق القرود ، قيم القرود .. القرود لا قيم لهم أساساً .

الآن المجتمع هكذا .. قال له أعرني بيتك فقط جمعة لأنني أدهن بيتي . فصدقه .. في المحاكم منذ 10سنوات . جمعة أعاره إياه .. منزل فارغ .. قال له أعرني إياه . تجد يتفضل عليك ويكرمك فتسيء إليه

...ما أشهدتهم خلق السماوات و الأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً . المضل لا يتخذه الله عضداً .

كأن الله يعجب.. قال :

﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً (55) ﴾

(سورة الكهف)

وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى : يعني ما الذي يحول بينك وبين أن تؤمن .. ما الذي يمنعك أن تستقيم ، أن تنشئ بيت إسلامي ، أن تكون في عملك إسلامي ، **وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلاً**

والله الإنسان مما يزدرى به أن يخاف بعينيه .. العاقل يخاف بعقله .. تجد الآن شخص يدخن يقول له الطبيب: يساوي جلطة ، يصير معه غرغرينا ، يصير معه سرطان . يقول لك (ما فيني شي) .

بوادر المرض الخبيث . زرنا واحد في مشفى معه سرطان بالرئة قال : هذه السيجارة لها عندي حساب طويل هي السبب كانت . لكن لم يخرج حي من المشفى ... خرج ميت . لم تدع له وقت ليحاسب السيجارة طبعاً نوى أن يقلع عنها ... لكن متى ..؟.. بعدما حطمته .. كل إنسان يخاف بعينه يكون دون مستوى الإنسان ، كل إنسان يخاف بعقله يكون إنسان راقي. في أحد ينجو من الموت .؟. والموت فيه حساب دقيق

وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلاً .

سورة الكهف .. سورة مباركة والنبي عليه الصلاة والسلام سنّ لنا أن نقرأها يوم الجمعة والإنسان في هذه السورة فيها توجيهات كثيرة جداً أرجو أن ينفعنا بها.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (57 – 59) : قصة سيدنا موسى والخضر

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام : قصة سيدنا الخضر مع سيدنا موسى تقودنا إلى موضوعين في الإسلام خطيرين الموضوع الأول : الأمر التكليفي ، والموضوع الثاني : الأمر التكويني . يمكن أن نقول أن سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام يمثل أمر الله التكليفي . بينما سيدنا الخضر يمثل أمر الله التكويني . أمر الله التكليفي : افعل ولا تفعل ... أمر الله التكويني : فعل الله نفسه ...

لذلك ... ممكن أن تضع إشارة على طريق ممنوع المرور . هذا أمر تكليفي بإمكانك أن تمر . الأمر التكليفي يعصى أو لا يعصى . أما الأمر التكويني ليس في الكون كله جهة تستطيع أن تمنع أمراً تكوينياً أو أن تحدث شيئاً الله ﷻ ما أمر به .

لأضرب لكم بعض الأمثلة

﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آَمِناً ﴾

(سورة آل عمران : من الآية 97)

هذا أمر تكويني أم تكليفي ..؟.. تكليفي لأنه جرت فتنة في المسجد الحرام قديماً وحديثاً . لو أن هذا الأمر تكويني لانتقض هذا الأمر التكويني . مادام أناس دخلوا ونشبت معركة داخل بيت الله الحرام قديماً وحديثاً إذاً هذا الأمر تكليفي وليس تكويني يعني .. ينبغي أن يكون آمناً . يعني .. كأن الله كلّفنا أن نجعله آمناً لأنه بيته .

﴿ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾

(سورة النور : من الآية 26)

أمر تكويني أم تكليفي ..؟.. تكليفي .. لأنه يمكن أن ترى إنسانة طيبة جداً عندها زوج سيئ جداً أو بالعكس،

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾

(سورة البقرة : من الآية 233)

هذا إخبار وكأنه أمر تكويني ، هو في الحقيقة أمر تكليفي ... يعني .. يا أيتها الوالدات أرضعن أولادكن حولين كاملين .

طيب

﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (79) ﴾

(سورة الواقعة : الآية 79)

أمر تكويني أم تكليفي ..؟..

لا يمسه إلا المطهرون

بإمكان إنسان غير طاهر أن يمسكه إذاً أمر تكليفي .. بإمكان إنسان غير طاهر أن يمسكه ، فإذا قصدنا بكتاب الله هذا الورق نكون مخطئين ... لو أنه أمر تكليفي لقال الله عزّ وجل

((لا يمسَسْه)) بعكس الأولى هذا أمر تكويني أي أن المعاني التي ينطوي عليها هذا القرآن لا يستطيع إنسان غير طاهر النفس بريء من الشرك والشك أن يفهمها . يؤكد هذا المعنى :

﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾

(سورة فصلت : من الآية 44)

يؤكد هذا المعنى قوله تعالى :

﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً (82) ﴾

(سورة الإسراء : من الآية 82) .

إذاً : الأمر التكليفي يمكن أن يعصى . إن الله أمر عباده تخييراً ونهاهم تحذيراً وكلف يسيراً ولم يكلف عسيراً وأعطى على القليل كثيراً ... طيب .. سؤال .. ما يعيشه الناس في مجتمعاتهم من فوضى أحياناً من تسيب من سرقة من زنى من انحراف .. كيف يكون هذا الوضع ..؟.. الأمر بالتناصح والتوادد والاستقامة والصدق والأمانة والعفة والبراءة ... هذا أمر تكويني أم تكليفي .. تكليفي .. لذلك تجد سرقة وكذب واحتيال وغش. هل سألت نفسك هذا السؤال .. لماذا مجتمع النحل ومجتمع النمل في أعلى درجات النظام الانضباط والمسؤولية . الأمر تكويني .. الفضل لله عزّ وجل كل ما يتعلق بفعل الله مباشرة فيه كمال مطلق .

إذاً : يجب أن نعرف دائماً ما الفرق بين الأمر التكويني والتكليفي . في الطريق لوحة ممنوع المرور .. أمر تكليفي .. لو كان أمر تكويني ستجد أربع مكعبات إسمنت مسلح ارتفاعها خمس أمتار لا تستطيع أكبر سيارة أن تتخطاها هذا الأمر التكويني . تكليفي لوحة .. ممنوع المرور ، إن الله أمر عباده تخييراً ونهاهم تحذيراً وكلف يسيراً ولم يكلف عسيراً وأعطى على القليل كثيراً .

طيب ما المغزى من قصة سيدنا الخضر مع سيدنا موسى ؟ المغزى أن الأمر التكليفي واضح .. واضح أنه لصالح الإنسان . أُمرنا بالاستقامة لصالحنا ، بالورع لصالحنا ، بالأمانة لصالحنا ، بالصدق لصالحنا.

أما ربنا عزّ وجل يخبرنا في هذه القصة أن الأمر التكويني لصالحنا أيضا . الأمر التكليفي صلاحه واضح للعيان كله .. واضح .. الصدق منجاة ، الكذب مهواة ، أما الأمر التكويني أنت قد تجد إنسان مريض ، قد تجد إنسان فاقد البصر ، قد تجد إنسان مقطوع اليد ، قد تجد إنسان فقير ، قد تجد إنسان معذب ، هذه كلها أوامر تكوينية .أراد الله ﷻ من خلال هذه القصة أن أوامره التكوينية كأوامره التكليفية لصالح الإنسان ، ولكن أوامره التكليفية يبدو صلاحها لكل إنسان بينما أوامره التكوينية لاتبدو إلا للمؤمن والدليل .. إنسان عنده سفينة يرتزق منها يركب فيها إنساناً مجاناً بلا مقابل لوجه الله .. هذا الراكب الضيف يخرق السفينة . هل يقبل هذا العمل ... إطلاقاً . فلما تبين فيما بعد أن كل سفينة سالمة من كل عيب تصادر وتؤخذ من صاحبها . وأن هذه السفينة لأن فيها خرقاً نجت من المصادرة

يوجد عندك سيارة جديدة جاء إنسان وكسر لك البلور الأمامي ثمنه 12000 في حاجر لو أنها سليمة لصودرت لأن هذا البلور مكسور نجت. ألا تفرح ... تفرح فرحاً كبيراً .. ألا ترى أن كسر هذا البلور نعمة .. نعمة كبيرة .. وهكذا أفعال الله كلها . كل أفعال الله عزّ وجل ظاهرة ... فقر مجاعة مرض ورم مشكلة ... ماشي لكن يجب أن تقيس على قصة الخضر كل أفعال الله عزّ وجل .. كلها لصالح الإنسان .. لكن أحياناً الأمر التكويني قد لا يتفق مع الأمر التكليفي . هنا في قتل غلام ، هنا في بناء جدار بلا مقابل ، هنا في خرق سفينة . ثم تبين أن كل هذه الأفعال التي فعلها الخضر بناءً على أمر من الله عزّ وجل كانت كمالاً مطلقاً .

إذاً ملخص هذه القصة : كما أن أمر الله التكليفي واضح خيره لكل الناس .... ينبغي أن تعتقد أيضاً أن أمر الله التكويني لصالح الإنسان ولو بدا لك في الظاهر أنه ليس في صالحه هذه القصة . من الذي يقول أن سيدنا الخضر .. نبي ... الذي يقول نبي استنبط أنه لا يستطيع إنسان كائن من كان أن يقتل إنساناً إلا أن يقتله بأمر من الله وهذا غير متوافر إلا في الأنبياء فقط . لا يستطيع إنسان في الأرض أن يفعل شراً وقول إن الله أمر بذلك هذا كلام مرفوض ... الشرع هو الأساس .. إلا النبي مستثنى .. النبي ذبح ابنه ..

﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾

(سورة الصافات : من الآية 102)

.. هذه حالة خاصة .. لكن الله عزّ وجل أراد أن يبين أن هذا الأمر الذي لا يرضى ، لا يقبل عند أصحاب العقول السليمة والفطر السليمة لو رأيت إلى ما انتهى إليه ترضاه وتقبل به. ليست القصة أن نستمع إلى حدث .. إلى قتل غلام إلى بناء جدار ، إلى خرق سفينة ، ولكن القصة أن تقيس كل أفعال الله عزّ وجل على هذه الحوادث .

العلم حرف كما يقال والتكرار ألف . قس على هذه القصة كل ما ترى عينك في العالم الآن ، كل ما تسمع أذنك . في حروب ، في مجاعات ، في صقيع ، في فيضانات ، في حر ، في براكين ، في زلازل، في بأس فيما بين الناس ... هذه تقيسها على أمر الله التكويني .... أمر الله التكويني لصالح الإنسان . يعني غير معقول الله عزّ وجل يعمل مذكرة إيضاحية لكل شيء يفعله للبشر لكن أعطاك أمثلة ... هذا الذي تراه أمامك لصالح الناس ... أصحاب الجنة، أصحاب البساتين الغناء ، المثمرة ، ذات الدخل الكبير :

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (17) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (18) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (19) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (20) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (21) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (22) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (23) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (24) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (25) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (26) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (27) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (28) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (29) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (30) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (31) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْراً مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (32) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (33) ﴾

(سورة القلم)

إذاّ : أن يأتي صقيع يتلف كل هذا الإنتاج في دقائق معدودة .. هذا أمر تكويني . كيف انتهى هذا الأمر التكويني ... انتهى هذا الأمر التكويني إلى توبة أصحاب الجنة ... تابوا إلى الله وقَبِلَ الله توبتهم وصلح أمرهم. هذا الذي أريد أن أقوله في هذه السهرة أو هذا اللقاء قبل الأخير .

أمر الله التكليفي يمثل لوحة ممنوع المرور ، لك أن تخالف هذا الأمر لكن هناك ثمن تدفعه ... أما أمر الله التكويني لا تستطيع أنت و لا أهل الأرض مجتمعين أن يخرقوه . كما أن أوامر الله التكليفية لصالح الإنسان، أوامره التكوينية لصالح الإنسان .

طيب .. كونك مولود من فلان وفلانة ، في الزمن الفلاني ، بالشكل الفلاني ، بالعقلية الفلانية ، بالطباع الفلانية ، بالقدرات الفلانية ... هذا أمر تكويني أم تكليفي ..؟.. تكويني .... قسه على الخضر لصالح الإنسان ..؟.. لصالح الإنسان . ليس في الإمكان أبدع مما كان . أي ليس في إمكاني أبدع مما أعطاني هذه الفكرة وحدها تلقي في قلبك الطمأنينة والرضا بقضاء الله وقدره .

فرّق بين الأمر التكويني والأمر التكليفي ... طيب .. أنت في الأمر التكويني مخير أم مسير ..؟.. مسير . في الأمر التكليفي .. مخير أنت مخير في الأمر التكليفي فقط ، أما التكويني لست مخير فيه طيب ضدك يعني ... لا لا .. ليس ضدك لصالحك . طيب موت الإنسان أمر تكويني أم تكليفي ... تكويني .. قسه على القصة هذه .. لصالح الإنسان .. يعني .. يموت الإنسان في يوم هو أنسب يوم لكن هذا لا يعرفه في الدنيا .. إلا في الآخرة . وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

هل هناك استنباط آخر من قصة الخضر مع سيدنا موسى ؟ يعني .. سيدنا موسى لما رأى الغلام يقتل بلا سبب ولما رأى السفينة تخرق بلا سبب كان مخطئاً ..لا.. أبداً .. لم يكن مخطئاً .. في حدود معلوماته التكليفية لم يكن مخطئاً .

سيدنا الخضر حينما أمره الله أن يقتل أو أن يبني أو أن يخرق ... هل كان مخطئاً..؟.. لا ..

إذاً يجب أن نوفق بين ما ترى أعيننا وبين ما نقرأه في كتاب ربنا .... أكثر الناس ينقمون على الذات الإلهية إذا رأوا مجاعة أو فقراً أو حرباً أو وباءا .. ينقمون .. لو قرءوا هذه القصة لارتاحت نفوسهم .

هذا أمر الله التكويني لذلك أهم شيء نقوله الآن : كل شيء وقع أراده الله وكل شيء أراده الله وقع ولا يليق بالله أن يقع في ملكه إلا ما أراده .

الدرس (58 – 59) : الدعوة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أيها الأخوة الكرام : وأنت ساكت وشفتاك مضمومتان ولم تنبس ببنت شفه كما يقال في اللغة وتوجهت إلى الله ودعوته دعاءً بإخلاص وصدق يسمعك ويستجيب لك . هذا معنى قوله تعالى :

﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً (3) ﴾

(سورة مريم : الآية 3)

لا تكلف نفسك أن تحرك شفتيك ، لا تكلف نفسك أن تحرك لسانك ، لا تكلف نفسك أن تظهر أية حركة وأنت ساكت توجه إلى الله واطلب منه بصدق ، ترى رد الله عزّ وجل واستجابته والشيء الأغرب إنسان زوجته عاقر ، هذه الحادثة لها معاني كثيرة أيام إنسان يتزوج امرأة لا تنجب فيندب حظه فيتألم ويطلقها وكل العطل منك ، النبي كريم جعل امرأته عاقر تسلية لكل امرأة لا تنجب لم يطلقها ، ولم يهنها ولم يطردها ، ولم يتجهم بوجهها ، قال له :

﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً (5) ﴾

(سورة مريم : من الآية 5)

معناها لما يجعل الله نبي والده كافر كسيدنا إبراهيم ، ونبي ابنه كافر كسيدنا نوح ، ونبي زوجته كافرة كسيدنا لوط ، وصدّيقة زوجها كافر كآسيا امرأة فرعون ، ويجعل السيدة عائشة وهي زوج رسول الله اللهم صلي عليه تتهم بشرفها ، وسيدنا زكريا زوجته عاقر ، وطلب من الله طلب بحسب الظاهر مستحيل . الله يعلّمنا .. لو عندك زوجة عاقرة لو في مرض عضال ، لو في فقر شديد ، لو في طريق مسدود : ***إذ نادى ربه نداءً خفياً*** . العبرة أن معرفتك بالله يجب أن تثمر الدعاء .. الله معك .. يعني لا تحتاج أن تخاطبه باللسان ، خاطبه بقلبك .. أيام الإنسان يكون في موقف عصيب لا يحرك شفتيه أحياناً .. يكفي أن يتوجه إلى الله بقلبه .

يعني ... أنا ذكر لي شخص يعني بريء لكن له خصوم كادوا له وبتهمة قد ينتهي بها إلى سنوات طويلة في السجن ، وضعيف لا يملك شيئاً .. قال له جالس وأنتظر التحقيق توجهت إلى الله بقلبي ، يدخل شخص يعرفني معرفة تامة وأنا عند من هو قريب له ، فصعد وحدثه عني وعن استقامتي ..انتهى الموضوع ... من أين جاء بهذا الوقت ..؟... الله لم يكلفك أن تخاطبه باللسان ،

إذ نادى ربه نداءً خفياً

... فخالق الكون ، ينتظر أن تناديه بقلبك .. خالق الكون ينتظرك .. هذا الدين ونحنا آمنا بالله عزّ وجل من أجل قطف ثمار الدين .. أكبر ثمار الدين الدعاء أنت بالدعاء أقوى إنسان ، أنت بالدعاء أغنى إنسان ، أنت بالدعاء أعلم إنسان ... الإنسان بالاستخارة مثلاً .. شيء واضح ، لعل في لغم ..؟.. لعل في مطب ، لا نعرف .. يقول الداعي : اللهم إني أستخيرك بعلمك و أستقدرك بقدرتك . أنت جعلت علم الله وقدرته لك " علم الله وقدرته جعلته لك "إذا دعوت الله عزّ وجل .

فكل مؤمن صادق فيما بينه وبين الله حوار ، في سؤال ، في جواب ، في اعتذار ، في توسل ، في مناجاة .. هذا المؤمن . فسيدنا زكريا زوجته عاقر .. هذه أول نقطة.

النقطة الثانية :

﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً (4) ﴾

(سورة مريم : من الآية 4)

يعني بحياتي يا رب ما دعوتك إلا واستجبت لي . الله عودّك الجميل فقس على ما قد مضى ، والله علّمنا أنه " شوفي مصيبة صعبة بالحياة " شيء لا يحتمل ، واحد يجد نفسه ببطن حوت بالليل ، بالبحر .. في أمل..؟.. الحوت إذا أحب أن يُسْكِت جوعته يحتاج إلى 4 طن .. الإنسان كله 50كيلو 60-70 يسكت جوعته يحتاج إلى 4 طن ، إذا أحب أن يرضع صغيره 300 كيلو بالرضعة ، يحتاج باليوم طن حليب ثم لا يوجد عند رحمة ، الحوت لم يعرف ماذا في بطنه ، النبي الكريم في بطنه :

﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88) ﴾

(سورة الأنبياء : الآيتان 87 و88)

.. وأروع ما في الآية ختامها .. هذه ليست لسيدنا يونس فقط لكل مؤمن بالأرض .. فكل واحد يقيس مصيبته بمصيبة سيدنا يونس لا شيء . يقول لك السوق واقف .. يتحرك ، لكن طوّل بالك مادام عندك الطعام والشراب وساكن في بيت والسوق واقف الله يدبّر .. انتظر .. أهون من بطن الحوت ببطن الحوت في ظلمات ثلاث فجأة .

فأول شيء:

ولم أكن بدعائك رب شقياً

... والشيء الثاني

إذ نادى ربه نداءا خفياً .

واللهِ .. قال لي شخص : أختي باعت سوارها أخذت فيه بطاقة طائرة للخليج وأنا بالطائرة " يقسم بالله بتأكيدات كبيرة " أنه خطر في باله خاطر إذا الله أكرمه يعمّر لله جامع قال لي " هذه الشفة ما تحركت " خاطر .. والقصة طويلة كثيراً .. الطريق كان شبه مسدود وتعّمر الجامع وأنا صليت بالجامع والجامع كان رائع جداً .... خاطر.. إذا واحد نوى نية طيبة .. نوى إذا الله أكرمه فيكرم الناس ، نوى إذا الله وفقه بشيء يجعل هذا الشيء في خدمة الحق .. الله ييسر لك الأمل : **إذ نادى ربه نداءً خفياً**

ناجيه .. واحد أيام يقول : معقول أسأل الله شيئاً صغيراً ..؟.. هكذا يريد الله .

((عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَسْأَلْ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ حَاجَتَهُ كُلَّهَا حَتَّى يَسْأَلَ شِسْعَ نَعْلِهِ إِذَا انْقَطَعَ))

إن الله يحب عبده أن يسأله شِسعَ نعله إذا انقطع ..

إن الله يحب من عبده أن يسأله ملح طعامه .. إن الله يحب الملحين في الدعاء ... من لا يدعون أغضب عليه .. يعني .. الله يريد منك أن تناجيه ..إما أن تناجيه لوحدك وإما يجعل لك مشكلة لكي تناجيه فيها أيهما الأفضل لك ..؟.. أن تناجيه لوحدك من دون مشكلة .. نعم ..

الشيء الثاني .. الله يحب العقلاء .. سيدنا زكريا اشتعل رأسه شيباً يعني دنا من أجله، طيب هؤلاء الذين من حوله ألا يحتاجون إلى من يتابع العمل معهم ..؟.. فالإنسان العظيم لا يفكر بذاته فقط .؟. يفكر بمن يخلفه من بعده .. هذا العمل يستمر .. أيام تجد تاجر مرموق ، يدرب ابنه ، المحل بقي فاتحاً ، كل شيء مستمر من بعد وفاته ، هذه بطولة ... في إنسان أناني كل العظمة له ، يموت ، انتهى كل شيء أما الإنسان العاقل إن كان بعمل تجاري ، إن كان بعمل صناعي ، إن كان بدعوة أهم شيء الاستمرار، البدء سهل ... أما وأنت بالأوج يموت إنسان انتهى كل شيء .. هذا يحدث .. في أشخاص لا يحبون أن يكون أحد معهم فكل التركيز عليه فيموت ... انتهى كل شيئ ... تكون دعوة طويلة عريضة عمرها 50 سنة تنتهي بوفاة صاحبها . البطولة .. تهيئ ناس من بعدك يتابعون الطريق .

لذلك .. النبي اللهم صلي عليه كان قدوة لنا ، لا يوجد صاحب من أصحابه إلا وأعطاه قيمته ورجا أن يكون من بعده خليفة له .. سيدنا عمر أثنى عليه ، سيدنا عثمان ، سيدنا علي ، أبو ذر الغفاري ، أبو عبيدة الجراح ... ما في صحابة ما أعطاه صفته الحقيقية ....

فـي نقطـة ثانيـة ... أنـه الإنسـان .. الله عزّ وجـل تكفل لـه برزقـه لكـن الله كتـب عليـه السـعي ... فـي أشخاص يفهمون هذا الموضوع فهماً مغلوطاً .. يجلس في منزله فينتظر أن يطرق بابه .. لا أحد يطرق بابك .. قم وتحرك .. فجرّب إذا كنت أمام نخلة كبيرة .. " فيك أن تهزها ..؟.." لا تهتز ولا ميلي متر .. طيب .. كيف الله يقول لها

﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ﴾

(سورة مريم : من الآية 25)

هذه تعبير ولو بدا لك الأمر مستحيل أن تتحرك .. ضع يدك عليها ، أما أن تنزل الرطب بلا حركة مستحيل..

يعنـي .. أوضـح مثل : الطير .. لـو توكلتم علـى الله حق التوكل لـرزقكم الله كما يـرزق الطيـر . طيب الطير "جالسة بالعش ..؟.." تغدو خماصاً وتروح بطاناً . معناها خرجت من البيت .

يعني .. مرة قال لي شخص : خرجت من البيت له صديق يريد أن يريه شيء ، فتح الصندوق وجد فيه بضاعة سأله للبيع ؟ قال لـه نعم للبيع .. والله عزّ وجل أكرمه منها إكرام كبير ، سبب تافه أنـه فتح صندوق السيارة يريد شـيء حاجة غير تجارية ، فوجد البضـاعة واشتراها منـه والله ربحـه . أنـت فقط تحرك.. وعلى الله الباقي ، اخرج من البيت لا تبقى جالس بالبيت .. تحرك .. شوفي إعلانات تجارية اقرأها مثلاً في مسابقات في تعيينات .. تحرك وعلى الله الباقي ، أما أنه لا يوجد حركة إطلاقاً لا يوجد شيء .. فهذه السيدة مريم ، مع أن النخيل لا يتحرك :

هزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً فكلي واشربي وقرّي عيناً

إن الله كتب علينا السعي فلنسعى . الطريق الطويل أوله خطوة .

الآن أصحاب الأعمال الكبيرة ، نجوم المجتمع ، أساسهم صغار جداً كانوا .. تحركوا لكن . إنسان من دون حركة واقف في مكانه إذاً .. هذه آية إلى أن الحياة تحتاج إلى سعي " يقول العوام سعوا بالواو هي سعي. "

الشيء الثاني:

﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْت حَيّاً (31) ﴾

(سورة مريم : الآية 21)

.. يعني .. دين من دون صلاة ، هذا دين فارغ ، أساس الدين أن تنعقد صلة بينك وبين الله ، هذا أساس الدين . كل ما سوى ذلك تمهيد لهذه الصلاة . صدقّوا أيها الأخوة الصيام من أجل الصلاة ، والحج من أجل الصلاة ، والزكاة من أجل الصلاة ، والعبادات التعاملية من أجل الصلاة ، والصلاة من أجل الصلاة " لا خير في دين لا صلاة فيه " . الصلاة عماد الدين .. أوضح مثل الخيمة .. الخيم الدائرية فيها عمود بوسطها ، اسحب العمود .. انظر ماذا يحدث..؟.. لم يعد هناك خيمة ، فقط قطعة قماش ملقاة على الأرض. فالنبي شبه تشبيه رائع : **// الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين //**

فكل إنسان صلاته غير متقنة فمشكلته كبيرة مع الله كل شيء له حل .. أما الصلاة .. الآن المريض ليس عليه صوم ، المسافر معفى من الصيام مؤقتاً طبعاً ، الفقير ما في عليه حج، الفقير ما في عليه زكاة ، تصور إنسان فقير مريض معفى من الصوم والحج والزكاة ... أما الصلاة يجب أن يصليها ولو برموش عينيه ، ولو بالإيماء ... أيام يكون الإنسان

(مجبصن) برمش العين يصلي .. في عنا قصر الصلاة كماً وقصر الصلاة نوعاً . قصرها كماً معروف ، الظهر ركعتين والعصر اثنتين ، والعشاء اثنتين . أما قصرها نوعاً .. في أيام الخوف الشديد ولو أن فرضاً وهذا شيء لا يحتسب . الحمد لله نحنا معافون منه ... لو أنه الإنسان إذا صلى يقتل حالات نادرة .. نادرة جداً . إذا كانت الصلاة تقضي على حياة الإنسان لك أن تصلي في أي وضع دون أن يشعر بك أحد ولا حركة عيون . تتوجه إلى الله تقرأ الفاتحة ، تركع في قلبك وتسجد في قلبك ، يعني الصلاة هي الفرض الذي لا يلغى إطلاقاً المتكرر الذي لا يسقط بحق ، الدين كله صلاة : **وأوصاني بالصلاة والزكاة**

.. حركة نحو الله وحركة نحو العباد إن أردت تلخيص الدين بكلمتين : صلاة وزكاة .. خدمة الخلق والتوجه إلى الخالق :

مادمت حياً وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً

الحقيقة هذا الكلام دقيق جداً .. الذي عنده ابن .. أنا أقول لكم والله عزّ وجل يشهد ، ما من عملٍ أجلّ على الإطلاق في حياة المؤمن من تربية أولادك لأنك تسعد بهم إن كانوا صالحين وإلا تشقى بهم مهما يكن وضعك .. معك ألف مليون ، الابن شقي .. تشقى به ، وصلت لأعلى مركز اجتماعي .. الابن شقي تشقى به وصلت لأعلى درجة علمية .. الابن شقي تشقى به ... ما في إنسان ينجو .. أكبر عالم ابنه شقي .. يشقى به ، أكبر موظف ابنه شقي يشقى به ، أغنى غني ابنه شقي يشقى به ، وإذا الإنسان

أهمله وهو صغير .. لا يملكه وهو كبير .. تفلت من يده .

لذلك ... الله يشهد .. نرحب بأبناء الأخوان كما نرحب بآبائهم .. الابن يجب أن يصل إلى المسجد ، أن يرى الإكرام والهدايا والترحيب والابتسامة ومن كان له صبي فليتصابَ له ... وتربية الأولاد جزء كبير من الدين:

وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً

لو فرضنا الإنسان كان جبار شقي .. والدته تشقى بشقائه ..أحياناً تجد أب أو أم يعتصر ألماً والأب في بحبوحة وأحواله جيدة وناجح بحياته وسمعته طيبة أما ابنه شارد ، يحترق يتألم أشد الألم . فلن تسعد إلا بأولادك وكل إنسان مسؤول عن أولاده . في شخص يقول لك أخي الزمن فاسد ... إياك أن تحتج يفسد الزمان ، إياك أن تحتج بالفساد العام هذا لا يعفيك من المسؤولية .

يعني .. أنا شخص حدثني جلس في أمريكا يدرس ، وجد الفساد غير معقول ، قال لي والله توليت بنفسي تعليم أولادي ومنعتهم على أن يختلطوا بهذه البيئة الفاسدة ... الإنسان أب لا وقت عنده يعلم أولاده القراءة والكتابة والحساب والرياضيات .. المواد كلها .. هو أب دكتور في الجامعة .. رأى الفساد العام ، تولى بنفسه تعليم أولاده.

فكل إنسان يعتني بولده صغيراً ، يسره كبيراً .. أيام تكون النقطة غير واضحة عنده .. يفوته القطار .. ينصح غيره .. يعني .. كل إنسان يتمنى أن يبدأ حياته بخبرات صحيحة ،فإذا الإنسان لم يبدأ حياته بخبرات صحيحة يأخذ خبراته من خبرات الآخرين ، يستفيد منها .. من ربى ولده صغيراً سرّه كبيراً يعني ... ما في عمل أعظم .. أفضل كسب الرجل ولده .. أفضل كسب .. يكون معك دائماً .

في الحقيقة الإنسان أريح له أن يهمل أولاده ، إذا كان أحب أن يتحرك حركته خفيفة ليس معه أولاد ، أما الولد مُتعب ، يريد من يجلس بجانبه ، من ينبهه .. لو تعبت به صغيراً ، وكان معك دائماً ، واستقى من بيئتك الراقية من علمك استقى ، أفضل أن يكون مع أصدقاء لا تعرفهم من هم .. فالوقت الذي تبذله في ضبط أولادك ومعرفة أين يذهبون .. هذا شيء مهم جداً .. أيضاً من سعادة الإنسان أن ابنه يعاونه في عمله قال : ***فلما بلغ معه السعي*** **(سورة الصافات : من الآية 102)**. أنا في عندي كان طالب أخذ 235 بالبكالوريا أنا سألته ماذا ستفعل .. طبعاً طب ..!.. قال : كلا .. زراعة ... لماذا زراعة ..؟.. الزراعة تحتاج فقط 150 .

قال : أبي يوجد عنده كذا دنم أرض .. من الذي سيرعاهم .؟. ما رأي الطالب .. عقله أكبر من هذا .. يسنح له الطب فيدخل الزراعة حتى يرعى أراضي والده .. وهذا شيء كانوا أجدادنا هكذا .. كل إنسان ابنه معه . صار في استمرارية والابن جاء منك .. فإذا الإنسان يقدر أن يدخل معه ابنه في عمله هذا شيء طيب .. أولاً تحت إشرافك التام ، ثانياً أخذ من خبراتك ، ثالثاً بقي ضمن الأسرة . لم يذهب إلى جهات أخرى ... هذا من سعادة الإنسان .

إذاً:

ولم أكن بدعائك رب شقياً

.. يعني تربية الأولاد جزء أساسي في الدين .

هذا القرآن مائدة الله : يعني .. عند كل كلمة يوجد وقفة وعند كل حرف يوجد وقفة وعند كل تعليق في وقفة .. الإنسان يستقي من كتاب الله الشيء الكثير هذا كلام خالق الكون .

فنحن اليوم الدعاء .. لم يكلفك أن تحرك شفتيك إطلاقاً .. الدعاء .. ولا تشقى بدعائك لله عزّ وجل .

والشيء الثاني .. البطولة أن لا تكون وحدك فقط تعيش .. توجد استمرار ... استمرار من بعدك . ومهما كانت القضية معقدة وتبدو مستحيلة .. ادعوا الله أن يريحك منها . يوجد ألف قصة بهذا الموضوع .. الشيء يبدو مستحيل ... الله يسّره .. اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً .

والنقطة الرابعة .. الدين ، الاتصال بالخالق وخدمة للخلق ، وآخر شيء تربية الأولاد أخطر شيء تقوم به بعد الإيمان بالله .

والحمد لله رب العالمين .

كل عام وأنت بخير .. مضى رمضان وهكذا الدنيا كلها . نحن نعود إلى الدروس إن شاء الله السبت القادم .. السبت والأحد والاثنين وإذا إنسان " رجله أخذت على الجامع بالتعبير العامي " يتابع ... إذا كان الفجر سررت به عندنا دروس مستمرة سبت أحد اثنين كل أسبوع .. فمن صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله حتى يمسي .. ضمانة من الله .. أنت في هذا اليوم في ذمة الله . طبعاً صلاة الفجر في وقتها لكن حديث النبي في جماعة ... التركيز على الجماعة ..

//من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله حتى يمسي //

إذا واحد بجانب بيته يوجد جامع أو بيته قريب أو يقدر أن يصل إلى الجامع الذي يحبه لا يفرّط بصلاة الفجر :

//لو يعلم الناس ما في العتمة والصبح لآتوهما ولو حبوّاً //

هذا وقت المغفرة ، وقت السحّر ، وقت المناجاة . وإذا الإنسان بدأ يومه وصلاة الفجر في المسجد .. يومه كله موفق .. الحياة كلها مطبات ، كلها أخطار .

فنحن إن شاء الله نعود إلى الدروس بعد رمضان .. سبت أحد اثنين في جامع النابلسي، وعندنا درس في جامع الطاووسية أيضاً سبت أحد اثنين بعد الظهر ، درس ربع ساعة . الدروس المعتادة .

والحمد لله رب العالمين .

الدرس (59 - 59) : الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً (42) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً (45) ﴾

(سورة مريم)

أبٌ يعبد الأصنام .. بيت وثنيّ ينشأ فيه نبي كريم .. ماذا يعني ذلك ..؟.. نوّسع الدائرة. بيت أصله الجهل ينشأ فيه عالم كبير ، بيت منحرف ينشأ فيه تقي ورع ، بيت فيه علمٌ و تقى ينشأ فيه ولد منحرف هؤلاء الذين يتوهمون أن الإنسان ابن بيئتهم فقط يجعلون الإنسان جماداً ، فالجماد محكوم بالظروف المحيطة به ، أمسك بحجر وألقه في منحدر يستقر في قعر الوادي أي حجر في أي مكان وزمان ، أمسك كأس ماء وضعه في منحدر الماء يسيل نحو الأسفل ... نقول الجماد منفعل ... إذا أردنا أن يكون الإنسان كالجماد يتأثر بالبيئة ألغينا اختياره وألغينا أنه فعّال وليس منفعلاً .

أيها الأخوة : أستاذ في علم النفس كبير قال هذه الكلمة قال : إذا صح أن الإنسان ابن بيئته .. إذا صح .. وابن وراثته ، وابن أبويه ، وابن محيطه .. إن الأصح من هذا كله أنه ابن نفسه قد ينشأ إنسان في أعلى درجة من العلم في بيت جهل . أنا أعرف .. يعني سمعت عن فتاة والدها يدير عدة ملاهي لو طلبت منه مليونين يعطيها بلا سؤال ... تعمل معلمة وتطبخ في غرفتها وتأكل من دخلها . إنسان آخر عنده دور لهو له زوجة مؤمنة محجبة لم تحضر حفلة من حفلاته ولا حفل زواج ابنتها وبناتها . امرأة فرعون أكفر كفار الأرض كانت صديّقة ... يعني .. الإنسان ابن نفسه سيدنا إبراهيم نشأ في بيت وثني ومع ذلك كان نبياً مرسلاً فكل إنسان يحتج بالبيئة هو كالنعامة تماماً تغمس رأسها في الرمل .. الإنسان يستطيع أن يتحرك وفق اختياره .

أحد الأدباء قال إن القرار الذي يتخذه الإنسان في شأن مصيره قلما تنقضه الأيام إذا كان صادراً حقاً عن إرادة وإيمان .... أنت إذا آمنت بالله عزّ وجل تفعل المستحيل لأن الله معك .. لذلك .. ضعفاء الناس يتأثرون بالبيئة ... الآن الخط العريض في المجتمع يسمون الدهماء .. سوقة الناس .. هؤلاء يتأثرون بالبيئة أشد التأثر يلهثون وراء صرعات العصر ، يلهثون وراء التقليد ، يلهثون وراء ما يأتي من الخارج ... أما الأشخاص العقلاء لا يتأثرون بالبيئة .. لو أن مجتمعهم سقط .. هم لا يسقطون بل إن العظماء يؤثرون في البيئة .

الأنبياء جاءوا من بيئة فيها ظلم وفيها بغيٌ وفيها عدوان وفيها شرب خمور وفيها قمار وفيها ربا وفيها أن الزوجة تتقلب بين عشر رجال .. ماذا فعل النبي .. ؟.. جعل من رعاة البقر أو من رعاة الغنم قادة للأمم ... إياكم أن تظنوا أن البيئة تصنع الإنسان هو يصنعها ، هو يؤثر فيها ، هذه حقيقة الإنسان حينما يقصّر يميل ويرتاح إلى أن يعزي تقصيره إلى غيره ، ما رأيت مقصراً في حياتي إلا عزى تقصيره إلى شيء آخر ... طيب لماذا يوضع إنسان آخر في البيئة نفسها ويتفوق ..؟.. معناها العلة ليست من البيئة .. من الذي .... رجل في قرية متخلفة إلى درجة لا تصدق جاء إلى قضاء تابعة له مشياً على قدميه .. من قضاء إلى مركز محافظة إلى أن وصل إلى الشام وعمل في بعض المطاعم وتقلب من عامل في مطعم إلى عامل في مطعم آخر إلى طالب علم ليلي إلى مدرس لوجبة واحدة وما مات إلا رئيس الجامعة ... كيف هذه البيئة الفقيرة الجاهلة أنتجت عالم كبير ... الإنسان إذا أراد شيئاً يفعل المستحيل إن القرار الذي يتخذه الإنسان في شأن مصيره قلما تنقضه الأيام إذا كان صادراً حقاً عن إرادة وإيمان ... والحقيقة الإنسان .. المكان الذي وصل إليه هذا هو صدقه .. والمكان الذي لم يصل إليه هي تمنياته والله سبحانه وتعالى لا يتعامل بالتمنيات أبداً الشيء الذي أردته وصلت إليه والشيء الذي تمنيته لم ولن تصل إليه ،

﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ ﴾

(سورة النساء من الآية 123)

دد

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً (110) ﴾

(سورة الكهف : من الآية 110) .

سلمان الفارسي ابن عابد نار كيف انتقل من بلدة في بلاد فارس وصار صحابياً جليلاً . قال عنه النبي : *سلمان منا آل البيت* .

فلا أحد يحتج بالبيئة .. أنا لا أريد أن أكون غير واقعي البيئة لها تأثير ولكن ليس كل التأثير لها بعض التأثير ولكن الإنسان إن اختار شيئاً يغير معالم البيئة . دهماء الناس ، سوقتهم ، المستويات الدنيا منهم، يتأثرون بالبيئة بل يعزون تقصيرهم إلى البيئة . والأشخاص الأعقل من هؤلاء لا يتأثرون والعباقرة يؤثرون ... يتركون بصمات كبيرة جداً في بيئتهم .

يعني .. إنسان واحد نشأ في مكة خمس قارات بعد ألف وخمسمائة عام تتأثر بدعوته هذه البلدة بيد الرومان كانت من جعلها مسلمة ..؟.. ألم يستقبل سيدنا عمر رسول عامله في أذربيجان أين هي أذربيجان .. في بلاد روسيا الآن ، ألم يستقبل عامله في الصين ، ألم تصل جيوش عبد الرحمن الغافقي إلى مشارف باريس ... ماذا فعل هذا الإنسان بأخلاقه ، وقيمه ، ودعوته الصادقة ، فعل المستحيل ..

وأنت أيها الأخ الكريم بإمكانك أن تفعل المستحيل ... في علماء عاشوا أقل من خمسين سنة ... تركوا مؤلفات هي بركة وخير إلى يوم القيامة أقل من خمسين عاش ... الأذكار ، رياض الصالحين ، مغني المحتاج ، كتب في الفقه وفي الحديث وفي الذكر .. طيب ... الإمام الشافعي هؤلاء الذين تركوا بصمات واضحة الإمام الغزالي هؤلاء لم يتأثروا ببيئتهم بل أثروا فيها وبإمكانك أن تكون متفوقاً .. لماذا أنت في الدنيا تريد الأكمل .. أكمل بيت ، أكمل مركبة ... لِمَ لا تريد الكمال في الآخرة .

لذلك إياك أن تعزو تقصيرك إلى البيئة . يعني ... يقول لك إنسان نحن بيتنا غير مناسب للدراسة . أنا حدثني أخ أخذ شهادة هندسة عليا وهو مهندس متفوق جداً قال لي أنا كنت في سقيفة البيت .. طيب ليس له غرفة خاصة فيها تدفئة خاصة وفيها كمبيوتر وفيها مراجع أبداً لا يوجد شيء ... وصار متفوق في عمله بينما تجد بيوت كل وسائل الرفاه مؤمنة للطفل ولا يدرس ... هل يحق للمقصر في الدراسة أن يحتج ليس له غرفة خاصة ... شيء مضحك هذا ... أنا أعرف أناس في الخمسينات أبوهم يمنعهم من أن يدرسوا..يدرسون تحت السرير على شمعة كان السرير عالي قديماً هذا العثماني حديد عالي . يقرأ تحت السرير على ضوء الشمعة . أعرف رجل والده غير قانع بالدراسة أخرجه من الابتدائي ووضعه في مكتبة 8 سنوات عنده درس الابتدائية بالتهريب من أبوه تهريباً والكفاءة والثانوية ودخل جامعة أخذ ليسانس حقوق ويحمل الآن دكتوراه في الحقوق وله مؤلفات كثيرة ... أين بيئته ... بيئته ضد العلم الأب غير قانع بالعلم .. قانع بالعمل فأخرجه من صف الرابع ووضعه في المكتبة كيف نال الدكتوراه ..؟. قس على ذلك كل شيء...

أيها الأخوة ... سبحان الله إذا الإنسان تفوق يقول لك أنا عصامي أنا درست أنا تعبت، إذا قصّر يقول بيئتي بيتي أهلي وتربيتي لماذا لا تعزي التفوق إلى أهلك لا التفوق هو .. هو المتفوق هو العصامي هو الذي درس هو الذي بنى نفسه أما إذا قصّر صار أبوه المسؤول والبيت مسؤول وأبوه دخله محدود ليس له غرفة خاصة... عزى هذا كله إلى غيره ... الإنسان أيام يرتاح عندما يعزي أخطاؤه إلى الآخرين يرتاح .. برأ نفسه لكن هذه التبرئة لا قيمة لها إطلاقاً ولا أحد يستمع إليها . هذه نقطة.

النقطة الثانية : عندما قال ربنا عزّ وجل :

﴿سْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (38) ﴾

(سورة مريم)

أسمع بهم وأبصر : هذه أسمع صيغة تعجب . يوجد عندنا صيغتان نظاميتان ما أفعله وأفعل به ، ما أعظمه وأعظم به ، ما أرحمه وأرحم به ، ما أغناه أفعل به .. أسمع بهم وأبصر يعني ما أشد سمعهم يوم القيامة وما أشد بصرهم معناها المشكلة مشكلة سمع وبصر .. مشكلة علم ..... أنا مرة ذكرت لكم يعني .. سيارة قديمة جداً .. فيها مشكلات كثيرة جداً هوت بصاحبها وأردته قتيلاً والسيارة الثانية عالية جداً من أعلى ماركة تقول المشكلة مشكلة كفاءة . هذه السيارة كفاءتها ضعيفة جداً قتلت صاحبها . أما إذا سيارتين من أعلى مستوى لكن أحد صاحب السيارتين أطفأ المصباح والطريق فيه منعطفات .. هل هي أزمة كفاءة أم هي أزمة رؤيا .. أزمة رؤيا لو أطفأ المصباح باختياره والطرق متعرج وظلام وفي وادي على اليمين وقع في الوادي تقول له بأن مركبته قديمة لا هي جديدة جداً وفيها كل وسائل الضمان لأنه أطفأ المصباح وقع في شر عمله ، مشكلة الإنسان مشكلة رؤيا ... وهو في النار ماذا يقول .. :

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10) ﴾

(سورة الملك)

أسمع بهم وأبصر : يعني ما أشد سمعهم وما أشد بصرهم .

﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22) ﴾

(سورة ق)

إخواننا الكرام : فكرة ذكرتها كثيراً لكنها خطرة جداً خيارك مع الإيمان خيار وقت عند الموت .. الذي رآه الأنبياء تراه أنت ، الذي رآه كبار المؤمنين تراه أنت، الذي رآه الصديقين تراه أنت ، فقط ... كما لو أن طالباً دخل الامتحان وقد نال درجة الصفر بجدارة لا يعلم شيئاً ... رجع إلى البيت وقرأ الكتب فهم الجواب فقدم كتاب للوزارة أنه أنه عندما خرجت من الامتحان واطلعت على الإجابات الصحيحة فعرفتها يرجى إدراج اسمي مع الناجحين ... يضعونه هذا في القصير ... أن تعرف الحقيقة بعد فوات الأوان شيء مضحك ، أوانها الآن ، أوانها وأنت في الدنيا ، أوانها والقلب ينبض ، أوانها وأنت تمشي على قدميك وأنت في بحبوحة، أوانها وأنت شاب ، أوانها وأنت قوي ، أوانها وأنت غني ، أما وهو على فراش الموت ... لفلان ألف ، لفلان خمسة آلاف ، المال لم يعد له قيمة ... هذه الخمس مئات لا قيمة لها وأنت على فراش الموت .

درهم تنفقه في حياتك خير من ألف مائة درهم تنفقه بعد مماتك فنحن خيارنا مع الإيمان ليس هناك خيار ... قبول أو رفض خيار وقت .. لابد من أن نذعن للحق شئنا أم أبينا ولكنا إذا عرفنا الله مختارين هذا الذي يرفعنا عند الله .

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

الفصل الأول : قراءات قرآنية

الفصل الثاني : تأملات قرآنية